

# المقطف

الجزء الاول من المجلد الثاني عشر بعد المئة

١٩ صفر سنة ١٣٦٧

١ يناير سنة ١٩٤٨

## التكافل الاشتراكي

نظرية مسا في النظام الاجتماعي

البحث الاول في تحليل النظرية

٢ - هل التكافل ممكن في عالم الاجتماع؟<sup>(١)</sup>

أعتقد أن عنوان هذا البحث ، وهو مصوغ في صورة استفهام ، ليس بمحكم الوضع . على أنه بمقتضى ما يقوم في الاجتماع الانساني من ضروب التنافس ، بل من ضروب التناحر الذي لا مبرر له بوجه من الوجوه ، أظن أن هذا السؤال طبيعي ومعقول .

هل يمكن أن يقوم النظام الاجتماعي على صورة تكافلية ، تشعر معها جميع أطراف الجمعية بأنها كافلة ومكفولة معا ، وبحيث يكون منشأ هذا الشعور ضرورة حيوية تجعل الكفالة المتبادلة بين أطراف الجمعية أمراً يتعلق بتنشيط كيان الجمعية ذاتها وبقائها باعتبارها وحدة كاملة ؟ مطلب عسير . غير أنني أرى أنه ضروري لهذهاء الجمعيات البشرية وتحقيق حريات الضرورية في وقت واحد : حرية الفرد وصعادة الجماعة .

على أنني لا أريد أن ألتطف في توصيف المعاني التي تحتملها الكلمات ، فإذا قلت « حرية الفرد » فعناها تحرر فكره وإرادته مع تحديد مسؤوليته ، وإذا قلت « هناء الجماعة » فعناها بلوغ الحد الممكن منه صد الحاجات المشتركة مادية وأدبية وعقلية ، في حدود البيئة والقوانين

(١) نشر البحث الاول في عدد ديسمبر — ١٩٤٧

الطبيعية ، بمسيرة القوى التطورية التي تكتنف المجتمع البشري .  
نعقب على هذا السؤال بآخر : هل هنالك منافاة بين حرية الفرد وسعادة الجماعة ؟  
أو بمسألة أخرى : هل هنالك منافاة بين تهيئة الفرصة للفرد كي ينمّي كفاياته ومواهبه  
بطرقه الذاتية ، وبين قيام جمعية يسودها السلام بحيث تصبح مكفّية الحاجة بعيدة عن  
مفاسد الاستبدادية ، سواء أكان ذلك من ناحيتها على الفرد أم من ناحية الفرد عليها ؟  
أعتقد أنه لا منافاة البتة .

وإذن نتساءل من أين أتت ظاهرة المنافسة التي نلحظها إذا ما تأملنا في المجتمعات التي  
لا تزال تروح تحت ورائته العصر الإقطاعي ، والمجتمعات التي انقلبت دكتاتوريات شيوعية  
أو اهتراكية ؟ أما الأولى ، فيتجلى فيها استبداد الفرد بالجماعة ، وأما في الثانية ، فاستبداد  
الجماعة بالفرد !! أو بالحري استبداد باسم الجمعية بمثل فرد أو بضعة أفراد ، يقتنعونه  
بعبارات وهمية أو معنونة بعناوين لها رنين ، وإن تغلغل فيها التناقض ، كقولهم مثلاً  
«دكتاتورية الجماهير» أو «دكتاتورية الدهاء» وهي منطقياً أفرغ عبارة شهدها تاريخ الفكر  
بل هي أكبر سخرية عرفتها الإنسانية .

نشأت المنافسة في الجمعيات الأولى ، جمعيات الاستبداد الفردي ، من نظمات ورثت من  
العصور المظلمة أيديها شرائع وضعت وفق نظام قائم بالنبل . ونشأت في الجمعيات الثانية ،  
جمعيات الاستبداد الجماعي ، بحكم نفوذها في عالم تظله ورائات العصر الإقطاعي من ناحية ،  
وخطأ الاعتقاد بأن الحرية الفردية منافية لسعادة الجمعية من ناحية أخرى .  
يعصر عليّ في هذا المقام أن أعود الى عصور الإقطاع فأشرح نظامها الطبقيّ ، أو أن  
أسوق الكلام في الدرجات التي انتهى بها ذلك النظام الى نفو القوميات وتطور الفكرة  
في الحرية . غير أن ما لاصبيل الى إهمال الكلام فيه ، هو إظهار السبب في بقاء الوراثة  
التي خرج بها الانسان من تلك العصور ، واستقرار النظمات الحاضرة عليها مع ظهور  
فسادها ظهوراً لا سبيل الى نكرانه . السبب في هذا واضح كل الوضوح ؟ وهو أن الأقوياء  
هم الذين شرعوا لأنفسهم ، وهم الذين شرعوا للمستضعفين في الأرض ، أو كما صور ذلك  
طاغور في إحدى مسرحياته إذ قال : إن الضعفاء في هذه الدنيا قليلو الحيلة . أما الأقوياء  
فقساة غلاظ الأكباد .

لم يهدم التاريخ الانساني من نظام تفاوت فيه الطبقات تفاوتها في العصر الإقطاعي .  
فبعد أن قطع الانسان من عمره دهرأ في ظل الديمقراطية اليونانية ، ثم في ظل الحكم الروماني  
الذي ذاعت فيه روح القانون مصبوبة في قالب قريب جداً من انقلاب الذي نعمده في

قوانين العصر الحديث ، حطّ الهمج على الامبراطورية الرومانية من خجاج الشرق وراحوا يعمنون في انحائها تخريبياً ، وتناصوا القانون الروماني ، وإن اعتنقوا النصرانية التي هي دين الرومان ، وفي أثرهم قام عصر الاقطاع الذي هو الى الحكم القسبي البدائي أقرب شيء . ومن ثنانيا هذا الحكم نفياً ، بالرغم من أنه نظام طبقي ، نظام القوميات ، بعد أن دبّ الانحلال في حكومات العصر الاقطاعي وطمى مدّ الحضارة بعد عصر النهضة على ذلك النظام . غير أن دولات الاقطاع قد ورثت النظام القومي كثيراً من تركتها ، ومن ذلك نظام تفاوت الطبقات قائماً على الثروة والجاه ، وعلى نبالة الدم والشرف الموروث ، وبالجمري القوة ، ومنه أيضاً نظام الملوكيات الكبرى التي كان مثاها الأكبر ، ملوكية لويس الرابع عشر في فرنسا .

وفي ظل هذه الملوكيات وضعت القوانين التي احتكت في الأمم طوال عصور ، حتى ظهر مجزها عن مسارية مقتضيات الحضارة الحديثة بعد نشوء العصر الانطليجي ، وإن شئت فقل عصر الانتاج الآلي ، فضت تتطور شيئاً بعد شيء تحت ضغط الظروف المدنية . احتفظت هذه الشرائع بظهورين كان لهما أكبر الأثر في تكوين تاريخ أربعة قرون بدأت بالقرن السادس عشر وانتهت صورة منها بنهاية القرن التاسع عشر . المظاهران : هما حماية الملكية . وحماية الدين . فانه في جميع الحركات التحررية التي ظهرت في المانيا والبلاد المنخفضة وفرنسا وانجلترا مالا الملوك رجال الدين ، ومالا رجال الدين الملوك ، احتفاظاً بسلطان الدنيا وسلطان الآخرة ، فكان ذلك أهله بعد غير مكتوب يرمي الى استبدال الطبقات المستغلة لمصلحة الملوكيات ومصلحة الكنائس .

في ثورة الفلاحين الكبرى التي قامت في المانيا في عصر لوثر أبعد ذلك المنطق الكبير الامراء في سبيل القضاء على الثورة ، ورأى رأي العين أكبر المذابح وأعظم الآثام ترتكب أمام ناظره ، وهو ثابت العقيدة في أن الثورة على أولي الامر شيء ياباه الدين وتمقتسه النصرانية . ذلك بأن الاعتقاد بأن حق الملك حق إلهي ، يتبعه دائماً اعتقاد أن خضوع الشعب أمر إلهي أيضاً ، وأن الفسوق عن طاعة ملك يحكم في الأرض بتوكيل من الله ، ردّد على الدين وخروج على الإرادة الأزلية .

على هذا نجد أن تأييد النظام القائم ، الذي هو من ميراث عصر الاقطاع ، بالقانون وبالشرعية ، إنما يأتي تأييده من اعتقاد انه نظام أبدي سرمدى ، الخروج عليه خروج على إرادة الله ، بل إنه خروج على سلطة الملك وسلطة الكنيسة . ويزى أيضاً أن الشرائع التي تؤيده قد استمدت من نبعين : الأول سلطة الملك التي هي سلطة إلهية ، وسلطة الكنيسة

التي هي كفيلة الارادة الازلية . ومن الصراع الذي قام بين هذا الاعتقاد ، واعتقاد أن الحرية حق طبيعي للأمم ، تكونت حركة التحرير الأوربي . صراع بين الشعوب وبين ادعاء الحق الإلهي في الملك من جهة ، وصراع بين الشعوب وبين ادعاء حق الدينونة في الكنائس من جهة أخرى .

\*\*\*

تنقل هذه الحقائق الى الذهن صورة جمعية فقدت كل سبيل يسلم بها الى حياة فيها رثاء وفيها سلام . حياة لا هي حياة تنافس أفسحت فيها الحرية الفردية المجال لتنمية كفايات الفرد ، ولا هي حياة تكافلية تلتقي في روع الفرد انه عضو في جمعية تحمص على مصالحه ، وتضمير الجمعية بأن الفرد وحدة ضرورية من وحداتها التي تؤلفها . حياة سُل فيها سيف الملك على الرقاب ، وصل فيها سيف الكنيسة على الأرواح . حياة جمدت فيها الشرائع وجمدت فيها القوانين ، وباسم الملك الموكل عن الله عمل السيف وعملت المقصلة والمخلعة وغيرها من آلات التعذيب والقتل ، وباسم الكنيسة ، التي احتلت مكان الديان الأعظم ، أقيمت المحارق لتلهم الهراطقة والأحرار . وباسم الله حكم الملوك ، وباسمهم حكم رجال الدين ، أُلغى حكم جرى على جماعات بشرية خلال كل الأزمان التي كان للانسان فيها أثر فوق هذا السيار .

غير أن الروح التي نقلها القانون الروماني إلى أقوام أوربًا ، وكانت قد كتبت واستندت في عصر الاقطاع ، لم تمت فأخذت تنمو وتفرخ في العقول وتفزو الأفكار ، تؤيدها فكرة الحرية التي هي مكحلة للقانون ، فخرجت الشعوب الغربية الحديثة من تلك الغمرة الشديدة بنظام القوميات ، وهو نظام خطأ بالانسان خطوات كبيرة نحو حياة التكافل الاشتراكي . واني لا اعتقد ان كل نظام جديد حل مكان نظام وراثته الحضارة عن عصر الانقاع ، إنما هو خطوة نحو التكافل الاشتراكي . فموت الفكرة في حق الملوك الإلهي ، وفصل الدين عن الدولة ، ورد السلطة الدينية الى حدودها الروحية ، وقيام الأنظمة الديمقراطية ، وحلول القوانين الوضعية محل الارادات البشرية والقدسية وتنظيم الجمعيات بطريق التشريع خاضعاً لسلطان البيئة والضرورة ، كل هذه مظاهر تدل على ان الحضارة أخذت تخطو بخطى وثيدة ، وليكنها نابتة ، نحو نظام التكافل الاشتراكي ، وهو النظام الذي يمدد حقوق الفرد وحرية ، ويرمي إلى سعادة الجماعة ، بحيث يكفل للفرد المشاركة في سعادة الجمعية ، وتكافل الجمعية للفرد الحرية اللازمة لتنمية كفاياته خيره وخيرها .



لقد دلت الخطوات التي خطاها النوع البشري انه انما يتجه بمحضارته نحو نظام « التكافل الاشتراكي » . وأرى أن المدينيات التي ازدهرت في العصر القديمة ، انما يعود ازدهارها في أكثر الأمر الى شيوع روح « التكافل » فيها وأن انحلالها يرجع الى ضعفه .

وبالرغم من اني أعتمد واثقاً أن تحليل نشوء الحضارات وانحلالها من أعسر مطالب علم الاجتماع والتاريخ ، إلا أن الصورة التكافلية في حضارة مزدهرة ، هي الصورة التي تبرز في كل مرافق الحياة فردية واجتماعية ، وأن ضعف التكافل في حضارة يظهر بارزاً أيضاً في أزمان انحلالها . لا يدل ذلك على ان حياة التكافل نظام ممكن ان يستحدث في المجتمعات المتمدينة لاغير ، بل يثبت انه قد قام بالفعل في كثير من أدوار الحضارة . حدث مرات في مصر القديمة وبابل وأشور والكلدان ، وظهر في مدينة اليونان ومدينة الرومان ، وكان أكبر مظاهره وحدة تجمع بين الأغراض والمطالبات ، وتربط بين مرافق الفرد وحاجات الجماعة ، وغايات لا يجد فيها الفرد منافاة لمصالحه وفرديته ، ولا تلاحظ فيها الجماعات طغياناً من ناحية الفرد على مقومات سمادتها . ورأينا ان الحضارات في حال انحلالها تبرز لنا خصائص تحاول الطغيان ، لا لصالح الفرد ولا لصالح الجمعية ، ولكن لصالحها الذاتي ، ورأينا الأهداف التي ساق الجمعية نحوها أهدافاً خلت من كل ما يتعلق بحاجات الفرد أو بسماعة الجمعية ، فتتحلل الوحدة التكافلية التي ارتكزت عليها الحضارة في عصور ازدهارها ، فتتحد نحو الانحلال والفساد . وإذن فازدهار الحضارات وفسادها ، راجع إلى قوة التكافل من ناحية ، وإلى ضعفه من ناحية أخرى .

نضيف الى ذلك ظاهرة أخرى نستنتج منها ان « التكافل » أول مقوم حياة الجماعات ولنمو الحضارات . فإن الواقع ان الاجتماع الانساني بيئة تحيا فيها الجماعة . بيئة فيها كل المقومات التي لكل البيئات الطبيعية . وما من عامل من عوامل البيئة الطبيعية إلا وتجد له نظيراً في البيئة الاجتماعية . فكما ان الحي يحتاج في بيئة الطبيعة الى عوامل تجعل حياته مستطاعة وفي درجة من الاعتدال يشعر معها بان الحياة لذة لا عبء ، كذلك يحتاج المجتمع الى عوامل تجعل حياته كذلك . فإن الحي ان احتاج في البيئة الطبيعية الى الغذاء وإلى الهواء وإلى الملابس وإلى الارض والجبل والشمس والنبات والحيوان ، كذلك المجتمع يحتاج في بيئته الاجتماعية الى الحرية والعدل والقانون والفكر والوحدة والتماصك والمثل الأعلى والسلام . وعلى الجملة يحتاج الى صورة من التكافل يشعر الفرد بأن الجمعية ضرورية له ، وتشعر الجمعية بأن الفرد من ضروراتها ، على صورة يفتني معها كل ضروب النطفة من ناحية الفرد على الجمعية ، ومن ناحية الجمعية على الفرد .

في الجمعيات البدائية أقامت الضرورات ضرورياً من التكافل المعاشي ، ظهرت آثارها جلية واضحة في حياة العائلة والأسرة <sup>(١)</sup> والقبيلة . وقد تظل حياة هذه المنظمات الاجتماعية قائمة مزدهرة ما دام أساس معاشها تكافلياً . فإذا دب فيه عامل من عوامل الفساد وأخذه طغيان المصلحة أو التطفل ، انحلت عقدة التكافل وفسد النظام المعاشي أو الأسري أو القبلي . وكذلك قد تجمع الضرورة بين جملة قبائل ، فينشأ بينها نوع من التكافل يؤلف شعباً أو أمّة ، تجتمع على نظمات تكافلية ، فتزدهر الحياة وتضرب في التقدم . حتى إذا دب الفساد في ذلك النظام التكافلي ، انحلت الوحدة وحل لون الحياة ووقف التقدم . وبالطريق انحلت الحضارة التي قامت أول شيء على مبدأ التكافل .

ونفوه أية صورة من صور الاجتماع الانساني ، إنما تقوم على التكافل . ذلك المبدأ الذي نشهده شاملاً جميع أجزاء الطبيعة ونواحيها . فالحياة الطبيعية ، هي عبارة عن تكافل يربط بين جميع أجزاء الجسم . فإذا انحلت وحدة التكافل في ناحية اعتل الجسم ، وإذا امتعت في الانحلال حصل الموت والدثور . وكذلك المجتمع ، إذا انحلت في ناحية من نواحيه عقدة التكافل وأمتعت في الانحلال فسد وذر . ذلك بأن المجتمع كلّه مترابط الأجزاء ، مثله في ذلك كمثل الكُلّ الحيائي أي الطبيعي . وبذلك نرى مدنيات قد تمضي نحو الزوال والانحلال وظاهرها قوي سليم وجميع أجزائها شامخة البناء . ولكن قلما ندرك أين يقع السبب في انحلالها . لأن ذلك إنما يعود الى تحمل عقدة التكافل في ناحية من النواحي الحيوية من بنائها ، الضرورية لازهارها وتقدّمها .



من الامثال التي نضربها على انحلال عقدة التكافل تخلف القوانين والشرائع عن مسايرة الحس الادبي في جماعة من الجماعات . ذلك بأن الحس الادبي من الاعياء التي يصيبها التطور ويقع عليها التدرج والنفوس . وكذلك هي من الاعياء التي تصيبها الرجعي والانتكاس . فان الحس الادبي لامة من الأمم قد يتأثر بالوضع السياسي كل التأثير . فهو مع الاستقلال والحريّة والسلام ، غيره مع الغزو الاجنبي والاحتداد والارهاب . فهو في الحال الاولى تقدمي مثالي ، وفي الثانية تأخري خسيس .

في الحالة التي يسبق فيها الحس الادبي قوانين امّة وشرائعها تبدأ عقدة التكافل في الانحلال ، اذا لم تتطوّر والشرائع بمقتضى الحس الادبي . وفي حالة تنكس الحس الادبي ، وهي

(١) العائلة غير الاسرة : فالعائلة هي الزوج والزوجة والاولاد ، اما الاسرة فهي هؤلاء وما ينفرع من ذوي القرى

حالة تظهر فيها الشرائع كأنها سابقة لحس الجمعية الأدبي، تحدث فوضى في الأخلاق والمعاملات، من شأنها أن تقف حائلاً بين رفيع الحس الأدبي وإمكان تطبيق الشريعة. ذلك بأن أقوم الشرائع، شريعة تسير الحس الأدبي للمجموع الأعظم من المحكومين.

ومن الأمثال التي نضربها أيضاً الأمعان في الإفراطات بأنواعها. فالإفراط في الغنى الفردي أو الفقر الفردي، والإفراط في الاستبداد واقعاً من ناحية الفرد أم من ناحية الجمعية، مضافاً إلى ذلك إفراطات التجرب واختلاف الرأي والإفراط في عدم الموازنة بين الضرورات والكفايات، كل ذلك عوامل من شأنها أن تفك عقدة التكافل في الجمعية.

حتى الإفراط في العلم قائماً إلى جانب إفراط في الجهل، من شأنه أن يؤثر في عقدة التكافل، فيخلخل من تماسكها. فإن ذلك من شأنه أن يقصر فائدة العلم على أقلية ممتازة، في بحر خضم من جهالة جماهير لا تفي فائدة العلم. وبذلك يطرد الجهل العلم، كما تطرد العملة الرديئة العملة الحسنة من سوق التعامل، وهو قانون اقتصادي معروف. لهذا يجب، احتفاظاً بعقدة التكافل في أمة من الأمم أن تتقارب حيثياتها ليتمكن الانتفاع بالموهب والكفايات على أكل الوجوه المستطاعة. وهذا ما حفز الأمم المتحضرة على تعميم التعليم والتدرج به إلى أعلا درجة ممكنة في مجموع الأمة احتفاظاً بوحدة تكافلها. فإن الأفكار والمقارب والميول كلما تقاربت في مجموع انساني، ازدادت أوجه التكافل وبأن أثرها الفعال في تصرف الفرد وفي تصرف الجماعات.

ومن ذلك أيضاً انحطاط المثل التي تحتذى في رافق الجمعية. فالسياسي اللص أو الزعيم الأفك أو التاجر الغاش أو رجل الدولة الدنيء أو الصحفي المتجبر أو الموظف المرتشي أو الزوج العاثر أو الزوجة الخائنة، كل من هؤلاء عش فساد ينشر صفاته تلك في محيطه. فإذا نفى ذلك المثل متنعلاً من فرد إلى فرد، تكونت على أثر ذلك خلايا الفساد، وهضمت تحلل من عقدة التكافل الجماعي. وعلى العكس من هؤلاء نظرائهم من ذوي الاستقامة والميول المثالية. فإن أثرهم في تكوين خلايا صالحة من شأنه أن يقوي عقدة التكافل، التي فيها أسمى المعاني المستفادة من التماسك الاجتماعي.

حكومات الفرد المستبدة، هي من عوامل التصدع الاجتماعي بما تحدث من التحلل في رابطة التكافل. فالفرد المستبد ينفذ أول ما ينفذ متعته الخاصة واحتفاظه بسلطانه، فيضطر أن يستحدث من حوله بيئة من التطفل يتخذ رجالها عيوناً وأرصاداً على الأمة، فيجئ هؤلاء إلى الحيلولة بين المستبد وبين الحقائق زلفاً وقرباً ونشداناً للمهاجرة. فتصبح الحكومة ضرباً من الطغيان المستند إلى التطفل على جسم الأمة. وما من صورة من صور الانحلال هي

أُبعث من هذه الصورة ولا أنكى أثرًا في الحاكين والحكومين على السواء. لهذا نرى أن تاريخ كل الحكومات الاستبدادية، عبارة عن بناء فارغ ظاهره الجد والعظمة والثبات، فاذا هبّ عليه الريح انهار واندر. وما تاريخ هذه الاستبداديات الفردية إلا تكراراً لصورة واحدة، قيام فاشيار، ثم قيام فاشيار، وهكذا دواليك، مما يثبت بشكل قاطع، أن جميع مقومات التكافل الاجتماعي تكون معدومة في مثل هذه الحكومات.

كذلك يستحيل طبعاً أن يقوم في مثل هذه الدول الاستبدادية حكومة صالحة. لأن الغرض الأصلي من الحكومة مفقود فيها فقداناً كلياً.

ولن ينمو في الاستبداديات أي شعور بالوطنية كما عرفها بعض الأمم الغربية الحديثة. وعندني أن الوطنية ليست هي حب المكان ولا حب البيئة الطبيعية، ولا حب الهواء والطين، وإنما هي عبارة عن شعور بالتكافل الاجتماعي يحس معه الفرد بأنه في مجتمعه هذا أعز مكاناً وأشرف موضعاً منه في أي مجتمع آخر. فالوطنية إذن ليست طبيعية، وإنما هي وليدة الظروف الاجتماعية. وإن كان للبيئة الطبيعية فيها أثر، فهو أثر ثانوي صرف.

ضرب المثل بالوطنية الانجلوسكسونية، وانخذت مثلاً يحتذى بين جميع أمم الغرب. وإذا صممنا من هؤلاء القوم أنهم يحاربون من أجل الحرية، فلنصدقهم، وإن كانوا بديلاً يدافعون عن حريتهم كبداً عاشوا في ظله طوال حياتهم الحضارية.

\*\*\*

منذ القرن الثالث عشر، أي منذ أن انتزعوا «الماغنا كرتا» أي العهد الكبير من ملكهم المستبد، وتاريخ الانجلوسكسون سلسلة موصولة الحلقات من مظاهر الشعور بالرابطة التكافلية التي تربطهم. يدل هذا على أنهم ظلوا طوال عصرهم هاعرين بما يضفي عليهم التكافل الاجتماعي من قوة. وإذا كان الشعور بالضعف هو الضعف بعينه، كذلك الشعور بالقوة هو القوة بعينها. وهذا يجري على كل المشاعر الاجتماعية وأخصها الشعور بالتكافل على بلوغ صورة من الحياة لها مثالياتها العليا ولها غاياتها المنشودة.

وكل الحروب الأهلية التي وقعت في جزيرة الانجلوسكسون إنما كانت حروباً هبّ فيها أغلبية الشعب دفاعاً عن وحدته التكافلية إزاء القوّات التي حاوت أن تحل هذه الوحدة لتفسح الطريق أمام استبدادها. ونظرة واحدة في تاريخ أوليثر كرومويل وأنصار الحرية إزاء ما حاول الملك شارل الأول من طغيان عليها، يشعرك شعوراً كاملاً بأن هؤلاء الانجلوسكسون هم أعمق شعوب الأرض إحساساً بضرورة التكافل الاجتماعي، والدفاع عنه إزاء كل العوامل التي تحمله وتفسده.

في خلال ثمانية قرون طوال ، منذ القرن الثالث عشر الى القرن العشرين ، وتاريخ هذا الشعب ينطق بأفصح عبارة ، أن حياته كانت حياة تكافل اجتماعي ، استطاعت أن ترد عن الجمعية ماديات الأعداء وماديات الملوك وماديات الكنيسة ، وأنه في طوال ذلك الزمن الذي فضاء بين مذ وجزر ، وأخذ ورد ، لم تحب جذوة الشعوب بضرورة ذلك التكافل ساعة واحدة . وأن ما تقرأ في تاريخ الانجلوسكسون من آيات البطولة الفردية ، لبتضاءل وبذل الى جانب ما تقرأ في مجموعه من روائع الحياة التكافلية في أجلى معانيها وأبرز صورها . وتلك عندي هي الوطنية الصحيحة .

يقولون إنَّ الأقلِّيَّاتَ أهد وطنية من الاكثريات ، وإنها أنشط وأمعن في العمل وأصح عزيمة وأصدق نظراً في الحقائق . وعندى أن هذه الأعياء ما هي إلا مظاهر لحقيقة كبرى تصدر عنها ، هي أن الأقلِّيَّات أهد شعوراً بضرورة الحياة التكافلية من الاكثريات الأقلِّيَّات أهد شعوراً بالآخطار التي تكتمنها ، فإذا لم تتكافل فنت وبادت أو اندجبت في الاكثرية وانعجى أثرها . هي لذلك تنزع طبيعةً الى التكافل المعاشي ، الذي هو الطريق الوحيد الذي يُسَلِّم بها الى الصلابة والقوة ، لتستطيع أن تقاوم تيار الاكثريات ومثل الأمم المستبد بها كمثل الأقلِّيَّات . فان الاستبداد والضغط كما يقووان يولّد الانفجار . وكل الانفجارات التي نعهد بها في أمم استبدت بها هي في الحقيقة مظهر للشعور بالتكافل الذي يستجدته الاستبداد . فالأمة المستبد بها تشعر كأنها أقلّة من حيث القوة الى جانب المستبدين بها . وهذا الشعور من شأنه أن يولّد إحساساً بالحاجة الى التكافل دفاعاً عن كيانها ، وإلا مضى بها ذل العبودية وأتى عليها سيف الاستبداد .

\*\*\*

كثيراً ما نقرأ في التاريخ الذي كتبه المحدثون كلمة « تنكّس » Decline وكلمة انحلال Degeneration يصف بهما المؤرخون حالات كانت صبيّاً في ضياع حضارات أو امبراطوريات أو دُول . فاذا قرأت كتاباً واسع الجنبات مثل كتاب « غبون » في انحلال الدولة الرومانية ، رأيته يستقصي أسباب ذلك في نشوء حالات حفت بتلك الامبراطورية الفاسدة الاطراف ، كهبوط الهج ووسط أوروبا ونشوء النصرانية والاسلام ، ثم يعطف حيناً الى وصف الحالات الخلقية والمدنية في الدولة . وعندى ان جميع ذلك ظواهر ترجع الى ان الرومان بعد ان فتحوا الدنيا ودان لهم العالم أصبحوا أقل شعوراً بضرورة التكافل منهم في أول نشأتهم . والسبب الأكبر في ذلك انفعاقات أحدثها الدين الزهرافي . واليه يعود السبب الأكبر في حل رابطة التكافل الاجتماعي التي مكنت لرومان في الارض من قبل . وأعد

ما تكون عوامل الانحلال أترأ في الجماعات اذا رجع سببها الى عقائد ايمانية تتعلق بأوسع أمل يعقده الانسان على صلته بالغيب والخلاص في الآخرة .  
ولقد أرى ان الفساد الاجتماعي أو الانحلال كما يقولون هو مظهر لحقيقة أعمق بكثير من المرائي الفسادية أو الانحلالية الظاهرة ، حقيقة أن العقيدة التكافلية التي تؤثّق للجماعات في الحياة تكون قد مضت في التخلخل من غير أن يظهر لها أي أثر باديء الأمر ، فاذا تقدم بها الزمن وتشتت أسبابها في جسم المجتمع ، أخذ عيم ، كما تصهر النار الحديد ، فاذا تمت ميوعته كان في مستطاع أية قوة ان تصبه في القالب الذي تختاره .

\*\*\*

ان رجال الدولة<sup>(١)</sup> وبخاصة في هذا العصر الديمقراطي ، ينبغي لهم أن ينظروا في ذلك أول شيء ، ويوجهوا كل همهم الى لحظ الأسباب التي تزيد الاحساس بالتكافل في الأمة قوة ، ويردون عن الجمعية كل الأسباب التي من شأنها ان تحل عقدة ذلك التكافل . عليهم أن يعرفوا أن الجسم الاجتماعي قابل للتشكل ، لا جسماً جامداً ، وان المجتمع يتطور ، وان تطوره أسهل سبيلاً وأقصر زمناً من تطور الفرد الاجتماعي ، وان توالي حدوث المؤثرات التي من شأنها أن تزيد المجتمع تكافلاً ، يجب ان تستجمع وتستغل لصالح العام . وأن من واجبه أن يحولوا دون حدوث المؤثرات التي من شأنها ان لا تجعل تكافل المجتمع مستطاعاً ، أو على الأقل تحول دون بلوغ التكافل في المجتمع الحدّ المرغوب فيه .

لذا وجب ان يكون رجال الدولة من العلماء الذين مكن لهم العلم من ادراك شتى الصور التي تتقلب فيها الجماعات ، لا من أولئك الذين تمر بهم الاحداث فلا يدركون منها شيئاً . ولقد يكون لحدث صغير الشأن من الآثار ما تنهار أمامه ثابت النظامات ، وقد يمر حدث كبير فلا يخلف من ورائه شيئاً . وإنما تقاس قيمة الاحداث بملاساتها . وأوجب واجبات رجال الدولة ان يقفوا على هذه الملاسات ليحولوا بين المجتمع وشقاء الرجات العنيفة والفورات الحاطمة .

أمّا رجال السياسة<sup>(٢)</sup> ، وهم في الواقع انتهازيون عبّاد ظواهر ، فهم أقل شأنًا من أن نتكلم فيهم . وغالب الظن ان أوانهم قد فات وزمانهم مضى . فهم في هذا العصر أشبه بالآثار المستحجرة من بقايا الأحياء في باطن الأرض ، قيمتهم في انهم آثار ، لا في أن لهم قوة مؤثرة في الوجود .

سماويل مظهر

## وسائل النجاح<sup>(١)</sup>

إذا كنت تريد النجاح في الحياة ، وأن يكون نجاحك سريعاً ، فعليك باتباع هذه الوسائل ، وسوف يكون النجاح مؤكداً .

وأول ما يجب عليك ، أن تأل نفسك دائماً عن هدفك في الحياة ، دون أن تتحول عن معاودة هذا السؤال - لأن الحياة ، لا تهب شيئاً ، ان لم يكن لدرء هدف محدد ، سواء كان هذا الهدف خطيراً أو متواضعاً .

اثبت في مفكرتك ، هذا الهدف ، ليكون تحت بصرك دائماً ، اكتب ما سوف تحققه في مطلع العام الجديد ، ونظم ما تريد عمله على الشهور والاسباع والايام . وطود تلاوتها ، عند نهوضك في الصباح ، وإيوائك الى النوم .

\*\*\*

وقد لسمع ، ممن لم يظفروا بالنجاح ، أعذاراً أبرزها ، عدم وجود الوقت - فهذه القصة قد كنت أود أن أكتبها ، وهذه الصورة قد كنت أشتهي أن أرسمها ، وهذا العمل قد كنت أحب أن أفرغ منه ، لولا أن وقتي لا يتسع !

ومن المؤكد ، أن الوقت لا يتسع لكل ما تصبو إليه ، ولكن من الممكن تنظيم الوقت ، فقد كان وقت كثير من كبار الرجال مثل وقتك تماماً : كان يكون محامياً ، وكان يبيز ، موظفاً في البحرية ، وكان ملتون امعلماً ، وكان شكسبير يفتغل بالمسرح ، ولكنهم أتوا بالمعجزات ، لأنهم عرفوا كيف ينظمون أوقاتهم .

\*\*\*

وقد تسمع كثير آمن الناس يقولون ، : لا نستطيع أداء هذا العمل ، ولا طاقة لنا به ، وهذا القول ينم على الكسل العقلي أو على قلة الثقة بالنفس ، وذلك لأن الإنسان يمكنه أن

(١) لارموند باركر - من مجلة السيكلوجي

يصل الى أكثر من قدرته ، اذا وجدت الرغبة ، ووجدت الثقة ، فالذي لا يمكنه السباحة إلاّ مسافة قصيرة ، قد يستطيع أن يسبح مسافة أطول ، في حالة الضرورة كمنجاة حياته أو نجاة حياة الآخرين من الفرق .

وقد يتساءل بعضهم ؟ لماذا ينجح بعض الناس دائماً . ويصدم آخرون بالخيبة ، والجواب على ذلك ، أن الأولين ، عرفوا مبدأ النجاح ، فاهو هذا المبدأ ؟ وأننى يكون ؟ والمبدأ قارئ في النفس ، ويمكن إبرازه بالقراءة ، ودرس الكتب النافعة دراسة صحيحة ، ومن وحي هذه القراءة ، يفتح الذهن ، وينبثق فيه النور .

ولا يجوز القناعة بالقراءة ، بل لا مفر من تأمل كل ما تقع عليه العين ، في تدقيق ، وتعمق ، ولا بد من توسيع أفق الرؤية ، وذلك لأن الرواد الذين قادوا البشرية في طريق التقدم ، كانوا من ذوي الآفاق الواسعة .

فينبغي أن تنظر خارج نطاق نفسك ، وأن تواجه الحياة ، مواجهة واقعية ، وأن تقبس مما ترى ، وسيلة لتحقيق هدفك ، ثم سائل نفسك عن الوسائل الجدية النافعة ، لعملك ، وبيتك ، ومجتمعك ، وما يمكنك القيام به في الحال .

\*\*\*

ومن الخطأ ، أن توزّع نفسك بين عمليتين أو أكثر ، بل اجتهد دائماً ، أن تقوم بأداء عمل واحد مهم ، وإذا كان لا مناص من أداء جملة أعمال ، فن الخير ، أن تخصص ، وقتاً لكل عمل على أن تركز ذهنك ، وكل انتباهك للعمل الأول ، ثم تتجه إلى الثاني على مقتضى الأهمية . وفي الحياة ، نطالعك أسماء لامعة تُمَدُّ حجة في النواحي الصناعية أو المالية ، أو الفنية أو التجارية ، وهنا يجمل بك أن تقف برهة محدثاً نفسك ، لم لا أكون واحداً بين هذه الأسماء ؟ وأنه ليتمكنك أن تكون خبيراً في عملك ، خطيراً كان أو تافهاً .

وسبيل ذلك ، هو أن تغفغ بالعمل الذي تقوم به ، وأن تحصل على المعارف والمراجع من كل ناحية ، وأن تجعله هويتك في جدك ولهوك ، وأن تتناول في دقة وحصافة وذكاء . ودع الناس بعد ذلك يقولون ، إنك صرت حجة ، في عملك ، لا بالوضحة تنيرها ، ولكن بالكلمة المائدة النامّة عن مدى عرفانك ، ولا ريب أن العمل المتقن ينم على صاحبه ويكشف عن ألمعيته .



وفضلاً عما تقدم ، عليك أن تقابل مخاوفك بعقيدة الاختيار ، وقوامها ، أنك صيد حظك وأن مشكلاتك لن تقف حائلاً دون أهدافك ، وعليك أن تتجاهل مخاوف الغد ، حتى يأتي الغد وهذه المخاوف سوف تنقشع اذا لافتمها بعزيمة وشجاعة ، وبسمة متفائلة . واذكر أن اليوم هو الغد الذي كنت تخشاه بالأمس ، فلا تبال الغد ، وأضئ في الحاضر الذي تعيش فيه .

واعلم أن هذا وقت العمل ، وكل محاولة حاضرة لا تسعد متأخرة ، مهما كان همرك ، ففي من العشرين تكون متمتعاً بقوة الشباب ، ولكن التجربة تعوزك ، وفي من الستين أو السبعين تصيب كثيراً من المعارف والتجارب ، وبها من عون عظيم ، ويمكنك أن تبدأ العمل في مثل هذه السن اذا طودت روح الشباب في من العشرين . والوسيلة الناجعة الوحيدة هي أن تبدأ ، وتدبر ، ثم تعمل .

والوقت الراهن أنسب الأوقات للعمل ، فدع التأجيل جانباً ، ولا تذكر الفرص التي ضاعت ، والعمر الذي مضى ، وواجه سوء الحظ بقوة الاحتمال ، وهو دواء ناجع يزيل الحظ السيئ .

ويحسن بك أن تتعرف حياة طائفة من الرجال والنساء الناجحين في الحياة ، وأن تحلل أدوار حياتهم ، وسوف تتيقن من شيء واحد ، هو أنهم بدأوا بالقيام بعمل من الأعمال ، قد يكون كتاباً جديداً ، وقد تكون صورة فنية ، وقد يكون محلاً متواضعاً ، وقد تكون طريقة في الاختزال الجديدة ، أو طرازاً للنياب طريف ، أو ما الى هذه الشؤون .

وأيضاً كان العمل الذي قاموا به ، فانهم فكروا ، ودبروا ، وتفقدوا . فنهري فوردا ، مارشيراً بسيارته ، ولورد بيثربروك بصحفه ، وجورج بلاك ، باخراجه المسرحي .

وكان يمكن لهؤلاء أن ينجحوا في فروع من العمل أخرى ، لانهم دانوا بمبدأ « البدء والتدبير والعمل » فاذا اتويت القيام بعمل ، فلا تعتمد على أحد ، ولا تتابع طريقته ، ولكن تعلم ، وانفض وابدأ ، واجعل الآخرين ، يعتمدون عليك ، واذكر أن العمل هو الصلاة الوحيدة التي تؤدي الى الهدف ، وتثمر الجزاء .

مصطفى عبد اللطيف العمري

## مؤسستان ثقافيتان

الفكر في لبنان

لا أكون مجاملاً أو متجنباً على الحقيقة إذا قلتُ إن النهضة الثقافية تجدد في لبنان القوة والنشاط كما يجدّها العليل حين يصطاف في ربوعه ، فيعود أوفر ما يكون نشاطاً وقوة ، وأظهر ما يكون شباباً وفتوة .

فلقد كان لبنان - ولا يزال - موضع ازدهار الثقافة . وإنه لتقوم الآن في ظلاله حركة مباركة بعيدة عن زُلفى الجماهير واقتناص الظروف . تنهض هذه الحركة في سكون ، وتعمل في هدوء المتدين وإيمانه دون جلبة أو ضوضاء . لا تفرّق في عملها بين أثر وأثر ، ولا تنظر الى هذه الآثار من خلال أسماء أصحابها ، ولذلك كان لزاماً عليّ أن أهير هنا الى هذه الحركة المباركة ، وأن أسجل لها فضلها ، وأن أهير - بصفة خاصة الى الظاهرة الطيبة التي تلازم هذه الحركة ، وليس لها مع الأسف وجود لدينا - وهي الروح التعاونية بين رجال الآداب والفكر هناك ، فهم يكوّنون جماعات تختلف أسماءها ولكنها في الحقيقة موحّدة الغاية تكاد تكون موحّدة الشخصيات ، تنظر الى قيم الأهلّاء لا إلى أسماء واضعبيها والرغبة في استغلال هذه الأسماء .

وقد ظهرت بهذه الروح التعاونية الطيبة صحفٌ ، في مقدّمها مجلة ( الأديب ) تعمل مضحية في سبيل هدفها بكل ما أوتيت من قوّة لتؤدّي رسالتها . ولعلّ التشجيع الذي لقيته والشعور الذي بدا نحوها منذ أشهر قلائل يعدّ خير تقدير لتضحياتها .

\*\*\*

وآخر ما ظهر لهذه الحركة - وهو ما أردنا الإشارة إليه - هاتان المؤسستان الفكريتان القائمتان على دعام قويّة من عقول مفكّرة وأذهان واعية وأبصار متفتّحة وقلوب نابضة بالحياة عامرة بالإيمان في مستقبل الثقافة العربية .

الاولى (دار العلم للملايين) يرأسها الاستاذ منير البعلبكي ويديرها الاستاذ بهيج عثمان ونشر عليها لجنة من الجامعيين وقد اجتمع لها رصيده وافر من قادة الفكر هناك أمثال الاساتذة رثيف خوري، وعمر فرسخ، ومارون عبود، وسهيل إدريس، ونقولا فياض، وغيرهم وكل منهم غني عن التعريف. وقد استطاعت هذه الدار الفتية خلال فترة قصيرة من الزمن أن تثبت وجودها وحيويتها وتستأثر باعجاب المقدّرين لجهودها، وأن تخرج لقرائها في العالم العربي ألواناً متعددة من الثقافة في النواحي السيكولوجية والجنسية والسياسية والأدبية، وأن تضع رسائل قيمة عن أعلام الحرية لتكون دروساً لأبناء الشرق في الوقت الذي تنفتح فيه الأبصار لنور الحرية وترهف الأسماع لندائها في كل مكان.

وتسعى هذه المؤسسة بما تقدّمه من ألوان الثقافات بحيث تزود القارئ العربي بالملم البسيط شاملة على إنشاء شخصيته إنشاءً جديداً يقوم على المعرفة والخير والوعي القومي. ولم يقف جهودها عند إبراز مؤلفات أو ترجمات أبناء القطر الشقيق بل تعداه الى غيره من الأفطار العربية، وكان لمصر نصيب من هذه الرعاية.

\*\*\*

أما المؤسسة الثانية فهي ذلك المشروع الذي دعا إليه الاديب المفكر اللبناني الاستاذ ميشال أمير قلتي من التشجيع ما حمله على مواصلة السعي في سبيل تحقيق الفكرة التي تقوم عليها هذه المؤسسة (الندوة اللبنانية) التي تساعد الراغبين في مواصلة ثقافتهم العامة في جو من العلم الصحيح وإخراجهم من الجمود العقلي على أيدي أصحاب الاختصاص وقادة الرأي في لبنان، فإنّ هناك لكل راغب متعة ما يربّي له الحصول على بغيته من أندية رياضية ودور ترفيه إلاّ الندوة التي تنقّص العقل تثقيفاً صحيحاً فقد حرم الراغبون فيها من وجودها حتى استطاع الاستاذ ميشال أمير تأسيسها، واجتمع له فيها من خيرة رجال الفكر والادب والفنّ ما تفخر بهم العروبة جمعاء قبل أن يفخر بهم لبنان. ثم أخرج لهذه الندوة نشرات تضمّ كل منها بعض ما أتي في الندوة من محاضرات. وقد ضمت النشرة الاولى ثلاثاً من أنفس المحاضرات لثلاثة من ألمع المفكرين: الاول الاستاذ كمال جنبلاط وزير الاقتصاد الوطني والزراعة والشؤون الاجتماعية عن رسالته كُنائب. والثاني الاستاذ البعانة الكبير

فؤاد إفرام البستاني عن لبنان في ما قبل التاريخ . والثالث الشاعر الكبير الأستاذ أمين نخلة عن الحركة اللغوية في لبنان في الصدر الأول من القرن العشرين .  
ومتتابع الندوة نشر محاضراتها التي أعدت لها من رجال الفكر ما يضمن تحقيق الغاية الكريمة التي أسست من أجلها .

\*\*\*

ومادمت بصدد تسجيل هذه الحركات الثقافية ، وما دام قد ذكر اسم الأستاذ فؤاد إفرام البستاني ، وفضله على الأدب العربي - قديمه وحديثه - غير منكور ، فانه لجدير هنا أن أسجل شيئاً أمني لا استطيع كتابته وتقرير الحق فيه لأن الحق فوق كل اعتبار .  
فلقد وقع لي أخيراً أن اطلعت على جزء من سلسلة « الروائع » التي أخرجها الأستاذ فؤاد البستاني . وهذا الجزء خاص بالكلام على ابن بطوطة ورحلته . وقرأت المقدمة النفيسة التي كتبها عن هذا الرحالة وعن قيمة رحلته وعناية المستشرقين بها ، وذلك التبسيط والتلخيص الوافي الذي قام به الأستاذ البستاني لهذه الرحلة ، فعميت أن أجد شيئاً يعدم شعوري ، ذلك أن اثنين من كبار رجال وزارة المعارف في مصر - وقد انتقل أحدهما إلى جوار ربه - قد وجدا من مقدمة البستاني عوناً لها عند ما كلفا تهذيب هذه الرحلة فنقلها بشيء من التحوير قليل في بعض الالفاظ ، على أنهما لم يستطيعا أن يسيرا في طريق خاصة فسايرا البستاني في طريقة العرض مما يدل على أنهما قد أخذتا عنه دون أن يشيرا إلى هذا الرجل بكلمة أو يشيرا إلى الطريقة التي اتبعها في تبسيطه لهذه الرحلة على أقل تقدير ليكون إنصافاً لهذا الرجل على عمله وهو عمل ليس بالهين . فأردت أن اتخذ من هذه المناسبة وسيلة لتقرير حق لا يقرُّنا في المكوث عليه ضمير حي ، ولا يمنعنا من إثباته وإذاعته موت أحدهما رحمه الله وأمد في أجل زميله فلنذكر منهما فضله ، لعل وزارة المعارف ترى الإشارة إلى عمل البستاني وفضله عند إعادة طبع تهذيب رحلة ابن بطوطة فيؤدي للحقيقة والتاريخ واجبهما وهو واجب جدير بالرباطة .

مسى كامل الصبر في

اللَّهُ

## وفلسفة الوجود

منذ مدة غير بعيدة كتب الأستاذ العقاد مقالاً في مجلة الرسالة بعنوان « عندنا فلسفة » (أوما هو بهذا المعنى) ثم أصدر كتابه عن الله . وفيه بحث مستفيض عن الوجود منذ شرع الانسان قديماً يفكر في سر الوجود الى يومنا هذا . فقد استعرض فيه أقوال السحرة والكهنة والحكماء والفلاسفة والفقهاء واللاهوتيين والعلماء المتقدمين والمتأخرين . فما أغفل نظرة لناظر في أصل الوجود ، وخالق الوجود ومدير الوجود ، ولا أهمل عقيدة لمعتقد أو حكيم أو كاهن أو فكرة لفكّير أو فلسفة لفيلسوف أو رأياً لعالم . سرد جميع نظريات البشر في موضوع الله والوجود ومحصها . وما أكثرها نظريات وما أعقدها ترادفاً وما أهدها تضارباً ، وما أهقها تحليلاً وتصريفاً ، وأصعبها تعبيراً

الوجود وسبب الوجود كانا ولا يزالان حيرة هذا الانسان منذ تفتحت بصيرته وبدأ عقله يتعقل وذنه يستنير بنور الهدى ، ووجدانه يتعجب بعجائب هذا الكون ومدير حر كته عجائب حركات هذا الكون طرقت باب كل عقل ، وحاوالت بعض العقول تفسيرها بكل ما أوتيت من علم سابق وقوة تفكير حاضر . ولكن كل ذي فكر رأي فيها خاص به . فتعددت الأفكار والنظريات في هذا الموضوع بتعدد المفكرين . فلا ترى فكريين أو نظريتين أو عقيدتين متوافقتين .

لا نستطيع أن نستخرج من توالي المباحث في أصل الوجود ، وتعاقب العقائد في حقيقة الله تعريفاً لله ومعرفة نسبة الوجود إليه .  
ما هو الله ؟

لكل قبيل من الناس الالهة ، ولكل قوم في كل عصر الالهة . الله المصريين الفرعونيين شيء ، والله البابليين شيء . والله الامراتيين شي . حتى الله الامراتيين لعمري . موسى هو غير الله اليوم .

كان الله الامراتيين انساناً عظيماً يكلم موسى على جبل الطور . ويذكر أن يذكرك

هذا القول بأن هذا التكليم مجازي . فـا هو إلا " إيهاء . ولكن ما قولك بأن الله كتب بأصبعه وصاياه على اللوحين الحجرين مرتين . وكان في جبال نـبو جنوبي القدس بعثة أمير كـبة يهودية تبحث عن تابوت العهد الذي يتضمن هذين اللوحين في إحدى المغاور حيث خبأ أرميا ذلك التابوت من وجه نبوخذ ناصر الذي فتح القدس وساق اليهود مسبيين الى بابل .

كانت هذه البعثة بعد الحرب الكبرى السابقة تبحث عن هذا التابوت لأنهم يقولون إن الله لا يسمح بعودة اليهود الى فلسطين ما لم يجدوا تابوت العهد هذا . والى اليوم لم يجدوه .

هذا هو الله الاسرائيليين . وكان اللههم قائد جيش الاسرائيليين الأعلى ( جنراليسـمو ) وقد لقبوه بـيـسـهـوه رب الجنود . وكان يقودهم في الحرب لتقاء الأمم المجاورة لهم .

والله عند الكتابيين الآن يختلف باختلاف عقائدهم الدينية . فهو عند اليهود الآن أرقى قليلاً مما كان ، ولعله أصبح أقرب الى الروح منه الى المادة . وعند المسيحيين في وحدانيته التثليث . وعند المسلمين هو الله الواحد الأحد الذي لا شريك له .

وقدرة الله و ارادته في الأديان الثلاثة تختلفان بعض الاختلاف من حيث شأنها في الحرية والاختيار والمعجزات والقضاء والقدر الخ .

وفي كثير من العقائد ترى الله عقلاً أو ذاتاً عقلية . والراجح أنه صائر في المستقبل الى انه فكرة سامية في عقول الانام .

ولا أدل على جهل الورى حقيقة الله وصفاته من اختلافهم فيها واحتدام نقاشهم بشأنها حتى اختلفوا في الحروب بسببها .

اثبات وجود الله

كم حاول اللاهوتيون والفلاسفة ان يثبتوا وجود الله بالبراهين العلمية والمنطقية فكانت براهينهم تترنح تحت وطأة النقد .

لا يثبت وجود الله ولا تظهر حقيقته بالبراهين العلمية ولا بالفلسفة والمنطق . ولا تنحصر معرفته بالفلاسفة والحكماء . وإنما يثبت وجود الله بالهدى والايمان لاي إنسان، طالما كان أو صادقاً ، وقد قالها القرآن الشريف بصراحة ووضوح : —

« من يهدي الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرعداً » . « إنك لا تهدي من أحببت . ولكن الله يهدي من يشاء »

« قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء »

« ما كان لنفس ان تؤمن إلا باذن الله »

« قل ان الهدى هدى الله »

وكثير من أمثال هذه الآيات التي تدل على أن الله لا يعرف بالفلسفة والعلم . وإنما يهتدى إليه بأذنه تعالى ومشيئته فقط . لا يثبت بالوحي والوجدان .

وفي رسالة بولس الرسول لأهل رومية الاصحاح الثامن والعدد ٢٩ — ٣٠ ما يؤكد لك أن الله منذ الأزل عيّن المؤمنين وعين الجاهدين : — « الذين سبق فعرفهم سبق فعيّنتهم .... والذين سبق فعّينهم فهوّلاء دعاهم أيضاً . والذين دعاهم فهوّلاء برّهم أيضاً . والذين برّهم فهوّلاء مجدّهم أيضاً » .

إذاً فما فائدة اجتهاد العلماء والفلاسفة واللاهوتيين في اثبات وجود الله لأناس لم يأذن الله لهم بالإيمان ولم يهدم الله ، ولم يسبق الله أن عيّنهم للإيمان وبرّهم منذ الأزل تقرأ في سياق مباحث الأستاذ عن محاولة أولئك الفلاسفة تعريفاً لله واثباتاً لوجوده فخرى فيها من السخافات ما لا يقوم على منطق سليم ولا يصدر من ذهن صاف وعقل مستقيم وإذا كان في رأي بعض الفقهاء أنه « لا يعرف الله غير الله ، فكيف يستطيع الفلاسفة أن يعرفوا ويعرّفوا ما يستحيل أن يقع في دائرة حكمتهم وفاسفتهم . ولماذا اعتنت الفكر في هذا الاجتهاد ؟ .

الله هداية لا فلسفة .

### الوعي الكوني

أستاذنا الأستاذ في أن اهتمك معه في البحث عن بعض المواضيع لعل في هذا الاهتراك حافواً لفريق من القراء الى البحث والتفكير في موضوع جدّ خفي .

ملاحظة طفيفة — الوعي كلمة طرأت حديثاً على اللغة العربية في مباحث الفلسفة العقلية أو علم العقل . وهي تقابل في نظر علماء هذا المعركة Consciousness الانكليزية . ولكن الكلمة العربية في عرف علماء العقل القدماء لهذا المعنى هي « الوجدان » ومنها « أن تدرك أنك تدرك واليك . وجود » . « والوعي » في معجمات اللغة مصدر الفعل « وعى » بمعنى احتوى . فإذا كان المجموع اللغوي يقرره لذلك المعنى فلا بأس بها . وإنما يريد اصطلاحاً مقررأ يجري عليه جميع العلماء والكتاب

يريد الأستاذ أن يقول إن ادراك الانسان لوجود ادراك وجداني — ادراك « بالوعي الباطني » كالغريزة والسابقة . أي أن هذا الادراك من طبيعة الخلق البشري . والأستاذ لا يسلم بتعريف الشيء الموجود بأنه « الشيء الذي ندركه بالحواس أو بالعقل أو بالبصيرة » لأن هذا التعريف يعلق في نظر الأستاذ وجود الشيء على مدركه . ويرفضه لئلا يصبح الشيء غير موجود اذا كان المدرك غير موجود

وفي رأيه أن الموجود يعرف بأنه « غير المعلوم »

اني لأجل الأستاذ الكبير عن الافتناع بهذا المنطق الكلامي

أي معنى تفيد عبارة « غير المعلوم » زيادة على « الموجود » . أليست عبارة « غير المعلوم » مرادفة لكلمة « الموجود » لا مفسرة لها ؟ بل أليست كلمة « موجود » أوضح من عبارة « غير المعلوم » ؟ أنعرف الشيء بما هو أخفض منه ؟ وماذا نستفيد من القول « أن ما ليس بمعلوم فهو لا محالة موجود » ؟ أما هو تحصيل أقل من الحاصل ؟ وهل المعلوم وجود ؟ وما لا وجود له كيف تعرف به وكيف تجعله أداة تعريف ؟

ثم يستعمل الأستاذ في مثل هذا المنطق الى أن يقول : « من الواجب أن نعلم بقيام موجودات لا تحيط بها الحواس والعقول يعني موجودات مجهولة ، لأن انكارها جهل لا يقوم على دليل . ولأن وجودها يمكن وليس بالمستحيل ، بل هو أزم من الممكن (كذا) على التحقيق »

بأنه ما هي هذه الموجودات المجهولة التي يشير اليها الأستاذ ؟ والتي يمكن وجودها ولا يستحيل ؟ فإن كان يعرف موجوداً مجهولاً غيره . فليس هذا بمجهول لأنه يوجد شخص يعرفه وهو الأستاذ . فليعرفنا الأستاذ به وليقل لنا ما هو ؟ وإن كان حسناً أو عقلاً يدلنا عليه فما هو بمجهول أيضاً .

هل للمجهول تعريف ؟ هو كالمعلوم الذي استخدمه آتقاً لاثبات الموجود . فله إذن أن يقول : إن المجهول هو غير المعلوم . فإذا يفيدنا هذا القول عن المجهول ؟ أم انه يفرض فرضاً موجودات لا دليل حسي ولا عقلي عليها ، وينهاك عن أن تنكرها لثلاً تكون جاهلاً ويحيي ؟ أنكر ماذا ؟ أنكر وجود المجهول ؟ أي مجهول هذا ؟ وهل للمجهول وجود ؟ أعني المجهول المطلق الذي يجهله كل عقل .

هذا هو منطق الذين يتطوحن في الفروض الى ما وراء الطبيعة .

مثال ذلك بقولون : لا نستطيع أن تنكر وجود الكهرباء أو المغنطيسية إذا كنت تجهل ماهيتها . أجل ليس ضرورياً أن أعلم ماهيتها لكي أعترف بوجودها . يكفي أن أعرف مفاعيلها الدالة عليها لكي أقر بوجودها . كذلك « الحياة » لا أعرف سرها ولاكني لا أستطيع أن أنكر وجودها لأنني أرى مفاعيلها من ولادة ونمو وتوليد وموت . ولأنني أشعر وأعرف أنني انا حي .

وقد تقول لي : يجب أن نعلم بوجود مالم آخر وراء هذه العوالم التي نشعر بوجودها بواسطة حواسنا وعقولنا وأدوات رصدنا . ولا نستطيع أن ننكر ذلك العالم المفروض وإن كنا لا نشعر بشيء من أعراضه ولا نحس بوجوده بمشاعرنا وأدوات رصدنا .



وأنا أسألك بدوري . ما هو هذا العالم الذي تفرضه ؟ ان كان من طبيعة عوالمنا هذه  
نفراسه كخواص عوالمنا هذه من حركة واشتماع الخ . وإذن فلا بد أن نحس به بواسطة  
حواسنا وراسدنا مهما توارى وبعد . وإذن أيضاً فلا بد أن يكون من جملة عوالمنا فهو  
موجود بوجودها . وإن كان بعيداً من عوالمنا بحيث لا تصل إليه مشاعرنا وأدوات  
رصدنا ، فكيف عرفته أنت ؟ وإن كنت تفرضه فرضاً قياصاً على العالم الموجود فأنا أظن  
أنكره الى أن تأتيني بدليل محسوس على وجوده . وإلا في امكاني أن أفرض ألف فرض  
ولا دليل حسي عليها وأقول لك لانتطيع أن ننكر وجودها

وإن قلت أن مالك المفروض يختلف عن عوالمنا التي نحس بوجودها - يختلف بخواصه عنها كل  
الاختلاف فلا تقع خواصه تحت حواسنا ، ومع ذلك توجب علينا أن نعترف بوجوده .  
فأسألك هل تستطيع أن تصف هذا العالم المجهول ولو بصفة واحدة مدركة حساً وعقلاً ؟  
طبعاً لا نستطيع أن تصف المجهول وإنما أنت تفرضه فرضاً

إذن فلك أن تفرض ما تفاء من فروض مجهولة غير محسوسة وغير معقولة وأن توجب  
علي أن أسلم بوجودها وتحظر علي أنكارها . ولكن بكل أسف أقول ليس لك هذا السلطان  
أن تفرض وتحتم بالتسليم .

وقد تأتيني بمنزل لفرض لا دليل عليه والعلماء فرضوه وبسلمون بوجوده وهو الاثير .  
فهو فرض غير أكيد الوجود . نعم انه فرض لا دليل ايجابي عليه . ولكنه يفسر كثيراً  
من ظاهرات الطبيعة . وكثير منها لا يفسر إلا بفرضه كالأماج الكهرطيسية التي تقتضي  
وجود شيء متموج هو الاثير المفروض ، ولكن لا دليل على وجوده إلا هذا الدليل  
السلي . ومع ذلك ينكر بعض العلماء وجوده . وبعضهم يقولون لا غنى عنه وإن كنا لا نجد  
دليلاً حسيّاً عليه . وما فرضناه إلا لكي نفسر به الظاهرات الطبيعية . فهو كالكيمياء التي  
تضاف الى جانبي معادلة جبرية لكي يسهل حل القضية الرياضية بها . فالكيمياء تسهل الحل  
ثم تخرج من المعادلة كما دخلت من غير أن تفسدها . أو هو كالوسيط الكيمائي الذي  
يستخدم للحل والتحويل والتركيب ثم يخرج كما دخل ، كالماض الكبير يتك الذي يستخدم في  
استخراج الاثير الكيمائي من الكحل ( السيرنو ) . ثم يخرج كما دخل

هكذا الاثير الكوني يدخل في تفسير الظاهرات الطبيعية ثم يخرج منصوراً . وعلى  
الرغم من فائدته العظيمة هذه في التفسير والتعليل ينكر العلماء وجوده لأنهم لم يستطيعوا  
اثباته عملياً أو معادياً بالبرهان الحامي . فاذا كان هذا هو شأن الاثير الكوني الذي هو  
بركة ونعمة للعلوم الطبيعية وقد أنكروا وجوده ، فما نواك بالمجهول الذي لا دليل على

وجوده لا حسي ولا عقلي ولا بواسطة كالوصيط الكمي في الجبر والوصيط الكميائي في الكيمياء ؟

أوليس غريباً أن يقول الأستاذ لنا « إن أنكار الموجودات التي لا تحيط بها الحواس ولا العقول جهل لا يقوم عليه دليل » بالله ما معنى هذا القول : ليس في الدنيا شيء يثبت نفسه بنفسه ( Self Evidence ) مثل الجهل . ثم كيف نعرف بوجوده إذا لم نحط به حواسنا وعقولنا ؟

كيف نطلب يا أستاذ من المنكر بيته . وفي الفقه العالمي « البيته على المدعي . وما على المنكر إلا اليمين — أو الايمان » .

### نمر إلى الوعي المولوي

غرض الأستاذ أن يقول لنا إن هناك موجودات نعرفها بالفطرة أو بالفراسة أو بالبديهة وما إلى ذلك ، فلا ضرورة للحس والعقل لادراكها .

كذلك يستنكر الأستاذ أن نعرف الموجود « بالشيء الذي ندركه بالحس أو بالعقل أو بالبصيرة » . ويريد أن يجعل الوجدان الكوني أو « الوعي الكوني » وحياً أو على الأقل صفة طبيعية في الانسان . يعني أن معرفة الوجود خلقة فينا أو بديهة في الانسان . لأنه ما دام الوجود غير معدوم فهو موجود . ولأن الأستاذ يخشى أنه إذا كان كائن لا يحس ولا يعقل وليس بذي بصيرة ينتهي الموجود من الوجود بتناً متى كان لا يحس بوجوده .

طبعاً إذا لم يكن تمت عاقل يحس ويعقل ويستنتج فلن يكون الوجود موجوداً . يكفي أن يكون الأستاذ وحده، وإن أمكن أن أكون أنا أيضاً معه — موجودين بحسنا وعقلنا لكي يعتبر الوجود موجوداً . وإلا فلا وجود ولا موجود ما دام لا حساس يحس ولا عقل يتعقل ويستنتج دليلاً على وجود الموجود . والأستاذ يريد أن يثبت الوعي الكوني من غير حس وتعقل لكي يقول إن الله موجود بالبديهة أي الوعي الكوني .

الحق انه لا غنى عن حواسنا وعقولنا وتعقلنا لادراك الموجودات كل ما في أذهاننا من أفكار وآصورات وذكريات دخل الى عقولنا عن طريق مشاعرنا. ولولا مشاعرنا لما كنا نفهم ونفهم وتعقل، ولكننا والحمد لسواء ، ولا فرق إلا في الحركة والحياة

### مفقولاتنا من الخارج

إن قوانا العقلية ظهرت فينا من مناعلة الظواهر الطبيعية الخارجية لخلبات جهازنا العصبي ولا سيما الدماغى ، فسمينا هذه المفاعلات مدركات محسومة Percepts ثم حدث

تفاعلات بين هذه المدركات الاحساسية في خلايا دماغنا فسميناها مدركات ظنية أو تصورات Concepts كالتمثيل والتذكر، الخ، ثم حدثت تفاعلات بين هذه بعضها مع بعض فكانت تفاعلات واستنتاجات وتعمليات فسميناها مدركات عقلية. كل هذه نشأت على التوالي من دخول المدركات الحسية الى الدماغ عن طريق الجهاز العصبي الذي هو آلة الانصار والسمع واللمس الخ فالمثل وتفاعلاته المتنوعة مدينة بنشوتها ونموها وعما لها من أفضال على الجسم لهذا الجهاز العصبي وطواعيته للانعقاد بأموال الظاهرات الطبيعية - الاموال الكهرطيسية. لا فكرة ولا صورة ولا خيال يصدر ابتداءً من داخل الدماغ. لا يصدر بالالهام ولا بالفطرة ولا بالبديهة بل من تلك التفاعلات الحسية. والوعي الكوني ان كان موجوداً فما هو من عمل العقل الداخلي وإنما هو من فعل خارجية الحواس التي تتلقط من العالم الخارجي مدركاته الحسية، وتسديه المراكز الدماغية، وهذه تتصرف به بحسب قوانينها التطورية، وهذه تصدر الوعي، أو بالأحرى، الوجدان، الكوني. إذاً فلا يستغني الوجدان عن الحس، ثم التمثل. كما أن هذين لا يستغنيان عن الجهاز العصبي والمراكز الدماغية. وهذا الجهاز هو الباب الشرعي لدخول العالم الخارجي الى طائنا العقلي. فلا «وعي كوني» يصدر من داخلنا بمنزلة الالهام أو البديهة.

لا تظن أنني بهذا القول أنكر الفطرة والغريزة والسجية والبديهة الى غير هذه التي تترأى لنا إنها من مواليد طائنا الداخلي. بل بالعكس أو كد أن هذه السجيات نشأت مع الزمان من طوارىء العالم الخارجي على الجهاز العصبي والدماغ المتوالي بلا انقطاع منذ ملايين السنين حتى صارت سجيات أو غرائز، فصارت تجاوب على الفور الطارىء الخارجي الاصيل الذي أنفأها. فالطفل يمتص حلبة ثدي أمه حالما تحبس شفته به، لأنه منذ قديم الأزل كان ثدي الأم يطرأ على شفتي الطفل، وعلى تمادي التطور مع الدهور تمررت عضلات شفتي الطفل على التحرك بمقتضى هذا الإحساس بالثدي والعمل بمقتضى الامتناس. فصارت عضلات الطفل لا وظيفة لها الا الامتناس. فلما أحست بالثدي اغتفلت وظيفتها. هذه هي الغريزة. وتسميتها غريزة أو فطرة وما إليهما إنما هو من هذا القبيل. وفي كل حال وكل حين هي استجابة الاحساس بالعوامل الخارجية.

فاذا كان ثم وعي كوني فلا غنى له عن الحس العصبي والتمثل. وإذن فالشيء الموجود من غير بد هو «ما ندرکه بالحس والعقل والبصيرة» وتفسيرنا الذي هو محض تمثيل وتفكير واستنتاج، يرتكز على مدركاتنا الحسية. وهي المواد التي يصطنع منها التفلسف مصنوماته - التمثل والتخيل والاستدلال الخ. فاذا زعت المدركات الحسية من

التفلسف تقوض صرح العقل والتعقل وانهارت الفلسفة . وصيأتي تفسير التلبيث Telepathy أي توارد الأفكار الذي نطق أنه وعي داخلي غني عن الإحساس الخارجي

### ما هو العقل

ولكي يثبت الأستاذ أن في المدركات ما لا يأتي إلى دار العقل في الخارج أو عن طريق الحواس بل هو ضرب من الإلهام أو خاصة من خصائص « الوعي الكوني » بحث أبحاثاً مستفيضة فيما يمتد المملكات النفسانية وأهمها الشعور على البعد Telepathy والتنويم المغنطيسي وقراءة الأفكار واستطلاع الماضي والمستقبل وتحضير الأرواح والكشف عن عالم الغيب ، أي رؤية الأشياء غير المنظورة بقوة البصيرة العقلية بتأثير الأشعة المغنطيسية . وانما أراد أن يتوصل بهذا البحث إلى أن في العقل البشري هاتفاً داخلياً يهتف بوجود الله وهذا البحث اقتضاه أن يحول جولة تفتيش في دور الفلسفة ويطوف على الفلاسفة ينتقي من فلسفاتهم أسناداً لهذه القضية

فأرجو من الأستاذ أن يسمح لي أن أقول إن هذا الهاتف الداخلي لا يأتي من داخل الإنسان ابتداءً بل يأتي من الله نفسه . هو هدى بإذن الله كما نص عليه القرآن الشريف . ولهذا لا يهتف في كل إنسان بل في من اختارهم الله كما قال بولس الرسول . ذلك لأن جميع هذه المملكات النفسانية التي بحث فيها ، هاترات محض عقلية ، إنها هي ثمرات المدركات الحسية . لا مناص لهذا الهاتف من الاعتماد على الإحساس عن طريق الجهاز العصبي ، وأحياناً بواسطة التشعيع الكهرطيسي كما هو الحال في الراديو الدماغ . فهو هاتف من الخارج لا من الداخل ، ولا غنى فيه عن وساطة المادة وحركاتها . فهو بدل أن يُعْبَر إلى الخلايا الدماغية عن طريق الأعصاب يعبر أحياناً إليها رأساً عن طريق الخلايا الصنوبرية التي هي المنطقة الوسطى من الدماغ ، كما علل الفلاسفة الذين أخذ الأستاذ عنهم .

### نور في العقل والمادة

يقول الأستاذ نقلاً عن « منيل » الذي كان يعتقد بوجود العقل المجرد ( يعني المجرد من الحواس ) : « إن الجسم الصنوبري هو الجهاز الموصل بين الروح والجسد ، أو هو موضع التلاقي بين حركة الفكر وحركة الأعضاء أو الأعصاب » .

وهنا طرق الأستاذ موضوعاً من أخطر الموضوعات في الفلسفة العقلية . ولكنه لم يحل فيه بل لمسه لمساً ومضى عنه . وهو اتصال الفكر ( العقل ) بمادة الدماغ : كيف يتصل العقل وهو غير مادي بتاتاً بخلايا الدماغ وهي مادية : — هذا الموضوع حير علماء

العقل والفلاسفة من قديم الزمان الى اليوم . ومعظمهم لا كلهم ، خبطوا فيه خبط عشواء .  
وأكثرهم خبطاً الفيلسوف ديكرت .

كيف تؤثر رؤية الوحش الضاري في العقل فتثير فيه الخوف ( وهو Mental ) والتفكير السريع في كيفية الخلاص ؟ وكيف يؤثر الإحساس بالمنظر الجميل أو الغناء المطرب في النفس ( العقل ) وينير فيها عاطفة السرور ؟ كيف تؤثر ثورة الغضب في النفس متى تمتع الانسان كلاماً جارحاً . ثم بالعكس كيف يؤثر العقل على الجسد فيحملة على الحرب من الوحش الضاري أو السعي الى مغنم أو القصد الى ملذذة جسمانية أو التمتع بشهوة جسدية ، وكيف يجعل العقل الوجه أن يحمر خجلاً إذا كان الانسان قد أتى أمراً مخجلاً .

يقول الفيلسوف إن الشعور الحسي والعقل المتصرف بهذا الشعور بالتقيا في الجسم الضوئوري القائم في وسط الدماغ . وهناك يتبادلان التفاعلية والمفعولية ، وأيهما يتفعلان ويؤثر كل منهما على الآخر .

حسن . كيف يحدث هذا التفاعل بينهما وأحدهما مادي والآخر عقلي غير مادي ؟ كيف يؤثر العقل في المادة وهذه به ؟

نحن نعلم ان المادة لا تتحرك إلا إذا حركها محرك . ولا نعرف محركاً للدادة إلا المحرك المادي ، والمحرك المادي فقط ، حتى الأمواج الكهربائية التي هي ألطف الحركات هي حركات مادية .

العقل عالم قائم بذاته اذا حسبناه ذاتاً Entity لا مادة فيه البتة . والدماغ عالم مادي يحث مستقل بطبيعته عن العقل . الطبيعتان مختلفتان كل الاختلاف . فكيف يتصلان ويؤثر كل منهما في الآخر ؟ هنا موضع الحيرة .

اما خبطة ديكرت فعشواء حقاً . يقول ديكرت ما غفواه : حقاً ان الله خلق العقل والجسد من طبيعتين مختلفتين . ولكنه جعل وظيفتهما متماثلتين متوافقتين أي ان العقل مثلاً يخاف والجسد يهرب في وقت واحد . والعقل يغضب والجسد يضرب في وقت واحد ، كأنهما على ميعاد ولا اتصال بينهما . فهما كساعتين تحافظان معاً على وقت واحد وتتوافق تكتهما من غير اتصال بينهما . هكذا صنع الله العقل ومادة الدماغ يعملان متوافقتين — هذه هي نظرية ديكرت . وهنا نترك للقارئ ان يزن هذا الرأي ، عزيز ان المقابلة بين المثليين .

وعقيدة اتصال العقل بالجسد حملت التصوريين Idealists أن ينكروا وجود المادة بناتما ويزعموا ان ليس في الوجود إلا العقل فقط ، الذي هو فؤدة من عقل الله ؛

وسيد المتصورين هو المطران بركلي Berekly الفيلسوف فقد أبدع ايما ابداع في برهنة الفلسفة التصورية ونفي الفلسفة الواقعية Realism . فهو يبرهن لك انك غير موجود مادرياً . وما أنت إلا عقل فقط يتصور . وان كل ما تراه من ظاهرات هذا الوجود من مياه وأرض وأجرام وأفواام الخ . إنما هو من أفعال هذا العقل . والعجب العجيب الغريب أن بركلي يقنعك بهذه الفلسفة أو يفحمك على الأقل فلا تعرف كيف تسفه رأيه وكيف ترده .

### مصدر العقل

لهذه العقدة الآن حل بديع وبه تُفسّر جميع الملصقات النفسانية التي أشار اليها الأستاذ العقاد وقد ذكرتها آنفاً . تفسّر أبداع تفسير وبأوضح بيان . العقدة آتية من اننا نعتقد ان العقل ذات Entity قائم بذاته مستقل عن الجسد ونظن انه غير مادي أي انه من طبيعة غير طبيعة الدماغ المادية . والحقيقة ليست هكذا . فاذا صرفنا النظر عن ذاتية العقل وحسبنا العقل عملاً من أعمال خلايا الدماغ ( الصنوبرية أو غير الصنوبرية ) أو هو أم وظيفة لهذه الخلايا بل هو وظيفتها الرئيسية في الأقنوم الانساني، انحلت العقدة حالاً .

العقل فعل لا ذاتية ، عمل لا شخصية . عمل خليات . كما أن الضحك مثلاً عمل من أعمال الفم لا ذاتية مختلفة عن الضاحك وكذلك المشي عمل من أعمال الماشي . ليس هناك أقنوم قائم بذاته نسميه عقلاً ، بل هناك فعل أو عمل تعمله خلايا الدماغ المختلفة المراكز والوظائف كما هو معلوم فسيولوجياً . والارجح ان هذا العمل يحدث بنبضات كهربائية سريعة في الجهاز العصبي على نظام لا يزال مجهولاً في تفاصيله ولا بد ان يعرف في المستقبل .

وقد ثبت في الامتحان ان في الجهاز العصبي تياراً كهربائياً دلّ عليه الدليل الكهربائي Galvanometer الحساس جداً ، وعرف المقياس قدر قوته . فلماذا لا يكون لهذا الجهاز العصبي العظيم الشأن تيار كهربائي ؟ أليس هو مؤلفاً من ذرات ؟ أليست الذرات مؤلفة من إلكترونات ؟ أليست هذه بنوع الكهرباء ؟

فلك ان تقول إن الحوادث العقلية أو الأفعال الفكرية هي فيض الخليات Estimations كالأمواج التي تنبعث من العناصر النشيطة الاشعاع ، أو تشبه النور الذي يصدر من الجسم المنير ، أو هي كالموجات الكهربائية أو هي هذه الموجات بعينها . وهذا الموضوع بحث جدّ خطير لمن يشاء أن يبحث بحثاً فسيولوجياً كهربائياً في الخواص العقلية Mental وهو ما ليس في طوقه .

وفي رأي أحد العلماء أن الفلسفة العقلية يجب أن تكون قسماً من علم وظائف الأجسام « الفسيولوجيا » .

إن " المحسوسات الخارجية من منظورات ومسموعات وملبوسات الخ ... تأتي الى أبواب الحواس بشكل أمواج كهربائية صادرة من هذه المحسوسات ، فتتحرك خلايا الجهاز العصبي - قل العصب البصري مثلاً - فتتحرك بها كل خلية في العين حتى الشبكية . وفي رأي الفسيولوجيين أن لكل خلية زُغَب حولها ، فتتحرك الزُغَب في واحدة حركت الزُغَب التي لجاراتها . وهكذا تنتقل هذه الحركة من خلية الى خلية الى أن تصل الحركة الى الدماغ فتقبلها خلايا مراكزه المكونة بشكل يستجيب للحركة الواردة من عصب الحس الخاص دون غيرها من خلايا المراكز الأخرى . هكذا يقول الفسيولوجيون . ولماذا لا نقول إن التيسار الكهربائي سرى في خلايا الأسلاك العصبية الى مراكز الدماغ - لا فرق بين النظريتين

وهناك تفاعل خلايا المركز بعضها ببعض بحسب النظام العجيب الذي يريمن عليها جميعاً . فإذا كانت الحركة المنتقلة صورة شجرة مثلاً تحركت الخلايا حركات تمثل هذه الصورة وتنبع في منطقة التصور المشتتة على ملايين من خلايا التصور . ثم تشترك هذه الخلايا في إبداء حركة الأعجاب أو الاستهجان . ثم تتحرك بها خلايا منطقة التعامل والاستنتاج بسبب هذا الإعجاب أو الاستهجان في الشجرة نفسها . وقد تقتقد الخلايا من نفوذ الشجرة ونحوها الى غير هذا . وهذا هو التفكير .

وكثيراً ما يُوقع وضع بعض الخلايا أو أكثرها توقيماً جديداً يدوم الى حين . وهذا هو التذكّر . وكلما وردت هذه الصورة الى ذلك المركز تمكن الوضع . وقد يزداد عدد الخلايا الموقعة معه فتطول مدة التذكّر وتتضح الصورة فيها أكثر فأكثر

ولا محل هنا ولا مقدرة لي على تفسير حركات هذه الخلايا التي تعد بالملايين . وهي مختلفة الفئات والوظائف بحسب مقتضى الأفعال والمستقبل كفايل باتساع عام الأفعال الدماغية التي تسمى الآن قوى عقلية .

وحاصل القول إن " ما نسميه عقلاً إنما هو حركات هذه الخلايا الدماغية أو نبضاتها الكهربائية وتفاعلها بعضها مع بعض . فالتصور والتخيّل والتفكير والاستنتاج والتفاسف والتذكر والسرور والحب والعطف الخ ... كل هذه مقابيل تلك الخلايا الدماغية العصبية التي تعد بالملايين . وهي موزعة في أمم ودول وإدارات عجيبة في المخ والمخيخ والجبل الشوكي الخ وما دام الدماغ سليماً فهذه الأمم والدول الخلوية الدماغية والعصبية تعمل أعضائها بكل نشاط وإتقان وتوافق هذه الخلايا كسائر خلايا البدن جارية على سنة الحياة ، تندثر وتتجدد

Metalism بالافراز والتغذية . ولذلك يطرأ عليها التعب أحياناً فيضعف نشاطها ونقاط العقل معها . وإذا طرأت عليها السموم كفعل الخمر أو المخدر أو نحوها انشلت فقد يختلط عملها ويختل نظامه ، وقد يبطل أو يتعطل الى حين كما يحدث في استعمال الكلوروفورم المخدر . وثمة لا يبقى ما نسميه عقلاً ، حتى إذا زال فعل المخدر عادت الخلايا الى عملها وماد العقل والتعقل . ومتى حدث الموت لا يبقى عقل لأن آ لانه تعطلت ، ولا يبقى بعد ذلك إلاّ التراب أو العناصر التي تألف الجسم منها .

وفيما أنت تلاحظ الطفل في غصون نموه تلاحظ جيداً كيف ينمو العقل معه بنمو دماغه ، حتى إذا نضج الدماغ نضج العقل معه ، لأنه ليس إلاّ من مفاعيل خلايا الدماغ . أما وقد علمت أن العقل هو محل لا ذات ، أي ليس أفقوفاً قائماً بذاته ، سهل عليك جداً أن تعلم توارد الخواطر Telepathy بأن الحركات الخلوية — حركات خلايا الدماغ المختلفة — تصدر نبضات كهربائية مختلفة دائماً وهذه تنتشر في الفضاء ككل تفعم ، وتصدم في طريقها ملايين الادمغة وتحدث فيها حركات تضارع حركات الخلايا التي أصدرتها وتنقضي كلح البرق فلا تقف الخلايا عندها . وكثيراً ما يقول شخص من الناس . « ما الذي أخطر هذا الخاطر ببالي الآن ؟ وما أنا على انتظار له ولا أنا في حاجة إليه ولا لي شأن به . ولكن إذا كان له شأن به كأنه وارد من دماغ قريب أو صديق فتنبه له خلايا دماغه وتتفاعل تفكيراً فيه — هذا هو التلبيث .

على هذا النحو يُفسّر التنويم المغنطيمي والكشف ونحوها . ولا تجد صعوبة في تفسيرها . وإنما تجد كل الصعوبة في تفسيرها إذا كنت تعتقد أن العقل ذات مستقل بطبيعته عن المادة ومحل الدماغ . واحتلاله له يحتاج الى تفسير هو أخو المستحيل .

### الزمن

ثم ساق الموضوع الأستاذ الى البحث في الزمن لكي يرينا أن من مقتضيات « الوعي الكوني » انه يمكننا الاطلاع على المستقبل فيما نحن في الحاضر . فأتى على أوامنا المختلفة بشأن صور الزمن فشله « كبحر يزداد قطرة كل لحظة ويمتلئ شيئاً فشيئاً ويبقى فيه فراغ المستقبل المعلوم . أو هو كحيط شامل لما كان وما هو كائن وما سيكون . أو هو كخط ممتد والوقوات المتتابعة كالنقط المنطوية فيه . أو تخيل الزمن قابلاً للتجزئة وأجزائه محدودة ، فمجموع المحدود محدود . وإذا كان الزمن أجزاءً وكان محدوداً كأجزائه فقد بقي أمامنا الابد الذي لا ماضي فيه ولا حاضر ولا مستقبل ولا ابتداء ولا انتهاء » — هذا هو قول الأستاذ .



وأخيراً يقول الأستاذ : « من الجائز ان المستقبل ممدوم في الزمان المتقطع ، موجود في الأبد الذي ليس له انقطاع » ؟؟؟

« ومن الجائز أن يكون الزمن نفسه متعدد الأبعاد فيتلاق فيه شيء من الحاضر وشيء من المستقبل في بعض تلك الأبعاد » ؟؟؟

« ومن الجائز ان المستقبل يكشف لعقل الانسان عن ايجاء العقل الابدي المطلق كما يطلع على ما حصل وما هو حاصل بلا اختلاف . وقد جاز أن ينتقل علم من عقل انسان الى عقل انسان فينطبع فيه بالتوجيه والايحاء كأنه منظور ومسموع . فلماذا لا يجوز ان تنتقل وقائع المستقبل الى علم الانسان الحاضر من العقل الابدي . وهل نستطيع أن نقرر وجود العقل الابدي دون أن نقرر إنه مطلق على كل الأبد الأبد » ؟؟؟

« فالذي يحرم باستحالة الاطلاع على المستقبل عليه أولاً ان يحزم بالصورة الصحيحة للزمن ، ويحزم بأنها لا توافق الاعتراف بوجود المستقبل على وجه من الوجوه . وعليه ثانياً ان يحزم باستحالة العقل الابدي واستحالة الايجاء منه الى العقول الانسانية »

« وعليه أن يقيم الدليل على هذا المستحيل أو ذاك المستحيل ولا دليل » - انتهى كلام الأستاذ

فا الذي نفهمه من هذه الجوازات المختلفة في موضوع واحد هو الزمن . أبنتُ آنفاً ان العقل هو عمل خليات الدماغ . فما هو العقل الأبدي ؟ هل هو من هذا النوع وكيف يكون ؟

اما عن الزمن فليس على القارئ ان يُعنت ذهنه في تفهم هذا الشرح الذي شرحه الأستاذ وهو متعدد الجوازات وليس على الأستاذ ان يجهد عقله في تبيان ماهية الزمن لأنه : - ليس للزمن وجود بتاتاً . لا هو ذات ولا هو عرض . ما هو بشيء سوى عبارة عن حركات الحوادث الكونية المتتابعة . ليس في الكون غير مادة متحركة والزمن هو مقياس حركة المادة . فاذا فرضنا ان «ما كينة» حوادث الكون Machine تعطلت انقطع دابر الزمن . والذين يقولون دار الزمن دورته أو دار دولاب الزمن لم يخطئوا وان كانوا لا يعلمون ( أو يعلم بعضهم ) معنى هذا القول الذي هو تتابع حركات العوالم . فالزمن هو مقياس الحركة . ومتى دارت الكرة الأرضية دورة على محورها نقول مضى من الزمن ٢٤ ساعة ، نعي صراً كذا وكذا من الحوادث المتتابعة . ومتى أتمت دورتها حول الشمس قلنا مضى من الزمن سنة . وما مضى إلا حوادث السنة .

إذا بطل دوران الأفلاك جميعاً وبطلت الحوادث التي تنجم عن هذا الدوران لا يبقى ما يقال له زمن. فعلام إجهاد الفكر في تبيان ماهية الزمن وهو أمر بسيط واضح .  
أما الماضي فهو الحوادث التي تماقبت . وأما المستقبل فهو الحوادث المتعاقبة المنتظرة .  
وأما الحاضر فلا معنى له سوى أنه الحد الوهمي الفاصل بين الماضي والمستقبل .  
لولا حركة المادة لما كان زمان .

وكذلك لولا وجود المادة لما كان مكان .

فوجود المادة خلق المكان . وحدثت حركة المادة خلق الزمان .  
نصور جميع أجرام السماء وذرات الأرض غير موجودة فكيف يتراءى لك المكان —  
الحيّز الذي كانت المادة تشغله — ألا يهولك العدم المطلق ؟ وما هو العدم المطلق ؟ هو  
اللاشيء . فالمكان إذاً لا شيء . هو العدم ، غير موجود . لماذا ؟ لأن المادة تجعل للمكان  
محدوداً . فإذا زالت المادة زالت الحدود فكيف تفهم المكان بلا حدود . ؟  
نوجز القول : المادة أوجدت المكان ، وحركتها أوجدت الزمان . فالمكان والزمان ،  
لولا المادة وحركتها ، هما عدمان .

حين نقطع الزمن إلى أزمنة وفترات أو أوقات أو قرون أو عصور أو دهور نكون  
قد جعلنا حدوداً أو فواصل للحوادث المتعاقبة . وإذا قلنا الألف سنة الماضية عنيينا الحوادث  
التي توالى في الألف سنة الماضية — الألف دورة التي دارتها الأرض حول الشمس .  
وإذا قلنا المستقبل عنيينا الحوادث المجهولة التي ستحدث في المستقبل . وإذا جئنا  
نتنبأ عن المستقبل فلا يمكننا أن نتنبأ إلا عن حوادث نعلم أنها لا بد أن تحدث من جراء  
أنها دورية كقولك في المساء « غداً صباحاً ستشرق الشمس » . فلا نبأ لنا عن حوادث  
المستقبل إلا ما نتوقعه منها بناءً على تواتر مثلها في الماضي من الحوادث الدورية .

ومع ذلك لا يتجدد دور كالدور الذي سبقه تماماً . لا بد من اختلاف ولو طفيف بسبب  
تضارب الحركات الكونية . فليس إذن تمت عقل أبدي يوحى لنا ما سيكون في المستقبل  
غير ما نتوقعه منه بناءً على وحي دوران دولا ب الزمن كما خبرناه في الماضي . هو مقايضة  
المستقبل على الماضي مقايضة غير دقيقة . لأن هذا الدولا ب يختلف كل دورة عن أخرى ، وكل  
ما هو تحت الشمس جديد . ولا قدرة لنا على ضبط ذلك القياس .

للقارئ أن يطلع على فصل « الزمكان » في كتابي « هندسة الكون على أساس  
النسبية » الذي صدر من إدارة المقتطف في يوليو سنة ١٩٣٧ فيجد بحثاً طريفاً واضحاً  
في الزمان والمكان اللذين أجهلتهما في كلمة « الزمكان » .

لا ريب أن الماضي ينطوي على إمكانات حوادث المستقبل كما تنطوي البذرة على أغصان الشجرة وأوراقها وثمارها . ولكن من يستطيع أن يتخيل شكل الشجرة قبل أن تفرخ البذرة وتنمو الى أغصان فورق فنمر . جل ما نستطيع أن نتنبأ به عن مستقبل البذرة أنها ستكون شجرة ويكون ثمرها من جنسها . فبذرة اللوزة يكون ثمرها لوزاً . فحوادث المستقبل ليس في طوق العقل البشري أن يتنبأ بها ولا سيما لأن سبيل الحوادث لا تعد ولا تحصى . وكثيراً ما تكون متقاطعة وفليلاً تكون متوازية . ونتائج القوى المتقاطعة أو المتعامدة تخالف اتجاهاتها كما هو معلوم في علم الطبيعة . المستقبل مطوي في الماضي ، ولا نفهم كيف ينشر هذا المطوي .

إذا تمادينا في هذا البحث دخلنا في موضوع القدرية والجبرية والاضطرار والاختيار . وهو موضوع كتاب لا موضوع مقال . وجل ما يمكن أن نقوله أن المصادفة غير موجودة في حوادث الكون . لكل حادث سبب أو أسباب . ولكن ليس في طوقنا أن نعرف سلاسل الأسباب . وقد نعرف المباشر منها ونجهل الحلقات التي قبله من السلسلة .

### هل الله عقل

بعض الفلاسفة الذين أورد الاستاذ العقاد فلسفتهم يرتأون أن الله « عقل » . ومنهم من يعتقدون أن العقول تسلسلت منه . ومنهم من لا يقولون هذا . والذي يحملهم على هذا القول هو أن هذا الكون مسير بحكمة وإرادة ، فلا بد أن يكون مسيره حافلاً وريداً وحرراً وهنا لا بد أن يقوم أمامنا هذا السؤال : هل عقل الله من طبيعة عقلنا ولا فرق إلا بالكمية والقدرة ، أو أنه من طبيعة أخرى نجهلها ؟

إن قلنا إنه من طبيعة عقلنا فقد أنزلناه من مقامه وحددنا قدرته ونلنا حريته واختياره لأن عقلنا غير مختار إلا في دائرة أضيق من مم الحياط وهي حرية وهمية . وحينئذ نكون قد جعلناه كما جعله موسى « يهوه » رب الجنود . ويهوه كان الهاك ومن حوله آلهة آخرون ولكنه أعظم منهم جداً وإله كهذا لا يصلح أن يكون مدبراً للكون .

وان قلنا إن عقل الله ليس من نوع العقول البشرية بتاتاً لا بالكيفية ولا بالكمية فإذا هو إذن ؟ — لا نعلم . ولذلك يجب أن نلغي تسمية الله بالعقل ونبحث عن كلمة أخرى تصلح لقباً لله . وإذا قررنا في علمنا وعقولنا أن هذا الذي نسميه الله بالعقل ونبحث عن كلمة أخرى تصلح لقباً لله . وإذا قررنا في علمنا وعقولنا أن هذا الذي نسميه الله قدير حكيم يريد مدبر لا نجد أفضل من كلمة « القوة القصوى » أو « قوة القوى » لقباً لله . لأن الكون لا يتحرك حركاته المعلومة إلا بقوة فائقة هي مصدر جميع القوى التي نشاهدها فيه . ثم

ان حركات الافلاك والارضين سائرة بنظام لا يخل ولا تقوبه فوضى ولا تردد ولا توقف، بدليل اننا نعرف بعض حركته وقوانينها ونحسب حساباتها ونعرف نواحيها كما نعرف مواضعها « معرفة جزئية » وهذه هي حكمة الادارة والتدبير . وكلما توغلنا في استقصاء حركات الاكوان متتبعين خيوط القوى التي تحركها وتقدنا قوانينها دوننا رويداً الى القوة العنصرية التي تسلسلت منها القوى المحركة للأجرام الفلكية والكتل الأرضية وذرات المادة وكهاريها وضوئياتها — هي قوة الجاذبية العجيبة . فإذا لم تكن هذه القوة العظيمة هي الله فانه مستتر عنّا بها وهي بيده ( مجازاً ) يشغلها . فهي النظام الذي وضعه الله وبه يدبر هذه الاكوان بحكمة فائقة بلا فوضى ولا خلل ولا تردد ولا توقف — هي سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

فبالجاذبية يمكننا أن نقول إن الله فدير وحكيم ومدبّر وموجود في كل مكان وكل زمان .

ليس هذا القول ببعيد عن فلسفة ارسطو وأفلاطون الذين أخذوا عن سقراط أستاذهم . وهي أن الله موجود مع هذا الكون يدبره ويدبره . هما موجودان معاً منذ الأزل . فلا الله خلق الكون، لاستحالة الخلق من العدم ، ولا الكون أنتج الله . وإذا كان الله واجب الوجود لكي يخلق الكون فماذا لا نقول أن الله والكون واجبا الوجود تملصاً من استحالة الخلق من العدم ومن سلسلة الخالق والمخلوق التي لا تنتهي .

الله فوق العقل والله هو قوة القوى وبيده النظام الشامل المنزه عن الغرض .

### الروح

وقد وردت كلمة روح في كثير من أقوال الفلاسفة الذين أخذوا الاستاذ عنهم . وليس في أقوالهم ما نفهم منه ما هي الروح . هي في أقوالهم كلمة غامضة أو تكاد تكون بلا معنى أو هي ذات معان مختلفة . وهأنذا عندنا الآن ان الله في عرف النصارى والمسلمين (لا الاسرائيليين) روح أزلي خالق كل شيء وقادر على كل شيء وعالم بكل شيء وموجود في كل زمان ومكان .

وإذا سألت ما هي الروح قيل لك هي غير المادة . فما معنى غير المادة . هل رأيت ضمواً كهذا ؟

ويحاول بعضهم ان يفسر لك الروح تفسيرات تؤدي بك الى الظن إنها العقل بعينه لانها تحمل الافكار والتذكرات معها الى الأبدية . ونحن نعلم بالاختبار ان العقل من مفاعيل

المادة الدماغية ، أو انه يقيم في الدماغ في رأي من يحسب العقل ذاتاً مستقلة . وفي كائنا الحالتين نعلم جيداً إنه إذا تعطل الدماغ ذهب العقل بناتاً . وإذا عاد الدماغ الى عمله المستقيم عاد العقل الى عمله . وإذا كان العقل ذاتاً قائماً بنفسه فأين كان في مدة عطلة الدماغ . ولماذا لا يبقى ذا وجدان يدرك نفسه في حالة غيبوبته في غضون التخدير والنوم أو المرض العصبي ( الجنون ) . ولماذا يبطل عمله بناتاً وتنتفي ذكراه وينفى وعيه ؟

فإذا كانت الروح هي العقل أو ان العقل مطيتها : فإذا ذهب العقل ذهبت الروح . وان انفصلت عنه فلا تصحبها ذكرياته وأفكاره لأن هذه من خصائصه وليس للروح يد فيها . فاذن الروح طارضة تنفى وزول فلا يمكن أن يكون الله روحاً بهذا المعنى . بأي معنى إذن ؟ ويحاول بعضهم أن يفهم الروح لك تفسيرات تؤدي بك الى الظن بأنها الحياة . ونحن نعلم أن الحياة ولادة ونمو وموت . ولا يبقى بعد الموت غير وجه ربي ذي الجلال . فلا يمكن أن يكون الله روحاً بهذا المعنى . وإذن فما هي الروح ؟

وأما أنا فأعلم كما يعلم جميع الناس أن لي ثلاث ظاهرات لا رابع لها وهي : أولاً جسد مؤلف من عناصر ترابية . ثم ثانياً حياة ذات ثلاث ظاهرات : ولادة ونمو وموت . وثالثاً عقل يتصور ويتذكر ويستدل الخ . هذه ثلاثة أمور أعرفها في جيداً ولا أقدر أن أنكرها . ولكني مهما تطلعت حولي وفشت وتحسست فلا أجد شيئاً رابعاً . وان صدفت شيئاً آخر فلا ألبث أن أجد أنه داخل في أحد تلك الظاهرات الثلاث .

شيء رابع اسمه الروح لا بدور في خلدي ولا أحس به ولا أعرف في شيئاً كهذا ، وكيف أعرف وليس لهذا الشيء شخصية تميزه عن سائر الشخصيات — « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوقنتم من العلم الا قليلاً » .

وقد تقول لي : لا بحق أن تذكر الروح إذا كنت لا تعرف ما هي . فأقول لك : أليس عليك أن تعين الشيء الذي تطلب مني الاعتراف به . ما هو ؟ ما الذي تطلب مني أن اعترف به ؟ أنت تدعي وجود شيء لا تعرفه . عليك الاثبات وعلي بعد ذلك الايمان .

لذلك لا يصح تسمية الله بالروح لئلا تلبس روح الانسان التي لا تعرف ما هي . وإن كانت الروح تسمية خاصة بالله فيجب أن لا تنسب للحي لئلا يشترك الانسان مع الله بها . وحالها ان يكون له شريك .

نفوس الحمرار

## سراب

أوميضُ برقٍ أم بريقُ شهاب  
في عينك الوسى يلوح لهاثم  
أجد الربيع بمقلتيك معربداً  
والدوح مياس الغصون كقينة  
وقرات أحلامي العذاب قصائدأ  
تفتتح الأحلام عن أكامها  
وأرى بجفونك لأرغائب والمنى  
ويسيل سلسالاً كما قطر الندى

ما جمع من قبس على الأهداب  
خبر يعوج بساطع خلاّب  
يزهو بأفواف له وثياب  
تختال من صلفٍ ومن إعجاب  
ولمست في عينيك زهو شبابي  
في مقلتيك شذية الاطياب  
يما يعمور بمائج صخاب  
من مقلة الأزهار غب رباب



في ذمة الحدق المراض لواعجي  
منيتني بيهـارج ومطلتني  
فكأنني الظمان ضل سبيله  
قطع القيساني باحثاً ومنقباً  
ظلمها يقطع صدره من غـلـلـر  
والشمس تصهر جسمه وتذيقه  
ووصاوس القلق الممض تلاطمت  
فرأى على بعدٍ بريقاً خاله  
ومضى يعني نفسه لما رأى  
حتى أتى ذاك الشماع فهـاله  
فهوى يئن على الثرى مترنحاً

ومرير أشجاني وفرط عذابي  
عند التقاضي نائي وثوابي  
في همهم عن رفقة وصحاب  
عن رشفة من سلسل منساب  
ويحور فيه بمدية القصباب  
صاب العذاب ولاعج الأوصاب  
رعناء في الاضلاع شبه عباب  
ماء فأمرع غير ما هباب  
ومض السراب بمستساغ شراب  
أن أبصرت عيناه لمع سراب  
كمخبل من لوعة وعذاب

عمرناه مردم بك

دمتق

## نظرات في النفس والحياة

- ٣ -

خاتمة آراء لاروشفو كولد مع الشرح

قبل أن ننتقل الى غير من ذكرنا من المفكرين وقبل أن نستعرض طرفاً من أخبار حياتهم وأن نتأمل في المختار من أفكارهم يحسن أن نذكر هذه الطائفة الأخيرة من نظرات لاروشفو كولد فعنه أخذ كثير من المفكرين والقصاصين وهو يمتاز عن كتاب هذا العصر والذين سبقوه إذ أنه لا يتصنع الابتكار في الرأي تعصفاً ولا يخاطب الفكاكة بالجد خاطفاً نضيق معه معالم الحقيقة. فانك تقرأ كتب برنارد شو أو أوسكار وايلد فلا تعرف في بعض الأحيان أين تنتهي الفكاكة وأين يبدأ الجد. أما لاروشفو كولد فان فكاكته تفسر الحقيقة ولا تخفيها ولا تبعث مثل تلك الخيرة. كما اتضح مما ذكر في المقالين السابقين وكما هو ظاهر في هذا المقال : -

( ١ ) إنَّ تَصَنُّعُ القدرة والكفاية في أمور الحياة قد يعوق عن القدرة والكفاية وهذا صحيح إذ أن ما تلافيه مظاهر التصنع من النجاح في خداع الناس والانتفاع بهذا الخداع والتكسب به أمور قد تقنع صاحب التصنع فيقنع بالادعاء دون الحقيقة ويمتريح إليه فلا يعاني الشدائد في معالجة نفسه أو ما يحسبها شدائد تعظم في نظره وتهوله اذا حاول التهدي إلى صفات القدرة الحقيقية والتماس أسبابها .

( ٢ ) إن حسن النصيحة لا يكفي لمعرفة الانتفاع بها ورجاحتها لا ترشد إلى القدرة على ذلك الانتفاع ولا تفيدها إذ أن المرء يحتاج إلى مقدرة على اتقان العمل والاهتداء إلى طرقه وأوقاته المناسبة كي يعمل حسب النصيحة الراجعة قدر احتياجه لما يحتاج إليه من المقدرة اذا عمل من غير نصيحة وبإرهاق نفسه .

( ٣ ) إنَّ في المصائب اتفاقاً كثيراً مختلف الأسباب والأنواع فمن الناس من يبكي ادعاءً للحنان والرحمة، ومنهم من يبكي كي ينال عطف الناس ورحمتهم وإعفافهم عليه، وإن لم يكن متأثراً في سريره بمصابه، ومنهم من يبكي اذا فقد قريباً أو صديقاً كي لا يلومه الناس اذا لم يَبْكْ ولولا خفية الملامة ما يبكي .

(٤) إن خداعنا لأنفسنا من غير أن نغفل إلى مخادعتنا أنفسنا أسهل من خداعنا الناس من غير أن يغفلوا إلى مخادعتنا لهم ولكننا نلظن عكس ذلك حقاً .

(٥) لا يرتاع من احتقار بعض الناس له ولا يبيت مغيفاً مُحَنَقاً إلا من رأى نفسه جديراً بالاحتقار ، أو من كان عنده ما يسميه علماء هذا العصر مُرْكَبُ النقص أو عقدة نفسية أو الذمور بالنقص سواء أ كان ذلك بسبب نقص نفسي أم نقص جثائي ، فإن ضعف الأعصاب قد يحل محل النقص النفسي في إثارة هذا الغيظ . وإذا وثق المرء من نفسه فانه قد يرجى منه التسامح في الإهانة إذا لحقته أكثر كما يرجى التسامح ممن فقد الثقة بالنفس إلا إذا صار الانتقام لكل إهانة شريفة الشرف والعرف ، كما يكون في البقاع التي يبيع فيها النار وتبيع فيها المبارزة فيبضطر المرء الى الانتقام من خوف الدم والاضطهاد بسوء الرأي فيه إلا إذا علا شأنه ولم يفتك أحد في مقدرته ولم يقدر على تبسُّعه بالتعبير فصنعه صفح القادر الذي حظى بإقرار الناس بقدرته وكرمه . وفي البقاع التي احتل فيها الأمن لنفاد الحكومات ترى كل إنسان يدفع عن نفسه خفية أن يتسامح في الاعتداء القليل فينال الكثير من شر الناس وظلمهم وتهجمهم إذ يتهم بالعجز . واستبداد الحاكم بوالد الذمور بالنقص في نفوس المحكومين فيسرع كل منهم الى الانتقام من جاره إذا حسب أن إهانة لحقته إلا إذا حال الاستبداد بينهم وبين الانتقام . وكثيراً ما يسرع الحقير الى إهانة غيره . كي يلفت نفسه ويلفت الناس عن حقارة نفسه وكى ينقل في زعمه وخياله تلك الحقارة الى غيره .

(٦) إننا في بعض الأحيان نفضل أن يخدعنا من نحب ونود عن أن يزول عنا ذلك الخداع فأننا به نعيش في نعمة المحبة والإخلاص اللذين تخيلهما في نفس من نحب ، فإذا زال عنا الخداع كان زواله نقمة وتعاصة . وقد يعرف الخدوع منا بنصف انتباهه إنه مخدوع فيتغافل حتى يغفل فيعيش في نعيم الانخداع .

(٧) لو كلف المرء نفسه من الجهد كي يصير الى ما ينبغي ويحب أن يكون قدر ما يكلف نفسه من الجهد كي تخفي ما هو عليه ما يريد إخفاءه لما احتاج الى تفاق ، إذا أن الجهد في سبيل الرياء قد يكون فيه من العناء والمهقة قدر ما في الجهد الذي يصير به الى ما ينبغي ويحسن .

(٨) إن مغالطة المرء الناس كي يخفي حقيقة عنهم مما يساعده على إخفاء حقيقته عن نفسه سواء أنجحت المغالطة أم لم تنجح ، إذ أنها لو نجحت مغالطة المرء الناس كان نجاحها ،



هائفاً يدفع لنفسه عند نفسه كي تخفي حقيقةً عنها عن ذاتها، وكان نجاحها برهاناً على ما يريد المرء أن يقنع به نفسه ودليلاً على ما يؤمنها من أمرها، وإذا خابت مغالطته الناس، احتاج إلى الامعان في إخفاء حقيقته عن نفسه كي يتقن بذلك أساليب مغالطة الناس وكي يعرف كيف يتجنب الخيبة في مخادعتهم.

(٩) إننا نرتاح إلى رؤية من نفضل عليهم ونساعدهم ونبرهم أكثر من ارتياحنا إلى رؤية من يجودون علينا وينعمون — إلا إذا خشينا أن يورثنا الأولون حتى نجود بما لا نود أن نجود به، وإذا خشينا أن تفلت من يدينا نعمة رجوها عند الآخرين إذا ابتعدنا عنهم فيقلب الحال. أما إذا لم يكن هذا ولا ذاك فقول لاروشفو كولد هو الصواب لأن رؤية من يجود عليهم تدعو إلى الزهو والارتياح والخيلاء والنقة بالنفس، ورؤية من يجودون علينا تدعو إلى استضعاف النفس والاستخذاء والشعور بالنقص والعجز.

(١٠) كثيراً ما يبقى الحسد حتى بعد زوال النعمة المحسودة — ولعل سبب ذلك أن عدة الاحساس بالحسد لا يستطيع إيقافها وانتهائها كما لا يستطيع إيقاف المندفع في سيره إذا بطل الدفع فيظل سائراً بعد الدفع مدة، أو لعل السبب أن الحسود لا يفتقر لمن زالت نعمته فتتبعه قديماً بالنعيم الزائل فيريد أن ينتقم منه كأنما بانتقامه بعد زوال النعيم يستخلص تلك المتعة الماضية والاذلة الفائرة والسعادة الزائلة من لحمه ودمه حتى تكون كأن لم تكن وحتى يندم الحسود على ابتهاجه بها وقد يزداد الحاسد غيظاً إذا عجز عن أن يجعل ذلك النعيم الزائل كأن لم يكن.

(١١) القدوة عدوى وما من خير أو شر إلا وله قدوة وعدوى، فالقتداء بالخير إنما يكون الصانعة ونيل الثواب أو لارزوه ونيل إعجاب الناس، والافتداء بالشر لأن النفس إنما يعوقها عن الشر في كثير من الأحيان الخوف والحذر وتجنب الملامة والعقاب. فإذا لم تجذب النفس ملامة ولا عقاباً بل وجدت مشجعاً ومحسناً ورأت أن مواجهة الشر أمر شائع غير ملوم أقبلت على عمل الشر ومواقفته اقتداءً بمن يعمل به. ومن أجل ذلك كثيراً ما تنقلب المقاييس في الأماكن والازمنة المختلفة لا سيما في عصور الثورات والانتقالات والتغير. ومع ذلك فهذه حقيقة مشاهدة في الحياة اليومية إذ يقل الناس على الشر لأنهم يجدون من يمدحه وبعده محمداً وخيراً لا شراً، وقد يتباهون به من أجل ذلك.

(١٢) كثيراً ما يفخر الإنسان بعيوب ليست من عبوبه وبصفات ليست من صفاته لأنها بعيدة كل البعد عن عيوبه وهي وإياها في طارفي تقبض وهي أبعدها عنه تأقت الناس

عن عيوبه وتعميمهم عن نقائصه . ومن أمثال ذلك أن ذوي التردد والمعجز والجن كثير ما يدعون التهور والحرق والحق والتسرع في الاندفاع من غير رؤية صراحة لترددهم واحجامهم والذين يسهل انقيادهم يدعون العناد والتصلب والاصرار على رأيهم ويفتخرون بذلك إخفاءً لسهولة انقيادهم .

(١٣) من السهل أن يغتفر المرء لأصدقائه الميوب التي يرى أنها لا تضره ولا نصيبه بسوء، وإن أصابت غيره من الناس، وهذا الغفران يكون ما دام المرء ناظرًا إلى أصدقائه بعين الرضا وكثيراً ما يغتفر لهم خيانتهم أصدقاءهم ما دام الغافر يرى أنه بمأمن من أن يخونوه لأنه بزعمه عندهم في منزلة أعز وأرفع - وقد يسخر ويضحك من المغدور به ويلتمس العذر لمن غدر به. أما إذا حاق به الغدر ودونه بعد اطمئنان إلى الوفاء واستنامة إلى عزته ومنعته فإنه لا يصنع للغادر كما فعل قديماً بل يسخط أهد السخط . ومصاحبة الرجل صاحب الشر على ما في ذلك من خطر إنما تكون لأسباب متعددة فبعض الناس يلزمه كي يعرف شره وينته وما يبيت فيتجنب بذلك ما يتوقع من شره ، وبعضهم يلزمه ويجاربه تزامناً إليه واتقاء لشره بالتزلف والتقرب ، وبعضهم يتابعه كي يفتنغ بشره وبعضهم يزامله لأنه يتمنى لنفسه في سريره جرأة على الشر ليست له ، فزاملته له إعجاب مستتر وهذا لا يمنع من أن ينقلب عليه إذا انقلب الناس .

(١٤) يقول النعماء المحرومون أن الحظ أحمى، ويقول السعداء أن الحظ مبصر، إذ كل من الطائفتين تدعي الفضل، والطائفة الأولى تمتد أن الحظ لا يستطيع لهما رؤية فضلم والطائفة الثانية ترى أنه رأى فضلم فكافأهم بعام جديرون به من الخيرات والسعادة .

(١٥) في بعض الأحيان يشكو المرء من نقص بعض ملكات عقله كي يدفع عن نفسه التهمة في ملكات أعز وأرفع ومثل ذلك أنه قد يشكو من ضعف الذاكرة ولكنه لا يشكو أبداً من ضعف ملكته في الحكم على الحقائق مع أن الملائكة الثانية قد تتأثر بضعف الذاكرة وهذا لا ينفي صدق قول مونتاني الفرنسي صاحب الرسائل المعروفة إذ قال إن ملكة الحفظ والاستدكار قد تكون قادرة ولكنها مقرونة إلى ملكة ضعيفة في الحكم على الحقائق

(١٦) كثيراً ما تنفذ أمور باسم الحب وتعمل أعمال وتقال أقوال ولا شأن للحب في كل ذلك، ومثله مثل الدول التي كفت يد الحاكم - مثل دوق جمهورية البندقية - وغلت سلطته ومع ذلك تجري كل أمور الدولة باسمه .

(١٧) من الغريب أن المرء قد تكون له ذاكرة قوية فيتذكر بها حوادث حياته الصغيرة

التأفة، ولكن ذاكرته على قوتها لا تستطيع أن تعينه على أن يتذكر أنه حدث جلوسه. رأت عديدة بهذه الحوادث التأفة حتى صار الحديث مملولاً مكروهاً — وقد فسر فرويد هذا النسيان في كتاب العلل النفسية في الحياة اليومية وأوضح أن النفس تستطيع أن تنسى ممداً ما تريد نسيانه وأن تدفع به إلى الوعي الباطن.

(١٨) لو استطاع مُستطيع أن يمنع رجلاً من أن يلقى نفسه وأن يمدحها سرّاً أو جهراً ومباشرة أو غير مباشرة وبالقول أو بالعمل وبالخطر الذي يخطر في النفس أو في الظاهر وفي الحقيقة أو في الخيال لكان هذا الانسان الممنوع من تملق نفسه بأية وسيلة أهق الناس وأنعمهم وأكثرهم مللاً من الحياة.

(١٩) يعترف الناس أن الميول والنزعات النفسية لها أثر كبير في تكوين آرائهم ولكنهم قلما يدركون عظم هذا الأثر — وكثيراً ما ينسونه إذا كانت لهم فائدة في نسيانه، بل قد ينكرونه.

(٢٠) الأحاسيس والميول النفسية والصفات التي تتصف بها قد تولّد أضدادها. ومن أمثال ذلك أن الجبان قد يشجع من الخوف فيقبل مندفعاً بدل أن يفر إذا أحست نفسه أن في الفرار ضرراً أهدأ أو إذا حسبت ذلك أو إذا جُن جنونها من الخوف فاندفعت من غير تروءٍ، والخوف يُسبّب الثبات أيضاً، والثبات من مظاهر الفجاعة والقدرة والمروعة، ولكن المرء قد يخشى أن يترشح عن رأي أو مسلك. أو مكان من الخوف فيظل ثابتاً عليه.

(٢١) أهدأ ما ينبغي أن يكون حذرنا من الأحاسيس والنزعات النفسية أن تُفَسّطِي على الصواب إذا لبست لباس العقل والحكمة واتخذت منه أسباباً وحججاً وأدلة لأن العقل كثير الافتنان في استنباط الحجج وتوحيها تعزيزاً للميول النفسية والعهوات، وتدويعاً لما قد لا يسوغ.

(٢٢) كما أن الفضل ثمرة فإن له موسمها، والفضل الذي يكون في غير موسمها كالفاكهة التي قد تأتي في غير موسمها وموضعها، فإذا بعدت كل البعد عما يناسب مزاج ذلك الموسم الغريب عنها كانت مستهجنة غير مقبولة، فالبطيخ المُبَسَّر في برد الشتاء لا يستحب، وكذلك الفضل إذا جاء في غير أوانه ومكانه وكان عند من لا يُقدِّره يُستَهْجَن ويُبْذَر.

(٢٣) الإعجاب بالنفس موجود في كل نفس ولكنه يختلف في الطرق والوسائل التي يظهر بها ويضع بها نعمته وقد يخفى زماناً كي يتمكن ويحتال وهو إذا لم يظهر بالقوة ظهر

بالمكر والحيلة وقد يظهر وينفوز بِطَلَبَتِهِ حتى بالتمليق والتواضع فهو كما قال  
لاروشفوكولد دائماً يَـتَوَضَّعُ نفسه ويتخذ كل أُنْبَجَةِ ووسيلة كي لا يخسر شيئاً وان  
ادعى الخسارة والتَّخَلُّصَ عن الغرور والكبر وكان الامان قد وَهَبَ من ملكات الجسم  
ما يناسب مطالبه وأعماله فقد وَهَبَ من الكبر ما يخفي به نقائصه عن نفسه والادل في  
ذلك ان يكسبه ثقة بنفسه كي يستطيع ان يعيش فاذا زاد عن حد الصلاح كان مفسداً .

(٢٤) ان بعض صفات الحمد مثل الحواس فن لم يجربها ولم يعرفها في حياته وولد خالياً  
منها لا يستطيع ادراك كنهها كالذي وَلِدَ أعمى يصعب عليه ادراك معاني البصر كلها ،  
وكذلك من خلا من بعض صفات الحمد لا يستطيع ان يفهمها وقد ينكرها أو يحار فيها  
ويتهم أصحابها بالكذب والادعاء - والمراد بالخلو منها انه لم يتعودها ولم يعود نفسه  
ارتياد موارد واتباع أحكامها .

(٢٥) ان الغريزة تعرض لبعض التعويض مما يفقده المرء بسبب نقص حظه فهي تَعْمَلُ  
الفقير ان يستفيد من المال القليل أكثر من استفادة من هو أغنى منه ، وتجعل له المكر  
عوضاً من نقص العقل أو ضعف الجسم .

(٢٦) ان رغبتنا فيما نطلبه بالعقل رغبة ضعيفة اذا قيسَت برغبتنا فيما نطلبه بالزمرات  
النفسية إلا اذا كان العقل وهو يدمي الاستقلال خادماً للذيل النفسي ومحتالاً له بذلك  
الادعاء كي لا يفتن الناس الى انها رغبة الشهوات النفسية لا رغبة المنطق المستقل والعقل  
المسيطر عليها .

(٢٧) كثيراً ما يكون الاغتياب باعثة الغرور أكثر من خبث النفس فلا تأمن الرجل  
الموصوف بطيبة القلب ان يفتابك إذا كان مغروراً، وأي الناس يخلو من الغرور، ولكننا  
كثيراً ما يدهشنا الاغتياب إذا كان من رجل موصوف بطيبة القلب وباعثة الغرور .

(٢٨) ان المرور الذي نجد في التحدث عن أنفسنا ينبغي أن يفتننا إلى انه يسبب  
الامتعاض لغيرنا، فان غرور كل إنسان يجعل غرور غيره أمراً يكاد لا يطاق - ومن الغريب  
ان كل إنسان يضجر من كثرة تحدث غيره عن نفسه ، ولا يفتن الى ضجر غيره من تحدثه  
عن نفسه .



## وحدة الفضل

وحدة الفضل البشري لا يترض طريقها شيء من  
فوارق المكان والزمان والعنصر واللغة والدين والمذهب

إن بحننا الحاضر لانساني محض بحسب طعنة نجلاء في صدر كل متمعصب ذميم إن كان  
التمتعصب مكابراً . فإذا كان على تمعصبه حاوياً جرثومة خير مستعداً لاتباع الحق أينما وجده  
فالبحت حينئذٍ عمل جراحي له ضروري لا بدّ أن يؤلمه في أول الأمر ولكنه يضمن له  
الشفاء والعافية .

وقد يطرأ وهم على أذهان بعض القراء يظنون أن البحث الحاضر بمحاولته تأييد وحدة  
الفضل بين أصناف البشر يحني على ما للوطنية والعنصرية والرابطة الدينية والطائفية من حق  
خصوصي على صاحبها فتفتر غيرته على ما ينسب إليه من أمثال هذه التسميات البشرية  
وتضعف عزيمته في مداواة هذا الاعتبار . كلاًّ إنه لو لم مبني على أساس فاسد فإن تأييد وحدة  
الفضل والنبل بين أصناف البشر يحفز كل إنسان إلى أن يكون أتمّ تيقظاً وأقرب إنصافاً  
بفأن جامعته العليا وهي الجامعة الإنسانية ومن ثمّ يقربه من مخاطر ومضار التعصب في  
غير موضعه والتعيز الأعمى غير الحالّ محلّه . إنّ تأييد وحدة الفضل يفتح أبواباً  
وبصائرنا من هذه الناحية الجوهرية ولكنه لا يضطرنا مطلقاً إلى إغفال ما علينا من  
واجبات خصوصية نحو وطننا وعنصرنا وطائفتنا بل نظل على ما يطلب منا من بذل عناية  
واهتمام بهذه الفروع اللاصقة بنا مع تشریفنا وتمجيدنا الأصل المتفرعة هي عنه والتفافنا  
باخلاص حول هذا الأصل وأريد به الجامعة الإنسانية العليا .

قبل أن أكون إسرائيلياً أو نصرانياً أو مسلماً أو مجوسياً أو وثنيّاً أو دهرانياً  
أي مادّي المذهب . وقبل أن أكون عربياً أو تركياً أو فارسياً أو فرانسوياً أو

إنكليزيًا أو روسيًا أو صينيًا أو هنديًا . قبل أن أكون شيئًا داخلًا في هذه الأمم وهذه الملل أنا انسان ، فالإنسانية لها عليّ الحق الأول ، وعليّ نحوها الواجب الأول . فلا بد لي أن أنظر نظرة إنسانية عالية حين اضطر إلى المفاضلة بين فرد وفرد أو بين جماعة وجماعة من إخواني البشر . وتلك النظرة الإنسانية يجب أن تبني على العدل بمقد ذاته مع احتيال مقبول ودهاء غير مكروه في مراعاة ومداراة ما أنسب إليه من جماعة أو ملت من طريق دفاع أو اعتذار أو تنصل حين أرى حكمي يخالف كرامة أو مصلحة هذه الجماعة أو هذه الملة، ولكن هذه المداراة يجب أن لا تتجاوز حدًا محدودًا معقولًا لا يستنقله الحق لأنه لا يضيع حقه وإن رآه يخفف شيئًا عن طاق خصمه .

فاذا اتخذنا هذا المبدأ الانساني القويم رأينا المحبة الانسانية تعرف على جميع نواحيه وتتكفل وحدها بصون رياضه ، والدود عن حياضه .

وهذه المحبة الانسانية المقدسة المتصلة بفعاع من نور عرش الله هي التي أحس بها وأرادها وترجم عنها القطب العلامة الكبير الفيض محي الدين بن عربي حين قال . روح الله روحه ، ونور ضريحه :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي      إذا لم يكن ديني الى دينه داني  
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة      فربض آساد وموقع غولان  
وهيكل أو ثلث ومصحف مسلم      وانجيل نصران وتوراة عبراني  
أدين بدين الحب أتى توجهت      ركائبه فالحب ديني وإيماني

وهو موضوع محبت عليه في قصيدة لي وطنية اجتماعية حيث قلت :

ولا تحسبن الدين طائق مسعكم      فما الدين الا الفضل والنبيل هذباً  
وليس اختلاف الدين في الفرع ضاراً      وفيه اتفاق الاصل خيراً تجلياً  
وكم من ضعيف دينه ذو تعصب      وكم دين فينا التسامح أوجباً  
فيا كارهاً غير ابن دينك فاضباً      لدينك قد أصبحت للدين مغضباً  
وضيقته عقلاً ونقلًا وإعماً      كرحمة ربي دين ربي رُحبا

ثم ان المتعصب تعصباً أمي باندفاع شديد الفئة معينة قد يكون عند وقوع محنة أو

عدة أو معضلة أقل ثباتاً وأمانة لما ينتصر له من المعتدل في رأيه . لأن المعتدل يصدر عن نقل ووضوح اختبار وتقليب الأمور على جميع وجوهها فهو في مبدئه غير معرض للانعزاع مثل ذاك .

إن النبيل والفضائل معتركة في جميع الأمم وإذا زعم أناس أن أمهم فاقت سواها بانبات وتربية أهل الفضل ثم طارض هؤلاء الزاعمين آخرون مدعين هذا التفوق لأنهم فقها يهمننا في موضوعنا الحاضر إن يريح الدعوى هؤلاء أو أولئك مادام العقلاء والمنصفون يعترفون بما نريد الأدلاء به من أن أبواب الفضل والمحاسن ومكارم الأخلاق كانت ولا تزال مفتوحة لجميع أصناف البشر على اختلاف المعصور والاقطار والاديان والمذاهب والعناصر . وما كان أكثر جواهر الفضلاء في وثني المصريين والاشوريين واليونان والرومان وعرب الجاهلية وغيرهم .



وقبل الخروج من هذا البحث لا بد لي من تحذير كل قارئ وسامع أمراً هنيئاً هو سم زطاف الجرثومة العدل وعقبة كؤود في سبيل الأخاء البشري . وهذا الأمر هو الانتقال في الحكم صفواً عفواً من التخصيص إلى التعميم فإذا ساءتني خلة أو معاملة أو عمل من فلان لم أكتف بالحكم عليه أنه ناقص ذنيلاً ، بل يغلب أن أشمل به هذا الحكم شديراً أو بلدته أو أبناء ملته مما يفتح مجالاً واسعاً لتبادل سوء الظن وما بعد سوء الظن إلا الخصومة ثم العداوة ثم العناء والشقاء . وهذا الجور في تعميم الحكم كثيراً ما ترتكبه بدافع من سورة الغضب أو من قلة روية وتعميم . لأن التأني يقتضي تجلداً يضجرنا وعناءاً يؤلمنا ومن ثم نهرب من هذا السبيل الطويل الوعر إلى سبيل أسهل وأخصر هو سبيل الحكم المستعجل اعتباراً ومجازفة مفضلين الراحة لأنفسنا . ولكنها راحة أئيمة خائفة تهر ورائها تعباً وعذاباً لروح الحق والخير والصواب .

اللاذنية — سوراً

اروار مرقصى



# حافظ وشوقي

صدي الحوادث عند الساعرين

## وفاة مصطفى كامل<sup>(١)</sup>

أما حافظ فقد رثى مصطفى كامل بثلاث قصائد ، ولكنها نُظمت بين هول الفجيعة ...  
فالأولى أُلقيت على قبر الفقيد ساعة دفنه ، والثانية في ذكرى الأربعين . أما الثالثة فقد  
نظمها عند إحياء ذكرى مرور عامٍ على وفاته .

وأولى هذه القصائد هي أقواها عاطفةً وشعوراً ، وأبلغها تأثيراً وإحساساً ، وأدقها  
تصريحاً للفجيعة ، فقد عُنِي فيها بتصوير رسالة الفقيد ، فهي من هذه الوجهة ناطقةً ببطولة  
مصطفى وجهاده وأثر هذا الجهاد في لحظة الضعف وفي إفلاق راحة الغاصبين ، وهذا  
ما خَلَّتْ منه قصيدة شوقي الأولى ... وهي كذلك صادقةٌ في كل شيءٍ لولا العيب الذي  
أخذ على حافظ في البيت الأول من هذه القصيدة فقد جاوزت مبالغته حدُ المَقُول للواقع إذ  
كان خياله في هذا البيت سقيماً وذلك في قوله مخاطباً قبر مصطفى « فكبِّرْ وهَلِّلْ والْتَقِ  
ضيفك جانياً » فلو أن القبر يتلقى ضيفه بهذه الصورة لكان معنى ذلك تهديمه ...  
ولكن ما أروع قوله :

فيا سائلي أين المروءةُ والوفا      وأين الحجا والرأي؟ وبحك هاهيا !  
ويصور ذلك الفراغ الذي خلفه الفقيد وأثره في نفس الغاصب فيقول :  
هنيئاً لهم فليأتوا منا كلُّ صائحٍ      فقد أَسَكَتَ الصوتُ الذي كان طالياً  
ومات الذي أحيا الشعورَ وصاته      إلى المجد فاستحيا النفوسَ البواليا

(١) راجع منتطف نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٤٧

ويخاطب الفقيده قائلاً :

عليك، وإلا ما لدا الحزن ما ملأاً      وفيك وإلا ما لدا الغمب با كيا  
يموت المداوي للنفوس ولا يرى      لما فيه من داء النفوس مداويا  
وكننا نياماً حينما كنتَ صاهداً      فأشهدتنا حزناً وأمسياتَ غافيا  
شهيدَ العلا لا زال صوتك بيننا      يرثُ كما قد كان بالأمس داويا  
وهي على هذا الوتر قطعةٌ من الإحساس الباكي المتفجع، وإنه ليحسُّ بذلك  
فيقول فيها :

عهدناكَ لا تبكي وتنكر أن يرى      أخو البأس في بعض المواطن با كيا  
فرخُص لنا اليوم البكاء وفي غدٍ      ترانا كما تهوى جبالاً رواصيا  
وهذه القصيدة تعبر عن الإحساس الباطني أكثر مما تعبر عن الإحساس الخارجي  
لأن الشعور الواعي لم يعمل فيها عمل العاطفة، ولم يظهر أثره فيها بمقدار ظهوره في قصيدته  
الثانية أو الثالثة . فإن القصيدة الثانية التي قال في مطلعها :

نثروا عليك نوادي الأزهار      وأتيتُ أنثر بينهم أغماري  
تحسُّ فيها عمل الشعور الواعي فهو يستعرض حوادث خارجية ومواقف للفقيده مضي  
يقصُّها في أبياتٍ بعضها تغلب عليه روحُ الشعر وبعضها الآخر يتخاضى عنه ذلك .  
على أن من أبدع ما فيها تصويره لجنازة الفقيده إذ يقول :

شاهدتُ يوم الحشر يوم وفاته      وعلمتُ منه مراتبَ الأقدارِ  
ورأيتُ كيف تفي الشعوبُ رجالها      حقَّ الولاء وواجبَ الإكبارِ  
تسعون ألفاً حول نعفك خُشَّعٌ      يمشون تحت (لوائك) السيارِ  
خطوا بأدمعهم على وجه الترى      للحزن أسطاراً على أسطارِ  
آنا يوالون الضجيع كأنهم      ركبُ الحجيج بكمة الزوارِ  
وتخالهم آنا لفرط خشوعهم      عند المصلى ينصتون لقاري  
غلب الخشوعُ عليهم فدموعهم      تجري بلا كسحٍ ولا امتنارِ  
قد كنتُ تحت دموعهم وزفيرهم      ما بين صيلٍ دافقٍ وشرارِ

أُصْعِي فَيَأْخُذْنِي اللَّهْيَبُ فَأَنْفِي      فَيَصْدُنِي مَتَدَفْقُ التَّيْسَارِ  
لَمْ أَلْذُ بِالنَّعْشِ أَوْ بِظَلَالِهِ      لَقَضَيْتُ بَيْنَ مَرَايِلٍ وَمُخَارِ  
كَمْ ذَاتُ خَدَرٍ يَوْمَ طَافَ بِكَ الرَّدَى      هَمَكْتُ عَلَيْكَ حَرَائِرَ الْأَسْتَارِ  
مَفَرْتُ تَوَدُّعَ أُمَةٍ مَحْمُولَةٍ      فِي النَّعْشِ لَا خَيْرَ مِنَ الْأَخْبَارِ  
أُمِنْتُ عَيُونََ النَّاطِرِينَ فَرَفْتُ      وَجْهَ الْخِصَامِ فَلَمْ تَلْذُ بِمُخْمَارِ  
قَدْ قَامَ مَا بَيْنَ الْعَيُونِ وَبَيْنَهَا      سَتْرٌ مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْأَكْدَارِ  
وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ قَصِيدَةَ هَوِيِّ الْعَاطِفِيَّةِ قَدْ تَرَكَّتْ فِي نَفْسِ حَافِظٍ أُرَا فُهِو حِينَ يَصِفُ  
جَمَانِ الْفَقِيدِ وَقَدْ لُفَّ فِي عِلْمِ الْبِلَادِ يَسْتَوْحِي بَيْتَ هَوِيِّ :  
لَفُوكَ فِي عِلْمِ الْبِلَادِ مِنْكَسَا      جَزَعُ الْهَلَالِ عَلَى فَنَى الْفَيْتَانِ  
مِثْلَ هَذَا الْمَعْنَى فَيَأْخُذُهُ وَلَكِنَّهُ يَوَالِدُ مِنْهُ مَعْنَى بَدِيْعًا يَجْعَلُ بَيْتَ هَوِيِّ صَامِتَ الْحَسِّ  
إِزَاءَهُ ، فَهُوَ يَقُولُ :

أَدْرَجْتَ فِي الْعِلْمِ الَّذِي أَصْفَيْتَهُ      مِنْكَ الْوَدَادَ فَكَانَ خَيْرَ شِعَارِ  
عِلْمَانٍ مِنْ فَوْقِ الرُّفُوسِ كَلَاهَا      فِي طَيْبِهِ سِرٌّ مِنَ الْأَسْرَارِ  
نَادَاهَا دَاعِي الْفِرَاقِ فَأَمْسَبَا      يَتَمَانَقَانِ عَلَى شَفِيرِ هَارِي  
ثَالِثُ مَا جَزَعُ الْحُبِّ وَلَا بَكِي      لِنَوَى مَرُوعَةٍ وَبُعْدِ مَرَارِ  
جَزَعُ الْهَلَالِ عَلَيْكَ يَوْمَ تَرَكْتَهُ      مَا بَيْنَ حَرٍّ أَسَى وَحَرٍّ أَوَارِ  
مُتَلَفَتَا ، مُتَحَيِّرَا ، مُتَخَيِّرَا      رَجُلَا يَنَاضِلُ عَنْهُ يَوْمَ نِفَارِ  
أَمَّا الْقَصِيدَةُ الثَّلَاثَةُ فَهِيَ أَقْرَبُ إِلَى أَنْ تَكُونَ خُطْبَةً حَمَاسِيَّةً مِنْهَا إِلَى شِعْرِ الْمَرَاثِي فَقَدْ  
تَدَفَّقَتْ فِيهَا الشُّعُورُ الْوُطَنِيَّةُ وَالْإِحْسَاسُ بِالْفِرَاقِ الْهَائِلِ الَّذِي خَلَّفَهُ الْفَقِيدُ .. وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ  
تَمَثِّلُ شِعْرَ حَافِظٍ أَصْدَقَ تَمَثِيلٍ عِنْدَ مَا كَانَ يُعَبِّرُ عَنْ آلامِ الْمَصْرِينَ وَأَمَلِهِمْ أَصْدَقَ  
تَعْبِيرٍ ، وَفِيهَا يُخَاطَبُ الْجَمْعُ الْحَاجَّةُ إِلَى قَبْرِ الْفَقِيدِ بِهَذَا الْبَيْتِ :  
طُوفُوا بِأَرْكَانِ هَذَا الْقَبْرِ وَاسْتَمِعُوا      وَاقْضُوا هُنَاكَ مَا تَقْضِي بِهِ الدُّمُومُ  
ثُمَّ يَتَوَجَّهْ بِالْمُخَاطَبِ إِلَى النُّورَةِ الَّتِي كَانَتْ مُتَأَجِّجَةً فَقَضَى الْمَوْتَ لَهَا أَنْ تَحْمَدَ ، وَإِلَى  
الْحَرَكَةِ الَّتِي كَانَتْ مَتَوَثِّبَةً فَقَضَى عَلَيْهَا أَنْ تَهْدَأَ وَتَسْكُنَ ، فَيَقُولُ :

يأبىها النائم الهاني بمضجهم      ليهنيك النوم لاهم ولا منقم  
 باتت تسانلنا في كل نازلة      عنك المنابر والقرطاس والقلم  
 تركت فينا فراغاً ليس يذله      إلا أبي ذكي القلب مضطرم  
 منقر النوم سباق لغايته      آثاره همم ، آماله أمم

وتتقد في نفسه حماسة الوطنية وإباؤها فيترجم عن ذلك بقوله :

لبسك نحن الألى حرّكت أنفسهم      لما سكنت ، ولما فلاك الدم  
 جئنا نؤدّي حساباً عن موافقنا      ولستمد ، ولستعدي ، ونحتكم  
 قيل : اصكثوا . فصكثنا ثم أنطقنا      عسف الجفافة وأعلى صوتنا الألم  
 قد أتم منا ولما نطلب جلاً      إن الضعيف على الحالين متهم  
 قالوا : لقد ظلّموا بالحق أنفسهم      والله يعلم أن الظالمين هم  
 اذا صكثنا تناجوا ، تلك حادتهم      وإن نطقنا تنادوا : فتنة همم

ويمكننا أن نقول — بعد درس شعر حافظ السياسي الذي نظمته قبل تاريخ هذه المرنبة — إن هذه القصيدة هي بدء اليقظة القومية في ضمير حافظ وتخلّصه من ملاينة الغاصب ومصانعة عمّدائه واعتبارهم المسئولين عن هذا البلد فيوجّه اليهم القول والرجاء كما كان يقع في ذلك من قبل ، فقد اختفت هذه الظاهرة من شعره . ولم تظهر بعد إلا في القصيدة التي نظمها في سنة ١٩١٥ ووجّه فيها الخطاب الى السير مكهاون عند تعيينه صيداً للانجليز في مصر .

وربما كانت هذه المرنبة هي الشرارة الكبرى التي قدّر الغاصب خطورتها فتنّب لها وجعل نصب عينيه تحيّن الفرصة لإخادها قبل أن تعظم ويستفحل خطرها حتى كان من وراء ذلك بعد سنوات قلائل أن وُضع الغلّ الذهبي في رقبة حافظ وبدأ أثره فيما بعد في قصيدته لمكهاون التي أشرنا إليها والتي يقول فيها :

أي ( مكهاون ) قدمت بالـ قصد الحميد وبالرّواية

ثم يقول بعد ذلك :

أضحت ربوع النيل سلطنةً وقد كانت ولاية

## فتمهدوها بالصلاح وأحسنوا فيها الوصاية

هذه آثار الشعاعين في هذه الفجيرة الوطنية . وفي رأينا أن قصيدة شوقي الثانية هي أبلغ هذه القصائد جميعها وأدقها في تصوير شخصية الفقيه ، وأزخرها قوة مبنى وجمال معنى . وهي من روائع شوقي فقد ظهرت فيها الصورة واضحة كل الوضوح ، ولم يطفح جمال الإطار على جمالها وروعها لأن التوازن بينهما دقيق ، ولأن الانسجام بين الألفاظ والمعاني فيها بحكم التنسيق .

## إعلان الدستور العثماني وخلع عبد الحميد

وفي يولييه سنة ١٩٠٨ أفلحت الحركة التي قام بها الأحرار العثمانيون في حمل السلطان عبد الحميد على إعلان الدستور بعد إلغائه وعودة الحكم النيابي الى السلطنة العثمانية والقضاء على النزعات الاستبدادية والسلطات الفردية التي رزح تحت نيرها رعايا تلك السلطنة وقاسوا عذائدها أكثر من ثلاثين عاماً حكم فيها هذا السلطان البلاد حكماً مطلقاً بعد أن عطل الدستور في سنة ١٨٧٧ ، وكان من جراء ذلك أن عهد الكثيرين من الأحرار الى الهجرة في مشارق الأرض ومغاربها من وجه الاضطهاد لينفَسُوا عن آرائهم ورغباتهم في الإصلاح بعيدين عن الرقابة والتجسس ... فأكاد السلطان يعلم أن جيوش أنور ونيمازي بطلي هذه الحركة قد تحركت لاستعادة الحكم الدستوري واستخلاصه منه حتى أعاده دون تباطؤ ، فكان لنجاح تلك الحركة وإعادة الدستور في اليوم الرابع والعشرين من ذلك الشهر وقع عظيم في نفوس أهل البلاد الشرقية جمعا ، وأقيمت الاحتفالات به ، وانبرى الشعراء في كل مكان بكل صقع عربي ، كما انبرى الكتّاب والخطباء يشيدون بهذا الحدث الجديد ... يقول الأستاذ أنيس الخوري المقدسي : « ولا نبأخ اذا قلنا إنه ما من حدثٍ حرك الأفلام العربية كهذا الحدث العظيم ، فقولنا قول من شهد بعينه تلك الحال ، وعرف باختباره شعور الناس ومغارهم في غبطتهم العامة وآمالهم الواسعة » (١)

(١) راجع صفحة ٢٢ من كتاب « الموائل القذلة في الأدب العربي الحديث » للأستاذ أنيس الخوري اللطفي . نشرته مجلة المتكلم سنة ١٩٣٩

وقد فرح المصريون بإعلان هذا الدستور مع أن مصر ، في الحقيقة كانت منفصلة في سياستها عن الدولة العثمانية ، ولم يبق لهذه الدولة فيها إلاّ الرابطة الروحية التي تتعلق بالخلافة الإسلامية المتركة في السلطان العثماني ، ذلك أن مصر كانت تنوق الى عودة الحكم النيابي كما كانت تنوق اليه إيران وقتذاك .

ألقى الأستاذ احمد لطفي السيد بك (باغا) خطبة في الاسكندرية في أغسطس سنة ١٩٠٨ قال فيها : « نحن على ذلك نستقبل هذا الدستور بالفرح الذي يستقبله به جميع إخواننا العثمانيين لأنه بشرى للدستور في مصر . فإن من شأنه أن يعهد عزائنا ويقوّي أصواتنا في طلب الدستور . من شأنه أن يجعل الذين ينكرون علينا القول بسلطة الأمة لا يجدون عن الاتفاق معنا في الرأي محيصاً » (١) .

وكانت مصر وطناً ثانياً لكثيرين ممن اضطهدهم العهد الحميدي فأعلنوا مظاهر الفرح ، وهمارك الشعراء في مصر زملاءهم في شتى البلاد العربية في الفرح بإعلان الدستور العثماني مدفوعين في ذلك بالغرض الذي أشرنا إليه . وهو التعبير عن الرغبة في إعادة الحياة النيابية في مصر ، وكان في الفرحين شاعرانا : حافظ وعوفي .

فأما حافظ فقد نظم قصيدته النونية التي هنا فيها السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه في سبتمبر سنة ١٩٠٨ يذكر فيها فضل السلطان على رعاياه بإعادة الدستور إليهم فيقول :

أثنى الحبيبُ عليك والحرمانُ	وأجلُّ عيدِ جلوسك الثقلانُ
أرضيتَ ربك إذ جعلتَ طريقه	أمنّا وفرتَ بنعمة الرضوانِ
وجمتَ بالدستور حولك أمةً	شقى المذاهب جمّة الاضغانِ
فغدوتَ تسكن في القلوب وترتمي	حبّاتُها وتحلُّ في الوجدانِ
راعيّتهم حتى غلت بأنهم	بلغوا أهدمّ على الأزماف
فجعلتَ أمرَ الناس شورى بينهم	وأقّتَ شرع الواحد الديانِ

ومخاطب العثمانيين قائلاً :

(١) راجع صفحة ٣٦ من كتاب « صفحات مطوية من تاريخ الحرية الاستقلالية في مصر » لمالي احمد لطفي السيد باشا . نشرته مجلة المقتطف سنة ١٩٤٦

يأيها الشعب الكريم تماصكوا وخذوا أموركم بغير تواني  
 ما لي أذكركم وتلك ربوعكم مرعى النمل ومنابت الشجعان  
 أدركتم الدستور غير ملوث بدم ولا متلغظاً بهوان  
 وبعد أن كان يهاجم خصوم هذا السلطان المناوئين لسياسته في القصيد التي هناها بها في  
 عيد جلوسه سنة ١٩٠١ فيقول :

فدنى لك يا عبد الحميد عصاة عصت أمر بارها وحزب مذبذب  
 ملكت عليهم كل فج ولجة فليس لهم في البر والبحر مهرب  
 تقاذفهم أيدي الليالي كأنهم بها مثل للناس في القوم يضرب  
 وكم سألوها ثم أذيا لك التي لها فوق أجرام السموات مسحب  
 فا بلغوا مؤلاً ولا بلغوا منى كذلك يشقى الخائن المتقلب

ماد يذكر الأحرار الذين ثاروا للدستور وطالبوا به ، وأجبروا بنورهم السلطان على  
 إعلانه فيحيي اليوم الذي هباً لهم العودة الى أوطانهم بعد أن فارقوها صاخطين ناقلين على  
 البغي والعدوان ، بقوله :

يا يوم عاد النازحون لأرضهم يتسابقون لرؤية الاوطان  
 للهكم أطفأت من نار ذكت دهرأ وكم هدأت من أشجان  
 هذا يطير الى ( فروق ) ومن بها شوقاً وذاك الى ربى ابنان  
 خلعوا الشباب على البشير وأخلةوا بالأمم عهد خليفة الرحمن  
 وتمافقوا بعد النوى كخائل يحلو بهم تماثق الاغصان

حين وصف المصابة التي كانت تتحكم في رقاب الناس بحيلة بالسلطان مؤلفة إياه على كل  
 حر أبي بهذه الأبيات :

وآى زمان المعتدين كما انطوت بحيل الشيوخ وإمرة الخصبان  
 لا الشك يذهب باليقين ولا الرؤى تجدي المني ، ولا رقى الشيطان  
 وُضع الكتاب وصبق جمعهم الى يوم الحساب وموقف الاذمان  
 وتومموم في القيود فقال هذا فلاف قد وشى بفلان

وملبَّبُ لفرجه ومطالبُ بدمٍ أريق بمسبح الحيتان  
قد جاء يومهم هنا ، وأمامهم بعد النفور هناك يومٌ ثاني  
سبحان من دان القضاء بأمره ليد الضعيف من القوي الجاني

وفي هذه الفرحة التي شارك بها حافظ العثمانيين وعبر فيها عن شعور المصريين إزاء إخوانهم في الدين وإزاء إخوانهم العرب الذين كانوا يدينون للسلطنة العثمانية بالحكم لا ينسى حافظ الأمل الذي كان يداعب نفوس المصريين في أن يعيد الخديو النظام النيابي اليهم والذي كان سبباً في مشاركة العثمانيين فرحتهم بإعلان دستورهم ، فهو بعد أن يذكر عرَضاً هذه الرغبة مبهمَةً في هذا البيت الذي يخاطب فيه الشعب العثماني :

وتذوقوا معنى الحياة فانها في مصر ألقاظٌ بغير معاني  
يعود فيردّد هذا المعنى بشيء من الوضوح وتجلى فيه طائفةٌ شرقيةٌ فهو لا يمتنى لوطنه وحده الحرية في ظل الدستور وإنما يمتناه لوطن شرقي آخر هو إيران الذي نقر الشاه من إقامة نظام دستوري فيه عندما عرض عليه جمال الدين الأفغاني ذلك ، فيقول :

خطرت فعمّطرت المفارق عندما هبت نسائهما من البلقاف  
يا ليتها خطرت بمصر وأشرقت في يوم أصعدها على طهران  
أضناها فوق قد ابيضت له كبداها وتصدّع القلبان  
عرف الوري ميقاتها فترقبوا (تموز) مثل ترقب الظهآن  
شهرٌ به بُعث الرجاء وأُشرفت أمٌ وبدّل خوفها بأمان  
ويزيد التعبير وضوحاً وهو يخاطب هذا الشهر الذي أعلنت فيه الحياة الدستورية لتلك  
السلطنة بقوله :

تموز ! أنت أبو الشهور جلالة تموز ! أنت منى الأسير العاني  
هلاً جعلت لنا نصيباً علّنا نجرى مع الأحياء في ميدان  
أيعود منك الآملون بما رجوا ونعود نحن بذلك الحرمان ؟  
تموز ! إن بنا اليك حاجة فتي الاوان ، وأنت خير أوان ؟  
ولقد كان حافظ في ذلك معبراً عما كان يخالج النفوس وقتذاك في مصر ، إذ كان المرحوم



محمد فريد بك الرئيس الثاني للحزب الوطني قد استهلّ رياسته لهذا الحزب بالدعوة الى إعادة الحياة النيابية الى البلاد ، وذلك قبل أن تعلن عودة الدستور العثماني بشهور . . . . . ويذكر الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك أن المرحوم فريد بك قد عمل على بعث حركة إجماعية من الأمة المطالبة بالدستور يتوجه بها الى الخديو ، وأعدّ الحزب الوطني عرائض لتقديمها اليه بطلب إنشاء المجلس النيابي ، وطبع الحزب عشرات الآلاف منها ووزعها على أعضائه وأنصاره والمصريين كافة في جميع الجهات للتوقيع عليها ، فأقبلت الأمة على هذا المشروع عن طيب خاطر إقبالاً إجماعياً . واستمر الحزب يجمع العرائض الى أن اكتمل لديه الفوج الأول منها وعليها ٤٥٠٠٠ توقيع ، ومن ثمّ قابل رئيس الحزب الخديو يوم السبت ٢٥ من ابريل سنة ١٩٠٨ وعرض عليه أمر هذه العرائض فطلب اليه تقديمها الى رئيس الديوان الخديوي فقدمها اليه <sup>(١)</sup> ثمّ شفّعها بفوج آخر .

\*\*\*

ويروي الأستاذ الرافعي بك انه على رغم ما أبدى الخديو من ارتياح في بداية الامر الى تقديم العرائض اليه فإنه قابل اتساع الحركة بانفتور ، ولم يلبث أن تغير موقفه حيالها ، ولعلّ السبب في هذا التحوّل ما أدركه من أنها أغضبت الاحتلال فتشكّر لها وبخاصة لتورّطه في السياسة المعروفة بسياسة الوفاق <sup>(٢)</sup> .

لذلك نرى عوقياً في قصيدته التي نظمها في هذه المناسبة ، وهي التي يقول في مطلعها :

بُشرى البريّة قاصيها ودانيها	حاط الخلالةً بالدستور حاميتها
لما رآها بلا رُكنٍ تداركها	بعد الخليفة بالشوري وناديتها
وبالأيّمين من قومٍ أماتهم	بعد الديار وأحيام تدانيها
حنّوا إليها كما حنّت لهم زمناً	وأوهك البين يلبهم ويبلبها
مفتّتين على الغبراء تحسبهم	رحالة البدو هاموا في فيافيها
لا يقرب اليأس في البأساء أنفسهم	والنفس إن قنطت قاليأس مردبها

(١) راجع كتاب « محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية » للرافعي بك ص ٥٨ و ٥٩

(٢) المرجع نفسه ص ٦٠

يمسُّ هذا الغرض مسًّا رفيقًا رفيقًا ، فهو حذرٌ في الإشارة إليه كحذره في رثاء مصطفى كامل على ما بيئنا من قبل <sup>(١)</sup> . وهو ما يكاد يمجّد القول قد جرّه الى ذكر الرغبة في إعادة الدستور في مصر حتى يختم القصيدة كما يتضح ذلك من هذه الأبيات الأربعة التي جعلها ختامها :

يا هعب عثمان من ترك ومن عرب  
حيّاك من يبعث الموتى ويُحييها  
صبرت للحق حين النفس جازعة  
واقه بالصبر عند الحق موصيها  
نلت الذي لم ينله بالقنا أحد  
فاهتف (لأنورها) واحداً (نيازيها)  
ما بين آمالك اللاتي ظفرت بها  
وبين مصر معانٍ أنت تدريها

فهو لم يكن في ذلك كما كان حافظ صريحاً مجاهراً بالدعوة لأن الخديو كان قد بدأ بفتر رأيه الأول ويتحول عنه . وهوقي بطبيعة صلته بالقصر مضطراً الى أن يصانع سياسته . وهذا الغموض الذي يقف عنده الباحث يستقصي أسبابه في هذا الموقف مجلوه كلمة كتبها الأستاذ أحمد لطفي السيد ، بك ( باها ) في العدد الصادر من الجريدة في ٢٦ من سبتمبر سنة ١٩٠٨ يرذّبها على حديث أدلى به هوقي الشاعر في هذا الشأن ، فقد قال :

« فهم الناس من حديث هوقي بك الشبهة بالرمي أن مابدين تعترف للانكليز على مصر بشيء من الحقوق أو على الأقل أن الانكليز قد أصبحوا شركاء لسمو الخديو في حق الحكم . في حين أن هوقي بك يقول في حديثه أن جلالة السلطان يعتبر أمر البرلمان المصري من الحقوق الخاصة بسمو الخديو . فكأن هوقي بك يريد أن يقول في معرض الاعتذار للمصريين عن الجناب العالي أو عن عدم استعداد ممموه الى منح الدستور أن الاحتلال الانكليزي الذي لم يبق لسمو الخديو سلطة فعلية ذات أثر حقيقي في حركة الحكومة والذي فصر ممموه على حيازة الحقوق الشرعية دون استعماها أن هذا الاحتلال أصبح شريكه في تلك الحقوق الشرعية أيضاً لأن منح الدستور هو تنازل من قبل الأمير عن بعض حقوقه الشرعية ، فاذا حلق ممموه هذا التنازل على رضى الانكليز كان معناها أنه معترف بأن للانكليز حقوقاً على مصر ، ... ثم يقول « غير أن هوقي بك ذلك الشاعر المطبوع القديم والسيامي الجديد أراد بحديثه صرف الأمة المصرية عن طلب حقوقها من الجناب العالي فوضع سبده

(١) راجع مقتطف ديسمبر الماضي صفحة ١١٤ و ١١٥

بهذه التصريحات في مركز كان مركز السكوت خيراً منه ، (١)

فهذه الخيوط هي التي توصلنا الى حل العقدة التي يقف عندها الباحث في غموض شوقي في الاشارة الى مطلب المصريين في إعادة الدستور والحياة النيابية في الوقت الذي تمكن حافظ فيه من التصريح بذلك والمجاهرة به في هذه المناسبة . بينما نراه بعد تسعة أشهر من ذلك يذكر هذا الهدف واضحاً ويشيد بالدستور وصيائمه المثلك ، وذلك في القصيدة التي تناول فيها موضوع خلع عبد الحميد وارتقاء أخيه السلطان محمد رشاد العرش حيث قال :

أُوذيت من دستورم وحسنت للحكم العسير  
ضنوا بضائع حقهم وضنت بالدنيا الغرور  
هلاً احتفظت به احتفا ظ مرحب فرح فرير  
هو حلية الملك الرشيد وعصمة الملك الفرير  
وبه يبارك في الممالك والملوك على الدهور

فهذا التغير والتبدل أتران من آثار سياسة القصر التي كانت تسيّر هاعرية شوقي في اتجاهاتها ولا تتركه مطلق العنان يجاري عاطفته فلا يكتبها ويجاري تيار الرأي في البلاد فلا يعبر عن هذا الرأي كما يحق له أن يعبر . فلما اتجهت سياسة القصر في مصر قبل خلع عبد الحميد في تركيا اتجاهاً غير الذي وقفت عنده إذ اعتزم الاحتلال ، تهدئةً لخواطر المصريين ، إدخال بعض تعديلات في النظم العنصرية التي كانت قائمة في البلاد عساها أن تقنع الأمة ونصرفها عن المطالبة بالدستور فتضعف الحركة الوطنية وتخبو نارها ، ومدرأمر في ٣٠ من يناير سنة ١٩٠٩ بتعيين الأمير (السلطان) حسين كامل رئيساً لمجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وافتتحت الجمعية العمومية في اليوم الأول من فبراير سنة ١٩٠٩ . . . (٢)

عند ذلك وجدنا للدستور وقيمته في صيانة المثلك أترأ واضحاً في شعر شوقي .

لقد دفعنا الى هذا الاستطراد التاريخي الغموض والحذر المهيمنان على قصيدة شوقي الأولى في هذه النقطة بالذات لنصل الى سرهما ونصل الى سر الصراحة التي تجلّت في قصيدته الثانية .

حسن كامل الصبر في

(١) صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية في مصر — ص ٦٧ و ٦٨

(٢) راجع في ذلك كتاب « محمد فريد » الأستاذ عبد الرحمن الرامي بك — ص ١١٤ و ١١٥

## ٣ - في التربية

### الحرية في المدرسة

امتازت المدرسة القديمة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) بالباط من شأن حرية الناشئ ، وفرض قيود ونواميس خارجية تسعى الى صبه في قالب خاص قسراً ، وتدربه على الخضوع باسم النظام . وكانت النتيجة ظهور فرد سلبى ضعيف الشخصية ، يؤمن بالعقاب ، ولا يرى للميول النفسية معنى بل بقايا الشر في ابن آدم .

وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر دعاة التربية الحديثة المنادون بالحرية في التربية ، ووجوب إطلاق الطفل من قيوده واعتبار حريته حقاً وهدفه له الطبيعة ، وإذا كان للتربية أن تساعد الطبيعة في عملها ، فعليها أن تجعل نظمها خاضعة لطبيعة الناشئ وميوله ومتفقه معها في أطوارها حسبما كشف علم النفس ، حتى تنمو شخصية الفرد نمواً مثاليًا منسجماً . فللناشئ طبيعة توجي له بالعمل ، وتعديل سلوكه في مراحل حياته ، وما على المربي إلا التوجيه والملاحظة مع أقل حد ممكن من التدخل . وإنما يؤدي اعتراضه سبيل الميول - فيما يرى منتسوري - إلى الكبت الذي إن أفاح مؤقتاً لوجود السلطة ، فهو سوف يحدث رد فعل فيما بعد . ويقول هكسلي ، بأنه ما دام المثل الأعلى للديموقراطية هو حرية الفرد ، فليتعلم الفرد حكم نفسه بنفسه ، وما العقاب والإرهاب إلا عقبة في سبيل الناشئ ، فهي لا تساعد على أداء عمل يعتقد بأنه نابع من ذات نفسه ، بل إن العقاب والإرهاب يحط من قيمة المعلم والمتعلم وليست الحرية تدليلاً وليناً وتساهلاً ، وإنما هي حق طبيعي لا يؤدي محاربتة إلا إلى الضرر .



وايس معنى الحرية الفوضى ، وإنما معناها إيجاد فرد حر الفكر قوي الشخصية . والنظام من طبيعة الأشياء ، وهو ضروري لكل فبراس بشري ، وانهم بحاجة إلى الأمن والطاقة لبننة والقوانين الأخلاقية والأدبية لأداء عمل من الأعمال ، كذلك الناشئ في المدرسة ، يستطيع

في ظل النظام أن يدرّب على التعاون والاصنقلال ، وتحمل المسؤولية والاعتماد على النفس وتكوين شخصية حرة في ظل نظام واحد ، وينصح أنصار الحرية ، كـتسوري ، بوجوب تدخل المرشدة إذا ظهر سلوك من طهل لا يرغب فيه ويؤذي المجتمع ، وإنما ينبغي أن يكون التدخل في أدنى صورة ممكنة .

وتستطيع المدرسة أن توفر الحرية لأبناء مجتمعها إذا صادها شعور الأسرة ، والضعف والتقدير بين أفرادها ، فيصير معلوها مرشدين ، وتوفر لأبنائها مجال العمل الفردي في إطار من تقاليد تشجع الميول وتكوّن الشخصية والارادة وترسم مثلاً عليا محببة ، فيعتنق الأبناء هذه المثل مؤمنين بأنها أقوى ما هم في حاجة إليه في حاضرهم ومستقبلهم . والمدرسة قلب المجتمع ، وهي الصلة بين الماضي والحاضر والمستقبل ، ومعبّر الناضجة إلى الحياة وميدان التكيف بالبيئة بصورة نقية مثالية .



ولا تكاد تنسح مراحل الدراسة في المدارس المصرية لأشباع ميول الناضجة وتقدير ما ينشدون من حرية . وتدل على ذلك الأرقام التي تنتهي إليها الامتحانات في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية ، ولا يقتصر السبب على تدخل السياسة في المدرسة ، وإنما تجرد السياسة طريقها إلى المدرسة خلال ضعف الوطنية في نفوس أبنائها ، وإنما يفهم الطالب في كل بلد متمدين معنى الوطنية الحقّة ، ويتشرّب مبادئها ويقدمها ويذل دماءه في سبيلها . بل تكن مواطن الداء فيما ينتاب المناهج والمواد المدرسية من جود يدعي البعض أنه محافظة ، وما المحافظة إلاّ الأبقاء على قديم صالح . وإنما يحشو الطالب ذهنه بمعلومات لا تتصل بمحاجاته النفسية ، ولا بأهداف الحياة العملية ، ولا توحى له بفائدة ، ولا تفتح له باب الرغبة للاستزادة . وقد ساعدت نظم الامتحانات العامة وامتحانات النقل على الانحراف عن الدراسة ، فامتحانات الفترات في المدرسة الثانوية شكلية ، ولا دخل لها في نجاح الطالب أو رسوبه ، وإنما يستذكر دروسه شهراً في نهاية العام فينجح أو يرسب ، ويضيع معظم أوقات العام في السياسة أو فيما هو شرٌّ منها .

ولا يلقي الطالب من مدرسته عطفاً وتشجيعاً يشعره بأنه فرد في أمة ، بل تخضع المدرسة ذاتها لنظام مركزي يخضعها سياسة عليا ، تقبّس نجاح ادارتها بدي ما لها على طلابها من سيطرة واستبداد في أغلب الأحوال . فلا تجد المدرسة بدورها من ميل إلى ذلك إلاّ استعمال وسائل العقاب ، ويقوم المنقش بدور المنفذ لتعاليم دأبا ، ويغيث بدكرات

التفتيش أكثر مما يعنى بما على هوامش التربية الحديثة من قيم مصاحبة أبداً أثراً وأكثر نفعاً للناس في الحياة .

وإنما علاج هذه العيوب هو إعادة النظر في البرامج المدرسية إعداداً حديثاً يبنى على أسس نفسية حديثة ، تهدف الى خلق مواطن مستنير ، فتتظم البرامج في شعبها المختلفة بحيث تجنب عن الشكليات إلى مواطن الجمال اللفظي والمعنوي في الآداب ، وإلى تفهم مظاهر الكون البشرية والحيوانية والمعدنية بحيث يكون الانسان محوراً جميعاً في العلوم ، وإلى تفسير البيئة المحلية كحجر للعالم في الاجتماعيات ، وإلى التثرب بمبادئ الانسانية والاخلاق والدين في الوطنية ، تبعاً لما تقتضيه مكانة مصر في العالم اليوم ، وتبعاً لمرافقتها الماضية . ولا يتأتى ذلك إلا بإعداد جديد للبرامج بحيث تنسق في مراحل التعليم الابتدائية والثانوية والجامعية ، فتزول من بينها ما نراه اليوم من ثغرات .

ومن الخير للمدرسة أن تمنح حرية في العمل ، حتى يستطيع رئيس المدرسة أن يكون رأس الأسرة في مدرسته ، ويديرها مع أساتذتها بما يحقق خلق أسس وتقاليده متينة قوية للأجيال القادمة فيها . وربما كان من الأجدى لنظم الامتحانات اعتبار امتحان نصف في العام مساوياً لامتحان آخر العام ، واعتبار متوسط العمل الدراسي في نصف العام مكملاً لها ، وتقرير نجاح الطالب ورسوبه تبعاً لمتوسط الرباعي ، فذلك أدعى الى تدعيم الصلة المدرسية بين الطلاب والأساتذة ، ومشجعاً للطلاب على العناية بدور العلم . وقد رأينا كل هذه النظم ناجحة في البلاد الأخرى .

وكم اهتزت نفوسنا حين رأينا تلاميذ المدرسة ملتفين حول علمهم في الصباح ، يمشون نشيدهم الوطني ويرتلونه أو يسمعون مرة أو مرتين في الأسبوع ، ورئيس المدرسة يوجه إليهم كلمة حارة في قيمة هذا العلم الذي تسيل في صلبه الدماء وتفقد فيه النفوس .

وما تلك بكل العمل ولا أنواع العلاج التي توفر لابنائنا مجالاً حراً في المدرسة ، وترغبهم فيها وتشعرهم بحاجتهم إليها ، وفقنا الله لعلاج مشاكلنا والارتقاء ببلدنا حتى ننشأ مكانه العريق .

محمد هاجر سوكوت

جاء - سوريا

## مشهد من مسرحية كليوباترا<sup>(١)</sup>

للشاعر محمد فراهي

المنظر نفس المنظر السابق « بمدد مقتطف ديسمير » البهو الكبير بقصر  
الملكة كليوباترة والوصيفات والراقصات والمذنون — والملكة وأنطونيوس في  
موقف لقاء غرامي : يقول وقد طوقها بذراعيه :  
... فليكتروا ... ها أنت أنت حياتي ..

يدخل هاب من حجاب القصر مسرعاً :

أيا مولاي !!

أنطونيوس يلتفت إليه باسماً :

لا مولى هنا اليوم سوى الحسن-

أنا الليلة عبد التيه والآخر والغن !

الحاجب بلهفة : رسولٌ جاء من روما عجولٌ غير مُستأن

أنطونيوس بضرع : غداً نلقاه :

كليوباترة : بل مهلاً ألا قالني الرسولا

فا يدريك ما يجري بروما ثم أوقيلاً ...

أنطونيوس : دعيني ... لا أباليهم وهاتي الراح تقبيلاً

( يقبل يدها في حنان )

وراحاً ملء جفنيك ساحسو فعل مشتاق

وراحاً في ثناياك ستشفي نار خفاتي ...

(موسيقى .. كليوباترا تتخلص منه

برفق وتتجه لتجلس على العرش

وهي تناجي نفسها )

(١) وقع تحريف في اسم أنطونيوس في السطر الثاني من شعر المدد الماضي والصحيح

« أنطوني » مراعاة للوزن

كليوباترة : قلبي... أحسن مُنْجِئِي وقع اقتراب الخطر  
فرط السرور يقتضي حتماً قصاص القدر

تجلس هي وأنطونيو وينثر باقي  
القواد والوصيفات هنا وهناك  
( موصيقى مستمرة )

كليوباترة : هيلاني !

هيلانة :

ملكيتي :

كليوباترة :

إدعي رئيس الخدم  
مريه يحضر الليلة مشتهة النعم  
من خمرة قد خُتِّمَتْ وأرج لم يُخْتَمِ  
وأكؤس ذريعة الراح فيها يرني  
منسكباً مشعشعاً كنسيرات الأنجم  
ومن عواء طعمه لذة ريق النهم  
ومن حلوى ومأكل ومسكرات النغم  
ولنحبيها وليمة ما خمرت في حُلُمِ  
لم يُحْثِها كسرى ولا فرعون رب العلم  
أنطونيو بجاني ؟ إيزيس... يا لالكرم !  
هيلانة بامحة : قرب المحب نعمة ملكيتي..

هيا امرعي !

كليوباترة بغضب :

( تذهب هيلانة مصرعة )

كليوباترة لأنطونيو بابتسام :

هيلانة وصيفتي مفرمة... لا تدعي

( يتضحكان ويستمرضان الرقص )

( في الجانب الآخر من المسرح قائدان رومانيان يتحادثان )



القائد الأول : أنتظرُ تلكم الأفعى ؟ سقته السم قتالا  
وها أمتى وفاء الابن للأم وقد حالا  
لقد كانت إذا ذكرت تُزلزل فيه زلزالا  
فببدر العدا لينا مضى يزو ورببالا  
ويلقى الموت وثابا وبغشى الروح أهوالا  
فدى روما.... إذا نادى فكم قد راع ابطلا

الثاني بحق : وهذي الآن قد ذكرت فا ألقى لها بالا  
لقد عق ... بحق الرب خان العهد ...  
الأول :

أرى الجبار مسحورا ونقت الحسن كالسحر  
أما تلقاه من وله يسوق القول لا يدري ...  
فذكر الحرب يفضبه وذكر اللهو لا يزري ؟

أنطونيو لرئيس الجوقة :

أيها العزاف أممنا فما يهيجك يهيجنا  
وأترعها من الأنعام ترجيعا لبالينا  
ومما يُبدع الغادات إذ رحن يثبينا  
هنا الفردوس رفاقا تراءى بين أيدينا  
وهذي نفحة النجوى وقد باتت توافينا  
سرت ربنا لروحين على علما نحافينا  
رحيقا من جن الحسن من الأرباب يدنينا  
فهاهى الحسن أنعاما مشمعة أفانينا  
نذوب الآن تحنافا وفي الهيجا مجانينا ...

[ يتبع ]

# بَابُ الْمُرْسَلَةِ وَالْمُنَاطَةِ

رد على رد

الاستاذ رشيد السعد

كان الافضل أن يكون الفاهد القرآني قاطعاً جهيزة كل قائل — لاصياً وقد جرى مع الصحيح السليم من قواعد اللغة العربية ومذهب فصحاء العرب .

وكان الافضل كذلك ألا يعقب معقب على كلام الله « سبحانه وتعالى » — خصوصاً إذا كان صريحاً في التبيان ونعياً في البرهان، فكل محاولة بعد هذا مزاولة قليلة الجدوى فيما نحن بسبيله من بيان .

ولقد كان الاجدر بالاستاذ رشيد السعد أن يكون له من توضيحنا مقنع فيؤوب الى الحق بعد ما تبين له ، ويرجع الى الصواب فيما عذب عليه من إعراب .

فقد ظهر لنا أنه بعيد جداً عن الموضوع الذي أوضحنه بكمثنا السابقة في عدد يوليه سنة ١٩٤٧ من المقتطف — وإلا فامعنى إfachame تاريخ القرآن الكريم واستنتاجه منه نتيجة تضحك منها مقدماتها ، ونقله الموضوع من قاعدة الى قاعدة لاداعية لها ، ولا طائل تحتها —

فالموضوع الذي ينعقد عليه البحث بيننا . واضح لا يحتاج الى تأويل ، وسهل لا يحتاج الى البسط والتطويل، وصريح فصيح ، لولا أنه أراد أن يبدلنا ذا علة بصحيح ، حيث أخذ على الشاعر قوله في « برلمان الطبيعة » .

لقد رشحت يا أفق السحابا وقد أجرت رياحك الانتخابا

وزعم أنه عمر القراءة الصحيحة المستقيمة الجرس ، ورأى أن الأولى به أن يقول :

لقد رشحت يا أفق السحابا وقد أجرت رياحك إنتخابا

بقطع همزة الوصل بعد الـ « التعريف » كذهبه الجديد في اللغة ، فأوضحنا له أن الشاعر جرى مع اللغة النصيحة من وجوب إسقاط همزة الوصل في درج الكلام ، وأنه ليس ثمة داعٍ لتحقيقها ، ولا ضرورة - نحوية أو عروضية - لاثباتها ، ولا ذوقية ولا بيانية كذلك ، وأوردنا شاهداً لصدق ما ذهبنا إليه . قول الله تعالى « بمئس الاسم الفسوق بعد الايمان » فلما سطعت منه البينة جاء مجادلنا فيه ويقول إنه دقق هذه الآية في سورة « الممتحنة » فوجدها مثبتة بالهمزة بعد الـ « التعريف » ، ولا أدري - شهد الله - كيف دققها في سورة الممتحنة وهي ليست من آياتها - وهي كذلك لا ثانية لها من لفظها في القرآن الكريم كله من « الفاتحة الى الناس » .

\*\*\*

على أن العبرة في القرآن بالقراءة لا الرسم ، وما إن ممعنا ولا رأينا من القراء ( حتى الشواذ ) من قرأها أو رسمها كما دققها هو في سورة الممتحنة ١١١  
ولستطرد فنقول . إننا دققنا أسماء السور « الشرح (الانشراح) . الانقطار . الاندقاق » في طبعات مختلفات من المصاحف ، فما وجدنا فيها ما زعمه من إثبات الهمزة بعد الـ « التعريف » .

فيا أخانا : نأمل أن تعيد النظر في الآية الكريمة وهي الحادية عشرة من سورة « الحجرات » وليست « الممتحنة » ؟

وعسى ألا يكون موقفك منا موقف العربي الذي قرأ قول الله تعالى « قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الأرض . فقيل له : أخطأت ، فقال : في صدور السماء ، فقيل له : أخطأت ، فقال يا ويلكم إذا كان لا يوسوس في صدور الأرض ولا في صدور السماء فأين يوسوس ؟  
وتعجبه هذا لا ينبغي أن « الوسواس الخناس يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » - وصدق الله العظيم .

محمد نصاري عمار

طنطا

شاعر الوادي

## حاجتنا

الى منطق علمي مركز

قرأت في العدد الغائب من المقتطف - نوفمبر - مقالاً للصديق الأستاذ فؤاد جيمان  
يرد به على مقالتي « النظائر وكيمياء النواة ». وقد أدهشني أن يكون معظمه لا يمت لبخني  
بصلة دانية ، ذلك لأنه أسهب في الشرح عن تركيب النواة وكيفية صنع القنبلة الذرية  
وعن التغييرات التي تحدث للنواة عند تسديد القذائف اليها الذرية الذي لم يكن في صميم  
الموضوع . لأنني لم أقصد من مقالي شرح نظرية النظائر ولا الدخول في تفصيلات التغييرات  
التي تطرأ على النواة عند صنع القنبلة الذرية من الاورانيوم كما تصور ذلك ، ولكنني قصدت  
شيئاً غير ذلك بالكلية لا أدري كيف غاب عن بال حضرة . انني قصدت أن أبين بوضوح  
تام لا لبس فيه بأن الأفعال الكيميائية في النوى هي من اختصاص علم الكيمياء لا الطبيعة .  
هذا هو المركز الذي دار عليه بحثي ، والحقائق الأخرى التي جاءت في معرض المقال كانت  
بالقدر الذي يلزم للتدليل والبرهنة لا للاسهاب والتفصيل .

فأنت ترى بأنه لم يكن هدفي الخوض في تفصيلات وبحوث طرقت مراراً وتكراراً ،  
واسكنني أردت شيئاً أبعد من ذلك وأعمق ، وهو أن أطالع بل أنقد نظريات علمية بمرتبة  
النواميس ، وفات الأستاذ أن الأقوال التي يتسلح بها هي إياها التي أردت نقدها كما هو واضح  
من مقالي السابق . ولقد أحسن صنعاً إذ أجل قوله في ثلاث فقرات لولاها لما أدركت  
بالأكد ما هو قصده الأساسي من مقاله ، أهو كيف تصنع القنبلة الذرية من الاورانيوم  
وكيف تفجر ، أم كيف تبني نواة الذرة ، أم ما هي التحولات التي تصاحب نواة الذرة عند  
إطلاق النيوترون عليها ، أم الرد على مقالتي التي لا علاقة لجوهرها بعظم هذا .

والآن نأخذ تلك الفقرات وهي خلاصة قوله كما صرح وتخصصها على ضوء الواقع وهي :  
(١) قال الأستاذ في الفقرة الأولى ما نعه بالحرف الواحد . « تختلف النظائر باختلاف  
عدد النيوترونات التي في نواتها » اه .

والجواب على ذلك أنني لم أقل عكس ذلك ، بل لم أتعرض لأنواع الدقائق التي تتركب منها  
النواة ، وإنما كان بحثي مركزاً في تباين وحدات الوزن الذري في النظائر ما دام وزن  
البروتون والنيوترون واحداً في النواة .

(٢) وأما الفقرة الثانية فهذا نصها : « لا يوجد كيمياء ذرة وكيمياء نواة فالكيمياء

نخص حقل الذرة الخارجي بينما الطبيعة تخص مركبات النواة « اه  
ان الأستاذ هنا لمي أنني لم أفنع بهذا القول الذي كنت أنا صاحبه الأول ، وإنني  
نمرضت له وللرد عليه اذ قلت في مقالتي السابق ما نصه بالحرف الواحد :

« وربّ معترض يقول بأنّ الأفعال الكيميائية في النوى هي من اختصاص علم  
الطبيعة لا الكيمياء لأنّ الكيمياء خصصت نوازلها بالانطباق على الذرات كوحدات  
مستقلة ولا علاقة لها بالنوى ، ولأنّ النظريات الحديثة التي تتعلق بالاشعاع وتركيب الذرة  
وتفكيكها وشحنها هي نظريات طبيعية تختص ببحث القوى في النواة ولا دلالة لها  
بالكيمياء . فنقول له : إن هذا لا يمنع بأن تكون التفاعلات النووية أفعالا كيميائية ما دام  
تعريف الفعل الكيميائي ينطبق عليها ، ولو اختص علم الطبيعة بمعالجتها فكما أن بعض  
البحوث الطبيعية لا يخرج عن دائرة الطبيعيات ولو احتضنتها الرياضة العالية ، كذلك  
الأفعال الكيميائية وكل ما يتصل بهذا البحث من قريب أو بعيد هو ضمن دائرة الكيمياء  
وتحت كنفها ، ولا عبرة للآلات الطبيعية التي تكشف لنا كل يوم عن أسرار جديدة وتذال  
ما استعصى علينا فهمه في كثير من الحالات الكيميائية المستغلفة ، فهذه الأدوات الطبيعية  
إياها هي التي يستعملها العلماء الآن في كافة القضايا العالمية تقريباً ، وعلى الأخص البحوث  
الفلكية والبيولوجية ... الخ »

فن هذا يتضح بأنّ فقرة الأستاذ الثانية كانت تردداً لسؤال دون التعرض لمناقشة  
إجابتي عليه في صلب مقاله . فاعتراضه هذا كان اعتراضاً في الأصل في مجال التساؤل . وأمانة  
النقل تقضي عليه بأن ينوّه بذلك . ولو أدرك حضرته القصد البعيد الذي رميت إليه وهو  
أنني أنكر على علم الطبيعة أن تكون الأفعال الكيميائية في النوى من اختصاصه ما دام  
تعريف الفعل الكيميائي ينطبق عليها ، أقول لو أدرك ذلك وكان المنطق العلمي المراكز رائده ،  
لناش براهيني التي أدليت بها لتأييد ذلك الاعتقاد ان كان ذلك في مستطاعه ، ولتفكر طويلاً  
قبل أن يورد في سياق بحثه ذلك البرهان الذي اعتمد عليه في تأييد صحة تلك الفقرة وهو  
قوله « إن تفاعلات النوى من اختصاص علم الطبيعة لأن الجسيمات التي تتركب منها يمرى  
عليها قانون كقانون الجاذبية » .

انني لا أدري كيف وقع الأستاذ في هذه المفرة ، وكيف خص النواة بالجذب  
والتجاذب دون الالكترونات ؟ لقد نمتي أن قانون التجاذب ينطبق على كل مادة أو  
مجموعة من المادة في الكون . وبما أن الالكترونات جسيمات مادية مكهربة ، فقانون الجذب  
يسري عليها أيضاً مبرانه على النوى ، ولو أن للنواة قانوناً خاصاً غير اقانون

النيوتوني . وما دام الأمر كذلك ، لوجب — على رأيه — أن تختص الطبيعة لا الكيمياء بالفعل الكيميائي في الالكترونات وهذا مستحيل . وهكذا يتضح لنا بأن هذا البرهان الذي اتخذته للتدليل على أن تفاعلات النوى من اختصاص علم الطبيعة لأن الجسيمات المركبة فيها تخضع لقانون تجاذب ، باطل وبعيد عن المنطق العلمي .

(٣) وهذه هي الفقرة الثالثة . « إن استخراج الطاقة الذرية الكامنة في نظائر الاورانيوم ممكن على شرط أن تستعمل فذائف من النيوترونات بسرعات متفاوتة حسب استقرار نواة العنصر أو النظير . فثلاً نحتاج الى نيوترونات ذات سرعة فائقة للحصول على الطاقة الكامنة في النظير ٢٣٨ بينما نحتاج الى نيوترونات بطيئة في حالة النظير ٢٣٥ نظراً لعدم استقرار نواته فاذا دخل البروتون الى النواة هبطها وخرجت طاقتها » . آه

ان من يقرأ هذه الفقرة يظن بأنني أهك في انطلاق الطاقة الكامنة من جميع نظائر الاورانيوم مع انني لم أتعرض الى ذلك مطلقاً . وإنما الذي جاء في مقالي هو : « ان النتائج التي حصل عليها العلماء من تفاعل نواة الاورانيوم رقم ٢٣٥ لم تتفق مع النتائج الحاصلة في النوعين الآخرين ، أي أن مقدار الطاقة المنطلقة من الاورانيوم ٢٣٥ لم تكن بذات المقدار المنطلق من رقي ٢٣٤ و ٢٣٨ مع أن لتلك النظائر الثلاثة رقاً ذرياً واحداً وطيفاً واحداً ونشاطاً اشعاعياً واحداً » . ولو أنعم الأستاذ النظر أيضاً في ذلك من أول الأمر لأدرك ان المقصود هو التباين في مقادير الطاقة المنطلقة من كل من نظائر الاورانيوم وليس امكان انطلاق الطاقة من للنظير ٢٣٥ دون سواه . وأظن بأنه بعد ما يعيد النظر في ذلك يعود قيوافق بأن مقادير الطاقة ليست واحدة في تلك الاشياء الثلاثة بالضمط .

والحقيقة التي أود أن يدركها حضرة الامتاذ والقراء الكرام هي انني لم أحاول في مقالي السابق أن أبسط أقوال العلماء في النظائر والطاقة الذرية أو أن استفيض في شرحها وتفصيلاتها ليأخذوا علي عدم الاسهاب وعدم الاحاطة التامة في بعض فروع البحث ، ولكنني حاولت عيئاً بكرة هائلكا هو أعمق من ذلك وأدق وهو الشك في صحة أقوال أولئك العلماء ونظرياتهم العلمية بعد أن برهنت بالأدلة بأن تفاعلات النوى هي أفعال كيميائية تستأثر بقسم الذرة الداخلي كما تستأثر الكيمياء بالقسم الخارجي منها . فمن أراد أن يناقشني أو ينقد أدلتي فساكون له شاكرآ اذا طالع صميم الموضوع وبرهن بأدلة قاطعة على أن تفاعلات النوى ليست أفعالاً كيميائية . وبذلك فقط يمكن دحض براهيني التي عززت بها قولي بأن الأفعال الكيميائية في النوى هي من اختصاص الكيمياء لا الطبيعة .

# بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

## معجزات طاقة الصوت

« تستأصل الحشرات الزراعية وتبيد سوس الفمخ والجرائم وغيرها وتمزج الزيوت بالمياه وعناصر الادوية بعضها بيض . وتقتلع الدباب وتحوله مطراً . وترشد الصيادين إلى مظان السمك . وتدل على مكانم النواصات . وتقتل الارانب والكلاب على بعد ٦٠ قدماً . ثم تطارد الطيور غير المرغوب فيها . »

كثبت في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٣٤ مقالا على أحدث معجزات الصوت ، تضمن خلاصة ما بليت حينئذ مباحث العلماء بشأنه — ثم جاءتنا حديثاً المصادر العلمية بالتفصيلات الآتية وهي أروع معجزات استخدام طاقة الصوت في زماني الحرب والسلام :

فينقذ بذلك الطيارين ، من الارتباك الذي يعترضهم عندما تتعذر عليهم الرؤية أو يستحيل عليهم الاهتداء الى مهابط طائراتهم التي ينشدونها ، فينجون من الأخطار والمقصود بهذه الاصوات ، الأمواج الصوتية التي تفوق ما يستطيع الجنس البشري سماعه . لأنها تمثذب في الثانية الواحدة ذبذبات مريعة جداً تتفاوت بين عشرين ألفاً ومائة ألف ذبذبة . وأغرب من هذا كونها تتوغل في الهواء ، وتتغلغل في الماء ، كما تنفذ في المعادن والأرض والصخر بلا توان .

وتتولد الأمواج الصوتية السريعة التذبذب ، الشديدة الضغط الكهربائي ، من جهاز كهربائي مولدها ، ينتج تياراً كهربائياً شديداً الضغط ، فيطلقه في أداة من البلور الصخري فتتذبذب ذبذبات بنسبة محدودة . وتنشأ الموجات الصوتية أيضاً من أي شيء

من أطرف أنباء الدوائر العلمية التي وافتنا بها حديثاً المجلات الأمريكية ، اعتقاد العلماء أن أغرب الوسائل العلمية وأحدثها هو الصوت غير المسموع . وكيف ذلك ؟ هذا ما سنصفه في هذه المقالة :

يخترق الصوت غير المسموع ألواح الصفيح ، بله الفولاذ . ثم إنه يطهر الأغذية الفسجة مما يهوبها من الجرائم ، ويصونها من الفساد العميم ، دون إفساد الطعم والديم وإنه يبيد الحشرات ويهلك الهوام فلا يبعد إذن جعله للزراع صلاحاً جديداً ماضياً لقتل آفات المزروعات ، وصير ورتة لدخان المصانع والأفران وقتلها خير مكافح لا نقاذ السكان من أضرارها والأدران . فسيصبح إذن خير الوسائل العملية لتنظيف المدائن والمغاني . ويتميز أيضاً بكونه ذريعة لتحويل ما قد يخيم عليهما من الضباب ، مطراً مدراراً (١)

(١) روت الجرائد الهلية في ٥ مايو سنة ١٩٤٧ أنه كان بين الفائزين بالمحصل على جوائز الملك نؤاد الاول العلمية الدكتور محمد جمال الدين الفندي المدرس بكلية العلوم في جامعة طرووق الاول بلاسكندرية وقد تقرر إيفاده الى أمريكا لدراسة المطر الصناعي والكهرباء الجوية

متذبذب، سواء أكان وترًا من أوتار الصوت أم وتر كمنجعة . أم طبلية مجهار الصوت في الأجهزة اللاسلكية . ومن الميسور للناس مسمع الموجات الصوتية متى كانت ذبذباتها في الثانية تتراوح بين ٢٠ مرة و ٢٠٠٠٠ مرة . أما إذا زادت على ذلك ، فلا يتاح لهم الشعور بها . وهذه هي موضوع بحثنا هنا .

فلو جئنا بقرص صغير من البلور الصغري وجعلناه مثلاً يتذبذب مليون مرة في الثانية ، لحدثت أحداث غريبة جداً إذ تنولد منه طاقة كالسحر . وهذه هي النتيجة المعجبية التي شرعت في دراستها طائفة من أرباب الصناعات المختلفة . وهي صناعة الطعام وصناعة الفولاذ ، ثم الدهانات والصبغة والألبان والنقل والطيران ، دراسة يهدفون بها إلى الاستفادة منها في ترقية منتجاتهم وتحسين أحوالها .

وعدا ذلك فإن زراع التبغ « الدخان » قد أخذوا في تجربة هذه الأمواج غير المسموعة . وذلك لاستئصال شأفة الحشرات التي تسطو على مزارعهم حيث تفسد التبغ في إبان تجفيفه . وستجربها أيضاً مطاحن الحبوب لتهلك بها حوس القمح ، وكذا الجراثيم التي تنضج أحياناً في الدقيق عقب تحضيره . وحذا حذوم في عملهم ذلك منتجو عصير العنب والأنبذة فأخذوا يحربون آلات

الأمواج الصوتية في قتل البكتريا التي توجد في الحامض الخليك . وقد حفزهم على ذلك كون الموجات الصوتية تقتل الجراثيم ، وذلك بتوليدها فقاظات هوائية دقيقة جداً في خلية الميكروب فتمزقها . وهذا هو مذهب ه . د . فون جنيف H. D. Von Jenei كبير مهندسي شركة منتجات تليفيزو في شيكاغو وهو المشرف على المباحث الخاصة بالأصوات غير المسموعة التي تسترشد بها شركته في صنع الأجهزة المولدة للموجات الصوتية غير المسموعة السريعة التذبذب الشديدة الضغط ، وإليه يُعزى التصريح الذي خفاه « إن » الفوائد التي يحتمل أن يجنيها الناس من الأجهزة المشار إليها قد لا تحد ، وحسبه نقرأ كونه ناقض المبدأ الثابت العميق وهو « استحالة امتزاج الزيت بالماء » فأثبت أن هذا أمر ميسور عن طريق الجهاز الذي تقدم وصفه . على أن تكون الموجات التي يتوصل بها إلى إتمام تلك الغاية ، كثيفة . فيظل الزيت متمزجاً دائماً ، وهذه الوتيرة يتاح رج الزئبق بالماء ثم البرافين بالماء <sup>(١)</sup> .

وعلى هذا المنوال قد عبّد السبيل وصيقتح للباحثين ليقوموا بمزج المواد التي لم يحتمل مزجها أمراً في عصور التاريخ طراً ، لينتفعوا بها منافع هائلة . ولنضرب لك الأمثلة الآتية وهي : — إذا أطلقت

(١) البرافين هو الكيروسين اللطيف الذي لا طعم له ولا رائحة . ويتمل دواء ملينا . ويستخرج ألباً من الحنّس



مستحلباً قفدي اللون يمكن حقن المريض به تحت جلده وذلك بإبر دقيقة. وقد كانت هذه الطريقة محسوبة من الطرق المستحيلة، كما يقول فون جنيف.

وظفت مصانع منتجات الألبان في أمريكا تجرب تعقيم اللبن في درجة حرارة منخفضة بهذه الطريقة.

وتحقق الآن مصلحة المناجم في حكومة الولايات المتحدة الأمريكية موضوع الاستعانة بالأجهزة المولدة للأصوات غير المسموعة، لقشع الدخان المسبب للقتام من المصانع والمساكن. وغوى هذه الطريقة أن الموجات الصوتية عندما تنطلق في عمود من الدخان تجمل جزئيات الوسخ تحتشد بعضها مع بعض ثم تسقط إلى قعر المدخنة. ويسوغ تزويد الموائء الجوية بالأجهزة المذكورة آنفاً لتبديد الضباب. وقد استخدمت هذه الأجهزة في المحطة الاختبارية للاسعاف الجوي البحري في مدينة أركاتا بكليفورنيا، قصد جعل الموجات الصوتية تحول الضباب مطراً. فانتشع من ميدان الطيران انقشاعاً تاماً، كان من شأنه هبوط الطائرات فيه آمنة مطمئنة. وأضحت شركات صنع الفولاذ والمطاط «الكاونفوك» تستكشف بأجهزة الأصوات غير المسموعة، صلاحية منتجاتها. وغرضها من ذلك تمييز غشها من صميمها. ومدار طريقتهما

الموجات الصوتية غير المسموعة، على المستحلب الفوتوغرافي، زادت قوته الخاصة بإنتاج صورة جلية جامعة للدقائق المرئية. ثم إنها تقوي إحساسه وثباته، وربما تصبح الموجات الصوتية غير المسموعة، الذريعة المشدودة من حقب مديدة لتيسير امتزاج عناصر «البوية» الزيتية بعضها ببعض. وفي هذا الصدد يقول فون جنيف «لا يبعد أن يبتل استعمال البطاقات التي يلصقها الصيادلة على فوارير الأدوية المزعم تناوُلها، وهي التي تنبه المريض إلى رج الزجاجة جيداً قبل شرب دوائه منها» أو تقوم آلة توليد الموجات الصوتية غير المسموعة، بتحريك الدواء المقصود تناوُلَه تحريكاً شديداً لتبقى عناصره بعدئذٍ متمزجة دائماً بعضها ببعض. وكذلك تعمل هاتيك الآلات على تعجيل إنتاج الأمصال. فإذا عولج سائل من السوائل التي تربى فيها الميكروبات، وذلك بالموجات الصوتية غير المسموعة، فتنخفض بمخضة ثم رشح، أهلكت البكتيريا التي تدويه، وتولدت فيه أجسام دافعة أو مقاومة للميكروبات هي الأمصال<sup>(١)</sup>

ثم إن هذه الآلات تحسن طرق العلاج بعقار السلفانيازول إذ تقوم بتهديم بلوراته الخشنة، وذلك بالذبذبات الصوتية فتوضع هذه البلورات في محلول ملحي لتكوّن

(١) عند ما تدخل أية مادة غريبة أو جرثومة في الدورة الدموية، يقوم الجسم بوضع بروتين مخصوص هو الذي يطلق عليه اسم مقاوم الميكروب أو دافعه، وهو يتميز بكونه يشترك بال مادة الثرية وهذه الوسيلة يحول دون قيام ذلك الدخيل بأحداث نتائج مدمرة بالجسم البشري

أعندها بندقية للامواج الصوتية لقتل الطيور  
اللعينة التي تسطو على ثمار إستانه؟ وما لاعتك  
فيه أن الآجهزة المولدة للوجات الصوتية  
غير المسموعة، مستقبلاً عظيماً حافلاً بمنافع  
شتى، تحذو العداء على الاعتراف بأن فعلها  
بعيد، وأن نجاحها أكيد. وما يجدر ذكره  
في هذا الصدد أن فون جنيف نفسه قد سخر  
طاقة الأصوات غير المسموعة، على صيبل  
التجربة، في إدارة منقب من المناقب التي  
تستعمل في جراحة الاسنان. فأسفرت تجربته  
عن تخفيف أغلب الألم الذي يتجسده المريض  
حينئذ. وفي هذا الشأن يقول جنيف إن  
المنقب ذا الصوت غير المسموع لا يدور  
في ضرس المريض، كما تدور المناقب المألوفة  
بل هو يلطم الضرس ويتحرك اقبالاً وادباراً  
حركة سريعة تتولد منها حرارة تسبب الألم  
ضئلاً جداً في الضرس المززع علاجه، ثم  
ختم كلامه قائلاً: «وفي وصعنا أن نخترع  
بندقية تستطيع إطلاق ( أشعة الموت ) لتقتل  
أرنباً أو كلباً على بعد ٦٠ قدماً من يطلقها».

\*\*\*

ومن محاسن المصادفات أنني اطلمت  
حديثاً في أحد المراجع العلمية على وصف  
الغدارة التي اخترعت لذلك القصد فرأيت  
إيراده فيما يلي :

اخترعت في أمريكا غدارة صوتية تثل  
المصاب وتقتله. وهي ذات صوت غير  
مسموع، وتستطيع قتل كلب على بعد ٦٠

أن أية آداة من مصنوطاتها إما تلتصق هاتيك  
الموجات الصوتية وإما تنبذها فيستدل في كل  
حالة، إما على صلابتها وإما على نشفقتها أو نخبها  
أو ماغها كله من العيوب أو المميزات .

وتصنع شركة بندكس الأمريكية للطيران  
أجهزة تولد أصواتاً غير مسموعة، بغية قياس  
الأمحاق وتسجيلها ليستعين بها صيادو السمك  
التجاربيون، على الاهتمام الى أعراب السمك  
والاسترخاد الى المواضع العميقة الخطرة في  
الملاحة، كما بادرت وزارة البحرية الأمريكية  
في خلال الحرب الماضية، الى تزويد بوارجها  
وسفنها وغواصاتها بأجهزة (الصونار) ذات  
الأصوات غير المسموعة، قصد الاستدلال  
بها على مواضع سفن الأعداء . وتصنع  
مولدات الأصوات غير المسموعة على نموذجين  
أولهما : لأعمال المباحث، وثانيهما : للأعمال  
الخاصة بتعقيم الأغذية ووج عناصر الادوية  
المركبة بعضها ببعض . فلا غرو إذن في  
الاقبال على هذه الأجهزة العجيبة التي ووردت  
على مصانعها الطلبات تترى حتى غمرتها  
مطلب طريفة . ومنها أن الشركة التي تصنعها  
وهي المصانة تليفيزيو، تلقت كتاباً من  
موظف كبير بمدينة شيكاغو، مستعجلاً، هل  
يمكن صنع آلة لتوليد الامواج الصوتية  
لتنفضي على الحمام الذي يحط على عتبات نوافذ  
مسكنه؟ وكذلك الذي يستقر على الاضلاك  
الكهربائية؟ ثم جاءت الشركة رسالة أخرى  
من زارع في إقليم أوكلاهوما يستوضحها

الأسطول طريقة تصوير القنابل من القاذبات الهاقة

وبعد كتابة ما تقدم قرأت في مصدر آخر أمريكي وصف الآلة ذات الأمواج الصوتية التي تطارد الحمام في أمريكا فأثرت اثباته ههنا أعاماً لفائدة قرائنا واليك بيانه:

نستخدم في منيابوليس في إقليم منيسوتا على نهر المسيسيبي ، الموجات الصوتية التي لا يستطيع سماعها ، لمطاردة الحمام غير المرغوب فيه ، الذي يجثم على دار محكة تلك المدينة ، اجتناباً لافلاق راحة أرباب القضايا الذين يترددون عليها يومياً . وذلك بآلة اخترعت لهذا القصد ، قوامها الموجات الصوتية المربعة الذبذبات التي تولد في الثانية ١٧٠٠٠ ذبذبة .ردوجة . فزعج نبراتها الحادة الطيور ازجاجاً هديداً . وكان اختراعها نتيجة للبحاث الحربية التي أصفرت عن وجود موجات صوتية مختلفة زعج مسامع أي مخلوق إذ أثبتت أن الآذان البشرية مثلاً تزعج من الموجات المزدوجة ذات الـ ٢٥٠٠ ذبذبة .ردوجة، على حين أنها تقوى على سماع الذبذبات التي لا تزيد على ١٣٥٠٠ ذبذبة .ردوجة في الثانية كما تستطيع « الشعور » بالموجات التي تبلغ ١٤ ألف ذبذبة .ردوجة . ولكن الموجات الصوتية التي تنذبذب ١٧٠٠٠ مرة فتطرد الحمام ، لا يمكن لاحد من سكان منيابوليس ، سماعها أو الاحساس بها .

عوض هنري

فدماً . وذلك بأمواج صوتية خفية سريعة التذبذب . وقد صرح مخترعها بأنها نقل الحيوانات الصغيرة مثلاً قاماً ثم تقضي عليها عاجلاً في بضع ثوانٍ . كما تستطيع إحداث الشلل في الانسان مدى ثلث ساعة وتولد قوتها من غاز وهواء مضغوطين في مستودع صغير في باطن الغدادة ، يطلقان منها عن طريق صفاة أسرع من الصوت « لا يتمكن المرء من سماعها » وللصفاة فوهة دقيقة لا تعدو ثمانية قلم رصاص . ويقول المخترع وهو عالم من علماء الطبيعة تخرج في جامعة شيكاغو إن الصوت البشري لا يزيد ذبذباته في الثانية على ٨٠٠ ذبذبة . ثم أثبت مذهبه في تجربة جربها أمام الجمعية الأمريكية لعلم السمع حيث عرض عليها آلة صغيرة تولد صوتاً غير مسموع تبلغ ذبذبتها ٤٥٠٠٠٠ ذبذبة وتدور بتيار كهربائي محرك هديد الضغط يطلق في ملف خاص فينجم عنه ذبذبة سريعة بحسب الطلب ، وذلك في أداة من البلور الصخري فتولد الموجات الصوتية . وبلغ من قوة الآلة المغار إليها ، أنها موجت الزيت بالماء زجاً تاماً ورفعت درجة الحرارة في حمام كيميائي محدد بها ٢٠٠ درجة في ثانية واحدة دون أحداث سخونة في ذلك السائل الذي تمّ مرج بعضه ببعض .

وفي إبان الحرب الأخيرة استخدمت البحرية الأمريكية آلات الأصوات غير المسموعة لتقليد الرادار في تعليم طياري



# مكتبة المقتطف

معاني الفلسفة

تأليف الدكتور احمد فؤاد الالهواني

هذا الكتاب يخرج بنظرية جديدة ، هي أن الفلسفة ليست مقصورة على فئة من الناس دون فئة ، بل هي شائعة في كل إنسان ، مادام يفكر ، ويعمل ، ويبيدي رأيه في مشاكل الحياة ، وما فيها من خير وشر ، وفي الحياة الآخرة ، وما الى ذلك من المسائل التي لا بد أن يفكر فيها كل شخص . ومن هنا كان كل إنسان فيلسوفاً على هذا المعنى .

وقد رتب المؤلف الكتاب على قسمين ، الأول في تطور الفلسفة وأنشأتها منذ ظهورها في اليونان ، وبلوغها الأوج عند سقراط وأفلاطون وأرسطو ، ثم انتقالها إلى العرب والمسلمين ، ثم نقلها إلى الغرب في عصر النهضة . وعندئذ بدأت العلوم المختلفة كالعلم والطبيعة والكيمياء وعلوم الحياة تنفصل شيئاً فشيئاً عن شجرة الفلسفة ، واغتصب العلم بذلك ميدانها .

وجعل القسم الثاني خاصاً بأهم مشكلة بقيت للفلسفة اليوم وهي مشكلة المعرفة ، فتكلم عن المعلومات المختلفة الموجودة في العقل ، وما هو العقل ، وهل المعرفة نظرية أم مكتسبة ، وبسط القول في فلسفة كانت الفيلسوف الألماني صاحب أشهر نظرية في المعرفة ، حتى بلغ إلى آراء المحدثين مثل برجسون وفلسفة البراجماتزم

والكتاب مطبوع في دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى الحايي وشركاه . ومن النسخة ١٨ قرصاً .

وسوف يجد جمهور القراء في كتاب معاني الفلسفة متعة وفائدة ، إذ يخرج القارئ بفكرة واضحة لا غموض فيها عن الفلسفة .

## ١ - ألوان من أدب الغرب

الاستاذ علي آدم - ٢٤٥ صفحة من القطع الوسط - نشرته دار المعارف بمصر

الاستاذ علي آدم كاتب يعني بالفكرة أدق عناية . شأنه فيما يتناول من البحوث شأن الشاعر الذي يحفل بالمعنى قبل كل شيء ، لأنه يعرف أن ذلك هو روح الفن ، لذلك يمجّد القارئ غذاء عقله فيما يكتب ، ويحسّ فيما يقرأ له أنه يستثير ذهنه ويبحث فيه روح التأمل والتفكير .

وهو في طليعة كتابنا وفرة اطلاع ودقة بحث وجديّة أسلوب . يعني باختصاره لموضوعه في البحث الفكري أو العلمي مما يملك على القارئ كل حواصه ، كما يعني فيما ينقل من روائع القصة وبدائع الآثار الأدبية بأن يكون منقولاً مما يثير في القارئ تأمله ويوجهه توجيهاً فكرياً صحيحاً .

وكتابه الأخير « ألوان من أدب الغرب » سلسلة من تلك الحلقة التي أخرجها ، وقد عني فيه بالتنويع في عرض هذه الألوان ، فهو يقدم لوناً من أساطير سالنيكوف ، ومن أحاديث تولستوى ، وأدب ترجنيف ، وحكمة كريلوب في الأدب الروسي . ثم يتجه ناحية الأدب الفرنسي فيعرض لوناً من أدب اناطول فرانس في حكمه ، ويميل الى الأدب الإسباني فيتكلم عن شخصية أدبية حديثة تعتبر أكثر ممثلي العبقرية الإسبانية في العهد الأخير هي شخصية ميجويل أونامونو لينتقل من ذلك الى الأدب الإيطالي فيتكلم عن تشاوم ايوباردي ثم يتجه الى الأدب التشيكوسلوفاكي فيتحدث عن فلسفة الزعيم مازاريك وصياغة هذا الفيلسوف ، ويعطينا بعد ذلك لوناً من ألوان الرسائل مما دار بين متزيفي زعيم الحركة الوطنية في إيطاليا وبين زوجة كارليل ، ثم يتحدث عن ذلك المستشرق الأيرلندي الذي تجنّس بالجنسية البافارية وعمدنا بألوان من آثاره لينتقل بنا الى رحاب العالم الإنجليزي ولز . ثم يعرض علينا صوراً مما كان بين كارليل وجيته الألماني ، وأثر كارليل في الأدب الإنجليزي بما نقله من آثار جيته وغيره من زعماء الأدب في ألمانيا ليختم المطاف بعد ذلك بالحديث عن تفاؤل ميترلنك .

\*\*\*

وهو في هذا العرض يحدثنا عن طبيعة أدب كل أمة أو ما يتميز به ذلك الكاتب عن غيره ، وهو في هذا المحلل الدقيق في تحليله البصير بهذه الخصائص مما يجعل لهذا الاختيار قيمته النفيسة بالثروة التي تضاف الى أدبنا فتغنيه

## ٢ - تاريخ الحرم القدسي

للاستاذ عارف العارف بك — ١٢٢ صفحة من قطع المفتف —

مطبعة دار الايتام الاسلامية الصناعية بالندس ( فلذيب )

في الوقت الذي تنجبه قلوب الام العربية جميعاً حكومات وشعوباً نحو فلسطين العربية وتحقق هذه القلوب بالدعوة الى انقاذها من براثن الصهيونية ، ويقوم الصراع العنيف هناك لينهض الحق لاهل الحق في هذا الوطن العربي ... في هذه الآونة العصيبة يخرج الأستاذ عارف العارف بك حاكم منطقة رام الله في فلسطين كتاباً تاريخياً عن أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ونعني به المسجد الأقصى .

وليس كتاب الأستاذ العارف بأول ما وضع عن هذا الحرم القدسي فقد وضعت عنه شتى المؤلفات تناول فيها واضعوها هذا الأثر المقدس من نواحي الهندسية أو العربية والتاريخية والعمرائية ، ولكن المؤلف الفاضل أراد أن يتم نقصاً لم يكمل بعد كتاب « الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » الذي وضعه القاضي مجير الدين حيث أراد الأستاذ عارف أن يدون ما ألم بهذا الأثر من الاحداث بـمد التاريخ الذي وقف عنده القاضي مجير الدين تدويناً منطقياً متسلسلاً ، وساعده على إبراز فكرته ما قرأه مؤرخي الفرنجة الذين ذهبوا مذاهب شتى في تعليل الكثير من الحوادث التاريخية التي لها صلة بالحرم القدسي .

وقد تناول موضوعه في عشرة أبواب بدأت بالكلام على مسجد الصخرة الذي بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بعد استشارة المسدين وتاريخه خلال المصور المتعاقبة لينتقل من ذلك الى الكلام على المسجد الأقصى ومن بناه وتاريخ بنائه وحالته في كل عصر حتى اليوم ثم يتحدث في الأبواب الأخرى عن قبائه ومساطبه وما أذنه وأروقته وأبوابه ومبائه .

والأستاذ العارف مؤرخ دقيق في تحرري صحة الاخبار ومناقشتها وإذا عرف أن هذا الكتاب جزء من سفر ضخم يضعه عن تاريخ القدس أمكن تقدير القيمة العلية التي رصده المؤلف جهده ووقته لتحقيقها مما يدعو الى الاعجاب .

## ٣ - عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي

جزءان في أكثر من ٨٠٠ صفحة — نشرته مكتبة الآداب بمصر — مطبعة التوكل

الأستاذ محمود رزق سليم مؤلف هذا الكتاب من أفاضل الاساتذة بكية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية وهو عالم بখানে أراد أن يخدم الأدب العربي الى جانب خدمته الثقافية

ننظم نحو تاريخ هذا الأدب في عتق عصوره في مصر. فوجد عصرًا منها قد ظلم ، ذلك هو عصر المماليك ، فمكف على آثاره يقرأها ويدرسها دراسة العالم المدهش حتى استقاع ان يخرج بهذه الدراسة المؤرخة لذلك العصر فرسم صوراً تتناول كل منها جانباً من الحياة فيه . وقد توخى في ذلك تبسيط الحديث بما يلائم عصرنا دون البعد عن جو العصر الذي يتحدث عنه مع الاقتباس وايراد النص القديم عند الحاجة الى الاشارة الى المرجع ليعين القارئ والباحث على متابعة الدرس ، وقد استهل بحثه بنظرة سريعة في تاريخ مصر من الفراعنة الى المماليك لتساعد القارئ أو تهينه لدرس العوامل التي جمعت للادب المصري خصائصه . وقد صدر من هذه الحلقة الأدبية التاريخية القسمان الأول والثاني من الجزء الأول ، واملنا نستطيع أن نتكلم على هذا الكتاب بدراسة وافية عند آمام إخراج كمالاً فنوفيه حقه من الدرس .

#### ٤ - الكميث بن زيد ، شاعر العصر المرواني

الاستاذ عبد المتعال الصعيدي - ١٦٠ صفحة من القطع الوسط - نشرته دار الفكر العربي - طبعة الرسالة

وهذا أثر من آثار العالم الفاضل الأستاذ عبد المتعال الصعيدي الذي تحدثنا منذ ظهور عن جهوده في الأدب والدين يتناول فيه أثراً أدبياً هو القصائد الهاشميات وصاحبها الكميث ابن زيد - تلك القصائد التي وضع بها هذا الشاعر باباً جديداً في الأدب العربي . وقد أراد الأستاذ الصعيدي أن يجعل من هذه الدراسة كنهفاً عن جوانب الزخامة الأدبية للكميث الذي يراه أحق بهذه الزخامة على همراء عصره ، وهو عصر بني مروان ، وليبين أنه أحق بها من جرير والفرزدق والأخطل ، فهو يرى أن تشيع الكميث لبني هاشم نسب من أسباب تألب ملوك بني مروان عليه ورفع شعرائهم عليه والترويح لهم بيز الناس حتى يغفلوا عن الكميث

#### ٥ - العصبية

في سنة ١٩٣٥ قامت العصبية الاندلسية في سان بابلو بالبرازيل باصدار مجلة تخدم الغاية الرفيعة التي من أجلها أنفدت هذه الرابطة الثقافية في ذلك المهجر ، وهي تعزيز الأدب العربي هناك بمختلف الوسائل وإيجاد الصلات القلمية وتوثيق روابط الولاء ببر العصبية وصائر أندية الأدب العربي ومكافحة التعصب وتمحيص العقائد ونقض التقاليد التي تنافي روح العصر وتؤدي الى الجمود الفكري .

وقد كان لهذه الرابطة من نتاج وجهود أعضائها - وهم من خيرة أدباء العربية العاملين على رفع شأنها في مهجرهم والذين يفخر الأدب العربي الحديث بأثامهم الرائعة - خير عون

للمجلة العصبية على أن تجد طريقها الى إعجاب القراء في مختلف أقطار العربية مهداً . ولقد ظلت تلك المجلة ناضجة برسالتهما تدق طريقها الى جانب أكبر الجلات العربية وأرقاها حتى قامت الحرب العالمية الأخيرة ، وما كادت تبدأ سنة ١٩٤٠ حتى حرمتنا وحرمتنا المعجبون بهذه المجلة الرفيعة أسلوباً، الرائعة إخراجاً، باحتجاجها ، وكانت تحمل إلينا آثار إخواننا المجاهدين في سبيل النهوض بالأدب العربي في مهجرهم ... وأخيراً حمل إلينا البريد بعد احتجاب طويل عدداً من هذه المجلة بعد أن عادت الى الظهور حاملة لواءها الذي حملته ست سنوات لتذيع على العالم العربي أصداً الصوت العربي الجميل الذي يصدر من وراء البحار ملحوظة بعناية محرريها الكاتب الكبير الذي يعد من خيرة الكتّاب العرب الأستاذ حبيب مسعود مع إخوانه أعضاء العصبية الاندلسية الأفاضل . . . وقد سرتنا عودة هذه المجلة لأن في ذلك امتداداً لظل الأدب العربي في بلاد جاهد اخواننا في العروبة في جعلها وطناً ثانياً لهم ، ولم ينسهم كفاحهم هناك أن يجعلوا من هذه الانداس الجديدة ميداناً فسيحاً للغة الضاد ، واتنا إذ نعلن سرورنا نأمل أن نستطيع بقية الجلات والصحف العربية هناك كاشرق والانداس الجديد وغيرها متابعة حركتها وجهودها لتكون عوناً على تمسك النشء من أبناء هؤلاء المهاجرين بلغة آبائهم وأجدادهم .

مس لامل الصيرفي

## ١ - بين النيل والنخيل

السيدة وداد سكاكيني - ٢٠٨ صفحات - دار الفكر العربي

أقاصيص من مصر بأنامل من سوريا ، وصور من حياة المصريين يصوغها ذهن من الغام ، ونظرات عميقة في شؤون النيل والنخيل تفيض بها قريحة سيدة كريمة ، هي السيدة وداد سكاكيني .

عاشت في مصر قرابة نصف حلقة من حلقات العمر ، فألفت أهلها ، وعرفت لمجتمهم ووقفت على عاداتهم ، وتدرت تقاليدهم ، واستبانت لها عيوبهم ، وتبدت لها فضائلهم ، ومن ثم أرادت أن تطلع أهلها وسائر المشاركة على ما شهدته ، فكتبت كتاب « بين النيل والنخيل » يضم بين دفتيه نخبة من الأقاصيص والصور المصرية جليلة القسمات واضحة المعالم نابضة بالحياة فيها آراء في الإصلاح تدسها بين السطور دساحتي لا تكون لها صفة « الأمر » بل صفة « النصيح » وتبرز في كل وحدة فنية من وحدات كتابها منحى بعينه من مناحي الحياة المصرية غير متأثرة إلا بمحقات لمستها بنفسها في دارات الثراء وبيوت السذج المتواكلين ومجتمعات الأضواء الزاهية وأحياء المتوسطين والموظفين .



وهذه المجموعة في جملتها نصف عن حقيقة لا مجال لطمسها ، وهي أن الحياة في مصر « كوسمبوليتان » أو Cosmopolitan ، ترى فيها نماذج من الاناسي ومن المعادات ومن اللباس ومن العقلية لا تكاد تجددها في بلدٍ سواها . وتعليل ذلك كثرة النقابات والغزوات التي تعاورت مصر في حقب تاريخها الطويل ، فتركت كل منها آثاراً لا تمحى ستظل باقية مادامت مصر ملتقى لقارات ثلاث ، وما برحت محط كل صائح أفئاق .

ومن الانصاف للسيدة وداد أن يشادها في هذا العدد بما نتم عليه كتابها من حبر صادق لأهل وادي النيل ومن مودة سخية تضمنرها لمصر عن رضا ورغبة .

## ٢ - تاريخ العرب العام

تأليف سيديو -- ترجمة الأستاذ عادل زعير -- عيسى الباني الحلبي -- ٥٤٢ صفحة من الطبع الكبير  
تُصِط اللغة العربية إذ تجد اليوم بين أبنائها عالماً صليحاً وأديباً كبيراً أوتي ولماً بالترجمة ، واقتداراً على التحري والتدقيق ، وصبراً وتجلداً كبيرين ، فتوفر على قتل سفر نفيس عن « تاريخ العرب العام » إلى لغة الضاد ألفه بالفرنسية المستشرق العلامة ل. ا. سيديو ليسدي إلى العرب تُصِفةً رآهم أهلاً لها ، ولينشر على العالم صفحات نثار سجلهم العرب بنعيمهم وإيمانهم وفكرهم وعلمهم فأقاموا البيئة تلو البيئة على أنهم جديرون بالتقدير خليون به .

فالأستاذ الكبير عادل زعير ، أديب فلسطين المعروف ، استطاع بترجمته لكتاب « تاريخ العرب العام » أن يتمم الرسالة التي شاء العلامة سيديو إبلاغها للعلماء ، لأنه بصّر العرب بترائهم الذي عُني فرنسي بتسجيل معالمه ومظاهره ، وفتح عيونهم على صديقيهم لم ينبغي أن يعرفه حتى الصبية الصغار في المدارس الابتدائية لأنه عرف قدر الحق فأعلمه بين قوم مدبرين له معرضين عنه ، وقال قولته فدوت دويرها لأن قائمها خلل شامخ فوزن كل كلمة له بميزان مدق .

ولم تكن مهمة الأستاذ زعير مقتصرة على الترجمة -- وإن كانت تلك التبعة مضمية بمهمة -- بل تجاوزها إلى تحقيق الحوادث والنصوص والأعلام التي تأثرت بالعجمة تأثيراً أفقدها حرفيتها العربية ، وثبتت من حقيقتها وأصولها . فجاء هذا السفر النفيس متميزاً حتى على قريبه الفرنسي من حيث الإصالة والدقة .

ولي أمنية كنت أرجو الأستاذ زعير أن يحققها في كتاب « تاريخ العرب العام » وإني أعلم سلفاً أنها حمل ثقيل يهدّ الناهض به ، تلك هي أن يذيل الكتاب بقائمة بالأعلام

الواردة فيه وفقاً لما جرى عليه الغربيون في ما يصنّفون لأن في هذا تسهيلاً لعمل المراجع وتيسيراً لمهمة الباحث .

ولست أعني بذلك أن الكتاب يُعاب لافتقاره الى فهرس الاعلام ، وإنما أعني إنه كان يكتب صفة قريبة من الكمال لو أُرِدَ بهذا الثبوت .

### ٣ - شعر الحرب في أدب العرب

الدكتور زكي المحاسني — دار الفكر العربي — ٣٠٨ صفحات من القطع الكبير

أفي أدب العرب ملاحم حرب كآداب الغرب ؟

يجيب الأستاذ الدكتور زكي المحاسني عن هذا السؤال بنعم ، ويقول إنَّ العرب شعب منطوي على حبِّ الصراع والنزال ، لا يتهيب الوغى ولا يخشى المنون ، وتاريخ العرب من مهدد الى يومنا هذا حافل بضروب من الشجاعة والبطولة والفروسة خلّدتها صفحات التاريخ وعكست صورها آدابهم وقريضهم .

أنت تقرأ كتاب «شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي الى عهد سيف الدولة » فينتابك زهو ونفار لأن شعر الحماسة عند العرب يكثره عند الأمويين ، ولأنه أقرب الى السجية والطبيعة من غيره ولأنه يطول ويقصر حتى لتجد له أثراً في شعر الغزل والتعجب وهو مع ذلك شعر ينطوي على معاني تستطيع فهمها اليوم على ضوء الكشف الحريّة والعسكرية الحديثة ، فتعجب كيف غزت تلك المعاني عقول شعراء البید ، وكيف تسانت أفكارهم حتى رأّت المستقبل المجهول من وراء سحف كثيفة مسدلة .

\*\*\*

ويقول الدكتور المحاسني في كتابه — وهو أطروحة مهدت له نيل درجة الدكتوراة — إن المعاني الحربية والحماسية تكاد تكون عاملة لكل ما يفوه به العرب وذلك لأنهم أهل حرب — والسلم عندهم فترة تأهب لقتال وطعان — فنشأ أنجالهم ونساؤهم نشأة لا تهاب حومات الوغى ، وأبدت فتياتهم بسالة وشجاعة وصلادة قلب قد لا نجد لها اليوم مثيلاً . ويفرق الدكتور المحاسني بين شاعر الحروب العربية وشعراء الملاحم عند الفرنجة بأن ناظمي الملاحم العرب الأفصاح كابدوا الحروب وحانوها وكانوا وقودها ولظاها بينما غيرهم يتمثلون ويتصورون ويتخيلون وينسجون نسيج شعرهم من الأنباء التي تنقل اليهم .

وهذا سفر نفيس آخر تغنمه المكتبة العربية لأنه يتفرد بإصالة في البحث وتخصر في الاتجاه ورصانة في الأملوب وتبحر في درس الشعر العربي القديم

## ٤ - الدكتور حازم

مدرجة للاستاذ علي احمد با كثير  
لجنة النشر للجامعيين - ١٤٢ صفحة من الحجم المتوسط

إعراض الكتاب في مصر عن كتابة المسرحية أمرٌ معروف ، أما علّة هذا الاعراض فهي ما يحار المرء فيها .

والعجيب في هذا أن الادب الغربي يمنح المسرحية - أو الدراما - هاماً كبيراً ويعدّها من العمدة الأساسية التي يربي عليها بنيانه بينما الكتاب العرب - ولا سيما المصريين - يغفلون هذه الدعامّة الأدبية ويمرضون عن معالجتها .

لذلك زى أن اتجاه الاستاذ علي احمد با كثير إلى الكتابة للمسرح - أو كتابة المسرحيات على أصدق تعبير - اتجاه طيب من شأنه أن يسدّ ثغرة تتسع كل يومٍ على الراق . وقد أخرج في شهر واحد ثلاث مسرحيات هي « الدكتور حازم » و « سرّ الحاكم بأمر الله » و « ابراهيم باشا » فكان هذا رقماً قياسياً أغلب الظن أن أحداً لم يسجله من قبل . ومسرحية الدكتور حازم التي نتعرض لها هنا مسرحية عصرية تفصح عن لون من ألوان الحياة في المجتمع المصري ، وتعالج مشكلات تفتور العائلة المصرية بسبب نقص في التكوين الخلقي ومخصوص المسرحية هم : شاب معتدل أقبلت عليه الحياة ولكن انحلال العائلة جعلها تدبر عنه . وشاب آخر متلاف فقد عنصر الأخلاق فجرفه تيار الهوى لولا يد مدّت لانتقاذه . وأب كحل فقد رجولته فسيطرت عليه زوجة شابة خرقاء كادت تورده مورد التهلكة ، ووالد آخر اعتدّ بنفسه اعتداداً أحق فكاد يقضي على هناءة ابنته .

ومن هذه الشخصوس ، ومن آخرين معهم ، صاغ الاستاذ با كثير مسرحيته صياغة سهلة بادية الفتور ، ولعلّ هذه هي علة روايته الأولى . فأنت تقرأ الرواية فلا تجد فيها ما ينير شعورك ويحملك على الانفعال ، شأنك في ذلك شأن قارئ الصحيفة الذي يمرّ بنياً عن الانتخابات البرلمانية في نيوزيلندا مثلاً .

ومن عيوبها افحام رجل « كبيومي افندي » فيها ، فأعتقد أن هذا الكاتب - أو الباكاتب كما يسميه المؤلف - شخصية كان يمكن الاستغناء عنها إن لم يكن لتوفير عدد مخصص للمسرحية فلتوفير مرتبه الذي يتقاضاه من أمرق أخنى عليها عدم تبصّرها . والمسرحية على العموم مسرحية طادية تنقصر الى عنصر الذاتية والتفرد الأدبي ، وإن كان أم ما انطوت عليه هو دروسها الأخلاقية وعبرها الأدبية .

وربع فلسطين

## فهرس الجزء الاول

من المجلد الثاني عشر بـمـد المئة

- ١ التكافل الاعترائي - نظرية ما في النظام الاجتماعي : امنايل مظهر
- ١١ وسائل النجاح : مصطفى عبد الطيف السعرتي
- ١٤ مؤسستان ثقافيتان للفكر في لبنان : حسن كامل الصير في
- ١٧ الله وفلسفة الوجود : نقولا الحداد
- ٣٤ سراب (قصيدة) : عدنان مردم بك
- ٣٥ نظرات في النفس والحياة : ع . ش
- ٤٢ وحدة الفضل : ادوار مرقص
- ٤٥ حافظ وشوقي -- صدى الحوادث عند القاعرين : حسن كامل الصير في
- ٥٦ في التربية - الحرية في المدرسة : محمود حامد هوكوت
- ٥٩ مشهد من مسرحية كليوباترة : محمد فهمي
- ٦٢ باب الرسالة والمناظرة \* رد على رد : محمد العاوي عمار : حاجتنا الى متعلق علمي ممكن : جريس الشرايحة :
- ٦٧ باب الاخبار العلمية \* معجزات طاقة الصوت \* هوض جندي
- ٧٢ مكتبة المقتطف \* معاني الفلسفة ١ - ألوار من أدب الغرب ٢ - تاريخ الحرم القدسي ٣ - عمر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي ٤ - السكيت بن زيد ، شاعر المعمر للروائي د- المعجبة : حسن كامل الصير في : ١ - بين النيل والنخيل ٢ - تاريخ العرب العام ٣ - شعر الحرب في أدب العرب ٤ - الدكتور حازم : وديع فلسطين

### لحق المقتطف

الحياة الاقتصادية في مريوط : جنة الصحاري الافريقية وروض الصحراء الغربية : بقلم عبد الطيف واكد

# المقطف

الجزء الثاني من المجلد الثاني عشر بعد المئة

٢١ ربيع الاول سنة ١٣٦٧

١ فبراير سنة ١٩٤٨

## التكافل الاشتراكي

نظرية مآ في النظام الاجتماعي

البحث الاول في تحليل النظرية

٣ - استبداد الجماعة بالفرد وغلاة الاشتراكيين (١)

استبداد الجماعة بالفرد ، استجابة تكاد تكون طبيعية لما ورث النظام الاجتماعي من تسلط الفرد على الجمعية تسلطاً لا نبالغ إذا قلنا إنه تجاوز الحد اللازم للاحتفاظ بوحدة التكافل الجماعي . ومن أجل أنه تجاوز ذلك الحد ، ذهب الاشتراكيون إلى أن عكس الآية هو غاية الإصلاح وأنه السبيل القويم لبناء المستقبل ، فراحوا يستدلون الكفايات والمواهب الفردية لصالح المجتمع . مثلهم في ذلك كمثل من وقع على فرع فاصد في شجرة ، نخل إليه أن العلاج إنما هو أن يضع الفأس في جذورها .

كان من الطبيعي أن يحدث هذا الانتكاس ، بل أعتقد إنه خطوة لازمة من خطى التطور لخلق جمعية جديدة على قواعد جديدة . فان العنت الذي طائته الجماعات من استبداد الفرد ، مواث أظهر في صورة حاكم أو رجل دين أو صيامي أو رممالي أو منتج أو مستهلك ، قد

(١) نشر البحثان السابقان في عدد ديسمبر سنة ١٩٤٧ وفي عدد يناير سنة ١٩٤٨

بلغ في النظام الذي خرجت به الجماعات من عصر الانقطاع مبلغاً أحدث ركساً شديداً في وعي الجماعات ، جعل تقبلها لنظام عكسيٍّ له ، مما هيأ له فكرة أن الضد يحو الضد ، نامة أن ذلك إن صح في ظواهر بسيطة ، كأن يحو النهار آية الليل مثلاً ، فإنه أبعد ما يكون صحة ومباتاً في نظام الجمعيات الانسانية ، وهو نظام دقيق كل الدقة ، معقد كل التعقيد ، مترابط بوعائج وأواصر قلما يدركها الباحثون في خصائصه .

أضف الى ذلك أن قاعدة توالي الأضداد ليست من طبيعة الاجتماع في شيء أصلاً ، بل هي ليست من طبيعة الحياة في شيء . فقيام نظام أصاحه تسود الجمعية على الفرد ، ليحل محل نظام تسود فيه الفرد على الجمعية ، هو استبدال شيء بضده ، ولقد يظهر ذلك جلياً في أنه عبارة عن استبدال صورة من الاستبدال بأخرى ، فكأنما طبيعة النظام ذاته لم تتغير وأن الذي تغير فيها هو الصورة لا غير .

إلا أنه من خليقة الأشياء ، أن تنزع الى حالات متضادة اذا اكتنفتها ظروف غير طبيعية . نقول مثلاً إن الضغط يولد الانفجار . وما كان الانفجار ليحدث لولا زيادة الضغط . ذلك بأن الضغط الى حد الاحتمال ممكن أن لا يحدث انفجاراً ، ولكنه اذا تجاوز حد الاحتمال ذهب الى الضد تماماً . وإذن فقيام النظم الاشتراكية أو الشيوعية التي كان السبب فيها ازدياد ضغط الفردية الى حد غير محتمل ، هو حالة طبيعية ، السبب في حدوثها ان قوات غاشمة طافت خطى التطور عن الانبعاث .

على أن حدوث هذا الحال إن كان طبيعياً ، فان بقاءها غير طبيعيٍّ . فإن الفرد إن استبدت به الجمعية لا تنشأ كفاياته ولا تنمو مواهبه ، شأن الجمعية اذا استبد بها الفرد ، تتوانى دورة التطور فيها وتفقد كثيراً من مقومات التكافل التي يجعلها جمعية صلبة القوام مهياة للتقدم والارتقاء . فالطور الذي يجتازه الاستبداديات الجماعية هو طور تناثر في بالانفجار شظايا نظام قديم ، فاذا تجمعت تلك الشظايا ثانية ، لأنها عناصر أصلية ، لا بد لها من أن تتجمع ، ظهر مع تجمعها ضرورات تعيد الألفة . ونقصد بالألفة صورة تكافلية بين الفرد والمجتمع تذهب بكل صورة من صور الاستبداد من الناحيتين ، ناحية الفرد وناحية الجمعية . من الحقائق الجلية على أن الاستبداديات الجماعية هي عبارة عن انتقال من شيء الى

ضده . ان الحكومة في النظام الفردي قد حددت سلطتها بالقدر الضروري لحفظ النظام وحماية القانون ، وفي النظام الجماعي امتدت سلطتها حتى أصبحت كل شيء ، فتدخلت في شؤون الفرد تدخلاً كاد يذهب بكل كفاياته التي لا تنمو وتنضج إلا في جو من الحرية نكفله له الجمعية . وهي فوق ذلك صبت الجمعية في قالب من العسير عليها أن يكون بيئة موائمة لمقتضيات التطور . فن حماية حرية الفرد الى الدرجة الى أدلت الجمعية له ، الى تدخل وتقييد لتلك الحرية أدلت الفرد للجمعية .

أكثرنا من الكلام في الفرد وتنمية كفاياته في ظل نظام حر خالص من استبداد حكومة فردية أو استبدادية جماعية ، فينبغي لنا الآن أن نصف الصورة التي يكون عليها الفرد قادراً على تنمية كفاياته .

الجمعية كل ، الأفراد أجزاؤها . على أنه من الخطأ أن نتصور أن هذه الأجزاء أو الوحدات هي كالأجزاء أو الوحدات المادية في هيكل جامد موات . بل يجب علينا أن نعي دائماً أن الوحدات العضوية في كل جماعي ، هي وحدات حية أخص ميزاتها الفكر والارادة . والفكر والارادة بيئة خاصة تنتمشان فيها وتنشيان ، بمعنى أن نمو الفكر يتبعه نمو الارادة ، ونمو الارادة يتبعه نمو الفكر ، وهذا لا يحدث إلا في بيئة حرة من جميع القبود النانوية التي تحد من الفكر وتمرقل من الارادة .

الفكر والارادة أداتان متكاملتان . فالفكر بلا إرادة تعطل . والارادة بلا فكر مراء . فكل نظام يسلب الفرد حرية الفكر والارادة ، نظام ينقصه المقوم الفردي ، وهو أقوى المقومات الاجتماعية . ذلك بأنه العامل الحقيقي الذي يهيء للوحدات الاجتماعية ، التي هي الأفراد ، سبيل التكون بحيث تصبح شاعرة بأنها قوة مستقلة تفرض على بيئتها المؤثرات وتقبل من البيئة مؤثراتها ، فيحدث ذلك التجاوب بين الفرد والجمعية الذي هو في الواقع الأساس الذي يقوم عليه التكافل الاجتماعي .

إذا عز على الفرد أن يكون حراً ، وعز عليه أن يكون مريداً ، فقد تلك القوة التي يكون بها ذا أثر في البيئة وتعذر عليه أن يتقبل آثار البيئة ويمنها شيئاً نصبح به - راء - من كيان . وبذلك تنحل رابطة التكافل بين الفرد والمجتمع ، كما تنحل تماماً إذا فرض على

الجماعة أن تقوم على نظام مصطنع ليس وليدًا للتطور ، بل هو وليد نظريات وضعها مصلحون أو يريدو اصلاح ، مهما كان فيها من حق الفكر وصلاصة المنطق ، قد تكون مع ذلك بعيدة كل البعد عن مسيرة الاتجاه التطوري الذي سارت فيه الجماعة منذ أزمان موعلة في القدم . وهو اتجاه فيه من أثر الوراثة أكثر مما فيه من أثر التربية .

\*\*\*

على هذا قام صراع بين الفردين الذين يقولون بحرية الفرد وتسلمته على الجمعية ، وبين الاشتراكيين الذين يقولون باخضاع الفرد للجمعية . فما طبيعة ذلك الصراع ؟  
طبيعته في الواقع قائمة على تصور أن الانتقال من التطرفية الفردية الى التطرفية الجماعية ، هو طريق القضاء على الوراثة الخبيثة التي خرجت بها الأمم الحديثة من نظام القطائع . أما الصور التي تفكّل فيها ذلك الصراع فشتبنة متنوعة ، ولكنها تعود جميعاً الى نظرية المساواة بين الأفراد .

علت الصبيحة بنظرية المساواة في أزمان كثيرة ، ولكنها كانت في الثورة الفرنسية من الأصول التي اتخذت سبيلاً الى القضاء على سلطة الاستبداد وسلطة النبلاء . ثم اتخذت من بعد ذلك أساساً لنظرية تساوي الأفراد في النظام الاجتماعي ، فقبل بأن الناس ما داموا متساوين فالملكية لصومية ، ومن أجل أن يحدث التساوي يجب أن يعاد ما سرق الاغصص الى ملكية عامة يفتنع بها الجميع . وتدرّج القول من ذلك الى القول بتأميم المرافق العامة ، لأن الارض اذا عادت الى ملك الدولة لتصبح ملكاً عاماً ، فأولى ببقية المرافق أن تكون كذلك . فانسع بذلك نطاق الحكومة وزاد تدخلها في حرية الفرد وفي تنظيم الجماعة .

غير ان الطبيعة لم تسوّ بين الأفراد اطلاقاً . لم يحدث ذلك في ناحية من نواحي الحياة . لا في عالم النبات ولا في عالم الحيوان ولا في عالم الانسان ، وأخص ناحية اتضحت فيها الفروق هي الناحية العقلية ، بل هي الناحية التي تعذر فيها حدوث المساواة بين فردين اثنين من أبناء آدم وحواء .

وبالرغم من أن التاريخ الانساني يرمته اسان ناطق بما كان لافراد ممتازين فيه من أثر تاهمة الحضارات ، أنكر القائلون بالمساواة حقيقة الفردية ، ولوا بأنهم ما يكن من أروما



في التاريخ ، فان من الواجب أن يضحى بها في سبيل الجماعة ، وان الفرد زائل والجماعة باقية ، وفسروا التاريخ تفسيراً اقتصادياً مستخلصين من ذلك التاريخ ان أعظم الكوارث التي نزلت بالبشر ، انما نزلت من أثر هذه الفردية وتسودها على المجتمع . ومهما يكن من أمر ذلك فان تفسير التاريخ اقتصادياً كتمسيه جنسياً أو روحياً أو غير ذلك ، لن يظهر لنا من التاريخ غير ناحية بعينها من نواحيه . ذلك بأن التاريخ مجموعة من أثر الظواهر والنزعات الانسانية ، ففيه أثر من الاقتصاد ، وإثارات من العاطفة الجنسية ، ودلائل من الروحانيات ، الى غير ذلك . فتفسير التاريخ اقتصادياً صحيح ولا شبهة . غير انه تفسير لناحية واحدة من نواحيه . فاتخاذ هذا التفسير قاعدة للحكم على أشياء الاجتماع ، طريق خاطيء . ولا شك ، بقدر ما في ذلك التفسير من انكار لبقية المؤثرات التي كوّنت التاريخ البشري . وعلى هذا يجري القول بأن أثر الفرد في التاريخ كان طائفاً اجتماعياً مبني وقوف الجماعات وصدها عن التقدم والارتقاء .

جملة القول انني لا أنكر ان الفردية طافت خطى التطور عن الانبعاث في سبيلها أحقاباً . وكذلك لا أنكر ان الفردية حفظت على الانسانية الى جانب ذلك أرقى مثلها وقامت حفيظة على كنوز العلم والحكمة تنقلها من الأجيال الى الأجيال . وذلك يثبت لدينا أن الحد من سلطان الفرد على الجماعة ضروري . ولكن أهد منه ضرورة أن يعطى الفرد من الحرية القدر الذي يكفي لتنمية كفاياته ومواهبه ، ويُمكنه من تأدية الرّسالة التي حمّاه خلال القرون .

من أجل ان الوراثية الاجتماعية قد مضت خلال قرون بمقتضى مؤثرات معينة في سبيل استقوى به الفرد على الجمعية ، واستغلّ ضعفها بنزعاته الانانية ، قام في أذهان بعض الذين أروخوا الانسان اقتصادياً ، ان تلك الظاهرة هي التي خلقت جميع مشاكل المجتمع منذ ان كان للانسان مجتمع . لذلك أرادوا ان يطيحوا بالفرد وان يسودوا عليه الجمعية ، اعتقاداً بأن ذلك هو العلاج الوحيد للمرض الكامن في الجماعات . ونسوا مع ذلك أمرين لهما من الأثر ما هو أسوأ من أثر الفرد بنزعاته الانانية :

الاول : ان التضحية بالفرد تضحية بالقوة المبتكرة في الحياة .

الثاني : ان استذلال الفرد معناه استذلال الجمعية . لأن معنى أن الحكومة توجه الجمعية ، يتضمن مع حد الحرية الفردية ، تقييد النزعات الاجتماعية وصرفها عن صيبلها الطبيعي في البناء والتطور .

فكان أولئك الذين حاولوا ان يسعدوا المجتمع بتقييد القوى الفردية ، قد اضطروا الى تقييد الجمعية أيضاً . ولولا ذلك لبرزت الكماليات الفردية ثانية من خلال ذلك المجتمع الاصطناعي ، وأخذت مكانها في الوجود ، ولو أتيت لها الفرصة لرجعت الى صورة مامن صور استبدادها القديم .

\*\*\*

حُويل ذلك في روسيا الشوفيقية . وبعد ثلاثة عقود من الزمان قام فيها نظام النظام الجماعي ، لحظ أن هذه الجمهورية تزد شيناً بعد شيء الى نظمات لا هي ديمقراطية فردية صرفة ، ولا هي تكافلية صرفة .

ان التجربة الروسية تجربة فذة في ثلاثة نواحٍ من النظام الاجتماعي : صيماً واجتماعياً واقتصادياً . غير أن الفرد الروسي المستعبد للجمعية لم يبلغ بعد منزلة الفرد في كثير من الممالك غير الشيوعية كأريكا والنرويج والسويد ودمركة . والاجتماع الروسي الذي استعبد الفرد لم يبلغ بعد مبلغ الجمعيات في ممالك أخرى .

وإن الدلائل لتدل بوضوح على أن ضغط الظروف سوف يظهر مما قريب في أية جهة سوف يتجه ذلك النظام . غير اني لا أهلك شيئاً ، في أنه سوف يتجه في طريق يحقق التكافل بين الفرد والجماعة ، وإلا فلا هك في أن ذلك النظام سوف لا يقوم بغير دكتاتورية استبدادية هي عنوان حي على أن الألفة بين هتي المجتمع تكاد تكون فاقدة ، وان ما يظهر هنالك من أوجه التكافل الاجتماعي ما هو الأ صورة مصطنعة من فعل قوة مطلقة في الحكم ، وانه لن يكون له من أثر قبل أن يتحقق للفرد قدر من الحرية يكفله المجتمع ، حتى يمكن أن يزود الكائن الاجتماعي بالقوة المحركة التي تضمن تطوره نحو الغايات والمثل العالية .

اسماعيل مظهر

## لكل أجل كتاب

لا أستطيع أن أدعي العلم بتفسير هذه الآية الكريمة علماً لا ينازعني فيه الكثيرون من أهل الفضل . ولا أستطيع أن أجاري الذين يأخذون هذه الآية على ظاهرها ، فيقولون بأن معناها منصب على الأعمار والآجال باعتبار ما تلاها من الآيات ، ثم يهتمون اجتهدهم بالوقوف عند هذا المعنى وحده . بل أذهب الى أن لهذه الآية أكثر من معنى ، فكما أنها تنصب على الأعمار والآجال ، كذلك هي تشير إشاره خاصة الى معنى من معاني التطور الاجتماعي ، وتلمح الى أن النظم المدنية إنما تتغير بتغير الزمان ، وتتفاوت بتفاوت العلم والعقلية ، وتتفاضل بتسامي الناحية التي ينظر منها الناس الى حقائق الحياة وحقائق الوجود ، وأنه بمقتضى ذلك تتغير النظم وتتبدل الأوضاع الاجتماعية والفكرية ، وأنه بمقتضى ذلك تتكيف النظم وتتعدل الشرائع من حيث حاجات البشر الى التطور ، ومن حيث أن البشر عجيبة لينة في يد المقدرات الطبيعية والغيبية ، فيكون لكل زمان من الأزمنة ، ولكل عصر من العصور ، لوناً من الشرائع وضرباً من النظم يختلف عن اللون الذي يلبس الشرائع والنظم في غيره من الأعصر ، وبذلك تماشي الشرائع حاجات الناس ويمشي الناس روح الشرائع ، حتى لا يقف دولا ب الرقي الانساني عن دورته الطبيعية المقدورة ، ولا تتخلف الشرائع عن مسايرة الحاجات التي تتطلبها الحياة الاجتماعية ، فيكون لكل زمان لباس خاص من الشرائع ، وصورة بعينها من النظام ، ولون بذاته من الفكر ، ويكون إذن « لكل أجل كتاب » .

أجلت هذه الآية معنى التطور الانساني برمته في ثلاث كلمات . فان تاريخ الانسان يدل دلالة قاطعة ان له عصرآ حمت فيها الجهالات وأسفت فيه الاخلاق وائمت فيه كل المعاني القدسية التي تنزل الآن من مديننا ، ومن كل المدينات الرعيدة ، المنزلة الاولى في تقدير العقل والمشاعر . كان الانسان في ذلك العصر حيوانا يأكل إذا جاع ويمجوع إذا لم يجد ، ويفترس

إذا اعتدت به نداءات الاحتفاظ بالذات، ويموت مأكولاً إذا ما عجز عن الدفع عن نفسه، يتخذ من الأشجار بيوتاً ومن المغاور والكهوف سكناً. فضيافته أن يسد حاجات الطبع المادي، فسمت رذائله وتخافت فضائله، وكانت هذه الشريعة في الواقع شريعة ذلك الزمن وقانون ذلك العصر: قانون القوة والفوضى، قانون «كن آكلًا قبل أن تكون مأكولاً». عاش الإنسان في ذلك العصر فرداً همه من الحياة أن يرد عنها عادية الموت والفناء، وأن يسد حاجات الجسد وحدها، فعاش يعيش البهائم السائمة، وكان قانونه في ذلك الحين، قانون كل سائمة من الحيوان.

تكوّنت بعد ذلك الأسرة، ومن الأسر تكونت القبيلة، ومن القبائل تكونت الأمم والشعوب. وفي هذا السطر وحده طويلاً من عمر الدنيا الآلاف المؤلفة من السنين، وقلعنا عشرات المئات من القرون، لنجد الإنسان من بعد ذلك حجر الأديان الأولى يدرج نحو الروح بعد أن قضت عوامل التطور على الزمن وعلى النظام الذي درج فيه الإنسان في حجر المادة. وإذن فقد تدلنا حقائق هذه الحياة البشرية دلالة صادقة على أن الإنسان لم يجمد في عصر من عصوره ولا استحجر مستعصياً على سنن التطور الأبدية أن يتبدل من سائمة إنساناً، وأن يخرج من صلب المادية بشراً سوياً. سويّ النظام، سويّ الخلق، سويّ الروح، كأنما شاء طبعه أن يكون من التطور وإلى التطور، وأن الحياة تطور صرف نشهده في قلب المخلوق الأدبي منذ أن يكون نقطة فعلقة فضفة فعظاماً تكسى لحماً. ثم طفلاً ثم يافعاً ثم شيخاً، ثم فيلسوفاً من طراز سقراط أو نبياً يهدي الناس الصراط المستقيم. ومثل الفرد في تدرجه من النقطة إلى النبي، كمثل الجمعية البشرية في تدرجها من إنسان كأنه سائمة إلى إنسان الحضارة الجديدة، إذ تحتاج في كل طور تجتازة إلى شريعة وإلى كتاب، فشريعة المصنعة ليس هي شريعة الطفل، وشريعة الطفل ليست هي شريعة اليافع، وشريعة الفتى غير شريعة الكهل، وشريعة الأبله ليس هي بذاتها شريعة الفيلسوف، ولا شريعة الفيلسوف هي بذاتها شريعة النبي. وإذن يكون لكل حال شريعة، وإذن يكون لكل أجل كتاب.

ماذا نقصد بتفسير هذه الآية هذا التفسير، وما هو الحق الثابت الذي يدور من حوله

المعنى المدرك من أن لكل زمان شريعة ؟ نقصد أن جوهر الحق ثابت ، وكذلك يكون لكل شريعة جوهر ثابت ، لأن معنى الشريعة أن يكون في الضمير الانساني نزعة الى معرفة الحق ونسبع يفيض دائماً بمعنى الحق . وأول حق للإنسان في هذه الدنيا هو حق الحياة . ولكن على أي وجه من وجوه الحياة تتكيف الصورة التي تلبس هذا الحق ؟ الواقع أن هذه الصورة تختلف باختلاف الأزمان والأحوال ومراتب الرقي أو الاسفاف التي تكون عليها جماعة من الجماعات . فالحق باعتباره مفهوماً ينطوي عليه خير الانسان ، كذلك الشريعة لها مفهوم كلي ثابت . ولكن الصورة التي تتكيف بها هي التي تجري عليها صن التطور، وهي التي تجري عليها ملابسات الحماجات الناهضة بتغير الظروف والأوضاع . وإذن يكون لكل زمان شريعة . وإذن يكون لكل أجل كتاب .

\*\*\*

في هذا كثير من الحق . فإن الزمن الذي كنا نعدّ فيه لأعدائنا من رباط الخيل ، زمن قدمضى أهلهم ومضى ملابساته . وجاء الزمن الذي نعدّ لهم فيه المدفع والبارجة والدبابة والقنبلة الذرية . الشريعة الثابتة وجوهر الطبع الذي لا يتغير هو أن يعدّ الانسان لنفسه آلة الدفاع من عدوه . ولكن اذا دارت عجلة الزمان وأصبح رباط الخيل عدة المروعة في انتحار على البقاء ، وجب ، وإن كل جوهر شريعة الدفاع عن نفسه واحداً لا يتغير ، أن تتغير وسائله بمقتضى التطور الذي أصاب العلم والفكر ، وبمقتضى الصورة التي استطاع الانسان بمقله أن يجعلها تلبس المادة التي هي أداته في هذه الحياة . كنا نتخذ فيما مضى السيوف والحراب والسهم آلة للدفاع عن النفس مطاوعة لموحيات شريعة البقاء التي هي ثابتة . ولكن هذه الصورة التي لا بدت عدّة هذه الشريعة قد تكيفت الآن ، فم نكون صيافين إلى الحياة وإلى إدراك الحقائق وإلى الفهم الصحيح ، إذا ربطنا بين الشريعة وأداتها ، وقلنا إن الصورة التي صلت عدة لشريعة ما ، قد تصلح لجميع الأزمان ولجميع الظروف وعند جميع الناس وفي مختلف بقاع الأرض ؟ اذا ثبتنا على ذلك فإنما نكون متخلفين عن زماننا ، جأحين إلى الجمود الذي لا مسaire فيه لمقتضيات الحياة المادية والعقلية .

منك في ذلك مثل انسان نشأ في خط الاستواء ثم أراد أن يزور قطب الشمال ، فذهب

اليه في أطواره التي لا تستر من جسمه شيئاً ، نازعاً الى الاعتقاد بأن شريعة الاستواء هي شريعة القطب وأن الحياة هنا هي الحياة هناك، وإن ما وريث عن الآباء صالح لكل بيئة ولكل زمان ، وما جئنا بذلك إلا لنقول إن بين شرائع القوامر المادية وشرائع القوامر العقلية والروحية ، شبهاً وأي شبه . فإن صورة ما من صور الفكر أو الخلق أو الوضع الاجتماعي قد تعبّس في زمن وفي بيئة وفي جماعة من الناس ، وبينها وبين الحاجات الضرورية للحياة بوناً شامخاً وصعداً متنائياً ، كذلك الصدع الذي يفرق في الطبيعة بين خط الاستواء برمضائه ، وقطب الشمال بزمهريره الذي يعوي الوجوه .

نضرب لذلك أمثالاً من شريعتنا الاسلامية . فالبرُّ بالفقير والمسكين وابن السبيل من الأعياء التي تدخل في شريعة الاسلام مدخل الأمر القاطع . ولذلك شرعت الديانة الاسلامية مبدأ الزكاة ، وجعلت له حدوداً محدّدة بما قام في زمان من حاجات الفقير وقدره الماركي . ولكن حاجات الفقير تضاعفت وزادت ، وقدره من تحبب عليهم الزكاة تضاعفت أضعافاً . وأصبح ما كان يجري مجرى المثل الخيالي من القول بأن هنالك قناطير مقنطرة من الذهب والفضة ، حقيقة واقعة في هذا الزمن . وكان الفقراء والمساكين كما كانوا في جميع العصور وفي العصر الحاضر كثرة بالغة الى جانب قلة يأكلون الأموال بالباطل . فهل نستطيع أن نقول ان مبدأ الزكاة عن المال وعن النفس وإن ظل قائماً بمجهره ، يجب أن يتماق جوهره بأغراضه التي أصبحت في هذا الزمن كأنها الهباء الى جانب حاجات هذا المجتمع ، وإلى جانب الثروات التي امتجمعت في أيدي زاده الغنى نعمة الى المال وزادتها القوة والسلطان جعلاً في سبيل الدنيا ؟

نرجع بعد ذلك الى الجهاد في سبيل الله أو في سبيل الذات . كانت عدة الجهاد فيما مضى سيف ودابة لمن استطاع أن يكون له دابة . فما عدتنا اليوم ؟ عدتنا الفياق الجهزة بأذن الآلات الثمينة والبوارج التي تمخر البحر كالاعلام والطائرات التي تكفي نفقات واحدة منهن لتجهيز جيش برمه في الأزمان السالفة . فهل يكفيننا اليوم لتجهيز جندي محارب ما كان يكفي جندياً في جيش بن الوابد أو أسامه بن زيد . وهل يكفيننا من الخراج ما كان يكفي حكومة اسلامية في الصدر الاول من الاسلام ، وهل نستطيع أن نقول أننا أعدنا عدة

الجهاد ونسبة ما نحجي اليوم من أصحاب الملايين هي نسبة ما كان يحجيه عمر بن الخطاب ،  
إلا ونكون الى اللهو أدنى ، والى انكار واقع الأمر من الحياة أقرب شيء ؟ أما والأمر  
على ما رأيت ، فإن لكل زمان شريعة ولكل أجل كتاب .

\*\*\*

في هذا كثير من الحق . وإذن نخلص منه الى سؤال : ما هي الغلالة التي تأثر بها  
شريعتنا التي نعتقد أن جوهرها هو الحق الذي ثبت في قلوبنا باعتبارنا بشراً ، ونشرته  
عقولنا وأفكارنا باعتبار أننا أهل عقيدة مزاجها ثابت ثبوت الرواسي ، وإيمان روحه من  
الحق والى الحق . الغلالة أو الصورة التي ينبغي أن تلبس شريعتنا السمحة بمقتضى تعاورنا  
الذي قطعنا فيه شوطاً مداه خمسة عشر قرناً من عمر هذه الدنيا ، إنما تستمد من نسبيج  
بلاطم المحيط الذي اكتنفنا في العصر الذي نعيش فيه . محيط عمرنا فيه بأن الظلم واقع  
ونحن لا ندفعه ، وأن الفقر كائن ونحن لا نقتله ، وأن المرض فتاك ونحن لا نقاومه ،  
وأن الجهل فاش ونحن لا نساجله ، وأن الاخلاق ذنية ونحن لا نقوّمها ، وأن المطامع فاضحة  
ونحن لا نكبتها ، وأن الضلالة قائمة ، والحقيقة نائمة ، وأن العدل ضياع ، والظلم فناع ،  
وأن الصراحة قتل ، وإن سبيل المجد كيد وختل . إن عدتنا في ذلك أن نقول ، ونقول بحق  
« لكل أجل كتاب »

لقد مضى والله الحمد من ذلك الزمن الذي كان أصلافنا في عصور انحدارهم يرون فيه  
الظلم لزاماً ، والفقر لجاماً ، وأن المرض بليّة ، والجهل عطية ، وأن دنايا الخلق صيب  
الرعد ، وأن الطمع طريق الجاه ، وأن الضلالة إذا لم تصبك فحسبك أنها عنك بمنأى وأنت  
منها بمنجى ، وأن العدل إذا ضاع فما عليك ضياعه إذا لم تفجع في مال ولا ولد ، وما عليك  
أن تسكت عن الحق فلا تصارح به ولو أصبحت في دين الله شيطاناً أخرس ، وفي ذمة  
الرجولة خنثى ، فلا أنت بذكر ولا أنت بأنثى .

الغلالة التي توأّم روح عصرنا ومحيطنا ، وتنفق ومدرج الحياة الذي درجنا فيه هي  
الغلالة التي تردنا مسدين أحراراً في أفكارنا وقلوبنا ، وأن نتخذ من الأنياب اثبات قوة  
ندفع بها الظلم ونمحطّمه ، ونقتل بها الفقر وندفنه ، ونقضي على الجهل ، ونهوي بقوانا

كلها على المرض : مرض الأجسام ومرض النفوس ومرض العقول ، وأن نصارع أنفسنا ونصارع الناس بالواقع ، ونعمل على أن لا نكون غياطين خرماء نعرف الحق ونسكت عن الحق . وفيما اليوم من القوة ومن البأس ومن الرجولة والقوة والایمان ، ما لو أردنا أن نزحزح به الجبال لنزحزحناها أو نخرق به الأرض لخرقناها ، ونمذنا من أقطارها الى الحق والى العدل والى الغنى والجاه ، ليكون من نصيب الناس أجمعين ، لامن نصيب من قست قلوبهم فأصبحت كالحجارة أو أهد قسوة ، وانضمت نفوسهم فأصبحت كحالة الشيء ضررها وانفع ونفعها بعيد ، أولئك الذين هم يعلمون أن جاههم سبيله العدوان وما لهم طريقه الظلم الصارخ ، وان دعوتهم مسلوقة من هقاء غيرهم ، من غير أن يؤدوا حتى أمانة القول بأن هناك ظلماً يجب أن يدفع وأن هنالك ملايين من البشر خوت بطونهم وتعرت أجسامهم وفرغت عقولهم وفسدت نفوسهم وارتجت أرواحهم في صدورهم .



لـ كل أجل كتاب ، ولـ كل زمان شريعة . ذلك ما يعليه طبع الحياة وطبع الأهواء ، وذلك ما يثبتته تاريخ الإنسانية الطويل في كل مراتب التحول التي مضى فيها الانسان خلال جميع الأزمان . فما هو إذن طبيعة الطور الانقلابي الذي نقف على عتبه ونكاد ندلف من بابه عزلاً من كل صلاح اللهم إلا " إيماننا بأننا مقدمين على عصر متكثرفيه الأحداث وتوال فيه التغيرات ، وصوف تكثفنا فيه كثير من قوات الشر وتساورنا فيه أبالة من أهل الجلود ، فئة منهم من أهلنا ، وفئة من عدونا ؟

نخطئ كثيراً إذا نحن مضينا نعتقد أن الأساليب التي جرينا عليها في تاريخنا القريب تصلح هي بذاتها لزماننا هذا ، ويتضاعف خطؤنا وتزداد المخاطر التي تحف بجمعيتنا إذا نحن أدركنا الخطأ ولم نعرف به ولم نعمل على حربه الحرب العوان ، لأن الخطر الأكبر ليس في أنك ترى الخطر ، ولكن في أنك لا تدرك مقدار الخطر الذي يلهم بك ، وليس الضعف في أن تكون ضعيفاً وحسب ، بل الضعف الأكبر هو عمورك بالضعف ، كما أن القوة هي في الواقع عمورك بأنك قوي .

وكذلك نخطئ إذا لم نقدر التقدير الكافي ألوان المخاطر التي تمتد في جميع مرافق حياتنا داخلية وخارجية ، ونخطئ إذا نحن اعتقدنا أن الحياة سبيل واحدة ووتيرة واحدة ، وأن



أحداثها لن تنال منا في المستقبل أضعاف أضعاف ما نالت منا في الماضي . فالواجب أن نفتح أعيننا على حقائق الحياة وأن نعلم ، أول ما نعلم ، أن ما بذينا من مجد في جهادنا القريب قد يمحي ويزول بقليل من الضعف يتغلغل في قلوبنا وقليل من التدابر يدب في صفوفنا ، وقليل من المطامع تأكل صدورنا ، وقليل من التهاون يطيح بحريتنا واستقلالنا وبجميع ما رأينا من الصدوع التي خلفناها من ورائنا . فالأعين من حولنا مفتحة والأيدي السامعة تمتد اليها بحجة بكل عدة وسلاح ، والخطر مائل أمامنا منوله لعبي النابغة إذ يقول :

فانك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتناى عنك واسع  
خطا طيف حجن في حبال متينة تمتد بها أيدٍ إليّ نوازع

فإن تطاحن المبادئ الاجتماعية التي تليها مطامع ليس لنا فيها ناقة ولا جمل ، ولأننا منها في العير ولا في النفير ، تهب على هذه الدنيا لفحاتها المستمرة ، وشروطها المستلزمة ، لفحات الحرب وشروط التخريب والتدمير ، فكيف بنا إذا هبت رياحها ونحن عزل من سلاح المادة وسلاح الفكر ، وكيف بنا إذا احتاجت من حولنا الأعاصير ونحن نجمل من أين مهايها وما هي مراميها وما هي بواعثها ، وكيف بنا إذا نحن فهمنا منها كثيراً من أوجه الخطأ وغاب عنا كثير من أوجه الصواب ، وكيف بنا إذا هي تسمرت ونحن على ما كنا استكانة وفساداً وفقراً وجهلاً ومرضاً وخسة في الأخلاق وانحلالاً في الأرواح ونطوحاً مع المطامع الفردية والامغافات النفسية ، وشعورنا دائماً بأن الجمعية لا كفالة عندها للفرد ، وأن الفرد لا كفالة عنده للجمعية .

ذلك كله يجعلنا نفكر ونفكر طويلاً في اللون الملائم الذي يتطلبه زماننا وظروفه القاسية ، لنلبس شريعتنا الجديدة إياه ، شريعة القوة والقدرة ، وما هي وسائلنا إلى القوة وما هي وسائلنا إلى القدرة ، وما هو الكتاب الذي ينبغي أن نجعله نبشراً لنا في هذا العصر الفاسخ الذي يتطلع أهله كل يوم إلى جديد من العلم وإلى جديد من الخلق وإلى جديد من الأساليب ؟

إن وسيلة الحياة في هذا العصر أن نكون رجالاً تؤمن بالحق ، وأرواحاً ترضى بالتضحية ، ومواعيد تعمل عند الحاجة كما عملت مواعيد أسلافنا عند ما حطموا المظالم وأقروا الحقوق فأنفوا الحياة وهدموا للتعمير .

## مشكلة الاسترليني

### ١ - توطئة

لم تفتت مشكلات بريطانيا بانتصارها في الحرب الأخيرة ، بل تفاقت وعظمت حدتها ، أن وضعت الحرب أوزارها حتى ألقت بريطانيا أحوالها الاقتصادية تهديدا بسوء المصير ، فقد حطمت العمليات الحربية كثيراً من أدوات الانتاج ومراكمه وفقدت عدداً من أمواقها الخارجية لاضطراب أحوال أوروبا خاصة ، ومن ثم هبط معدل صادراتها بينما ظل معدل وارداتها على حاله تقريباً فليس يسيراً عليها أن تقلل - الى حد خطير - وارداتها من الاطعمة والمواد الأولية وإلا تأثر مستوى معيشة شعبها تأثر خطيراً وهدد صناعاتها نفسها بالكساد والوبار .

واقدر كانت بريطانيا قبل نشوب الحرب الأخيرة تفتت من حصيلة استثماراتها الخارجية وأرباح أسطولها التجاري وما تجنيه من سوق لندن المالية من وراء العمليات المالية المختلفة من أرباح ، وما يمكنها من صد النفقة بين صادراتها و وارداتها أو كما يقال في التعبير الفني موازنة ميزان مدفوعاتهما . بيد أنه هبطت حمولة أسطولها التجاري كما استنفدت جانباً عظيماً من استثماراتها الخارجية في أثناء تمويلها للحرب الأخيرة وهذا كان من أهم الأسباب التي حدثت بالرئيس روزفلت الى إقرار نظام الامارة والتأجير بعد أن لمس تصدع النظام المالي البريطاني وعجز الاقتصاد القومي عن تمويل حربها مع المحور . ولما انضمت الولايات المتحدة الى صف الحلفاء اتسع نطاق عمليات الامارة والتأجير ، فضمنت بريطانيا حصولها على احتياجاها الحربية والمدنية من الولايات المتحدة دون أن تضطر الى دفع أثمانها أو تقييدها ديوناً عليها ولقد ألجأت بريطانيا الحاجة الى عقد طائفة من القروض في كندا ودول أميركا الجنوبية والسويد وصومرا والشراء مؤجلاً منها ومن غيرها . وفوق هذا كله استغلتها

العلاقة بينها وبين طائفة من البلاد عرفت بكتلة الاسترليني ونظم الممتلكات المستقلة (عدا كندا فلها وضع خاص) والمستعمرات البريطانية وبعض البلاد الصغيرة الأخرى، وأخيراً مصر والعراق. ويقضي الانسحاب إلى الكتلة الاسترلينية — خاصة — ثبات سعر الصرف بين الجنيه الاسترليني وعملة البلاد الأعضاء في الكتلة، وأن تستند نظمها النقدية على ما يعرف بنظام «الصرف بالاسترليني» ولبابه أن يكون غطاء العملة، الأوراق المالية التي تصدرها الخزانة البريطانية، ثم هيمنة بريطانيا على ما تحصل لأعضاء الكتلة من نقد أجنبي وإعادة صرفه إلى كل منهم وفقاً لاحتياجاتهم جميعاً. ولقد منح هذا النظام بريطانيا وسيلة فذّة لتمويل مشروعاتها من صلع وخدمات من أعضاء الكتلة. وتفسير ذلك أنه بمقتضى أحكام الكتلة الاسترلينية تستطيع بريطانيا الحصول على ما تفتقر من عملة عضو من أعضاء الكتلة على أن تصدر مقابلها ما يوازيها من أذونات الخزانة البريطانية وما في حكمها، ويعني هذا حصول بريطانيا على قرض اجباري لا يتجاوز فائدته فائدة غطاء عملة العضو.

وهكذا تجمعت لبلاد الكتلة الاسترلينية ديون على بريطانيا تنيف على الثلاثة آلاف وخمسة مائة مليون جنيه استرليني منها ألفا مليون جنيه تستحقها الهند وأربع مائة وأربعين مليوناً تستحقها مصر. وما كانت بريطانيا لتستطيع سداد هذه الأرصدة بضائع أو عملة أجنبية يستخدمها أصحاب الأرصدة في الثراء من البلاد الأخرى، فاضطرت أن تقيد استخدامها إلى أن يحين أو أن تسويتها وكانت بريطانيا تسمح الفينة بعد الفينة بفك عقال جزء من أرصدة بعض البلاد بواسطة إعطائها مبالغ من الدولارات أو سداد بعض مشترياتها من الأسواق البريطانية.

وللمشكلة الاسترلينية جانب آخر. فإن اقدام الولايات المتحدة على وقف العمل بنظام الامارة والتأجير وضع بريطانيا في موقف بالغ الحرج. إذ حد من وسيلة دفع مشترياتها من الولايات المتحدة وهذا ما دفعها إلى التماس قرض من هذه البلاد تستعين به في رأب ماصدعته الحرب من كيانها الاقتصادي والمالي وفي موازنة ميزان مدفوماتها فترة حتى يستقيم حال اقتصادها القومي.

## ٢ - أثر القرض الاميركي في مشكلة الاسترليني

بلغ مقدار القرض الذي منحتة الولايات المتحدة ، بريطانيا العظمى بمقتضى الاتفاقية المالية البريطانية الامريكية، وفترة سحب القرض تنتهي في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١ وبعدها يبدأ استهلاك القرض . ومن الحري بالذكر أن الحكومة الكندية أقرضت بريطانيا في نفس الوقت ١٢٥٠ مليون دولار كندي .

وتفرض اتفاقية القرض على بريطانيا اجراء التعديلات الهامة التالية في سياستها الخاصة بالاشراف على عمليات المبادلة :

أولاً - أن تتخذ في غضون سنة من تاريخ التصديق على القرض ، التدابير الكفيلة بحمل متحصلات الاسترليني لكل الدول المنتمية الى كتلة الاسترليني قابلة للتحويل الى أية عملة أخرى والغاء نظام تجميع الدولارات Dollar Pool في لندن وتوزيعه على أعضاء الكتلة .

ثانياً - الغاء القيود المفروضة على حرية استخدام الارصدة الاسترلينية المملوكة لافراد في الولايات المتحدة .

ثالثاً - أن ترفع - في غضون سنة - كل القيود المفروضة على المدفوعات وعلى التحويلات الخاصة بالعمليات التجارية الجارية ، وذلك فيما يتعلق بكافة الدول الاعضاء في كتلة الاسترليني وغير الاعضاء .

ولقد رسمت الاتفاقية الخطوط الاساسية لحل مشكلة الارصدة الاسترلينية التي تجوزها أعضاء كتلة الاسترليني وهم يمتلكون الجانب الاعظم من الارصدة . فقصت بفك عقاب جانب من الارصدة المتجمعة فوراً وجعله قابلاً للتحويل الى أية عملة ، والافراج عن جانب آخر منها على دفعات تبدأ من عام ١٩٥١ . أما بقية الارصدة فيجب الغاؤها لقاء « المنفعة التي تجنيها الدول التي تمتلك الارصدة ، من هذه التسوية » . ولم تضع الاتفاقية قاعدة عامة لتسوية الارصدة الاسترلينية ، وتركت أمر ذلك الى مفاوضات تجريها بريطانيا مع دائئها وفي المقال التالي نعرض لتطور المشكلة الاسترلينية منذ تقرير مبدأ قابلية الاسترليني

للتحويل ،،،  
فؤاد محمد سبيل

# نظرات في النفس والحياة

- ٤ -

من نظرات تشترفيلد

فيليب دورمر صانهاوب لورد تشترفيلد من نبلاء الانجليز . وأهم مؤلفاته رسائله الى ابنه وقد ضمها نصائحها التي اكتسبها من خبرته في مخالطة الناس فقد هغل مناصب مختلفة وهاشراً أناساً كثيرين من طبقات مختلفة إذ كان أولاً عضواً في مجلس النواب ثم في مجلس اللوردات ثم سفيراً في هولاندة ثم حاكماً لارلندة ثم وزيراً . ورسائله ذخيرة مملوءة خبرة بالنفوس وكثر من تجارب الحياة . وقد أسرف الدكتور صمويل جونسون الأديب الانجليزي في ذمها ولكنه اعترف في ثنايا ذمه بما فيها من فطنة وخبرة إذ قال لو وصل منها ما لا يحمل التخلق به لصلحت كي يقرأها كل فتى ، وأوجه الاختلاف بينهما كثيرة منها ان جونسون كان ينمق الرسائل في الاخلاق النظرية ويحتذي ما درسه في الكتب ، وتشترفيلد كان يسترسل في وصف النفوس كما خبرها بأسلوب سهل موجز حتى عُدَّ آية في بلاغة الایجاز . ومنها ان جونسون في أيام فقره تسلَّع الى أن يمدّه النبيل الغني بمعونة تعينه على نشر مؤسَّساته ، فلم يفعل اللورد أو أنه تباطأ أو أنه لم يمدّه فأرسل اليه الدكتور جونسون رسالته التي كانت كصوت بوق يؤذق بعصر جديد وباعتماد الادباء على كتبهم بدل الاعتماد على معونة النبلاء . ومؤرخو الادب يقولون ان ابن تشترفيلد الذي كتب له الرسائل لم ينتفع بها انتفاعاً كبيراً ولم يفدّه ذكاء ولا خبرة . ولا غرابة فالكتب لا تخلق عقلاً ولا تنشئ ذكاء غير موجود وانما تفسِّطن وتربي ما هو موجود ، والخبرة قلما تفيد إلا إذا عالجها المرء بنفسه . وكثير من الناس يعالجون التجارب ولا ينتفعون بها فكيف بها اذا كانت تلقيناً ونولاً بقوله غيرهم ، وانما يكون نفع التجارب اذا صادفت النفوس توفيقاً واستعداداً . وكل ما يقال في ابن تشترفيلد انه لم يُظهر فضلاً كبيراً ولا نقصاً خطيراً ، وانما كان من غمار الناس . وأمل المؤرخ الذي كان يأمل نبوغه بسبب الرسائل ، انما هو نوع من الاعتراف بكياستها وفطنتها

وقد أوردت تنقاً على سبيل الاقتباس منها ، والتفكير فيها ، لا على سبيل الترجمة الحرفية . وربما أديجت بعضها في بعض : —

(١) "بعض الناس يمدح نفسه بصيغة الهم فيكسو الفضائل لباس النقيصة والعيب ثم ينتقص نفسه بتلك الفضائل ويعيبها بتلك الحماد التي كساها كساء العيب كي يجعل مدح نفسه سائماً لدى الناس . فيقول مثلاً : من عيوني التي لا أستطيع أن أغالبها أي أقول الحق في غير موضعه ، وآتي بالصدق في غير مكانه . . . أو يقول : من عيوني أي ما رأيت إنساناً مصاباً إلا وددت أن أعاركة في مصابه ، كأنني أجمل الدنيا أو كأنني موكل بها . ولا تزال بي تلك الودادة حتى أقامه المصائب وأهراطه وأعينه على ما حل به وأهني له من أمره ترفيهاً ورعداً . . . أو يقول : من نقائصي المذمومة أي كلها رأيت مظلوماً نصرته ، وإن كان في نصره ضررٌ لي . ومن مقايحي التي لا أستطيع الخلاص منها أي كلما رأيت ضعيفاً أعنته على أمره . . . والعاقِل حقيق بالإنصاف عن هذه الوسيلة التي توهمه إنها تحمل الناس على اغتفارهم له مدح نفسه ، إذ هي لا تحملهم على الاغتفار بل تزيد الناس سخرة به وإزراء عليه — ومن الناس من يتخذ لنفسه شعاراً في أمر من الأمور ويوم الناس أنه وحده كفيل به لاشريك له ويردده في كل فرصة حتى يعمل الناس أمره ولا تنفعه طلاقته ولا أنه ذرب اللسان ذلقه ، وللناس افتنان في هذه الأساليب المتغايرة . وفي الحالتين المذكورتين، المدح المراد للنفس، مدح لم يقصده صاحبه إلا بطريقة ملتوية ولكنها حيلة مكشوفة ."

(٢) إذا أكثر رجل من القسم والنج في الحلف كي يحمك على أن تصدقه وكي يضمنك بحلفه في أمر لا يستدعي تصديقه كل هذا الحلف فهو في أكثر الأحيان كاذب فيما يقول وإلا ما تكلف جهد الحلف كي يخفي به كذبه ، وكي يداوي عيونه في تصديقك كلامه ، وكي يعالج خوفه من رفضك قوله — وهذا يذكرني قصة رجل من أهل المدينة كان يقول للناس : أنا والله من قريش والحمد لله . فقال له سامع : الحلف والتعظيم هنا أمران مُربيان . أي يدعوان إلى الشك والريبة في صدقه . على أن الرجل قد يكون صادقاً في كلمته وإنما يعالج بالحلف اشتهاره لدى نفسه ولدى الناس بالكذب في أمور أخرى غيرها . وقد يكون الحلف عادة عيونه ، ولكنها توقفه موقف الرجل الظنين المتهم في صدقه .

(٣) كثيرٌ من الناس يكرهون أن يُشبهوا بالخفاة أو الغباء ، أو الخف ، أو الخفاة ، أو ما عابه ذلك من أوجه النقص والعيب أكثر من كرههم أن يتهموا بالأنام والغلط

والجرائم والشر - ولكن قلنا يفتن المعاصر الى سبب هذا التفضيل ووجوبه إذ أن الرجل بكره ما يلحق به الاحتقار أكثر من كرهه ما يلحق به خوف الناس منه، وهو يعرف أن الناس قد يعجبون بالشر والخطايا ويزيد صاحبها عظماً وقدرًا في نفوسهم ويفخرون بها. ولكن الناس لا يستعظمون السخف، ولا يحلون الحماقة والغباء، ولا يفخرون بهذه الصفات التي تزيد صاحبها احتقاراً في نظرهم فلا يستهين العاقل بنسبتها الى الناس اعتماداً على أنه لم يجعلهم من الأشرار ولم يقل إنهم من الجرمين فقد نسب إليهم ما هو أقبح في نظرهم وأكثر مجلبة للذم. على أنك قد ترى صاذجاً ينسبها الى صديق، فإذا غضب صديقه دُهِش وقال من غير نعمة للسخرية أدا لم أقل إنه مجرم شرير ولم أقل إلا أنه سخيف !!

(٤) كل إنسان يُفَضِّل أن يمدحه مادح بالصفة التي يدعيها لنفسه، وليست فيه أوليست غالبية عليه، على أن يمدحه بالصفات الممدوحة التي يُقَرُّ له بها الناس ويعترفون بفضله فيها. لأنه في الحالة الأولى يكسب محبة جديدة ولا يكسب شيئاً في الحالة الثانية إلا اعتراف بعض الناس بما لا يفتك فيه أكثر الناس ولا يمارون. وهذا يذكرنا أن الكاردينال ريبليو السامبي الشهير ما كان يتعجج إذا مدحه مادح بمحنته السياسية وخبرته وبراعته وإنما كان يسره أن يمدحه مادح بأجادة فن من الفنون الجميلة لم يجده ولا برع فيه ولا أتقنه. وهكذا أكثر الناس كأنهم ما مسموا قول الامام علي رضي الله عنه ( قيمة كل امرئ ما يحسن ).

(٥) مهد لنفسك منفذاً الى عقول الناس من طريق قلوبهم وما تهتفي نفوسهم فان عقول أكثر الناس وعرة صعبة المسلك ملتوية، وعندي ان هذه النصيحة تنفع أيضاً مع من كان الطريق الى عقله موطأ سهلاً ممهداً فإذا لجأت اليه من طريق قلبه وجدت عقله ازداد سهولة وصار أخف مؤونة وقد لا يكلفك طريق قلوبهم إلا البهاشة والملاينة وطيب الذكر وحنن القول .

(٦) كما أن النقود الصغيرة من العملة القليلة القيمة لاغنى عنها في معاملات الناس اليومية الصغيرة، فنقود الفكر واللفظ القليلة القيمة لا غنى عنها في مجالس الناس ومحادثاتهم ومفاكراتهم. ومن أراد أن يستبعدا وان لا يتعامل معهم في أمثال تلك المجالس إلا بالفكر العويص والرأي العميق والفلسفة البعيدة والألفاظ الفخمة والتعقير في الكلام كان مثله مثل الرجل الذي لا يريد أن يتعامل في المعاملات اليومية الصغيرة إلا بقضبان الذهب الثقيلة الكبيرة فتمتنع المعاملة. وهذا يذكرني قصة رجل كان له ابن هذه صفاته وكان الرجل في مرض الموت وأبى أن يرى ابنه إلا إذا ترك هذه الصفات فوجد ابنه بمرورها في زيارته

لأبيه وإن لم يستطع مغالبة طبعه فكان الموت أحب إلى أبيه من زيارته

(٧) بعض الناس مولعون بالاحكام العامة والجل المألوفة والامثال السائرة يرددونها كلما أتتحت لهم فرصة ويومنون أنفسهم أنها تصدق في كل حالة . والعامل من تجنب الاحكام العامة والجل المألوفة فليست حالة الا وفيها اختلاف قل أو أكثر مما يشاهدها من الحالات . وكذلك الأمم والطوائف والجماعات تختلف آحادها فليس من الصواب أن يحكم المرء على أمة أو طائفة أو جماعة من الناس حكماً عاماً — وكثرة التصادق بالامثال والجل المألوفة التي صارت مسير الامثال لا يلجأ إليها إلا من لا يميز ذقائق الفكر . وبعض الناس لا ينتهي من مثل الا ليبدأ مثلاً آخر أو حكمة معروفة ، كأنه آلة الحاكي تردد من غير تمييز .

(٨) من العلم ما يكسب صاحبه راحة في عيون الناس وقلوبهم ومنه ما يكسبه زينة ، والاول لا غنى عنه ، ولكن ينبغي أن يذكر العامل أن كثيراً من الناس لا يستطيعون وزن الامور ومعرفة رجاتها وإنما يحكمون بما هو رونق يرونه — وإذا كان حكم الناس بالنظر أكثر من حكمهم بالفكر ، فقلما يصيب أحد النجاح الا اذا كان له نصيب من النوع الثاني من العلم .

(٩) إن المسكاري الكبيرة والنعم السابقة قد يسئها المرء بسفهٍ ويفعلها بخرق ويهجم بها على من يجود عليه بخطأ أو طيش وحماقة فتسيء مكارمه ونعمه الى من يعظنها عنده فتصير أسوأ من الاساءة إليه اذا جاءت باطف ينلم حدها ويقل غربها ويقلل أهمها . فرب نعمة قد تجلب عدواً ، وإساءة قد لا تنفّر صديقاً .

(١٠) المفاكحة في الامور الصغيرة من علامات ضوولة النفس وكثيراً ما تكون مصحوبة بالعمور بالنقص يداويه صاحبه بمشاكسة أو مهاترة . أو مغاضبة ، فتكون أظهر لنقصه عند من درس طبائع النفوس

(١١) من أسباب النجاح الصبر على مضض الحديث الفث المسمّل ، أو على مماع رغبات الرجل المشاكس أو المسلّح ، وهو إصغاء لا ينلزمك هملاً تعمله — أو خطة ترميها وتتكلمها وتنفذها — وقد تجد شيئاً من الفكاهة اذا عودت نفسك هذا الصبر وقد تجمع الى الفكاهة فائدة أخرى وهي دراسة نفس محدثك وفي دراسة النفوس لذّة بالرغم من ألم ذلك الصبر ومضضه وبعض من اشتهر باللباقة من الساسة ، وبالحنسك فيها ، أكثر بضاعتهم الاصغاء لا ابتسام



(١٢) إذا هدمت للناس وتبسطت وتسهلت ظن من ينصب الجبائل للناس ويدبر الوسائل لاقتناس الكسب منهم إنك لست ممن ينصيب الشرك أو الشباك فلا يُعبد لك عدة، ولا يتخذ لك أهبة، ولا يلجأ إلى الخذر معك، كما أن ذوي السذاجة يركنون إلى طيب قلبك، ويستنبهون إلى سلامة طرويتك فتريح في الحاليتين

(١٣) الأغرار من الشبان ومن لم ينتفع بتجاربه من الرجال يرون أنهم يكسبون بالعنف والشدّة في كل معاملة أو معاشرة أكثر مما يكسبون بدهاء الخبرة ولباقتها وتأنيبها في معالجة الأمور، ويعدون كل هذه الصفات ضئفاً وعجزاً وجبناً ورياءً، وإنها صفات لا تليق وهم في غفهم وعدتهم يدعون لأنفسهم الحكمة كما يدعي السكران بأنه غير مخمور — وقد يكون ادماؤه مضحكاً يدل على أنه سكران، وإن أنكر ذلك إذ يتراخ ويتلثم ويتلجلج ويخلط ولا يمين في كلامه ويتكلف الاتزان ويتغاضب تارة ويعاتب تارة وهذا أيضاً شأن الأغرار الذين ليس لهم إلا سبيل العنف

(١٤) إذا كان لك فضل فليس السبيل إلى اعتراف العقلاء المبصرين والدهاة ولا إلى اعتراف من يغمط الناس حق فضلهم وهم كثيرون، أن تكيد الناس بمباهاتهم به في الأحاديث والمجالس وبأن تظهر لهم أنك تعرف من فضلك أكثر مما يعرفون، فإن الناس قلما يفتخرون لك ذلك ويعدون فضلك إساءة إليهم وإن اعترفوا به سرّاً أو جهراً. وهم يحاولون انتزاع اليقين والنقة به من نفسك بأصاليب مختلفة، ولكنك قد تحملهم بالملاطفة وسياسة التأني وأصاليبها على اغتفار الفضل لك — وكذلك إذا كان لك فضل على إنسان بأن صفتت من ذنب له أو إساءة أو زلة أو إذا كنت قد انتقلت من وحدة صقطة كاد يتردى فيها وأزرت به، فليكن همك أن تنسبه فضلك عليه وإطلائك على صيئاته وموضع النقص منه. فإن كثيراً من الناس يحقدون على من أطلع على زلاتهم ونقائصهم وإن كان إطلاعه عليها من ناحية انتقاله إليهم من وحدة زلتهم ومعوته لهم وانتاذم من عواقبها، فإن تلك المعونة وذلك الانتقاذ لا يفيضان لاغتفارهم إطلائك على نقصهم. وفضلك في ذلك لا يشفع لك بل يزيد حرازة حقد من تفضلت عليه إلا إذا كانت لك لباقة تنسبه فضلك عليه وإطلائك على نقصه، وقد يكون مثلهم مثل المرأة التي لطمت صائق الترام الذي رآها قد زلت قدمها وكادت تسقط تحت الترام فجذبها إلى نفسه وانقذها من الموت.

(١٥) الناس قلما يفتخرون بذنوبهم من إذا شرعوا يحدثونه أمرع إلى إظهار معرفته لأحدث. وبعض الأغرار ومن لم ينتفع بتجاربه لهم ولم عجيب بهذا الأمرع إلى إظهار معرفتهم حديث

المحدث - كأنهم يظنون ان يحسب الناس انهم قد فاتهم شيء من أمور العلم والدينام يدركوه ولم يطلعوا عليه قبل حديث المحدث وهو اطلاق لا يزدهم فضلاً بل نقصاً في نفس المحدث الذي لا يهيمه أن يزن قدر علم من سبقه واستلب حديثه وإنما يهيمه أن لا يسلب منه جليسه كرامة نفسه وان لا يعرفه الاستخذاء

(١٦) ينبغي للعاقل أن لا يظهر الامتناع والغضب إذا ظهر عليه انسان بالحجة أو بآراءه هاوياً وهائلاً أو مزح معه مزحاً مستكراً . بل الكرامة والريخ في أن يكظم غيظه وأن يستر عن نفسه وان ينظر الى هذه الأمور كأنه يشاهد مشهداً في عالم آخر من غير تصنع ولا كبر المضحك المغالى فيه والذي يجعله كالممثل المازل ومن غير شجار أو مهارة لأنه بها يضع كرامته ، ومن غير أن يأذن لفكره وذكريته في معاودة هذه الأمور فيتعجب ، ومن غير أن يلجأ الى التعريض في ثنايا كلامه بالسخر المعنى أو الواضح . وهذه أمور قد تسبب عداوات وتارات قد يشترك فيها أصدقاء خصمك وأقاربه ، فكأنك أثرت حول نفسك النحل من خليته وأقل ما في هذه الأمور من الضرر اذا لم يتخذ خطة متسعة النواحي لاغتيابك أن يأذن ويستم صامتاً لمن يغتابك كما قال الشاعر .

فصامع القدم مقرّ به وقابل الغيبة كالفائل

(١٧) كثير من الناس لا يميزون بين التسامح والتسهل في المعاشرة وبين التمليق والتناق فيأبون التسامح ويرفضون التسهل ويضعون بحسن المودة وطيب العشرة بأن يراجعوا كل انسان فيما يصف به نفسه أو ينسبه اليها أو يغلطوه أو يكذبوه أو يكثر من مخالفة مع ان بعض الناس يعمد القليل من مخالفته تكديباً - ويفعل المغلط المراجع المقاطع ذلك بدعوى نصرته الحق والانصراف عن التمليق والتناق ، وإنما يفعل ذلك خشية ان يظهر انسان بفضل بدعيه أو رأي يرتئيه أو حجة يدلي بها وتوهم المغلط المقاطع نفسه إنه اذا لم يفعل ذلك أضاع كرامته ولم ينصر الحق وأمان على الباطل بسكوته وكأنما تنهد الأرض وتسقط السماء اذا لم يفعل ذلك فلا يميز الكبائر من الصغائر وإنما يكون الباطل الذي يحارب ما تخذل به أمور الناس لا ما يتسهل ويتسامح فيه العشير في العشرة .

(١٨) أحسن ما تكون الفضيلة إذا أرادها المرء كما يريد نظافة جسمه للراحة والصحة

والعاقبة لا لباهاة ، وكما ان المرء لا يطلع الناس على نظافته ولا يلفتهم اليها ولا يحدّثهم بها ، كذلك الحازم العاقل لا يحدث الناس عن فضيلته .

(١٩) في أكثر الأحيان اذا قال الانسان قولة روح بريئة جرأ اليها حديث محدثه وكانت صلتها بالحديث أو بانسان مذكور فيه تفسرها فانها تنقل الى انسان آخر له صلة أيضاً بالحديث مبتورة وبخفي ناقلها صلتها بالحديث فتخرج عن معناها وتصير إهانة ، ولو ان ناقلها ذكر حديثه وصلته به ما كانت اهانة . فيجب تجنب المرح البريء اعتماداً على صدق الناقل إذ كيف تكفل صدقه ؟

(٢٠) الحازم لا يشارك المغتاب بالكلام ولا يشاركه بالاصغاء والسكوت فقابل الغيبة كقائلها وإنما يحمل أن يقول انه لا يعرف من أسر الغيبة شيئاً وهو اذا لج في انكارها جنى فوائد منها ان الناس تبرئه من الغيبة وتعدّه غير متبوع أخبارهم فيقل حذرهم منه ، وكلما أمعن في اظهار الجهل والانكار أكثروا من تمرينه ما يدعون معرفته من أخبار غيرهم ، إذ ان الناس منهومون بادعاء معرفة أخبار الناس وأسرارهم وكلما قلت معرفتهم زادت نهيمتهم باطلاع معاشريهم على ما يدعون معرفته ، ومنهم من يستطيل بادعاء صداقة الناس بالباطل كي يستطيل بادعاء معرفة أخبارهم وأسرارهم بالباطل أيضاً .

(٢١) في الناس أصناف يحمل ان لا يشركهم العاقل في خاصّة شؤونه ، ولا ان يطلعهم على بواطن أمره وأخباره وأسراره . ومن هؤلاء الغرير الجاهل فانه يذيعها كي يعرف أنه عالم بالناس ، والخائن كي يومئ الاغرار ان غيرهم قد ائتمنه ، والمماكر الداهية كي يفيد من اذاعته ما يستطيع ، والخبث إذ أنه يحولها مادة صالحة للأذى يؤذي بها من أشركه في أمره ، والزميل الذي ربما جعلته الحياة منافساً فيتخذ منها مادة لمنافسة زميله وتنقصه كي يفوز في موضوع المنافسة بدلاً منه . والمنافس مهما كان سهماً ذا مروءة لا يؤتمن على سر أو خبر أو شأن خاص ، إذ ان المنافسة قد تحمل الناس على الانصراف عن سبيل المروءة حتى يفوزوا في المنافسة ، ثم يعودون الى مروءتهم وهما متهم بعدها .

ع . ش

# التعريف

## بشرح التصريف المسمى بالمنصف

إنه كما يفهم من العنوان كتاب في علم التصريف أو علم الصرف وهذا الكتاب مؤلف من متن وشرح ، المثلن لامام اللغة العربية وعلومها في عصره أبي عثمان بكر بن محمد بن بقیة المازني المتوفي سنة ٢٤٩ هـ والشرح لامام اللغة العربية وعلومها في عصره أبي الفتح عثمان ابن جني المتوفي سنة ٣٩٣ هـ وقد تمتی هذا الشرح المنصف .

من هذا الكتاب بدار الكتب المصرية بميدان احمد ماهر بالقاهرة نسختان خطيتان الاولى من كتب الامام العلامة الحافظ الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركي الهنقطي وقد نقلت مع كتبه الى هذه الدار بعد وفاته وهي محفوظة فيها برقم ٢ من صرف ومكتوبة بخط مغربي دقيق ، في قراءته بعض الغشور ( وهي كهذه المجلة طويلاً وعرضاً تقريباً غير أن عدد صفحاتها ٣٧٠ ) والنسخة الثانية من هذا الكتاب من كتب العلامة الجليل احمد تيمور باها ونقلت مع كتبه هي الأخرى بعد وفاته الى هذه الدار وهي محفوظة فيها برقم ٦٥ صرف تيمور وهي منقولة عن النسخة الأولى بخط نسخ واضح ( وهي كهذه المجلة طويلاً وعرضاً غير أن عدد صفحاتها ٧٨٠ صفحة )

وكل من النسختين أربعة أجزاء الجوزان الاول والثاني في النسختين اهتملا على المتن والشرح جميعاً واستوفياها ، والجزء الثالث فيهما فيه تفسير المشكل من اللغات التي أوردها أبو عثمان المازني في المتن ، والجزء الرابع فيهما فيه تفسير مشكلات التعريف التي أوردها أبو الفتح عثمان بن جني في الشرح

وأما مباحث الكتاب فهي في ثمانية عشر باباً وهي (١) باب الائمة والافعال كم يكون عددها في الاصل وما يزداد فيهما على الاصل (٢) باب ما تجعله زائداً من حروف الزيادة (٣) باب ما قيس من الصحيح على ما جاء من الصحيح من كلام العرب (٤) باب الباء والواو

اللتين هما فاءان (٥) باب من مسائل الباء والواو اللتين هما فاءان (٦) باب ما الواو والياء فيه ثانية وهما موضع العين من الفعل (٧) باب ما لحقته الزيادة من هذه الأفعال من بنات الثلاثة (٨) باب ما جاء من الأسماء ليس في أوله زيادة من الواو والياء اللتين هما عينان (٩) باب ما تقلب فيه الواو ياء (١٠) باب ما يكثر عليه الواحد تمثلاً ذكرنا (١١) باب ما اللام فيه حمزة من بنات الياء والواو اللتين هما عينان (١٢) باب الباء والواو اللتين هما لامان (١٣) باب ما تقلب فيه الباء والواو ليفرق بين الاسم والصفة (١٤) ما تلزم الياء فيه بدل الواو إذا كانت فعلت فيه على أربعة أحرف فصاعداً (١٥) باب التضعيف من بنات الياء نحو حييت وأحييت (١٦) باب التضعيف من بنات الواو (١٧) باب ما قيس من المعتل ولم يجيء على مثاله إلا من الصحيح (١٨) باب ما تقلب فيه تاء افتعل عن أصلها ولا يستكمل بها على الأصل البتة

وتحت هذه الأبواب فصول كثيرة جداً فيها من دقائق التصريف واللغة وتحرير لمجاعات العرب ووجوه الخلاف بين العلماء وتحليل الأنفاظ وبيان مقاييسها وأسرار العربية ما برز فيه ابن جني على المتقدمين وأعجز المتأخرين، وكلها تدور حول تغيير في بنية الكلمة لا لغرض معنوي طارئ بمقتضى هذا التغيير كتحويل المكبر الى مصغر في نحو كتاب وكتب ييب وكحويل المصدر الى أفعال نحو الضرب تقول منه ضرب يضرب اضرب وهكذا وإنما هذا التغيير لغرض لفظي كالإلحاق والتخلص من التقاء الساكنين والتخلص من اجتماع الياء والواو وسبق إحداهما بالسكون .

وقد حصر العلماء هذا النوع من التغيير في أبواب واختلفوا في عددها وفي أمثاتها وقد اخترت لها هذا العدد وهذه الأسماء وهي الاعلال والتصحيح والزيادة والحذف والقاب والإبدال الصرفيان والتسكين والتحريك والادغام .

وهذه هي بحوث علم التصريف كما يراه المتقدمون ومنهم مؤلفا هذا الكتاب وكما يراه بعض المتأخرين كالإمام ابن مالك فإنه عقد للتصريف في كتابه التسهيل وفي ألقبته في النحو باباً ذكر تحته هذه البحوث التي يكون التغيير فيها لغرض لفظي لا لغرض معنوي

غير أن أكثر المتأخرين توسعوا في مدلول علم التصريف فعرفوه التعريف الآتي :  
التصريف هو تغيير في بنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي . فالأول كتغيير المفرد الى التثنية والجمع نحو محمد : تقول فيه محمدان ومحمدون وكتحويل المصدر الى الصفات نحو القول : تقول منه قائل ومقول وقوول وقوَال وغير ذلك والثاني كتغيير قول وغزو ويسع ورتي وسما ونباي الى قال وغزا وباع ورتى وسما وبناء . ودونوا هذا العام بهذا التعريف الوامع

في كتب أجلاها جميعاً الغافية لابن الحاجب . على أن الغافية أهملت بعض بحوث القسم الأول لأن مؤلفها ذكرها في كتابه الآخر في علم النحو المسمى الكافية وذكر في الغافية بحوثاً أخرى ليست من القسمين ، ولا هي من علم الصرف ، بل من علمي الصوت ورسم الحروف . والقول الفصل في هذا هو أن بحوث التغير في بنية الكلمة لأغراض معنوية بحوث كثيرة جداً وهي اعتقافية أولى بها أن تضم إلى بحوث علم الاعتقاق ، وأن بحوث التغير في بنية الكلمة لأغراض لفظية كثيرة هي الأخرى وجديرة لكثرتها ودقتها أن تستقل بعلم وبكتب وبدراسة وبمخصصين بهذه الدراسة وأن الجمع بينهما في علم واحد وفي كتاب واحد يخالف آراء المتقدمين والخذّاق من المتأخرين ، ومخالف لسنة النشوء والارتقاء كل المخالفة ، لأن هذه السنة تسير بالعلوم إلى التفرّع والانفصال لا إلى التجمع والاتصال وهذا هو سرّ رقيها وتقدّمها .

\*\*\*

والكتاب مکتوب على الطريقة السلفية التي سلكها صيبويه في الكتاب وعبد القاهر الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز في علم المعاني وأسرار البلاغة في علم البيان كتاباً فصيحاً خالية من الاصطلاحات العلمية ومن الأصاليب المعقدة .

وقد كان مؤلف المتن إمام عصره في اللغة والأدب والنحو والصرف والرئيس الذي انتهت إليه الرياسة فيها في البصرة وكان معنياً كل العناية بعلم الصرف يحور مسائله ويدارس العلماء إياها ويرعدهم إلى الصواب إذا أخطأوا . وكان علم الصرف إلى ذلك العهد في طور الذهوء والتكون حتى أصبح حامل لواء هذا العلم وحده غير منازع وما زال ، حتى حرر مسائله وجمعها في هذا الكتاب فكان أول كتاب دون في هذا العلم وحده فلم يسبقه أحد إليه . وكان مؤلف الشرح هو الآخر إمام عصره في اللغة والأدب والنحو والصرف والرئيس الذي انتهت إليه الرياسة فيها في بغداد وكان معنياً بعلم الصرف عناية خاصة شغلته به طوال حياته لأن السبب الذي حمله ترك التصدّر للتدريس والرجوع إلى طلب العلم مرة أخرى وملازمته أستاذه الامام أبا علي الفارسي طالباً دهرًا طويلاً ، مسألة صرفية . ولذلك لم يكن في علومه مع علو كعبه فيها جميعاً أكل منه في علم الصرف ولم يصنف أحد في هذا العلم ولا تسكلم فيه أحسن ولا أدق كلاماً منه وقد درس كتاب أبي عثمان المذكور على أستاذه الامام أبي علي الفارسي ولم يشرح هذا الكتاب إلا بعد أن برع البراعة كلها في علم التصريف ولم يطعم أحد بعده في أن يشرح هذا المتن .

فاذا عرفت قدر المؤلفين وعلمت أن كتابهما المتن والشرح معاً أول كتاب وآخر

كتاب ألف في هذا العلم بهذا المعنى فلم يسبقا اليه ولم يلحقا فيه، عرفت قدر هذا الكتاب إنه فوق أقدار ككتب الصرف جميعاً. عهد له بذلك العلماء المتقدمون .

وقد سألت الامام الحافظ الجليل المرحوم محمد محمود بن التلاميذ التركي الفنيطي الذي كان شاعر النيل حافظ بك ابراهيم ورحمهما الله يقول فيه « انه مكتبة متنقلة » لكثرة حفظه وحسن ضبطه . سألت هذا الامام مرة وكنا منصرفين من دار الكتب المصرية أيام كانت في درب الجمايز قبل أن تنقل الى مبناها الجديد بميدان أحمد ماهر « باب الخلق » ماخير كتاب في علم الصرف ؟ فقال لي رضي الله عنه وأرضاه : الشافية لابن الحاجب وخير منها شرح ابن جني على تصنيف المازني ولا يوجد الاّ عندي : ولعظيم تقني بالشيخ وغازي باستقلال علوم العربية وبخير ما ألف فيها بقيت هذه الاجابة طالقة بذهني بنصها للآن وقد مضى عليها أكثر من أربعين سنة كأنني ممعتها منذ ساعة .

وعلى إثر وفاة الشيخ الى رحمة الله تعالى ونقل كتبه الى دار الكتب سارعت الى الاطلاع على هذا الكتاب . غير أنني لم أتنفع به لصعوبة في خطه فلما توفي المرحوم أحمد تيمور بالها الى رحمة الله هو الآخر ونقلت كتبه الى الدار اطلعت على نسخته وحيثُذ عرفت قدر الكتاب وانتفعت به كثيراً . ولقد ذكرت هذا الكتاب وبينت قدره للسؤالين من كبار رجال الدار في خلال هذه المدة الطويلة غير مرة ليطلع ولكنه لم يطبع .

والآن وبعد أكثر من أربعين سنة وقد طال الانتظار ونقد الصبر وبعد أن نشرت مؤلفي الكتاب ترجمتين مطولتين في عهدي يونيو سنة ١٩٤٦ م وأغسطس سنة ١٩٤٧ م من هذه المجلة الغراء أقدم هذا الكتاب بهذا التعريف إلى من يعينهم أمر اللغة العربية ، الدرة البتيمة في تاج اللغات الشرقية ، وأمر هذين الامامين الجليلين من أئمة اللغة العربية وبخاصة ابن جني الذي ترك أكثر من أربعين مؤلفاً كلها جيد جدير بالطبع ومنها في دار الكتب المصرية عدّة مؤلفات وأجدها بالطبع المربع هذا الكتاب ثم كتاب « مرّ الصناعة في حروف الهجاء وهو آية من آيات علوم العربية ثم كتاب المحتسب في شواذ القراءات وهو الآخر آية أخرى .

ولعل هذه الدعوة تحيد قبولاً فيتقدم لطبع هذا الكتاب فرد أو جماعة أو معهد أو شركة فتردان به المكتبات العربية في أنحاء العالم ويعتزّ به اللسان العربي .  
وبهذا المقال أدبت الأمانة التي حملتها منذ أكثر من أربعين سنة واللهم فاشهد.

عبد الله أمين

## ٤ - في الترتيبية

### الأسس الحيوية للترتبية

- ١ -

انقسم علماء النفس فريقين حول مظاهر الحياة النفسية للفرد ، وتزعم واطسن الأمريكي المدرسة الآلية في تفسيره ، معتبراً الانسان آلة معقدة التركيب ، تفسرها قوانين الطبيعة والكيمياء ، وما الفرق بين الانسان والآلة إلا في درجة هذا التعقيد . وقد بدأت هذه الحركة التي بلغت ذروتها في مدرسة واطسن بديكارت ، الذي سلب الحيوان القدرة على الشعور والاحساس ، ثم طبق أتباعه رأيه على الانسان . ثم ظهرت المدارس النفسية الحديثة التي رأت في الانسان اختلافاً جوهرياً عن الآلة مهما تعقدت وتركبت ، هو الفرق بين الجامد والحي . فالكائن الحي يعمل ويسلك متكاملًا متحداً ولا ينتج مجموع أجزائه هذا الكل ، وإنما يعمل كل جزء عمله وكأنه يعلم مكانه بين الكل العام . ولو تمكن عالم كيميائي من خلق خلايا حية في معمله ، فلا ندرى كيف تختص كل مجموعة بعمل خاص ، وتسير المجموعات منسجمة متحدة كما يظهر بين أجزاء الكائن الحي . إن ما يربط هذه الأجزاء ويؤلف بينها ويجعلها متكاملة هو الحياة ، وهي ما ينقص الأجزاء لو فصلت وأعيد تركيبها فأعوزها التكامل والوحدة .

فالكائن الحي مختلف في جوهره عن الآلة ، والكرة تتحرك بين قديم اللاعب دون إرادتها ، وتخضع في اتجاهاتها لعوامل خارجية كمقاومة الهواء لها ، وقوة الجاذبية الأرضية ، أما حركة الطائر على الغصن ، حين يرى قطعاً يهاجمه ، فينطلق حائماً برهة ثم ياجأ الى مأمن بعيد ، فهو سلوك متنوع تلقائي ، يرمي الى تحقيق غرض ، ويندفع الى تحقيق نتيجة تنبأ بها قبل تحقيقها . فالسلوك مغرض يرمي الى تحقيق غاية ، وغايته متصلة بسببه وهو نقاط حي لا نقاط جامد .



ومن صفات الكائن الحي النمو وتمثل الغذاء والتناسل لحفظ الجنس ، فإذا ما أصاب الحيوان جرح ، اندمل ، وإذا ما أصاب بعض الحيوانات بتر في طرف من أطرافه فما غيره وإذا مرض الكائن الحي سعى إلى الشفاء . يقول بآرك Patrick تعدل الحياة نفسها بنفسها ، وتكيف مع ذاتها ، وتخلد نفسها بنفسها . فأين ذلك في عالم الآلة ؟ إن الآلة لا تخلد نفسها أو تتكامل ! !

ووراء السلوك عقل من العسير تعريفه . ويرى مكيدوجل أنه بناء متكامل ذوامه قوى النفس ، ويرمي إلى تحقيق « الغرض » وهو تفسير غامض في بعض نواحيه ، فما معنى القوى ، وما معنى الغرض ؟ وهل العقل مادة ؟ وما صلته بالجسم ؟ يرى أنصار التوازن الثنائي بين الجسم والنفس ، أن النفس مختلفة تماماً عن الجسم ، ومع ذلك يعملان متوازنين دون التقاء ، بينما يرى أنصار الوحدة أن الجسم والعقل حقيقة واحدة ، فكل شيء واحد ، ينتج عنهما معاً ظواهر النشاط . وترى جماعة ثالثة أن المنتج النهائي من النشاط لا يرتبط بالجسم ولا بالعقل وإنما هو شيء جديد . والواقع أن العقل والجسم لفظان من نسج الخيال ، وفرضان يبرزان عن حقيقة نفسية واحدة ، فالكائن الحي كل متكامل ، ومظاهر سلوكه ونشاطه متنوعة ، ومصدر السلوك والنشاط في الذات هو البناء النفسي بمظهره الشعوري واللاشعوري .

فالشعور ؟ ندرك أننا نشعر ونريد ، ندرك أنواعاً من المشاعر ، وتكون المشاعر الخبرة الفردية ، والشعور مستمر نشط ، وخصوصيته الحياة التي تميزها عن الجماد ، وهي مقصورة على العالم البيولوجي الحي . يقول بآرك « هل سمعنا أن الحجر المتدحرج يشعر ويحصل على خبرة ؟ » والشعور مظهر للحياة متصل بالذات لا ينفصل عنها ، ويبطل يزوالها ، والشعور موضوع . فضررني يؤلمني ، والألم هو الاحساس والخبرة . وقد قال ديكارت قديماً إن الخبرة أصل الحقيقة ، وإذا برهن الفيلسوف على بطلان العالم الخارجي ، فلم يستطع نفي وجود النفس الداخلية . والشعور هو ما يصل الإنسان بالعالم الخارجي ، وهو الذي يساعده على فهم سلوك غيره ، وهو أساس قواعد علم النفس الذي يقوم على الأسس المشتركة للخبرات ، وعلى تفسيرها .

والشعور درجات . ولا نعي كل ما نشعر به . فقد أتذكر أن الساعة قد دقت منذ زمن

بعد حدوث الحدث ، بينما كان انتباهي حينئذٍ موجهاً الى شيء آخر ، ولا بد أن ما حدث أثر على ممعي تأثيراً لم يبلغ حد الانتباه الكامل . فالخبرات إما أن تحدث في مستوى الانتباه الشعوري ، أو فيما دون الشعوري . على أن هذا التقسيم مصطنع ، فلا ينقسم الشعور إلى درجات كغرف متفرقة . وإنما يقال ذلك لتسهيل التفسير . وللشعور مظاهر ثلاثة ، تتلون بها موضوعاته فله لون ادراكي ولون وجداني ولون زوعي ، وقد يتغلب أحد هذه الألوان على اللونين الآخرين ولكنه لا ينعدم لون منها مهما صيغت العملية بالألوان الأخرى ، ولا تنفصل في مظاهرها عن بعضها إلاً بالتحليل المصطنع والتجريد العلمي ، فالخبرة الانسانية وحدة متكاملة دائمة التغير ، يوجهها تركيب نفسي دائم النفاط ، يوجه الشعور والسلوك ، ويحدث الخبرة . وهذا التركيب خفي لا يلاحظ في أثناء الشعور ، وإنما يلاحظ النفسي ، كما يقول صنتون Stout أن الامزجة متنوعة ، ومنها ما هو فطري وما هو مكتسب ، ويرجح مكيدوجل McDougall أن المراجع ناتج عن نفاط التركيب النفسي .

أما اللاشعور ، كما يدعوه هارتمان Hartman أو البناء النفسي كما يسميه ديرشر Drieser فهو شيء يختلف عن الشعور ، فهو الذي يشكل الشعور ، فلدينا الشعور والخبرة من ناحية ، والبناء الذهني أو المراجع أو اللاشعور من ناحية أخرى .

## - ٢ -

ولم يعد تقسيم القدماء للعقل الى ملكات صائبا ، فالعقل لا ينقسم الى ذاكرة أو حكم أو انتباه ، أو ما الى ذلك من ملكات تخفي الجهل وراء سلسلة من الالفاظ بمنهج تركيبى ، فالعقل وحدة متكاملة وله نشاط يسمى بأسماء ، وإنما تذكر هينكا ، ولا توجد ذاكرة ، وصمى العلماء إلى ملء الفراغ الناجم عن إلغاء نظرية الملكات ، فوضع صنتون « مظاهر الشعور » ومكيدوجل « الفرائز » على أن نلاحظ أنها جميعاً ألوان للحياة النفسية المتكاملة ، ولا يوجد لها كيان موضوعي .

وأوسع مظاهر التركيب النفسي قدرته على الاحتفاظ ، أو القدرة الميمية Mneme وهي آثار العمليات الحية في البناء الذهني والعقلي والنفسي . ويحتوي الفرد تاريخ خبرة النوع والذات ، والقدرة الميمية مظهر احتفاظ المرء بخبرات الماضي ، وما يدخل في التذكر

الواعي جزء مما يتخلف في اللاشعور . والقدرة الميمنية أوسع من مجرد التذكر الواعي ، وما ذلك إلا مظهر مبهم في مستوى الشعور . وإنما تعمل هذه القدرة أيضاً في مستوى دون مستوى الانتباه ، ويتضح ذلك في قدرة الحيوانات حتى الدنيا منها على الاستفادة من الخبرة . وقد أجرى مكدوجل تجربة أدخل بها دودة في أنبوبة ذات شعبتين ، دخلت من أيهما ، ولما سلط تياراً كهربائياً في أحدهما ، مرت بالآخر مرات متتالية . وما زال الكلب يدور في وجاره مرات قبل أن يطمئن إليه ، والطيور تبني أعشاشها بطريقة خاصة ، والسمك يبيض في أماكن يهاجر إليها دون تدريب ، وإنما هي خبرة الجنس في الجانب الاحتفاظي اللاواعي في نطاق واسع . وليست هذه القدرة مخزناً وإنما هي نشاط تلقائي ، لا وجود مستقل له ، فتأتي التجربة وتذهب ، وتبقى آثارها ، في صور تكيف في التركيب النفسي ، بل يعتبره الطبيعيون تأثيراً مادياً في المخ . ويسمى مكدوجل هذه الآثار باسم مركبات حيّة engrams ونسائر القدرة الاحتياطية العامة قدرة ذات مظهر نشاطي ، توجه التركيب النفسي للملاحظة شيء دون شيء ، بأسلوب خاص . ويسمى هوبنهاور هذا المظهر النشاطي الحي «إرادة الوجود» : Will to be ، وبرجسون «الدافع الحيوي» elan vital ، وهو «إلحاح الحياة» ، Hie urge ، وفرويد «الليبدو» libido ، ونن «الدافع الهورمي» Horme وهو المظهر النشاطي بألوانه الشعورية واللاشعورية في الكائنات الحية ، وأقيمت عليها فلسفات تربوية ، أقامها فرويد ، مكدوجل على أساس النظرية الهورمية ، وفرويد على أساس الشعور واللاشعور ، مع اتحادهما في الأساس واختلاف في الفروع .

ونظهر الدوافع الهورمية في مستوى الشعور في الرغبة والارادة ، أي في المظهر النزوعي بمعنى واسع . فهو واضح في نمو غصن مكان آخر مبتور ، ونمو طرف للبرقع مقطوع ، وفي حياتنا من مظاهر الدورة الدموية ، والتنفس والهضم ومقاومة المرض ، واندمال الجروح ونمو الشعر والأظافر وانضمام الجفنين في الضوء اللامع ، فالدافع الهورمي هو المظهر الثاني للحياة في مستوى شعوري ولا شعوري وفردى وجنسى .

ولا ينفصل الدافع الهورمي عن الميمني ، وإنما ذلك تحليل مصطنع نظري ، وهما متحدان في النفس ، وينفطان لايجاد مركبات دائمة التجدد ، والعقل يؤلف بينها . ولم تعد نظرية تداعي المعاني كافية لتفسير الحياة العقلية بوحداتها المستقلة ، والتحليل الشعوري الى عناصر وأفكار

ووضع قوانين لها ، فأعادة تأليف هذه العناصر وربطها من جديد مستحيل ، وقائم على منهج تركيبى لا تحليلي . وإنما تهمل هذه النظرية وحدة العقل ، وتنسى أن الذرات فرض لا تأتي ذاتاً ، وأثار الخبرة هي العامل النفسي العام لا الخبرة نفسها ، ولا بد من تعديل تسمية هربارت للكتل ، وتسميتها بالوحدات الحية . أما تفسير التداعي الى زمني ومكاني وتضاد ، فهو صادق في أقله خطأ في جوهره وإنما المعنى أهم عامل في الترابط ويحدده ستوت *Stout* بأنه استمرار الاهتمام بالنسبة للفرد ، وإنما يمنع القطع عن القرب من صيدة ضربته بكنسها بعد تجربته الأولى معها ، وتكليف آثاره لحياته النفسية الداخلية ، فهو يسلك تحقيقاً لفرض مغرض .

### — ٣ —

وقد ترتب على هذه الآراء الجديدة نتائج خاصة في التربية . فميز الآثار الحادثة وبين اندماجها في مركبات حية جديدة . فترة زمنية ، ويساعد على قوة هذه المركبات استمرار الاهتمام ومدى اتصاله بالاحتياجات ، سواء أفي أعمال تستدعي اكتساب المهارة أو في حل المشاكل العقلية . وكثيراً ما تحمل المشاكل ، ويزداد التحسن في فترات النوم والراحة ، وأعمال المركبات بنشاط متوقف على مدى الاهتمام بالمشكلة ، وما يولبها الفرد من الحاح وعناية ، فكلما زاد الاهتمام ، زادت عملية التكامل ، وكلما اهتدت الرغبة في النجاح ، انفجرت الوحدات للتعبير ، فتتدفق بالحل في حيز الشعور . ولذا كانت عملية تذكر ما على فترات متباعدة أبقى أثراً منها في فترة واحدة ، وكثيراً ما يسعى الفرد لتذكر شيء ما ، ولا يفلح فبتركه وإذا به يتذكره فجأة ، وكذلك من الخير أن يترك التفكير في موضوع مدة حتى يختمر ، وإن تترك الخطبة حتى تتماصك نقطها . وفي الأعمال البدوية ، تكثر الحركات الزائدة في البداية ثم تسقط بالمران ، وقد قام ثورندايك *Thorndike* بتجربة استطاع قط فيها أن يفتح مزلفاً يقفص به طعام بعد مرات معينة ، ثم قل عدد المحاولات في المرات التالية ، ولا يجمع على اطراد التحسن مثل النجاح . ولا بد من فترات لاتماصك بين المحاولات لا تقان المهارات وحل المشاكل ، واكتساب الخبرات الدائمة الأهمية ، والسعي الى السكال والنضوج وما أحوج المدرسة الى مراعاة هذه الأسس الحيوية.

محور د امر سركت

دبلوم في التربية وعلم النفس - ماجستير في الآداب

حام

## المادة والطاقة

أفنو مان في واحد

٤

من مستغربات اينشتاين العلامة العظيم قوله : أولاً ان المادة تزداد كتلة كلما ازدادت سرعة . وثانياً أن المادة والطاقة شيء واحد . وكل من القرايتين تتوقف على الاخرى ، أو بالأحرى الثانية تتوقف على الأولى.

حقاً إن هذا القول لغريب في نظر القاريء العادي . لأنه لا يرى أن الجسم النابت في مكان ما (أي ليس متحركاً) ليس فيه أثر للقوة . ولكي يتحرك لابد من أن تأتيه قوة من الخارج ونصدمه فيتتحرك . ولذلك يظهر له بالتأكيد أن المادة شيء وان القوة شيء آخر . وأما قول اينشتاين ذلك، فيترأى له صخافة مستهجنة . ولهذا ننقل ما قاله اينشتاين بهذا الصدد في سياق الفصل الخامس عشر من كتابه « نظرية النسبية » .

إن حركة المادة السريعة لا تقل جدّاً عن سرعة النور التي هي منتهى السرعة في الوجود المادي . ولهذا تعتبر « السرعة المطلقة » . ونحن نرى هذه السرعة المادية الفائقة في الكهارب والايونات Electrons and Ions . وهما كانت سرعة هذين الصنفين مقاربة لسرعة النور فانها تبلغها ولا بد من أن تكون أقل منها . وهما عظمت القوة أو الطاقة التي تعجها .

« إن المسألة التي تهمننا في هذا البحث هي كيف تتوقف طاقة كتلة من المادة على السرعة ... أم نتيجة ترتبت على النسبية الخاصة هي افضاءها الى ادراك ماهية الكتلة ... قبل اكتشاف ناموس النسبية كانت العلوم الطبيعية تعترف بنوعين من الخلود (أي عدم انقضاء) مستقلين كل منهما عن الآخر: خلود المادة وخلود الطاقة (أي عدم قابليتهما للانقضاء والذوال) . المادة لا تفنى بل تتحول من حال الى حال . والطاقة لا تزول بل تتحول من صورة الى صورة . (كذا كان رأي علماء الطبيعة) إلى أن ظهر ناموس النسبية فأثبت أن كلا من هذين النوعين من الخلود هما خلود واحد » — أليس لأن المادة والطاقة شيء واحد ؟

وهنا يشرع اينشتاين بعملية رياضية في إثبات هذا القول الى أن يصل الى القول « بأن للجسم ( أي جسم ) منفرداً من القوة ( أي لافوة له ، ولكن تكون له طاقة مضرة Potential متى كان ثابتاً ( لا يتحرك ) ومتى شرع يتحرك تصبح له طاقة ( بقدر حركته ) وطاقته تزداد بازدياد سرعته ... » .

« ان كتلة الجسم الاستمرارية Inertial ليست ثابتة ( المقدار ) على حال واحدة . وانما تتغير بتغير طاقته . ان كتلة الجسم تعتبر مقياساً لطاقته » . وكذلك ازدياد سرعته يعتبر مقياساً لازدياد طاقته . الى أن قال « ومن هذا يفهم أن ناموس خلود كتلة الجسم هو نفس ناموس خلود طاقته . ناموس واحد لكليهما » . إذن فهما شيء واحد وحاصل القول أن لا كتلة مادية بلا طاقة تتضمنها . وكذلك لا طاقة في الوجود بلا مادة تظهر بها . ويؤيد هذا القول إنه ما ظهرت الطاقة في معادلة رياضية في الطبيعيات إلا مقرونة بالمادة ، أو هذه بتلك .

ولايضاح هذا الناموس المزدوج بمثل واقعي نلفت النظر الى الاجسام الساقطة بحسب قانون جاليليو : « كلما هبط الجسم ازدادت سرعته » وبالتالي تزداد طاقته أو قوته . فهو قبل أن يهبط كان مرتكزاً في مكانه ولا قوة له ، فذا ابتدأ يهبط شرع يسرع وقوته تظهر . وكلاً من سرعته وقوته تزدادان معاً كلما أمعن في الهبوط : لما كان مرتكزاً في مكانه لم يسحق شيئاً . ولكن لما هبط سحق ما هبط عليه إن كان هذا قابلاً للانسحاق . ومعنى هذا أن قوته صارت كثيرة وعنيفة لما وقع على المكان الذي هبط إليه .

يظهر ذلك أكثر وضوحاً في مهابط الماء التي تستخدم قوتها لعمل من الاعمال كادارة حجر الرحى مثلاً ، أو ادارة الآلة المولدة للكهرباء . فالماء الذي يهبط في أنبوبة من علو قائمين تكون قوته أربعة أضعاف قوته اذا هبط من قمة واحدة . ويكون عمله أيضاً أربعة أضعاف . فعندما كان يهبط كان يتسارع . وفيما كان يتسارع كانت طاقته تزداد أيضاً بنفس النسبة . فالمادة والطاقة إذاً متماثلتان تمام التماثل في تزايدهما . وبالتالي في تزايد الكتلة أيضاً . هما أقنومان في واحد ،

هذا أقوى قول اينشتاين . فانظر ماذا يقول السير تجايمس تيجنيز ( وهو أحد

أساطين العلم الستة في العالم ) في كتابه : « الموالم من حولنا » في صفحة ١٨٩ : « ... كان حجر الراوية في علم الطبيعيات في القرن التاسع عشر الذي هو بقاء المادة أو خلودها Indestructibility من جهة وبقاء الطاقة من جهة أخرى قد بطل بطلاناً تاماً وأقيم مقامه ناموس آخر وهو بقاء ذاتية واحدة Entity هي المادة والطاقة . بطل أن تكون كل من المادة والطاقة على حدة خالدة البقاء أو متغيّرين ( لا بل هما تتغيران معاً من حال الى حال لأنهما شيء واحد ) .

الى أن يقول : — « ان الحرارة والنور والكهرباء كلها مؤلفة أو مكونة من الطاقة (كذا) . ونظرية عدم فناء المادة تؤيد هذا القول أي ان المادة نفسها تصير (بالتحول) مكملاً من أشكال الطاقة هذه » (أي أن المادة والطاقة معاً تتحولان بالتجمع الى حرارة ونور وكهرباء) .

« هذه الطاقة التي تنشئ الحياة على الأرض : — النور والحرارة اللذان يحفظان الأرض دافئة ويجعلان دفتها علة غلتها لاطعامنا . واختران نور الشمس وحرارتها في الفحم والحطب — كل هذه تنشأ من فناء المادة أي حلتها ، وإذابتها بواسطة الاشعاع ( وهو فناء الكهارب والكهربات بانطباقها بعضها على بعض وتنافي إيجابيتها وسلبيتها الكهربائيتين . ومصدر الاشعاع Radiation الذي هو فوتونات بشكل حرارة ونور . هذا هو معنى ان المادة تنفي كذرات مكهربة ولكنها تبقى كفوتونات (ضوئيات) غير مكهربة وإنما هي ذات مادة ومطاقة معاً ( وهي المادة الطاقية أو الطاقة المادية )

« ان الذرات التي في الشمس والنجوم إنما هي قوارير طاقة ( فوتونات مادية ) وكل قارورة عرضة لأن تنكسر وتُراق طاقاتها في الفضاء ( نوراً وحرارة ) . ومعظم الذرات التي تكوّنت منها الشمس والنجوم وابتدأت حياتها بها قد لعبت هذا الدور ( في الانفجار الى فوتونات بالاشعاع ) وكان لها هذا المصير . والذرات الباقية في الاجرام سيكون لها هذا المصير أيضاً أي إنها تذوب رويداً بالاشعاع تحوّل الى حرارة وضوء ( فوتونات ) »

يقول « تيجيز » ان هذا الدوبان يحدث بانحلال الذرات فتتحول الكبرى منها إلى مغرى كتحول الاورانيوم إلى هيليوم ورصاص ، وفيز شطاني ، وانفجر الشعاعي هو طاقة بكل حرارة ونور هكذا .

$$\left. \begin{array}{l} ٠,٨٦٥٣ \text{ رصاص} \\ ٠,١٣٤٥ \text{ هيليوم} \\ ٠,٠٠٠٢ \text{ تجمع طاقة ( فوتونات )} \end{array} \right\} = \text{أوقية أورانيوم}$$

المجموع ١,٠٠٠٠ أوقية اورانيوم

يعني ان اوقية الاورانيوم متى ذابت نهائياً الى هيليوم ورصاص نقصت جزئين من الآلاف من وزنها . وهو الذي ذهب شعاعاً طاقياً بشكل حرارة ونور .  
ليس أصرح من هذا البيان لاثبات ان هذا الذي نقص هو مادة بشكل طاقة أو طاقة بشكل مادة هي شيء واحد بلا نزاع .

\*\*\*

ولتر ما قاله السير أدوينغتون أستاذ الفلك في جامعة كبريدج ورئيس المرصد الفلكي . وهو لا يقلُّ مقاماً علمياً عن تيجيز . قال في كتابه « طبيعة العالم المادي » The Nature of the Physical Universe في صفحة ٥٠ ، « كلما اقتربت سرعة المادة من سرعة النور ازدادت كتلتها الى ما لا نهاية له . ولهذا يستحيل ان تجعل المادة تسرع بسرعة النور وهذه النتيجة تستنتج من قانون الطبيعيات الكلاسيكية . وازدياد الكتلة تُحقَّق بعملية تجريبية المسارعة الى أعلى درجة من السرعة »

وفي صفحة ٥٩ يقول « إن أشعة بيتا التي تنفثها العناصر النشطة الاشعاع كالراديوم إنما هي إلكترونات مندفعه بسرعة ليست أقل من سرعة النور كثيراً . والامتحان العملي أظهر ان كتلة الإلكترون واحد من هذه الإلكترونات الفائقة السرعة هي أعظم من الإلكترون الساكن ( غير المتحرك ) . ونظرية النسبية تنبأت عن هذا الازدياد في الكتلة وأبانت قيمة توقف هذه الزيادة على السرعة : والزيادة التي نشأت من الكتلة ببطء إنما هي نسبة متوقعة على تحديد الكميات البسيطة للطول والوقت » ولا محل للتمثيل الذي ينصه أدوينغتون على هذا القول . فهو مسهب ومعقّد .

عمى أن يكون في هذا المقال ارضاء للاستاذ فؤاد جيعان .

نور الهدى



### ٣ - أمراض العيون

#### الزهري<sup>(١)</sup>

##### تأثير الزهري على العين

تبين مما تقدّم أن ميكروب الزهري يكون موجوداً في الدّم وبعض أجزاء الجسم ، والعين جزء من تلك الأجزاء ، وتتألف العين - كما أوضحنا قبلاً - من الجفون والملتحمة والقرنية والقروحية والمشيمة والشبكية والعصب البصري وعظام الحجاج .

وقد سنت الحكومة قانوناً للزواج - هو في دور التشريع - يوجب تحليل دم الزوج والزوجة قبل الزواج للتأكد من سلامتهما حتى يكون نسلهما سليماً من الزهري المكتسب والوراثي ، فإذا وجد بهما أو بأحدهما شيء من ذلك عولج قبل الزواج

﴿ الجفون ﴾ - ويصاب الجفن بقرحة زهرية ، كما تصاب أعضاء التناسل عند الرجل والمرأة وأقول بهذه المناسبة أنه ظهرت خمس حالات بقرحة زهرية في الجفون بمدينة طنطا في امرأة مصابة كانت تداوي بعض الفلحات ، وتعلق الجفون بهفتيها ؟ وقد ذكر المرحوم الدكتور صادق بطنطا في اجتماع الجمعية الرمديّة ، أن تلك الحالات كانت قرحة زهرية بالجفن

﴿ القرنية ﴾ - وتصاب القرنية كثيراً بالزهري المكتسب ، إنما أكثر الحالات تكون بالزهري الوراثي . وعلامات هذا المرض تظهر بين سن الخامسة وسن العشرين . ويسمى ذلك التهاب قرنية جوهري

وقد شهدت بعض تلك الحالات وكانت أولها في سبتمبر سنة ١٩١٩ ، فقد دعيّت لفحص ولد في الثانية عشرة من عمره ، وكان والده وقتئذ من الضباط العظام بالجيش المصري برتبة أميرالاي في السودان جاء الى معبر لقضاء اجازته فيهما فرض ولده بالتهاب شديد في عينه

(١) نشر البحث السابق في مقتطف ديسمبر سنة ١٩٤٧

اليمنى واحمرار في المقلة وعتامة بالقرنية حتى صارت جميعها بيضاء كأنها نقطة كبيرة مع دمع غزير وضعف عن مقاومة الضوء . وكان هذا الولد يعالج عند أحد الأطباء بالمس والمسككات الساخنة لا اعتقاد هذا الطبيب أن هذا المرض هو عبارة عن التهاب حادي . وانقضت ثلاثة أشهر على ذلك العلاج والحالة زداد سوءاً يوماً بعد يوم فلما خضت الولد تبين لي أنه مصاب بالتهاب ( قرنية جوهري ) كما تبين لي من تاريخ العائلة وتاريخ المرض أنه يدل دلالة قاطعة على أنه زهري . فبدأت بعلاج الزهري دون تحليل الدم ، لأن الأعراض الاكلينيكية كانت زهرية ، وقد تحسنت حالة المريض بعد أن كان لا يبصر إلاّ خيال اليد إلى  $\frac{7}{8}$  ، وفي أثناء العلاج أصيبت العين اليسرى بما يشبه ما أصيبت به العين اليمنى ولكن ما لبث الحال أن تحسن ، وصارت العين اليسرى تبصر  $\frac{7}{8}$  بعد ثلاثة أشهر ، وبعد سنة كاملة تحسن النظر في العينين إلى  $\frac{7}{8}$  بعد علاجه علاجاً كاملاً . وقد هني هذا الولد وكبر وترعرع واجتاز الامتحانات العالية وأصبح اليوم من كبار المهندسين في مصلحة صكة الحديد .



انتهينا من تفصيل موضوع تأثير الزهري على القرنية — وهو التهاب القرنية الجوهري — وكيف أنه يظهر في نقط من القرنية عتامة تكون أولاً كالسحابة ويميل لونها الى الزرقة ثم ترتكز في نقطة وتكون عتامة بيضاء محاطة بلون صنجابي ، ولأنه لا تصحب تلك الحالات أعراض تهيجية ، فإن المريض لا يلتفت إليها إلاّ بعد أن يحس بتعب بصره ، وهذا التعب يكون عادة أكثر ما يفهم من حالة القرنية ، إذ قد تزداد المضاعفات فيحدث كيف البصر مدة سير المرض في خلال إصابة العينين معاً . وقد تزل العتامة من غير أن تترك أثراً في القرنية كما تبين من حالة القرنية قبل العلاج وبعده . وقد تستمر وتزداد ممكماً وتترك عتامة كبيرة تؤثر على قوة البصر . ويستمر هذا التهاب زماناً طويلاً ولكنه قد ينتهي بالشفاء في أغلب الأحيان .

﴿ العلاج ﴾ تستعمل المسككات الساخنة والأتروبين والنظارات السود مع علاج الزهري بالحقن واحتمال يودور البوتاسيوم بكميات كبيرة .

ويستعان بالسكف عن التغييرات بالمصباح والمعدسات في الغرفة المظلمة

### التهاب القرحة

وهناك أسباب متعددة لالتهاب القرحة والجسم الهدبي، أهمها مرض الزهري والسيلان والروماتزم والسكر والسل والتهاب اللثة (البوريه) والحليات جميعاً والدوسنتاريا وتعفن أو صديد بأحد أجزاء الجسم حيث يفرز مادة سامة تؤثر على القرحة الخ....

﴿أعراض المرض﴾ ومن أعراض المرض احمرار بال مقلة وألم شديد بالعين والصداع ولا سيما في أثناء الليل، وفزع من الضوء وغزارة الدمع، اذ يندفع الدمع بقوة عند فتح العين، ويخف البصر تدريجاً حتى أنه قد لا يصل الى خيال اليد ثم فقد النور تماماً ثم ضمور المقلة وهذا كثير الحصول في حالة الزهري من الدرجة الثانية، والصداع الذي يصاب به المريض يحرمه النوم (حتى أنه يفاجئ طبيبه أول ما يفاجئه بقوله: «لم أتم يا دكتور طول الليل ولا لحظة واحدة»).

ويستمر هذا المرض من شهر الى شهرين أو ثلاثة أشهر وقد يزيد على ذلك، ثم لا يعود بعد الشفاء خلافاً لحالة التهاب القرحة الناتج من الروماتزم فانه يتكرر وقوعه. وقد يحصل ارتفاع في ضغط العين بما يسمى «أغلوقوما» ثانوية وصداع شديد ويضعف البصر اذا لم يتدارك بعملية لزول الضغط.

(وهناك ملاحظات فنية أخرى خاصة بالطبيب لا محل لذكرها هنا)

وما ذكرناه بشأن القرحة فانه يحصل مادة للجسم الهدبي

﴿الجسم الهدبي﴾ - وربما كان تأثير الزهري على الجسم الهدبي أكثر من أي جزء من أجزاء العين بالنسبة لعبكة الاوعية الموجودة بالقرحة (كما بينا ذلك فيما تقدم عند الكلام عن تشريح العين) وهي كذلك أكثر أجزاء العين احتقاناً فعند ما تلتهب العين أي التهاب، تمتلئ جميع الاوعية بالدم وتنتفخ وتفرز افرازاً كثيفاً يترتب عليه غشاء فوق الحدقة فتغطيها وتسدها سداً محكمًا في بعض الحالات ويحدث التصاقات دائرية وافرار داخل الجسم الزجاجي يؤثر على الضوء الذي يصل الى باطن العين فيقل النظر.

وفي بعض الحالات الأخرى ينعدم النظر بتماماً.

وبهذه المناسبة أذكر أن نسبة حالات الالتهاب القرحي في الزهري المكتسب تبلغ

نحو ٣٠ في المئة . وهي نسبة كبيرة لأسباب العمى .

ومنى أنثر الزهري في القرحة وسبب التهاب القرحة ، فإنه غالباً يؤثر على المشيمة والشبكية والعصب البصري . فإذا شوهت حالة التهاب قرحة هدي زهري ، وجب بحث المشيمة والشبكية والعصب البصري بحثاً جيداً .

﴿ العلاج ﴾ ويتم العلاج بالمكدرات الساخنة وتركيب الدود واستعمال الأتروبين ، والقطرة والمرم والأسبرين ( لتخفيف الآلام مع استعمال مركبات السلفانا )

وعلاج تلك الحالات مضمون نجاحها متى كانت في دورها الأول . فإذا حدث التصاق قرحة دائري وترك الحالة بغير علاج ، كانت النتيجة هي العمى المطلق في بعض الحالات البلورية ومحفظتها في الحالة الطبيعية

يوجد في الحالة الطبيعية غشاء عفاف زجاجي مرن متجانس في التركيب تحت الميكروسكوب مغلفاً للبلورية يسمى بالمحظة البلورية وله جزء أمامي يسمى « المحظة المقدمة » وجزء خلفي يسمى « المحظة الخلفية » ومحيط ملتصق يسمى بالرباط المعلق للبلورية . وخاصة المحظة البلورية هي الزيادة والنقص في السمك بغير أن تفقد شفافيته أما العتامات التي تشاهد فيها فهي « كثرة كثرة محظية » تتكوّن دائماً من الطبقة البشرية التي تفصلها من الألياف السطحية للبلورية .

وشكل البلورية عدسي أي محدودة السطحين ، إلا أن سطحها الخلفي أكثر احديداً من السطح الأمامي ، ويتركب جوهرها من جانب قشري ومن نوايا مركزية ، ذات عفاف تامة ، ثم يميل لونه الى لون كهرماني عند التقدم في السن ، فتعم النوايا المركزية عند وجود التهاب قرحة أو هدي أو مشيمي .

ويعرف التهاب المشيمي بوجود لطح مختلفة الشكل والحجم ، فتارة تكون قدر حلة العصب البصري أو قدر ثلثه أو ربه ، وتارة تكون أكبر من ذلك . والضمير منها يكون مستدير الشكل ، والكبير يكون غير منتظم وتستعمل اللطخة فيما بعد الى لون أضر محاط بالسواد كخلايا الطبقة البشرية التي فسدت بالالتهاب ، وكلما تقدم المرض يضر الشبكية المشيمي في النقط المصابة بحيث يرى الغشاء الهادي تحته ، وحينئذ يميل عمل اللون الأصفر .

والالتهاب المشيمي المنتشر هو الالتهاب الزهري ، ويعرف بوجود نقط بيض قدر رأس الدبوس ترى بالعين بجوار القطب الخلفي من مقلة العين أو في محيطها ، منعزلة أو منضمة بعضها الى بعض ولكنها منفصلة بحواف ذات لون داكن ، ومقرها خلف المشيمة . ويسري هذا الالتهاب بسهولة نحو الشبكية حيث يسمى الالتهاب المشيمي الشبكي الزهري الذي فيه تفقد شفافية المشيمة فتحتقن أو عيتها وتصير متموجة ، ويصحب ذلك عتامات في الجسم الزجاجي تبدو على شكل رماد دقيق أو خيوط أو أغشية وتمنع ذلك رؤية باطن العين .

و « الكدرات » البصرية في هذا المرض كثيرة ، فيفكو المريض تارة من غيام محوي وتارة أخرى من سحابة متموجة ، وقد يفكو من رؤية « لمان » أو « تلون » ويبحث ميدان النظر ، يظهر ضيق دائري فيه ، أو فقد جزئي من مركزه ، وأما الحدة البصرية فتتقص متى كانت الاصابة قريبة من « الماقولا » أو فيها ، وحينئذ تبدو الاشياء المريض مشوهة الشكل ، أو أصغر من حالتها الطبيعية .

ويمكن شفاء هذا المرض متى كان حديثاً وبمبدأ عن « الماقولا » والعكس بالعكس . وأسباب هذا المرض هو الزهري في معظم الاحوال ، وعلاجه هو نفس علاج الزهري واستعمال النظارات السود .

❖ الشبكية : والشبكية شفافة ولذلك لا يمكن رؤيتها وما يرى هو أوعيتها . ويتركز الزهري البني في الشبكية كباقي أجزاء العين القرحية والمشيمة ، وتركيزه في الغشاء العصبي نادر ، وكثيراً ما يظهر الزهري على شكل التهاب « شبكي مشيمي زهري » . ❖ الاعراض : وأعراض هذا المرض تبدأ ببطء .

والحدة البصرية تتناقص تنافصاً عظيماً أكثر مما يظهر حين البحث بالمنظار خلافاً لما يشاهد في التهابات الشبكية الأخرى ، ومع ذلك فتناقص الحدة البصرية يكون بنسبة التغيرات التي تفتح من الماقولا ، وحيث أنها مصابة دائماً فانه يشاهد عتامات مركزية مع تغير في الشكل وصغر في حجم المرئيات كالحال في أعراض الماقولا ، أما ميدان النظر فيكون محفوظاً وقد توجد فيه عتامات تقابل التغيرات الشبكية إذا كانت ممتدة .

ورؤية الألوان تكون ثابتة غالباً ، ويسير المرض بطيئاً وفي خلاله يكون البصر ضعيفاً ،

وتكون الإصابة غالباً في عين واحدة . وقد تكون الإصابة في العينين .

وقد يشاهد رشح الحلة وجزء الشبكية الذي يحاورها ولا سيما من جهة الماقولا مع احتقان في الأوردة وتغيرات في الماقولا التي تزول ثم تظهر ثانياً . وتشترك المقيلة غالباً مع الشبكية في هذا الالتهاب كما تقدم . ويسمى المرض بالالتهاب الغبكي المشيمي . وحالة المرض تكون حميدة أولاً فيمكن شفائه خلال شهرين أو ثلاثة ، كما يكون خطراً في الأحوال المستعصية ويكون الضمور نتيجة له .

بقي بعد ذلك الالتهاب الزهري للعصب البصري والحجاجي . فالعصب البصري هو أهم وأكثر الأعضاء تأثراً بالزهري وهو على نوعين وهما الضمور الأبيض والضمور السنجابي

ولذلك أسباب شتى بينها الزهري - ومنها أورام بالمخ والحليات والأغلوفا (الماء الأزرق) والاستسقاء الدماغي والالتهاب السحائي والتسمم الكوولي ورضوض مقلة العين والحجاج والحجمة والشبكية وانسداد الشريان المركزي .

وعند الملاحظة تكون الحلة ذات بياض وصخ ودائرتها أقل وضوحاً ويرى ضمور في الأوعية الفليظة . ثم تظهر الدائرة أكثر وضوحاً ، ويحدث تغيرات كثيرة في الأوعية والأنسجة الخ . . .

ويرى المريض ضباباً خفيفاً يخفي عنه رؤية الأشياء البعيدة ثم يتمدد عليه النظر شيئاً فشيئاً . وقد يفاهد عتامات وبرقاً ولمعاناً ، ويرى في الليل أحسن مما يرى في النهار ، كما يتعب المريض من شدة الضوء . وتختلط عليه الألوان فيفقد رؤية اللون الأخضر ثم الأحمر فالأصفر وأخيراً اللون الأزرق .

ويضيّق محيط ميدان النظر ويصبح غير منتظم . وأول ما يجب تشخيصه هو الاهتمام بمعرفة ضمور الحلة وسببها . ويكون هذا المرض خطراً غالباً

﴿العلاج﴾ وعلاجه هو ذات العلاج الزهري إلا أنه عند ما يحدث ضيق في ميدان النظر إلى درجة معلومة لا يحتمن بالحتمن المعروفة بحتمن ٦٠٦ - والزئبق والبزموث حتى يتحسن ميدان النظر إلا أن حلة العصب البصري تبقى منجابية

وتأثير الزهري على العصب البصري كثير في حالات يشاهدها الطبيب  
 ﴿الحجاج﴾ وقد عاهدت حالات الزهري في الحجاج في بعض الحالات  
 ﴿العلاج﴾ ويعالج المرض في الحالة الأولى بالحقن كما هو الحال في علاج الزهري .  
 وتكون النتيجة شفاء تاماً حيث أنه لا يظهر أي أثر لورم  
 وعلاج الحالة الثانية كذلك كعلاج الزهري وتكون النتيجة الشفاء التام فيزول ورم  
 الجفون ولا يبقى للارتخاء أي أثر .

وما تقدم يقين أن الزهري مرض فتاك ، تتأثر منه جميع أجزاء العين من الجفون الى  
 العصب البصري الى الحجاج ، ولا يترك جزءاً من العين إلا ظهر تأثيره عليه ، وتكون  
 نتيجة علاج بعضها حسنة والعكس بالعكس .

### السكركتا والاعلوقوما

و « المية البيضاء » و « المية الزرقاء » من أمراض العين التي تشبه بعضها بعضاً ،  
 ولكنها تختلف في العلاج . فبينما تبقى « المية البيضاء » بدون ممانعة حتى تنضج  
 (أي تستوي) ولا يبصر المريض بعينه إلا خيال اليد ، فإنه المية الزرقاء « - في عرني  
 وطبقاً لخبرتي الطويلة - نعمل لها العملية بمجرد الانتهاء من التشخيص والتأكد من أن  
 المرض هو « مية زرقاء » وليس « مية بيضاء »

وعلامات « المية البيضاء » هي ضعف تدريجي في نور الأبصار حتى ينزهي الى رؤية  
 خيال اليد . أما « المية الزرقاء » فعبارة عن ضعف البصر ضعفاً تدريجياً أو دفعة واحدة  
 يصحبه صداع شديد ، وقد يحصل الصداع ويضعف البصر ثم يعود الحال كما كان ويبصر  
 المريض أهلة زرق حول النور مثل قوس قزح . وهي إما حادة ، وإما مزمنة . فالحاددة :  
 تأتي بصداع شديد وألم بالقلقة ، ويضعف البصر حالاً من  $\frac{7}{8}$  الى  $\frac{7}{8}$  الى رؤية خيال  
 اليد . والمزمنة : ضعف في البصر يصحبه صداع ثم يعود كما كان ، ثم يعاوده الصداع مرة  
 أخرى ، ويتكرر ذلك الى أن يضعف البصر وينتهي بالعمى اذا لم يتدارك بالعلاج سواء  
 بإجراء عملية أو يعالج بالقطرة .

الدكتور عبد المسيح جرجس

حكيمباشي مستشفى الرمد الاميري بأسبوط والفازيق سابقاً  
 ٢١ شارع نؤاد الاول بمر

# سافظ رشوقي

صدي الحوادث عند المتأخرين

## إعلان الدستور العثماني وخام عبد الحميد

ويسلك شوقي في باقي أبيات قصيدته الطريق التي يسلكها حافظ ، فكما نسب حافظ الى السلطان فضل إعادة الدستور فقد نسب شوقي إليه ذلك فهو يقول :

أصدي إلينا أمير المؤمنين يداً جلت كما جلّ في الأملاك مسديها  
بيضاء ما هابها للأبرياء دمٌ ولا تمكدر بالآثام صافيتها  
ثم يقول : الرأي رأي أمير المؤمنين إذا حارت رجالٌ وضلت في مرائيها  
وإنما هي شوري الله جاء بها كتابه الحقٌ يعليها ويغليها  
حقنت عند مناداة الجيوش بها دم البرية - إرضاءً لباريها  
ولو منعت أريقت للعباد دماً وطاح من مهج الأجناد فاليها

والذي يلاحظ أن قصيدة حافظ مليئة بالفرحة والبهجة والتفاؤل أكثر من قصيدة شوقي ، ولعل مرجع ذلك الى الحيرة التي لازمت شوقيًا بين طبيعة الشاعر الذي يحسُّ بفرح أمة نهوض الروح الدستورية فيها وطبيعة عمله الذي يستوجب عليه أن يقف من هذه الفرحة هذا الموقف لأن في هذه الحركة تنبيهًا للشعب المصري الذي يطالب ببعث الحياة النيابية اليه فيأتي المعارضة والجمود من جانب الجهة التي يرتبط بها الشاعر أو ثقل رباط ، ولعله كان في صميم نفسه في ضيق من ذلك السكبت فجاءت قصيدته وعليها مسحة من التفكير الهادي الرزين .

حتى اذا حدثت الفتنة بعد ذلك ورأى القوم نية السلطان عبد الحميد في الاثمار بالدستور بعد إعلانه وخنقه من جديد فدخلوا عليه فأسقطوه عن عرشه في اليوم السابع والعشرين من شهر ابريل سنة ١٩٠٩ ونفوه الى صلاتيك ، وكان لهذه الحركة ما كفي لحركة إعادة



الدمتور في العام الذي سبقه من هزة سرور وفرح تام . رأينا هوقياً يتجه غير ما اتجه إليه حافظ وبقية الشعراء ، فهو الذي طالما مدح هذا العاهل الكبير ، ولم أكرمه هذا السلطان وأحسن إليه واستضافه في زيارته الى الاستانة ، فكان هوقي الحافظ اصنيع هذا السلطان والذاكر الجليله ، يؤذيه أن يلتقي هذا العاهل العظيم في أخريات حياته ما يأتي ، وهو الذي قال عنه قبل خلمه بشهور :

أنى ثلاثون حولاً لم تذُقْ سِنَّةٌ      ولا استخفّك لأذات داعيها  
مسهد الجن مكدود الفؤاد بما      يضني القلوب ، شعبي النفس طانيها  
فهو يخاطبه بمدخله خطاباً فيه التعظيم والتبجيل ، ويبدأ قصيدته في هذا الانقلاب بهذين البيتين :

صلّ يلدزاً ذات القصور      هل جاءها نبأ البدور ؟  
لو تستطيع إجابة      لمصكتك بالدمع الغرير  
ثم يخاطب السلطان بهذه الآيات :

مُدتْ الثلاثين الطوا      لَ ولسنَ بالحكم القصير  
تنهي وتأمر ما بدا      لك في الكبير وفي الصغير  
لا تستهير وفي الحى      عدد الكواكب من مشير  
كم صبّحوا لك في الروا      ح وألهوك لدى البكور  
ورأيهم لك مُجّداً      كسجود موسى في الحضور  
خفّضوا الرؤوس وودّروا      بالدلّ أقواس الظهور  
ماذا دهاك من الأمور      ر وكنت داهية الأمور ؟  
دخلوا السرير عليك      يحتمكون في ربّ السرير  
أعظم بهم من أمرىــن      وبالخليفة من أسير

ففي هذه القصيدة تتجلى طائفة هوقي أكثر مما تتجلى في قصيدته التي نظمها بمناسبة إعلان الدستور، ذلك أن هوقياً كان يكنّ في نفسه عوامل كثيرة من التقدير لخصية هذا العاهل . ولا ينسى فضله عليه كما ذكرنا ، وليس من الوفاء أن ينقلب عليه ، فهو يتألم له ، ويحبه .

في سقوطه ، ولا يحمل عليه كما حمل غيره ، مما دعا وليّ الدين يكن - وكان من الناقض على السلطان ما أتى في حكمه من العنت والاضطهاد - الى أن يهاجم هوقيّا بقصيدة من بخره وروّيه يقول فيها :

لمّا أُدِيلَ عن المريرِ ----- بكاه عبّاد السريرِ

وثمة شيء آخر ، ذلك أن هوقيّا ، خُلِقَ بطبيعته مؤرخاً ، وهذه الميزة فيه جعلته لا يحكمّ الهوى فيما يتناول من الاشياء ولا يلقي على الناس وعلى الحوادث حكماً سريعاً تلبه العاطفة ، ولم تقود الى خطأ في وزن الاشياء وتقديرها ، فهو يسير طبيعة المؤرخ ، لا طبيعة الخطيب الشعبي .

أما حافظ فقد كان متضارب العاطفة ، موزّع الرأي ، بين أن يهاجم السلطان بعد أن جرّد من جبروته ، وضعف حوله ، وبين أن يرثي له ، ويتذكر أمداحه فيه ورفعته إتياء فون أجرام السماء ، فهو في القصيدة الأولى التي نظمها بعد خلع السلطان مباشرة والتي يقول في مطلعها :

لا رعى الله عهداً من جدودِ كيف أمسيتَ يا بن عبد الحميدِ  
مُشْبِعَ الحوت من لحوم البرايا ومُجْبِعَ الجنود تحت البنودِ  
يخسُّ أنه سيظلم الرجل الذي مدحه زمناً فيقول :

فرح المسلمون قبل النصارى فيك قبل الدروز قبل اليهودِ  
فتمنوا كلّهم وليس من الهمّة أن يعمت الورى في طريقِ  
أنت عبد الحميد والتاج معقودٌ وعبد الحميد رهن القيودِ  
خالداً أنت رغم أنف الليالي في كبرار الرجال أهل الخلودِ

غير أن طبيعة الخطيب الشعبي التي كانت تغلب على حافظ - الى جانب ما كان فيه من ميل الى مجازاة التيارات القوية التي تستميل الجماهير ، مما كان سبباً في مسابرة أحزاب متعددة - دفعت حافظاً آخر الامر الى أن يجاري شعور أبناء البلاد العربية الذين هبوا يهاجرون السلطان المخلوع هجوماً عنيفاً قاصداً ، لأن التيار في هذه الوجهة كان قوياً ، ذلك من ناحية . ولعلّه خشي من ناحية أخرى السخرية التي قوبلت بها قصيدة هوقي من وليّ الدين

يكن . فنظم قصيدة أنشدتها في ٢٣ من يوايه سنة ١٩٠٩ في الحفل الذي أقيم بعد ثلاثة أشهر من خلع عبد الحميد احتفالاً بعيد الدستور الثماني ، وقد نسي حافظ في قصيدته هذه ما كان يقوله في عهد الحميد من آيات التمجيد والتكبير ، وبدأ يصور سياسة ذلك السلطان تصوير الساخر القامت ، ورسم خلال ذلك صورة لوسائل الحيلة والخذل التي كان يحيط عبد الحميد نفسه بها ، فأبدع في الرسم . ثم قال مخاطبه على لسان الحق وهو في منفاه :

يناديه صوت الحق ذُقْ ما أذقتهم فكلُّ امرئٍ ورهنٌ بما هو كاسبُهُ  
ممن منحوك اليوم ما أنت مُفْتَنُهُ فرُدْ لهم بالأمس ما أنت صالبُهُ  
ودع عنك ما أمّلت إن كنت حازماً فلم يبق للأمال فضلٌ تجاذبه  
مضى عهد الاستبداد وانك صرحه وولت أقاعيه وماتت عقاربهُ

ومذه القصيدة لا تقلُّ في قسوتها على ذلك السلطان عن القصائد التي نظمها شعراء البلاد العربية الذين قاسوا من المهد الحميدي أشدَّ ألوان الجور والاستبداد ، ولمسا سوء هذا الحكم . وإن كان الأستاذ أنيس المقدسي يرى أن الشعر المصري « قد قابل خلمه برعشة مقرونة بالعطف والشفقة » ، وذلك على ما يظهر لسببين : ( ١ ) لأن المصريين الحديثين لم يذوقوا من الإدارة الحميدية ، ماذا ذاقه إخوانهم في الاقطار الأخرى ( ٢ ) ولأنهم كانوا إزاء احتلال أجنبي قد أثار حفاظهم الدينية والجنسية ، فليس من الوفاء الوطني وقد جاهرُوا برأياً بمودتهم للعثمانية أن ينقلبوا على الخليفة الآن ، ويخطُّوا من هُناهُ أمام الأجانب ، وقد كانوا إلى الأمام يمتطمِّونه ويدعون له . فليس غريباً إذاً أن تظلَّ علاقتهم بعرض الخلافة حبة فمالة ، وأن يكونوا أعطف على الهاوي عنه ، وأقرب إلى الصفح عن سيئاته « (١)

\*\*\*

من هذه القصائد في تلك المناسبة يتجلى لنا موقف هوقي المؤرخ الذي يسجل الحوادث دون أن يحكم لأي جانب خشية أن يتحكم فيه الهوى بدافع العاطفة الشعبية . وإن كانت العاطفة الذاتية قد مالت به جانباً كما لا يخفى ، ذلك إلى أن هوقياً لم يكن يبالي إرضاء الجماهير قدر مبالاته إرضاء النزعة الفنية فيه — فتنسبُ التاريخ وفنية الشعر .. أما حافظ

(١) كتاب « الموال الفعالة في الادب العربي الحديث » للأستاذ أنيس الحوري المقدسي - ص ٢٨

فكان كدأبه دائماً ، وكما هيأته ظروفه ، مسائراً للعواطف المعنوية ، حيث اتجهت مبولها وأفكارها ووثباتها ، مهما بدا تناقضه في هذه المسيرة .

على أننا اذا نظرنا الى هذه الآثار من الناحية الفنية وجدنا حافظاً قد استطاع أن يرسم صوراً فيها قدرة ، وفيها إبداع ، لأنه لم يكن مقيداً أو حذراً عند إبداء فرحته بالدستور ، ولم يكن مكثرثاً لشيء من الماضي عندما هاجم الخليفة المعزول . ولكنه في قصيدته الأخيرة خال من العاطفة الذاتية التي فاضت بها قصيدة هوقى ، وإن لقيت تلك من سطح التأثرين ما لقيت .

### أحداث

ولنطور الحوادث طبعاً فقد مرّ بالشاعرين منها كثير ، ولكن كانت الظروف تحول بين أن يكون أحدهما أو كلاهما صريحاً أو على حدّ التعبير العادي - على حرّيته - فيما يقول . . فلقد مرّ بهذا البلد في عصرها حادث لم يبدُ أثره في شعرها ، كما كان يجب أن يبدو واضحاً ، لأنه يكاد يكون عديم الأثر عندهما ذلك هو خلعُ الخديو عباس في ١٩ من ديسمبر سنة ١٩١٤ بعد إعلان الحماية على مصر بيوم واحد . . ولقد تغيرت تلك الظروف ، وجُمع شعر الشاعرين بعد سنوات بعيدة ، ولكن لم تنشر لها قصيدة تناوأت هذا الحادث ، وكان في استطاعتهما أن يكتبتا هديتاً للتاريخ وإن لم يستطيعا نشره في حينه .

ولنطور ذلك لأن ظروفنا ألجأت حافظاً بعد ذلك الى الصمت حتى اذا أراد أن يشارك الشعور الوطني سنة ١٩١٩ شاركه متخفياً ، ولأن ظروفنا قاسيةً أصكّت هوقياً وبعثت بينه وبين وطنه في وقت هو من أخرج الاوقات في تاريخ هذا البلد فلم يستطع المساهمة بشعره في إلهاب الشعور ، حتى اذا عاد ، ماد يغرد وحده لأن الطائر الذي كان يجاوبه آوى الى العش وصكت عن التفريد إلاّ بعض سققاتٍ لا تحمل من الغناء روحه ولا من القوة معناها .

لنطور ذلك طبعاً ، ولننظر في شيء غيره ، أو لونٍ آخر من الاحداث ترك مدى في نفسيهما لا تكون الظروف فيه قيداً يغلّ شاعريتهما أو يدعو كلاهما الى التناقص مع طبيعة نفسه . وأما من هذا الوزن في شعر حافظ وهوقى فهذه تناوأتنا كونه

أصابته بلداً من بلاد القطر ، هي كارثة حريق « ميت غمر » في عام ١٩٠٢ التي ظلت النار تأكل فيها ثمانية أيام . وفصيدتان لها تناولتا كارثة من كوارث الطبيعة ، الأولى لحافظ في زلزال « مسينا » والثانية لعوفي في زلزال « طوكيو » . ثم قصيدتان لها في حادث الاعتداء على الزعيم الخالد الذكر سعد زغلول ... وذلك لتبين مدى تصوير كلٍّ منهما لهذه الأحداث ومدى التوفيق في كل صورة .

\*\*\*

فأما حريق « ميت غمر » فقد نظم فيه حافظ قصيدته التي يقول في مطلعها :

سائلوا الليل عنهمُ والنهارا      كيف باتت نساؤهم والعذارى ؟

ونظم عوفي قصيدته التي يقول في مطلعها :

الله يحكم في المدائن والقرى      يا ميت غمر خذي القضاء كما جرى

ولكي نبدأ في تحليل القصيدتين نعود الى قصيدة حافظ انرى كيف صور هذه الكارثة

فهو يقول بعد هذا المطلع :

كيف أمسى رضيمهم فَقَدَ الأمَّ ، وكيف اصطفى مع القوم ناراً ؟ !

كيف طاح العجوز تحت جدارٍ      يتداعى وأصقُفٍ تتجارى ؟ !

رَبِّ إِذَ القضاء أَنَحَى عليهم      فكشف الكرب واحجب الأقدار

ومرَّ النار أن تكفَّ أذاها      ومُرَّ الغيث أن يسيل أنهارا

أين طوفان صاحب الفُلك يروي      هذه النار ، فهي تهكو الأوارا ؟

أُشعلتْ خِمةَ الدياجي فباتت      تملأ الأرض والسماة شرارا

غشيَتْهم والنحس يجري يمينا      ورمَتْهم والبؤس يجري إمارا

فأظارت وأوجُه القوم بيضٌ      ثم غارت وقد كسهن قارا

أكلتْ دُورهم فلما استقلتْ      لم تغادر صغارهم والكبارا

أخرجتهم من الديار عراةً      حذر الموت يطلبون القرارا

يلبسون الظلام حتى اذا ما      أقبل الصبح يلبسون النهارا

حُلَّةٌ لا تقيهم البرد والحرَّ      ولا عنهمُ تردُّ الغبارا

وتلك صورة حية تبرز في كل آن لكل حادث من هذا النوع دون أن تفقد روحها بانقضاء مناسبتها، وهي صورة استطاع حافظ أن يجلوها رائمة تدب فيها الحياة لأنه استمد من نفسه ومن رأيي الشعاء التي لمسها في صباه وطائنها في عبابه الأول عندما انحنى بالجندية ألواناً لهذه الصورة تبدو واضحة جلية، واستمد من يتابع آلامه ما بث الروح في هذه الصورة... ولذلك نجد بعد هذه الأبيات ينور على المجتمع ثورة كانت مكبوتة فأثارها الكارثة فيقول:

أيها الرافلون في حلل الوشي يجرؤون للذيول افتخاراً  
ان فوق العراء قوماً جباعاً يتوارون ذلةً وانكساراً  
ويندفع ساخراً بالفوارق الاجتماعية ويندد بالأفراح التي يهدر فيها سراق القوم المال  
الوفير يبذلونه عن صعة في مسراتهم وقد غفلوا عن آلام البائسين ودموعهم، وكأنما قد مر  
هذا الحادث جرحاً عميقاً في نفسه فهو يقول:

قد شهدنا بالأمس في مصر عرساً ملأ العين والفؤاد ابتهاراً  
سال فيه التضار حتى حسبنا أن ذاك الفناء يجري نضاراً  
ولعلها كانت الصيحة الأولى في الشرق دوى بها المعر على لسان حافظ هاعر الغم  
ولقد كانت هذه القصيدة في مقدمة الحوافر الدافعة لظهور النزعة الاجتماعية عند حافظ  
الذي قدّر له أن يكون هاعر المبرز، مما تجلّى بعد ذلك في قصائد أخرى له كالفوائد التي  
نظمها في رعاية الأطفال وفي الأيتام وملجأ الحرية وغير ذلك<sup>(١)</sup>، إن لم تكن هي الحافز الأول  
هذه هي صورة تلك الكارثة في شعر حافظ يجلوها زاخرة بالحركة، ناطقة بالوعاء  
متماكة في وحدة تامة وعاطفة متقدمة.

أما عوفي فقد بدأ قصيدته بالمطلع الذي أشرنا إليه ثم تحدّر منه الى أبيات في حكم  
الصبر على المصائب، وذكر لمدن أصابها التدمير في التاريخ القديم كمهورة وسدوء، حتى إذا  
أراد أن يصف الكارثة كان مجهد القوى مهبّض الجناح يقول:

طلعت عليك النار طلعة هؤمها فحنتك آسافاً وغيرت الدّرا

(١) راجع القسم الأخير من الجزء الأول من ديوان حافظ إبراهيم، نشرته وزارة المعارف عام ١٩٢٧

ملكك جهاتك ليلةً ونهارها حمراء يبدو الموت منها أحمرًا  
لا ترهب الطوفان في طغيانها لو قابلته ولا تهاب الأبحر  
وهذا البيت كأنما أراد به أن يرد على حافظ في قوله :

أين طوفان صاحب الفلك يروي هذه النار ، فهي تشكو الأوار ؟  
ثم يقول متابعاً صورته :

أمسى بها كل البيوت مبيوياً ومطنباً ومسيحاً ومسوراً  
أسرهم وتعلكت طرقاتهم من فرّ لم يجد الطريق ميسراً  
خفت عليهم يوم ذلك مورداً وأضلهم قدر فضّلوا المصدراً  
حيث التفت ترى الطريق كأنها ساحات حاتم غب نيران القيرى  
ورى الدعائم في السواد كهيكل خمدت به نار الجحوس وأقبرا  
ونشم رائحة الرفات كريهة وتشم منها الناكلات العنبرا  
كثرت عليها الطير في حوماتها يا طير كل الصيد في جوف القبرا

\*\*\*

وهذه هي الصورة التي أراد شوقي وضعها لهذه الكارثة تبدو باهتة الألوان ، متهافئة  
اللفظ ، منككة الوحدة ، على غير عادته في الوصف . ذلك أن شوقياً لم يكتبها كما يجب أن  
يكتب ، ولأنه لم يحس في نفسه الألم الذي أحسّه زميله ، فهي صورة مترفة لا تعبر عن  
مصاب ، ولعل هذا البيت الذي قاله شوقي في هذه القصيدة يكشف لنا عن مرّ هذا العيب  
ليكون مؤيداً لنا في هذا الحكم إذ يقول :

ما زلت أسمع بالهقاء رواية حتى رأيت بك الهقاء مصوراً

فإن الإحساس بالرواية غير الإحساس بالشعور والتجربة ، وشوقي لم يشهد من المصائب  
والآلام ما شهد حافظ ، وفي ذلك يقول الأستاذ اسماعيل مظهر « إن بين جنبي شوقي روحاً  
نازلة ونفساً متأججة . وليكنها ثورة أشبه بثورة الرياح إذ تهب فتتسبب هوجاء ثم لا تلبث  
أن تمرّ عابرة نائمة ، أو نار الهضم إذ تتأجج مندلعة الأسن في لحظة ، وتصبح رماداً في  
أخرى . والصناعة بين يدي شوقي إنما تخضع لجناح هذه الصفات القهارية الطبيعية . فثبت

تشد ثررة نفسه تسمر مآذيه وتقوى شعاعه . فاذا خبت نارها هبطت المعاني والقارية  
مما الى منزلة لم ينزل اليها الكثيرون من عمراء هذا العصر . وحيث تتأجج بحادث يسر  
مشاعره تلمس النار صارية بين أبياته بل بين كلماته ، فاذا هدأت العاصفة ونامت طوى عليها  
وعلى الغمر صتراً من ميوعة الفطرة ولين الطبع ينزل بهمه الى المستوى الذي لا يحده  
عليه الكثيرون من أهل صناعته « (١) .

وأهل الاستاذ مظهر حين أطلق هذا الرأي بمناسبة تكريم هوقي منذ عشرين عاماً كان  
ينظر الى هذه القصيدة بالذات كما ننظر اليها اليوم .

\*\*\*

أما حادث زلزال « مسينا » الذي صورّه حافظ وحادث زلزال « طوكيو » الذي  
صورّه هوقي فقد كان مصدر الفاعرين فيهما خيالهما ، فهما من باب الاستيحاء البعيد . فأما  
حافظ فقد انتفع بألوان من قصيدته في حريق « ميت غمر » فغمس ريشته فيها ، ولكن  
لم يستطع أن يبلغ ما بلغ من قبل ، فالحركة الطبيعية في قصيدته الأولى تقابلها حركة مفتعلة  
في قصيدته الثانية ، فهو يفتتح هذه القصيدة بقوله :

نبتاني إن كنتما تعلمان	ما دهي الكون أيها الفرقدان
غضب الله أم تمردت الار	ض فأنحت على بني الإنسان
ليس هذا سبحانه ربي ولا ذا	ك ولكن طبيعة الأكوان
غليان في الارض نفّس عنه	ثوران في البحر والبركان
رب أين المهر والبحر والبهـ	ر على الكيد لاورى طاملان

ثم يقول :

ما (المسيين) عوجلت في صباها	ودماها من الردى داعيان
ومحت تلکم الحامن منها	حين تمت آياتها آيتان
خُسفت ثم أغرقت ثم بادت	قُضي الامر كله في ثوان

(١) راجع بحثاً للاستاذ اسماعيل مظهر عنوانه « احمد هوقي ودلالة شعره على ثقافته » في كذا ؟

« تاريخ الفكر العربي » ص ١٤٨ و ١٤٩



بفت الأرض والجبال عليها وطفى البحر أيها طفيلان  
 تلك تغلي حقدًا عليها فتذشش الشقاقًا من كثرة الغليان  
 فتجيب الجبال رجًا وقذفًا بشواظٍ من مارجٍ ودخانٍ  
 وتسوق البحارُ ردًا عليها جيشٌ موج نأى الجناحين داني  
 فهنا الموت أسود اللون جَوْنٌ وهنا الموت أحمر اللون قاني  
 جند الماء والثرى لهلاك الـ خلق ثم استعان بالنيران  
 ودعا السحب طائفًا فأمدهنَّه بجيشٍ من الصواعق ثاني  
 فاستحال النجاة واستحكم اليأس وارت عزائم الفجعان

هذه القصيدة يمكننا أن نسميها دون تحينٍ قصيدة «جغرافية البراكين» ... فالافتعال  
 والتصنع باديان فيها، ولولا الأبيات التي صور فيها الفاجعة لسمّا أحسنّا في هذه القصيدة  
 لمبتك من القوة، وها هي الأبيات:

رُبُّ مَظْلُوقٍ قد صاخ في باطن الارض ينادي: أمّي، أبي، أدركاني!  
 وفتاقٍ هيفاء تشوى على الجمر تعاني من حرّه ما تعاني  
 وأبٍ ذاهلٍ إلى النار يمشي مستميتًا تمتدُّ منه اليدان  
 باحثًا عن بناته وبنيه مسرع الخطو مستطير الجنان  
 تأكل النارُ منه لاهو ناجٍ من لظاهها ولا الظى عنه واني  
 غصّت الأرض، أنجم البحر عما طويّاه من هذه الأبدان  
 وعكا الحوت للنسور هكا رددتها النسور للحيثان  
 أسرفا في الجسوم نقرأ ونهمل ثم باتا من كظةٍ يشكوان

نعم، لولا هذه الأبيات لفترت القصيدة كلها فلا نحسُّ قوة ألفاظها التي استعملها ليخلق  
 لفكرته جوًّا مناسبًا ولينير مشاعر السامع فلم يستطع الإتيان بصورة ترتفع إلى مستوى  
 قصيدته الأولى في حريق «ميت ضر» ولم يستطع أن يبلغ حدود الروعة التي بلغها شوقي  
 - فيما بعد - في قصيدته عن زلزال «طوكيو» التي يقول فيها:

قف (بطوكيو) وطف على بوكاهامه وصل القرية -يز كيف القيامة؟

دنت الساعة التي أنذر الناس وحلت أشراتها والعلامه  
 فف تأمل مصارع القوم وانظر هل ترى من ديارٍ حادٍ دعامه  
 خُسفت بالماكن الأرض خسفًا وطوى أهلها بساط الإقامه  
 طوّفت بالمدينتين المنسايا وأدار الردى على القوم جامه  
 لا ترى العين منهما أين جالت غير نقضٍ أو رمّةٍ أو حطامه  
 حازم من مراحل الأرض قبرٌ في مدى الظن عمقه ألف قامه  
 تحسب الميت في نواحيه يسمي نفخة الصّور أن تلسم عظامه  
 أصبحوا في ذرى الحياة وأمسا ذهب ريمهم وشالت نعمامه  
 فالشاعر هنا يعطي الصورة المتخيلة حقها من الدقة ولا يدفعها دفعة واحدة ولكن  
 يعرض المشاهد لحةً فلهذه ويصورها من مختلف الزوايا حين يقول :

دولة الشرق وهي في ذروة العزّ تحار العيون فيها نغامه  
 خانها الجيش وهو في البرّ درعٌ والأساطيل وهي في البحر لامة<sup>(١)</sup>  
 لو تأملتُمها عفيّةً جاغت خلتها في يد القضاء حمامه  
 رجّها رجّةً أكبّت على قر نيه (بوذا) وزلزلت أقدامه  
 استعذنا بالله من ذلك السيل الذي يكسح البلاد أمامه  
 من رأى جلدًا يهبُّ هبوباً وحمياً يسحُّ صحَّ الغمامه  
 ودخانًا يلفُّ جناحاً بجنح لا ترى فيه معصمها اليامه  
 وهزيمًا كما عوى الذئب في كل مكانٍ وزجر الضرغامه !

وتنبعث الحركة في جوانب الصورة طبيعية لم يفتعلها شوقي كما افتعلها حافظ ، ولم تأخذ  
 طريقها بالروح الجغرافي الذي لبس حافظاً حين أراد الاستيحاء والتصوير ، لأن هذا هو مجال  
 شوقي الطبيعي ، فهو هنا الرّسام البارِع الذي يضرب بريشته ضرباتٍ سريعةً تترك أثرها  
 على اللوحة في غير تهويل أو تصنع ، وحين يرسم الصورة التي حاول حافظ رسمها كهؤلاء  
 ولم يوفق الى ذلك يقول :

(١) لامة = درع

أنت الأرض والسماء بطولنا      ذن ينسّي طوفان نوح ومامه  
فترى البحر جُنّ حتى أجاز السـبـر      واحتلّ موجّه أعلامه  
مربداً نائر اللجاج كجيش      قوّض العاصفُ الهبوب خيامه  
فلك نوح تعوذ منه بنوح      لو رأتَه وتستجير ذمامه  
قد تخيلتُهم متابيل سحر      من قراع القضاء صرعى مدامه  
وتخيلتُ من تخلف منهم      ظلّ ليل القيام ذاك فنامه  
أبراكين تلك أم نزوات      من جراح قديمة ملتامه

فلا فاق في هذه الصورة أبعد وأوسع ، والتصوير أبلغ وأروع حتى من القصيدة التي  
رسمها حافظ لحريق ميت غمر وسبق بها هوقيًا في ذاك الوقت ... ومن ذلك يتبين أن باع  
حافظ في التخيل البعيد قصير بالنسبة لشوقي ، ولعلّ مرجع ذلك الى ما أشار اليه الدكتور  
طه حسين بك من أن « طبيعة حافظ يسيرة جدًا لا غموض فيها ولا عسر ولا التواء » <sup>(١)</sup> .  
لذلك « لن تجد في هذا الشعر ممقًا ، ولأن حلقته وأخرجته من صورته الرائعة فلن يترك في  
نفسك أثرًا » <sup>(٢)</sup> . أما طبيعة شوقي فنشأ آخر ، معقّدة ينفثنا شوقي نفسه بتعقيدها .  
فيها أثرٌ من العرب وأثرٌ من الترك وأثرٌ من اليونان وأثرٌ من الفركس . التقت كل هذه  
الآثار وما فيها من طبائع واصطلحت على تكوين نفس شوقي فكانت هذه النفس بحكم هذه  
الطبيعة أو الطبائع أبعد الأشياء عن البساطة وأناها عن السذاجة ، وهي بحكم هذا التعقيد  
والتركيب خصبة كأهدّ ما يكون الخصب ، غنية كأوسع ما يكون الغنى » <sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

ومن ضعف حافظ في هذه القصيدة يتجلى لنا عجزه عن الوقوف أمام مشاهد الطبيعة  
وقفه التأمل الشعاري والاستغراق الحسيّ فيها واستكناه أمرارها ، على العكس من شوقي  
الذي كان يمدّه تفكيره الواسع وخياله الثواب واستغراقه في مشاعر الطبيعة وحبها لها

(١) كتاب « حافظ وشوقي » للدكتور طه حسين بك صفحة ١٩٦ (٢) و (٣) المرجع نفسه صفحة

على إبراز كثير من الصور حية متحركة... وقد ذكر المرحوم مصطفى صادق الرافعي عن حافظ أنه كان «أول نشأته يأخذ في طريقة المعري الذي صي عن الطبيعة فجعل يخلقها من فكره ومحفوظه بمبالات كاذبة يُفرق فيها بحسب أنه بذلك يعظم الحقائق فتخرج له الأخيالة الكبيرة وما يدري أنه بهذا الغلو لا يجيئ إلا بالباطيل الكبيرة . ولكن حافظ في مزاجه وتركيبه ونشأته كان رجلاً مبنياً على الوضوح والقصد فلم يفلح في طريقة المعري ، ووضوحه كذلك باعده من الفلسفة وإيهامها ومن الطبيعة وألغازها ومن الغول ووصاوسه ، وهو الذي ، أدّاه الى الشغف بالحقيقة واستخلاصها في كل أغراضه التي أجاد فيها . ومن ثم خلا شعره ، أو كأنه خلا ، من أوصاف الطبيعة في جملها بلغة الفكر المتأمل ومن أوصاف الجمال في سحره بلغة القلب العاشق» (١).

\*\*\*

وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن قصيدة شوقي تمت إلى الحياة بأكثر من صلة واحدة في حين لا تمت قصيدة حافظ إليها بسبب إلا في الأبيات القلائل التي صور فيها الأشباح الخائفة ، وهي صورة قديمة ولدت في خياله يوم نظم قصيدته في كارثة «ميت غمر» ولكن لم يُنسخ لها الظهور إلا في حادثة «مستينا»... أما الصورة التي رسمها فهي أقرب إلى الرواية الجغرافية — كما قلنا — منها إلى التصوير الشعري الرائع المستمد عناصره من قوة الخيال وبعد الأفق واتساع التفكير... ذلك أن حافظاً تناول في تصويره للنورة البركانية الظواهر الخارجية كما قرأ عنها ، ولم يتغلغل إلى الأثر الباطني الذي تركه هذه النورة في خيال الإنسان ووجدانه ، أي أن الشاعر لم يحاول — أو لم يستطع — أن يأتي بمجديد مما هو مأثور في صورة البركان مما يتخيله الإنسان العادي لها ، ولم يستطع أن يجري في صورته دماً يبعث فيها الحيوية ، ويشيع الحركة ، ويوقد المهور ، ويحرك الوجدان

مسي لامل الصبرني

(١) راجع مقال «حافظ إبراهيم» للمرحوم مصطفى صادق الرافعي في «مجلة المقتطف» في عدد أكتوبر

## مشهد من مسرحية كليوباترا<sup>(١)</sup>

للشاعر محمد فراهي

( في جانب المسرح باب يفتح على ركن شبه مظلم في القصر بينما الودعة  
الكبرى تبدو على المسرح تستمد للولبة بالاضواء والثرثريات والزهور .  
والبيد والوصيفات يندون ويروحون منهكين في صف الموائد وتزين  
الارائك ونشر أرج المك والمطور )

[ خلف الباب المظلم تبدو هيلانة والقائد المعمر حوريس يتناجيان . ]

هيلانة : . . . . . وهرك بات يضني . . .

حوريس : وكيف يطيب لي حب  
لأقسم لم أذق غمضاً  
دخيل بات محتكاً  
ومصر تكاد تحترق ؟ !  
وقلي كاد ينشمرق . . .

هيلانة : أهذي ؟

حوريس ( بغضب ) : ظنك الحرق

يدوس ابن روما حي قصرنا  
هنا عرش مصر هنا قدسها  
أعلن حقاً على ملكتي ؟ !  
وينهي ويأمر كالحاكم  
ونحن الحماة من الآثم . . .

حوريس : بل العيش نأباه في ذلك

ولا بدمن نحو هذا الشنار

هيلانة : إله العماء . ( بدمان وقع اقدام )

(١) انظر مقتطفي يناير وديسمبر السابقين

حوريس:

حذار... اصمتي!

( ثم يخرج قنينة بها سم )

خذي هذا وصبيته هنا الليلة في كأسه  
فلولا حبك الطافي نزوتُ بهذا... على رأسه

( مشيراً الى سينه )

هيلانة (بفرع): جُنُنت..

حوريس: (بغضب) إذن سأصرعه بسببي .. ولتكن روحي

( يرمي بالقنينة )

فداء العرش والأوطان

هيلانة (بتوصل):

لا .. بل هاته... ويحي!

( تتناول منه القنينة ) ثم يفلق الباب

( في اردهة الكبرى احدى الخادومات ):

منسمع شدو ملائكة السماء اذا ما ترنم في قدسي

وأرسل من مبدعات الفنون شراب النفوس.. طلاكأسه

أحد الخدم: وننظر رقص ربيع العذارى إذا مسن كالبان أو آصر

فتون النفوس فتون العيون وبهجة قلب

صدي حسه...!

جارية سوداء مثبدة بحرارة:

جارية بيضاء بنهمك: شجى كالعاشرين؟ .. من يا ترى.

يكون الحبيب؟ صني هكله

تعشق فيك انبلاج الصباح

وغصنا ثننى ..

سَي ظَلُّهُ ١١..

أخرى بيضاء بسخرية : —

(الجميع يضحكون)

الجارية السوداء :

ظننتم نوازع حرّ الجوى صدى اللون والمنظر الفاتن

وما الحسن حيناً سوى خدعة زها الشكل.. والهم في الباطن

(متيرة الى البيضاء)

إذا القلب لم يرع وذالمهود فأنتن من حما شائن

أديم الفؤاد اذا ما صفا حوى الحسن ..

في ليله الداجن ؟

خادم قزم صائحاً بسخرية

(الجميع يضحكون)

( يدخل فجأة رئيس الخدم وقد سمع صوت الخادم القزم فيصكره بقدة على وجهه فيبتسم هذا ويأتي بحركة يضحك لها الجميع ويقابله الرئيس بالسباب ثم يخرج )

أحد الخدم لزميله همساً :

أحسّ الوزر من ألم أئضرِب ثم يبتهج ؟

زميله همساً : — وماذا يفعل المسكين هل تُسجدي له الحُجج ؟

وهـذي عُصبة الحكّام رَغِي الظلم تفتهج ..

اذا هبّ مضطهدّ صارخاً ينادون بالويل للنائر \*

وباسم العدالة واسم النظام تُسلّ الحياة

من الفاجر ١١

الاول منهكاً : —

# بَابُ الْإِخْبَارِ الْعَلَمِيِّ

## البروتينات المصنوعة

محاكاة العمل السحري الذي تقوم به الطبيعة لانماء الكائنات الحية

• أما المواد الكربوهيدراتية مثل النشا والسكر ، فصنعها من أصعب الأمور <sup>(١)</sup> ومع ذلك فقد أعلن أستاذ بريطاني في جامعة ليفربول ، منذ بضع سنوات ، شيئاً أدهش الدوائر العلمية ، هو استطاعته تركيب الكربوهيدرات من الحامض الكربونيك «وهو الغاز الذي يتولد من احتراق الكربون» ومن الملح المعدني المعروف باسم نيترات البوتاسيوم والماء . وذلك أنه طالع تلك المواد المجردة ، بالأشعة التي فوق البنفسجية فأتيج له أولاً إنتاج مادة سكرية أعقبه بالجلوكوز «سكر العنب الطبيعي» ثم أودفها بغيرها من المواد السكرية والنشوية ، فأضحى صنع المواد الهيدروكربونية ، بالوسائل الكيميائية من الأعمال الميسورة . ولم تبق بعد ذلك إلا عقبة واحدة كأداء

جاء في كتاب « ما بعد غد » وهو السفر العلمي النفيس ، الذي طلب اليّ الأستاذ فؤاد صروف ترجمة بعض فصوله فنشرت تباعاً في أجزاء المقتطف من يونيو سنة ١٩٢٨ ، قول مؤلفه السرفيليب جيبس . «ومن الممكن حيال تضائل غلات العالم وعجزها عن سد عوز الناس من القوت أن يوفى هذا النقص من الأطعمة الصناعية التي تركيب في مصانع الكيمياء » وكتبت في نوفمبر سنة ١٩٣٨ وديسمبر سنة ١٩٣٩ مقالين مستفيضين في الأغذية الكيميائية وقلت في صفحة ٥٥٧ بمقتطف ديسمبر سنة ١٩٣٩ «يؤلف غذاء الانسان من ثلاثة عناصر أساسية هي الفحم والكربوهيدرات والبروتينات . وتستخرج الفحم ، كالكربون وأمثاله ، من الزيت النباتي .

(١) استدراك يوسفني أن هذه الجملة قد وقع فيها خطأ مطبعي عند نشرها في مكانها بالسطر السابع من صفحة ٥٥٧ بمقتطف ديسمبر سنة ١٩٣٩ حيث طبعت هكذا : «أما المواد الكربوهيدرات مثل النشا والسكر فصنعها من الصعب لاأور» وصوابها «و ما أتيت في بدء هذا المقال بذكر النجبتين»



التي هي معجزة الحياة التي تتكرر كل يوم أمام عيونهم ممثلة في وظائف النباتات والحيوانات كافة . فالنباتات جميعها تصنع بروتيناتها ( المواد الزلائية في الكائنات الحية ، وتؤلف من عناصر الهيدروجين والأكسجين والنيتروجين والفحم والكبريت ، وهي المواد الغذائية الأولية في الخلايا الحية وتسمى أيضاً البروتينات )

وقلت في كتابي ( الصناعات والصناع ) في باب الفلاح « إن أعظم منتج لقوت جميع المخلوقات ، خلا أممك البحر والنهر — التربة — وهي الطبقة السطحية من الأرض التي عليها نعيش . أما الطيور فتتغذى بالبراعم أو البذور أو الأثمار أو الحشرات . وهذه الحشرات أيضاً تتغذى بأجزاء من النباتات والحيوانات ، إما ضارية « متوحشة » تفترس غيرها من الحيوانات الضعيفة ، وإما مستأنسة نباتية تتغذى بالنباتات . وهاتيك الحيوانات التي تغتالها الضواري ، تتغذى بالنباتات أيضاً . أما الإنسان ( وهو سيد جميع المخلوقات ) فيتغذى بالنباتات والحيوانات كليهما . فالتربة إذن مصدر تغذيتنا جميعاً .

والحيوانات تهضم البروتينات هضمًا تامًا فتتحول في أبدانها « جزيئات » أصغر من البروتينات ، هي المعروفة بالاحماض الأمينية . ثم تعيد توحيد هذه الأجزاء توحيداً من شأنه جعلها تعود الى مميزاتهما

هي ( البروتينات ) لأن تركيبها من أعوص الأعمال الكيميائية وأروعها ، ولما يظفر بها ارقؤ . بيد أن العلماء المتقدمين قد جزءوا البروتين ابتغاء الوقوف على كنهه فعبدوا الطريق لكل مقدم يستطيع غذاء جمع البروتين في أناييب الاختبار . ويقوم العلماء أيضاً في مدينة لوس أنجلز بتجارب بنوخون بها إنتاج مواد ثمينة تكاد تصلهم الى كشف سر الحياة وعلاقة تلك المواد النفيسة بالبروتينات البشرية ، مثل علاقة الدقيق بالخبز . ونعني بها الاحماض الامينية وهي البنات التي تنبى بها البروتينات . ونصارى القول إن البروتينات نفسها هي المكوثة للمادة الاساسية في الجلد والشعر والدم والعضلات أي إنها المادة المصنوعة منها ، الكائنات البشرية . « هذا ما توخيت اقتباسه من هاتيك المباحث تمهيداً لما سأزفه الى القراء فيما يلي : —

لقد ظفر علم المباحث الكيميائية ظفراً رائماً ، سوف يعود على الصناعة وعلم الحياة بمنافع خطيرة الشأن . ونعني به « محاكاة العمل السحري الذي تقوم به الطبيعة لخلق المواد الطبيعية المركبة الضرورية للحياة » وهي البروتينات — تلك الامنية التي طالما طمع الى تركيبها العلماء وبذلوا في سبيلها نصارى جهودهم فعادوا بخفي حنين . وما برح أعلم علماء معاهد المباحث العلمية في أمريكا وغيرها ماجرين عن إدراك معضلة البروتين

البشرية هي التي تقوم بهذا العمل الغامض في الكائنات الحية. ولكن منذ أكثر من قرن من الزمان، قد وُفق العلماء لغزو «منطقة الروح» غزواً ما فتىء يستفعل من حين إلى آخر عن طريق التركيب الكيميائي.

وفي الكتب المدرسية الحالية الخاصة بالكيمياء العضوية، جداول تحتوي على ألوف من المركبات التي كانت في صاف العصور محسوبة من منتجات الكائنات الحية لا غير، فغدا صنعها من المواد غير الحية أمراً ميسوراً. فالكسر بأنواعه والفيتامينات والكحول أصبحت من المواد المألوفة لدى علماء الكيمياء الصناعية وشأنها في ذلك شأن الزيت المعدني والفحم الحجري<sup>(٢)</sup>.

ومن نواحي اغتباطي أنني سأبهر هذه المباحث الكيميائية من أوائل سنة ١٩٢٩ فترجت (بناءً على طلب حضرة الأستاذ فؤاد صرّوف الرئيس الأسبق لتحرير هذه المجلة) مقالاً ضافياً نشر في مقتطف مارس سنة ١٩٢٩ بعنوان (فحم حجري من الكرب)

البروتينية الخاصة. ونقصد بها ميوزين<sup>(١)</sup> العضلات أو فيروين الحرير أو كيراتين الصوف، والقرون والريش والشعر.

وقد أتيج للكيميائيين تمزيق البروتينات تمزيقاً دقيقاً، فتبينت لهم بصعوبة، الأحماض الأمينية، في حطامه. فكان مثلهم في ذلك، مثل صبي تناول ساعة جيب نفيسة، فشرع يعبث بها ويفكك أجزائها. ثم حاول تركيبها واعدتها إلى أصلها فأخفق.

ومن أغرب الأمور وأعدها تعقيداً أن يقصد أحد العلماء مثلاً إلى معمله الكيميائي، واثقاً كل الوثوق أن الأحماض الأمينية التي تستخرج من الزلال الموجود في آح البيض، الذي تناوله في فطوره، قد يعوضه مما يندثر من أنسجة جسمه، ومع ذلك فلو استطاع بزج هاتيك العناصر بعضها ببعض في أوعية معمله الكيميائي لما تمكن من تركيبها كما ينبغي.

وحال ذلك الفشل المستمر، الذي مُني به علماء الأحقاب الغابرة، عدلوا على مضض، عن مواصلة مباحثهم في هذا الموضوع العسير معقدين اعتقاداً راسخاً، فخواه أن الروح

(١) الميوزين — هو بروتيد العضلات، والفيروين أو الفيبروين، مادة زلاية ومنها يتركب أيضاً نسيج المنكبوت، والكيراتين أو القيراطين — هو أساس النسيج القرني والشعر والأظفار والريش.

(٢) اخترع فردريك كارل رودلف برجويس العالم الألماني الكيميائي الذي ولد سنة ١٨٨٤ وصار من أعلم علماء أوروبا في الكيمياء واشتهر بغيرته على الصناعات، وسائل تحويل الفحم الحجري زيتاً معدنياً والخشب سكرًا. وقد منح سنة ١٩٣١ جائزة نول لنبوغه في علم الكيمياء. هذا وقد أوضحت مذهب برجويس في باب الاختبار العلمية في مقتطف مايو سنة ١٩٤٣

الذين مهدوا ذلك المؤتمر الدولي الثاني الخاص بالفحم الحجري اللين . وقد أذاع في المؤتمر نفسه الدكتور كارل كرونش مدير نقابة معامل الأصباغ الألمانية نبأ لفت أنظار مندوبي الدول ، في ذلك المؤتمر الحافل ، بأن وصف طريقة لصنع البنزين « غازولين » من الفحم الحجري اللين ، وقرر أنه في سنة ١٩٢٨ كان الناتج من البنزين الصناعي في مصنع النقابة بمدينة ليونا بألمانيا ٧٠٠٠٠ طن وتوقع ان الناتج في سنة ١٩٢٩ سوف يبلغ ٢٥٠٠٠٠ طن الخ »

فاذا كان التركيب الكيميائي لم يتناول البروتينات قبلاً فإن علماء الكيمياء المصريين يعملون هذا المعجز بعلة واحدة هي كون جزيئات البروتينات أضخم من صواها وأشد تعقيداً بكثير من غيرها . وعند ما يتيسر الوصول الى الوصلة القوية اللازمة لتأليفها ، يزول كل مانع يمنع تركيبها .

وقد ثبت هذا المذهب منذ بضعة أشهر وذلك بإعلان صدر من معهد المباحث العلمية الذي يديره في جامعة هارفرد الدكتور روبرت ب . ودوارد ، وهو عالم كيميائي شاب ، لم يجاوز الثلاثين من عمره اشتهر منذ ثلاث سنين باشتراكه في تركيب الكينا كيميائياً<sup>(١)</sup> جاء فيه نبأ نجاح هذا العالم لأول مرة في تركيب جزيئات تشبه صنفاً

جاء فيه أن الدكتور برجيوس قد طفر طفرة تخطى بها عصوراً طويلة إذ أتبع له في مدى ٢٤ ساعة فقط انتاج مادة لا غنى للناس عنها . مادة تقضي الطبيعة في خلقها ٢٤٠٠ فرن - فأصبح هذا المخترع وفي وسعه تحدي الطبيعة في نهادر ليلة . وذلك باختراعه الذي سيفضي حتماً الى منع كارثة قامة تقع عند نفاد الوقود من العالم ، وهي المجاعة الوقودية التي ما فتى العالم مهدداً بها في مستقبله . وقد أذيع هذا النبأ المدهش في خطبة ألقاها المخترع نفسه في المؤتمر الدولي للفحم الحجري في أوائل تلك السنة ، وذلك في نادي معهد كارنيجي الفني بمدينة بتسبرج الأمريكية حيث تناول أحد عشر رطلاً من مادة السيلولوز ، وهي المادة الخشبية في النباتات جميعها ، فزجها زجاً تاماً بالماء ثم وضع المزيج في وعاء محكم الاغلاق ، حتى لا يصل إليه الهواء ثم سخنه الى درجة ٦٤٠ بمقياس فارنهایت . وبعدئذ وضع الوعاء في رصاص مصهور حيث ترك أربعاً وعشرين ساعة ، وكانت محتوياته تطبخ بحرارة الرصاص ثم قطع تلك الحرارة الهائلة عن المزيج وجعل يطلق الغاز الذي تولد في الوعاء و تراكم في أناء الطبخ ، وترك السائل حتى يرد وتجمد فكان الناتج أحد عشر رطلاً من الفحم الحجري الصناعي ا فدهش العلماء جميعاً

(١) الكاتب — سأصف هذا الاختراع في ختام هذا المقال

الآلوف من الوحدات، ولذلك اخترع ودوارد الوسيطة التي تكفل له نحو السلاسل الى الحجم الكامل، إذ تكشف له مجموعة من الاحماض الامينية، متى أضيفت وحدة الى سلسلتها أحدثت تفاعلاً كيميائياً من شأنه توليد مركز جديد فعال في طرفها غير الموصول، وذلك لأجل اتصال آخر. وبهذه الطريقة أنشئ سلسلة ضخمة من الجزيئات تؤلف من ١٠٠٠٠ وحدة من وحدات الاحماض الامينية كأنها مشابك الورق التي تضم عدداً جماً من الصفائف، لكي تكون النسخة ذات أفعال جزيئية تعادل ذرة الهيدروجين ملايين المرات.

وتتميز المادة التي تنتج بهذه الوسيلة، بكونها ذات تركيب كيميائي كالحرير الطبيعي فاذا تناوات قليلاً من محلولها وملاّت به محقنة من المحاقن المستعملة للحقن تحت الجلد فأفرغتها، فلا يلبث ذلك المحلول أن يتعبد فيصير كخييط الحرير الطبيعي.

وقد ورد في التعقيب الذي عقب به عمداً جامعة هارفرد، على البلاغ الفني التحفظي الخاص باختراع ودوارد هذا، فوهم: «إن هذه الطريقة مستحقة آمالاً صناعية، للحصول على حرير طبيعي، من غير دود

من أصناف البروتينات الطبيعية تمام الشبه. وتدرّع ودوارد الى بغيته، كما كان الخبراء يتوقعون، بوسيلة كيميائية معروفة هي ضم الجزيئات الصغيرة المتشابهة بعضها الى بعض ليؤلف منها سلسلة جزيئات كبيرة. وكانت هذه الطريقة قد استعملت من قبل استعمالاً تجارياً لتحويل الغاز الى بنزين ولصنع النيلون والمطاط الصناعي<sup>(١)</sup> و<sup>(٢)</sup>.

وكان غدود ودوارد عن الذين سبقوه في هذا الميدان مقصوراً على تمكنه من تطبيق القاعدة المذكورة آنفاً على الاحماض الامينية المعصية. وأساس القاعدة المرعية حالياً هي، كون البروتينات مؤلفة من اتحاد الحوامض الامينية بعضها مع بعض بوساطة مشابك كيميائية، وفي كلٍ منها، ذرة كربونية في طرف جزيء من جزيئات الحامض الاميني متصلة بذرة نيتروجين في الجزيء الذي يليه وقد صار ودوارد على هذا النمط فأفلح.

ومنذ أربعين سنة نجح أستاذ من أستاذة مباحث البروتينات، هو الدكتور إميل فيشر. وذلك في صنع سلسلة مكونة من ١٨ وحدة من الاحماض الامينية على حين أن البروتينات الطبيعية تؤلف من سلاسل يحتوي على عدد يتفاوت بين مائة وعشرات

(١) تصنع أصناف المطاط الصناعي جميعها من الكحول أو النفط وهي من المعائن الكيميائية

(٢) راجع مقالنا في باب الاخبار العلمية بمقتطف يوليو سنة ١٩٤٢ على المطاط من البطاطس والقمح الحجري، ثم مقتطف أغسطس ١٩٤٤ حيث تجد مقالاً في باب الاخبار العلمية على انتاج القمح الحجري من الحنظل لا من المناجم

الحية . وعكف ودوارد وجماعته على التوغل في مملكة علم الحياة . وما برحوا يهدفون الى بعض أهداف عملية سامية . وهم مشغوفون بالمواد المائلة للبروتين وهي التي تفرزها أنواع معينة من البكتريا الارضية فتستعمل طبيياً لمكافحة البكتريا المرضية . ولاستخراج هاتيك المواد ، ومنها الجراميسيدين والباكتيراسين ، لم تر الثمرات المنتجة لها ، مناصاً من زرع مستعمرات من البكتريا ، تشبهاً براعي الغنم الذي يهدف الى انماء الصوف فلا يجد مناصاً من تربية الغنم .

وقد أنجز ودوارد من قبل تطبيق طريقته هذه الجديدة ، على تأليف عقاقير مركبة تشبه البروتين الطبيعي (بيد أن تأثيرها الطبي لم يتقرر بعد) . ويرى العلميون أن انتاج هذه العقاقير ، وسواها بالتأليف الكيميائي ، سيبلغ منزلة كاثي بلغم البنيامين .

وبما هو خليق بالذكر ، من سجايا هذا المخترع الشاب ، أنه قد أدهش العالم الكيميائي عندما التحق بالمعهد العلمي الثقي في مساتشوستز ، وكان حينئذ في السادسة عشرة من العمر ، عقب تخرجه في المدرسة العليا (في كوينسي) بضواحي بوسطن حيث تاقى في خلال دراسته ب تلك الكلية ، معلومات في علم الكيمياء ، هي كل التي اشتهر بها أصانفته في ذلك الفرع . فأثرز ادارة ذلك

القر ، ولتوليد صوف طبيعي ، من دون اجترازه من جزرات الغنم ، وفراء طبيعية بلاسلخها عن ظهور حيواناتها المكتسبة بها . وجرب ودوارد هذه المادة الصناعية التي كونها بالتأليف الكيميائي عدة تجارب لم تجرؤ دودة القر على إتيانها فقط . إذ تناول بعضها من محلولها فصبه على سطح مسطح ، فاعثم أن تجمد في مكانه فكشطه فاذا هو غداة عفاف من العجائن الكيميائية . وكان النساع يكاذ يبلغ مساحة هذه الصفحة من المقطف ، وإن كانت نخانته تقل عن جزء من ألف من عقدة الأصبع . فنبت بهذه التجربة أنه قد تم افتتاح دائرة جديدة للمواد المؤلفة بالكيمياء . وهذه متفضي الى توسيع المجال الذي تشغله حالياً أنواع الفراء والعجائن الكيميائية التي تستخرج من البروتينات الطبيعية التي تستخلص من الهلام ومخيض اللبن . وفضلاً عن هذه الاعمال الصناعية ، التي لما تقدر فوائدها الاقتصادية حق قدرها ، قد ظهر أثر خطير الشأن في هذا الموضوع . ونعني به مجالاً رحباً تم فتحه لترغيب العلماء في الاستطلاع والتعمق في المباحث الخاصة بأمرار الحياة والنمو والوراثة والمرض .

ومن المدهش ان النوع العمري من البروتين الذي يتألف منه الحرير والصوف الصناعيان ، هو من أبسط أصنافه . أما البروتينات الشديدة التعقيد المؤلفة من هتي الأحماض الأميلية فتعد دليلاً لدراسة الخلايا

فقد كال من المساهمين في اختراع الكينا الصناعية وذلك بالاتحاد مع شركة بولارويد حيث تعمل زوجته في هذه الشركة نفسها، بصفة كونها مستشارة فنية لها . وهي من خريجات كلية ميميث . وبما ينبغي اثباته هنا أن ودوارد أتم تأليف البروتين بمعاونة زميل كيميائي من زملائه هو . ه . سكرام وذلك في معهد كونترس للبحاث العلمية في جامعة هارفرد . وهو مكان يبدو لناظره شبيهاً بأي معمل كيميائي صغير في أية مدرسة عليا أو كلية . وقد اشتهر سكرام بكونه يحافظ على تسويق مكتبه وأناقته ، بينما زميله ودوارد لا يحفل باضطراب يسير ، ينتاب مكتبه ، ما دامت هاتيك المشابك الخاصة بالاحاض الامينية قائمة في الاصناف الثلاثة بها من الجزيئات .

الكينا الكيميائية (وما لا شك به أن الكيمياء الصناعية تزود العالم بفرص عظيمة لاختراع أدوية جديدة . ففي خلال الحرب العالمية الثانية مست الحاجة الى اكتشاف عوض صالح يقوم مقام الكينا الطبيعية ، أو الى تركيب كينا كيميائية . ولا غرو فلولا الكينا ما استطاع جندي واحد من جنود الدول المتحالفة أن يطأ الاقطار الحارة ، كما لو كان حافياً ، خشية على حياته من الملائكة المتفحشة هناك ، وحتى في أيام السلم ، قد يزيد المطلوب من الكينا الطبيعية للعلاج ، على محصولاتها ، مع العلم

المعهد حياله اختصار اجراءاتها الرسمية العقيمة المفروضة على كل طالب جديد يلحق بها ، إذ سمحت له بأن يدرس دراسة مستقلة ، كل ما نهبوا إليه نفسه ، ويمارس من المباحث العلمية ما يطمح إليه . وحالما أتم دراسته في ثلاث سنوات ، منحته ادارة الكلية درجته العلمية ، وكافأته بألف ريال بصفة كونه عضو شرف فيها ، على أن ينزل عن جوء من مكافأة عمله ، نظير نفقات تعليمه . وبعد قضائه سنة أخرى في دراسته ، بلغ ، العشرين من عمره وظفر بدبلوم الطب ، فجعل يباشير مباحنه المستوفاة الشروط في جامعة هارفرد . وقد أصبح هذا الأستاذ المبقر في الثلاثين من العمر . ومع ذلك فانك إذا رأيته ، خلته خريجاً من خريجي الجامعة أو الكلية إذ هو لا يفوق سنّاً الكثير منهم . ومع ما يقرن بسيرته من بواعث العجب ، فلا تلوح عليه مخايل العبقرية التي ينزع ذووها الى الاستبداد بأرائهم ، إذ هو رجل ذو شعر أصفر ، متوسط القامة ، مولع بلعب الكرة والمضرب ، مع طلبة الجامعة . وهم يلقبونه بلقب « بوب » تحبباً اليه . وهو ميسال للفاكاهات ومفرم بتدخين عدد جم من السجائر . ومن دأبه أنه يحمل بين يديه إبريقاً من القهوة ، الى معمله الكيميائي ، ليتناول منه ما يكفيه منها في أثناء أعماله الشاقة هناك صحابة يومه . ومن عاداته الميل الى توثيق صلاته رجال الصناعة . ولا غرو

كثيرها من عشرات الآلاف من الأدوية المركبة . وليس هذا عسيراً ما دمتنا نتذكر تاريخ النيلة والثانيليا المصنوعتين وريوات العقاقير ( التي تستخرج من قطران الفحم الحجري ) والطور والروائح والأصبغ والمواد الجلدية للصور الفوتوغرافية والمفرقات . وهذه جميعها كانت في بدء اختراعها محسوبة من الطرف الغالية ثم ما لبثت أن زخرت بها أسواق العالم فنافست المنتجات الطبيعية ثم برزتها .

والشيء بالشيء يذكر ، فقد جاء في كتابنا ( الصناعات والصناعات ) في باب منتجات الفحم الحجري ما يأتي : -

« قطران الفحم الحجري مادة سوداء صمغية تتخلف من عملية استخراج غاز الاستصباح من الفحم الحجري . وهي مزيج من مواد عضوية مركبة يتاح للكيميائي أن يستخلص منها أية مادة يرغب فيها . فمن مادة مطهرة الى مادة مزيله لبقع الأوسار ، ومن صبغة الى رائحة عطرية ، ومن عقاقير طبية الى مفرقات » .

وفي سنة ١٨٥٥ قام صتركر الكيميائي الألماني بتحليل الكينا الطبيعية فنبير له أن جزيئها مؤلف من ٢٤ ذرة من الهيدروجين و ٢٠ ذرة من الكربون وذرتين من الأكسجين وذرتين من النيتروجين . ثم حاول غيره من العلماء تركيبها على ذلك النموال فباءوا بالفشل . وكان أولهم ويليام

بأن استعمار تلك الأصقاع إنما يقوم على المعالجة بالكينا . وذلك لأن الملاريا من أشد الأوبئة فتكاً ببعض أقطار العالم حيث نصف الملايين من سكانها وتقضي على مئات الآلاف منهم . على حين أن وقايتهم ميسورة باستعمال مقادير كبيرة من أي دواء مضاد للملاريا . غير أن هذه المقادير لا تتوافر في المحصولات الطبيعية . ومن ثمة تستطيع الكينا الكيميائية سد النقص الذي تعجز عنه موارد الكينا الطبيعية .

وفي يونيو سنة ١٩٤٤ أذيع اعلان من المعامل الكيميائية لشركة بولارويد الأمريكية ، كان من الأهمية بأسمى مكان . فخواه أن الطبيب الدكتور روبرت ب . ودوارد والدكتور ويليم إ . دورينج ، قد تمكنوا من صنع كينا بالتأليف الكيميائي ، بهذه الوسيلة معضلة طالما أعجزت علماء الطبيعة ، منذ زهاء قرن من الزمان . وقيل : صف هذا الاختراع بما يأتي : -

نحن الوقت بعد لتكهن بمدى خترع الرائع ، وكانت هذه نادرة الوجود ، غالية الثمن الكينا الطبيعية التي تستخرج من الهينكونا . ولذلك كان المرضى ، استعمال بدليها في علاج الملاريا ، رين والبلازموكين . وقيل في تلك إن القرائن جميعها تدل على أن ن تصنع يوماً ما في المصانع

مكان على النقيض من مظهره . . لأن هذا لا يتيسر لطالبه بواسطة رسم يرسم على ورق حصاص لاغير ، بل لامندوحة للكيميائي ، عن تركيب جزئيات يرجع نجاحها ، فيصنع واحدة فواحدة ثم يجربها كلها وربما يضطر إلى تركيب مائة منها أو ألف أو أكثر ، قبل بلوغه مراده في آخر أمره .

فان كان ودوارد ودويرنج قد نجحوا في اختراعهما هذا في أربعة عشر شهراً لاغير فذلك لأنهما لم يضطرا إلى قضاء وقتهما في سبيل الوقوف على وسيلة تنسيق الذرات المؤلفة لجزيء الكينا ، لأن هذا التنسيق كان قد اكتشفه منذ سنة ١٩٠٨ عالمان المانيان كيميائيان ، هاريب وكوينجس ، فلم يبق إذن من مصاعب هذه المعضلة إلا محاكاة تنسيقها كأصاها ، وهذا أمر ليس هيناً في حد ذاته ، إذا حسبنا عشرات العلماء اللغات آمالهم من قبل في حله .

ان بعض التجارب التي قام ودويرنج قد أسفرت عن - كل الغيار لاجزئيات الطبعية نافع . والدليل على ذلك انهما الكينا تماماً يسمى الجزيء الس ثم فلقا هذا الجزيء النظري في مصنوعة بحتة ليس لها نظير نافعة لمعالجة الملاريا ،

عروض

هنري بركين . وكانت آلة فشلهم أن علم الكيمياء لم يكن قد بلغ في سنة ١٨٥٦ ما وصل اليه في هذه الآونة من التقدم . ويمزى عجز بركين الى كونه استطاع التوفيق بين تلك الذرات الصالحة لتركيب الكينا ولكنه لم ينل مأربه ، وان كان قد ظهر باختراع صبغة اللون البنفسجي الزاهي « موف » وهي أول صبغة استخرجت من قطران الفحم الحجري . ولذلك صار يعد مؤسس الصناعة الكيميائية العظيمة لقطران الفحم الحجري . ومن بواعث الاسف أن اشتهار طريقة التركيب الكيميائي للكينا لم يكن مانعاً للاخفاق المتواصل في صنعها فيما بعد . واذا شئنا تقدير اختراع ودوارد وزميله دويرنج حق قدره ، فلا بد لنا من ادراك حقيقة كون خواص الجزيء العضوي تنوقف على تركيبه . وقد تكون الجزئيات مشابهة بعضها بعضاً من كل الوجوه ولكنك عندما تنسق ذراتها في نماذج مختلفة ، تتفاوت خراسها بعضها عن بعض ، وان استحال كيميائياً على الناظر اليها تمييز بعضها من بعض . وتسمى هذه الجزئيات بالاجسام الاسواء أو السواسية المتشابهة التركيب أي أن تركيبها الجزيئي متساو . فأضحت الخطة المثلى لحل هذه المعضلة هي ، اختراع جزيء تنسق فيه الذرات تنسيقاً من شأنه جعل تركيبه يكتسب الخواص المنشودة .

وكان هذا من الصعوبة مملياً بأصعب





# مكتبة المقتطف

## ١ - شرق وغرب

الاستاذ علي محمود طه — ١٨١ صفحة من القطع المتوسط ، محلاة بدور من ريشة الرسامين الاستاذين  
عبد العزيز خالد درويش ومحمد سليم شوقي — مطبعة شركة فن الطباعة

في الوقت الذي تبلغ غضبه الخير على قوى الشر مبلغ الثورة التي يتبدد أمام صوتها  
المدوي عواء الذئاب يعلو صوت الشعر من قيثارة عذبة الرنين ليسجل للشرق أحداثه  
غناء ، وليحدد أبنائه في جهادهم خطوة خطوة في كل ناحية هب فيها صوت مناضل عن  
حقه ... في هذا الوقت الحامم يصدر ديوان صديقي الشاعر الاستاذ علي محمود طه « شرق  
وغرب » بعد أن جاب « الملاح » البحار .

فأما الجانب الشرقي فهو العنوت الموقظ ... الصوت الذي أخذ من زداء الحق اقوته  
ومن هتاف الحرية جلالة ومن روعة الايمان جماله ليهيب بأبناء الشرق قائلاً :

دعوها منى وأتركوه خيالاً ، فما يعرف الحق إلا النضالا  
بني الشرق ماذا وراء الوعود ، نطل عيناً ونرنو شمالا  
وما حكمة الصمت في عالم تضحج المطاعم فيه اقتتالا  
وليصرخ في وجه الغرب بعد أن بلا سياسته وتكشف له خداه :

ممعنا ، خدعنا ، وانقلبنا لحسبنا لقد ملئت الامم قيثارك البالي  
ثم ينبه الشرق مرة أخرى :

يا شرق ، يا شرق لا تتخذك دعوتهم	واقبض يداً ، خذيت الحق أوهام
أكان غير عيون الزيت دافقة	من قلبك الغض يجريهن صجّام
وكان غير أنابيب يحوط بها	ضلوع صدرك قهار وظلام
قد فسموك مطارات وما حملوا	إلا الحرب لها في الكون إضرام

وليتردد بين جنبات الوادي ينادي :

أخي ! وكلانا في الأسار مكبّل  
نحجر على الأشواك نكل حديد  
إذا لم تحررنا من الضيم وحدة  
ذهبنا بشمل في الحياة بديد  
وعلى هذا الور وبهذه الروح وفي هذا النفس القوي والديباجة المشرقة يهتف الشاعر  
الذي طالما نعم قراؤه بالنعم الحالم الوداع في قصائد يحيي بها فلسطين واندونيسيا ومصر،  
ويستقبل بها المفتي والقامو قجي وعبد الكريم ويذكر البطولة في شهداء هذه الاوطان جميعاً.  
على أن شاعرنا لم يشأ أن يحرم عرائس الشعر الذي عودهن الطواف في طلمن البعيد  
عن ضجيج الحياة بأطاعها وعجيج المعتزك الانساني برغباته الغشوم وأحقاقه ، لم يشأ أن  
يحرمهن الغناء من أجلهن ، وهن اللاتي لا يعرفن شرقاً ولا غرباً ، لانهن فوق البشرية بما  
يدعون اليه في طلمن الذي لا يدين إلا بالحب ولا يتردد في ممانه غير أطياف الحب فهو  
يردد في الجانب الغربي من ديوانه أصداء ما بعثت عرائس الشعر في روحه وفي قلبه من  
ذكريات بقيت له من رحلة في ربوع الغرب فهو يهتف :

عرائس الشعر قد طأ الحبيب ، وفي عينيه صمد وتعذيب واضنا  
آب المغامر من دنيا متاعبه أما له راحة منها وإغناء ؟  
ولبقف في ليلة قراء يتأمل :

البحر والخور فيه ساجحة رؤى بها بات يحلم القمر  
ليبدع في تصوير السابحات وقد استسلمن لضوء القمر فوق صدر البحر  
أقسمن لا يبتحن شاطئه وإن ترمى بمائه الشرر  
حتى يرى وهو فضة ذهب تمازج الليل فيه والسحر  
وإذا كانت « أصوات الشرق » قد طفت في هذا الديوان على « أصداء الغرب » فإن  
هذه القلعة قد زحرت بصور فتاة في الوصف كقصائد « راكبة الدراجة » و « الوردة  
الصفراء » و « أندلسية » وفي التعبير والتأمل كقصائد « ألحان وأشعار » و « فلسفة  
وخيال » و « على حاجر السفينة » وهي صور جمالها في وحدتها ، وكلها من هذا الينبوع الغياض

## ٢ - حديث الصومعة

للمرحوم ابراهيم الديباغ — ١٤٨ صفحة من القطع الوسط — نشرته مكتبة الطاهر اخوان  
في يافا ( فلطير )

منذ عام طلب إليّ إلقاء كلمة عن الشاعر الفلسطيني المرحوم ابراهيم الديباغ بمناسبة ذكرى  
العام الاول لوفاة . وكان مما قلته يومذاك أن هذا الشاعر كان أصير نزعته قويتين فالبند

على عصره لا ذنب له في جنايتهما : نزعة التقليد فهو ما يزال يحاكي الشعراء الذين التزموا التلاعب اللفظي. ونزعة الاندماج في مجالس العظماء من ناحية أخرى كنديم مسامر لا كفنان شاعر... وقلت إنه كان في استطاعة هذا الشاعر وقد وُهب مادّة من السخرية لا تنضب أن يستغلها في السخرية بزمانه وبكثير من شخص من ذلك الزمان فيعطي الأدب لوناً جديداً من السن. ولكنه لم يفعل ذلك لأنه كان كالأطائر المتنقل بين أفنان الزهر فتنته الألوان وصغر الشذى عن أن ينظر الى الاشواك ، بل قل إن جيله هو الذي شغله عن ذلك .

ذكرت هذا بمناسبة الكتاب الجديد الذي صدر أخيراً متضمناً رسائل الشاعر الديباغ في الأدب والفكاهة والنقد والفلسفة وهي رسائل كان يبعث بها من مصر الى ابن أخيه في باء الأستاذ مصطفى الديباغ خلال عشرين سنة نشر منها ثلاث عشرة رسالة هي لون من أدبه النثري انطلق فيها متخلصاً من القيود التي كان يعانيتها في الشعر واستطاع إعلان رأيه لابن أخيه في كثير من نواحي الفكر في حرية وطلاقة تساعد من يدرس أدب الشاعر بعد ذلك على تقصي الكثير من معالم نفسيته ، وهي خدمة جليلة من الأستاذ مصطفى الديباغ للتاريخ الأدبي الى جانب العناية بنشر آثاره . ولعله يشفع ذلك بنشر الكثير من أخبار هذا الشاعر ونوادره فهي متممة لذلك ولأنّ هذه الناحية هي أبرز نواحي الديباغ الذي كان الس جيل . ومن هذه النوادر يتكشف للأجيال اللاّحقّة دراسة هذا الشاعر أيضاً .

### ٣ - عاشقة الليل

قنطرة المرافية فذلك الملائكة — ١٣٩ صفحة من القطع الوسط — مطبعة الزمان في بغداد في العراق الآن نهضة شعرية جديدة سريعة الخطى قوية الاجنحة تراد آفاق النفس وتغلغل في أغوارها بعيدة عن عالم المحسوسات الذي ظل الشعر هناك الى وقت قريب يجول فيه ، وهي نهضة تبشر بأمل واسع .

وما بدعو الى الإعجاب أن يكون باكورة هذه النهضة الحديثة والوثبة الجريئة ديوان الشاعر مشرفة الأسلوب رفيقة النعم مرهفة الحس متوقدة الشعور هي الآلة نازك الملائكة ، وهي شاعرة استوت ملكتها الشاعرية ، ولا عجب ، فهي كما علمت من بيت نبغ منه شعراء كثيرون فولدتها شاعران وأختها شاعرة وكذلك أخوها .

ولنستمع الى شاعرتنا في نورها على الشمس فهي تهتف لليل الذي عشقته :

الليل ألحان الحياة وشعرها ومطاف آلهة الجمال الملمم  
تهفو عليه النفس غير حبيسة وتحلق الأرواح فوق الأنجم

كم مرت تحت ظلامه ونجومه فنسيت أحزان الوجود المظلم  
وعلى في نعم إلهي الصدى تلقيه قافلة النجوم على في ا  
ثم تقول في نهاية هذه النورة وختام هذا التمرّد :

أضواؤك المتراصات جميعها يا شمس أضعف من لهيب تمردي  
وجنون نارك لن يعزق نعمتي مادام قيثاري المفرد في يدي  
فاذا فحمت الأرض فلتتذكرني إني سأخلي من ضيائك معبدي  
وسأدفن الماضي الذي جللته ليخيم الليل الجميل على غدي ا

وما أجل تصويرها لنفسها في قصيدتها « طاشقة الليل » حيث تقول :

يا ظلام الليل يا طاوي أحزان القلوب أنظر الآن فهذا شبح بادي الشحوب  
جاء يسمى تحت أستارك كالطيف الغريب حاملاً في كفه العود يغني للغيبوب

ليس يعنيه سكون الليل في وادي الكئيب

هو ياليل . فتاة... شهد الوادي سراًها أقبل الليل عليها فأفاقت مقلناها  
ومضت تستقبل الوادي بألحان أساها ليت آفاقك تدري إما تغني هفتاها

آه ياليل أواليتك تدري ما مئناها

وفي قصيدتها « صياط وأصداء » تكشف عن حصاصيتها المرهفة وتصرخ « الحس في هذا  
الوجود جريئة لا تغتفر » وهذا الارهاق هو الذي ينير في نفسها هذا اللون من الحزن العميق  
فهي كما تقول في قصيدة السفر « أبدأ أحلم بالفجر فلا ألتقي النهار » على أني أدعّر الشاعرة  
الى أن تستمع الى صدى حديثها في قصيدة « جزيرة الوحي » :

العود ، والشعر ، والاماني شاعرتي فاصدحي وزبدي

قد ضحك العمر وامتنامت عواصف اليأس والنكود

وانقلب اليأس بشريات وأمنيات... فأني عيد... ا

ان هذا الديوان أصداء روح محترقة وأنان قلب بشري يتردد فيه صدى صرخات مكبوتة  
فتمبر عنها صاحبته أصدق تعبير في لغة بعيدة عن لغة الشعر المملق لأنها لغة الشعر الحي والي  
لأعتبر صاحبة هذا الشعر أبرز شاعرة عربية عرفت معنى الشاعرية وتلقت أجل رسالتها  
وأروعها

مسن لامل الصبرني

## خواطر الحياة

ديوان شعر للسيد محمد الخضر حسين

الاستاذ الجليل الشيخ السيد محمد الخضر حسين رئيس جمعية الهداية الاسلامية ، ورئيس  
جهة الدفاع عن شمال إفريقيا ، ورئيس تحرير مجلة لواء الاسلام ، وعضو مجمع فؤاد الاول  
لغة العربية ، والاستاذ سابقاً بكلية أصول الدين الأزهرية ، وهو رجل في العقد السابع من  
مره ، وقد شاب شبيبة مباركة في سبيل القضايا العربية والاسلامية ، بارك الله له في حياته .

و « خواطر الحياة » ديوان لطيف الحجم ، يقع فيما يزيد عن مئة وسبعين صفحة ، وقد  
عني بنشره الاستاذ الكبير محب الدين الخطيب ، وقد تضمن الديوان ما نظم السيد الخضر  
من فرائد الشعر مرتباً على حروف الهجاء ، وقد علّق على الديوان بشرح لطيف وتفسير  
وجيز ، الأستاذ الجليل محمد علي النجار الاستاذ بكلية اللغة العربية .

ويمتاز شعر أستاذنا الخضر بميزات كثيرة ، أذكر منها قصر المقطوعات ووجازتها ،  
فأغلب قطعه لا تتجاوز أبياتاً تعد على أصابع اليد الواحدة .

والمر في قصر مقطوعات الشاعر أنه بطبيعته يميل الى الاختصار والإيجاز ، حتى  
في حديثه وإشارات وحركاته ، فتكفيه الدقة عن الكثرة ، والإهارة عن العبارة ، ويضمن  
الألفاظ القليلة ما طوّعه الله له من المعاني الكثيرة ، وتلك براعة لا تتيمر إلاّ للقليل . .  
ويمتاز شعره أيضاً بشرف الغرض الذي يقصده ، وكرم الغاية التي يريد بها ، فإذا وقف  
أناس شعرهم على الأهو واللاعب ، والغزل والطرب ، والتشبيب بالنساء ، وتصوير باطل  
الأمواء ، وقف السيد الجليل شعره على ما يشغل أذهان العالمين ، ويتفق بالناخبين ، فهو  
يتحدث عن محنة فلسطين وغيرها من أوطان العروبة ، ويتجسّد رجالات الإسلام لأواير ،  
ويشخص كثيراً من أمراضنا الاجتماعية ، ويصف لها العلاج ، ويتحدث عن الصداقة  
والأصدقاء ، وفضل اللغة العربية ، والاتصاف لعلم الشريعة ، والوفاء في العمر وايمر ،  
ويحيي مواسم الدين بأبياته الرقيقة ، ويصف مشاهداته في الحجاز والشام والمنايا وتونس  
ومصر ، وغير ذلك من جليل المسائل وخطير الشؤون ...

ويمتاز أيضاً بمجودة السبك وخفولة التراكيب ، ولعل هذا هو السر في أننا نشاهده

يجي لنا في شعره كلمات كانت مهجورة أو معطورة ، فهو يستعمل مثلاً كلمة « صاعروا » بمعنى أملوا وجوههم عن النظر إلى الناس تكبراً ، وذلك في قوله :

مالا يهود استوطنوك وصاعروا    بعد الهوان خدودهم خيلاً ١٢  
ويستعمل كلمة « راقه » لآلة الكتابة المخترعة حديثاً ، وذلك في قوله :

فكان أن زدت في الديوان راقه    تخط في الطرس خط البرق لو كتبنا  
ويستعمل كلمة « صعاد » وهي جمع « صعدة » والصعدة القناة المستوية ، وهو يريد الرماح في قوله :

أداروا من صلاستها رحيقاً    وهزوا من جراتها صعادا  
ويستعمل كلمة « القتير » ومعناها : الشيب ، في قوله :

مضى عهد الشيبة في صفاء    ورثق كأصنا عهد القتير  
ويستعمل كلمة « رابغ » بمعنى ناعم ، وذلك في قوله :

تقلدت في صدر الحياة عريمة    وباكرت تحجي العلم والعيش رابغ  
ويستعمل كلمة « ححاق » وهو جمع أحق ، في قوله :

فأهيباع الضلال اليوم صالوا    بألسنة وأقوال ححاق ١  
ويستعمل كلمة « الرقيمة » وهي خيط يعقد في الأصبع ، لينذرك به إلا إيمان ما يخنو نسيانه ، في قوله :

هي « الرقيمة » فيما قال مبدعها    وهل يغيب السنا عن طلعة الأفق ؟  
وهذه الكلمة تذكرنا بقول الأول :

إذا لم تكن حاجاتنا في نفوسكم    فليس بمن عنك عقد الرثائم ١  
ويستعمل كلمة « أفوك » بمعنى كاذب في قوله :

زطت وسواس تحبطهم فا    لبنا أن اغترؤوا بوحي أفوك  
ويستعمل كلمة « طباب » بمعنى دواء يطب به في قوله :

طباب الشرق في خطرات شهم    وجر حمامة في القلب ذا كي ١  
ولمك لعمرى يد مذكورة ، فإن مفردات اللغة كنوز مجبولة ، ولو أن كل أديب أو

لهاء جعل من همه أن يحمي لنا مجموعة من الالفاظ المهجورة التي نحتاج إليها وأهملها بالتكرار ، لكسبت اللغة كسباً عظيماً .

ويمتاز الديوان بأنه لا يعطي قارئه معانيه عند القراءة المعاجلة بل لا بد فيه من التأني والغريب ، وصاحبه لا يتلاعب بالالفاظ ، ولا يألف المجازات البعيدة ، ولا الكنايات المنكرمة ، ولا الاستعارات المستوحشة ، وهو يؤثر الحقيقة على المجاز في كثير من الأحيان وإن كان يأتي في سهولة بالتشبيه البليغ أو التمثيل الرائع كقوله :

كأن شعاع الشمس يذاب في الثرى      ويطوي بساطاً مده الليل أسودا  
سنا حجة يسطو على قلب جاحد      فيأخذه بعد الضلال الى الهدى  
ويمتاز الديوان بشيوع أبيات الحكم والأمثال فيه ، ولا يعد هذا عجباً من عالم جليل وقف حياته لخدمة الدين والعلم . والشيوخ أحياناً يستجيب لنداء العاطفة وهتاف الوجدان وله أبيات في النسيب والهوى قليلة ولكنها جميلة ، ومنها قوله :

أتنسنت الصبا من د حاجر ،      صاذي الأينق أم شمت بروقه؟  
عج بنا نفس بلقيا جيرة      ضربوا الخيم به نفساً مشوفة  
وإذا ما طاقنا بطء السرى      عن صبوح الوصل أدر كنا غبوفة  
ها هنا مرتعهم ، خذ بيدي      ودع الأينق في الروض طليقة  
طال بي البين الى أن أطفأت      نظرة من صاكني البان حريقه  
يا بدوراً حسنما ابتز النعي      وهوأها مد في القلب عروقه  
طدت الأيام من هجرانكم      لي خصيماً ، بعد أن كانت صديقه  
من دجى يقضيه جنفي أرقاً      وضحي يلبسه الليل غسوفة  
وكفى جسمي نحولاً أن تخنا      لو كالأليف خيالاً ، لا حقيقة  
لم أضع للود عهداً ، أفأ      حاق أن يرعى الاخلاء حقوقه ؟

وهي كما ترى نشئة مستمرة بوقدة العاطفة ولظى الوجدان ، وخاصة إذا صدرت من مثل صاحبها . والديوان في إيجاز صورة لشعر العالم الوقور البليغ ولا شك أنه يحتل مكانه المرموق من المكتبة العربية .

أصغر السمر باصمى

المدرس بالأزهر الشريف

## ٨٩ شهرآ في المنفى

للاستاذ محمود حسني المرايبي

لو أمكن صنع رجال من الفولاذ لكان على رأس هؤلاء الأستاذ محمود حسني المرايبي عزيمة وصلابة ورجولة . . . فالنضال والتحدى طبيعة في نفسه . . . نضال الطفيان وتحدي أبة قوة تقف في سبيل هذا النضال . . . وإذا كان فريق من المجاهدين قد ضحى في جهاده بلال وآخر بالشباب فقد ضحى الأستاذ المرايبي بالاثنتين معاً . فنذر ربيع قرن كان هذا المجاهد المفكر على جانب من الشباب وفير وعلى تراث من الثروة غير يسير فوضع هذا وذاك على كتفه وبدأ نضاله من أجل حرية الجبايع والمظلومين في وقت كان يعتبر فيه من ينادي بمثل هذه الآراء في مصر والشرق إمّا مخرف أو مجنون . . . ويكني مصر نغراً أن أول ما ذكر اسمها في المحافل الدولية المتطرفة كان على يد هذا المجاهد . . .

لقد ظلّ وفيّاً لهذه المبادئ طيلة ربع قرن من الزمان متحملاً في سبيلها عذاباً أبصره الموت جوعاً ولا مبالغة فيما أقول : فيها هو كتابه تشهد فصوله فصلاً فصلاً بل صفحاته صفحةً صفحة على سلسلة لا تنقطع من الحن والفدائد تزلزل الروامي من الجبال ولكن يصمد أمامها قلب هذا الرجل وإيمانه ! لقد ظن أن هذه الآراء والمبادئ التي اعتنقها هي المفتاح الذي به تُفك قيود المحرومين والجبايع والمظلومين من أبناء قومه وأي تضحية وأي عذاب يذكر بجانب هذه الغاية السامية النبيلة ؟ ! هذه هي الحرية وهذا هو طريقها . . . وانه لمن عبّادها وعشّاقها الذين يستعذبون في سبيلها السجن والنفي والتشريد بعيداً عن الأهل والوطن محروماً من أبسط الحقوق التي لانض بها الدولة حتى على المجرمين والسفّاحين من رعاياها ألا وهي اعترافها بحسبيتهم . لكان جريمة حسني المرايبي في نظرها تفوق جريمة القاتل المجرم والسفّاح الاتيم ! !

والكنه قابل كل ذلك بإيمانه الذي لا يززع . إيمانه بأنه الذي يحمل الشعلة المقدمة في بلده والتي يجب أن لا يتقدم لحملها إلاّ زند فدائي . . . والكنه مع الأسف قد سدم في إيمانه وحصن جهاده الحصين حين رأى تلك المبادئ التي ظنّها مفاتيح الحرية قد انقلب



في أيدي الزعماء القائمين بها سلاسل تُسكبل بها البقية الباقية من الأحرار . فوقف ينظر  
ماخراً ساخطاً الى هؤلاء الزعماء رائياً متوجعاً لتلك المبادئ التي قتلها منقذوها وقد بلغ  
به الحزن مبلغاً هديداً حتى جهر بالعداء الشديد هؤلاء الأغرار من الشباب الذين ينساقون  
كالعميان وقد خدعهم بريق تلك المبادئ التي تخفي ظلاماً لم تعرفه أشنع أنواع الحكومات  
المتبددة في التاريخ . لقد هدمت حكومة الشيوعية في روسيا ذلك الايمان الذي لم ترعزعه  
سواق الظلم ولم تنل منه زلازل الطغيان !

وفي هذا الكتاب الصورة الصادقة لهذه الحياة الفذة في فترة الجهاد والاضطهاد وهو  
لا يخلو من طرائف تستروح فيها النفس عبق العاطفة البهيج الشذى وفيه لمن أراد أن يعرف  
لرفاً من أطايب تصرفات القدر مع الأحياء في حياتهم الخاصة صور وصور ولمن أراد أن  
يرى كيف تكون الحقائق أغرب من الخيال مشاهد ومشاهد فهو هو حسني العرابي بين  
الناس يحمل جوعه وبؤسه وهو هو حسني العرابي أمام السلطات في مواقف تخور فيها  
العزائم ولكن عزيمته تملو وتسامق حتى ليستصغر القاهر نفسه أمام المقهور أو من ظن  
انه المقهور ... !

( ان الرجل الذي يسأل الرحمة أو يتقبلها من قوي رجل ضعيف لا يستحق الحياة .. )  
هكذا يقول الأستاذ العرابي ولقد أضرب ستة وعشرين يوماً عن الطعام في السجن لأنهم  
حرموه قراءة الكتب . وصمم على الموت إلا أن يمنح هذا الحق وقد منحه . فalcراءة  
عنده أغلى من الحياة ... وانها كذلك فلينظر شباب اليوم ..

وان النفس البشرية تختلف أنواع البشر والطبقات مجلوة في هذا الكتاب بأجزائه  
الثلاثة بلا أصباغ ولا أدهان بلا رياء أو نفاق ، وإنك لترى انماص تحت قلم حسني العرابي  
وقد عروا من أقمعة أوضاعهم الاجتماعية ... أنك ترى حقائق النفوس . وصتبق فصول  
خبية وآملة - ليله - سخرية القدر - فرقه الى الأبد وغيرها وغيرها قلة عليا لكتاب  
الترجم في اللغة العربية بل وكثير من اللغات ... ! في الكتاب المجاهد قدوة والمستروح  
لذة ولهم من الصادق الايمان عبرة وأي عبرة ...

محمد فرهمي

## قلب لبنان

أمين الريحاني — صفحاته ٦١٠ مطابع صادر — ربحاني بيروت

أدّى صاحب العقل النيسر والقلم المبدع المرحوم (أمين الريحاني) للعالم العربي خدمات جُلسى بها صنّف من مؤلفات وحبر من مقالات عرّف بها الشرق العربي الى الولايات المتحدة والمجلترا وبطريق غير مباشر إلى كل بقعة في أوروبا .

وأنبه هذه المؤلفات ذكراً وأكثرها ذبوع صيت كتابه « ملوك العرب » الذي يعدّه المؤرخون سفرّاً خالداً أضفاه فيلسوف الفريكة على خزانة التاريخ العربي رغم ما بلّاه من مشقات الاسفار الى بلاد العرب وبه أماط الانام عن رؤى وأطياف وأمرار لو لم يجلبها (الامين) ويكشف عنها الغطاء لبقبت في طيّ الكتان ولودّعنا الحياة ونحن في جهل من جزيرة العرب وأمرار الصحراء ومرافق الجزيرة وأصقاعها المجهولة الخالية .

و (قلب لبنان) فصول خطّها فقيده العرب في وصف خمس عشرة رحلة قام بها (الامين) الى حدود لبنان وجباله وقراه ودساكره فصور بها جمال لبنان وأخلاق سكانه الطيبة التي لم تُبدّل منها مدنية القرن العشرين الزائفة شيئاً ، وقد أوضح نائير الكتاب صديقي الاسناد البرت ربحاني هدف شقيقه الفقيده بكلمة خفيفة الظل صدر بها الكتاب

وقد مهد الريحاني لكتابه بلمحة عن مساحة لبنان وأممائه ولغات أهله وأشار في أول فصوله الى الباعث الذي حمله على قطع المفاوز الشاسعة والادوية السحيقة على ظهر دابة وفي زمن كانت الاسفار مخوفة بالمخاطر وطلقات (الموزر) تلعلع في كل سفح وراية وها أنا ذا أخلي بينك وبين الرائد اللبناني الاول ليحدثك بأسلوبه الكتابي الرائع عن ذلك المنزع الذي حمله على الاسفار في (قلب لبنان) هازئاً بما يكتنف رحلته من مخاطر ورفيقه فيها (المكاري) محبوب و (بغلته) ذات الاجراس المدبية ... :

« ... وبعد التوكل إذن على الله ، وعلى الذاكرة ، أطوي من الماضي نحو ثلاثين سنة وأقف عند السنة السابعة والتسمائة والآف (١٩٠٧) على كتف وادي الفريكة لأعرف الى القارئ شاباً لبنانياً كان قد هاجر الى امريكا وعاد منها ، يحمل الكتب الادبية ، لا السندات المالية ، واتخذ الوادي منسكاً له ، فبنى معبداً فيه ، أو حسب معبداً كل مشهد من

مشاهده، بل كل مكان يقف فيه القلب مبتهجا، والفكر مستوحيا، والروح خاشعة مطمئنة...  
 وكان ذلك الشاب مشغولاً بالكتب والكتابة، فانصرف بكل قواه وكل جنونه إليهما  
 جفا الانس، إلا الفلاحين منهم، وما واصل الجن، إلا من كان منهم نسياً لشاعر أو صينواً  
 لجنان ضحكك، فظل على شيء من الانسية المؤنسة، وما ادعى النبوة مرة ولا القداسة،  
 ولكنه رأى أن يعبد الله في المعبد الأكبر، في الفلاة، في الحقول، في الوادي، في  
 ظلال الصنوبر والزيتون، فقال الناس إنه كافر ينكر وجود الله، وقد سمعه بعضهم يقول:  
 « الطبيعة أمي » ويردّدوها فقالوا: « إنه » سيجدف على الله تعالى !

ويقول في موضع آخر: « ثم تجلّت لذلك الشاب حقيقة أخرى جليّة وهي إن جبل  
 لبنان هو الجبل المقدّس وإن أقدس ما في الجبل المقدس هو الأرض فكيف يبني العابد  
 معبده في الوادي ويظل ابن الطبيعة مقبلاً فيه ثلاث سنوات ولا يزور أقدس مكان في لبنان  
 لا يحجّ الأرض؟ هذا هو الكفر بعينه.. وقد آلى ذلك الشاب على نفسه ألا يكون من  
 الكافرين »

وكانت ( رحلة الأرز ) وسائر الرحلات الأربع عشرة التي قام بها ( الأمين ) في نجد  
 الجبل المقدس ووهاده ( لوحات ) فنية رسمها الريحاني الفنان بريشة الابداع وصورها تصويراً  
 رائعاً بأسلوبه السهل الممتع الذي لا يجاريه فيه اليوم كاتب عربي. وكان من وفاء شقيقه الأستاذ  
 البرت ( أبو الأمين الثاني ) أن فكّ أغلال تلك الفصول وحزمها في كتاب أخرجه حديثاً  
 للقارئ العربي حزمًا أنيقاً موثقاً وقال له: « هاك بعض ما تركه شقيقي أمين من خمر معتقة  
 في خوابها، فأحس ما في وسعك أن تحسو... وكلما استسفت هذه اللبنانية البابلية ترحم  
 على أخي وادع الله أن يرزق أمتي كل جيل رجلاً من طرازه ».

وإذ نكتفي بهذه اللوحة العابرة عن الأثر الريحاني القيسم نشكر الأستاذ ( أبي الأمين )  
 بمجهوده الأدبي وزجوا أن ينشر كل عام على عحي ( الإمين ) والمجيبين بذوب انتاجه الأدبي  
 ما تركه مخطوطاً إذ نحسب أن كل ما ينشره الأستاذ البرت ( رعاه الله ) من آثار أخيه  
 وروائه كسباً للخرافة العربية ومغماً لتاريخها الحافل بما تثر ( الأمين ) .

## فهرس الجزء الثاني

من المجلد الثاني عشر بعد المئة

- ٨١ النكافل الاشعراكي — نظرية ما في النظام الاجتماعي : امماعيل مظهر  
٨٧ لكل أجل كتاب : ا. م.  
٩٤ مشكلة الاسترليني : فؤاد محمد شبل  
٩٨ نظرات في النفس والحياة : ع. ش.  
١٠٤ التعريف بشرح التصريف المسمى بالمنصف : عيد الله أمين  
١٠٨ في التربية — الاسس الحيوية للتربية : محمود حامد هوكوت  
١١٣ المادة والطاقة — أفنومان في واحد : نقولا الحداد  
١١٧ أمراض العيون — الزهري : الدكتور عبد المسيح جرجس  
١٢٤ حافظ وشوقي — صدى الحوادث عند الشاعرين : حسن كامل الصير في  
١٣٧ مشهد من مسرحية كليوباترا : محمد فهمي

- ١١٠ باب الاخبار الطبية \* البروتينات المدنوعة — محاكاة العالم السحري الذي تنوء به الطبيعة  
لأنماء الكائنات الحية : عوض جندي  
١١٩ مكتبة المقتطف ٥ (١) شرق وغرب (٢) حديث الصومعة (٣) عاشقة الليل : حسن كامل  
الصيري . ٨٩ شهرأ في المني : محمد فهمي . خواطر الحياة : احمد العريضي . قلب لندة :  
البدوي المني .

### لحق المقتطف

- ١-٥٦ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث : بقلم مصطفى عبد اللطيف السحري

# المقطف

الجزء الثالث من المجلد الثاني عشر بعد المئة

٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٦٧

١ مارس سنة ١٩٤٨

## معاجم اللغة العربية بين المعجم اللغوي التاريخي والمعجم الكبير

فرع مجمعا الموقر ، جمع فؤاد الاول للغة العربية ، يضع القواعد العامة لقاموس جديد أسماه « المعجم الكبير » ووضع لهذا العمل اللغوي العلمي قواعد طبعها الأستاذ طه حسين بك عضو الجمع بتكليف من مجلسه على مادتين هما « أ ب ر » و « أ ج ر » ، ليكونا نموذجاً يجري عليه تأليف ذلك المعجم ، وعرض النموذج على مؤتمر الجمع في جلسته المنعقدة في ١٦ من فبراير سنة ١٩٤٨ ، وجرت في النموذج مناقشة لا بد لنا من أن نلخص هنا أهم ما دار فيها ، فإنا بذلك إنما نؤرخ لعمل ذي بال ، ونسجل لهذا العصر أنجاءها جديداً في تاريخنا القومي .

### الملاحظة الأولى

« ألاحظ في هذا النموذج ذكر علاقة الكلمات العربية بأصول سامية مكتوبة بلغة أجنبية ، وهذا معجم عربي وليس بحثاً علمياً في أصول اللغات وعلاقاتها . وألاحظ كذلك أنه ذكرت كلمتا « م أ ب ر » و « م ج ب ر » وقبل أنهما إعلان على موضعين ولم يبين كلاهما أين مر ، وجاء في النموذج ضبط حوران بضم الحاء والصحة الفتح » (١) اهـ .

(١) الأستاذ السيد محمد كرد علي

بل والأَحوط فوق ذلك أنه ذكر امام « مابر » : « موضع » لا أكثر، وكذلك « مَثْبَر » : فهو « موضع » : ص ٥ ، فأين هما الموضعان : أي السماء أم في الأرض أم في الفضاء الواقع بينهما ؟ وما الذي يفيد قارئ الأدب أو قارئ نصوص الأدب من هذا ؟

أما ذكر الأصول السَّامِيَّة فتقليد صرف للأوربيين إذ يذكرون في معاجم الأصول اليونانية أو اللاتينية التي يأخذون منها مفردات الالفاظ . ولا بأس مطلقاً من أن نحري على هذا التقليد فهو صنة حسنة ودرس فقهي في اللغة أراه ضرورياً . غير أنه في هذا النموذج لم يستوف شرطاً أساسياً من شأنه أن يجعل هذا التقليد ذا فائدة فقهية . فيجب أول شيء أن توضع علامات خاصة ، لا على الرَّم اللاتيني للحرف ، ولكن على الرسم العَرَبِيّ تعين قارئ العربية على معرفة النَّبَر وخصيصة الصوت والاشباع والمد والقصر والعَنّ والائْثام وما الى ذلك . وأقل ما في ذلك من فائدة أنه يعيننا على درس الالهجات والأصوات .

أمّا إذا لم نزع ذلك فلم يصبح لمن يريد أن يتفقه في أصول اللغة العربية من فائدة يجنيها من إثبات هذه الأصول . بل إن إثبات هذه الأصول تظل في المعجم مادة قليلة الغناء نيرة الفائدة

كذلك رحمت بعض هذه الأصول بطريقة عجيبة . فمثلاً ( ص ٤ ) تجد الرسم الآتي :

« الاكديه : ص ( Abar — أبر ) : رصاص » اه . والرسم بالحرف اللاتيني يظن « أبار » لا أبر : فما فائدة الحرف اللاتيني هنا إذن ؟ وجاء بعد ذلك :

« الارامية : ص ( abbara : abara — أبارا — أبرارا ) : رصاص » اه . وقد وضع على الحرف « a » في الكلمتين ما يشبه الفتحة ليفيد المد الذي هو مكان الالف في العربية . ولكن هذه « الفتحة » لا تدل على خروج الصوت ، وإنما هي تدل على المد لا أكثر . فهل كان الآرامي ينطق أبارا وأبارا كما ننطقها نحن أهل العربية ؟ إذا لم بدلنا الرسم اللاتيني أو العربي على ذلك ، فما هي إذن الحسكة في إثباتهما ؟ فإذا انتقلنا الى العبرية وجدنا صانع هذا النموذج يقول :

« ويلاحظ أن الرصاص في العبرية ( operet : عوفيرت ) وفي الارامية ( kapar - كبر )

ولا يعرف وطن هذه الكلمة الأصلي . اهـ . فأين operet من عوفيرت وأين kapar من كبر : وقد أثبت « كبر » غير معكولة بل أغفل شكلها عمداً إذ كيف تنطق kapar في العربية ؟ ولا شك في أن هذا ومثله يجعل من هذا المعجم مستحذاً جديداً ننظر إليه مظان لغتنا المجيدة نظر الحسناء إذا ولدت هولة مفروعة .

### الملاحظة الثانية

(١) « جاء في النموذج أعلام جغرافية وأخرى تاريخية ذكرت في موضعها من المادتين اللغويتين . فهل ترون أن يجري على ذلك أو يُجرى على طريقة لاروس وغيره من المعجمات الأجنبية إذ تخصص قسماً للأعلام الجغرافية وقسماً آخر للأعلام التاريخ ؟ » (١)  
(٢) ردّ على الملاحظة السابقة .

« إننا لا نضع في المعجم كل أعلام الجغرافية والتاريخ . ولكننا تقتصر من ذلك على أمهات الأعلام التي نعوّد قارئ الأدب العربي قراءتها في المعجمات ، وهي الأعلام التي رد ذكرها في فصول الأدب الرئيسية » (٢) . اهـ .

(٣) « رأيي في مسألة الأعلام أن نثبت منها ما له صلة بالفهم اللغوي ، فنحن نثبت في معجم اللغة اسم إبراهيم ومحمد لا يعنيننا من هـا . ولكن نسبغي من ذلك دلالة اللفظ اللغوي واشتقاقه » (٣) .

والحق الذي لا محيص عنه ولا فرار منه أن هذا الأسلوب عتيق جرت عليه المعجمات القديمة اعتباراً من غير أن نقبل مما جرت عليه أيّة حكمة لغوية أو فنية . فإذا كان مما يحتاج إليه على رأي الأستاذ العقاد أن يذكر بعض الأسماء استشهاده بها على اشتقاق أو غيره فطلق اسم يكتفي ، ولكن ما هي الحكمة في أن نقول مثلاً :

« ابن الأَبَر ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلسنمي أبو عبد الله ، مؤرخ أديب ( ٦٥٨ × ) ، » اهـ . ولقد رى أن هذه الطريقة قد حملت أصحاب هذا النموذج على التورط في ذكر أسماء بدأت بحرف « ع » لأن في سلسلتها لفظ « أَبَيسر » قالوا : « عصمة بن أَبَيسر التميمي ، تيم الرّباب ، له وفادة ، وقايل في الردة مؤمناً ، وعُوَيف

(١) أحمد لطفى السيد باشا (٢) طه حنون (٣) الأستاذ العقاد

ابن الاضبط بن أَبْنِير الدَّيْلِي ، أسلم طام الحديبية ، واستخلف في صرة القضاء . وما كان ليذكر في المادة غير أَبْنِير التيمي ، وأَبْنِير الديلي ، ان كان لذكرها أية فائدة على الاطلاق أيصح مثلاً اذا ذكرت كلمة : Bridge في معجم انجليزي أن يذكر معهماستر Thewebidge أو Shoebridge ومستر Bridgewater ومستر Bridge ، وإذا ذكرت كلمة : Bird ذكر معها مستر Byrde ومستر Baird وان احدهما قتل في حروب كذا والآخر تأمر على الملك فلان مثلاً ؟

مهما يكن من أمر ذلك فان ذكر الاعلام جغرافية كانت أم اسماء رجال أو نساء لافائدة فيه مطلقاً بل هو حقول تهضمه معدة في القرن العشرين . وانما موضع ذلك موسوعات الاعلام اذا أردنا أن يكون لنا موسوعات اعلام تجري على أسلوب كتابة السير مختصرة أو مفصلة .

### الملاحظة الثالثة

«وجهت ملاحظة أرجو أن يبت في شأنها : هل نذكر الاصول السامية للكلمات ؟ أنا أعتقد أن ذلك ضروري لأن المعجم للعلماء ، ولا بد من ذكر صلة الكلمات بأصولها وموف لا افصل في اشتقاق الكلمة فأقول إن أصلها أكادي أو عبري أو غير ذلك . ولكني إذا لحت تشابهاً في اللفظ في المعنى بين المادة العربية وبين مادة أخرى في احدى اللغات السامية ، فاني أسجل هذا التشابه غير مكثف بالاشتراك اللفظي المجرد ، بل لابد من الاتحاد في المعنى » <sup>(١)</sup>

(٢) « يلزم التجري في هذا الأمر خضية التورط فيما ليس بصحيح . فقد نجد اشتراكاً بين كلمة عربية وأخرى أكادية أو عبرية أو غير ذلك ، فنحسب أن الكلمة عربية مستفاد من ذلك الاصل ، على حين ان اللغة السامية تكون قد استخدمت هذه الكلمة استخداماً متأخراً في التاريخ عن وجود الكلمة في اللغة العربية » <sup>(٣)</sup>

(٣) « تحديد الاسبقية في نسبة الكلمات يحتاج الى موازنة دقيقة لتطور الكلمات وتحدد معانيها » <sup>(٤)</sup>



لها أثر كبير في تكليف هذا المعجم العجيب .

تكلمت من قبل في الفائدة التي يتوقعها اللغوي من ذكر العلاقة بين الكلمات العربية وأصولها السامية . ولكن بأي دستور نعرف أن العبرية مثلاً هي الأصل للحرف العربي وإن الحرف العربي لم يكن أصلاً للحرف العبري ؟ وإذا استطعنا أن نقول مثلاً إن معنى حقيقياً للحرف عبري هو الأصل في المعنى الحقيقي للحرف العربي الذي يشابهه في الرسم ، فافولنا في المجازات ؟ أيقضي تشابه المعاني المجازية في مادة من المواد ، أن يكون لكل مجاز عربي أصل سامي أخذ منه ، أو أن نمكس فنقول انه لازم أن يكون لكل مجاز عبري أو أكادي أو غيره أصل عربي نقل عنه ، أم نذهب الى أن المجاز في اللغة طريق للتوسع فيها نشترك في استخدامه الأذواق للتعبير عن مختلف المعاني التي تطرأ على الذهن ؟ ماذا نعمل في كل ذلك ، وما هو الدستور العلمي الذي نمجري عليه ؟ الواقع أن وضع دستور علمي لمثل هذه البحوث الفقهية من أشق الأمور ، أن لم يكن متمذراً كل التعمذر .

على أن بين حروف عربية وأخرى انجليزية تشابهاً في الجرس وفي المعنى ، فهل نستطيع أن نقول ان إحدى اللغتين أخذت عن صاحبتها ، وأبتهما أعطت وأبتهما أخذت ؟ خذ مثلاً كلمة جريمة crime ، وطويل tail وغير ذلك كثير ، فهل أخذت اللغات السامية من الاندو جرمانية أم أخذت هذه من تلك ؟

أمّا إذا كانت العمدة على التشابه في الجرس والاقتراب في المعنى مما يحمل الدستور العلمي لمثل هذه البحوث ، فخلق به من دستور لا يصح أن ندعى إن بينه وبين العلم أوهى آصرة . وإذا كان يكون الأخذ بهذه الطريقة عبث لا يفيد منه العلماء أو المتعلمون وإنما يفيد منه تجار الحبر والورق وصنّافو الحروف وأصحاب المطابع ، لأن كل إضخم في المعجم من هذه الناحية صوف لا يستفيد به غير هؤلاء .

\*\*\*

هنالك في ما نقلنا عن الأستاذ أحمد أمين والأستاذ العقاد لفئة الى جوهر الموضوع . ذلك بأن تحديد الاصطلاح في نسبة الكلمات يحتاج فعلاً الى موازنة دقيقة ومراقبة لتطور

الكلمات وتجدد معانيها بطريق المجاز . ولكن اذا استطعنا أن نتقصى تاريخ تطور الحرف في اللغة العربية ، فهل نستطيع أن نتقصى تاريخ تطوره في الساميات كلها ، لنعرف أيها سبق باستعماله ؟ هذا من أشق الأشياء بل إنه متعذر . فقد حاشت العربية ومات أكثر أخواتها الساميات ، وتقدمت العربية في خلال خمسة عشر قرناً وأصبحت أخواتها بالجمود ، مما يجعل الطمع في مقارنة من هذا القبيل مستحيلة استحالة مادية .

ولكن هذه اللفتة إنما ترشدنا الى حقيقة واقعة هي أن مجمع اللغة يحاول بوضع هذا المعجم الفرار من وضع معجم لغوي تاريخي على النمط الذي انتعاه الانجليز في وضع معجم اكسفورد والنمط الذي يجري عليه الفرنسيون الآن في وضع معجم لغوي تاريخي لانهم . ولكن الواقع أنه لو وضع المجمع ألف قاموس وقاموس ، فلا فرار له من مواجهة الصعوبة التي يهرب منها ، صعوبة العمل على وضع معجم لغوي تاريخي يجمع شتات اللغة ويصبح ديواناً لأدائها .

لقد ماتت الطريقة التي يود المجمع أن يجري عليها ، وعلى أساسها وضع هذا النموذج . أمانتها الطريقة التاريخية وأماتها اللغويون والمعجميون في جميع أنحاء كرة الأرض . ولكننا نريد أن نحييها . نريد أن نحيا طريقة تعتمد على جمع ما في المعاجم القديمة بتعريفاتها القديمة ، وأن نضع لها ترتيباً حديثاً ولكنه خطأ ، لنقول أننا صنفنا معجماً كبيراً ، أشرف عليه فلان وفلان ممن العلماء ، وساعد فيه علان وعلان من اللغويين . مهما يكن من أمر ذلك فالمجمع بمرسومه الأصلي الذي قضى بتكوينه ، مكلف بوضع معجم لغوي تاريخي . ورحم الله من أشار بوضع هذا النص في المرسوم فقد عرف داء اللغة العربية ووصف لها الدواء .

ما هي الفائدة التي تعود على اللغة اذا نحن جمعنا مواد المعاجم القديمة بتعريفاتها ، وأفسدناها أو زدناها فساداً بوضع جديد لا تفره أية طريقة علمية ، وهجرنا ما تتضمن كتب الادب والتاريخ والفقه والعلم والفنون التي كتبت باللغة العربية في فترة لا تقل تجاوزاً عن عشرة قرون من الزمان ؟ أن نكون قد وضعنا قاموساً أم نكون قد عبدنا فأخذنا القديم وخلعنا عنه رداءً أصفر لنلبسه رداءً أحمر ؟

نظرة واحدة ، بل نظرة طابرة في هذا النموذج الذي بين يدينا ، تدل قاطع الدلالة على ان الجمع هكذا يفعل . فقد ذكر مادة « أبر » ثلاثة معانٍ أصلية ، وذكر لمادة « أجر » أربعة ؟ وهذا غير ما سيأتي من المعاني . فهل هذه المعاني جميعها حقيقية ، أم ان منها ما هو مجاز ؟ الحق ان النموذج لا يعرفنا شيئاً من ذلك . فاذا اعتبرت معانٍ حقيقية ، كان هذا منتهى العبث ، لأن اللفظ لا يولد وله أكثر من معنى حقيقي واحد . تلك سنة الخلق في حروف كل لغة من لغات العالم . واذا اعتبرت مجازات فماذا كان المعنى الحقيقي التي عنه تفرعت ؟

قد يتفق أن نعجز عن معرفة المعنى الحقيقي لحرف من الحروف . فقد يتفق أن يكون هذا المعنى قد مات ، وحلَّ محله مجاز . ولكن لا بدَّ من أن نعتبر لكل حرف معنى هو المعنى الحقيقي ، ومنه تفرّع المجازات . وهذا لا يمكن استنباطه إلا بالطريقة التاريخية التي أشار اليها الأستاذان احمد أمين والعقاد . إن اشارتيهما لتقولان بأفصح اصان : « أيها الجمعيون عليكم بالطريقة التاريخية لتتقصوا أصل اللغة » .

أضف الى ذلك بعض تعريفات تورط فيها واضع هذا النموذج إذ عرف بعض المعاني بألفاظ غريبة بل بنفس الألفاظ التي وردت في المعاجم القديمة ، فكان ذلك أعجب ما في هذا النموذج من أطلجيب .

جاء في الصفحة الأولى العبارة الآتية :

« وذلك انها لا تؤثر إلا بعد ظهور ثمرها وانشقاق طلوعها وكوافرها من غضيضها » . اه  
وكان على واضع هذا النموذج ان يعمل الى أحد الأعضاء من رجال العلم الصرف ويقول له أعرف الطلع والكوافر والغضيض ؟ ليعلم ان كان قد أحسن بنقل هذه العبارة من قاموس قديم لتكون تعريفاً في قاموس من أبناء القرن العشرين ؟ هل لي الحق مثلاً في أن أعرف الفرخ فأقول إنه :

« نف الكسيكة بعد أن يعارح الحمل وينبت الزميك » : إلا ويكون مني في هذا كذل  
من قال « أشكوك كوك كي تنكف عن » : والله لست أعلم عن أي شيء يكف كوك ، فقد غلب عني بقية العبارة .

ثم ارجع الى ص ٢ ، تجد ما يأتي :

المؤبر : رب الزرع : اه . فلماذا نقول رب ولا نقول صاحب ؟ لم الاغراب عن أهل هذا العصر ؟ ثم ان هذا جاء في معنى الاصلاح والتقوية : وليس في رب الزرع اصلاح ولا تقوية ، ثم جاء بعد ذلك : « المؤبر ما يلقح به النخل : كالمأبر » . وليس في هذا اصلاح ولا تقوية . وإنما فيه معنى « النخس » وهو المعنى الثاني من المعاني التي جزئت اليها المادة . وإنما الذي يأتي بمعنى الاصلاح والتقوية هو « التأبير » لا « المؤبر » ، بدليل أن واضع النموذج ذكر المؤبر مرة ثانية في معنى « النخس » (ص ٣) فقال : شوكة العقرب وموضع الابرة ومارق من الرمل . على أن مارق من الرمل فيه معنى التقوية والاصلاح ، فن الأرض التي يرق وملها تكون أصلح للزراعة ، وانها تجهد السائر فيها فية وي ذلك : على الامعان في الجهد ، وعضلاته على مقاومة صعوبة المشي .

ثم جاء بعد ذلك في المعنى الثاني أي معنى « نخس شيء بشيء » ما يأتي : ابرة الفرس ما استمدق من عرقوبه ، و ابرة القرن والاسان والابرة المتعادلة والابرة المغناطيسية والابرة الموقوفة وانحراف الابرة : فهل في ابرة الفرس و ابرة القرن والاسان وغير ذلك ما يؤدي معنى النخس ؟ . فهل تحزك يا سيدي ابرة لسانك لتقول ما قلت ؟

### الملاحظة الرابعة

« لا ريب في أن الجهود الذي بذل في وضع هذا النموذج بجهود كريم ، وإنا نشكر للدةكتوراته حسين بك ولعاونه ما بذلوا من عناء ، وما ندهوا من بحث ، ونرجو أن نرى معجماً على هذا الوضع ونحن أحياء <sup>(١)</sup> »

وعلى أثر هذا الاطراء وافق مؤتمر الجمع على « السير في العمل في المعجم على أساس النموذج المروض مع رعاية ما أبدي في المناقشة من ملاحظات » اه . وكان من الأوضح والأفوم أن يقال « مع مراعاة » لا « مع رعاية » والله أعلم .

وبهذا نقض الجمع عن كاهله عبء الطريقة التاريخية في وضع معجمه ، ولكل أجل كتاب .

اسماعيل مظهر .

# نظرات في النفس والحياة

- ٥ -

نظرات أناتول فرانس

أناتول فرانس هو الأهم الذي اشتهر به كاتب من أ كابر كتّاب القرن العشرين وهو فرنسي كان أبوه يبيع الكتب فنشأ مولعاً بالاطلاع ولكنه كان يخالط الناس ويتقمص أخبارهم وقد جمع في كتبه بين السخر والحنان والتسامح والرأفة بالضعفاء والفقراء ، ولكن عقله لم يكن من العقول التي تتشعبتُ بعداً من مبادئ الفكر لا يتعمدها ولا ينظر الى غيره ، بل كان ينظر إلى جوانب كل أمر حتى أنه قد ينطبق بعض أشخاص قصصه بآراء مختلفة إذا اختلفت حالات نفوسهم ، ثم يكون أول من يلفت الى هذا الاختلاف وقد برع في القصص الطويلة كما برع في القصص القصيرة .

ومن قصصه الشهيرة قصة ( تاييس ) وهي كما قال أستاذ كبير تشبه قصة ( هابيشيا ) لـ ( لافونتين ) الإنجليزي شارلز كنجولي ولكن الشبه جاء من ناحية تقارب عصري القصة وعند التعميم يختلف أشخاص القصة ، وأناتول فرانس قلما يُجاري في تذوقه لقنه . ومن كتبه قصة ( كتاب صديقي ) وفيها انتدّى من نفحات الطفولة والصبا وجمع الى ذلك دقة الملاحظة ونضج الذهن وله قصة النورة الفرنسية الكبرى واسمها ( الآلهة ظمأى ) وليس فيها عنف فلوبر في قصة سلامبو عن قرطاجة . ولكن تحت هدوء فنه يحس القارئ رجل النورة بفور وكان همه أن يفسر روحها . ومن كتبه الشهيرة ( حديقة أبيقور ) وهو نظرات في النفس والحياة ، وكتاب ( الحياة الأدبية ) وهو مقالات في النقد والأدب ، و ( طموح جان سرفان ) و ( قصة منزل ) و ( سلفستر بونار ) و ( آراء الأب كوانيار ) و ( الحجر الأبيض ) و ( نورة الملائكة ) وفي الكتاب الأخير يعيل الى الروح الافريقية القديمة . ومن كتبه اللؤلؤة ( حياة جان دارك ) و ( جوكاستا ) وله قصص أخرى عديدة بعضها يغلب عليه

السفر وبعضها يغلب عليه النقاش الفكري أو وصف تاريخ فرنسا وحياتها في عهده .  
ويتردد أشخاص بعضها في أكثر من كتاب . وبالرغم من عداوة رجال الكنيسة له فقد أنعمهم  
في وصف بعض أشخاص الكنيسة في كتبه . وقد اعتنق المذهب الاشتراكي في أواخر  
أيامه . ويمكن أن يقال بالاختصار انه بالرغم من صغره كثير التسامح كثير الحنان . ومن  
نظراته ما يأتي : —

(١) كنت وأنا طفل صغير أقرأ كتب الزهاد المترهبين من ذوي التقشف فأحدث ذلك  
عندي رغبة في أن أكون راهباً زاهداً مُتَقَشِّفاً وامتنعتُ عن الطعام وحاكيت حياتهم  
فقال أبي يصغي « انه مجنون » فعزيتُ نفسي وقلت إن أبي في الحياة الأخرى سوف لابنال  
ما سأنال من جوار على الزهد فلا يقاسمني مجده ولا يشاركني فيه فأختصَّ به دونه فلم يؤلني  
تنقصه لي واتهامه إيتاي بالجنون وانشرح صدري وسُرَّت نفسي وهذا إحساس يفترك  
فيه الصغار والكبار فإنَّ الرجال قد يودون صديقاً ويرجون له كل خير فإذا خالفهم في أمر  
سُرُّوا بحرمانه المأمول من خيره المنظور وعزُّوا أنفسهم بالاختصاص به دونه، وإن كانوا  
صادقين في مودته... وكذلك الحال بين الأحباء... وقد يزداد هذا السرور بحرمان المخالف  
حتى يصير تشفقياً وانتقاماً كريهين .

(٢) كان الدرس في حصّة الأنسة لافورت الملعنة فوضى من الاضطراب وكان عندها  
شيء من الذهول وقلة المبالاة. فإذا لَحَجَّ الصخب في تنبيهها هجمت على أي تلميذ وضربته ثم  
تعود الى تبلُّدها وذهولها... وهكذا الدنيا قد تعاقب من ليس أحق بالعقاب ، والمائل من  
حاول أن يطامن نفسه على تَلَقِّي ضرباتها كما كان يصنع تلاميذ الملعنة لافورت  
(٣) أمُّ ما في التضحية هي التضحية ذاتها . أمّا أنَّها في أمرٍ غير حقبي وإنها  
لا تعود بفائدة ولا مائدة فهذا لا يقلل من قيمتها ما دام صاحبها الذي يؤدِّي ما تفرسه  
عليه التضحية يجد إليها إطمئناناً ويحس فيها راحة ويراهها أمراً واجباً وإنها مائدة من غير  
هك بالخير ، وهذا هو الذي يسوغها .

(٤) كنت إذا غابَظْتُ تلميذاً صغيراً منِّي يُهَوِّنُ عليّ ذنبي إليه شعوري بعظم  
ذنبي... وهكذا الكبار أيضاً يهَوِّنُ عليهم ذنوبهم إحساسهم بالذنب ويشعرون كأنما قد

كَمَفَرُوا عَنْ ذُنُوبِهِمْ بِهِ حَتَّى صَارَ كَأَن لَّمْ يَكُنْ - وهذا قد يدعوهم الى الاطمئنان والى معاودة تلك الذنوب .

(٥) كنت قد اعترفت وأنا صغير أن أكتب تاريخ فرنسا في خمسين مجلداً ولكن منعي أني لم أستطع معرفة تاريخ أول ملك . ومن ذلك الحين أهدت للصعوبات في الحياة فضلاً وأشكر صديقهما، فكَمْ أَتَقَدَّتْ مِنْ وَرْطَةٍ وَكَمْ أَسْعَفَتْ بِخَبِيئَةٍ فِي طَبْعِهَا نِعْمَةً . أمّا صديقي فونتانييه فإنه يَحْرِقُ بَيْنَ أَرْجُلِ الصَّعُوبَاتِ ( إن كانت لها أرجل ) ... كما يحرق أطفال الشوارع بين السيارات السريعة .

(٦) عند ما طلب مني القس في الكنيسة أن أعترف ( وهذا أمرٌ يؤديه الكاثوليك ) أدركتني الحيرة إذ كنت صغيراً لا أُمَيِّزُ صفات أعمالي ولا أعرف أيها أعد ذنباً، فحاولت أن أتذكر ذنباً جنيته كي أعترف به للقس فلم أستطع ، فاعتراني الخجل والأسف إذ لم أجد ذنباً . ثم تذكرت إتلافي قد بَعَثَ صديقي فونتانييه فارتاحت نفسي وتعاظمت لديّ وفات الآن أستطيع أن أعترف بذنبي من غير خجل أو شعور بالنقص ... وهذا قد يفسر لنا غفر الكبار بذنوبهم في بعض الأحيان ومباهاتهم الناس بها .

(٧) مما علمني حب الصغار المحافظة على التقاليد والعرف المألوف بالرغم من طيشهم ونورهم عليه في بعض الأحيان . إنَّ عمي كان قد صنع لي حقيبة كتب جديدة من شيء لم يكن حقيبة كتب ولا كانت حقيبتي كحقيبة التلاميذ فجعلوا يسخرون ويضحكون ويبتكرون الفكاهات إزاءها ، ولكنهم لم يفكروا في السخر من حقيبة كتب صديقي فونتانييه وكانت قديمة مَرَقَّة مُرَعَبَلَةٌ ولكنها كانت على شكل حقائب الكتب فكان لاشك فيها . وهذا يذكرني قول وردزورث الشاعر الانجليزي ( إنَّ الطفل أبو الرجل ) فهذه الغرائز والطباع موجودة أيضاً في الكبار . وهم يسخرون من كل جديد لأنه يخالف المألوف .

(٨) كنت وأنا غلام صغير أذهب الى حلاق كي يقص شعري وكان يحكي لي اثناء الحلاقة ( كما هي عادة الحلاقين ) كيف انه كان في سفينة في عرض البحر تحطمت واضطر ركابها أن يأكلوا إنساناً منهم . وكان يهش ويبتسم وهو يحكي لي كيف أكلوا اللحم البشري وكما كانت مشاعته هشة المتفائلة بالحياة المؤمّنين بالإنسان ولا يرون إلا جانب الأمل

في حياته ... ولا غرابة في اطمئنان ذلك الحلاق . فإنَّ الناس كثيراً ما يأكلون اللحم البشرية على سبيل المجاز والاستمارة كما يصنعون في استغلال الضعفاء المحرومين والنساء والافتتال على النظريات وكما يصنعون في الغيبة والنميمة في حياتهم اليومية وفي إهمال المُشَرِّدين من الأطفال وغيرهم .

(٩) كانت حياتي في الطفولة حياة صغيرة ولكنها كانت ( حياة ) أي إنها كانت عندي قطب الدنيا ومركز الكون ومحور العالم وكل حي حق ولو كان كلباً صغيراً يحبس كأنما هو مركز الكون ومحور العالم .

(١٠) كنت في صغري مدللاً مُنَعَّمًا على قدر ما يستطيع أهلي من التدايل والتنعيم وكنت أجد لذة في حياتي المنزلية كما يحك العصفور الصغير جابه برقع عشه النائم لذة وسروراً واطمئناناً . ومع ذلك فقد كنت أحسد غلاماً صغيراً مُشَرِّداً وكنت أراه من نافذة منزلي وكان أبوي يمنعانني من مخالطة أبناء الشوارع . وكانت أم ذلك الغلام تتركه حراً طليقاً قدراً يمزق الثياب وتذهب كي تكسب قوتها بأن تغسل ثياب الناس . فلم تكن تقبده تكاليف الحياة وكان يخيل لي أنه كان ينظر إلي كما ينظر العصفور الطليق إلى العصفور الحبس ... وهذه الفكرة تذكرني قصة من تصنيف ستامي أومونييه القصصي الانجليزي الذي تتبع فيها دائرة الحسد فوجد كل إنسان يحسد من هو أحسن منه حالاً حتى إذا بلغ أكبر محمود وجده وقد صمَّ تكاليف حياته وقبودها ومومها يحسد أحقر حاسد ولو كان صعلوكاً متشرداً حسبه حراً طليقاً غير مقيد بتكاليف الحياة .

(١١) عند ما نبحت عن الحق كثيراً ما نجد أمراً ما لوفاً وإن كان غريباً قبل معرفته ولكن تلك الغرابة تُجَبِّهُ إلينا ولو لم نشعر بالغرابة للملتناه وضجرنا به . والمراد حقائق النفس والحياة التي نشاهدها ونغفل عنها ، كأنما قد غُطِّيت عنا ولُبِّست علينا .

(١٢) كانت عندنا خادم ريفية صمحنها لمرّة ان تذهب إلى باريس وبعد عودتها مألئها ماذا رأيت في باريس ؟ وماذا أعجبك منها ؟ قالت العجل رأيت فجلاً كبيراً . انها رأيت كل ما تستطاع رؤيته من حضارة باريس ومبانيها وما في نوافذها وشوارعها ومتنزهاتها ولكن لم يعجبها إلا أنها رأيت فجلاً كبيراً .... وهكذا بعض الناس في الحياة يرون ما تعرضه عليهم



ثم لا يعجبهم منها إلا ما هو غريبه بالفعل في نظر الرفية .

(١٣) اننا نرى الأطفال لا يستطيعون أسهل الأمور والاصحاح إلا بعد الدربة والمزاولة وتلقى حقيقة أولية وهي أن هذا يصدق أيضاً في الكبار كما يصدق في الصغار . فان كل حمل بهما هان يصعب حتى يتعوده من لم يتعوده من قبل .

(١٤) اذا كان لبعض الامهات ابن ذكي وسألتها جارة عن منه أصغرت عمره وقللت منه كي تظهر على جارتها وتنتصر وتعلو اذا أنها تعرف انه من المحال ان يكون لجارتها ابن صغير ذكي في مثل السن التي ادعتها لابنها وهي اذ تستثير إعجاب جارتها تستثير حسدها ..... ومن الأمور المتناقضة في النفس ان الذي يباهي الناس ويستفخر حسدهم بالمباهاة لا يمنعه ذلك من محاولة اخفاء كل ما يمكن أن يحسد عليه في حالات نفسية أخرى اذا أزججته طاقبة الحسد. وبعض الامهات وغير الامهات يخشين صولة القدر المفاجئة وضربته المباغتة اذا كن في سعادة وغبطة وحبور وهن في ذلك مثل الامهات الاثنيات قديماً الا واتي كن يضعن اطفالهن عند قديمي فقال نبيس (ربة الحسد) ويتضرعن اليها أن تغفر لهن سعادهن بأطفالهن خشية أن تصيبهم ربة القمة والحسد بمكره . وبالرغم من أن خيال الوثنيين قد خيل لهم ربة للحسد فان للناس انشائاً عجيباً باستنارة إعجاب الناس واستفزاز حسدهم وهم يخشون هذا الحسد ويعلمون إنه كثيراً ما يحقق بهم السوء منه من غير استثناء واستفزاز لميل كثير من الناس إلى إلحاق الأذى بمن يحسدون . والحسد وإن عم، من الغرائز الموروثة بسبب هذا النظام الاجتماعي .

(١٥) سأل أندريه الصغير أمه وقد مات أبوه هل مات أبي وذهب عنا ولا يعود ؟ قالت نعم . فصمت قليلاً . ثم قال . هذا شيء حسن لاني أحبك كأنني أحب اثنين وإذا عاد أبي اليانا أجد في قلبي شيئاً من الحب أخصه به وهذا ما أخشاه وإحساس أندريه الصغير هو الاحساس الذي بنى عليه فروود نظريته في حب الاين للأم وغالى فيه حتى جعله مثل حب (أوديب) لأمه وهو لا يعرف إنها أمه وهذا قياس محال وقصة الملك أوديب قصة معروفة من قصص قدماء الاغريق .

(١٦) المراهقة وأحلامها قد تسبب للدهاق حزنًا ولكنه حزن مملوء بالسعادة فتلقى العاسة والسعادة في وقت واحد . ولا غرابة فان من الناس من يأس الى الحارز ولو سلب

منه أحسَّ فراغاً في نفسه وحياته .

(١٧) من الخطأ المضحك أن يحزن أنسان أو يَتَمَلَّكهُ الغيظ إذا ابتكر نظرية فوجد ما يثلها ويهدمها، إذ ان النظريات ما خُلِّقَتْ إِلَّا كي تكون هدفاً للارماة لكي تصاب حتى تزول كما تزول الفقايع ، واحساس المرء بالغيظ إذا عورضت نظريته حماقة وضيق ذهن وأثرة ونقص .

(١٨) وجد الباحثون بعد البحث والتقصي ان القصص الخرافية والاساطير الغريبة موجودة أمنالها عند شعوب لم تتصل في ماضي تاريخها - وهذا قد يجعل المفكر يرى ان اعتقاد بعض المؤرخين ان الحضارة نشأت في بقعة من الارض وانتقلت منها إلى باقي البقاع فيه غلو إذ ان عقل الانسان أساسه مشترك ومهيمات الحضارة كثيرة متنوعة والمروف انها تنمو بتبادل الآراء على طرق المواصلة فليس أشد للذهن منها . وأما قول بعض المؤرخين ان جمهور الناس لو ترك وميله، حدثت له رجمة ونكسة وانه أميل الى التخريب . وان سطح الأرض مكسو بالحضارات التي هُدمَتْ وخُرِبَتْ فلا ينبغي ما ذكر . والحقيقة ان الخلاف خلاف لفظي محصور في تفسير معنى نهاية الحضارة فعند أية مرحلة يُعْتَرَفُ بالإنشأة ؟ نعم قد تسبق بعض الأمم غيرها في نمو الحضارة ، ولكن النمو غير النفاة .

(١٩) كان معلمنا المسيو شوتار جباناً يخشى الكلاب والصوص والاعد والعربات في الطرق ، وكان يخشى كل ما قد يؤذي الانسان . ولكنه كان إذا وصف الحروب والوقائع في دروس التاريخ وما قاماه الأبطال فيها من آلام وجروح ومشاق وما لاقوه من العذاب والموت، برع كل البراعة . وكان يحبل له أنه يقاسيها معهم ويقامهم بمجدهم وكان يجد لذة في إهلاك الجيوش الكثيرة بخيل قديمة ، أو مبتكرة بتخيلها ، وهكذا شأن كل جبان يحاول أن يعرض نفسه عما فقد من الشجاعة إما بادعاء الشجاعة وإما بوصف أعمال الشجعان والأبطال ويحمد في ذلك ما يعينه لاحترام نفسه . ولذلك في وصف إهلاك الجيوش الكبيرة بوسائل مبتكرة ، من القسوة التي كثيراً ما تلازم الجبان . وأكثر الناس هم شيء من الجبن حتى ولو كانوا شجعاناً . وقد قال أحد الأبطال ( من زعم انه لم يخف قط ولم يحب قط فهو أكبر كاذب ) وإنما العبرة بما تقول اليه النفس بعد التغلب على الخوف عند مفاجأة الخطر

وبعد أول وهلة . ومن المعروف أيضاً في الاختلاف بين الطبع والقول إن بعض الكتاب المزمعين في حياتهم يولعون بتصنيف كتب الجون كأن أنفسهم تريد أن تأخذ حظها مما فاتها من في الأعمال بتنميق الأقوال فيه والافتنان في أساليبه بالكتابة وقد تكون مفهم العجز عنه لا التزم ، فيلجؤون الى ما يلجأ اليه هؤلاء من زخرف القول .

(٢٠) شغف بعض الناس بالمعرفة ناشئ من البغض أو الحسد ، ولكن شغفي بالمعرفة كان شغف من يود أن يألف الأشياء والحيوان والانسان لا شغف من يتخذ المعرفة أداة للأذى . وكل ما رأيته أو سمعته كان يهيء لي وسائل هذا الشغف ويعينني على الاحساس بعناصر الحياة وأسسها .

(٢١) كان دوسيل رجلاً فاضلاً محبباً للحرية ولكن الثوار المتطرفين حبسوه في أثناء الثورة الفرنسية الكبرى فصرخ متمعضاً قائلاً : أهذا جزاء خمسين سنة قضيتها في مناصرة النضلة والحرية ؟ وهذا يذكرنا غيظ بارناف عند ما ساقوه الى المقصلة ( الجيولوتين ) كي يعدم وكان من الذين ناصروا الثورة من أول نشأتها ونشأتها فدى الأرض بقدمه من الغيظ وقال : أهذا جزاء مناصرتي للحرية وعملي على تحقيقها . ويذكرنا أيضاً غيظ كاميل ديولن وهو من أوائل المنتصرين للحرية عند ساقوه الى الاعداء فزق ثيابه من الغيظ وقال للجمهور : ألسنت أول من دعاكم الى الثورة على الاستبداد ؟ وكان الجمهور يهزأ به ويضحك ويسخر منه . وكمن انسان في هذه الدنيا يفعل كما فعل هؤلاء ويحس كما أحسوا إذا غمط حقه ووكس حظه ووجد جزاء الخير شراً وجزاء العمل تثبيطاً لتضارب الآراء وتنازع المصالح . والعاقلة من لا يجعل جزاءه باظهاره الغيظ سخر الجماهير اللاهية عنه في أثناء اقتتالها على الحياة وتنازعها المنافع كما فعل هؤلاء .

(٢٢) قد علمتني المدرسة أن التلميذ الصغير كثيراً ما يعجب بما يقرأ أو بما يلقى اليه من غير فهم أو إدراك للمعنى . وانما هو يلتذ به بحساسه وخياله . أو بالابحاه أو قدوة من يقول انه فام أو يدعي الفهم أو يخشى أن يُتهم في عقله .

(٢٣) ماتت جدتي وأنا صغير وبالرغم من خيبة أمني عند ما سمعت العسافير تغني كل شيء في الدنيا كان كأن لم تمت جدتي . فاني كنت أحس احساساً غامضاً أن جمال

الأشجار وبهاء السماء وأصوات الأحياء أمور كلها متصلة بما يسمونه الموت وبه يتجدد.  
(٢٤) لا بد أن نتخلى عن كثير من أمور ماضي العالم ولكن ينبغي أن لا نتخلى عنها كلها وإن نكون فارغي القلوب والعقول منها. لأننا لا نستطيع بناء المستقبل إلا بمادة الماضي  
(٢٥) من أهم أسباب سعادتي إنني كنت دائماً إذا رغبت في شيء وأعوزني الحصول عليه واستعصى عليّ، لا أكيد نفسي بالحزن والغبط لقواته بل أستعير عن ذلك بأن تخيل أني حصلت عليه وحزته وتمتعت به. وقد أكتسبت هذه العادة تخيل التمتع به شدة في الوضوح وأثراً بالغاً في الاحساس ومسرة كسرتي بالحقيقة. فكان الخيال يغني عن الحقيقة ونعمة الخيال هذه لاشك فيها إلا أنها قد توهن قدرة المرء على العمل ولا سيما إذا كان بطبعه يميل الى الكسل ويمجنح الى الراحة فتسبب خيبة الكسالى.

(٢٦) كنت في صغري عظيم الثقة بالحياة شديد الإيمان بها بالرغم مما كانت تلحقه بغيري من الشقاء والتعاسة والمصائب. ولكل انسان نصيب من هذه الثقة بالحياة حتى بالرغم مما تلحقه بذاته من الآلام والشقاء وإن كان يرى أنه أحق من غيره بالسعادة والعصمة من الشقاء - والآن صرت أفرق من كلمة الغد وأختنى المستقبل من الأمور والحوادث، وقد فقدت ثقتي بها التي كنت أعتر بها في الشباب. ولكنني لا أزال أحب الحياة كما يُحِبُّ العاقن عشيقة التي فقد ثقته بها.

(٢٧) كانت أمي تعطيني وتمنني من مخالطة الصغار المُشرِّدين في الشوارع وتقول يا بُني لا تحسب أن ذلك من جنابة جنوها وإنما جنت عليهم الحياة فصرت أرحمهم بدل أن أخدم على نعمة الحرية التي في التشرُّد. حقاً لقد علمتني أمي من صغري بقولها هذا أن لا أغتر وإن لا أخدع بقول الأثرياء السعداء إن الاعتقياء إنما كانوا أشقياء بسبب ما جنوه على أنفسهم ... وهم إنما يقولون ذلك كي يسوّغوا إغفالهم إصلاح مساوئ الحياة.

(٢٨) حبَّبت إليّ الخيال وقراءة الكتب حياة الغريب والتعشف وامتنعت عن الغلام فسألني أمي عن سبب ذلك وقد راعها أن ترى طفلها الصغير تبدر منه بادرة الرغبة في الزهد فقلت إذ سألتني يا أمّاه إنني أفعل ذلك كي أكون شهيراً ذائع الصيت وأطبع بطاقة أكتب فيها اسمي وأكتب تحته (الزاهد العظيم في الدنيا) فخرخت أمي: لقد فقد ابني رشده قبل

عن الرشد . فقال أبي لا تزعمني نفسك ان الدنيا ستعلمه الزهد في الشهرة قبل ان يزهد في الحياة ... وقد فعلت . لقد علمتني الدنيا الزهد في الشهرة قبل الزهد في الحياة وما من مرة ماودني فيها الرغبة في الترهيب والزهد إلاَّ جَدَّدَتْ الحياة في نفسي الرغبة في مقاومة الناس أعمالهم وان أجد السعادة في ذلك .

(٢٩) لو عاشت أبي لسرَّها ان تجد أكبر فضيلة لي في التسمُّع مع الناس ولو وجدت ان أكبر نقص لي في الشعور بهذا التسمُّع لأن التسمُّع لا تتم فضيلته إلاَّ اذا كان أمراً طبعياً يصدر عن المرء من غير شعور بأنه يتسمَّع ومن غير اعتداد به

(٣٠) ان للاطفال منطقاً عجيباً ولكنه مستقيم — لقد قالت جيسي الصغيرة لخالها : انك لا بدَّ أن تحبني يا خال ؟ قال متفهماً : ولماذا أحبك ؟ قالت لأنني صغيرة . كأنها تقول إن الصغير الضعيف أحقُّ بالرعاية وإن الضعيف أحقُّ بأن ينال ما يحتاج اليه ووجه الخلاف في هذا المنطق ان الانسان لا ينال دائماً في هذه الدنيا ما يحتاج اليه . ولكنه خطأ طبعي من جيسي الصغيرة لأنها لا تعرف الدنيا ونظامها .

لم يتسع هذا المقال الا لنظرات قليلة من كتاب واحد من كتب اناطول فرانس العديدة وهو القصة المسماة (كتاب صديقي) . (للبعث بقية) ع . ش .

## العهد

بيناً بمهد الحب ما كنت ناسياً  
تلمست عن حبي عزاء وسلوة  
وحاولت أن أنسى ليرتاح خاطري  
نكلفت حبس مدامي فتسردت  
وحانت نفسي في هواك ولما  
تساودني ذكراك في كل لحظة  
أحبك يا دنياي جبا تملك  
أسائل عنك النجم : كيف رأيتها  
وقد اشتهمى الاغفاء علي في الكرى  
طويت شلبي في غرامك والصبأ  
أحبك ! لو تدرين ما في جوانحي

عفني محمود عفيفي

كلية العلوم

# الذرة

## معقل الروح

كل إنسان يهوى أن يعرف مصير روحه بعد موته وتهدم هيكلها المادي (الجسم) ولذا فإن بحوث الروح والبقاء بعد الفناء وكيفيةهما، تتهوى لب الإنسان وتستمر انتباهه فلا يترك ملاحظة عنها إلا ويقرأها عليها تروي غلته . ولقد طرق ولا يزال يطرق موضوعها الكثير من العلماء والفلاسفة كما قرأنا ووعينا - على قدر فهمنا - في المقتطف الأغر وعن طرق - بحث الروح - أو البقاء بعد الموت - بأسلوب فلسفي مبني على العلم الطبيعي العلامة المرحوم الدكتور يعقوب صرّوف . وها أنا أوجز رأيه كما قرأته من مدّة بعيدة .

كان الدكتور (يعقوب) مسافراً في القطار في باريس . وكانت تأنيبه وهو يمرّ بالمقتطف كثيراً من المشاهدات الروحانية التي يدعي أصحابها بأنهم شاهدوا أشخاصاً أمواتاً في أوقات مختلفة وما فتئوا أن قابوا عن بصرهم . وعلاوة على هذا معرفة الدكتور بما يطالع عن علم الأرواح . كل هذه المنبهات أثارت خياله الوثاب المبني على العلم الصحيح فقال في نفسه . أمن المعقول أن يبني مثال تمثالا ويهدمه بنفسه ؟ لا شك أن لا يقدم على مثل هذا إلا الأطفال لأنهم طاملاً يخربون ما بنوا لمجرد رغبة ملحة أو طارئة . وينزه عن هذا الباري الأعظم أو المثال الأعلى . وإذن فلا بدّ وأن يتحوّل الإنسان من حال إلى حال ، كما يجوز أن يحوّل المثال تمثاله من شكل إلى آخر وعلى هذا القياس من الاستقراء قرر الدكتور بأن الجسم المادي ينحل ويبقى الجسم الروحي ملبساً بثوب ألكتروني لا تراه الأبصار طبعاً ، ولكن أصحاب الحسّ المرهف أو من يحدث فيهم في وقت من الأوقات حسّ مرهف ، قد يرون هذا الشخص الإلكتروني وعندما يرجع حسهم لطبيعته يغيب عنهم هذا الروح . وعلى هذه النتيجة قال الدكتور قصيدته التي يحضرنى منها هذان البيتان .

سبعون حولاً لقد مرّت فما وجدت نفسي مقرّاً لها في العالم الفاني  
فرضان إما بناء والفناء له لغو وإما بقايا شاء الباني

ومن طرق الموضوع ذاته العلامة (المر أوليفر لودج) مدير جامعة كبريدج ومفزع مستقبل لودج في اللاسلكي والمتوفي منذ بضع سنوات خلت . وكان الدافع للعلامة المذكور رغبته في اثبات وجود الأثير الذي أنكره (النشئين) كما أنكرته تجربة (مورلي-ميكلسن).

وأما نظريته فتتلخص في أن كل جسم سواه أ كان حياً أم جامداً مركباً من ذراتٍ وبموجب تساوي أعدادها وأوزانها أو تساوي أعدادها واختلاف أوزانها الذرية لتتكون العناصر المختلفة وتتناظر . ولكن الشيء المؤكد علياً أن ذرات كل عنصر متساوية وهي مكونة من الإلكترونات ( ذات شحنة سالبة ) وبروتونات ( ذات شحنة موجبة ) فالبروتونات تؤلف نواة الذرة والإلكترونات تدور حولها . ولما كانت الإلكترونات وبروتونات كل ذرة من ذرات أي عنصر لا يمكن أن تتلامس لأنها تتنافر ( حسب قوانين الكهربية ) وإذن فكيف يحس الفرد بالحرارة والبرودة وذرات أعصابه غير متصلة بل متفككة ولو بنسبة ضئيلة جداً ؟ فن هذه النقطة عبر ( السير أوليفر لودج ) على جسر الاثير من العلم الى الفلسفة وقرر بأن لا بدَّ وأنَّ الجسم المملئ لهذا الفراغ هو الاثير وهو الذي فيه المادة الحية الحساسة ( الروح ) واعتقد بمناجاة الأرواح وبقاء الشخصية بعد الموت وألف كتاباً عن مناجاة ابنه ( ريموند ) الذي قتل في الحرب الكبرى . ولكنه لا يعتقد بالوسطاء والمناجين لأنه يعتبرهم دجالين مشعوذين .

ولقد قرأت في مقتطف نوفمبر ١٩٤٧ بحثاً طريفاً في كيمياء النظائر للأستاذ فؤاد جيمان وفيه يقول أن نوى الذرات ليست مؤلفة من بروتونات فقط بل من كهارب موجبة ( الإلكترونات ) ونوترونات وهي جسيمات خالية من كل شحنة كهربائية وإن اختلاف النظائر ما هو إلا اختلاف في عدد النوترونات في نواها . وإذن ألا يمكن أن نقول الآن بأن ذرات الأجسام متماثلة وليس بينها فراغ مطلقاً وإن قواعد تماسكها هي النوترونات لأنها خالية من كل شحنة كهربائية ، ولذا فيجوز اتصالها ببعضها ببعض حسب قانون الألفة الكيميائية . وإذا ما سلمنا بذلك ألا يصح أن تعتبر النوترونات هي الوسيط الموصل لأمواج الصوت والحرارة وللكهربية في الأجسام ، كما أنها معقل المادة الحسية في الأجسام الحية الحساسة وعلى منفتحها يرتكر العقل والشعور ، وإن تهدمها أو انطلقها أو تفككت فجاء يسبب الموت وفيضان المادة الحية منها . أو أنها تنفصل ككتلة عامة محتوية على الروح مكونة الجسم الروحي الذي يتحدث عنه الأستاذ « فهمي أبو الخير » هذه نظرة أرسلتها على ضوء العلم الحديث وإني لمعتقد تمام الاعتقاد أن سر الحياة في الذرة وفي قسم النوترونات منها . كما أني يحسن بي أن أبين للقارئ بأنني است من الاختصاصيين في الطبيعة ولكن عندي ميل لها وقرأ كما يقرأ الناس وقد أفهم مثلهم وأنَّ هذه النتيجة معروضة للإرشاد والتمحيص وقد عمّا قبل خذ الحكمة من أي إناء خرجت . وكذلك قال الهاعر

خذ عن البهم حكمة أو حصافة ضمنها حكاية أو خرافة

ميشيل شبلي السعد

البصرة

# الدين

## والايمان بالمجردات

يظن كثير من الناس أنَّ الايمان بوجود عالم مجرد عن المادَّة أصلٌ من أصول الدين ، بل يغالي بعضهم في الايمان بوجود هذا العالم ، ويجعله حدًّا فاصلاً بين الايمان والكفر ، ويرى أنَّ الايمان بوجود الله يتوقف على الايمان بوجود العالم المجرد عن المادَّة. فمن ينكر وجود هذا العالم يكون كافراً عنده ، ومن يرى أنَّ الإدراك حملٌ من أهمال المخ يكون كافراً أيضاً ، وهكذا من يعتقد نظير هذا في الملائكة ونحوهم من العوالم التي لا ندركها بحواسنا .

ولا شك في أنَّ هذا ظنٌّ خاطئٌ ، وقد وقع فيه بعض علماء عصرنا ، لأنه لم يدرس علم الكلام في الأديان درساً صحيحاً ، ولم يكلف نفسه عنا البحث في كتبه القديمة ، لأنه لم يألف أسلوب البحث فيها ، وقد يجد في التواء عباراتها ما يصرفه عنها ، فلا يجد إلا أنَّ يأخذ مسائل الدين من كتب الفلسفة القديمة والحديثة ، وهذه الفلسفة تقوم على الايمان بالمجردات ، فيظن أنَّ الدين مثل الفلسفة يقوم على الايمان بالمجردات أيضاً ، ويتوهم أنَّ من ينكر وجودها يلزمه أنَّ ينكر وجود الله أيضاً ، لأنه لا ينكرها إلاَّ لأنه لا يدركها بحسه ، والله تعالى لا يُدرك بالحس أيضاً ، فيلزمه إنكار وجوده مثلها

والحقيقة أنَّ علماء الكلام ينكرون الايمان بالمجردات ، بل يكفرون من يؤمن بها على الأساس الذي يقوم عليه في الفلسفة اليونانية ، لأنَّ الايمان بها في هذه الفلسفة يقوم على أساس أنَّ الأشياء تصدر عن الله تعالى بطريق العِلِّيَّة لا بطريق الاختيار ، وقد اتفقت الأديان السماوية على أنَّ الأشياء تصدر عن الله تعالى بطريق الاختيار لا بطريق العِلِّيَّة ، وعلى هذا لا يصح أنَّ ينظر الى الايمان بالمجردات كما ينظر إليها بعض علماء عصرنا ، بل يجب أنَّ ينظر إليها بعكس نظرهم ، إذا أخذنا برأي علماء الكلام فيها ، أو يعتمد في أمر



الايمان بها ، فلا يجعل حداً فاصلاً بين الايمان والكفر ، بل يبعد به عن العقيدة الدينية ، ويجعل مسألة علمية لا يتعلق بها إيمان ولا كفر ، ويكون شأنها في هذا كشأن سائر المسائل العلمية .

ولقد كان المسلمون قبل نقل الفلسفة الى اللغة العربية لا يعرفون شيئاً عن هذه المجرات ولا يهمهم أمر البحث فيها ، لأن القرآن الكريم فيما تناوله من أمر الروح قد سنّ لهم سناً قوياً ، فلم يجعل البحث في حقيقتها من أمر الدين ، بل جمعه من أمر العلم الذي يعتمد على العقل ، ويوصل الانسان الى معرفة حقائق الاشياء بقدر طاقته البشرية ، وهذا هو ما تفيض إليه الآية - ٨٨ - من سورة الاسراء ( ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً )

فلما نقلت الفلسفة الى اللغة العربية عرفوا منها هذه المجرات من العقول والنفوس وما إليها ، وقد جرت طريقة إثباتها في هذه الفلسفة خلافاً كبيراً بين المسلمين ، فآمن بها فلاسفة الإسلام من الكندي والفارابي وابن سينا وغيرهم ، وأنكروها أكثر علماء الكلام ولم يؤمن بها إلا القليل منهم ، ولكن من أثبتها من علماء الكلام لا يرى أنها تصدر عن الله بطريق العلية كما يرى الفلاسفة .

وهذه هي طريقة الفلاسفة في إثبات المجرات الاولى التي صدرت عن الله تعالى ، وهي العقول :

قالوا : إن الله تعالى واحد من جميع الجهات فلا يصدر عنه إلا واحد ، والواحد الذي يصدر عنه لا يجوز أن يكون جسماً ، لأن الجسم مركّب ، والتركيب ينافي الوحدة ، ولا يجوز أيضاً أن يكون هيولي أو صورة ، لانه يلزم وجود كل منهما عند وجود الأخرى ، فلو كان أول المخلوقات إحداها لزم أن تكون فاعلة للأخرى ، وإلا لزم وجود إحداها دون الأخرى ، وكون إحداها فاعلة للأخرى باطل . أما المادة فلأن شأنها القبول دون الفعل ، وأما الصورة فلأنها إنما تكون فاعلة بمشاركة المادة ، فيلزم تقدّم المادة على نفسها ، ولا يجوز أيضاً أن يكون عرضاً ، لأن العرض يفقر الى محل يقوم به ، ومحله إما أن يكون معلولاً لعلته فيلزم صدور الكثير عنها ، وإما أن يكون معلولاً لعارضه فيلزم تقدّم

الشيء على نفسه ، ولا يجوز أيضاً أن يكون نفساً ، لأنه يجب أن يستقل بإيجاد ما بعده والنفس لا تستقل بإيجاد ما بعدها ، لأن فعلها مشروط بالبدن ، فلا يمكن وجودها دونة ، وهو إما أن يكون معلولاً لعلتها ، فيلزم صدور الكثير عنها ، وإما أن يكون معلولاً لها ، فيلزم تقدم الشيء على نفسه . وبهذا كله لا يصح أن يكون أول المخلوقات جسماً ولا هيولي ولا صورة ولا عرضاً ولا نفساً ، بل يجب أن يكون جوهرًا مجرداً عن المادة في ذاته وفعله ، أي عقلاً .

وقد صدر عندهم بمقتضى هذا عقل واحد عن الله تعالى ، وهذا العقل يصدر عنه باعتبار وجوده عقل ثانٍ ، وباعتبار إمكانه جسم ، وهو جسم الفلك المحيط ، وباعتبار وجوبه بغيره وهو الله تعالى نفس ، وهي نفس هذا الفلك ، وهكذا يصدر عن العقل الثاني عقل ثالث ونفس وفلك ، إلى أن تنتهي العقول إلى عشرة ، والعقل العاشر هو الذي يدبر عالم العناصر ، وهو العالم الأرضي ، وما يحيط به من ماء وهواء ونار . وقد ذهبوا إلى أن هذه العقول هي التي تسمى ملائكة في آسان الشرع ، فالملائكة عندهم هي العقول المجردة والنفوس الفلكية ، كما أن الجن عندهم أرواح مجردة أيضاً .

\* \* \*

وعلماء الكلام لا يسامون لهؤلاء الفلاسفة تلك القاعدة — قاعدة أن الواحد من جميع الجهات لا يصدر عنه إلا واحد — لأن هذا مبني على أن الأشياء تصدر عن الله تعالى بطريق العلية ، وعلماء الكلام ينكرون هذا على الفلاسفة ، ويذهبون إلى أن الأشياء تصدر عن الله بطريق الاختيار ، فلا مانع من أن يصدر عنه الكثير بهذا الطريق ، وإذا بطلت تلك القاعدة بطل ما ترتب عليها من القول بالجواهر المجردة عن المادة ، أو لا يلزم على الأقل القول بوجودها ، ولهذا اختلف علماء الكلام في القول به ، فمنهم من ينكر وجودها ويرى أنها لو كانت موجودة لشاركت الله تعالى في جنس الوجود المجرد عن المادة ، فتحتاج حقيقته إلى فصل يميزها عنها ، وهذا يستلزم التركيب في حقيقته تعالى ، ومنهم من لا ينكر وجودها ، لأنها لا تشارك الله تعالى في جنس الوجود ، لأن وجودها ممكن لذاته واجب

بغيره ، ووجود الله تعالى واجب بذاته ، وعلى هذا لا يستلزم القول بها التركيب في ذات الله تعالى .

وقد ذهب علماء الكلام الى أن الملائكة أجسام لطيفة قادرة على أن تتشكل بأشكال مختلفة شأنهم الخير والطاعة وكال العلم والقدرة على الأعمال الشاقة ، والى أن مصكنهم السماوات ، وأنهم رسل الله الى الأنبياء ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وكذلك ذهبوا الى أن الجن أجسام لطيفة قادرة على أن تتشكل بأشكال مختلفة شأنهم الطاعة والمعصية كالبحر ، ومنهم فريق جبل على الشر والاغواء ، وهم الشياطين .

فكل من الملائكة والجن أجسام مادية لطيفة عند علماء الكلام ، وهي في هذا مثل صائر الأجسام المادية اللطيفة كالهواء والنار ، وليست جواهر مجردة عن المادة كما يرى الفلاسفة وكذلك النفس الانسانية عند علماء الكلام ، فهم لا يرون أنها جوهر مجرد عن المادة كما يرى الفلاسفة ، بل يرون أنها جسم لطيف حي لذاته صار في البدن سريان الماء في الورد والنار في الفحم لا يتبدل ولا يتحلل ، فإذا بقي في البدن بقيت فيه الحياة ، وبهذا تكون حياة البدن بالعرض لا بالذات ، وإذا انتقل عنه الى عالم الأرواح أدركه الموت ، ومن علماء الكلام من يرى أن النفس الانسانية هي الأجزاء الأصلية التي لا تقوم الحياة بأقل منها وتبقى من أول العمر الى آخره ، فلا يرى هؤلاء أن النفس جسم لطيف كما يرى الأولون بل يرونها الأجزاء الأصلية لهذا الجسم الكثيف .

\*\*\*

وقد استدلل علماء الكلام على أن النفس جسم لا جوهر مجرد عن المادة بما يأتي من الأدلة :  
(١) ان المدرك للسكريات والجزيئات هو النفس ، لانا نحكم بالكلية على الجزئي ، فنقول - زيد إنسان - والخاص بين الشئيين لا بد أن يتصورهما ، ومدرك الجزيئات هو الجسم لا غيره ، لانا نعلم بالضرورة أننا إذا لمسنا النار كان المدرك لحرارتها هو العضو اللامس ، ولأن غير الإنسان من الحيوانات المعجم يدرك الجزيئات ، مع الاتفاق على عدم إثبات النفوس المجردة لها ، وإذا كان مدرك الجزيئات هو الجسم ، وكانت النفس هي المدركة

للمجردات والاكليات بسبب حكمها بينها كانت جسماً لا جوهرًا مجرداً عن المادة .  
(٢) ان كل واحد منا يعلم قطعاً أن ما يغير إليه بأنا وهو معنى النفس يتصف بأوصاف  
الجسم من القيام والقعود والأكل والشرب ونحو ذلك من خواص الأجسام ، وما يتصف  
بخواص الأجسام يكون جسمًا .

(٣) أن نسبة الجوهر المجرد عن المادة إلى الابدان على السواء ، فيجوز أن ينتقل من  
بدن الى آخر ، فلا يصح أن يقطع بأن زيد الموجود الآن هو الذي كان موجوداً بالأمس ،  
مع أننا نقطع بأنه هو بعينه ، فتكون نفسه جسمه لا جوهرًا مجرداً خلافه  
(٤) ظواهر النصوص الواردة في القرآن والحديث ، لأنها تدل على أنها تبقى بعد خراب  
البدن ، وتتصف بما هو من خواص الأجسام ، كالدخول في الدار ونحو ذلك

وإذا كان هذا هو شأن الايمان بالمجردات في الدين ، لم يكن من الانصاف في شيء أن  
نجاوز شأنها فيه ، ولا أن نجعل الايمان بها أصلاً من أصوله ، لأنّ هذا يضر الدين ولا  
يفيده ، ويحمل كثيراً من الفلاسفة الذين لا يؤمنون بالمجردات على إنكاره ، ومن مصلحته  
أن يقبل هؤلاء الفلاسفة في حظيرة ، كما يقبل فيها الفلاسفة الذين يؤمنون بالمجردات .  
لتكون دائرته العلمية من السعة بحيث تفعل الفريقتين ، وحتى لا يتأثر بالخلاف المحتدم بينهما  
الآن ، ولا يكون في انتصار أحدهما على الآخر خطر عليه ، فنحن الآن لا ندري لمن يكون  
النصر منهما ، وليس من مصلحة الدين أن نجعل أمره مرهوناً بهذه النتيجة المجهولة ، لانا  
نعرضه بهذا للقلقة ، ونداخله في دائرة الشك الذي يلابس هذه المعركة العلمية .

فلنتقف في أمر الروح وما إليها من المجردات عند حدّها في القرآن الكريم ، لأنه هو  
الحمد الذي يجب أن يكون لها في الدين ، فلا يهمه أن تكون جوهرًا مجرداً أو غير مجرد ،  
وإنما يهمه أن تكون مكافئة في الدنيا ، وأن يكون لها معاد وحساب في الآخرة كائنة ما كانت  
حقيقتها ، لأن معرفة حقائق الأشياء ليست من وظيفة الدين ، وإنما هي من وظيفة الفلسفة

عبر المتعال الصعبري

الاستاذ بكلية اللغة العربية في الجامعة الازهرية



## روبرت تشستر

Robert of Chester

نقل علم الكيمياء الى غربي أوروبا ، منذ ٨٠٠ سنة مضى ولا يعرف غير النليل عن نشأة هذا الرجل ، وما يعرف عنه انه يحتمل أن يكون قد ولد في مدينة « روتلاند » . ولا شك في انه تعلم في مدرسة « تشستر » وكانت ناشئة في مصر ، ثم هاجر ، طبقاً لعادات طلاب العلم في زمانه ، الى الاندلس العربية ليلقى في جامعاتها العامرة . وكان العرب في ذلك العصر رواد العلم ومصابيح المعرفة .

في ١١ من فبراير سنة ١١٤٤ ميلادية ، أكل روبرت ترجمة مقالة في الكيمياء نقلها عن العربية الى اللغة اللاتينية . وكان هذا أول متن في الكيمياء عرفته أوروبا .

والواقع أنه أحضر منه من الاندلس رداء فضفاضاً كان يلبسه علماء العرب ، كالبرد Gown التي تلبس في الجامعات البريطانية ، ولا يزال لذلك الرداء أثر في اثبات العلاقة الوثيقة التي ربطت بين العلماء في الشرق والغرب . ولم يدرك ذلك العالم بطبيعة الحال ، ما سوف يكون لردائه هذا من منزلة في مستقبل الأيام ، أكثر مما أدرك من قيمة مقالة أخرى نقلها عن العربية . كانت هذه المقالة من تأليف عالم عربي من الرياضيين هو « الخوارزمي » كتبها في فرع من فروع العلوم الرياضية هو الجبر . وإلى جانب مؤلفاته الكبيرة في علم الرياضة ، ترجم روبرت القرآن لأول مرة في تاريخ اللغات النثرية . ولأهمية في أن الامة الانجليزية خاصة وأوروبا عامة ، مدينة لهذا الرجل بكثير من علومها . اذ لولا لظلت علوم الكيمياء والرياضة ، كتاباً منلقاً عن طلاب العلم الغربيين قروناً أخرى من بعده .

# خصائص الفن الاسلامي

-١-

لريتشارد ايتنجهاوز<sup>(١)</sup>

يبدو الفن الاسلامي حديث العهد من الوجهة التاريخية إذا ما قورن بالفنون القديمة (الكلاسيكية) وإن دراسته في المعاهد الأثرية أحدث من ذلك ، إذ لم تحض على دراسته أكثر من جيلين أو ثلاث كما أن ما أكتشف من آثاره القليلة لم يعرف إلا منذ زمن قريب. ونأمل أن يسفر التنقيب عن المزيد في المستقبل . ولا زالت دراسة المصادر الأدبية والمادية الخاصة في مراحلها الأولى ، ويجب علينا أن نعترف المزيد عن الظروف الخاصة التي نشأت فيها هذه التحف الفنية . فما زالت هناك مواد كثيرة في متناول اليد وفي حاجة إلى البحث ولبروفسور ماسينيون والمرحوم السير توماس أرنولد الفضل في إرشادنا إلى بعض المسائل العامة تمهيداً لفهم هذه المسائل جميعها. ومع ذلك فإن دراسة المميزات العامة للفن الاسلامي سابقة لأوانها إلا أنه يمكن الحصول على نتائج أولية مما أمكن دراسته عن المميزات الفنية الاسلامية في الزمن الحالي .

ولا شك أن الفن الاسلامي قد اعتمد أصوله من المقومات الفنية القديمة التي كانت منتشرة في الشعوب الشرقية قبل فتح العرب لها . وقد وصلت إليه بعض هذه المؤثرات بطريقة مباشرة فكانت نقية لا شائبة فيها . كما انتقل اليه بعض آخر عن طريق السامانيين أو القبط . وهناك مؤثرات خارجية استمدتها من الهند . وليس المجال الآن بمبحث علاقة هذه المؤثرات بالفن الاسلامي ، وتطور مازره وأشكاله ووحداته الزخرفية ، إذ أمكن الاجابة عن الأمثلة الخاصة بنوعها وكيفية إجابة مطعمية . ولكن تعوزنا الاجابة عن السبب . وما زالت الاجابة عنه خامضة .

(١) مترجم من كتاب الارث العربي لفيليب حتى وآخرين طبع بمطبعة جامعة برنوتون بنيجورسي سنة ١٩١١

وأول العوامل التي يجب ملاحظتها في نشأة الفن الاسلامي هي الاحوال الاجتماعية والدينية في بلاد العرب في عهد النبي عليه السلام . فبالرغم من تفوذ الدين وآثاره الفعالة في هذه الناحية في بيئته وغيرها إلا أنه كان بدائياً من الناحية الفنية .

كان العرب مجتمعاً بدائياً مكوّناً من الرعاة ما عدا القليل الذي استوطن المدن واعتزل بالتجارة ولم تعد حياة العرب الصيد والاشتغال بالرعي في الصحراء سابقاً وكلاهما حياة متنقلة تتطلب البساطة في كل شيء كالأكل والملبس والمناخ كما أنها حياة خفيفة تعتمد على مواد غير قابلة للكسر حتى لا تحطمها كثرة الارتحال على ظهور الجمال . لذلك لا تتطلب حياتهم الاواني والمواد الزجاجية التي لا تلاءمها — ولا شك أن كل المنتجات الفنية الدقيقة التي وجدت في حياة العربي في القرن السادس مستوردة من الخارج كالتدل على ذلك امتاؤها . فكلية نجر وخزاف وصانع الاسلحة والحباك أرمنية الاصل . وكلية مصحف ونافذة وعقد وحداد حبشية الاصل ، وكلية حرير فارسية المصدر ، ويظهر عدم تذوق العربي لفن النحت فيما ورد من إغارات على الاواني القديمة ، فيقبه عمرو<sup>(١)</sup> الشاعر القدير في مقدمة معلقته ماتي المرأة الجميلة بأعمدة رخامية ، ونديها بصناديق طاجية ، وكان هذا الاتجاه بارزاً في الشعر الذي كان أعظم فنون بلاد العرب قبل الاسلام . وأكثر من ذلك لم تبلغ الاهياء المستعملة في الحياة اليومية من الدقة الفنية درجة تحاكي بها الطبيعة نظراً لانخفاض قيمتها كالتحكروا في مصائر أميرم فاهتموا بالثروة الحيوانية كترية الجمال والاغنام . لهذا أنف هذا الرجل العربي أن يجهد نفسه في صناعة أي شيء بيده . بل ترك ذلك الى من هو دونه منزلة كالمرأة والرفيق والأجانب واليهود فانحط مستوى الفنون إلى مستوى هذه الطبقة .

وقد بلغ من امتهان كرامة أصحاب هذه الحرف وتحقير شأنهم عند العرب أنه إذا أراد أحدهم أن يسخر من غيره عيسره بأن أحد أجداده قد اشتغل مع من هو دونه ، أي أنه

(١) هو عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي المعروف وصاحب المعلقة المشهورة التي يذكر فيها أيام بني تلب .  
واشعر بهم . وقد وصف في بدء معلقته حبيته في البيتين الآتيين : —

ونديا مثل حق العاج رخصاً حمائنا من أكف اللامينا  
وساريتي بلنط أو رخام يرن خشاش حليهما رقينا

كان حدّاداً أو نساكاً ابن نساك - فرسوم (قصير صمراً) <sup>(١)</sup> التي رمت بأمر خليفة أموي  
المحدر من أشرف مكة قديماً قام بصنعها فنانون من أصل غير عربي . ويذكر بعض المحدّثين  
من الرحالة الذين زاروا اليمن أن يهود صنعاء ما زالوا صنّاع تلك الناحية .

ولم تترك لنا ديانة المجتمعات العربية الأولى التي كان يحتمل أن تقدم أو تخلف لنا بعض  
النشاط الفني شيئاً . وقد عبد العرب الوثنيون في الجاهلية التماثيل بالقرب من الآبار والأشجار  
وخاصة الأحجار . ولازم هذه العبادة الجاهلية نفاط في أحد فروع النحت وأطلق على  
التماثيل التي عبدوها أسماء أجنبية كدمية وصورة وصنم ، وعبدوا اللات في شكل حجر  
صرب في الطائف ، والجلسد <sup>(٢)</sup> في شكل قطعة حجرية بيضاء يعلوها حجر آخر اسود يقبه  
رأس الانسان إذا نظرت إليه من قرب . أما الكعبة فهي بناء متواضع جدّاً قد استندى  
إليها عقب احترافها نجار يوناني كان طابراً على ظهر سفينة أمام ميناء جدّة لإعادة بنائها  
وساعده في ذلك صانع قبضي .

هذا يدلنا باختصار على كيفية وصول هذا التراث الفني الى النبي « ص » والذي لم  
يتطوّر في عهده . وليس أدل على هذه الظاهرة من أنه اعتمد في بناء منزله بالمدينة حيث  
كان يؤمه المسلمون ويعقدون فيه جلساتهم في حياته وبعد مماته على الأساليب الثقافية  
المادّية التي كانت سائدة في عهده . وكان لهذا البناء أثر عظيم في الابنية التي جاءت بعده  
في العصور التالية . فبنيت جميع المساجد بعد ذلك على نمط هذا المنزل البسيط بأبوابه في  
جانب من فناء المسجد ومطلته في الجانب المقابل لاقامة الصلاة تحتها وقد قبل النبي هذه  
الحالة الفنية في عهده وأكسبها مميزات جديدة كان لها أثر فعّال في تطوّر الفن من بعده .

(١) بيت الحيد في بادية الشام في وادي بتم في شمال شرقي البحر الميت وعلى بعد ٥٠ ميلاً شرقي عمان  
خاصة شرق الاردن . وقد كتفه العالم النسوي . وزيل ١٨٩٨ ويحتمل أنه بني في عهد الوليد بن عبد الملك  
بن سني ٧١٢ و ٧١٥ واتخذ ليكون مقراً لراحته ولهو . ويمتاز بنقوشه المختلفة التي من أهمها تش  
يمثل الملوك الستة الذين مزعمهم الامويون

(٢) الجلسد اسم صنم كان يعبد في الجاهلية . وقد ذكره الجوهري صاحب تاج العروس في ترجمه كلمة  
جسد — على أن اللام زائدة

وقال فيه الشاعر بن بري البيت الاتي للذهب الميدي ، وذكر ابو حنيفة أنه لمدي بن وداع .

فبات يجتاب شقاري كما يقهر من يهي الى الجلسد



وركنز النبي صلى الله عليه وسلم دعوته المقدسة في الايمان بيوم البعث وهو يوم الحساب حيث يدعى كل فرد ليقدم ما عمله ، ويلقى عقابه في نار جهنم أو جزاءه في جنة النعيم أمام الله عز وجل المستزّه عن الشريك ، خالق جميع المخلوقات ، وقد تلقى النبي عليه السلام ما يتعلق بيوم القيامة وقدره الله عز وجل من اللوح المحفوظ في السماء كما نزلت على من سبقه من الانبياء وبلغه كل منهم ، ونزلت الى العرب على محمد عليه السلام بلغة العرب ، ولم يكن هذا النبي كوسى الذي أظهر المعجزات لفرعون وضرب الحجر ليتفجّر منه الماء . ولا كعيسى الذي أشفى المرضى وأحى الميت بعد موته بأربعة أيام وأبرأ البرص وأطعم الحس آلاف نفس بخمسة أرغفة وممكنين . ولم يظهر النبي محمد في حياته بأن له قوّة خارقة وإنما اصطفاه الله ليكون رسوله في الأرض ، وليبلغ رسالته في بلاد العرب عن طريق قرآنه الشريف .

وكان لهذه المسائل الأربعة : الخوف من اليوم الموعود ( يوم الحساب ) والخضوع لله عز وجل - والعمل بما جاء به القرآن الشريف ، والنظر الى النبي كبشر ، أكبر الأثر ، لاني تطوّر الإسلام كدين خصب وإيماناً في الفن الاسلامي . وأدّت فكرة الخوف من يوم الحساب الى صبغ الإسلام بروح التواضع . فساعة تقضى في الأعمال الصالحة أفضل من كنوز الأرض وزخرفها .

وانحرف الفنية المستعملة في الأغراض العامة بما بلغت قيمتها ما هي إلا رموز لعظمة هذه الحياة ومتاعها التي تغري الإنسان المتكبر بطبيعته لارتكاب الآثام . والاسلام كدين لا يحبّذ القرف ولا استعمال الاواني الذهبية والفضية والمجوهرات في داخل المسجد اتقديس الله اذلا فائدة منها . ولا نجد فيه ما يشبه كنوز كتدرائيات العصور الوسطى من تحف وغيرها ماعدا الكنوز الفاطمية . كما افتنع الدين بالمواد البسيطة المتواضعة كالنحاس والطين والملاط والابن .

وكان لهذا الاتجاه أثر واضح في اختيار أرخص الأشياء كالجلس لخرقة أهم أجزاء المسجد وهو المحراب وقت أن استطاعت فيه ثروة المجتمع أن تتحمل شراء أئمة المواد له . والانماج الآخر هو صبغ المواد الفنية بصبغة شرقية مسيطرة لروح الدين في البعد عن

كل ما فيه ترف كما يقول الحديث « من يشرب في إناء من الذهب أو الفضة فانه يخرج في بطنه ناراً من جهنم » ولم يستعمل قدح من معدن في بلاط إسلامي حتى تلك التي تشبه الافداح البيزنطية والساسانية واكتفت الطبقات الغنية باستعمال الخزف بدلاً من الذهب والفضة .

والترف من أخص خصائص الانسان ومن المتعذر ألا تجده في مجتمع غني امتد في أكثر الممالك التي ظهرت في التاريخ حباً للترف : ولم يتردد بعض الحكام المسلمين في تحطيم قوانين المجتمع كما يدفع البعض الآخر للظهور بأسباب الترف والبذخ .

وعندما تم تكوين مجتمع إسلامي متكامل اتفن في القرن التاسع الميلادي وظهرت له خصائص خاصة كاستعمال البريق المعدني على الخزف محل الذهب ، والتطعيم بمواد رقيقة جداً من الذهب والفضة على البرونز والنحاس . في القرون التالية بعد ذلك .

وقد ظهر أثر تعاليم الدين في تطور الفن الاسلامي إلى مدى بعيد جداً . ونظراً لعدم ادعاء النبي المعجزات والقوى الخارقة لم يدع أي احتمال لتطور الطقوس الدينية الاسلامية لتسير موازية لنظيرها في الفن المسيحي في العالم الغربي الذي اعتمد في تصوير حياة المسيح وما فيها من عواطف والعائلة المقدسة والتقيدين على تقارير كنيسة الكاثوليك الرومانية والارثوذكس اليونانية . ولكن عدم وجود مثل هذه المظاهر حول مؤسس الدين الاسلامي دعت الفنانين المسلمين إلى الاتجاه بفنونهم اتجاهات أخرى . ولو كان في العالم الاسلامي تماثيل فان تلك حالات خاصة لبعض الفنانين ، وأعظم المؤثرات التي نادى بها النبي ( صلعم ) كانت متصلة بالله خالق كل شيء كما جاء على لسان نبيه الكريم ولم يسمح لأحد من الصحابة في مشاركته في قوته ، وكان لتطور هذه الآراء على يد العلماء المتأخرين أثر كبير في تطور الفن . ولم يتخذ النبي ( صلعم ) طريقاً واضحاً في تحديد موضوعات الفن ، ولم يعر لها إلا القليل من اهتمامه من الناحية الاجتماعية كما بينا سابقاً . أما اتجاهه نحو الفن فقد ورد في إشارته بشكل عام وهو في ذلك امتداد لوجهة نظر الاسلام نحو الجاهلية فقد حرم الأوثان في الوقت الذي حرم فيه شرب الخمر ولعب الميسر

ولا يوجد كتاب في الفن الاسلامي خالي من الحديث المشهور « من صور صورة فان الله

بمذهبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها » و يشار فيه أيضاً الى حديث ثانٍ لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة » وكلا الحديثين - طمأ كبرياء وقدرة كل فنّان على تقليد ما خلقه الله . ولم يقتصر الامر على ذلك بل شدّد الله عذاب هؤلاء المصوريين على لسان نبيه الكريم فقال « ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » وأدى ذلك الى انحطاط فن النحت وخاصة التصوير الفخمي . وفي مناسبة أخرى قال رسول الله ان أشد الناس عقاباً يوم القيامة لأعن النبي أو من يضل الناس بدون علم وصانع التماثيل والصور . وعن أبي صحنه حرم النبي أخذ ثمن الدم أو ثمن الكلب أو الاكتساب من الفاجرة والمرأة الواشمة والموهومة والمراب والذي يتعامل بالربا ولعن المصور .

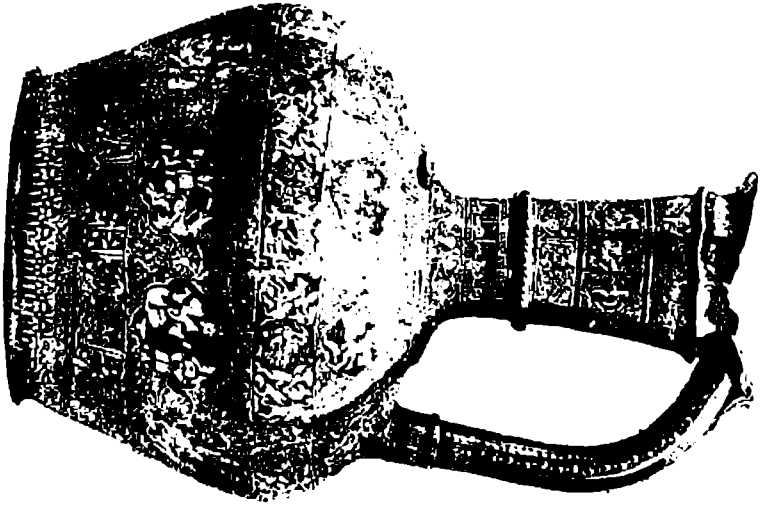
ومن الجدير بالذكر ازدياد الرغبة في تصوير الأشخاص عند ما تكاملت الظواهر الاجتماعية وانتشرت الديمقراطية وتحطمت القيود الاجتماعية التي كانت مفروضة على الفن وصناعته وذلك في القرنين الثاني والثالث من الهجرة . ومن ذلك الحين ظهر الاتجاه الاسلامي نحو الفن ولم تقتصر الفنون على العبيد بل انتقلت الى الكثير من الفنانين الأجانب الذين زكوا دين آبائهم ظهرياً واعتنقوا الاسلام . وقد ظهر هذا التحول الاجتماعي في ديوان شعر أبي العتاهية المعاصر لهارون الرشيد في أحد أبياته : وأصبح النساج المسلم أو صانع النحاس الذي يخاف الله وبتمسك بتماليمه لا يمشي شيئاً كما أصبح صانع الاسلحة والحداد الذين كانوا محترمين في المجتمع العربي يفتخرون بأن النبي داود وسليمان كانا أجداده في هذه الصناعة .

وتدل الرسوم الآدمية على مدى ما وصلت اليه من الانحطاط الفني . وأصبح تصوير الاشكال الآدمية والحبوانية في المواضع التي يطأها الانسان بقدميه كالسجاد أو مجلس عليها كالوسائد . والفرش كما تمتهن كرامة الصور عند قطعها أثناء حياكتها ويقل من شأنها في الأماكن المظلمة كالدعاليق والحمامات وهي أماكن منعزلة لا تجذب الانتباه إليها ولا تدعو الى عبادة الأوثان وخصوصاً ما صور منها من الرسوم العارية في الحمامات والأماكن المنعزلة للاقلال من قيمتها وكانت رسوم الخطوط النوع الوحيد المسموح في رسم الصور الشخصية لفرض ربوبي .

ويرى الفيلسوف الاسباني ابن عربي<sup>(١)</sup> في هذه الصور رمزاً حياً للعالم. فشيء الانسانية في هذا العالم التي تحركها قوة واحدة - هي الله - بالصور المتحركة وراء شاشة بيضاء فيظهر خيالها على الشاشة .

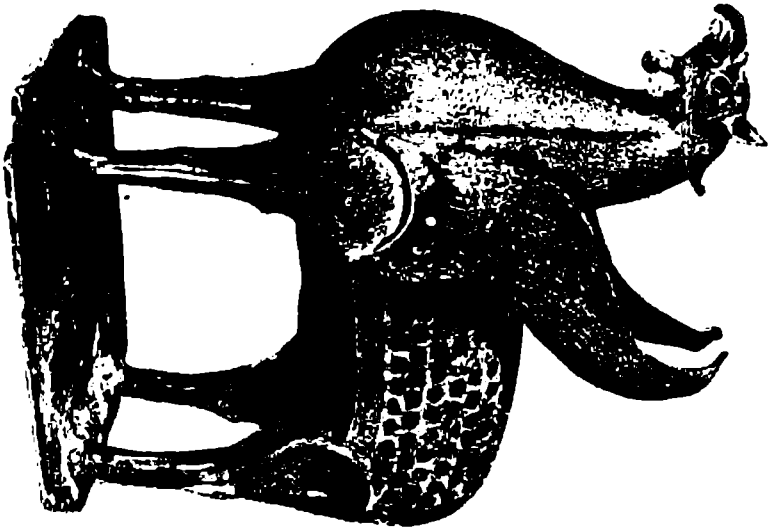
ويمكن تلخيص كراهية التصوير في المثلين الآتين أحدهما ساي ويتمثل في خلو الهرب من الصور والثاني ايجابي وهو عدم وجود تشريع يبيح حضور حفل عرس به صور وتحدث الكتب المقدسة الاسلامية عن حفل عرس به صور وتحدث الكتب المقدسة الاسلامية عن حفلات الزواج حين الكلام عن التشريع العام للحياة. فتناقض الاحوال التي يلي فيها الانسان دعوة حفلة عرس والظروف المباح الدخول حضورها. وفي الحالة الاولى لا يلي فيها الانسان هذه الدعوة حتى لا تختلط النساء بالرجال ويشربون الخمر وينصتون الى الموسيقى ويستعملون الاواني الذهبية والفضية وحيث تعرض الصور المحرمة ورسمت الصور ذات الابعاد الثلاث بطريقة تتفق وتعاليم الاسلام الاجتماعية فابتعدت عن الابعاد الخمس أو الست التي تتوافر في رسم الكائنات الحية . وتمحوت كل حاسة فيها عند التعبير عنها في رسم التماثيل إلى حالة آلية أ كسبت الطراز الفن الإسلامي الذي نما في القرن العاشر مميزات خاصة اتسمت بها الفنون الاسلامية بعد . فجميع الأشكال الأدبية مستوية وتظهر كأنها أجزاء رقيقة متجاورة افترقت من الممدن أو الورق المقوي كما هو مبين في رسم القليل المشهور في نسيج سانت جوس بمتحف اللوفر . ويمتاز بالوان فظفة الزاهية . ومنلها صورة الطفل العاقر ويستطيع الانسان أن يحرك خيطاً فتتحرك الصورة ويظل هذا المظهر الآلي في العصر الاسلامي في تلك الصور المتنافضة الالوان المختلفة الأشكال وقد استخدم الفنانون طريقة أخرى في رسم هذه الأشياء في المصور الاولى الاسلام قبل اختراع هذا الطراز المنبسط بعد القرن العاشر عندما حادوا الى استعمال الأشكال ذات الابعاد الثلاثة فزخرفت الاواني الصلبة البعيدة الغور بأشكال خاصة لتصرف الناظر إليها عن

(١) هو محي الدين عبدالله بن عربي الفيلسوف الاسباني الذي عاش في المدة بين ١١٦٥ و ١٢٤٠ . وقد ولد في مرسية وتعلم في أشبيلية ولما بلغ الثامنة والعشرين من عمره رحل الى مصر وبلاد العرب وبنجد والموصل وآسيا الصغرى ثم قضى باقي حياته في دمشق وهو صوفي مشهور .



شكل (٢)

إناء من البرونز المكتشف بالعمقة من صناعة الموصل  
في القرن الثالث عشر



شكل (١)

مناب من البرونز من القرن الحادي عشر وهو صناعة  
مصرية وعُثر على كنجوس سائو بينزا بإيطاليا

حقيقة الاناء نفسه. ظلّت هذه الظاهرة واضحة في القرنين السابع والثامن من الميلاد كما يدل على ذلك العائر المحفوظ في متحف برلين وعقاب سانت كامبو ببيزا المشهور شكل (١) وفي كلا اللوحتين نجد زخارف محفورة لا علاقة لها بالطائر أو الحيوان نفسه كالنوع النباتية والدوائر الهندسية التي بداخلها حيوانات وطيور صغيرة جداً - كما على القطعة المحفوظة في متحف برلين - بينما قطعة بيزا نجد عليها زخارف من حيوانات صغيرة وكتابات كوفية تحيط بالطائر كله. وترى في هاتين الحالتين أن الزخارف ليست دقيقة ولا من الأهمية بمكان بل تمثل المرتبة الثانية - ولا تزال هذه الحيوانات سواء أكانت على أكواما نيلا<sup>(١)</sup> أو مباخر أو جزءاً من قاعدة نافورة جافة الشكل بعيدة عن رسوم الكائنات الحية.

وقد أمكن التعويض عن جمود وجفاف إناء بيروفسك بزخرفته بخمس رسوم آدمية محفورة ومكثفة لا علاقة مباشرة لها بشكل الاناء نفسه لكن امتازت هذه الزخارف بتنوعها وبريقها الذي يجذب الأنظار ويصرف الرائي عن شكل الاناء نفسه. شكل (٢) كذلك يمكن تطبيق هذا على الأواني ذات البريق المعدني وهي أواني كانت ذات سطح جاف غير براق استطاع الفنان تخفيف جمود شكلها بتغطية سطحها بزخارف ذات بريق معدني كما هو مبين بالمقدر المغطى بزخارف على شكل تربيعات القاشاني المحفوظ في مجموعة دكتور هرش وعلى هذا النسق أمكن تغيير جميع القطع ذات البريق المعدني بطريقة إسلامية بمحطة لجأت الرسوم الآدمية مستوية لا بعد ثالث فيها.

إذا أمكن الشخص أن يعرف هذه الظاهرة بوجه عام فإن ما يجب عليه قوله هو أن التحف الفنية الإسلامية متواضعة في حقيقتها وقد غطيت بزخارف مثلثة مربعة اقناء وهي مادة تتكون من مادة قيمة متنوعة الشكل. فطبعة القاشاني الرقيقة الالامعة أو الخزف (الماوزيكو) التي تغطي الأبنية المبنية بالابن والطبقة الزجاجية المتعددة الألوان التي تغطي الخزف والمينا في فوق المصابيح الزجاجية وتكفيت الأواني المعدنية بقطع صغيرة من الفضة أو الأسلاك الذهبية والوبرة الصوفية الذهبية أو الحريرية فوق أرضية من القن ، وهذه وأغلبها رسوم مجردة غير طبيعية وهي من خواص الفن الاسلامي وابتكاره. محمد رحب البيلى

(١) أباريق من النحاس كانت تستعمل لندل الايدي في المصور الوسطى في الكنائس الغربية

## محمد اسعاف النشاشيبي

قضى محمد اسعاف النشاشيبي يوم الخميس ٢٢ يناير سنة ١٩٤٨ - ١١ ربيع الاول سنة ١٣٦٧ هـ وحيداً في أحد مستشفيات القاهرة التي كان يحبها حباً جماً ، والتي كان يند إليها كل عام من فلسطين فترقب ندوات الادب والعلم مجلسه حيث يكون الصدر فيه ، محدثاً وراويًا كأنما وعى تاريخ هذه الامة العربية كله في صدره يرويّه كأنه يقرأ عن كتاب ويقصّه كأنه يتلوّه من صحيفة. فقد خصّه الله بذاكرة قوية وحافظة لم تنل منها المبخوغة إلا قليلاً .

وكانت زيارة النشاشيبي للقاهرة هذا الشتاء هي آخر زيارته ، فهل كان يعلم وهو يودّع فلسطين المجاهدة في سبيل ربّها وحقّها وأرضها أنه وداع لغير عودة ، وأنها رحلة لغير رجعة . وأنه تركها والبأس يغلي فيها لا هرباً من الجهاد إذا دعا داعيه ، ولا امتساعاً للنجاة ، ولكنه تركها مستشفياً بطب مصر الآسية ، ومستمتعاً بجماء مصر الدافئة الضاحية ولكن الطب خانّه هذه المرّة . . فلحونا : —

والناس يلحّون الطبيب وإنما خطأ الطبيب إصابة الأقدار  
كان مجلس النشاشيبي في ندوة فندق « الكونتنتال » مجلساً يملأ السمع والبصر والفؤاد ، ولو أن الرجل في ذاته كان ضئيلاً في جسمه نحيلاً في هكله . ولكنه كان يفرع الرجال الطوال بموارفه ومعارفه ، كأنما كان الشاعر العربي يتحدث بلسانه في قوله .

إذا كنت في القوم الطوال علوتهم بعارفة . . حتى يقال طويل  
ولا أذكر أنني تخلفت عن مجلس النشاشيبي في « الكونتنتال » في السنوات الأخيرة إلا قليلاً مما ألحت به ضرورات لم أستطع لها دفعاً . وكان أحبّ اليّ تمني أن أبتدر مقال في الندوة حيث تتعلق الحلقة وتوسع الدائرة ، ويأتي زائر يتفحّح بكرسيه في المجلس فتفوح

هـ ، ثم نأخذ بأطراف الأحاديث بيننا ، كلٌّ على قدر ما وهب الله له من موهبة الكلام فإذا النشاشيبي يوجه الحديث في المجلس ويديره ، وإذا به يصل الحديث بالقديم ، والحاضر بالماضي ، وإذا هذا الرجل الضئيل المزوي يتحرك كأنما مسّه شحنة من كهرباء ... فتدبّع الكهرباء في عينه اللامعة ، وفي صوته الجمهوري وفي ألقائه الذي يهتز فيه ويضطرب ويقوم ويقعد كأنما يريد أن يجتمّع المعاني بهذه الحركات الإيمانية التي لم أشهد لها ضرباً فيمن سمعت من الخطباء . . .

على أنّ هذه الجوانب الشخصية من أصعاف النشاشيبي ليست غرضاً لي في هذا المقال ، فنعد كل أديب اتصل به سيلٌ منها لا ينقطع . وهي جوانب لم يفتقدّها إلا الذين دأبوا وأحسوا أنهم ودّعوها إلى يوم النشور . . . وما تعطلت دورة الأرض ولا تعوّق مسير الحياة ولا خسف القمر لموت مخلوق .. حتى الأنبياء على جلال رمالاتهم . فالحياة ماضية ، وهذه ندوتنا تنعقد كما هي - فإنّ الناس لا يموتون لموت واحد من البشر ... ولكنها عطلت من النشاشيبي وأصبحت منه خلاء . ونحن من السابقين على الأثر . . فلم يبقَ إلاّ الجانب العام من حياة الرجال ، وهو أبقي على الأجيال .

\* \* \*

لقد أسهم النشاشيبي في المكتبة العربية ببضعة من الكتب ، تمتاز جميعها إلاّ كتابه الإسلام الصحيح ، بصغر أحجامها وعظم أقدارها . وكلها تدور حول الفكرة العربية التي ملكت على الرجل منافذ حسة . والعربية عند النشاشيبي تتمثل في إثنتين : لغة العرب ورجال العرب . فأينما قلبت كتبه فلن تجد فيها غير « عربي » يشيد به النشاشيبي ويرفعه إلى مراتب الخلود ، وغير لغة يهون على النشاشيبي أن يموت قبل أن يشهد يوم مماتها . وحسبك أن تستعرض كتبه - أو تقرأ عناوينها على الأقل - لتعرف مبلغ صدق هذه النظرية . فنكتبه : - « كلمة في اللغة العربية » و « قلب عربي وعقل أوروبي » و « العربية وشاعرها الأكبر » و « اللغة العربية والأستاذ الريحاني » و « العربية في المدرسة » . ومن كتبه في أبطال العربية والإسلام : - « البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد



شوقي « و » العربية وشاعرها الاكبر أحمد شوقي « و » مقام ابراهيم « يقصد به البطل العربي المجاهد : ابراهيم هنانو

لقد حصل النشاشيبي في العربية ملكة سليمة قوية لم تأت عفواً ولم تهبط إليه اعتباطاً. ولكنه نالها بعد الكد والجهد، والقراءة والحفظ، والبصيرة والفهم ويقول في ذلك بعبارة اللطيفة : (إني لا أذكر كيف يبعثون أن يبلغ الفتى ويفصح، ويبذل الأقران ويرع، ويبطش في العلم بأرحب باع، ويحل منه في القبل النفع وهو لم يدأب ولم يفتح ولم يطل وقوفه في الشمس ليطول وقوفه في الظل، ومن الذي أنبأهم أن الاجادة في المقال قريبة المثال) (١).

وأكد أجزم أن غرض النشاشيبي من كتابه « كلمة في اللغة العربية » هو بحث الأدباء على السهر في التحصيل، وحض الشباب على الدأب في قراءة التراث العربي، حتى لا يجمي آخر الزمان أديب مفتون أو هاعر مجنون أو كاتب ضعيف فيزعم لنفسه أدباً أو شعراً، وهو معطل الاداة قليل المحصول عديم المعرفة بالاصول. ويظن المسكين أن المسكنة الادبية تُنال بالفاظ نسود بها الصفحات.

وإذا كانت العربية صعبة كما يهدد الذين نفذوا إلى أعماقها من أنبائها، فإن النشاشيبي كان يرى (أن الصعوبات في اللغات دلائل خير ودليل محمّ) (٢). ومن أجل هذا صهر من أجل العربية. وعنى نفسه بها طول حياته، ونهض - تقريباً - كل كتبها. حتى لم يكن يند عنه كتاب أو يشذ عن محضوله بيت من الشعر أو طرفة من الحديث أو حادثة من التاريخ ولا أدل على عناء النشاشيبي في سبيل العربية وتعبه في تحصيلها من أنه لم يكذب في قوله من يديه كتاب من كتبها إلا قرأه وحفظ منه وروى عنه. واتخذ بدأ ذلك جلياً في مجموعة « نقل الأديب » التي كان ينشرها في مجلة « الرسالة » على فترات تتقارب حيناً وتباعد حيناً آخر، حتى بلغ مجموع ما نشر منها الى عدد ١٩ يناير سنة ١٩٤٨ (٩٦٩) نادرة جمعها على طول العمر كله واختارها من بين مئات من الكتب من أمثال « عيون الأخبار » و « الحيوان » و « شرح نهج البلاغة » و « معجم البلدان » و « خاص الخاص »

(١) « كلمة اللغة العربية » صفحة ٢٢. مطبعة بيت المقدس (٢) المصدر السابق ص ٢٣

و « البنية » و « تاريخ الطبري » و « زهرة الألباء في طبقات الأدباء » و « الألفاني »  
 و « صبرة ابن هشام » و « البيان والتبيين » و « نهاية الأرب » و « محاضرات الأدباء »  
 و « النجوم الزاهرة » و « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » و « تاريخ بغداد »  
 و « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » و « نمار القلوب في المضاف والمنسوب » و « نفع  
 الطبيب » و « بدائع البدائنه » و « الكنايات » و « وفيات الأعيان » و « الروضتين »  
 و « الضوء اللامع »

ولا يظن ظان أن هذا الاختيار الحافل من تراث زاخر بالأخبار والنوادر والطرائف  
 مطلب يسير أو عمل هين ، ولكنه شيء يدل على ذوق مختاره أولاً : وعلى أهدافه ومرامييه  
 ثانياً : وعلى مدى نيته من الانتفاع به ثالثاً : ولعلها حيرة أية حيرة أن تقف في روضة  
 زهرة لتختار أطيب ما فيها شكلاً ولوناً وعرفاً .... وقد يما عبر الشاعر عن مثل هذه الحيرة  
 بقوله : -

تخير في الرياض فليس يدري أيحني الروض أم يجني الاقفا  
 ولكن النشاشيبي وقف في روضة الادب العربي والتاريخ العربي الحافل بأبجاده  
 وحكاياه ... فلم يتحير في الرياض ، ولكن هدته بصيرة عربية وفطرة عربية وهمة عربية  
 إلى أن يقطف أطيب ما في الرياض : وهو في ذلك ليس متمماً ولا متوقفاً ، ولكنه قد يجمع  
 التوفر أحياناً فيروي أطيب الفكاهات ، وألذ شعر المتاع ، حتى يسأل سائل كيف يروي  
 النشاشيبي في « نقله » قول صعيد بن حميد :

تمتع من الدنيا فانك فاني وإنك في أيدي الحوادث فاني  
 ولا يأتين يوم عليك وليلة فتخلو من شر وعرف قيان  
 فاني رأيت الدهر يلعب بالفتى وينقله حالين تحتلوا  
 فأما التي تمضي فأحلام نائم وأما التي تبقى لها فأما نبي<sup>(١)</sup>

وحتى يسأل سائل آخر كيف يروي النشاشيبي « في نقله » قول حنين بن اسحاق « إنه  
 اتفق له هذه اللفظة الوجيزة الشريفة البديعة التي لم أسمع لابلغاء مثلها في الجمع بين التمجيس

والطباق والترصيع مع حسن المعنى وجوده وصحته وهي : — قليل الراح صديق الروح  
وكثيره عدو الجسم » .<sup>(١)</sup>

نعم ! كان لأسعاف النشاشيبي مثل هذه الروايات في « نقله » ، وكثيراً ما كنت أَعِدُّها  
عليه .... ولكنه نشر كثيراً من فضائل النفس العربية حتى خيل اليّ أنه كان يتحدّى بها  
نفوس الناس جميعاً من غير العرب . وكأنه كان يعتمد ذلك تعمداً في « نقله » . ولا أدل  
على ذلك من هذه الملحة التالية : —

تذكرون يوماً بحضرة محمد بن اسماعيل من ملوك بني نصر في الأندلس معنى قول المتنبي :  
أَيَا خَدَّ اللَّهِ وَرَدَّ الْخُدُودُ وَقَدْ قَدَّوَدَ الْحَسَنُ الْقُدُودُ  
وقول امرئ القيس :

وإن تك قد ساءتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسَلِّسْ نِيَابِي مِنْ نِيَابِكَ تَنْصَلُ  
وقول إبراهيم بن سهل الاسرائيلي :

إني له من دمي المسفوك معذر أقول حَمَلْتُهُ مِنْ صَفْكَه نَعْبَا  
فقال بديهاً على حدائته : — بينهم ما بين نَفْسٍ مَلَكٍ عَرَبِيٍّ ، وشاعر عربيٍّ ، ونَفَسٍ  
يهوديٍّ تحت القدمة ... وإِنَّمَا تَنْفَسُ النَفُوسُ بِقَدَرِ هَمِّهَا )<sup>(٢)</sup>

وهذه الموازنة الخلقية بين فضيلة النفس العربية والنفس اليهودية كانت تظهر في النقل  
من حين إلى حين .. ! فقد نشر في الرسالة سنة ١٩٤٦ عدد ٦٦٧ بعنوان « وأبناء اليهود »  
هذه الطرفة التالية : — ( قال الصندي : كان أبو البركات بن ملكا يهودياً وأسلم ، وكان  
كثيراً ما يلعن اليهود ، قال مرة بحضور ابن التليذ : لعن الله اليهود . فقال : نعم وأبناء  
اليهود ؟ فوجم أبو البركات لذلك وعرف أنه عناه ... )

\*\*\*

أما تعصب النشاشيبي للعربية لغةً وجنساً فقد كان يبين دائماً من كلماته وخطبه ومقالاته  
فقد كتب كلمة في مجلة الرسالة عن « اللغة العامية والحروف اللاتينية بامضاء « السهي »<sup>(٣)</sup>

(١) مجلة الرسالة ص ٢٠٢ عدد ٧١١ (٢) مجلة الرسالة عدد ٧١١ ص ٢٠٢

(٣) الرسالة عدد ٧٣٠ سنة ١٩٤٧

هل فيها حلة من نار على الدماء للحروف اللاتينية ، ولم يكن في هذه الحلة النارية غير راد عن كلام قديم للشيخ ابراهيم اليازجي في مجلة « الضياء » .  
وقد باتت هذه الروح قوية في الكلمة التي عنوانها « لبنان والعربية » التي كتبها بمناسبة إنعام رئيس جمهورية لبنان عليه بوصام الاستحقاق المذهب ، حيث قال : ( وإنا أمّ اللسان الضادي أعرب ، وإن لغتنا هي العربية ، وهي الارث الذي ورثناه ، وإنا لحقيقون ، والآباء هم الآباء واللغة هي تلك اللغة بأن تقي عربية الجنس وعربية اللغة — تقي العربيتين بما يضرهما أو يوهنها )<sup>(١)</sup>

ولقد مني الجنس العربي بمحنة اليهود كما مني بهم قبل الاسلام ' وإبان انتشاره ، فصبر العرب لهم وصابروا وربطوا لأنهم يؤمنون بأن الله مع العابرين ، وقد لا أعرف أن النشاهيبي اشترك مع المجاهدين بحال لأنه لا يمان بمكرمة ، أو اغترك معهم بسيف لأن ثلاث علل قاسية قد اصطلحت عليه فهدته في آخر العهد هذا . ولكنني أعرف أنه كان بوجه قلبه في كل مناسبة . ولسانه في كل فرصة ، وخاصة حين أعلن قرار تقسيم فلسطين .  
فاذا « نقل الأديب » كله في شهر ديسمبر سنة ١٩٤٧ يدور حول الجهاد والجلاد والامتناع وإذا النفس العربية الكريمة المجاهدة تظهر في مثل هذه الرواية الشعرية عن « عمرو بن براق » حيث يقول :

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها . مراغمة ما دام للسيف قائم  
متى تجمع القلب الذي وصارماً وأنفأ حميماً تجنبك المظالم

وإذا « نقل الأديب » كله في الأسبوع الثالث من ديسمبر الماضي يحمل هذه العناوين « أمثال » في الشجاعة العربية ، « أصيب زوجها وأخوها وأبوها » و « الجنة تحت البارقة » « نحن والله أهل الحرب » « ألا بحيث ترى المنا بأسودا » « فعليكم بالجهاد » « عن أحسابكم ذودوا ، كذبتم وبيت الله لا تأخذونها » « نساؤهم كرجالهم » « فأنا أربط حتى أموت »  
وقد برع النشاهيبي في اختيار العناوين لكل فائدة من نوادر « نقل الأديب » ليكون العنوان أدل على الغرض منها وأنه قد أتى القصد إليها . وكان يتخير العنوان أحياناً من النص نفسه . ورى ذلك واضحاً في كتابه « ألبستان » الذي جمع فيه - لتلاميذ المدارس - أنضر

ما في الروضة العربية من ورود . وكذلك لم يكن توفيقه في عناوين « النقل » بأقل من توفيقه في اختيار « النقل » نفسه .

ولم يكن تعصب النشاهي للعربية غفلة منه مما لانقافة الاوربية من قيم . فقد كان يعرف الفرنسية ويعرف أحسن ما فيها للعقل والعلم والحضارة . وكان يرى أن الاكتفاء بنا نحن فيه لا يهيئنا - كأمة لها ماضٍ مجيد - أن نفتقد مقاعد الغرب اليوم في المزدحم العالمي . وكان يرى أن الاخذ بأسباب العلم الصحيح - كما فعل الغرب اليوم - هو الطريق الموصل بالتقرب إلى استعادة مجدهم . وكان يمان بذلك في مجالسه وفي كثير مما يكتب ، حتى كان كتابه القيم : - ( قلب عربي وعقل أوربي ) الذي يقول فيه : - ( تلتكم مدينة الغرب فالخير كل الخير في أن نعرفها ، والشركل الشر في أن نجهلها ، وإنا إذا عاديناها وهي البائدة الساطية استعملتنا ، وإنا إذا نابذناها ونبذنا عليها حقرتنا ، وهي مدينة قد ضمرت الكرة الأرضية . فليس عمة حاصم وإن أويت الى المريخ )<sup>(١)</sup> ويقول في موطن آخر : ( فالعربي الذي يكره البناء هذه المدنية - يعني الغربية - ويطلب عليها ونظامها وفنها ، ويسخر من روادها لا يروم - وحياتكم - أن نحيا في هذا الوجود أو أن نسود ، بل يريد أن نبعد أو أن نعود في الناس مثل العبيد )<sup>(٢)</sup>

وقد يظن من يرى تعلق النشاهي بتقديم العرب وجنوحه الى الغرب من الامالاب وميله الى رواية الاخبار أنه رجل قديم النزعة رجعي الفكرة ، ولاكنه - رحمه الله - كان جامعاً بين القديم والجديد ، حتى لقد استوى منه مزاج عجيب خاص يجمع بين عربية القلب وغربة العقل . . . . وما أحوجنا في هذه الأيام الى قلوب عربية في عقول - لاني عقليات - أوربية .

أحسن الله الى اسماعيل النشاهي قدر ما أحسن الى العروبة لغة وجنساً .

محمد عبد الغنى مسن

# حقائق

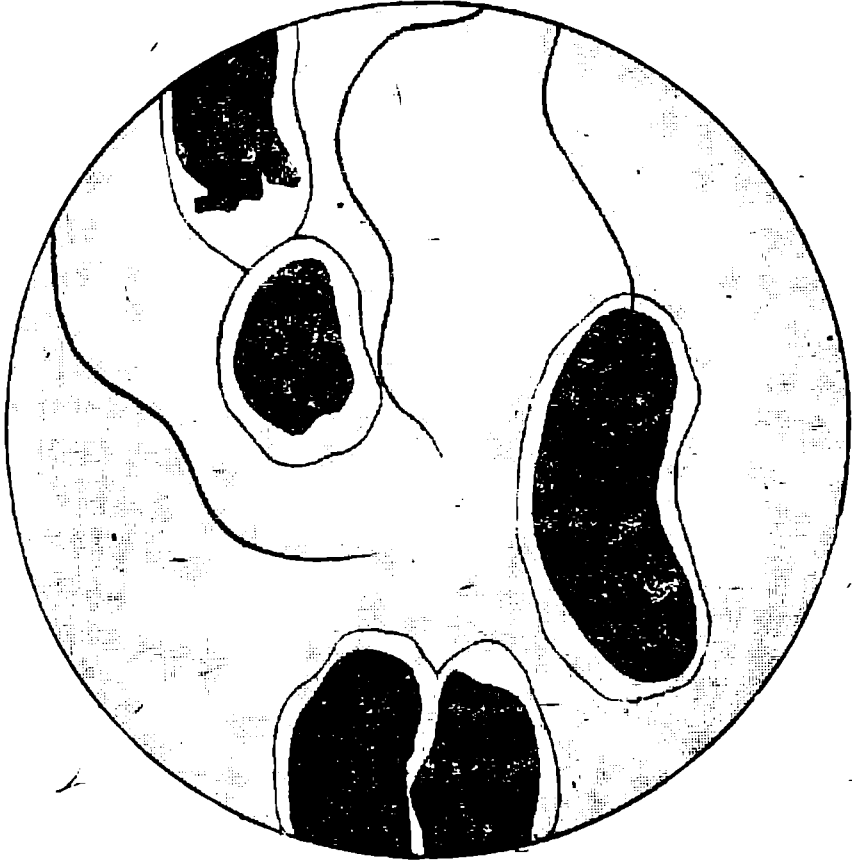
## عن الكوليرا

﴿ تعريف المرض ﴾ — إسهال تسمي يعقبه جناف .

﴿ تاريخه ﴾ — يرجع إلى أقدم العصور . نقله المستكشفون الانكليز والفرنسيون والهولنديون والبرتغاليون الى العالم الغربي في القرن السادس عشر . واستمر وباء سنة ١٨١٧ من سنوات . ووباء ١٨٢٦ إحدى عشر عاماً . وأول من طالج المرضى بالهلول الملحي الدكتور لانا تام ١٨٣٢ . وأول من عرف علاقة انتشار المرض بمياه الشرب الدكتور جون سنو من بر شارع برود بلندن عام ١٨٤٨ . وأول من اكتشف ضمات الكوليرا الدكتور كوخ بمصر عام ١٨٨٣ . ومارسه بنسكوفر وجاول تكذيبه بأن شرب سائلابه مزرعة الضمات الكوليرا فأصيب بإسهال خفيف هو في الحقيقة كوليرا بسيطة واسكن لم تعتبر الإصابة كوليرا وقتئذ . وكرر امريخ نفس العملية محاولاً تنفيذ مزامم كوخ فأصيب بالمرض ونجا بالعجوبة . وأول من مسم طعم الكوليرا للوقاية هو ( فران ) بأسبانيا عام ١٨٨٥ . وأول من استعمل الهلول الملحي المضعف في العلاج هو ( روجرز ) عام ١٩٠٨ وإليه أيضاً يرجع فضل استعمال النقل النوعي للدم دليلاً على كمية السائل الواجب إعطائه للمريض . وفي سنة ١٩١١ لوحظ بالولايات المتحدة أن كل سفينة قادمة من جنوب أوروبا كانت موبوءة بالكوليرا . وقد حصلت إصابات بالو ائى الأمريكية واسكنها أخذت حيث هبتت نيرانها

﴿ الميكروب ﴾ — ضمات الكوليرا من فرع الحلزونات وأوفق درجة حرارة لنموها وتكاثرها هي ٣٧ مئوية . وضمات الكوليرا لا تتأثر بمركبات السلطا ولا بالبنسولين وهي تختلف في تأثرها بالاستربتوميسين وتبقى الضمات خيصة على الفواكه والخضروات الرطبة لمدة

تتراوح ما بين ٤ و ٧ أيام . وعلى الملابس الرطبة لمدة خمسة أيام . ويقال إنها تعيش مدة طويلة في مياه البحار المالحة .



### ضمة الكوليرا مكبرة بالمجهر الكهربى

وتشاهد الضمة مكونة من جسم قائم داخلي « سيتوبلازم »  
وجدار خارجي شفاف وذنب ( هو جزء من السيتوبلازم )

والضمات تحت المجهر الكهربى تظهر بحجم ٥ و ٤ مم الواحدة مكونة من غشاء خارجي  
هشّاف وجسم داخلي معتم وينتهي بذنب يخترق الغشاء الخارجى وقد يبلغ طوله العشرة  
مئتمرات أو أكثر .

﴿تنوع الضمات﴾ - هناك أنواع كثيرة أشهرها ثلاثة ممساةً بأسماء ثلاثة أطباء  
بإثنين م (أنايا) و (أجاوا) و (هيكوجيا) ولا يبعد أن تفقد الضمات خاصيتها المرضية  
بمرورها بأسماء أشخاص محصنين طبيعياً، وحيث تمسكت مدداً طويلة نسترد بعدها خاصيتها  
المرضية إذا ما توفرت ظروفها .

﴿سم الضمات﴾ - حيثما كان منشأه، فله خاصة امتصاص السوائل من جدر الأمعاء .  
وتختلف الضمات في شدة ممها أو عدمه .

﴿الحصانة﴾ - تختلف باختلاف الضمات وحالة غشاء الجهاز الهضمي وحموضة العصارة  
المعدية وعوامل أخرى فامضة ، والإصابة الواحدة تكسب مناعة نسبية لأقل من سنة .  
والطعم بالضمات الميته يكسب حصانة لمدة أقل .

﴿وبائية المرض﴾ - تحصل الإصابة بالمأكل والمشرب عن طريق مريض أو حامل  
المرض . والوقاية من هذا المرض أسهل بكثير منها في غيره . وربما كان الجهل والفقر وتكاثف  
السكان من أهم عوامل انتشار المرض . ومن ثم كان تحسين الحالة الاجتماعية وتلقيح مياه  
الشرب ومرافقة الأغذية وإيجاد المجاري العامة وإبادة الدباب كلها وسائل كفيلة لمنع المرض .  
وعلى ذلك فنح الكوليرا مسألة اقتصادية أكثر منها طبية :

ولا تظهر الكوليرا بشكل وبائي دائماً . فهناك حالات فردية كثيرة . وهذه الأخيرة  
هي سر استمرار المرض . وحامل المرض خطر كفريسته . وأبوثة نصف الكرة الشمالي  
تحصل مادة في الفترة بين يونيه واكتوبر . وللرطوبة دخل في ذلك . كما أن الجفاف وشح  
المياه دخل آخر غير مباشر لسهولة تلويث المياه القليلة الموجودة . وتصل نسبة الاصابات  
الى ٢٠٪ أحياناً بين السكان . وقد يزيد عن ذلك .

﴿منشأ الوباء﴾ - لازال هذا الموضوع غامضاً . ولا بد من أن تكون هناك وسيلة  
أدمية تصل الأبوثة ببعضها . فقد يكون ذلك عن طريق حامل المرض أو تكاثر الضمات بشكل  
غير معروف وفي بيئة غير معروفة أو انتقال المرض بشكل خفيف غير واضح من شخص  
الى آخر .



وربما يكون تلوث البرك والمستنقعات والترع البطيئة أخطر عامل في نشر المرض الذي يظهر وقتئذٍ في شكل فجائي ولمدة قصيرة . وطبيعي أنه بمجرد انتشار الوباء أصبحت كل منطقة بلغمها المرض بؤرة جديدة . وتلوث المياه في هذه الحالة يكون بالتبرؤ بواسطة المريض أو حامل المكروب أو غسيل ثيابهما أو استحمامهما . وقد تستمر الضمات حية في البراز أو المياه عدّة أشهر . والاستحمام في المياه الملوثة عامل آخر في نقل المرض .

وهناك وسائل أخرى في نقل الوباء كالبلح في وباء العام الماضي بالقطر المصري والذباب والحشرات كما حصل في وباء الصين عام ١٩٤٥ ووباء هذا القطر أيضاً . كما أن هناك عوامل أخرى كفعل الخضروات والأطعمة والأواني في مياه ملوثة وأكل الخضروات النيئة المسمدة بمواد ملوثة بالكوليرا وتعيش ضمات الكوليرا أسابيع بل أشهر على الأغذية الرطبة أما الآربة فلا أهمية لها في نشر الوباء . والمصافحة وما عليها عامل آخر في نشر الوباء .

وإذا كان الإنسان وسيلة انتشار المرض الوحيدة فلا بد وأن الضمات تتخذ لها وكرّاً في أمعائه أو مجاريه الصفراوية . والغريب أن شخص براز هؤلاء في فترة خلو المنطقة من الوباء قلما يظهر نتيجة إيجابية . ولا يزال قيد البحث موضوع علاقات الضمات المرضية والضمات الطفيلية . أما أثناء الوباء فنسبة حامل المرض قد تصل الى ٢٠٪ بين المخالطين . وقد توجد الضمات في براز المرضى لمدة ٤٤ يوماً . وإن كانت الغالبية ( ٩٧٪ ) تصبح خالية من الضمات بعد مضي شهر . وقد انعدمت الضمات في براز المرضى الصينيين عام ١٩٤٥ بعد العشرة أيام إلا نادراً . وطبيعي أن لدقة الفحص ووسائل البحث وتمحيص نوع الضمات دخل كبير في قيمة النتيجة .

\* \* \*

والثابت أن حامل المرض السليم والنافع والمصاب إصابة خفيفة عابرة أخطر وسائل انتقال المرض من المرضى أنفسهم . وقد بلغت نسبة من أصيب بطريق حامل المرض في نابلي عام ١٩١١ حوالي ٩٠٪ وحامل المرض أهم وسيلة لنقل المرض بعيداً عن بيئته . ولا يبعد أن تكون الإصابة بالسفتراريا أو التلبك المعوي أو الاسراف في شرب الكحول أو تناول المسهل سبباً حافزاً لظهور المرض في بعض حامله .

﴿ مواطن الكوليرا ﴾ - الهند . اندونيسيا . اليابان وأكرانيا . أما في الهند فتتراوح الوفيات السنوية من هذا المرض بين ١٠٠ الف و ٣٠٠ الف نسمة . ومع ذلك فهناك حالات كثيرة لم تدخل ضمن ذلك بسبب عدم التبليغ عنها . وفي عام ١٩٤٣ . حصل وباء كوليرا في فرموزه بسبب رداءة الحالة الصحية نتيجة للحرب . وفي عام ١٩٤٥ ظهر الوباء بقعة في الصين . وفي عام ١٩٤٣ أصيب الجيش الألماني بالوباء في اكرانيا .

﴿ التغيرات المرضية ﴾ جفاف وزرقة مع تجمع الجلد وغور المقلتين والعدقين والتواء الأطراف . ويمتاز هذا المرض بقلة تغيراته المرضية لأنه كما وصفناه اسهال تسمي مع جفاف . أما الدم فقام لرج . وأما الامعاء الدقاق فمحتقة أو متقرحة أحياناً ونحوي البراز الكوي ليري وقد نصاب الحويصلة الصفراوية أيضاً . ويحتقن الكبد وقد تنضخ غدة النيموس وتتحلل بعض الغدد فوق الكليتين وقد تحتقن أو تتهب الرئتان . أما الكليتان فتتعدد أوعيتهما الشعرية ولكن التغيرات فيهما لا تقتاسب مع خطورة هبوطهما .

﴿ عوامل الإصابة ﴾ - لا يصاب بالمرض كل من تعاطى ضماته في الطعام أو الشراب . وربما كانت أهم موانع الإصابة حموضة العصارة المعدية وسلامة الامعاء ووجود حصانة طبيعية . وقد سبق أن ذكرنا مميزات الإصابة ولا يبعد أن يضاف إليها نقص الفيتامينات وعدم أكل اللحوم . ولما كان تكاثر الضمات واختفاؤها في الامعاء سريعاً وقصيراً فن المتعذر نسبة الاختفاء المفجائي الى تكوين حصانة دموية . ولما كان بقاء الضمات بالامعاء قصير المدة ، فن الراجع جداً أن تكون أعراض المرض ناجمة من إفرازات سامية من الضمات . والواقع ان اعراض الكوليرا كثيرة الغلبة بتسمم معوي حاد . ولما كان المرض قليل الحمى أو عديمها وكان البراز لا يحوي عادة دمماً أو صديداً كما أن المريض لا يشكو عادة زحاراً أو مغصاً فان التهاب الامعاء لا بد وان يستبعد كسبب من أسباب أعراض المرض . والاحتفاظ بالذاكرة وسرعة الشفاء دليلان على عدم وجود تسمم عام . أما كيف تمتلئ المعدة بالسائل فقد يكون بطريق التفرغ العكسي للامعاء . وأغرب من هذا وذاك عدم العثور على ضمات المرض في براز وفي بعض الحالات الشديدة . ووجودها بكثرة في بعض الحالات البسيطة . ومن اليسير تفسير أعراض المرض بقعة السائل وضباب المعادن كالكلورين والهوديوم والجير .

فتقلصات العضلات مثلاً نتيجة الجفاف وقلة الكلورين . أما الصدمة فتكون نتيجة قلة افراز الادرنالين أو وجود المستامين أو حساسية خاصة .

\* \* \*

﴿ الاعراض ﴾ احتفظ مرض الكوليرا بأعراضه مئآت السنين . فلا تغيير فيها ولا تبديل . وتختلف حدة الاصابة وخفتها بتعداد الضربات التي تناولها المريض ونوع هذه الضربات ومن المريض وكيفية العناية به . ولم يثبت للآن أثر السم الداخلي في احداث الجفاف واستنزاف المعادن ورفع الحموضة الدموية . ودور التفريخ حوالي ثلاثة أيام .

وقسمت الاصابات بحسب شدتها الى خفيفة وشديدة . ويبدأ المرض فجأة بقيء واسهال وقد تبلغ كمية القيء والاسهال ثمانية اترات أو ما يعادل حجم الدم كله . وهذا الفقد يحل افراز البول مستحيلاً . واستنزاف الكلورين يقلص العضلات بالاطراف والجدار البطني فينشأ الألم الشديد . وطبيعي أن يفقد الظمأ الذي لا يطفئه الشراب لأن هذا الأخير سراما ما يتقابلاً . ويلزم المريض فواق ويمتقع لونه أو يزرق . وبذهب ميمه ويصيب أذنيه الطنين . ويخفت صوته أو يختفي . ويظهر بالمساحة احتكاك البلورا وغشاء القلب الخارجي ولقد يوضح البرقان مع انحطاط وخمول . وتنكس الاجزاء الرخوة بالجسم فتغور المقلتان والشدقان . ولا يصحب هذا المرض ارتفاع في الحرارة إلا قليلاً بل قد تنخفض الحرارة عن الحد الطبيعي . ثم تظهر أعراض الصدمة المصحوبة بهبوط في دورة الدم الطرفية فيسرع النبض ويضعف ويختفي كما يهبط الضغط الدموي فيتعذر قياسه . ثم يغشى المريض غيبوبة تنتهي في الحالات الشديدة بالوفاة نتيجة لزيادة الحموضة الدموية والتسمم البولي . وقد يظهر طفح أرتياوي وحى هديدة وتقلصات . أما الحالات التي تنتهي بالشفاء فطبيعي ان تبدأ في التحسن من حيث القيء والاسهال ونوع البراز والنبض والضغط الدموي وكمية البول وذلك بسرعة مذهلة .

ويقال ان هناك حالات خطيرة يموت فيها المريض فجأة قبل ظهور الاعراض . كما أن هناك حالات خفيفة قد لا يشعر فيها المريض بشيء غير عادي أو بوعكة خفيفة كاسهال

بسيط. ولا شك أنه كلما أسرع في إعطاء الجسم سوائل نظير ما فقده إياها، كلما كان الشفاء مضموناً وسريعاً. وحينئذ يكون التحسن شاملاً كل نواحي الأمراض السابقة. وارتفاع الحرارة عقب إعطاء السوائل نتيجة عادية لعدم نقاوتها.

﴿ المضاعفات والمضاعفات ﴾ — قليلة وهي التهاب الرئوي والتكبي والقرني والغنغرينا والأنحطاط العصبي وقلة الفيتامينات والسدة الدموية والاجهاض.

ومن خواص الكوليرا البراز المشبه حادراً يغلي الأرض ذو الرائحة الزلالية والحاوي للضما المرضية. وفقد سوائل الجسم يحدث لزوجة في الدم وما يصحبها من زيادة كرياتة الحمر والبض. فقد يصل تعداد الأولى إلى ثمانية ملايين والثانية إلى ثلاثين ألفاً. ويرتفع قل الدم النوعي من ١٠٥٦ إلى ١٠٧٠ وقد بلغ في وباء الصين الأخير ١٠٧٦. ويرتفع دلائل الحموضة الدموية إلى حوالي ٧٠٧ وكمية البيكربونات إلى ٨٢ ويوجد الزلال في البول.

﴿ الانذار ﴾ — تتراوح مدة الكوليرا من ثلاثة إلى خمسة أيام. وتختلف نسبة الوفيات تبعاً للأسعاف والعلاج. فقد بلغت في الصين أخيراً (تفونكنج) ٥٠٪ بينما هي في غيرها ٧٠٪.

وما أكثر الحالات البسيطة التي تحصل أثناء الوباء وتمر مستترة. وكل ما يقال عن وفيات هذا المرض أنها يجب أن لا تزيد عن ٥٪ لأن الكوليرا أخف وطأة بكثير من التيفودية مثلاً. وطبيعي أن تغلب الوفاة في الضعفاء والجائعين والشيخوخ والحوامل وفي حالات افتتان هذا الوباء بمرض آخر. ويقال أن التطعيم لا تأثير له على سير المرض. أما الوفيات فيقتسمها المهبوط والتسمم البولي.

\* \* \*

﴿ تشخيص المرض ﴾ — سهل من أعراضه الفريدة المذكورة. وربما كان التسمم الغذائي أكثر الحالات اختلاطاً به. يلي ذلك التسمم المعدني والدستاريا والمالاريا وبعض الطفيليات المعوية وضربة الشمس. ومع ذلك فإن مجرد أخذ عينات البراز وخصها كافٍ لاثبات الكوليرا. ويعمل ذلك بأنابيب زجاجية صغيرة منقوبة نهايتها تدخل في المستقيم

وترسل الى المعمل حيث تفحص العينة بالمجهر . وتعمل منها المزارع وخبرات التجميع وتحرر السكر واذا به كريات الدم الحمر للدمز وغير ذلك . ومن هنا يتبين أن التشخيص في هذا المرض يكاد لا يحتاج إلى عناء كبير من جهة الطبيب المعالج

\* \* \*

﴿ العلاج ﴾ - وما يقال عن التشخيص يقال أيضاً عن العلاج . فهذا الأخير يتركز في المبادرة لتعويض الجسم ما فقد من سوائل . لكن هذا لا يستبعد الفحص الطبي والاعتماد الدائمي والفحص البولي والضغط الدموي والنقل النوعي للدم وخمس أمثلة زاجبة من البراز وقياس الحرارة وكية البراز والقيء والبول وحوضة الدم وامتزاج نائي أكسيد الكربون الخ .

أمّا إعطاء السوائل فمن طريق الوريد أو في نخاع عظامي الفص أو القصبية . وذلك في درجة ٣٧ مئوية وبكميات تتراوح بين لتر ولترين بحيث لا تزيد الكمية المعطاة عن ١٠٠ سم في الدقيقة الواحدة . ويعطى محلول بيكر بونات الصوديوم ٢ ٪ بكمية ٣٠٠ سم في أول العلاج . وكلما ظهرت على المريض أعراض الهبوط أو زيادة حوضة الدم . وقد نعل كمية السوائل المعطاة الى ١٤ لتراً في اليوم الأول . ويستمر في تعويض . يفقده الجسم من سوائل بهذه الطريقة مدة يومين أو ثلاثة .

\* \* \*

وقياس نقل الدم النوعي دليل هام على كمية ما يجب أن يتعاطاه المريض من سائل ملحي . وإذا تم ذلك فلا أقل من الاستعانة بالحالة الاكلينيكية والضغط الدموي وتمدد النبض وكيان الدم وإفراز البول . ويلاحظ أن النقل النوعي للدم في الأوربي ١٠٥٨ وفي الشرقي ١٠٥٦ وإن ارتفاع النقل النوعي الى ١٠٦٣ يبرر إعطاء ما لا يزيد عن ٣ لترات من السوائل لإرجاع الحالة إلى أصلها وإن هبوط الضغط يستولي الى ٧٠ علامة خطيرة جداً وإن تكرار إعطاء الحقن الملحية يجب استمراره . مادامت الحالة تبرره . والامراف في اعطاء السوائل له خطره كسرعة ضربات القلب والتهيج وانقباض النفس والسعال والارشاح . ويضيف البعض سكر الفا كية الى المحلول بنسبة ٥ ٪ بحيث لا يزيد

الكمية المعطاة يومياً عن ٤٠٠ جرام . كما يضيف من كلوريد الصوديوم ١ مايعجرام لكل ٢٥ جرام سكر طاكهة .

ولا بد لنا أن نذكر القارئ بهذه المناسبة أن بلازما الدم الطبيعية عند الإنسان تحوي في كل ١٠٠ سم ٣ ما يأتي بالمليجرام .

صوديوم ٣٢٨ وكالورين ٣٦٠ وبوتاسيوم ١٥ وجير ١٠ وماجنيزيوم ٢٤ وفوسفات غير عضوي ٧ وإن فلويد الدم ٣ و ٧

والغريب أن هذه النسبة فيما يختص بالصوديوم والبوتاسيوم والجير ثابتة في كل الحيوانات الفقارية بل وفي مصد الأملاك والضفادع وذوات الثديين . وإن هذه النسبة توجد أيضاً في مياه البحار مما عزز الرأي من أن أصل كل هذه الحيوانات إنما يرجع إلى تلك المياه .

ولا شك أن إعطاء المصابين فوق الملحية ( ٢ ٪ / كلوريد الصوديوم ) بدلاً من المحاليل العادية ١ ٪ في مرض الكوليرا أفضل بكثير عند حصول المبعوط . ذلك المبعوط الذي يحصل مادة من استنزاف المياه .

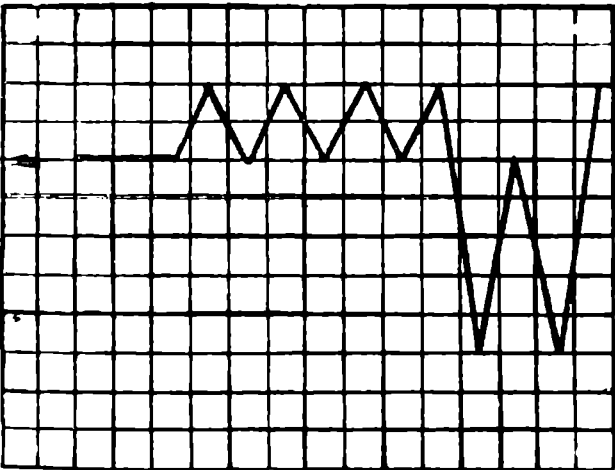
وبلاحظ أيضاً أن الإفراط في إعطاء المحاليل الملحية بالوريد له خطره من حيث أحداث الصدمات وأعراض تسمية .

واستنزاف الكلورين بطريق كلوريد الصوديوم في براز وفي المصابين بالكوليرا اسبب هام في تقلصات العضلات . الأمر الذي يعاهد أحياناً في أصحاب المهن المعرضين لكثرة العرق كعمال المناجم والوقادين . وفي هذه الحالات تمنع تقلصات العضلات البطنية بتناول محلول الملح المعتاد بطريق الفم .

ويعتبر الكوليرا أوضح مثال لتأثير استنزاف الماء وكلوريد الصوديوم بطريق القناة الهضمية أو بهارة أخرى للجفاف الناتج من الاسهال . وربما يرجع الفضل في إعطاء المحلول فوق الملحي ( ٢ ٪ ) بطريق الوريد أو البرتوانه عن المحلول الملحي المعتاد ( ١ ٪ ) إلى أن كمية كلوريد الصوديوم التي يفقدها الجسم في هذا المرض أكثر نسبياً من كمية الماء . ملاحظات عن طرق العلاج — أرى أن تكون ورقة الملاحظة لكل مريض

تتفق مع طبيعة المرض . وذلك بأن تكون على النمط التالي :

البيول بالتر	كمية السائل المعلق بالتر	كمية النبي بالتر	كمية البراز بالتر	المزرعة	نتيجة فحص البراز	نوع البراز	المسودة	تاريخ المرض
٠٢٥٠	١٢٠٠٠	٤٥٥٠٠	٢٥٥٠٠	+	ضخات	مغلي الارز	٣٥	٤٧/٨/٦
٠٧٥٠	٥٠٠٠	٢٠٠٠	٠٧٥٠	+	"	"	٣٦	٤٧/٨/٧
١٠٠٠	٣٠٠٠	—	١٥٥٠	+	"	أصفر سائل	٣٧	٤٧/٨/٨
٠٥٥٠	٢٥٥٠	—	٠٧٥٠	—	لا ضخات	"	٣٨	٤٧/٨/٩
١٢٠٠	٣٠٠٠	—	٠٣٥٠	—	"	"	٣٩	٤٧/٨/١٠
١٢٥٠	—	—	٠٤٥٠	—	"	نصف سائل	٤٠	٤٧/٨/١١
١٢٥٠	—	—	٠٣٥٠	—	"	متكون	٤١	٤٧/٨/١٢
١٢٥٠	—	—	٠٣٥٠	—	"	متكون	٤١	٤٧/٨/١٣



فإن استعمال مثل هذه المعاهدات يتطلب من الممرضة استيفاء كل الملاحظات الضرورية كما يسهل على الطبيب تتبع سير الحالة وطريقة علاجها وكما يساعد بمعدن في حمل الاحصائيات والتقارير النهائية للوباء . ولم يدرج بالجدول البيانات الأخرى العادية كإسم وعنوان المريض وحالات الأعضاء والاعراض المرضية الخ مما هو مدون عادة عليها .

وبدعي أن حالات الكوليرا واجب عزلها وتطهير كل ما يتلوّث بها من أقمشة أو أوان أو براز أو قيء . وحلول <sup>١</sup> من السليمانى كافٍ لتطهير البراز والقيء .

﴿ سرير المريض ﴾ — يتطلب هذا المرض المضطرب بقاء وإصحاح شديدين في الأيام الأولى القليلة التفكير في سرير يتفق مع حالة المرض . فالمرير الاعتيادي لا يصلح لهذه الحالات في شدتها إنما يصلح بعد زوال الهدوء ولذا فالمرير العنجريب المفتوح من الوسط أمام الشرج والمُلَّة الخشب المقعرة ( من خشب الأبلالاش ) المفتوحة من الوسط أمام فتحة الشرج وكذا الملة المصنوعة من قماش ( كاتفاس ) المفتوحة أمام الشرج أيضاً : كل هذه الأنواع من الملل إذا وضعت على قوائم خشبية منفصلة يمكن وضع المريض عليها لمدة ٤٨ ساعة بسهولة . فإذا ما وضع إناء أخف فتحة الشرج وثبت إناء آخر بجانب الوحادة وفرد ذلك غناء كثيراً على المريض والمريض في آن واحد . وإذا كان لكل من الإناءين بدان يقبض عليهما بمقبض حديدي يرفعان به ويفرغان في إناء كبير يركب على عجل متحركين الأسرة ، أمكن القيام بعملية تفريغ البراز والقيء بين عدد كبير من المرضى في وقت قصير . هذه الطريقة تذل الصعاب وتوفر الأيدي العاملة وتضمن الأتقان والعمرى .

\* \* \*

﴿ إبادة الذباب والحشرات ﴾ — أما أن الذباب حامل هام في نقل الكوليرا فلا جدال فيه ولذلك يجب إبادته . ولكن هناك عوامل أخرى غيره هي الحشرات كالقمل والبق والصراصير بل والحيتوانات الأخرى كالغيران . أما القمل والبق فعاملان هامان لنقل الكوليرا من طريق قيء مريض إلى السليم . وأما الصراصير والغيران فعامل هام في نقل المرض من المجاري الملوثة إلى الطعام والشراب . ولذلك وجبت إبادتها تماماً بهمة لا تقل عن همة إبادة الذباب



كل بحسب طبيعته . ويهجع إعطاء الماء بالنعم إذا أمكن مع إضافة بعض برمانجات الجير الى أن يتلوّن قليلاً . ويعالج المهبوط بالدفء والهياج بالمسكنات وكثرة التقيء بالكاولين والأزوبين والتقلصات المؤلمة بالمورفين أو ما شابهه ويعالج عدم إفراز البول بالمحلول الملحي فوق القلوي ( ١٥٠ جرام بيكربونات الصودا الى نصف لتر محلول ملحي مادي )

وبعد تعويض السوائل والمعادن التي فقدتها الجسم تصبح العقاقير الأخرى فلية القيمة فلا المقويات القلبية ضرورية إلا إذا كان القلب مريضاً أصلاً ، ولا المسهلات ولا الحقن الشرجية ولا المطهرات المعوية ولا العقاقير القابضة ولا الأفيون ومركباته ولا المصل المضاد بل ولا البكتريوفاج ذات قيمة علاجية تذكر . وما يقال عن هذه الأمور يقال أيضاً عن البنسلين ومركبات السلما وإن كان بعضهم أشاد بالآخيرة إلا أنه لم يعاظره الكثير للآن الرأي . فشورا مدح السلما جوانيدين وغيره السلما ديازين وثالثهم الاستربتوميسين ولكن كل هذه الادعاءات لا تزال في حاجة الى تأييد قوي . ومم المرض قتال للأجنة . وعليه فتجب المبادرة بالإجهاض حالما يتضح موت الجنين . والمعروف أن الفناء حتى في الحالات غير المعالجة يحصل بسرعة تسترعي النظر . ويهتبط قبل إخراج المريض من المنزل خلو برازه من الضمات

﴿ مقاومة الوباء ﴾ حيثما كان يتطلب الامراع والحزم والشدّة . وربما كانت أهم وسيلة للأشراف على سير الوباء افهام الجمهور حقائق المرض . فالعزل اجباري . لكن هذا يتطلب موظفين مدربين تدريباً كافياً بحيث يؤدون عملهم على الوجه الأكمل في هدوء ونظام وإتقان . فالعميل الارتجالي خطر أيما خطر . وهؤلاء المعاونا يؤمنهم مراقبة المرضى والحالات المشتبهة والمخالطين وحاملي المرض وكل شخص في منطقة موبوءة . يرغب الانتقال أو السفر مشياً أو بالقطار أو بالسفينة أو بالطائرة أو غير ذلك يتحتم عزله لمدة اسبوع وغض برازه . وتتخذ مثل هذه الاجراءات في كل جهة يصل اليها امثال هؤلاء . ولا تزال قيمة التطعيم العام في مقاومة الكوليرا موضوع خلاف . ويجب مراقبة كل من يحضر طعاماً أو ينقل ماء أو يبيع غذاء مراقبة فعالة . ويجب تيسير مياه الشرب النقية في كل منطقة موبوءة .

وأفضل طريقة لتعقيم المياه غليها . اما اضافة الكولورين اليها فمألة فنية فنية وفي كل

منطقة تصاب بالكوليرا تخلى المستشفيات مهما كان نوعها وتخصص معازل وكل مبنى عام كالأسواق ودور الخيالة والملاعب وغيرها تحول بسرعة الى معازل . ويشترط في كل معزل وضع الشباك على منافذه وتخصص وسائل نقل المرضى اليه وتوفير الكتب والمضابط العلاجية وغيرها . ولا بد من تمرين خاص لكل من سيقوم بتمريض حالات الكوليرا قبل استلامه العمل . وتوفر وسائل الابحاث البكتريولوجية والكيمائية في كل منطقة وقدر بعضهم لكل ٧٢ مريضاً ست اطباء و ١٠ ممرضات وسكرتيرة مساعدتين .

الخرائط الصحية هي من اهم وسائل الطب الوقائي . اذ يتحتم على كل مفتش صحة مركز او بندران يحتفظ بخريطة للجهة التي يعمل فيها مبيناً عليها موارد المياه العامة والخاصة والترع والمصارف والمصليات والمراحيض العامة ومحال قضاء الحاجة واكوام السباح والدكاكين التي يتاجر اصحابها في المشروبات والمأكولات والمقاهي والمدارس والكتاتيب ومصانع الاطعمة والآبار ومعاصر القصب ومحال حليج الاقطان والمصانع ومحال غسيل الملابس والمستشفيات والمعازل والسلخانات والبرك والمستنقعات والحيوانات والزرائب ومحال الالبان وغيرها وبهذه الخرائط يمكن القبض على ناهية الحال بسرعة مدهشة .

عند ظهور اي مرض معدٍ ينتقل بالمأكول والمشرب والذباب، يهيمن مفتش الصحة ومعاونوه على وسائل نقل المرض دون خطأ او سهو بفضل هذه الخرائط . واذا لاحظنا ان بعض الاوبئة كالكوليرا تندلع نيرانها بسرعة هديدة وان هذه السرعة تتطلب من القائمين بالامر ارسال اطباء من جهات اخرى الى موضع الخطر لمكافحته ، أمكننا تقدير قيمة مثل هذه الخريطة اذا ما سلمت نسخة منها لكل طبيب خصوصاً ان معظم هؤلاء الاطباء لم يكونوا يعلمون شيئاً عن نواحي الخطر الصحي بالمنطقة التي يرسلون إليها .

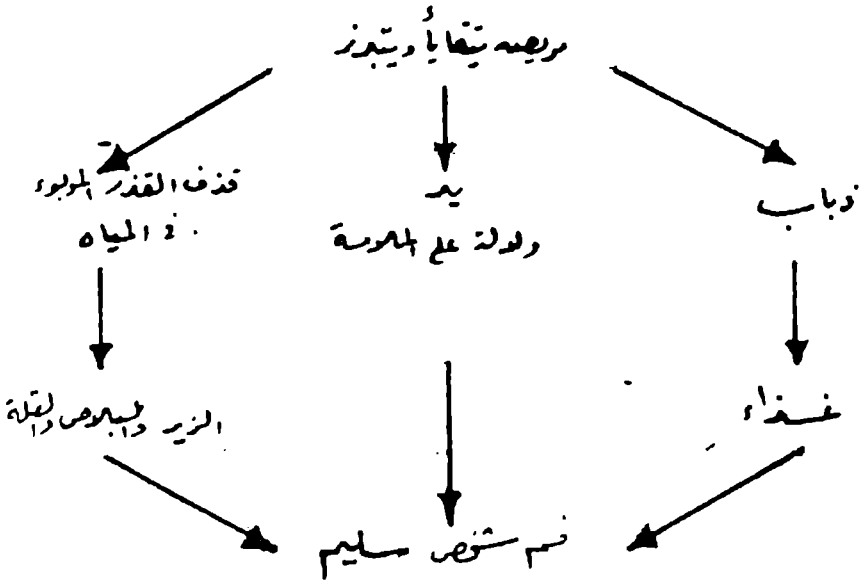
ويشترط ان تراجع هذه الخرائط كل ثلاثة اشهر في غير اوقات الوباء وكل اسبوعين وقت الوباء لادخال كل ما يستجد عليها وازالة كل ما انعدم وجوده حتى تكون مطابقة للوضع الراهن ما امكن

وتعمل عدة نسخ من هذه الخرائط وقت ظهور الوباء بسرعة فيحتفظ بنسخ منها في مكتب الصحة وفي تفتيش صحة المديرية وفي الوزارة وغيرها . بل وتوزع هذه الخرائط

على الأطباء وكبار الملاك ونظار المدارس ومكاتب الحكومة الموضعية للاستعانة بها والاشتراك في إطفاء تلك النيران الوهابية

ولما كانت الناحية التعليمية من أهم طرق الوقاية، فإن الاذاعة بالراديو والصحف السيارة والخطب العامة والارشاد بالمدارس والجامعات والمساجد— كل هذا له تأثير عظيم لا يستهان به . وكل هذه الوسائل تدور حول الصحة الشخصية كتنظافة الأيدي بعد التبرز وقبل تحضير الطعام أو تناوله وتناول الأغذية المطبوخة والساخنة والوقاية من الذباب وعدم الاكثار من الطعام والشراب وابتادة الحشرات وتجنب الرعب والذعر . ويستعان أيضاً على ذلك بالصور الرمزية في كل الاماكن العمومية وتعمل الصور الرمزية كالآتي وتعنون بعنوان :

### كيف تصاب بالكوليرا



ويكتب تحت كل وصيلة لنقل المرض طريقة منع انتقال المرض بها كأن يكتب تحت صورة المريض الذي يتبرز ويتقيأ عبارة (يجب أن يكون التبرز والتيء في اناء خاص ولا يطهر التيء والبراز بمحلول السليمانى المخفف بنسبة ١:١٠٠ وان يقذف في المجاري العمومية ويعنم من تساقط الذباب عليه) . وان يكتب تحت عبارة الملاممة ( يجب غسل الأيدي

جيداً بعد قضاء الحاجة مرتين بالصابون ودرة ثالثة قبل تناول الطعام) وهكذا مما هو معروف لدى الأطباء .

﴿وقاية القطر من الوباء﴾ إذا أصيب القطر بالكوليرا أو كان مهدداً به ، فإن أهم الجهود يجب أن يوجه الى عزل المريض ومعرفة حامله وعزلهم والى تعليم الجمهور أصول الصحة الشخصية والصحة العامة وإيجاد موارد مياه عامة نقية ومجارٍ محكمة وإبادة الذباب والقمل والبق والبراغيث والصراصير والفيران والخنافس والاشراف على توزيع الطعام وابعاده ومقدميه وطاهيه . كل ذلك يستدعي رفع المستوى الاقتصادي . وعليه فإن وقاية القطر من الكوليرا هي أولاً وآخرها مسألة اقتصادية أكثر منها طبية .

وغلي الماء ووضع الخبز فوق النار قبل تناوله والحفاظة على الطعام من وصول الحشرات والذباب اليه ومقاومة الذباب أصبحت الآن سهلة باستعمال مركب د. د. ت. بطريق الرش . أودهان الحيطان وعلى الأخص بدورات المياه ومواضع القمامات . ورش المواد البرازية المكشوفة بمادة د. د. ت. يفيد كثيراً في منع سقوط الذباب عليها أو تولده بها .

﴿السلخانات﴾ هذه ناحية هامة في نقل المرض . فإن سلخانات القطر يؤر لتوالد الذباب كما أن عربات نقل اللحوم لا تراعى فيها الشروط الصحية حالياً . مع أنه موضوع لما اشتراطات ورسم تحفظ اللحوم من تساقط الذباب والقاذورات عليها . وطبيعي أن كل من يباشر عملية الذبح ونظافة الجثث الحيوانية يجب أن لا يكون حاملاً لاضمات الكوليرا . هذا فيما يتعلق بالسلخانات الحقيقية . ولكن هناك نوع آخر معروف بين العامة «بالسلخانات» وهو تعبير مجازي علمته من بعض القوم يقصد به مكان طلاء صبارات النقل والركوب في المناطق الموبوءة — فإذا ما دخلت السيارة وتأكد أولو الأمر من نصاريح ركابها وصائقها الخ . تفرغ حولتها من بضائع وآدميين ثم تنجبه الى جراج أو مكان خاص تطل فيه طلاء مقارياً تماماً لطلائها وقت دخولها وذلك في بضع ساعات وتخرج على الأثر من القرية أو المدينة بشكل لا يتبادر الى ذهن المراقب إنها هي التي مرت عليه منذ مدة قصيرة . ويقال إن هذا التغيير في الشكل يسهل جداً خروجها وقد أطلق العامة على مثل هذا المكان اسم «السلخانة» . وهذه فكرة شيطانية يحسن الانتباه اليها .

﴿التطعيم﴾ — أما فائدة الطعم فلا تزال موضع جدال بين النقاد . ويكاد يكون الإجماع معقوداً على أن التطعيم ضد الكوليرا يقلل من الإصابة بالمرض . وقد غالى بعضهم فقال إن النسبة بين المصابين من المطعمين إلى نظيرتها من غير المطعمين هي كنسبة ١ إلى ١٣ . وقدّر البعض أن الحصانة تكتسب بعد الحقن بثلاثة أيام وتندوم خمسة أشهر . أما إذا ما حصلت إصابة بالمرض بين المطعمين فإنّ هدها لا تقل عنها في غير المطعمين وهذا سبب هام في عدم الارتكان كلية على التطعيم لمنع حصول وباء الكوليرا بل هناك ناحية نفسية هامة فإنّ التطعيم يحدث في نفس بعض الناس اعتقاداً بأنهم لا يصابون بالمرض فلا يحافظون على أنفسهم من المرض فيصابون به ومع كلّ فإنّ قوانين الحجر الصحي تعلق أهمية على التطعيم .

ويفضل الطعم المصنوع من ضمات الوباء المنتشر ويعطى بكمية نصف سم ٣ ثم ١ سم ٣ بعد سبعة أيام ويكرر الطعم بعد مضي مدّة اقتراب بين ثلاثة وستة أشهر . وحينئذ يمكن بحقنة واحدة مقدارها ١ سم ٣ . على أن أهمّ النواحي التي يجب على الفرد الاهتمام بها هي أن لا يشرب أو يأكل شيئاً وقت الوباء قبل أن يكون مغلياً أو مطبوخاً بعيداً على سقوط الحشرات والذباب . وأن لا يحضر طعام ولا يطهى إلاّ بعد غسل الأيدي جيداً ولا تؤكل الخضروات الطازجة كالخس والخيار بل ولا الحار إلاّ بعد طهيها . وتغلى مياه الشرب وتسقط الفواكه الطازجة في ماء ساخن لمدة دقيقة .

وليلاحظ أن الاجتهاد الجسماني أو الإفراط في الطعام أو الشراب أو الكحول كل ذلك يساعد على الإصابات بالكوليرا . وكذلك المسهلات والإصابة بالأمراض المعدية الأخرى تهيب الشخص للإصابة . ويفترط في غذاء الشخص أن يكون كاملاً حتى يحتفظ الإنسان بمقاومته التامة .

﴿مصل الكوليرا وعلم الصحة﴾ ويجدر بنا قبل الفراغ من هذا الموضوع أن نوه بفضل الكوليرا على الطب الوقائي عامة وعلم الصحة بصفة خاصة فإن كثرة أو بئسته وعلى الأخص وباء عام ١٨٣٢ لما زار باريس لفت الأنظار لهذا العلم فقد خلف لنا ( هانريش هابن ) وصفاً للكوليرا بعاصمة فرنسا يعاق بالدهن ويؤثر في النفوس لدرجة بعيدة .

فقد قال انه حدث في ٢٩ مارس بينما كان الاهالي يرقصون بأوجه صناعية وإذا بأكثرهم رحاً يغمى عليه وتلاحظ عليه برودة الأطراف . فلما نزع الوجه الصناعي يوجد وجه أزرق اللون . عندئذٍ انقطع الضحك ووقف الرقص وفي مدة قصيرة كانت العربات تفحن بالمصابين إلى أوتيل دي في . ثم لما حصلت الوفيات بكثرة رؤي منعاً من احداث القدر التعجيل بدفنههم جماعات وسرطان ما امتلأت الاماكن العامة بمحيط الموتى الموضوعه في زكائب لعدم وجود أكفان وكانت الجنازات متصله بمحيط تكون خطاً واحداً . وبدأ الأغنياء يهربون من المدينة . وبلغ تعداد تصاريح السفر ١٢٠٠٠٠ تصريحاً أعطيت من ( أوتيل دي في ) لعدم وجود عربات نقل الموتى استعملت العربيه التي كان يوضع فيها المحكوم عليهم بالاعدام أثناء الثورة الفرنسية لارسالهم الى المقصلة . فكان ذلك عاملاً ثانياً لزيادة القدر إذ قرب الى أذهان العامة ذكريات تلك الثورة الخيفه وطاعون ميلان المارعب . في تلك الساعه الرهيبة وضع هـاين يده على موطن الضعف الذي هبأ المرض انتداده فاصدم بأصحاب الاعمال ثم انتصر . فابتدأ بإزالة القمامات من الدوارع التي كانت مورد رزق لكثير من العمال . ومن ثم بدأ الشك يتسرب الى الأذهان عن وجود تسمم خاف يسبب الكوليرا . واضطرت الحكومة أمام ضغط الجمهور وحمله الجرائد الى تأليف ( لجنة صحبة ) فوضعت هذه اللجنة أسس علم الصحة العام .

دكتور حسن كمال

### ﴿ المراجع ﴾

كتاب الحيات — للدكتور حسن كمال بك (١)

(2) Oxford System of Medicine Vol IV — H. Reiman

(3) Manson Bahr: Tropical Medicine

(4) Stitt's Tropical Medicine

(5) Roger's Fevers in the Tropics

(6) Applied Pharmacology — Clark

(7) Text Book of Medical Treatment — Dunlop, Davidson & Mac Nee.

(8) Garrison — History of Medicine



## • للهوام الكبيرة هَوامٌ صغيرة

تحلها فوق ظهورها فتلدغها ، وللهوام الصغيرة هَوام أصغر منها ،  
وهكذا دواليك إلى غير نهاية

الانسان غذاء لكثير من مواس الدم كالبراغيث والبق والقمل ، وكذلك حاجته  
وفضلات طعامه التي تقع من مائدته هي غذاء لكثير من الهوام ، بل لجيوش كثيرة المدد  
من الحشرات كالذباب المنزلي والحنافس والصراصير وعت الملائس .  
ولك ان تعرف ان في الافطار الشمالية ستة أنواع من البراغيث ، وثلاثة من القمل ،  
تفترس جسيم الانسان ، فما بالك بالنطاق المعتدلة ثم الحارة ! .  
على ان الناس يملكون كثيراً في طرد هذه الاعداء والقضاء عليها . فقد يوضح لنا التاريخ  
أن الحشرات الطفيلية إذ هي تنقل حمى التيفوس ومرض الطاعون من القار إلى الانسان ،  
قد أمكنها ان تقتل من أبنائه عدداً عجزت عن ان تفتك بمنزله أدوات القتل التي كشف  
الانسان عنها .

ولا شيء يمكن أن يرد عن الانسان فائدة هذه الهوام مثل النظافة ، ويأتي بعدها اهتمام  
السلطات الصحية بصحة الاهلين ، ثم من يمد هذين جهود العلماء واستنباط الكيمياء .  
لقد كشف البحث العلمي عن سر العدوى وانتقال المرض من البليل إلى السليم ، كما انه جلي  
سر الدورة الحويوية لكثير من الهوام والطفيليات . أما الكيمياء فقد زود الانسان بمدد  
وافر من القروورات والمفرات والمخدخات والمطهرات التي يمكنه بها أن يهاجمها ويبيدها ،  
إما بطريق مباشر ، وإما بتطهير البيوت والملابس والاجسام أحياناً من فتكتها .  
ان الملاحه الجوية قد زادت من خطر انتقال الهوام والامراض التي تنقلها . والسلطات  
الصحية في جميع البلدان الراقية مرقبة ترصدها لتحمي الاهلين وبلانها  
لقد أصبحت المتوجات الكيميائية المبيدة للحشرات من محاسن عصرنا الذي نعيش فيه  
بل من لوازمه . وان علم الانسان الآن ليوحى النسا بأن العناية بانقائها والكشف عن  
عواملها أخر أشد تفكاً بالهوام مما بين أيدينا ، من ضرورات المدينة الحديثة .

# حافظ وشوقي

صلى الحوادث عن الشاعرين

## أحداث

وفي اليوم الثاني عشر من شهر يولييه سنة ١٩٢٤ كان الزعيم « سعد زغلول » يتهياً للسفر الى إنجلترا ليتفاوض مع حكومتها ، وكان وقتذاك رئيساً للحكومة ، فتقدم منه في فناء عملة القاهرة هابٌ محبوب وأطلق عليه رصاصة ، ولكن عناية الله أحاطت بسعد فنجأ من هذا الاعتداء الأليم وكان جرحه يسيراً .

ولقد كان لهذا الحدث الخطير هزة استيلاء طامٍ في الشرق كما كان لنجاة الزعيم هزة فرح وإبهاج أنارت قرائح الكتّاب والشعراء . . . وقام الشاعران الكبيران الأذان رسداً فينارتيهما لتسجيل حوادث الشرق بهيميهما في هذا الحدث .

فأمّا حافظ فقد هبّ من رقدته الطويلة فنشر في اليوم التالي لأحداث سبعة أبيات من الغمر . ولكنها كانت كهبة للنائم إثر سهرٍ مُضْنٍ ، فهو يفتح عينيه في تناقلٍ وتراخٍ ويتحدث في تناوبٍ وتكاسل . وكذلك كانت أبياته عليها من أثر الجهد والإعياء ما عليها فهي هزيلةٌ شاحبةٌ منها لك ظلٌّ يردّد فيها الطهر الأول من البيت الأول ثلاث مرّات ، فهو يقول :

أحمدُ الله إذ صلت لمصرِ      قد رماها في قلبها من رماكا  
أحمدُ الله إذ صلت لمصرِ      ليس فيها ليوم جدّ سواكا  
أحمدُ الله إذ صلت لمصرِ      ووقاها بلطفه من وقاكا

ثمّ عاد بعد أيام الى نظم قصيدة في هذه المناسبة لتلقى في الحفلة التكريمية التي أقيمت بالاسكندرية في ٢٤ من يولييه من تلك السنة أبهاجاً بنجاة الزعيم وتوديعاً له عند سفره للمفاوضة بدأها بهذه الأبيات :



الغضب يدعو الله يا زغلول أن يستقل على يدك القليل  
 إن الذي أدرس الأنيم لقتله قد كان يحرسه لنا جبريل  
 أيموت سعد قبل أن نحياه ؟ خطب على أبناء مصر جليل  
 يا سعد إنك أنت أعظم عدو ذخرت لنا سطوها ونصول

عقل هذه الآيات المضغضة المتهافة التي لا نحس فيها حرارة ولا أثراً لاستنارة من  
 أحماق النفس بدأ حافظ قصيدته . ويبدو لنا أن حالة حافظ النفسية لم تكن في خير حالات  
 الاستجابة الشعرية إن لم يكن السكوت الطويل قد ترك أثره في قريحته فلم تنهض رغم  
 الاستنارة القوية التي دفعت الى هذا النظم فققد الشاعر كل تميزاته الأولى ، ولذلك جاءت  
 قصيدته الثانية قارة كقصيدته الأولى ، وغلبت عليه روح الدخابة المتأصلة في نفسه فأراد  
 أن يستثير إليه الأسماع بالنكتة حيث لم تنهيا له إثارة النفوس بالوثبة الشعرية والأبداع الفني  
 فهو يقول مخاطباً الزعيم ، متخذاً من لقبه مادة لخلق النكتة :

ولانت أمضى نبلة زمني بها فاقصد وأقصيد فالنبال قليل  
 النسر يطمع أن يصيد بأرضنا سنريه كيف يصيده (زغلول) ١

ثم يمضي على هذا النهج يعطي دروساً بدائية لزعيم سياامي أخذ أهنته لمفاوضة أمة  
 متمرس في السياسة والدهاء ... يعطي دروساً لزعيم عُرف بالدهاء والبقية ... تلك  
 الدروس التي قد يحس أنه وهو يلقيها على أسماع الناس في حفل عام لا يحتاج أكثر الحاضرين  
 فيه الى معاني بعيدة تكدر عقولهم قدر حاجتهم الى ألفاظ قريبة تنفذ الى نفوسهم دون كدر  
 ولا تفكير ، وهو الذي عرف نفسيات الجماهير واكتسب إعجابهم من هذه الناحية بالذات — ناحية  
 البساطة ، بينما كان في قصائده ، فيما مضى ، من القوة والحرارة ما يساغد على إثارة هذا  
 الإعجاب . ولن يرتفع شعره هدف صاحبه تصفيق الجماهير العامة . ولعل أصدق كلمة تصور  
 شعر حافظ في هذه المناصب بالذات هي تلك الكلمة التي قالها عنه الأستاذ ابراهيم عبد القادر  
 المازني حيث يقول « هو — أي حافظ — عندي لسان العصر الذي طاش فيه ، وصوت  
 الشعب الذي أنجب ، ولم يكن العصر يحتاج الى أرفع من هذه الطبقة ، ولا كان الشعب يقدر  
 أن يحس روحه إلا في مثل شعر حافظ » (١)

(١) مجلة « أبولو » صفحة ١٣٢٨ — العدد الحادي عشر ( يوليو سنة ١٩٣٣ ) من المجلد الاول

فهو يردد آراء وأفكاراً عادية ليس فيها شيء جديد إلا أنها أنظمت شعراً، وأن نظم هذه الآراء والأفكار حافظ الشاعر الكبير سوانة أكرت هذه القصيدة في قيمتها أم صفت... ونحن نؤيد حجتنا هنا بقول الأستاذ الزيات عن حافظ «... فإذا تهياً للشعر أولنثر حمد الى الآراء التي تختلج حينئذ في النفوس، وتسفيض في الجماع، وتتردد في الصنف فيجمعها في باله ويديرها في خاطره » (١)

أما شوقي فقد مرَّ وجدانه هذا الحادث هرّة عنيفة وأثار شاعريته إثارة قوية، فبدت في قصيدته اللغات السريعة والومضات الشعرية الخاطفة موزعة الأضواء في دقة وتفنن. مرَّ وجدانه هذا الحادث وهو الذي عاد من منفاه الى وطنه آسفاً على ما فات من الماركة لهذا الشعب خلال ثورته الكبرى، وقد ظهر هذا الأسف فيما بعد في قصيدة نظمها في احتفال بيوم ١٣ نوفمبر، وعنوانها « الحرية الحمراء » وهي وإن نظمت في السنوات الأخيرة وبعد وفاة سعد خاصة إلا أنها معبرة عما كان يخالج شعور شوقي منذ عودته من المنفى ومساهمته في كثير من المناسبات التي أقيمت منذ عودته... وفي قصيدة الحرية يقول:

يومُ البطولة لو شهدتُ نهارَهُ      لنظمتُ للأجيال ما لم ينظم -  
غبتُ حقيقته وفات جمالها      باعَ الخيال العبقري الملمم -  
لولا عوادي النفي أو عقباته      والنفي حالٌ من عذاب جهنم -  
لجعتُ ألوان الحوادث صورةً      مثلتُ فيها صورة المستلم -  
وحكيت فيها النيل كظم غيظه      وحكيت متغيظاً لم يكظم ...

وهو في إذا اهتزت مشاعره ارتفعت شاعريته وحلقت في أجواء خيال مبدع لأن مقربته - كما يقول الدكتور أبوشادي - « منبعثة من نفسه خلافاً لحافظ إبراهيم الذي كان مرآة نخمة لمشاعر أمته وكان نبوغه من وحي أمته لا من ذاتيته هو » (٢) فهو الذي يرى الفتن الطاغية الخاطئة المستولية على نفوس الشباب وقد قادها الهوى الى محاولة

(١) راجع صفحة ١٠٩ من كتاب « في أصول الادب » للأستاذ احمد حسن الزيات - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٥

(٢) من مقال للدكتور احمد زكي أبوشادي في مجلة « أبولو » ص ٥٠٢ العدد الرابع (ديسمبر سنة ١٩٣٢) من المجلد الاول

اغتيال كثير من رجالات هذا البلد في زقٍ وطيش ليجعلوا من أنفسهم حكماً على أعمال الزعماء دون تبصّر ووعي . وفي هؤلاء الرجال الذين امتدّ طيش الشباب اليهم أصدقاء أعزاء لهوقي يحمل لهم في نفسه ذكريات طيبة ، وكان سعدٌ من هؤلاء الاثنيّن الى نفسه ... وقد روى الاستاذ حسين شوقي <sup>(١)</sup> - نجل الشاعر - أن أباه كان يذكر على الدوام عهداً كريماً كانت بينه وبين سعد باشا ، وكان من أغلى الذكريات عنده ساعة أهداها له سعد باشا حين التقيا بسويسرا وكان سعد يختار هدية الزفاف بأمر المصريين فاشترك شوقي في الاختيار ثم اختار سعد ساعة وأهداها لصديقه الشاعر .

وأذكر أني قرأت مرّة كلمة للاستاذ الفنان محمد عبد الوهاب في إحدى المجلات الأسبوعية منذ سنوات يروي فيها أنه كان يسير مع شوقي وإذ بشابين يتقدما نحو الشاعر الكبير يتفرّجان فيه ثم يرتدان وهما يغمغان بالمناظرتين منهما أنهما كانا يظنان شوقيّاً فريسة يرمضانها ثم أذيع إثر ذلك خبر محاولة بعض الشباب الاعتماد على حياة المرحوم ثرون باشا - على ما أذكر - ... فن هذه الأسباب مجتمعة نحسّ الهرة العنيفة التي أثارت شاعرية شوقي واتخذت هذه المناسبة ميذاً لبروزها متفجرة من نفسه .

فهو يعرض الصورة عرضاً فنياً رائعاً حين يمثّل قضية الوطن بسفينة تمخر عباب بحر السياسة المتلاطم ، وقد أخذت ركبها نفوة الفرح بنجاة ربانها من الخطر فهي تدير بين تهليل الركبان ... وقد وُفق الشاعر في جعل موسيقى القصيدة مواءمة لموضوعها ، فأنت تحسّ إذ تستمع اليها تلاطم الموج من حول السفينة وتمحّسها نشقّ الأمواج في عزم وأناة ، وتستمتع الى فرحة الركبان حين يقول :

نجّا ... وتماثل ربّانها ودقّ البشائر رُكبناها  
وهلّل في الجوّ قيندومها وكبّر في الماء مكّانها  
تمحّل عنها الأذى وانثنى عُباب الخطوب وطوفانها  
نجّا (نوحها) من يد المعتدي وضلّ المقاتل <sup>(٢)</sup> عدوانها

(١) راجع صفحة ١٢٣ من كتاب « أبى : شوقي » للاستاذ حسين شوقي - مطبعة مصر سنة ١٩١٧

(٢) المقاتل = جمع مقتل : وهو الضرر الذي إذا أصيب لا يكاد صاحبه يلم

ثم يتناول الحادث بالتصوير الفني المبتدع والنفثات السريعة لاقتباس الحوادث القديمة المألوفة للتمثيل والموازنة في دقة ، وهو في هذا التصوير بارع في مزج الألوان مما استطاع به أن يبرز على حافظ ، وبنوع خاص في هذه القصيدة ، لأن حافظاً — على حد قول الدكتور أبي شادي — « كانت تنقصه الوثبات القوية الأخاذة والخيال الرائع المحبوب وفنرة التصوير الفني المتجلية في شعر شوقي مهما يكن من استحباب حافظ لمواقف الغضب امتعاجة فطرية » <sup>(١)</sup> . ولكن خيال شوقي وما واه من عبر التاريخ يسعفانه في هذا الموقف فهو يقول :

وَقَى الْأَرْضَ شَرَّ مَقَادِيرِهِ    لَطِيفُ السَّمَاءِ وَرَحْمَتُهَا  
وَنَجَّى السَّكَنَانَةَ مِنْ فِتْنَةٍ    تَهْدُوتُ النَّيْلَ نِيرَانُهَا  
يَسِيلُ عَلَى قَرْنِ شَيْطَانِهَا    عَقِيقُ الدَّمَاءِ وَعَقِيَانُهَا  
فِيَا صَعْدَ جُرْحِكَ مَاءَ الرَّجَا    لَ ، فَلَا جُرْحَتَ فَيْكَ أَوْطَانُهَا  
وَقَتَّتْكَ الْعَنَاءُ بِالرَّاحَتَيْنِ    وَطَوَّقَ جَيْدُكَ إِحْسَانُهَا  
مَنَابِيا أَبَى اللَّهِ إِذْ سَاوَرَتْكَ    فَلَمْ يُلْقِ نَابِيسَهُ ثَعْبَانُهَا  
حَوَّتْ دَمَكَ الْأَرْضُ فِي أَنْفِهَا    زَكِيًّا كَأَنَّكَ (عُثْمَانُهَا)  
وَرَفَعَتْ لَأَنَارِهِ فِي الْقَمِيمِصِّ    كَأَنَّ قَيْصَكَ قَرَأْنُهَا  
وَرِيْعَتْ ، كَمَا رِيْعَتِ الْأَرْضُ فَيْكَ ،    نَوَاحِي السَّمَاءِ وَأَعْنَانُهَا  
وَلَوْ زِلْتَ غُسَيْبَ (حَمْرُو الْأَمُورِ) ،    وَأَخْلَى الْمَنَابِرَ (مُحِبَّانُهَا)

وفد اعترض المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي على تعبير (حمرى الأمور) وعده من آثار تركية شوقي الباقية في نفسه فهي عنده « إضافات وهمية ... لا محل لها في ذوق البلاغة العربية » <sup>(٢)</sup>

(١) من مقال للدكتور أحمد زكي أبو شادي — ص ٥٠٠ من العدد الرابع (ديسمبر سنة ١٩٣٢) من المجلد الأول من مجلة « أبولو »

(٢) راجع مقال « شوقي » للمرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي — ص ٣٩٤ من عدد نوفمبر سنة ١٩٣٢ من « الملتقط » جز ٤ مجلد ٨١

وبعد أن يصور شوقي محاولة المعتدي الأنيم ينتقل الى الكلام على النزعة التي امنولك  
على نفوس الشباب فدفعهم الى الجريمة ، وهنا تجعلى اشوقي تلك الصورة التي أشرنا اليها  
والتي رواها الفنان عبد الوهاب فيفزع منها شوقي ويبدو أثر هذا الفزع في هذه  
الآيات :

أرى مصر يلهو بحدّ السلا ح ويلعب بالنار ولدانها  
وراح بغير مجال العقو ل يحيل السيادة غلمانها  
وما القتل تحيا عليه البلا د ، ولا حمّة القول صرمانها  
ولا الحكم أن تنقضي دولة وتقبل أخرى وأعوانها  
ولكن على الجيش تقوى البلا د ، وبالعلم تشدّ أركانها  
وهنا تظهر فيه روح الحكيم وتنبال على لسانه الحكمة التي تغلب على كثير من نصائده  
كما ألمعنا الى ذلك من قبل ، وينتهي بعد التقريع واللوم الى أن يقول :

انقد عبثت بالنسيان الحدا ة ونام عن الإبل رعيانها  
إلى الخلق أنظر فيما أقو ل وتأخذ نفسي أشجانها  
ثم يخاطب صعداً ليذكّره بالأمانة التي حملها فلا يقول كما قال حافظ :

جمعوا عقاقير الدهاء وركبوا ماركبوه وعندك التحليل  
يا سعد أنت زعيمنا ووكلنا وعليك عند مليكنا التعويل  
فادفع وناضل عن مطالب أمة يا سعد أنت أمامها مسئول  
النيل منبعه لنا ومصبه ما إن له عن أرضها تحويل  
ولكنه يقول في عرض فني جميل وتذكير شعري رائع يبيّن فيه حُجّة المصريين  
أمام دعوى الانجليز كما يجب أن يدلي بها السياسي :

ويا « سعد » أنت أمين البلا د قد امتلأت منك أيمانها  
ولن ترضي أن تُقدّ القنا ة ويُقتل من مصر سودانها  
وحجّتنا فيهما كالصبا ح وليس بمعنيك تبيانها  
فصر الرياض وسودانها عيون الرياض وخلصانها

وما هو ماله وإكنته وريدُ الحياةِ وشربانها  
تتمُّ مصرَ ينابيعُها كما تتمُّ العينَ إنسانها  
وأهلوه منذ جرى عذبةُ عذيرة مصر وجيرانها  
وأما الشريك فيلأته هي الشركات وأوطانها  
وحربٌ مضت نحن أوزارها<sup>(١)</sup> وخيلٌ خلت نحن فرسانها

\* \* \*

هذه قصيدة شوقي في حادث الاعتداء على سعد عرضنا منها نماذج بعد أن عرضنا شيئاً من قصيدتي حافظ ، ومن هذا العرض يتجلى تأخر حافظ في هذه المناسبة تأخراً عجيباً لا ندري تعليقه إلا أن نذهب مع الأستاذ أحمد أمين بك في أن « خير شعر حافظ ما اتحل بهاطفته الخزينة ، فأما فرح بالطبيعة ، وفرح بنفسه ونحو ذلك مما ينبعث من حاسة المرور فلم يكن له كبير مجال في شعره » ... ويرجع الأستاذ أحمد أمين بك ذلك إلى « أن طبيعة حافظ كانت مخالفة تمام المخالفة لمظهره الخارجي ، كان مظهره الخارجي ضحوكاً مرحاً ... ولكنه في أعماق نفسه حزين ... وهذا ما يعمل أيضاً ضعف الفكاهة في شعره »<sup>(٢)</sup>

فاحساس شوقي في هذه القصيدة إحساس صادق تعبر عنه هذه الموسيقى النابضة الراقصة التي وفق إلى نظم قصيدته منها ، وهي تسابق الألفاظ في التعبير عن فرحة الشاعر في حين نلس ضعف الموسيقى وفتورها كما نلس فتور الألفاظ وهزال المعاني بل ومواتها في قصيدة حافظ الأولى ثم تهرها حين أراد أن يبعث فيها طول النفس في قصيدته الثانية . هذا ، إلى أنك لا تجد في قصيدة شوقي إجهاداً ولا تحسُّ فيها إغنائاً بل تحسُّ فيها يسراً فهو صادق الفن ، وجمالاً هو روعته .

مسح لامل الصبر في

(١) الاوزار = جمع وزر : وهو السلاح

(٢) راجع المقدمة التي كتبها الأستاذ أحمد أمين بك لهيوان حافظ إبراهيم — س ٣٨ طبعة وزارة

للأوقاف سنة ١٩٣٧

## من حياة أبي نواس

من نادمهم أبو نواس الأمير عيسى بن أبي جعفر المنصور . وقد عزم الأمير يوماً عليه أن يقيم معه في قصره أسبوعاً بالقفص بين بغداد وعكبراً قريباً من بغداد ، وكانت من مواطن اللهو ومماهد النزه ، وتنسب إليها الحور الجيدة ، والحانات الكثيرة . وقد أقام الجماعة بالقفص يقصفون ويشربون بين عزف وغناء في مجلس مونتق وسط الهدائق الفيحاء ، فلما أرادوا الانصراف وحله الأمير وخلع عليه وصلة الهدايا . وقال له : « بحياي عليك اصف مجلسنا هذه الايام كلها التي أقناها » : فقال في ذلك .

يا طيبناً بقصور القفص مشرقة فيها الدساكر والانهار تطرد  
لما أخذنا بها الصهباء صافية كأنها النار وسط الكأس تنقد  
جاءتك من بيت خمار بطيبتها صفراء مثل شمع الشمس ترتد  
فقام كالصن قد شدت مناطقه ظبي يكاد من التبييف يتنفد  
فاستلها من فم الارباق فانبعث مثل اللسان جرى ، واستمسك الجسد  
فلم نزل من صباح السبت تأخذها والليل أجمعه حتى بدا الاحد  
ثم ابتدأنا الطلا باللهو من أمم في نمة فاب عنها الضيق والنكد  
حتى بدت غرة الاثنين واضحة والسعد منترس ، والطالع الاسد  
وفي الثلاثاء أعملنا المطي بها صهباء ما قرعتها بالمزاج يد  
والاربعاء كمرنا حد سورتها والكأس يضحك في تيجانها الربد  
ثم الخميس وصلناه بيلته صفاء وتم لنا بالجمعة العدد  
يا حسناً ! وبحار القذف تدمرنا في لجة اقبال والاونار تنطرد  
في مجلس حوله الاشجار محدقة وفي جوانبه الانهار تطرد  
لا نستخف بساقينا لفرته ولا يرد عليه حكمه أحد  
عند الأمير أبي عيسى الذي كلكت أخلاقه ، فهي كالاوراق تنقد

( من كتاب «ألحان الحان» : للاستاذ عبد الرحمن صدقي ص ٢٥٦ و ٢٥٧ سنة ١٩٤٨ )

# مشهد من مسرحية كليو باترا<sup>(١)</sup> للمساعر محمد فرهمي

( منظر الوليمة كافي المدد السابق وقد استعدت القاعة الكبرى للاحتفال وبدأت الفادات على الارائك وبين الموائد المدعوين كأنهن الحور في أبهى منظر وفي المقدمة عرض كلبو باترا وبجانها أنطونيو وفي أقصى القاعة يبدو مسرح في إحدى جوانبه تجلس فرقة الموسيقىات حيث يميزن أنشاماً ساحرة )

أنطونيو لكليو باترا ( رافداً كاسه ) .

على نخبك بل حسنك بل حُبك أشرب

قائد روماني ( يهب مندفعاً )

خفقت شرقاً ومغرب

لشعاع الشمس يُنسب

وما أحلاه مذهب (الجميع يضحكون)

على أعلام روما

حوريس صانحاً على مصر وتاج

آخر : على البط على الحلوى

أنطونيو لساق ( رافداً كاسه )

ألا.. أترع كأشواق

تري هل شاقك الساق ؟ .

كليو باترا باسمة

أنطونيو وقد فلت به الجزر

عجب يُطيف بمرثك العجب

تحسوا الحكمة ومن يفادكم

أغدو السليب اليوم في طربي ١٢

في الطمن والإمخاض بالهضب

( الذواد يفزعون )

وتألق الغادات كالشهب

وتصافح الوجينات كالسحب

بالسحر . بالألحان . بالهذب . ١١

إن الحياة .. هوى وساقية

وتعانق الممسات في وله

والمسمعات الفن تقتلنا

كليو باترا باسمة : —

أخفى عليك اليوم فاتنة تفزو آله الحرب

ذا أربي .. ( يضحكان )

أنطونيو ضاحكاً : —

استمر ارض الرافعات على المسرح على أنغام الموسيقى

(١) انظر اعداد المتكطف الثلاثة السالفة ديسمبر ١٩٤٧ ويناير وفبراير ١٩٤٨



تبدو على المسرح فاذنان يتحدثان عن الحب :  
الاولى :

هو الحب دالا يفتُ العِظام ويؤلي السقام ويغري الكبد  
يخلغل في سَرَحات الدماء يحددها ويذيب الجسد  
نحس به كديب الغناء تسرب في الشامخ المنفرد  
فأما يخرّ لأساسه وإما ترخ كالمرتعد ؟  
وأنا ينير سمير الأظلي بقلب الحب مضى يتقد  
يؤجج بين الحفا جذوة تغول الجوانح .. لا تقتصد  
كأن الحب شقي الجحيم يُجدد دوماً اذا ما تقد  
يوالي الزفير كحر السمير اذا ما تنفّس بما يجيد  
به غصة في صميم الأنفاه فما ينطق الحرف إلا بجهدا  
وتجفوا حياه طيوف الكرى ويا وبله من عذاب أهد  
إذا ما رثت لسهاد الجفون وأغنى الحب بها أو رقد  
يُنزّع في ليل أحلامه ولا من يواسي الطريد النكيد .. !

الثانية نجيب :

ولكن أراه كأغرودة ترنمها الصّبح الناعية  
تردها في نديّ الغصون وتودعها النسمة السارية  
وتسبح في الكون أنغامها فيشدو الوجود مع القاديه  
وتهمو اليها ثغور الصباح تقبلها القبله الخائيه ..  
فيهنر ومنط الحقول النبات وتنتعش الزهرة الساجيه  
ياكرها الفجر في ربهه ويفتض برعمة غافيه  
يفازلها مستخفّ الشعاع ويرقص للهمسة الخافيه  
ويضي يلفّ لى ثفرها ويستأنفها قبله ناديه  
فيسمري المرور بأعطافها وتفتاق للنسمة الثانيه  
وتخلّم بالوصل في نشوة كسرى بخمر من الداليه ... !  
يدخل على المسرح شاب مندفعاً —  
وإني أراه كجنونه من الريح عارمة حاصفه

تدمدم وسنط رحاب الفضاء  
كأَنَّ الجبال بها زُلُزلات  
فلء العروق لها ثورة  
تعربد في النفس حياتها  
تروم شفاه الحبيب لتفضي  
وتطوي مفاصل أعطافه  
بِحُمَّى الدماء.. وَحُمَّى السُّمَارِ  
إلى أَنْ يقر هناك القرار  
يحببه شاب آخر على المسرح

ومثلك تهوى ذئاب الفلاة  
نظنونهم من فعال الغرام ؟  
الاول متحدثاً

بمثل غرامي تفوز الحياة  
وماذا رجيت الحياة سوى أَنْ  
وكيف السبيل سوى شهوة  
الثاني متحدثاً —

فتسنتج خلقاً كمثل القطيع  
ألا من مما يابن آدم قل لي  
صوى من تغسوا بوحى السماء  
(الجميع يصفقون والموسيقى تمزق ويسدل الستار)  
أنطونيو رافناً كأه :

يا صافنا هيا

مولاي لبیکا

الساق :

هيلانه (تبقى الساق لتصب لانتونيو وتلتقي نظراتها بحوريس على البعد فتضطرب ويقع  
الذن من يدها فينكسر

(ضجة ثم تسكت الموسيقى)

# بَابُ الْمُرَاتِلَةِ وَالْمُنَاطَةِ

حتمية ثبوت همزة الوصل بعد — أل التعريف

نشرت المقتطف الغراء بعددها الصادر في أول يناير ١٩٤٨ ردًا على ردّي المنشور في مقتطف نوفمبر من السنة ذاتها وكان الردّ لشاعر الوادي — محمد الصاوي همار — وفيه يدحض لا بل يلجح على دحض ما قلته عن وجوب ثبوت همزة الوصل بعد ( أل التعريف ) معتمداً في ذلك على قراءة من قرأ الآية الشريفة — ( بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان . وغير ملتفت الى التحليل النحوي العقلي والنقلي والسكي نبين له أمرها بأجلى صورة يحسن بنا أن ننقل له بتلخيص آراء النحويين الكوفيين والبصريين في حركة الهمزة ونقلها وعدها لما قبلها معتمدين في ذلك على كتاب « الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين الكوفيين والبصريين » مؤلفه الشيخ الامام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي ومحققه محمد محي الدين عبد الحميد .

جاء في المسألة ١٠٨ « ذهب الكوفيون الى أنه يجوز نقل حركة همزة الوصل الى الساكن قبلها وذهب البصريون الى أنه لا يجوز . وأجمعوا على أنه يجوز نقل حركة همزة القطع الى الساكن قبلها كقولهم « من أبوك » « وكم إيلك » ويستشهد الكوفيون بهذه الآيات ( ألم الله لا اله إلا هو ) ( مناع للخير معتدٍ مريبين الذي ) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ) اعتماداً على ما حكاه الكسائي عن بعض العرب وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني وهو أحد القراء العشرة ( وإذ قلنا للملائكة اسجدوا ) فلاحظ ان الهمزة نقلت حركتها لما قبلها حسب رأيهم .

وأما البصريون فاحتجوا بقولهم « إنما قلنا لا يجوز ذلك لأن الهمزة إنما يجوز أن تنقل حركتها إذا ثبتت في الوصل نحو « من أبوك » فأما همزة الوصل فتسقط في الوصل فلا يصح ان يقال ان حركتها تنقل الى ما قبلها لأن نقل حركة معدومة لا يتصور ولو جاز ذلك لقلنا : ( قال الرجل ... ) فلنا لم يقل ذلك بالاجماع دلّ على فساد ما ذهبتم اليه .

وبطل البصريون الحركات المتقدّمات في الآيات الى التقاء الساكنين . ويعملون كذلك الفتح في ( مريبن الذي ) والعدول به عن الكسر الى الخفة ولكيلا تجتمع خمس كسرات متواليات لأن الياء كسرتان وهكذا يستطردون في التعليقات الأخرى ولا حاجة لدرجها بل على من يريد ذلك ان يتفضل فيقرأها في الكتاب المشار اليه .

ان الخلاصة التي نستخلصها مما تقدّم هي أن الرجوع الى القراءات له علاقة بموضوع حركة همزة الوصل وثبوتها كما أردنا . وأن توالي الحركات له علاقة أيضاً بالذوق من جهة ثبوت الهمزة بعد ( ال التعريف ) أفلا نرى إنه من العسير أو فيه عسر قولنا ( سئمت من عسير الامتحان ) بدل ( عسير الامتحان ) ألم تجتمع في هذا خمس كسرات وهل قال قائل ( عسير لمتحان ) أي ( عسير الامتحان ) أو ليس هذا عيباً من جهة الفصاحة وهل يمكن أن يقول قائل هذه العبارة ثلاث مرات وبسرعة مناسبة وهي من ملل ( لضطهاد ) أي ( من ملل الاضطهاد ) وتستخلص كذلك مما سبق أن رأي شاعر الوادي منطبق على طريقة الكوفيين وهي نقل حركة همزة الوصل بدون قيد الى ما قبلها فيصح قوله ( ألتخاب ) بدل ( الألتخاب ) غير أن هذا يتعارض — كما بينا في ردنا السابق — مع طريقة التقاء الساكنين المعروفة فاذا قلت ( لم يكمل اختبار ) في ( لم يكمل الاختبار ) فعلى م اذن اكسر اللام الأولى وقد وليها متحرك ، إن هذا مع ما شرحناه لدليل ساطع على حتمية ثبوت الهمزة بعد ( ال التعريف ) وهو مستقي من رأي البصريين وهم أقوى من الكوفيين في كل الأدلة النحوية لا سيما إذا ما عرفنا ان من رأي البصريين — وهو الأرجح — الكسر لهمزة الوصل أساساً . هذا ما أردنا ان نعرضه من جهة النحو ولدينا تعليقات أخرى على ما أورده الشاعر في رده .

إني لأعجب لماذا تمسك الشاعر في هذا البيت الذي قطع فيه همزة الوصل ضرورة .

لقد رشحت بأفق السحابا وقد أجرت رياحك إنتخابا

ولم يأت بتصلحي الثاني وهو .

لقد رشحت بأفق السحابا وقد أجرت لها الريح إنتخابا

وهناك نقطة أخرى وهي قوله ان الآية في سورة الحجرات وهي الحقبة وليثق بأنني

أرسلتها بعد ارسال ردي السابق بيومين لحرر المقتطف وطلبت منه تصحيحها أو الإفادة اليها مع استدراك على صحة وزن بيت شوقي .

من أمازيس ما الأميرة في الأرض وما مصر من بمميز يهرا  
ولا أدري لماذا لم يشر لهذا محرر المقتطف . وأما ومهما في طبع الهند هكذا ( بئس  
الآسم الفسوق . . ) ( علامة السكون - الهمزة ) . حسب اصطلاحاته ويقول الشاعر انه  
راجع الطبقات فلم يجد ما أشرت إليه سابقاً من ثبوت رسم الهمزة وإني أشير عليه أن  
يراجعها ثانية فسيجدها في عناوين السور قرب البسملة وفي بعضها في الوسط الاطلى من  
الصحيفة . وزيادة على ما تقدم أشير عليه أن يراجع المصحف الشريف من القطع الصغير ،  
طبع مصر بحارة النبوية بقسم الدرب الأحمر ومصححه محمد سيد الجريسي الكندي وفي  
هذا سيجد في صحيفة ( ٥٠٢ ) ( سورة الانشقاق مكية ) وفي صحيفة ٥٠٥ ( الانشقاق  
مكية ) وعلاوة على ما تقدم أحب أن أقول لشاعر الوادي إني لم أجمع ولم أدرس كمرلام  
( أل ) قبل الهمزة ولا يوافقها ذوقي لا بل وغير شائعة في كل بلادنا فنحن نقول  
( الأقتصاد . الأجمع ) . ولا شك ان هذا مبني على العقل والسمع واني لو لم أزن بيت  
الشاعر القدير ( شاعر البراري ) لما عرفت أن لام ( الانتخاب مكسورة ) . ولكني رأيت  
مثلها في الشعر المصري كثيراً ولعل إخواننا المصريين متبعون طريقة الكوفيين في نقل  
الحركة وهي غير متفق عليها وقد أثبتنا بطلانها بتفكيرنا المبني أو المستنتج من أسلافنا  
البصريين والسلام . البصرة  
سبتمبر ١٩٠٩

على هامش البلدان

في عدد سابق من « المقتطف » الاغر . كتب الاستاذ فؤاد محمد شبل مقالاً عن الدولة  
الاسلامية الجديدة باكستان جاء فيه « وان اعترف أمراء الهندوس بسيادة السلطان المسلم  
في دلهي وارسالهم الجزية اليه ... » وهذا خطأ لأن الاسم الصحيح للبلدة دلهي بتقديم الهاء  
على اللام وبهذه المناسبة أحب ان أقول ان كثيراً من الصحف درجت على كتابة اسم الجزيرة  
المشهورة « قبرص » بالصاد والصحيح ما ذكرناه كما وردت في كثير من كتب القدامى

محمد السارلي مس

# بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

مصريون يكشفون ٥٠ نوعاً جديداً  
من الأحياء المائية

واحدة ، وأهدى إلى متحفها مجموعة ثمينة من النماذج ، وهو ما يفتننا يهدي إليها هدايا علمية نفيسة تعرض في الصالة الكبرى المتحف .

ومن آيات برّ الفاروق بالحركة الدامية أن جلالة أشار بإنشاء معهد جديد للأحياء البحرية في السويس ، وقد شرع فعلاً في بناء أكشاك من الخشب في تلك المنطقة لاستخدامها إلى أن يتسنى بناء المباني الجديدة قريباً . وعند إتمام تشييد معهد السويس يرجى أن تنقل الأكشاك الخشبية إلى بور سودان لتفتح فيها محطة ثالثة تدرس فيها حياة الأحياء المائية ولا سيما في فصل الشتاء لأن الجو يتحسن فيه في تلك المدينة .

جهود مصر العلمية

وتنفرد مصر في منطقة الشرق الأدنى بهذه النهضة المائية كما أنها تمتاز على المعاهد المائية في جميع ربوع العالم بأنها تدخل من حيث الجغرافيا المائية في المنطقة الاستوائية وقد استطاعت مصر على الرغم من نقص

طاق الأستاذ الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر بك مدير محطة الأحياء البحرية في الفردفة بجميع الشواطئ الأمريكية والبريطانية ليتفقد المحطات البحرية فيها وتعمل بالعلماء المبتغين بشؤون الأحياء المائية لزيادة التعاون بين مصر والغرب في هذا المجال والاهتمام بالأساليب العلمية الغربية عند انشاء معهد للأحياء المائية في السويس قريباً .

وقابلت الدكتور جوهر بك وصافته عما شهده في رحلته وعما تنوي مصر أن تحققه من تقدم في العناية ببحوث الأحياء المائية

ماثر العاهل المصري

فقال : لزام عليّ قبل كل شيء أن أذكر بالتفغار والغبطة أن جلالة الملك فاروق يعني ببحوث الأحياء المائية في مصر عناية كبيرة ولولا جهود جلالة ورعايته لكان من المحتمل أن نفذوا محطة الأحياء البحرية في الفردفة ليخبر كان .

وقد تفضل جلالة فزار المحطة غير مرة

الغاية فيعرف عنها أدوار نموها وتكاثرها ومدى عمرها والعوامل الجوية والمائية التي تؤثر فيها والتيارات البحرية وعمق الماء والفصول والتكوين الجيولوجي للبحر، وما عدا ذلك من العوامل. وإن «محصول» يوم واحد من هذه الأحياء يكفي لأن يشغل الباحثين أشهراً.

### مزاياء هذه البحوث

وقلت للدكتور جواهر بك: ألا ترون أن البحوث البحرية أدنى إلى السكالات منها إلى الضروريات. فأجاب: حقيقة أن البعض يرى هذا الرأي، حتى من رجال الجامعة أنفسهم. ولكن الواقع أن بحوث الأحياء المائية ضرورية وستشهد مصر فائدتها عن قريب. وآية ذلك أن الباحث عن البترول يستعين بالحيوانات المائية التي يعادفها في حفرياته للاستدلال على طبيعة الأرض التي ينقب فيها ونسبة تقبّعها بالبترول. ومعروف أن البترول يتكوّن من تحلل عناصر منها عناصر حيوانية كلها أو جلها من الأحياء المائية.

أضف إلى ذلك أن في درس ظواهر الحياة بين الأحياء المائية كسباً علمياً نافعاً من أن الحياة بدأت في البحر، فذاشئنا أن ندرس ظواهرها تعمّن علينا أن نشاهد في السكائنات التي تعيش في البحر.

عدد العلماء المختصين من جمع عينات من حيوانات الماء لدرستها حيّة وبلغ مجموع الأنواع التي تمّ حتى الآن كشفها ٨٠٠ نوع منها نحو ٥٠ نوعاً لم تكن تعرف من قبل.

### تعاون مصر والغرب

وقال الدكتور جواهر بك إن محطة الأحياء البحرية تصدر بين الأوان والآخر نشرات علمية تتضمن ما أحرزته مصر من كشوف وترسلها إلى العلماء البحريين في جميع أنحاء العالم وتلتقي في الوقت عينه بمحونا ورسائل من العلماء الغربيين لتعزيز الصلات العلمية والثقافية بين علماء مصر وعلماء الخارج وإطلاع الغرب على نشاط علمي يحق لمصر أن تباهي به وتفاخر.

ويتبادل المذشورات العلمية بين مصر والغرب أمكن لمحطة الأحياء المائية في الفردقة أن تنشئ مكتبة نفيسة طارة بالمؤلفات المختصة بالبحوث المائية. وهناك تفكير في أن يطبع بعض العلماء المصريين كتباً باللغة العربية في هذا المنحى العلمي لأن المكتبة العربية تكاد تكون خلوّاً منها.

### كيف تعمل المحطات

والمنهج الذي تسلكه محطة الفردقة في درس الأحياء المائية يتلخص في أن تستعين المحطة بالفواصين لجمع أكبر عدد ممكن من الأحياء. وبعد ذلك يتوفر العلماء على درس كل ما يتعلق بها في أحواض خاصة مهيأة لهذه

منهم المرحومان الدكتور علي ابراهيم باغا والدكتور عبد الواحد الوكيل بك والدكتور حسن أفلاطون بك، وزارها أخيراً الدكتور ابراهيم شوقي بك مدير جامعة فؤاد الاول فشهدوا مدى ما حققه العلماء المصريون من كشوف علمية كبيرة الشأن . وعند الدكتور أفلاطون بك أفلام سينمائية رائعة تصور الحياة في قعر البحر بالالوان الطبيعية ، وتعد هذه المجموعة ثروة علمية لا تقدر بثمن

### فضل الملك فؤاد

وقبل أن يختم الدكتور حامد عبدالفتاح جوهر بك حديثه معي قال : لا يسع المرء إلا أن يذكر بالاجلال والاكبار فقيد مصر العظيم صاكن الجنان الملك فؤاد الاول فقد كان جلالاته اول من أنشأ معهد الفردقة المائي ومعهد الشاطي في الاسكندرية وأنفق عليهما المال عن سعة ليجول منهما معهدين علميين ناجحين ومن المؤسف أن معهد الشاطي أوصد أبوابه ، ولكن قرينه يسير في طريقه حاملاً رسالة العلم والنور .

وسيشهد عهد الفاروق بزيداً من أمثال هذه المعاهد ، وإن يمضي وقت طويل حتى يكون في كل من مدينة السويس وميناء بور سودان معهد مائي يؤمه طلاب مصريون للتخصص والتفرغ .

ربيع فلسطين

وقال الدكتور جوهر بك ان مصر مقدمة على عصر نرجو أن يكون قريباً وفيه تستغل كل فطرة من ماء النيل وكل كائن حي يعيش فيه . وللبحوث المائية شأن كبير من حيث معرفة القيم الغذائية والصناعية في الاحياء البحرية والنهرية .

أنتقل الحيوانات المائية الجراثيم وسألته : هل تنقل الحيوانات المائية جراثيم الامراض الوبائية كالكوليرا والتيفود وأشباههما كما قال الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك .

فأجاب : لا شك في أن للدكتور عبد الخالق بك كل الحق في دعوته ، فالاحياء المائية تنقل جراثيم الامراض ، ومن الخطورة ترك المجاري في الاسكندرية تصب في البحر والرأي عندي أن أفضل وسيلة لمعالجة هذه الحال انشاء مرعة لتلافي هذا القصور المعيب وإن كان إنشاءها يقتضي نفقات كبيرة .

### رؤية الحياة تحت البحر

وقال الدكتور حامد جوهر بك ان عند محطة الفردقة زورقاً فريداً في نوعه له قعر من الزجاج الشفاف بحيث ينسى المرء أن يجلس فيه ويطوف في البحر الأحمر ليري الحياة تحت سطح الماء رأي العين ويشهد السمك والاصداف والمحار والقواقع وما إليها من الاحياء المائية تمشح وتأكل وتتكاثر ، وقد زار المحطة كثيرون من كبار المصريين





# مكتبة المقتطف

تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي  
الجزء الثالث — للدكتور حسن ابراهيم حسن

ما أعجبه الجانب السياسي من التاريخ الاسلامي . ففيما في مترامية الأرجاء لا يأخذ الطرف في أنحائها غير صوّى ، وأحجار ، ومعالم ، ودينى ، كأنها الاسنة الضاربة تنطلق هاتفة من أعماق الماضي مستغيثة في طلب النجدة من مهاوي الفناء ، أو الدوائب الخافقة على سطح السفينة التي تغوص في بطن الأمواج ، رويداً ، رويداً ، فلا تلبث الدوائب أن يبتلعها اليم فالذي يدمر عن صاعده وينفض عنه عوادي الخمول ، وبأخذ على طاقته استحياء هذا الموان وينهض في استجابة هذا الغوث ، لهُو جديرٌ باكليل يتوج به رأسه العزيز . وهذا ما يحاوله الدكتور حسن ابراهيم — فالجانب السياسي من تاريخنا الاسلامي لم يرزق حتى الآن من يكتبه كتابة تاريخية ، علمية ، مهذبة إذا استثنينا — بعض الفترات التي نالت بعض العناية — فاذا قام الدكتور بتصوير هذه الناحية الاسلامية ، السياسية ، كان خليقاً بكل ما يقدم للعلماء المخلصين في رفع المستوى الثقافي في أعينهم ، والمساهمة العامة عن هذا الطريق في تزويد الثقافة العالمية ، والدكتور — حسن ابراهيم — وقف نفاطه العلمي على هذا الجانب التاريخي ، وهو دائب الزمياط في هذا المجال ، وقد زودَ محصولنا التاريخي بمجهودات مشكورة ، من أهمها التصدي لكتابة تاريخنا السياسي من بزوغ فجره حتى نهاية العصر الأموي ، ثم أردفه بآخر عن العصر العباسي الاول ، وعززه بثالث عن العصر العباسي الثاني — وهو الذي بين أيدينا — ولكنه لم يأخذ نفسه بتتبع الخطوات التي خطاها من جزئه الاول ، بل تنكب هذا الطريق ، وحاول أن يوسع دائرته فضم الى الجانب السياسي ، الجانب الثقافي ، والديني ، والاجتماعي فتصور أي مجهود يضطلع به الدكتور — وحده ، وهو مجهود يتنقل كاهل العصبة أولي القوة ، فهل كان التوفيق حليفه فيما وطن نعمة عليه ، أم خائنه فواه هأن كل من يعانٍ من لم يبلغه ذرعه ؟ لا هلك أن هذا النهج الجديد

ندجنى كثيراً على عمل الدكتور ، ونال منه بل لا نقالي إذا قلنا أنه نأى به عن مركز  
الدراسة التحليلية الدقيقة وأصبح سجلاً لمعلومات عامة حفظها من العمق ، والدقة ، غير  
كثير ، فاهو التاريخ ؟ أليس هو بعث الماضي حياً ، نابضاً بقدر ما ينهدى للانسان من  
تلك المحاولة ؟ أليس يحتاج الى عمق الفكر ، ونفاذه حتى يستطيع أن ينفذ الى الاصمق ، ولا  
يظل طافياً على السطح ، مبهوراً بالبريق ، ويتطلب سعة الخيال الذي يرد اليه تلك الصور  
التي اختفت أو كادت معالمها ، وانبهمت ممانها ، ويؤلف له تلك الالوان والعيان  
والاستعانة بالبيان الذي يعاونه على إبراز الصورة ، حية موحية ، حتى يغدو قطعة من ذلك  
السجل الزمني ، والروحي بوجه ، ويوحى ، لحظه من الأدب ليس بالذر القليل حتى سوغ  
ذلك لبعض العلماء أن يعد التاريخ من الأدب لا من العلم وذلك لتأثيره وتوافر العناصر  
الأدبية له ، وليست الطبيعة بهذا السخاء الذي يُضي تلك المواهب على كثيرين ، فهل توافرت  
ملكات المؤرخ للدكتور على أتمها ؟ أما أنه مغفول بالأبحاث التاريخية وأنه واسع  
الاطلاع كثير المراجعة فهذا ما تؤيده المراجع الكثيرة المتعددة ، أما ملكة النقد . أو  
الحاسة التاريخية التي هي عمدة المؤرخ ، وأما الخيال الذي يمدده بالصور ، وأما البيان  
الزقني الذي هو أداة المؤرخ في إبراز تاريخه فلا أعتقد أن الدكتور يأخذ من هذه  
الملكات بما ينهض به إلى الصف الأول من كتّاب التاريخ في هذا العصر فهو أقرب الى  
روح مؤرخي العصور القديمة من حيث الجمع ، والرواية ، بدون نقد . منه إلى هؤلاء العلماء  
الذين يكتبون التاريخ في هذا العصر . فهو يطلب على إتاجه الجعم . أما النقد ، والتحليل  
وإستخلاص العبر ، أما تلك الفلسفة العميقة التي تفيح في كتابة التاريخ ، وتدور عنه  
أفراح الخرافات وتعصفه من الاوهام ، وسليقة البيان الصحيح فلا ، فهذا الكتاب يكاد  
يخلو خلوًا تامًا من كل خصائص المدرسة الحديثة في كتابة التاريخ . من حيث النقد .  
واشراق الديباجة . والخيال الذي يعكس على صور العصور . فخط النقد فيه ضئيل ،  
وأسلوبه تعوزه هذه الشيايب الاصلوبية . اللازمة للمؤرخ ، فا كان أجدر بالدكتور  
بدل إقحام كل تلك المواد التي تتعلق بالجانب الديني ، والنقائي ، والاجتماعي ، أن يتركها  
حيث يقوم بها من هو أقدر على القيام بها ، ومن يملك الزمن . والموضوع . ويكون  
إنتاجه خليقاً بأن يسد فراغاً لا يحمل أن يظل هاغراً وأن يركز عنايته في الجانب السياسي  
رجاء أن يتوفر له من الزمن ، والجهد ، للمراجعة والعقل ، والتهذيب ، وحتى يكون العمل  
أقرب الى السلامة من الشوائب منه إلى هذا الجهد الذي تنقسمه الناحية السياسية ، والثقافية  
والدنية ، والاجتماعية ، هل يعمد الدكتور أنه قدم ما يفي غلة الباحث . أو عرض جديداً

في الناحية الدينية ، والأدبية ، أليست هذه المعلومات التي تتعلق بهذه الناحية يكاد أول كتاب في موضوعها يضم أكثر منها كتباً ، وكيفاً . وبذل أن تحشد كل هذه المعلومات التي يعوزها الدرس . والعقل . في هذا الحيز الكبير جداً . الذي يبلغ السبعمئة أو يزيد من القطع الكبير جداً ، والحرف الصغير جداً ، لم كل هذا يادكتور ! إن هذا الحيز الذي ملأه هذا الحشد الضاغط من الروايات كان يكفي وحده للجانب السيامي من التاريخ الاسلامي كله ، لو كتب بعناية ، ودقة ، وحرص إن هذا العمل يا دكتور . جنى على ثمرة عملك . ونزل به من كرسي الأستاذية ، الى الأخذ من كل شيء بطرف — كما يقول القدماء . والذي حدا بي الى هذه الملاحظات انني اعتقد أن هذه الرسالة التي يحاول الدكتور تبليغها ، لها خطرهما في تناول تاريخنا ، وتوجيه دراسته في هذا الوقت لو برئت من المأخذ ، فلعل الدكتور ، سالماً في الاجراء القادمة ما يرجع بعمله الى مكان التجلة ، من آثار التاريخ الرائعة وأن تحفظ له الاجيال أثره في تاريخها ، وما يتفق ومركز أستاذ التاريخ بالجامعة .

محمد عبد الحليم أبو زهر

## مربوط — جنة الصحارى الغربية

### للأستاذ عبد اللطيف واكد

قليل من الكتب ما يجمع بين اللذة والفائدة . وكتاب مربوط للأستاذ عبد اللطيف واكد من أمتع ما يقرأ للذة بينما يخرج منه القارئ وقد ألم بأقاليم من أرض مصر مجهول تماماً لدى المصريين جميعاً اللهم من اتصل به بحكم عمله من الموظفين . والعجيب أن هذه الأقاليم نفسها مربوط والواحات تعرف عنها دوائر أوروبا كل صغيرة وكبيرة أو سيكون احتفال هذه الدوائر وتقديرها لهذا الكتاب كبيراً ولا شك . وأنها لخدمة جليلة تقدمها الكتاب لابناء مصر حيث جعلهم في كتابه يتعرفون الى اقليم هام من جسم الوطن بل يطوفون معه في تلك الأرجاء البديعة المترامية ويمشون بين أهلها من قبائل البدو وسكان الواحات ويرون تلك العيون التي لا ينضب معينها فتفيض مياهها وسط الصحراء الشاسعة ومعه يفيض الخير والبركات وتنب الحياة في القفر الموحش ( وجعلنا من الماء كل شيء حي ) . . وأن الانسان ليدعش أن تكون تلك الأراضي على الساحل من الاسكندرية حتى مرسى مطروح والسلام على مثل هذا الخصب العجيب وأنها لثروة مبهولة لو اتجهت اليها الأنظار لدرت من المحاصيل الشيء الكثير . . وما كنا لنعلم قبل أن وضع لنا الأستاذ واكد في كتابه القيم إن وزارة الزراعة قسم البساتين تقوم بهذا العمل النافع الجليل في تلك الأنحاء .

ان الأسلوب الطلي الدقيق الذي عرض به الأستاذ بحنه والعطف الذي يفيض به قلبه على تلك الأماكن ليشير أن في النفس رغبة ملحة لزيارتها كي تستمتع بهذا الذي يعرضه كتاب مربوط من جمال الحياة وطرائف العادات .

لقد وقفنا مع الأستاذ عند واحة سيوة وفرة ممتعة تملئنا فيها الحياة الاجتماعية في هذه الواحة ونظام الري من العيون والآبار ونحن نهيب بوزارة المعارف أن تقرر هذا الكتاب بمكتبات مدارسها ثم نهيب بجامعة فيؤاد الأول وفاروق والازهر أن توجه الرحلات المدرسية الى هذه الأماكن ليتعرف أبناء مصر على جزء مجهول من الوطن من العار أن يظل مجهولاً ... لقد صاءت نفسي بعد قراءة هذا الكتاب أي كسب تحقق لي بقرائه فوجدته كسباً غير قليل - وانني أزجي للكاتب الفاضل إعجابي بأسلوبه وشكري على ما أفدته من كتابه الممتع

محمد فرهمي

### مجلة المشاة

أصدر سلاح المشاة مجلة جديدة أطلق عليها اسم حوت طائفة كبيرة من المقالات العسكرية النفيسة اشترك في تحريرها معالي محمد حيدر باشا وزير الدفاع واللواء طه محمد باشا والأمير الای احمد علي المواوي بك رئيس هيئة ادارة المجلة والبكباشي محمد عبد الفتاح ابراهيم رئيس التحرير والبكباشي احمد سيف اليزل خليفة والقائمقام احمد شوقي عبدالرحمن والصاغ احمد الغريب زايد والبوزباشي محمد كمال عبد الحميد والبوزباشي احمد حسن عودة وجاء العدد الأول من هذه المجلة من حيث الطبع والاخراج والتنسيق والمادة نفراً للذين أشرفوا على اصداره وتحريره مما يتعين منه اصداء موفور الشكر لهم تقديراً لجهودهم الطيبة الموفقة .

### الفكر المتمرد

في كتاب « الفكر المتمرد » ثورة عندها الأستاذ حنا أبي راهد على الأوضاع الحالية في الشرق فهو متمرد على القيود المفروضة على العقل من تقاليد وعرف وأباطيل وأغلال ولذلك يدعو إلى أن يتخلق الشرق بما سماه « العقل الميكانيكي » أي أن يستعين بالآلة في كل عمل من أعماله ويستغل بلاده ومواردها استغلالاً صناعياً اقتصادياً لأن الحروب إذا حلت وليس من حاصم منها — لا يكتسب النجاة فيها إلا الذين أخذوا لها عدتهم وعرفوا كيف يراجهون الحديد بالحديد والآلة بالآلة

وفي الكتاب كثير من الموضوعات الاجتماعية والثقافية والفلسفية وهو يطلب من مؤلفه الأستاذ أبي راشد في « دار الموفير العبد » العلمية في الظاهر وعن المسخة ٢٥ قرشاً

## فهرس الجزء الثالث

من المجلد الثاني عشر بعد المئة

- ١٦١ معاجم اللغة العربية - بين المعجم اللغوي التاريخي والمعجم الكبير : اسماعيل مظهر
- ١٦٩ نظرات في النفس والحياة : لاناتول فرايس : ع . ش
- ١٧٧ العهد ( قصيدة ) : عفيفي محمود عفيفي
- ١٧٨ الذرة معقل الروح : ميشيل شبلي السعد
- ١٨٠ الدين والايمان بالمجردات : عبد المتعال الصعيدي
- ١٨٥ العرب يعلمون الغرب الكيمياء والجبر : روبرت ثـ.تر
- ١٨٦ خصائص الفن الاسلامي : محمد رجب البيلي
- ١٩٤ العربية في رجل : محمد اسعاف النشاشيبي : محمد عبد الغني حسن
- ٢٠١ جقائق عن الكوليرا : الدكتور حسن بك كمال
- ٢١٨ لهوام الكبيرة هوام صغيرة
- ٢١٩ حافظ وهوقي : حسن كامل الصيرفي
- ٢٢٦ من حياة أبي نواس
- ٢٢٧ مشهد من مسرحية كليوباترا : محمد فهمي
- ٢٣٠ المراسلة والناظرة : حتمية نبوت همزة الوصل بعد آل التبريد : رشيد السيد : طي هـ.مش  
البلدان : محمد الشاذلي حسن
- ٢٣٣ باب الاخبار العلمية : الأمريون يكشفون : نوعاً جديداً من الاحياء المائية : وديع فلسطين
- ١٣٦ مكتبة المقتطف : تاريخ الاسلام السياسي محمد عبد الحليم أبو زيد : مريوط جنة الصحاري الغربية  
محمد فهمي . مجلة المضاء . الفكر للثمره .

## ٢ - لحق المقتطف

١٠٨-٥٧ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث : بقلم مصطفى عبد الاعطيف المحرري

# المقطف

الجزء الرابع من المجلد الثاني عشر بعد المئة

٢١ جادى الاول سنة ١٣٦٧

١ ابريل سنة ١٩٤٨

## التكافل الاشتراكي

نظرية مآ في النظام الاجتماعي

البحث الأول في تحليل النظرية

٤ - استبداد الفرد بالجماعة وغُلابة الرأسماليين<sup>(١)</sup>

استبداد الفرد بالجماعة رتبة طبيعية من مراتب التطور الطبيعي الذي جرى على الجماعات الإنسانية ، غير أن أشياء الحياة غير أشياء الطبيعة الجامدة ، فما ننعه بأنه « طبيعي » من أغبياء الحياة ، يتضمن ولاشكَّ عنصراً أصيلاً من عناصر التطور يتنقل بها في مراتب متساوية من التغير يتناول الكم والكيف ، على صورة تختلف كل الاختلاف عن مجالى التطور في أشياء الطبيعة الجامدة . فالفرد إن ظلَّ أزماناً متطاولة محتملاً تلك المرتبة التطورية التي جمعت استبداده بالجماعة عنصراً من عناصر التطور ذاته ، فإنَّ تركيب الجماعات في الحالة التي ظلَّ فيها استبداد الفرد عنصراً تطورياً ، كان من شأنه أن يجعل لتسود الفرد واستبداده ركيزة أساسية في نظام الحياة الانسانية ، كما أنه لا ينبغي أن ندمى أن الفرد ، وبخاصة في الأزمان البدائية ، لم يستغلَّ موقعه باعتباره عنصراً من عناصر التطور لحض أنانيته وهصله الصرفة ، بل إنه كان على قدر مأسا مضطراً بحكم وضعه الطبيعي من الجماعة وارتباده بها ، من

(١) نشر من هذا البحث ثلاث مقالات في عدد ديسمبر : ١٩٤٧ ، وعددي يناير وفبراير : ١٩٤٨

حيث أنه عنصر تطوري ، أجنح الى الغيرية منه الى الانانية ، والى جمل سلطانه واستبدادته أكثر مسايرة لحاجات الجماعة من مسايرتها لفرديته .

تلك حال استقرت في البدائيات الانسانية ، في الحياة الطبيعية الاولى وفي الحياة القبلية ، وبخاصة في الدور الذي يدهوه بعض المؤرخين الدور الطوطمي في نشوء المدينيات وظل الانسان خاضعاً لهذه الحال ومنه التطور تجري عليه متكاملة بطيئة ، خاضعة اكثير من التطور الطبيعي ولقليل من التطور الاجتماعي ، حتى بدأ طور الامبراطوريات العظمى في التاريخ وانقلب الامر من رياسة روحية تنحصر في رئيس يستمد سلطانه من الاعياء الروحانية ، الى رياسة مدنية زمانية تنحصر في رئيس خرج بنخبته من مدار القبيلة والطوطمية الى مدار السيادة والتسلطية ، وتألفت عناصر الدولة ، ولاح في أفق التاريخ الانساني شبح الامبراطوريات العظمى ، فتضخمت الفردية وتكررت في فرد واحد هو رئيس الدولة أو رئيس الامبراطورية ، فكان لتضخم هذه الفردية نتيجة ضرورية هي توزيع شيء من سلطة الرياسة على أتباع يمتدرون قراءه لرئيس الاكبر ، وإن كانوا يستمدون سلطانه من سلطانه واستبدادهم من استبداده ، وبذلك نشأ ما نسميه بالنظام الاقتاعي في التاريخ الانساني . وفي النظام الاقتاعي بلغت الاستبدادية الفردية قبة القوة والتسلط على الجماعة . ذلك في حين أن النظام الاقتاعي لم يعترف يوماً بمحدود طبيعية للقوميات أو للسلاسل ، فكان المثل الأعلى لهذا النظام هو بسط السلطان على أكبر بقعة من الأرض بنفس النظر عن تضمهم من الافواام أو القبائل ، ولم يبدأ هذا النظام في الانحلال إلا بعد أن قويت الروح القومية ومضت في التنشأ واستكمال أسباب القوة ، وكان ذلك ولا ريب بدء العصر الجديد ، عصر الصراع بين الجماعة والفرد ، عصر الانحراف عن الحياة القبلية ، حياة الروحانية أو الطوطمية ، الى الحياة العريضة ، حياة الحرية والطهارة في أن تضيق دائرة الفروق وتتسع دائرة المشابهات بين الافراد .

على أن هذا كله قد تضمن صورة من التطور بدأت بنظام فيه تكافل ، الى نظام فيه تنافس . تكافل بدأ مع الجمعية عندما شمرت بالحاجة الى الدفاع عن كيان الافراد وكان المجموع إزاء اعداء أكثر ، فكلها قل عدد الاعداء الطبيعيين وراح الانسان يحب احبائه

اطمئنان نسي في ظل صورة ما من المدنية مقيماً على حياة مليئة بالشرور والاضرار ، أخذت عقدة التكافل الأول في التفكك بعض الشيء ، وكادت تنحل تماماً في العصور التي خرجت فيها استبدادية الفرد الى ميدان التسابق الى السلطة لذاتها ولفائدته الخاصة ، لا لفائدة الجمعية . وسنرى أن الجمعيات الانسانية ، كما بدأت حياتها الاجتماعية بصورة نسبية من التكافل ، لا بد لها من أن تعود الى صورة تكافلية تلائم حياتها الحديثة ، وانه لا معدى للجماعات عن ذلك إن هي شاءت أن تحتفظ بقوتها الابتكارية التي تدفعها الى الأمام وإلى حياة التقدم التي تتسامى بها المثاليات

ينبغي لنا أن نعطين دائماً إلى أن في حياة الجماعة ناحيتين : الناحية التركيبية ، وهذه تتعلق بالصورة والقالب الذي تصب فيه الجماعة خلال عصره بعد عصر . ثم الناحية التكوينية وهذه تتعلق بالبنشأة والوراثة والدم . فالناحية التركيبية أطووع احوال التطور وألين فواماً وأهش بنية من الناحية التكوينية التي هي بمقتضى أنها ألصق بحياة الفرد ، تكون أعصى على التطور وأصلب عوداً في مكافحة عوامله .

الناحية التركيبية هي الناحية التي تتوالى عليها صور المدنية والحضارات . أما الناحية التكوينية فهي الناحية التي تمضي فيها الأفراد متطورة ببطء شديد ، إذ تتناول التكوين والوظيفة العضوية ، في تدرجات يتمتع استبانتها ، وفي مراتب يعسر علينا أن نستجليها . على أن لكلا الناحيتين علاقة بالفرد ، الأولى من حيث تصوراتها ومشاعره وعواطفه وانفعالاته ، والثانية من حيث خضوعه لبيئة الأرض والاقليم والوراثات الدمية البعيدة . لهذا نرى أنه قد نشأ حضارة فتردهر وتربو ، ثم تنحل وتتنكس ، فلا يتناول ذلك الحدث غير الناحية التركيبية في الجماعة . أما الناحية التكوينية فتظل ثابتة نباتاً نسبياً على قدر ما تؤثر عوامل التطور العضوي في الأفراد . نريد أن نخلص من هذا الى القول بأن مظاهر الناحية التركيبية إنما هو تطور يتناول الظاهر ، أما مظاهر الناحية التكوينية ، فتطور يتناول الباطن الذي لم يخلص العلم على جلالة قدره إلا بانارات بسيطة من أسبابه .

ولاشك مطلقاً في أن أثر التسلط الفردي لم يتناول من مظاهر التطور الجماعي إلا الناحية التركيبية . أثر فيها وكتبها بما يلائم على وجه الاستمرار زواته ومصالحه ، وألبسها النوب الذي يلائم مزاجه ويرضي خيالاته ويشبع عواطفه وانفعالاته . ولا يجب أن يتبادر الى الذهن من قولنا هذا أن تأثير التسلط الفردي في الناحية التركيبية من الجمعية ، لم يعطف الى التأثير في الناحية التكوينية منها . فالغزو والحروب ومحطيم المدنيات بيد المهج والمغازي الكبيرة التي يذكرها التاريخ ، وهي في الغالب أثر من آثار الفردية المعاصرة ، قد خلعت



بين الشعوب ومرتج دماءها ، كما أن تباير البيئات كان له أثر في الناحية التركيبية وأي أثر. ولكن كل هذا لم يكن متعمداً ولا ملحوظاً ، على العكس من أثر الفرد في الناحية التركيبية فقد لحظ فيه الغرض والغاية ، إذ رمى في كل اتجاهاته وعلى مختلف ضروبه وألوانه الى تسود الفردية واخضاع الجمعية لها .

إن الاحاطة بالاسباب التي أدت الى سيطرة الفرد على الجمعية ، وجعلته ينشأ أضافه في النظام التكافلي البدائي فيزله ويقضي عليه ، ويحل محله نظام السلطة الفردية ، أهون سبيلاً وأرخص مأخذاً من البحث وراء الأساليب التي تذرّع بها الفرد ليستعبد الجمعية . يمكن تأثر الاسباب من أحداث واقعة ظاهرة . أمّا الأساليب فنّها الخفي البالغ في الخفاء ومنها الغامض الضارب في الغموض ، ومنها الظاهر الجلي الواضح . أسلوب التسلط الفردي هو الجانب الخفي . هو ذلك الجانب الذي يرجع فيه الامر الى البواعث النفسية والوراثية عند من سلطوا على الجماعات ، والجانب الظاهر هو ذلك الذي تكيفت فيه هذه البواعث فظهر ملائماً لنظامات وعقائد وأوهام رمت جميعاً الى تعزيز السلطة الفردية .

ولست في مقام من البحث اضطر فيه الى احصاء وجوه ذلك التكيف ومظاهره ، وإنما أضرب على ذلك بعض الأمثال المؤيدة بحقائق التاريخ . فقد كانت الدعوى بحق الملوك الآلهي في الحكم والتحكم دعوى فاسدة من أساسها ، ولكن أيدها الملوك بالقوة وثبتوها بالسلطان واستعانوا على ركنيها في صلب النظم الاجتماعية رجال الدين واللاهوتيين .

كذلك لست في مقام البحث عن السبب في نشوء هذه الفكرة وما قام عليها من نظامات وعقائد . ولكن يكفي أن أضرب بها مثلاً عن صورة من التكيف لابت عقيدة موروثة وظلت من أقوى الأسلحة عملاً في اخضاع الجمعيات للسلطة الفردية .

ومن ذلك أيضاً أن النظامات الحديثة لم تنشأ وترعرع إلا في ظل التشريعات التي وضعها أصحاب السلطة الفردية لتكون رباطاً ترتبط به الجمعيات . ومنه أيضاً تأييد أصحاب الدين واللاهوتيين الملوك في تشريعاتهم ليؤيدهم الملوك في سلطتهم الروحية وفي امتيازاتهم التي أفرستها شرائع المهود البائدة .

ولا شك في أن شيئاً من ذلك قد انتقل من عهد السلطات الفردية المستبدة الى النظام الاقتصادي القائم ، فبدأت الجمعيات أمياداً بأسياد وملوكاً بملوك ، فاستمرت العوامل التي أسست النظم التكافلية البدائية مؤثرة في بناء المجتمع حتى يومنا هذا . وأما بيان ذلك فوعدنا به البحوث التالية .

اسماعيل مظهر

## تجارب

جبل شامخ يمتد في عرض الأفق ، له جانبان أحدهما مضيء يواجه الناس والآخر صابح في الظلام لا يعرف أحد حقيقة ما فيه .

وعند أقدام هذا الجبل خلق كثير تدفعهم جميعاً قوة خفية إلى أن يتسلقوه . وساءل بعضهم بعضاً عن هذه القوة العنيفة التي تدفعهم الى الامام دفعا وترفعهم على الجبل دفعا . ثناءلواصها هي ، ثم قالوا لسنأ ندرىها !! إنها قوة أحسنناها يوم أحسننا الحياة ، بل إننا لم نعرفها إلا بعد أن لمسنا آثار دفعها . هي نفسها التي عرفتنا ندي الام ونحن صغار ... إنها الغريزة ... إنها الغريزة .

ولغطوا بهذا القول وهم واقفون عند السفح يتزاحمون بالاكشاف :

ولم يكن في رفعة الجبل المضيفة إلا طريق ممد واحد يفضي إلى القمة ولا يسع إلا صاعداً واحداً . طريق نحتته الأقدام في صخور الجبل على مر الزمن وكثرة الصاعدين . رقى الأرجل فيه بحركة آلية على كثرة التوائه وتعرجاته وضربته في كل نواحي الجانب المضيء . خلق للصعود حسب وللتقدم وحده ، فلا يستطيع أحد أن يهبط فيه متراجعا إلى الوراء وإلا سخر منه من وقفوا بالسفح . يمر بكهوف هي مناجم ذهب ، ثم بكهوف هي أوكار حبات ثم بكهوف عسل فيها النحل ، وهناك ميون تفجرت بالماء ، وليس يستطيع الصاعد أن يجبد عن المرور بهذه جميعاً ، ويتابع السير مرفوعاً بالقوة الخفية حتى يصل إلى القمة .

\* \* \*

وتقدم أقرب الواقفين من مدخل الطريق ونظر إلى من خلفه نظرة وداع ، وحملته القوة الدافعة فجعل يصعد في الطريق مجلالاً سعياً ممزجاً نفسه بما سياتي من عمل وذدب ، وبقي الجمع واقفاً يرقب كل واحد منهم دوره .

ودار الطريق بالصاعد الأول بمنة ويسرة ، وعلا به مرة وسفل به مرة ، وتجاوزة النور والظلام في حزون الجبل وسهولة ، وهو مغتبط بما يرى لأنه ينال من الظلمة هدوءاً ومن الضياء اعتدائاً . وألقى نظرة على من بالسفح ولوح لهم بذراعيه ، وقال لهم : إني سعيد . فرددت أنحاء الجبل قوله : إني سعيد . فشمّر الصاعد الثاني وهو لا يزال عند مدخل الطريق ، من أذباله مستعجلاً وصول الأول الى القمة حتى يصعد من بعده .

ثم دار الطريق بالأول بمنة ويسرة ، وعلا به مرة وسفل به مرة ، حتى بلغ كهوفاً عسلاً فيها النحل ، فأراد أن يطعم ولكن أرجاء الكهف أنت جميعها بطنين النحل ، فغالبها حتى غلبها وطعم من شهدها بعد أن نالت منه إبرها كل منال . فألقى نظرة على من بالسفح ولوح لهم بذراعيه وقال : إني سعيد ، ولو أن أبر النحل آذنتني . فرددت أنحاء الجبل قوله : إني سعيد . فتمدد الصاعد الثاني في مكانه عند مدخل الطريق مستعجلاً وصول الأول الى القمة حتى يصعد من بعده . ثم دار الطريق بالأول بمنة ويسرة ، وعلا به مرة وسفل به مرة ، حتى بلغ كهوفاً وكرت فيها الأفاعي ، ودس يده في ظلمة الكهف فأحس أن فيه شراً ، فأسرع يجرى ، وتعبته أفعى فجعل يصيح : يا لاشقاء يا من بالسفح كونوا على حذر فإن الطريق ليس خيراً كله : هنا الذهب ، وهنا العسل ، وهناك الأفاعي . كونوا على حذر ... فرددت أرجاء الجبل : كونوا على حذر !

ورجعت الأفعى حين أيقنت أنه لن يعود ، وأجد الصاعد في طريقه حتى وصل الى القمة ووقف يفكر ، فإذا بحلاوة العسل والينابيع أقل بكثير من مرارة الفروع حين طارده الأفعى . ثم أحس أن القوى خارت ، وإن السفر الطويل أذى العود ولوح الوجه وأضعف النظر ، وانتفت الى الجانب الثاني من الجبل فإذا هو غارق في الظلام . ثم نظر الى الطريق الذي قطعه فإذا به صالح للصعود ولا يقبل العودة ، فندم على أن فعل ، ولكن كان لا بد له أن يفعل لقد قطعه بالغريزة . ورأى من بالسفح شبح رجل يترنح ويترنح ثم يهوي الى الجانب الثاني الى حيث يبتلع الظلام !

لم يستطع هذا المنظر المروع أن يحول الصاعد الثاني عن عزمه وهو عند مدخل الطريق فنظر الى من خلفه نظرة وداع وحملته القوة الدافعة الخفية فجعل يصعد في الطريق مجازاً سعيداً

لأنه سينتفع بتجارب من سبقه : صينيل من الينبوع ويعطهم من العسل مجانياً طريق الافاعي .  
وما كادت رجلاه تأخذان الطريق حتى هبت في أعلى الجبل رياح عاصفة شردت النحل  
عن الخلابة فترك عسله بلا حارس ، وأجبرت الافاعي على أن تهاجر من كهفها الاول الى حيث  
كهوف الذهب فنسامت حوله . وشخص من بالسفح الى الصاعد الثاني وأرهموا الاسماع ،  
فردت أنحاء الجبل قوله : إنني سعيد ، عسل لا يحوطه نحل ، وافرحتاه افشمر الثالث من  
أذياله عند مدخل الطريق مستعجلاً وصول الثاني الى القمة حتى يصعد من بعده . وما هي إلا  
نقرة حتى مسموه يقول : ليس في كهف الافاعي أفاعٍ ، ياله من طريق مأمون افساد السامعين  
مروج ومرج ثم قالوا : لتحي التجارب ا ودار الطريق بالصاعد بمنة ويسره ، وعلا به مرة وسفل  
به مرة حتى بلغ كهف الذهب ، ودس يده في ظلمة فلدفته حية . وهناردت أرجاء الجبل  
صرخة مربعة قوية روعت سواكن الطير ، وتهامس من بالسفح :

ليكن ... فلن يقع الثالث في هذه الغلظة ا ثم جعل الثاني يدور مع الطريق متمللاً من  
الأم والافعى ترقص في موضعها لأنها تأرت لنفسها ، حتى وصل اللدغ الى أعلى القمة فاذا  
القوى خائرة والجسم تالف . فنظر الى الجانب الثاني ودار مترنحاً ثم هوى الى حيث ابتلمه  
الظلام . ولكن هذا المنظر المفزع لم يحوّل الصاعد الثالث عن عزمه وهو عند مدخل  
الطريق ا

\*\*\*

كانت طبيعة الجبل خاضعة لناهوس التغير لا فرق بينه وبين من يقف عند سفحه من  
الناس : فلم يكن ذهبه يستقر في فجوة حتى تنقله الافاعي الى فجوة أخرى ، وكثيراً ما كانت  
سباع الجبل من طير ووحش تهجم على خلایا العسل فتقتله ثم يخرج النحل غيره من جديد  
في مكان بعيد . أما العيون فكانت تفيض في مكان ثم تنبع من بعد في مكان آخر .

لم ينل الصاعد الثالث في طريقه الا الماء ، وطاردته الحيات طول مسيره حتى لقي  
معيه على ذروة القمة . ولم ينل الصاعد الرابع سوء ولا أذى فطعم شهداً وارتوى ماءً  
وامتلاً ذهباً ، حتى بلغ القمة فهوى الى الجانب الثاني ولم تكف أرجاء الجبل عن ترويد

لفظتي السعادة والشقاء مع كل صاعد . فلا الطريق مسعد ولا الناس يكتفون .  
وهنا جاشت النفوس برب شائك وتذمر شديد ، وبدأ من بالسفح يقولون :  
— هذا عبث ... ما أخلقنا ألا نستجيب الى نداء ما مميّناه بالفريزة فنكف من أول  
خطوة عن الصعود في هذا الطريق الوعر !  
— إنك لا تستطيع وأنت واقف عند مدخله أن تزود نفسك الطموح عنه ، لأن بريق  
ذهبه يعميها .

— وتستطيع أن تبتنع بتجارب الدين سبقوك فتحديد عن الأوكار وتمر بالمناجم .  
فقال حكيم : إن فينا من الغافلين كثيرآ ... وإلى هذه الساعة لا تفهمون أن طبيعة  
الجلل غير ثابتة ؟ كل شيء فيه يتغير إلا النور والظلام ، فما قبعة تجارب من سبقونا ؟  
لأنكر أنها نافعة ولكن إلى حدٍ غير بعيد .  
فقال فيلسوف : لكنها تهدي صاحبها على الأقل  
فضحك أحد المجانين وقال : لكنه لا يدّخر منها القدر الصالح إلا بعد أن يقطع الطريق  
كله ثم يجد نفسه عند القمة ، ثم يبتلعه الجانب المظلم فلا تفي عنه التجارب فتبلاً .  
فضحك القوم من حكمة المجنون ...  
وطادت النفوس فجاءت برب شائك وتذمر شديد .

\*\*\*

وهنا وقف أحد الصالحين وقال : أيها الناس : إن مصدر عنائكم في موقفكم هذا هو  
أنكم تفصلون الجانب المضيء من هذا الجبل عن جانبه المظلم . هنالك تكمل سعادة  
السعداء وتنشأ للأشقياء سعادة ما داموا بحفظون توازنهم وهم صاعدون في الطريق . هناك  
ضياء وهنا ظلام ... هناك طريق ليس المصراع آخر المطاف فيه !!  
فالتفوا حوله بقلوبه وهم في نشوة اليقين ، وسخروا من أنفسهم التي تصورت أن هناك  
جبلًا له جانب واحد

محمد عبير الحليم عبر الله

## نظرات في النفس والحياة

- ٦ -

تكملة نظرات أماتول فرانس

(١) كان جان ايلو (السمك) قليل الكلام ولكن كلامه كله كان مقصوداً على ذكره المصائب ووصفها كمصائب أقاربه الذين ابتلهم البحر وهم يعطادون السمك وعلى كثرة ذكره المصائب لم أحده إلاّ وادعاً مطمئناً. كأنما يجد فيها كلها خيراً لأنها أمرٌ مقدّر - وهذا السمك الجاهل يذكرني بحكمة جويوى كبير أدباء الألمان التي وصل إليها بالثقافة ورياضة النفس بعد العهد الذي أمماه عهد العاصفة والشدّة وهي قوله : الرجل السعيد هو الذي يطمئن الى ما يريد القضاة كأنما هو الذي يريد ويرغب فيه اذا كان أمراً محتوماً . وقد وصل جان ايلو الى مثل هذه الحالة بالطبع والفريضة أو العادة .

(٢) وكانت خادمتنا ميلاني تمر كل يوم على صاحبات الدكاكين ويشوقها أن تتحدثنّ وكان كل حديثهنّ مقصوداً على ذكر الاسقام والامراض وأنواعها وآلامها وأوصافها كأنما في وصفها لذّة لمنّ . فاذا انتهين من حديث الامراض وتجنّ حديث الجرائم التي تفنم منها الابدان - وهكذا تُسرّفه الحياة عن بعض الناس حتى بأنواع ذرية مألوفة من أحاديث النكد والفرح والربح .

(٣) يتفق في بعض الاحايين أن يتنافر زميلان في كل أمر وأزايختلفا في كل شيء وأن يتفاجرا في كل خلاف ومع ذلك تكون بينهما رابطة وثيقة وصلة متينة وألفة دائمة أساسها هذه المشاحنة التي تعير ديدناً لا يستغنيان عنه وعادة لا تتم سعادتهما إلاّ بها ودعامتها اذا اشتراها فجرة من المشاحنة اتفقاها في أمر واحد كالسخر بمن عداها من الناس (٤) كان في طريقنا حانوت على بابه صحنان وقد علمتني أي أن أراهما يتسمان اذا أحسنت

السلوك ويعبسان اذا أسأت وكانت أُمِّي تقول : اعمل خيراً تبقي لك الدنيا - وتوهمسي ابتسام الصنمين وعبوسهما من الايجاء النفسي، ولكنه مؤسس على حقيقة وهي أن المرء اذا كان راضياً عن سلوكه وعمله سرَّت نفسه فتسنعكيسُ أشعة سروره على مرآة الدنيا .

(٥) قالت بلقيس : إن سكرة الفزع تسري في أوصال جسمي لئلاَّ فإن الخوف أو الفزع لذَّة في بعض النفوس أو في بعض الحالات وهذا يذكرني قول لفنجستون الرحالة المستكشف وقد أوقعه أسد على الأرض ووضع قدمه عليه وكاد يفترسه ويقضي عليه لولا أن رجلاً قتل الاسد فقال لفنجستون إنني كنت أشعر بذهول لذيذ من الخوف. ولعلَّ هذه اللذة في الخوف من الأساليب التي تخفف بها الحياة في بعض الاحايين ويل الآلام والمصائب. وربما يعتري مثل هذا الدهول كثير من الحيوانات التي تكون فريسة وطعمة لغيرها. ويذكرني هذا قول بيرون الشاعر الانجليزي ان من رحمة الحياة أن الانسان لا يستطيع ان يتحمل إلاَّ قدرًا محدوداً من العذاب فاذا زاد العذاب أغشى عليه أو هلك وهو في الحالتين لا يحسه - وما يذكر عن الجنود ان أشد الجروح قد لا تصحبها آلام في بعض الحالات أو تصحبها آلام أقل من آلام الجروح الخفيفة .

(٦) كان لي صديق اعتزل العالم وعود نفسه ان لا يفكر ولا يعمل خشية ان يكون لفكره أو عمله عواقب من الشر يصيب الناس ولا يتوقعه فقلت له ان امتناعك هذا قد يجلب الشر أيضاً وليس الفكر والعمل والقول ما يُقصر عليه معير الانسان. والتحكم في حياته فان حصاة صغيرة تنساح من جبل قد تكون لها عواقب كثيرة ذير متوقعة وامتناعك عن العمل قد يتخذهُ أناس طريقاً للخير والهداية فيقاتلون من لا يعتنقها . قال صديقي فلا بدَّ إذا أن يموت الانسان حتى يسلم من عمل الشر . قلت أحذر من قولك هذا فان موتك أيضاً حمل وكل عمل قد تكون له عواقب من الشر غير متوقعة .

(٧) زار جان سرفيان بيت صديقه اذجار ورأى مظاهر الترف والنعيم فشعر بنقص ووضاعة وسألته أم صديقه قائلة ما صناعة أبيك ؟ قال مستخدماً انه مُجَلَّدٌ لا كُتُب. وأحس بالغبط والنقمة على أبيه الذي اختصه بكل ما استطاع . وودَّ ان لا يراه أبداً من الغبط والحلق والدمور بالذلة وكل ذلك بسبب زيارة نهيرة لبيت اتعرف وهي زيارة لاتنفعه

كما نفعه أبوه - وهذا يذكرني اعتراف جويته كبير أدباء الألمان انه في أحلام العظيمة كان يحول في خاطره أن أباه ليس الرجل الذي رباه بل أن أمه حملت به سفاحاً من أمير جليل الشأن . ويذكرني أيضاً قصة من قصص جيني دي موباسان سمح فيها فلاح فقير لرجل غني عقيم ولزوجه العاقر أن يتسبباً ابنه وأن يربياه وكان جاره قد رفض ذلك مستعزاً بابنه فلما كبر الغلام الذي رُبي في النعيم وترعرع وزار القرية ورآه الغلام الفقير المستعز به فقد على أبويه حرمانه من هذا التبني في كنف النعيم ولعنهما وهجرهما وهما في حاجة اليه في كبرهما - وهكذا الانسان ينمى فضل أقرب الناس اليه اذا غلبته الأثرة والغيبظ والحسد والطمع .

( ٨ ) وكان جان مفيظاً مُعْتَنَقاً وأحس برغبة في أن يرى إنساناً أو جماداً - أو حيواناً - يُشبع منه نهمة غيظه وكرهه وقسوته - وهكذا الانسان قد ينكسر بمن لم يكن سبب غيظه اذا استشرى الغيظ وتملكه الغضب وفارقه الانصاف ونزل الى مرتبة الجنون أو الاجرام أو البهائم أو ما دون ذلك .

( ٩ ) قال الاب سرفيان : تعلم يا بني واشتهر ولا تخش عند ما تصير وزيراً أن نجل لك المرأة بوضاعة أصلنا فإننا نخفي أنا وممك في قرية صغيرة ففضبت العممة وأبت إلا أن تدبر أمور منزل ابن أخيها عند ما يتعلم ويشتهر ويعير وزيراً وألحت على أن تدبر شؤونها ومماحت أخاها وهاجرته كما كانت تعاركه في أمر قد حمل أو هو قريب الحدوث وهكذا الناس في حماقتهم يتطاحنون حتى على الخيال أو الحال .

( ١٠ ) قد يتسامح المرء في الاختلاف العظيم اذا اطمانت نفسه إلى عقيدته او عرف أن خصمه لا يستطيع السموق بفكره والتسامي برأيه اليه كي يلزم به ويستوعبه كما كان يصنع الراهب لونهجار مع من ينتقد دينه وعقيدته، ولكنه قد يدركه الغيظ إذا خالط منافسه ووضع في طائفة ليس منها وبينهما في العقيدة والطريقة فرق قليل إذا كانت بين الطائفتين منافسة وهكذا كان يفضب الراهب لونهجار اذا نسب أحد الناس الى طائفة من الرهبان غير طائفته وكان يقول إن الرجل الذي لا يستطيع التمييز بين الطائفتين لا يستطيع أن يرى الذبابة في العين وهذا يدل على أن العواطف المتقاربة قد تكون أشد تبادلاً وتؤراً



بسبب قلة الخلاف بينهما كما يدل على أن الانسان غريب الخلاف لنفسه فيتسامح في الامر العظيم ويتحاشى في الامر الصغير في بعض الاحايين .

(١١) انك إذا اغتفرت لانساني ذنباً وكان اغتفارك ذنبه على سبيل الاحتقار له والازراء عليه والازراء به والاصغار له أنه والتهوين من أمره، فإنه قد لا يغتفر لك صفحك وغفوك وكرمك إذا كان باغتك على ذلك الازدياء والاحتقار وإذا عرف أن هذا كان باغتك . وهذا بالرغم من استفادته من اغتفارك ذنبه والصفح عنه .

(١٢) قد ينبروقار المعاتب الذي لا يقبل الجدل من الغيظ أكثر مما تنيره ضجة المخالف الصاخب الذي يقبل الجدل ويقابل الصخب فيه بصخب مثله لأن الامر قد ينتهي عند ذلك ولا يخلف كتباً ولا قهراً في النفس ما دامت ضجة المخالف تقابل بضجة مثلهما أو قد تكون معاودة بعدمثل هذا الخصام إلى الألفة والعشرة . أما وقار المخالف الهادئ الذي لا يقبل جدلاً ولا صخباً فلا حيلة فيه ولا سبيل لدفع لومه وقد يسبب القطيعة والوحشة طول العمر .

(١٣) اذا نار نائر وخاب وهزم عُدَّ مجرمًا عاصياً . أما إذا ظفر ونجح عُدَّ حاكماً شرعياً — قوله الشريعة والقانون وأعداؤه هم المجرمون — فلو أن يوليوس قيصر هزم بعد عبوره نهر روبيكون في زحفه على روما، ولو أن نابليون بونابرت خاب وقتل يوم انقلاب برومير عند ما نار على الجمهورية الفرنسية الاولى، لهذا الآن من المجرمين ولم تعرف شرائع وقوانين بائيهما .

(١٤) في بعض الاحايين تستغل حكومة السلطة في الحكم فيخاف الناس أن تسقط إذا تعودوا تتابع الحكومات المستغلة فتأتي بعدها حكومة شرئ منها . وهذا يذكرني قصة امرأة عجوز كانت تذهب كل يوم الى بيت العبادة كي تدعو ربها أن يطيل حياة الطاغية الذي كان يحكم بلدها سرقوسة ، فعلم بها وأرسل في طلبها فلما منات بين يديه سألها لاي أمر تدعو له كل يوم بطول العمر . فقالت أخشى إذا مت أن يخلفك من هو شر منك . ويذكر هذا بقصة الجريح الذي سقط الذباب على جروحه وامتنص دمه فأشفق عليه رجل وأراد أن يمد الذباب عنه فرجاه أن يتركه لأن الذباب الوانع على جروحه كان قد شبع من دمه فإذا أراحه عنها حل محله ذباب لم يرتو من دمه بعد فيكون هو الخامس

(١٥) كانت فلسفة روسو مؤسسة على أن الإنسان بطبعه مخلوق خير طيب فاضل وهي عقيدة لا يمتنعها إلا من لا يستطيع الضحك ولا الابتسام. وقد ظهر تناقضها عندما اعتنقها ساسة الثورة الفرنسية الأولى وحاولوا تطبيقها فقد كان روبسبير يحسب أنه من المستطاع أن يبلغ الإنسان كمال الفضيلة فاشترك في حكم الارهاب كي يبلغ به حد الفضيلة فاضطر إلى الاكثار من استخدام القتل عقوبة. وهكذا كل سيامي عظيم التماؤل بهذه العقيدة يبدأ بقتل بعض الناس، ولو ترك يصنع ما يشاء لقضى على الناس جميعاً أو على أكثرهم.

(١٦) من العجيب أن كثيرين يضعون الإنسان في فصيلة تشبه فصيلة القروذ ثم يفضون إذا رأوا خصاله تشبه خصال القروذ.

(١٧) إنما كتبت قصة الثورة الفرنسية كي أوضح أن الإنسان لم يبلغ من السكال حداً يمكنه من أن يكون عادلاً إذا طاب بدعوى مناصرة الفضيلة. فالرحمة إذاً أقرب إلى العدل ولن يتم عدل الإنسان إذا نظر إلى جانب العدل وحده وأعمل جانب الرحمة - ولكن الناس تنور وتقتل وترتكب الموبقات بدعوى مناصرة الرحمة أيضاً وإزهاق ما يخاف مبدأها.

(١٨) قرأ لنا معلمنا المسيو كروتسو قصة مارسياس الإنسان الحيواني الذي أراد أن ينافس أبولون رب الفنون الجميلة فقمهر أبولون وقتله وسلخه فارتعت ووجمت ولم أعرف كيف أسوغ قسوة رب الفنون الجميلة إذ سلخ خصمه، وأخلاقاً بمن كان رب الفنون الجميلة أن ينزعه نفسه عن هذه القسوة الهنيئة وأن ينزه الناس عن قدورها، وإلا فبأي شيء تكون تلك الفنون جميلة إذا لم ينزه نفسه. ولكن عند ما تذكرت أن صورة مارسياس تشبه في خيالي صورة معلمنا كروتسو الذي كنت أمقته، سهل علي أن أغتفر لأبولون قسوته - وهكذا الإنسان يسوغ الشر إذا وقع بهيبه من يكره ولا يرى القسوة قسوة إذا قاساها من يعادي أو شبيهه من يعادي.

(١٩) أستطيع أن أقول قول روسو أني لا أكذب إلا لتأييد الحق - وإذا

استرسل المرء في هذا المنطق استطاع أن يسوِّغ كل شر بدعوى تأييد الحق أو تأييد ما يحال أنه الحق وإن لم يتضح له ولم يتحقق بما لا شك فيه أنه الحق .

(٢٠) كان من سوء حظ جان سرفيان وهو حائد إلى منزله أثناء ثورة الكومبيون في باريس أن قابل بعض الثوار تقودهم امرأة ورأى الثوار أن جنود الحكومة يقتربون فأرادوا الفرار فقالت المرأة تقتل هذا أولاً وأشارت إلى جان ولم تكن تعرفه ولم يكن له ذنب بل كان من حربها أو يعيل إليه . ولكن المرأة استهواها حب سفك الدماء فأطلقت عليه الرصاص ووقفت ترفص على جنته — وعدل هذه المرأة أو ظلمها مثل عدل أو ظلم كثير من الناس وإن ظهر في مظاهر أخرى إذ أن من عادة الناس أنهم ينكحون أولاً ثم يحبون وقد لا يحبون

(٢١) كتاب الاعترافات يغالطون أنفسهم ويغالطون الناس إذ يزعمون أنهم لم يخفوا عن القراء شيئاً من حياتهم وأفعالهم وخصالهم وخطرات نفوسهم . إذ أن هذا الاعتراف الكامل أمرٌ أن يستطيعه إنسان ولم يستطعه جان جاك روسو بالرغم من صراحته في اعترافه وذهم نفسه والاساءة إليها .

(٢٢) أعظم فائدة تفيدنا حقائق الحياة أنها أساس يبني الناس عليها آمالاً للحياة ليست فيها .

(٢٣) مما جعلني أغتفر للحياة آلامها أني قرأت قصة لكاتب وصف فيها أناساً لا يفضون ولا يحزنون ولا يألمون ولا يشتهون ولا يحبون ، فرأيت أنه قد عا المرور والسعادة والجمال والشعر والفنون عند ما عا آلام الحياة ومكارهاها .

(٢٤) كنت في صغري أحب أن أتودد إلى أقرابي فيعتريني الحياء فلا يكون جرائي إلا السخر ، لأن الحياء يبعث على الاحجام عن التودد والارتباك والتردد فيه فلا يكون نصيب صاحبه إلا السخر منه والانصراف عنه — وقد يخال ما به الكبر والعُـلُف والزهد في الناس والتعالي عنهم — وهذا إذا لاقى من هو أكثر منه جرأة فإذا قابل من هو في مثل حياته كان نصيبه أيضاً الاهمال والانصراف عنه . فالتناس كثيراً ما يسبون الظن بصاحب الاحتجاز والاحجام عن التقرب إليهم من حياته وخشبة أن يكون نصيبه في

تقربهم منهم النفور منه أو الاهانة أو الخزي أو الازدراء ، فكم منع الخوف من هذه الآهـور من مودات وألفة وتعام . والناس ممذرون إذ أن صاحب الحياء يضرر بنقص من أجله وقد يستره بالكبر ، وقد يغالي فيستره بالخشونة والتجهم في معاملة الناس .

( ٢٥ ) ربما كان أحد الناس اضطهاداً للناس هم الذين قاسوا آلام الاضطهاد وثاروا عليه ولكن معاناتهم له لا تعيظهم . والمعروف ان الذين يريدون أن يغيروا نظم الحياة كما يشاءون يأبون على غيرهم ان يريدوا ما أرادوا وقد يغالون في ذلك .

وقد كان أحد أعضاء مجلس الشيوخ يرتعد اذا رأى شباناً في مظاهرة سلمية وبود أن يستخدم الشرطة النار والسلاح لمنعها . وهذا الشيخ كان في شبابه عضواً في كل جمعية سرية ثورية ، وزعيماً في كل ثورة . ومن الأقوال المعروفة : أنك إذا أردت أن يتخلى نائر عن حدته فاجعله وزيراً فإنه يصبح من المحافظين ، إذ أن مسؤولية الحكم ونظرة الى الأمور تدعوانه الى أن يرى من الامر ما لم يكن يرى قبل نيامه بأعباء الحكم .

( ٢٦ ) كثيراً ما يحدثك محدث فيقول سنرى قريباً تغيراً كبيراً في نظم الحياة وسنراها ولكن الأمور لا تتغير إلا ببطء - وما دام الانسان إنساناً فإن طبائعه وغرائزه التي نشأت ونمت ورسخت في مئات الآلاف من السنين لا تتبدل إذا تبدلت إلا ببطء . فتل الانسان إذا غير نظام حياته وحسب أنه غير طباعه أو نسخها مثل من يغير ثيابه ويحسب أنه قد غير نفسه وليس معنى ذلك أن نظم الحياة لا يحسن أن تنير فقد قال اناطول فرانس في مكان آخر أن نظم الانسان وغرائعه وقوانينه كثيراً ما تكون مؤسسة على القسوة والظلم والحماة ، فاذالم تنظف من حين لآخر كانت كالحجرة المظلمة المهملة تحت الأرض تربى فيها الحشرات وتنزل فيها الفناكيب خبوطها وبيوتها ، فليس لها إلا المسكنة .

( ٢٧ ) الغريزة في الفن كالغريزة في الحب ، هما الدليل الذي يعتمد عليه ، فاذا فارق الانسان غريزته في الفن كان كالسمك الذي أخرج من الماء لانطول حياة فنه بعده .

( ٢٨ ) إن الأفكار الغالبة على الجنود وإن كان بينهم أبطال أفكار بعيدة عن البطولة ،

وكذلك نزعاتهم مثل الاقدام على العدو خوفاً من أن يبيدوا إذا فكسوا وولوا الادبار أو مثل خوفهم من العار والتعير إذا أدبروا وجبنوا، أو مثل اتقاء العواقب المتنوعة غير المعروفة للهرمة إذا انهزموا خوفاً، أو مثل الخوف من الحكم بالاعدام على من يفر هرباً أو حتى مثل الخوف من الخوف، فان الخوف من الخوف قد يؤدي إلى مظاهر الشجاعة والبسولة أو لأن الانسان سريع الاستجابة للايحاء، فاذا وضعت في يده سلاحاً أحسَّ بميل إلى إدخاله في بطن ما.

(٢٩) كثيراً ما تصدر عن المرء أماله وأقواله كأنها آتية إليه من خارج نفسه، وإنما هي من استجابته لأمور الحياة واندفاعه في تيارها. ومن أجل ذلك كثيراً ما يكون المرء أعظم أو أحقر من نفسه أي من المؤلف منها في حياته.

(٣٠) من فوائد العمل أنه يصرف المرء عن التفكير في آلام حياته وعن الأفكار التي قد تستحوذ على العقل والنفس وتستعبد لها فتكون مثل الجنون وهو يشيع الغرور في الانسان وقد يوهمه القدرة على مغالبة القدر ويلفت المرء عن مقدار محضه في أمور كثيرة.

(٣١) صديقات عقيمة برجرية أرغنها على ترك زوجها وكانت قد خانتها وقبلت وهي تحترق في سرها، لأنه هو المظلوم، أن تستغفر له لومه إياها وأن تصالحه وتبقى معه. ولكن صديقاتها أبين إلا أن تترك بيته صيانة لكرامتها بعد أن آتمها في سرها، وكن يُظهرن مؤازرتها ومناصرتها وإنما كان مقصدهن الذي أخفينه ورغبتن في التخلص منها وهي ثقبلة لديهن رعاء، وقد تفضحهن برعوتها وحماقتها، فكان كيدهن لها يلبس لباس المناصحة والمؤازرة، كما أنهن كن يكرهن زوجها لأنه كان رجلاً مفكراً وكن يسترن به القن من أجل ذلك.

(٣٢) إن خلق عالم جديد ربما كان أسهل على المرء من فهم نفسه فهماً كاملاً على سبيل التقصي من غير أن يفوته شيء من حقائقها.

## تلازم القلب والعقل

إن القلب والعقل أبدأ متصاحبان متلازمان : فصاحب العقل الكبير لا بد أن يكون قلبه كبيراً ، وذو القلب الصغير لا محالة من أن يكون عقله كذلك صغيراً ... لقد ثبت أن عظماء الرجال قاطبة كانوا يمتازون أبدأ بحواس صادقة قوية وعواطف نادرة تدرك من الجمال ما لا يدركه الآخرون العاديون ، وتذوق في إدراكها ما لا يذوقون . وثبت أنهم كانوا جميعاً فوق الناس في عواطفهم كما كانوا فوقهم فيما يقوم به . إن رسالة كل إنسان مقطرة ومقدرة ما ينتظرها من النجاح بما يحمل ذلك الانسان من حب للجمال ومن شعور به . والانسانية كلها رهينة بما تتصوره من أهداف وأمانى : فإن كانت تلك الأهداف والاماني قد صورها الخيال المبدع على أبداع وأروع ما يمكن من صور الجمال ، جاءت تلك الانسانية عظيمة مبدعة وإن كانت أهدافاً سقيمة مظلمة قد ولدها وشوهها الخيال المظلم المضطرب ، فلن تكون تلك الانسانية شيئاً ... إن إنساناً واحداً أو شعباً واحداً لو فقد هذا الاحساس بالجمال فقدأ تماماً لوقف مكانه ، ولما استطاع أن يعمل شيئاً وأن يؤدي رسالته ، وإنه لن يعمل ولن ينتج إلا بمقدار ما يتصور ويتخيل من الجمال وبمقدار ما يتسلكه من حب الجمال ... إن الفرق بين الامم ليكاد يكون هو الفرق بينها في شعورها بالجمال وفي مذاهبها فيه . إن ذلك الانسان الثقافه القانع بالديش الثقافه والوجود الثقافه ، لانسان قد برى قلبه وتصوره من حب الجمال ، ولو أنه تزود بشيء منه لدفعه ذلك الى الامام والى الوجود بقدر ما فيه من طاقة وحرارة .

من كتاب « هذه هي الاغلال » : لمبد الله علي القصيمي : ١٩٤٧ ص ١٥٨

# سياسة الارشاد الاجتماعي

على أي أساس ينبغي أن تقوم ؟

إذا نحن ذكرنا « الإرشاد الاجتماعي » في كتاباتنا أو أحاديثنا ، خَبِلَ لنا أن في مقدورنا الالمام بمجمله معناه أو إدراك ما يهدف إليه بصورة طامة ، من دعوة ونصح ووعظ أو هذني منبري متحمس ، على حين أن أمر هذا الارشاد هو من خطر الشأن وعظيم الأثر في مصير الحياة الاجتماعية كلها ، بالقدر الذي يكاد يسلكه في عداد الموضوعات الكبرى ، التي تؤلف بدورها مجموعة الأسس الجوهرية لما اصطلاحنا على تسميته بالسياسة العامة للدولة . وحسبنا تدليلاً على صحة هذا القول ، أن نعين الهدف الأول الذي تقصد إليه سياسة الإرشاد الاجتماعي . هذا الهدف هو السعي الخفي وراء تكوين « عقلية اجتماعية » متجانسة لهذه الأمة ، تستطيع أن تدرك بها إدراكاً سليماً مجموعة المعاني أو القسَم السامية التي تنطوي عليها رسالة الإصلاح برُمته ، وبالتالي طرائق تحقيق الأهداف الكبرى لهذه الرسالة ، وأساليب تنفيذها وتطبيقها في شتى الأوساط والبيئات ، وبين مختلف الهيئات والأفراد كما تستطيع بهذه « العقلية » الجديدة أن تشارك مشاركة فعالة في مراقبة القائمين بأمرها ، ومن ثمّ معاونتهم معاونة صادقة في هذا الميثل .

يتبيّن لنا مما تقدّم أن سياسة الارشاد الاجتماعي ، في أقوم وأسلم دَوْره لها ، هي من أعقد وأشق ما تضطلع به الدولة من أعباء ، وبخاصة إذا كان الوسط الاجتماعي المراد تطبيق هذه السياسة عليه ما يزال في أولى مراحل تكوينه من ناحية هذه « العقلية الاجتماعية » ، إذ تصبح تلك السياسة ، في حالتنا هذه ، بمثابة العبء الأكبر الذي يقضي ، على الدوام ، تضافر القوى والجهود الحكومية وغير الحكومية إلى أبعد حد مستطاع ، لتحقيق « النقلة » الجبارة التي يتحقق بها للجمتمع ما يصبو إليه من تناسق بين ظروف

وأحوال طبقاته ، وما يهدف إليه من ارتفاع ملموس في المستوى المعيشي بين عامة أفرادهِ وطبقيهِ أن يكون السواد الأعظم من الشعب هو المقصود بسياسة التوجيه والارشاد .  
فاذا عرفنا أن هذا السواد الأعظم قد اصطلحت عليه ، لأسباب كثيرة لا محل هنا لتفصيلها ،  
جملة ظروف ثمينة من جهل ومرض وفقير ، استطعنا أن ندرك مدى العبء الذي يقع على  
كاهل المرشدين الاجتماعيين ، وعلى كواهل واضعي سياسة الارشاد ، لأن هذه السياسة  
يتحتم عليها أن تكافح جاهدة هذه العلل والأدواء مجتمعة ، الى جانب ما تقوم به اليوم ،  
في حدود ذرائعها المحدودة من توجيه عملي لجموع هؤلاء النعماء من ضحايا المرض والفقر  
والجهل .

والحق أن المقومات النفسية والخلقية والمادية التي تعين على تكوين عقلية اجتماعية  
جديدة لشعب هذه هي ظروفه وتلك هي حالته ، ليست من المطالب القريبة المهينة التي  
يسهل علينا إدراكها في أوجز وقت وبأقل كلفة ، فهي مقومات تستند أول ما تستند الى جو  
البيت ونظم المدرسة وطبيعة المهنة أو العمل والظروف الاقتصادية العامة التي تكيّف  
المستوى الاجتماعي اكل طبقة من طبقات الشعب ، كما أنها مقومات تستمد وجودها من  
وجرد « رأي عام » ناضج ، لا يكتفي بأن يُلقى التبعة كلها أو العبء بتمامه على كاهل  
الحكومة وحدها ، بل يذهب الى حد أن يسأل كل فرد مستنير من هذا الشعب نفسه ،  
عما أدّاه من تقع أو خير للوسط الذي يحيا فيه ، وللمجموعة التي تعمل بها روابط مختلفة  
من وحدة المنشأ وتبادل المنفعة ، فضلاً عن المشاركة في إحصاسات اجتماعية واحدة .

\*\*\*

ولقد قرأت في هذا المعنى ، « للأستاذ « كارل زيمرمان K. Zimmermann » أستاذ  
الدراسات الاجتماعية العليا بجامعة « هارفارد » ، في مؤلفه القيم عن « الأسرة والمجتمع  
Family & Society » . قوله :

« إن الأمة التي تُدبم التطلع الى الجهد الحكومي ، لتلقي عليه وحده أعظم العبء في  
كل كبيرة وصغيرة من شؤون حياتها ، لمي أمة حكمت على نفسها بالجلود والموث ، وأثبتت



أنها لا تدرك معنى التضامن الاجتماعي بين الحاكين والمحكومين ، لقصور في إدراكها أو نقص في وعيها الجمعي .

غير أن تلك المقومات على ضرورتها وهذه الحاجة الى استعانتها كعناصر لها أثرها الفعّال في نجاح مهمة التوجيه والارشاد ، يعوزها التجانس إلى أبعد حد ، هذا التجانس الذي يجب أن يربط بين وسائل الارشاد وغاياته من ناحية ، وبين الظروف الاجتماعية والاقتصادية للوسط أو الطبقة التي يراد تطبيق سياسة الارشاد الاجتماعي على أفرادها من ناحية أخرى .

\*\*\*

وهنا نجد أن سياسة الارشاد السليمة ، إنما تهدف إلى تحقيق لون من الثقافة الاجتماعية الفذة ، يعين بدوره على تكوين عقلية اجتماعية متجانسة ، تبث بين طامة أفراد هذا الشعب روحاً طالياً من التضامن الاجتماعي الوثيق ، يجعلهم سباقين جميعاً ، حكماً ومحكومين ، إلى فهم وتنفيذ كل إصلاح جديد ، وبذلك لا تذهب جهود الهيئات الرسمية ضياعاً ، كما لا تتبدّد جهود بعض الهيئات الحرّة التي تؤدي بدورها خدمات اجتماعية قيمة صرخة في واد .

وليس الأسر هنا ، وبخاصة في مجال الارشاد الاجتماعي العام ، قاصراً على مبادئ أولية أو أسس كلية تكاد تبلغ مرتبة اليقين من عقول المبشرين بها ، بحيث يصح استهداؤها أو بالحري اقتباسها عن الغير في كل وقت أو في كل مناسبة ، بل إنه إلى جانب ذلك ، أمر اختبار وتجربة ، بأوسع ما تحمله هاتان الكلمتان من معنى .

فالاختبارات « الذاتية » في هذا المقام ، هي وحدها التي تعلم الأمم ، وإن لم يمنع ذلك بداهة من أن نحاول الاهتداء بنتائج بعض التجارب القيمة التي قام بها غيرنا في صدد مشروع إصلاحنا مماثل لذلك الذي ينبغي القيام به في بلادنا .

وليس ثمة شك في أن هذه التجارب والاختبارات ذات قيمة مدووسة في توجيه الإصلاح الاجتماعي وجهته السويّة . ولما كان المجتمع المصري يحوز اليوم مرحلة انتقال

طامةً يحتمل أن تتناول بالتبديل العامل مختلف مناحي حياته ، فإن قيمة الدعاية الاجتماعية القائمة على ضوء الاختبار والتجربة لمن أنفع الوسائل في تقويم نواحي النقص ومكافحة أمراضنا الاجتماعية وأكثرها جدوى في إحداث الأثر المطلوب .

ومثل هذه الدعاية يمكن أن نفعها بالدعاية الايجابية ، وهي تلك الدعاية التي تنصب على تنوير الأذهان بأساليب سهلة ملموسة ، نستطيع أن نتمثلها أذهان الغالبية من أبناء الشعب . فالدعاية الايجابية ، لو أحسن القيام بها وأتقنت أساليبها ، فبينة أن تحدث أثرها النفسي العميق في الوسط أو البيئة التي يسارع أفرادها عندئذ إلى التكيف ، ولو تدريجاً ، بالمؤثرات المطبوعة في توجهاتها وارتداداتها العملية والنظرية ، ويستجيبون من ثم ، راضين مقتنعين ، إلى أوارها ونواهيها ونصائحها جميعاً .

\*\*\*

ولكي نصل بالارشاد الاجتماعي إلى هذه النتيجة المرضية ، يجب ان نعدّ سلاحه الأول ، وهو الدعاية الايجابية ، على قاعدة دراسة ذات أربع شعب ، لنكون قد استخدمنا أحدث أساليب العصر وأكثرها جدوى ، في بحث لون من الحياة الكريمة في ربوع هذا القطر ، تتفق وماضيه المجيد وتجعلنا نأمل في مستقبل حافل له يبوؤه مكاناً مرموقاً بين دول العالم المتقدمين .

أما القواعد الأربعة التي تقوم عليها هذه الدعاية فيمكن إجمالها في الدراسات الآتية : -

أ - الدراسة الاحصائية

ب - الدراسة الاجتماعية المقارنة

ج - الدراسة السيكولوجية

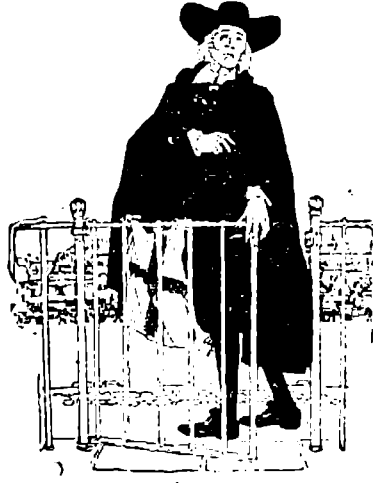
د - الدراسة التشريعية

وسوف نتناولها بشيء من التفصيل في بحثنا القادم إن شاء الله

جمال الدين حمدي

رئيس قسم الارشاد الاجتماعي بوزارة الشؤون الاجتماعية

( للبحث صلة )



## جورج ستاركي

George Starkey

يعتبر العلاج بالكيميائيات من وسائل الاستشفاء الحديثة . ولكن هذه الوسيلة طبها في لندن « جورج ستاركي » قبل ثلاثة مئة سنة . وهو ابن أحد رجال الاكليروس في جزر « برمودا »

تلم ستاركي في جامعة « هارفرد » بأمريكا ، وكانت من الممتلكات البريطانية حينذاك ، وتخرج فيها سنة ١٦٤٠ ، وهبط لندن ومارس صناعة الصيدلة ، وأظهر براعة فائقة وبصيرة تقادة في تجهيز العقاقير الكيميائية ، ومنها الكينا . وذاع صيته لاتساع علمه في « الكيمياء » ، وتوطدت صلاته بكبار كيميائي عصره .

عندما تفشى وباء الطاعون الكبير في سنة ١٦٦٥ في إنجلترا ، بادر الى البحث عن عقار شاف منه ، ويقال انه وفق الى اكتشاف عقار خاص كان له أثر كبير في الشفاء . فتهافت عليه طلاب الحياة حتى أثقله العمل وأمضه الشغل ، فأثر ذلك في صحته ، ووقع فريسة الطاعون ، وسرهان ما اتصل بالذين م من حوله يصف لهم كيف يجرعونه الدواء الذي اكتشفه ، ولكن طبيبه المعالج وقع في خطأ ، فأت ستاركي ، ومات معه مر وصفته الكيميائية .

كتب عنه أحد معاصريه : « ان صديقنا ستاركي قد مات متأثراً بذلك الوباء ، ومعه ستة آخرون من أولئك الهجانين الذين يمارسون الكيمياء »

وهذه السخرية لم يكن لها من محل ، فان أولئك الذين مارسوا « الكيمياء » في ذلك العصر ، قد اندسوا بين مرضى الطاعون غير مابين بالخطر الذي يساورهم ، حتى انهم كثيراً ما كانوا يشربون جثث البعض من مرضى الوباء .

من هذه البدايات الضئيلة نشأ علم التداوي بالكيميائيات ، الذي استطاع أهله ، بعد مضي ٣٠٠ سنة على عصر ستاركي ، ان يتوجوا جهود المنصلة باكتشاف البنسلين ،

ومركبات السلفا والبالودرين Paludrine

## ٥ - في التربية

### الدوافع الفطرية الخاصة

- ٨ -

أدت أحداث سياسية واجتماعية إلى اتجاه نواحي التربية في مصر اتجاهاً أهمل الدوافع الهورمية الحية، واقتصرت على الواعية الحافظة الميمية . فقد تجمعت رواسب الفكر العربي في الأزهر ، واستمرّ معقل التراث العربي حتى أتت الحملة الفرنسية إلى مصر وأصست الجمع العلمي في أغسطس ١٧٩٨ ، ونصت المادة الثامنة منه على السعي إلى نشر العلوم والمعارف الحديثة في اتجاهات أربعة ، هي الرياضيات والطبيعيات ، والاقتصاد السياسي والآداب والفنون ، ووضع جائزتين كل عامين لكتابين أحدهما عن حضارة مصر ، والثاني عن الصناعة فيها ، وجمع مكتبة حوت كتباً أوروبية وإسلامية ، وانتهى عهد الجمع بعد خروج الفرنسيين من مصر ، حتى اعتلى محمد علي باشا أريكة مصر وعقد أول مجلس للمعارف ١٨٣٦ ، وأنشأ مدارس مصرية على نمط فرنسي ، ودرس فيها مملدون أجانب حتى طادت البعثات المصرية فتعملت أعباءه . وأغلق عباس الأول معظم المدارس ، وقلل البعثات ، سيما ما كان يتجه منها نحو فرنسا ، ثم ألغى سعيد نظارة المعارف ، وجعلها إدارة ملحقة بدائرته الخاصة . حتى أتى اسماعيل فأعاد البعثات وفتح مدارس البنين والبنات ، ونهض بالتعليم ، ثم ارتبكت أمور مصر المالية وعزل الخديوي ، وتولى الخديوي توفيق ، وحدثت الثورة العراقية ١٨٨١ وتلاها الاحتلال الإنجليزي ففضى على التعليم القومي ، وما كان بمصر من تراث قديم يسعى للظهور ، وتراث غربي حديث يسعى للبلوغ بالنهضة فإيتها المنشودة .

ومنذ أيام الحملة الفرنسية ضارت مصر مسرحاً للتنافس بين فرنسا وإنجلترا ، على أن فرنسا أدركت أن العقلية المصرية لم تستجب لحضارتها بمجد السيف ، فصمت — بعد خروج

الحملة إلى نشرها بالوسائل السليمة ، ولافت من محمد علي بالها ترحاباً ، فقد استعان بهم ذلك العاهل العظيم على تنظيم شؤون ملكه ريثما تتفوق العناصر المصرية ، كما حدث بعد ذلك بقليل . وواصلت فرنسا السعي لدى خلفاء محمد علي ، وبذلت المال وأرسلت علماء مثل ليوبلد جوليان ، وفرير أدريان ، وماربيت ، وماسبرو ، للتنقيب والكشف في مصر ، واتخذت من الميدان الحر وسيلة لنشر ثقافتها ، فأرسلت الإرساليات وأنشأت المدارس الأهلية ، فتأسست أول مدرسة فرنسية عام ١٨٤٤ ، وأول مدارس الفرير ١٨٤٥ ، ووهبتهم الدولة المصرية أرضاً بالخرنق بمصر ، وأنشأت جمعية راهبات الراعي الصالح أول مدرسة للبنات عام ١٨٤٦ ، وراهبات الفرنسيسكان أول مدرسة عام ١٨٥٩ ، وأخرى بيولاق عام ١٨٦٨ ، وثالثة بالمنصورة عام ١٨٧٢ . ولم تنج وهي تؤدي رسالتها من الدوافع التبشيرية . وبلغت هذه المدارس شأواً بعيداً في عهد اسماعيل ، بعد أن أتت بعثات علمانية أنشأها المسيو دوڤين ، وافتتحت مدارس الليسيه بالقاهرة والاسكندرية ، وآخرها بمصر الجديدة عام ١٩٣٨ ، وقد حدد هريو ، الذي شهد حفلتها الافتتاحية ، أهدافها ، من احترام العقائد ، ونشر الثقافة الفرنسية ، والدفاع عن حرية الشعوب ، وتسهيل سبل التعليم للمصريين . وقد أنتجت تلاميذ لها ، برعوا في لغتها وثقافتها ، ولم يتقنوا الثقافة القومية المصرية الإسلامية إتقانهم للثقافة الفرنسية ، حتى أثمرت الحكومة المصرية على تدريس اللغة العربية بها .

ويرجم ظهور بواذر النفوذ الأنجليزي مصر بعد الحملة الفرنسية وقبل ظهور محمد علي في السعي لاكتساب رضى المهابيك بالهدايا في مصر ، كما حدث مع الآفي بك ، والسعي لدى الباب العالي كما فعل سباستياني ، سعيًا فشل بظهور محمد علي ، وهزيمة حملة فرير عام ١٨٠٧ أخذت أنجلترا بعدئذٍ جذو فرنسا ، في نشر ثقافتها بالوسائل السليمة ردها من الزمن . فأتت إرسالية رستانتية امكتلندية إلى الاسكندرية عام ١٨٤٠ ، ثم بعثة من وتلي كريمة أسقف دبلن عام ١٨٦٢ ، وصعدت الى تعاليم الفتاة ، ونالت إقبالاً بفضل تشجيع الخديوي اسماعيل . وكذلك سعت أمريكا إلى إرسال بعثة لها عام ١٨٥٥ نالت عطف سعيد ، وقد ازداد عددها وانتشرت مدارسها في المواسم ، فبافت عام ١٩٣٢ انيز وأربعين مدرسة . دلى أن النفوذ

الانجليزي الاستعماري بدأ بشراء الانجليز لأسهم قناة السويس عام ١٨٨١ ، وقيام الثورة العربية عام ١٨٨٢ ، وواقعة النيل الكبير والاحتلال في ذلك العام ، فاحتلت إنجلترا مصر ، وأطلقت بعدها فيها بعد اتفاقها مع فرنسا عام ١٩٠٤ . وأتى الى مصر مستشارون استعماريون وجهوا مهمهم للقضاء على الثقافة المصرية القومية ، والثقافة الفرنسية ، والسعي الى إحلال الثقافة الانجليزية مكانها فسعى كرومر ودنلوب الى تحقيق هذا الهدف ، وقد فشلوا في تحقيقه فشلاً أقره جورج لينج ، صاحب « مصر » ، والسير فالنتين تشيرونل صاحب « المسألة المصرية » ، ولويد جورج صاحب « مصر منذ كرومر » ، وأدت القواعد الضيقة الافق التي وضعها دنلوب للتعليم ما بين ١٩٠٦ - ١٩١٩ ، من تعليم الفتاة ، ومحو الأمية ، وتأهيل الشباب للوظائف ، وإضعاف الفرنسية والعربية ، ومحاولة وضع العامية مكانها ، إلى تبرم المعلمين الانجليز الذين وفدوا إلى مصر للتدريس ، وإلى ظهور رد فعل شديد في مصر كانت نسبة التعليم عام ١٨٨٣ ثلاثة في الألف ، و عام ١٩٠٧ ثلاثة في الألف ، وكانت نسبة المتعلمين تعليمياً أولياً عام ١٨٨٢ (١٦٣) في الألف ، و عام ١٩٠٧ ثمانية في الألف ، ونجم من ذلك ما كان متوقفاً ، فقد انحط شأن الادب ، ومات النبوغ ، وانعدم التدجيل والتجديد ، وانقصر الادب على الصحافة ، وما تستدعي من تأليف عاجل قعير ، خضع للكسب المادي وانقصر التعليم ، الذي هدف إلى اخراج موظفين يحسنون الطاعة ، وينفذون كآلات ، ويحتاجون الى الارشاد الدائم ، على الاستذكار والاستظهار ، والاصفاء والتدوين ، دون بذل نشاط ذاتي ، أو فاعلية وتفكير فردي ، أو حمل شخصي . ولا عجب أن يأتي الخبراء الأجانب في التربية بعد عشر سنوات ، مثل مان وكلاباريد ، فيجدون مرتعاً للعبوب ، وعيباً من العجز . ولا عجب أن نجد بيروقراطية تدير الاداة الحكومية ، لا تخلو من مزاك وتهاون ، وسأمة في التنفيذ . ولا عجب أن تشكو الجامعات من ضعف في اللغات العربية والفرنسية والانجليزية ، ولا عجب أن نجد بالادب بقايا الوصاية القديمة في الشعر وغيره . لقد فقد الفكر المصري قواه الابتكارية الحية الدافعة ، وانقصر على الواعية المحافظة ، حتى تحرر وأرسل البعثات ، وأعاد نظم التعليم ، وصمى سعيًا حثيثاً لاعادة الصلات بينه وبين قديمه القومي . وقد بدأ ذلك بظهور ثورات سياسية تنشد الاستقلال ، على يد محمد في كامل

ومحمد فريد وسعد زغلول ، وثورات دينية واجتماعية نادى بها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وقاسم أمين ، تلت ذلك ثورة فكرية أذكها لطفي السيد باشا ومحمد حسين هيكل باشا والدكتور طه حسين بك . فأحدثت في الفكر المصري انقلاباً أقرب الى الثورة منه إلى التطور . وكان آخر هذه الثورات إصلاح نظم التعليم ، وهي ثورة جدّ حديثة ، مازلنا نعيش في طياتها . ونسمى إلى إعادة تنظيم مراحلها ، ومناهجها ، وأساليب التربية فيه ، من النواحي الفنية ، وعلاج مشاكله الاجتماعية ، من تيسير سبيل التعليم المجاني في كل المراحل ، والسمي للرقى بالشعب إلى مستوى يليق بمصر في الزمن الحديث ، رغم ما يعترض ذلك من صعوبات تخلفت عن الماضي في الادارة والمناهج والروح .

ذكرنا في المقال السابق<sup>(١)</sup> كيف تهب الحياة الانسان قدرتين ليستجيب بهما لدواعي البيئة ثم عرجنا على مظهر ذلك في مصر اليوم . ونود فندكر ان الدوافع الهورمية والاحتفاظية تتشكل في أصاليب فطرية خاصة ، تكررت في حياة الجنس فصارت غريزة ، تظهر دون تعلم أو تجريب . فيسميها علماء النفس باستعداد عصبي فطري مورث ، يدفع الكائن الحي نحو سلوك خاص . وان هذه الدوافع الفطرية هي أسس المشاكل التعليمية .

واذا تصورنا الحياة هجرة تنقسم إلى فرعين ، هورم وميم ، أو دافع حيوي ودافع احتفاظي ، يتماونان على حفظ الفرد والجنس ، ثم ينقسم كل منهما أثناء تطور الحياة فتزداد الفروع وتتصل ويزيد تعقيدها ، أمكننا إدراك بعض السبب في تنوع تقسيم الدوافع الفطرية ، تبعاً لدرجة تخصصها . فيةسمها مكدوجل إلى أربعة عشر غريزة ، ظهرت بدائية في صور الحياة الأولى ، ثم دارت حولها النظم الاجتماعية ومظاهرها الحديثة . فبدأت غريزة الوالدية بالمعطف على الوليد ، ثم ظهرت في تحيط الأمرة بالجنس ، وصارت مفتاح ناحية كبيرة من الأخلاق والدين ، من مساعدة العاجز ، ووجود القانون لمعاقبة المجرم . وبدأت غريزة المقاتلة بالدفاع عن النفس والوليد ، ثم الأسرة والوطن ، وبدأت غريزة الاستطلاع بصورة بدائية ، ثم صارت مظهراً للعلوم والفنون ومظاهر الفكر الانساني . ثم ظهرت غريزة البحث عن الطعام لحفظ الذات فالأسرة فالجنس . وكذلك غريزة التقذذ والحرب والغريزة الاجتماعية والسيطرة والخضوع والغريزة الجنسية ( بمعنى واسع ) وغريزة التملك ، وغريزة الحسل والتركيب

والاستغناء والضحك . وأتى تقسيم ثورنديك أكثر تفصيلاً ، وقصره فرويد على الغريزة الجنسية ، وجعل مكودوجل لغرائزه ألواناً عاطفية مماها بالانفعال ، يظهر بظهور الغريزة ، بينما رأى دريفز أن الانفعال لا يظهر إلاً عندما يقف في سبيل الغريزة طائق . وقد تمسك مكودوجل بالانفعال ، واعتبره كامناً ، يظهر تبعاً لدرجة الاهتمام .

ومهما كان من شأن الاختلاف ، فهو سليم في جوهره ، تتخذ الدوافع الحيوية الأولى صوراً فطرية ، ولكي تنمّر التربية ، وتصل بالفرد إلى غاية مائتصو إليه ذاتيته ، لابد أن تعمل مع نواة السلوك لا عكسه . فالطفل أقرب إلى السلوك الغريزي ولا بد من مخاطبته خلال غرائزه ، ولا نعتبره رجلاً صغيراً . ولا بد من استغلال غرائز حب الاستطلاع والحل والتركيب وغيرها . وتوجه التربية السليمة الغرائز توجيهاً اجتماعياً نافعاً ، وتستبدل ما لا يستحب منها بغيره : ولكل غريزة موسم ذهبي تبرز فيه بوضوح ، ففي سن العسا تظهر الغريزة الاجتماعية وحب الاقتناء والجمع ، والانسان أعلى في مراتب التطور من الحيوان في الذكاء ، لذا توجه الغريزة الواحدة إلى اتجاهات كثيرة ، أنتجت فروع المعرفة الانسانية . والانفعال ركن هام في ميدان الجماليات ، من فنون الادب والموسيقى والنحت والتصوير ، وخلاله يربى الذوق ويصقل ، بالإيماء والإستهواء والتدريب ، فيتحقق بذلك قول أفلاطون « التربية الحقيقية هي التي تجعلنا نحس اللذة والألم نحو الأمور الحقيقية في الحياة »

وإذا كان للغريزة مظاهر إدراكية فكرية ، ومظاهر انفعالية ، ومظاهر نزوعية ، فليس المظهر الإدراكي لها بأقل شأنًا من المظهر الانفعالي . فاستخراج المقاييس العامة للأشياء ، وتحليلها وتعليلها ، وتقديمها دون املاء أو فرض يساعد على تذوق مظاهر الحياة .

ويساعد النزوع على تحقيق الأهداف المثالية ، فن يعرف الموسيقى يستطيع تذوق جميلها ، ويستطيع من يؤلف أن يتقن فلا يستأثر الكاتب بالسلطان ويهبط إلى قارته من عل . كذلك يفتح ميدان الابتداع في الرسم والتأليف . وفي المدرسة ميدان ظهور الموسيقى النابغ ، والكاتب الذكي ، والشاعر والفنان ، وإذا ما يسرت المدرسة لأبنائنا الميدان الصالح ، وفل ما في المناهج من حشو ، ولأق النابغ الصغير من العطف والتفجيع ما يساعد عبقرته على النمو ، وذاتيته على البلوغ حد الكمال . وكمن مواهب تذهب ادراج الرياح لما في المدرسة من عيوب المناهج والمواد الدراسية وطرق التعليم ووسائل الإدارة والتفتيش ، وكمن في المجتمع من عقبات مادية ومعنوية تحول دون ظهوره لو برز في مدرسته

محمد ماهر شوكت

(حماه)



## في اتلاتك ستي

اتلاتك ستي إحدى عرائس الاغصاني في ولاية نيوجرسي الامريكية  
اشتهرت بجمال موقها ومنظرها وبحوها البديع ، وتميزت بطريق الاطوار  
الحثيية المثل على الشاطي ، حيث يتم بالشي عليها المتزهون وقد قلبت الانوار  
الحافظة ليلهم نهاراً وخلقت لهم طاماً من الاحلام )

لمن يهدرُ البحرُ الحبيبُ وقد مضتْ  
وقد كان أيامَ الشبابِ معللي  
وأفقتُ أياحي عليه فردّها  
أبدعو إلى الذكرى عواطفَ شاعرٍ  
ولو بُعِثتْ ، أنى له بشبابه ؟  
أهذا هديرُ السحر في شاطئ الهوى  
تسمّعه نشوانُ المسُ فابري  
وما كان بالأعجازِ أوسكرةِ المنى  
وقد يكنُ الفنانُ في قلبِ راهبٍ  
فأفقتْ نفسي في الشبابِ مجدداً  
وأشربه ألوانَ أنسٍ وبهجةٍ  
وهذي عروسُ الماء لم تدخرْ حلي  
أعدتْ لدى البحرِ الطروب طريقتنا  
(سفينة نوح) تلك أم حلمُ شاعرٍ  
وتغبطُ الآلافُ فيها حبيسةً  
روحٌ وتغدو ، لا ترى الوقتَ طاراً  
وما تشتهي أرضاً تلوذُ ببيسها  
فكلُ الذي تعطاءهُ صفوهُ ممبراً  
تدفقُ فيها النورُ من كل جانبٍ  
وعشش فيها الحب حتى كأنما

حياتي ، ولم أستبق غيرَ خيالي ؟  
وكان نديمي ، لا نديمَ رمالٍ  
من البشّر أضغافاً بغير سؤالي  
تلاشتُ على تعذيبهِ المتوالي ؟  
وأنى له بالحبِّ بعدَ زوال ؟  
فليس محالاً فيه أيُّ محال ؟  
كما لمسَ الخمورُ وهم ليالٍ  
فليس يسألُ كلُّ من هو سألٍ  
كما يكنُ الاشعاعُ طيَّ جبالٍ  
أعبُ من النورِ الشهي خيالي  
تعالَتْ ، ولم تبخلْ برغمِ تعالٍ  
على الليلِ ، حتى الليلُ أزهَر حالٍ  
على جمعِ ألواحٍ نعمنَ غوالٍ  
تملكُ فيه الحسنُ كلَّ محال ؟  
ولا نعرفُ الاشواقُ أي ملالٍ  
وليس سواهُ بالوجودِ يُبالي  
كما اعتناق (نوح) في زمان ضلالٍ  
وكلُّ الذي تخشاه حُلُو دلالٍ  
إلى أن تراهي بعضه كظلالٍ  
تغذّي وغذاًنا بكل جمالٍ

أحمد زكي أبو شادي

( اتلاتك ستي )

## خصائص الفن الاسلامي

-٢-

لريتشارد ايتنجهاوز<sup>(١)</sup>

سار النمويه في أشكال الزخارف جنباً إلى جنب مع مميزات الفن الاسلامي وهو اظهار الاشياء في غير حقيقتها أو عكسها فتظهر إما متداخلة أو تحور الحيوانات إلى زهور أو إلى فروع نباتية ملتوية (أرابيسك) أو تظهر الخطوط الهندسية الدائرية مستقيمة أو العكس، فمثلاً العقاب المرسوم على صحن من الخزف والمحفوظ في متحف اللوفر لا يظهر على شكل حيوان منبسط ذو بريق معدني فحسب بل ترى هذا الحيوان تحول ذيله إلى شكل نباتي ينتهي بأرابيسك ويتدلى من منقاره فرع نباتي. ومن أهم التحف المميزة للفن الاسلامي ذلك الطبق المشهور بنصره الذي اكتشفه العلامة هراتسفيد في ممرّا فلا يظهر الطائر مجرداً أو مطلبياً ببريق معدني وإنما يتحول في بعض أجزائه إلى شكل نباتي على أرضية عميقة، وفي هذا المثل يصير الرسم شكلياً، وإذا قلب إلى أعلى اتخذ لكل ورقة نباتية كبيرة مسننة محوّرة، وتذكرنا هذه الظاهرة بالحالة التي كان عليها التصوير الفارسي وذلك من سؤال وجهه أحد المصورين القرم إلى الفقيه ابن عباس عام ٦٨ هـ وقد حاش هذا المصور في وقت لم يكن التعصب نحو تحريم التصوير ظاهر فيه فقال أيملك الانسان عن رسم الحيوان، وكيف يحصل على معاشه إن أهلك؟ فأجابه ابن عباس أنه يستطيع أن يرسم الحيوان بعد قطع رءوسها وتحويرها تحويراً نباتياً - وفي دار الآثار العربية قطعة من الخشب الفاطمي حفر عليها رسم حصانين على شكل أرابيسك (شكل ١)، وهناك آلاف

(١) مترجم من كتاب الادب العربي لفيليب حتي وآخرين طبع بمطبعة جامعة برنستون بنيوجرسي

الأمثلة التي تحورت فيها الرسوم الهندسية المستقيمة إلى خطوط دائرية بشكل مفاجيء .  
وهناك رسوم لوحات زخرفية مستقلة يمكن أن يكون كل منها شكلاً قائماً بذاته  
لكن الفنان المسلم تمكن أن يستغل هذه الوحدة الزخرفية ، فأعاد رسمها بجوار بعضها بشكل  
غير محدود وهذا التكرار أدى إلى أهم مميزات الفن الاسلامي ومنها رسوم الأرابسك الغير  
متناهية ( شكل ٢ ) والأشكال الهندسية المتعددة الأضلاع وينتمي إلى هذه المجموعة الحيوانات  
السلجوقية ، المتتابعة على أرضية نباتية لا نهاية ولا بداية لها ، وتوجد خاصة أخرى في  
أمثلة كثيرة وهي ظهور الجمامات على جلود الكتب والسجاجيد وتدل أرباع الجمام أو  
المنطقة المرسومة في الأركان سواء أكانت شبيهة أو غير شبيهة بالمنطقة الوسطى أنه كان  
يمكن رسمها في كل اتجاه لولا أن الأطار الخارجي حدد الجزء المطلوب رسمه منها .



أدت إحدى نتائج البحوث في الفن الاسلامي إلى محاولة الفنانين رسم الكائنات الحية  
ذات الأبعاد الثلاثة بطريقة غير واقعية .. وكان استعمال البريق المعدني ظاهرة واضحة في هذا  
الميدان . ووجدت طرق أخرى لاظهار الشيء على غير حقيقته . وقد أثار العالم ماسينو إلى  
أهمية هذه الظاهرة في الفن الاسلامي الذي امتاز بالتغير الدائم حيث لا دائم إلا الله ولا  
يتحقق دوام الله إلا بتغير الأعياء . وتدلنا قصة سيدنا ابراهيم على كيفية استدلاله على  
وجود الله ودوامه عند ما رأى النجوم والشمس والقمر في تغير دائم — وهذا أول دليل  
على بقاء الله ، ويظل هذا الاعتقاد في الدين الاسلامي والفن معاً . والدليل الحي على ذلك  
ما نجده على هياكل القبور وفي ضريح الغازي الكبير تيمور في شريط الكتابة الكوفية  
الرئيسي كلمة « لله البقا »

ونجد أثر هذه الظاهرة في استخدام بعض المواد كالخشب والطين والابن والعرف وغيرها  
ليس لغرض التزهّد وعدم التبذير وإنما لشعور الفنان بأن كل شيء في هذا العالم وخاصة ما  
تنتجه يده من صناعة ما لها الزوال

وكان لا ينكار العلاقة السببية للامور الدنيوية أثر كبير ليس فقط في العقائد الدينية  
فحسب وإنما في الناحية الفنية أيضاً . فقد حصلنا بدلاً من الطواهر الطبيعية على اعتبارات

مادية للأشياء نتيجة خلق مجموعة أعمال كونية تتكرر وقائعها باضطراد وحدتها الدرة الزمنية ، فشطرت الزخارف شطراً فرضياً الى وحدات صغيرة ورسمت بحرية مكنت الفنان من تغييرها أو رسمها رسمًا معكوساً .

ولا توجد علاقة بين هذه الجزئيات والمنظر العام الذي شطرت منه كما هو واضح في سجادة تنويج ملك في القرن (١٦) فكل جزء منها مستقل عن الآخر وتظهر هذه الصفة جليسة في الجرّة ذات البريق المعدني التي في مجموعة الدكتور هرش أو القدر الموصل المعدني المشهور في مجموعة بلاكاس في المتحف البريطاني حيث لا نجد علاقة مباشرة بين كل منها ووحداته الزخرفية الصغيرة . وينظر هذا الاتجاه الذي اتجه آخر مشابه في الادب من مقامات الحريري حيث لا ترتبط كل مقامة بالآخرى في المعنى - ولذلك تعددت هذه المقامات التي تبلغ الخمسين ومن الممكن زيادتها - وعلاوة على ذلك لا يوجد لكل مقامة مكان خاص في الكتاب وإنما تربط بينها شخصيات أبو زيد والحارث بن همام ، كما أن الملك في جرّة بلاكاس هو الحلقة الرابطة في الصورة التي عليها .

وقد أسفر التحليل الدقيق لخصائص الفن الاسلامي على اختلافه عن طرق أمكن بها التغلب على الصعوبات التي واجهتها . فرممت جميع الأشكال رغم تحريمها . ومع ذلك بقي سؤال واحد هو هل لم تقبّ ظاهرة فنية واحدة استخدمت لم يشملها التحريم؟ تقودنا الاجابة على ذلك الى شكل آخر له صفات ومميزات ايجابية ويمكن تسميته في الفن الاسلامي « الطرز المختلفة للكتابة العربية » وقد استخدمت هذه الظاهرة الفنية المكافحة الفريدة التي يحتلها القرآن الشريف وهو النسخة العربية من الكتاب المماوي وهو معين الوحي وأسلوبه لا يقلد، وهو أزلي غير مختلق . واستخدام آيات منه كبيرة أو صغيرة داخل المساجد أو بعض المباني المختارة أو على بعض قطع كبيرة احتل نفس المكانة التي كانت تستخدم فيها بعض النصوص القديمة المقدسة وخاصة فيما يتعلق بحياة المسيح في العالم المسيحي . ويوازي ما في الاسلام من تجديد ووحدانية ما في المسيحية من تعدد واختلاف الوحدات .

وتظهر الكتابة العربية كنوع من الزخرفة الاسلامية في أروع المباني الاثرية وأحاطها

فقام الفنانون الاميون بتكرار بعض الحروف المجانية بقصد الزخرفة على النوع الثاني - أما النوع الاول فإننا نجد نملاً في معبد أو مدرسة سلجوقية حيث كتب الخط الكوفي الكبير الحجم على طول الجدران الأربعة الداخلية أسفل منطقة الانتقال من المربع الى القبة كما تفصل بين الأشكال الزخرفية والمعمارية المتنوعة في كل من النصف السفلي والعلوي من المربع والقبة. ونجد هذا النمط على الأبنية الفاطمية كواجهة جامع الأقر حيث يحيط شريط الكتابة الكوفية المحاريب المعمارية التي تعلأ واجهة المسجد وفي كلا النوعين يُضفى شريط الكتابة على المباني وحدة واعتدالاً بصفة عامة .

ومن الواضح أن الكتابة العربية خير ما يناسب المحاريب من الزخرفة على أن يراعى عند تغطية هذا الجزء المقدس بتريعات القاشاني ذات البريق المعدني أن تكون الكتابة الكوفية زرقاء قائمة وبارزة حتى تظهر واضحة على هذه الأرضية ذات الزخارف والبريق المعدني فلا يتغير شكلها ، وفي هذه الحالة يجب أن يظهر لفظ الجلالة كما يجب أن يحافظ على شكله من تداخل بعض العناصر الزخرفية النباتية والهندسية والأرابيسك على فوائمه حتى لا تطفئ عليه لثقل من وضوحه ، وتعد منذ عهد المايروفنجيين Merovingian استعمال الكتابة بأشكالها الآدمية والحيوانية في الغرب وخاصة على المعادن .

وتفسر الصورة الانسانية على أنها تقليد للخط العربي ، فأوضح محمد الهينمي في كتابه « هداية المحبين » أن الله خلق الانسان عبيها باسم محمد بالخط الكوفي فخلق الله آدم وشبهه بحروف من اسمه فالرأس كالميم واليدين كالحاء والبطن بالميم الثانية والقدمين بالdal .  
وتبعاً لاتساع رقعة البلاد الاسلامية كان من الطبيعي أن تكون لبعض هذه الممالك مميزات وطابع اسلامي فني خاص وخاصة بعد الحركة الانفصالية التي أعقبت تقسيم الخلافة العباسية الى وحدات صغيرة .

تحررت فارس من القرن ١٣ الى ١٦ وبرزت في فنها محاولة عاطفية صوفية في صورها المتنوعة ، وليس أدل على ذلك من توضيح المنظومات الخمس لنظامي بالهور ورسم الأفراد والأميرات وحوطهم الاتباع في مناظر طبيعية ساحرة ومواقف جميلة رائعة وتميش الجمالة في الصورة في عالم صخري مدورول تتقدمه جدول ماء والى الخلف منهم منظر جبلي . ومن



ش ١ - حشوة خشبية بدار الآثار العربية من العصر الفاطمي  
تاريخها القرن التاسع



ش ٢ - فروع نباتية ملتوية وأوراق نباتية تعرف بالارابسك

المحاولات التي تخلص منها الفنان من القيود السابقة رسمه سجادة كبيرة تمثل مناظرها الجنة وحورياتها بين شعيرات خضراء جميلة وحدائق من زهور مننورة في الصحراء . وتختلف هذه المناظر عما نجده في مصر . ففي العصر الأيوبي والمملوكي اكتمل نمو الفن والصناعة التي تمثل مظاهر الحياة الإسلامية والروحية والسياسية فنجد المدرسة أم المبانى الأثرية في هذا العصر ويشغل أهم جزء فيها ضريح السلطان الذي أنشأه قبل موته واستعملت في زخرفته مواد أكثر صلاحة كالرخام بدلاً من الجص الذي كان شائعاً في إيران . وأهملت صناعة الفخار في هذا العصر لاستعمال البرونز المكشوف بدله . وإذا استعمل الخزف فانتا نجد النوع الأسود تقليداً للوانى المعدنية المحفورة . وتبرز الوحدات الهندسية والمتعددة الأضلاع في الزخرفة وتحمل محل الطرز النباتية الإيرانية الرشيقة لملائمتها للحياة التي كانت مائدة هناك .

هذا الاختلاف الإقليمي بين الشعوب يدل على اختلاف وجهات النظر الإسلامية في كل منها ، ومهما كان هذا الاختلاف بين هذه الأقاليم فإنه يسود الجميع طابع إسلامي عام دائم لا يتغير .

ولم يؤثر احتكاك العالم الإسلامي بأوروبا في المظهر الأسامي للفن الإسلامي إلا نادراً جداً وإن أي تغيير في المظاهر الأساسية للإسلام كما حدث عند ترجمة القرآن إلى لغات غير عربية وحروف غير حروفه المنزلة وجه الفن إلى محاكاة الطبيعة وأدخل التصوير في السجاجيد وعلى صناديق الأقاليم وغيرها وابتعد الفن الإسلامي عن أصوله التي نهأت معه اصطافات بصيغة جديدة خطيرة .

محمد رجب الببلي  
دبلوم في الآثار الإسلامية

استدراك — جاء في مقتطف شهر مارس ١٩٤٨ في مقال خصائص الفن الإسلامي

الصفحة	السطر	ما صحته
١٨٩	٥	بلغة كل
١٩١	٩	خارقة
١٩١	٤	أن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يذهبون بحاق الله
١٩١	١٥	أصبح
١٩٢	٦	تكررت الكلمات الآتية ( عن حفل عرس به صور وبتحدث الكتب المقدسة الإسلامية )
١٩٢	١٣	الفنى
١٩٣	٩	بيرونسك

# أنطون الجميل

١٨٨٧-١٩٤٨

فتشت عن مصدر حديث العهد منا أرجع فيه الى حياة أنطون الجميل قبل أن زف لبنان الاثم الى مصر الوادعة المطمئنة المرتفعة الاهرام ، فلم أجد إلا مطراً أو سطرين لا تهني غلة باحث ، ولا تسد حاجة دارس ، وإذا « بمعجم المطبوعات العربية » لمركس يقول عنه ولا يزيد : ( محرر جريدة البشير ومدرس البيان في كلية القديس يوسف في بيروت ومنشئ مجلة الزهور بالقاهرة ) . وإذا « بتاريخ الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين » لمؤلفه الأب لويس شيخو اليسوعي لا يعدو أن يقول عنه في ثلاثة أسطر ا ( محرر البشير والزهور ) . نشر في بيروت « البحر المتوسط » وفي مصر « أبطال الحرية » و « منتخبات الزهور » و « السموةل أو وفاة العرب » و « الاقتصاد والنظام في المنزل » و « تعريب كتاب السيدة دوبوك — الفتاة والبيت » ) وإذا « بتاريخ الصحافة العربية » لافيكونت فيليب طرازي يهدي إليه في كلمة واحدة على أنه كان محرراً في صحيفة « البشير » السورية في ذلك الزمان . أي في العقد الأول من القرن العشرين .

ومؤرخ الأدب معذور إذا وجد غموضاً أو اضطراباً في نقأة الادباء والفعراء الذين يترجم لهم في عصور بعيدة العهد منا ، ولكن أي عذر لنا نحن الحديثين ونحن نترجم لادباء أعز علينا قريبين منا ، فنروح نكهف النقاب عن حياتهم الأولى فلا نجد المراجع تسعفنا بما نطلب أو تمدنا بما نفتحي من أحاطة بحياتهم ونفوذ الى أعمق نفوسهم .

ولو أن الاديب أو الشاعر يترجم لنفسه على طريقة الـ « Autobiography » عند الغربيين لاستراح المترجمون من كثير مما يلقونه من العنت . وقد صنع ذلك الشاعر محمد الأمير حين ترجم لنفسه في مقدمة ديوانه « تفريعات الصباح » فعرض نفسه كما صنعه الله وكما مرت عليه الحياة ، فأراح بذلك السائلين — بعد عمر مبارك — عن نقأته ومحيطه الذي عاش فيه .





انطون الجمیل

وإذا صحَّ ما ذكر أن أنطون الجميل ولد في بيروت سنة ١٨٨٧ فانه يكون أصغر من تولوا تحرير « البشير » سنة ١٩٠٨ — أي أنه عهد إليه بتحرير هذه الصحيفة المعتدلة المئزنة وهو في الحادية والعشرين من عمره . ويكون كذلك أصغر الاساتذة الذين تولوا التدريس في كلية القديس يوسف ببيروت، لانه اشتغل بالتعليم قبل اشتغاله بالتحرير . وأظن ما ذكر أنه نزح الى مصر سنة ١٩٠٧ محتاج الى شيء من التصحيح، لأن النابت من سجلات صحيفة البشير أنه تولى تحريرها سنة ١٩٠٨ وأنَّ الانقلاب العثماني حدث في العام نفسه ، فتكون هجرته الى مصر بعد ذلك التاريخ ١ والراجح أنها كانت في سنة ١٩٠٩ .

ولا شكَّ أن مواهب أنطون الادبية والخلقية قد ظهرت في أول حياته وجذبت إليه الانظار ممن يقدرون قيم الرجال . ويدل على ذلك اختياره لتحرير صحيفة البشير ، فقد كانت — كما يقول مؤرخ الصحافة العربية — من أرقى الجرائد التي يركن الى صحة أخبارها وصفاء مبادئها وإخلاص خدمتها للآداب والعلم والوطن . وكانت من أقدم الصحف اللبنانية أنشأها الأب أمبروسيوس مونو رئيس الآباء اليسوعيين في سورية سنة ١٨٧٠ وكان غرضها دينيًّا أول الامر وعبارتها ركيكة كبقية صحف ذلك العهد ، وكان لا يقرؤها إلا جماعة الكاثوليك لأنها لسان حالهم . فلما تولى الأب سايمان غانم رياستها والاديب خليل البدوي تحريرها ١٨٨٢ — ١٨٩٠ ظهر تجديد في عباراتها واتجاهها الادبي حتى صارت مقروءة من المسيحيين وغيرهم . وجرى العادة أن يتولى ادارتها أب من رجال الدين وتحريرها نابغ من رجال الادب . فاذا رأيت في ادارتها الأب أنطون صالحاني والأب هنري لامنس والأب لويس معلوف رأيت في تحريرها يوسف البستاني و خليل البدوي ورشيد الشرتوني وأنطون الجميل الذي أسلم تحريرها بعده إلى الخوري بولس طعمة الذي كان من كُتّاب مجلة « المشرق » المحققين ،

• • •

وكانت هجرة أنطون الجميل إلى مصر طلباً للحرية كما نزح إليها كثير من أحرار اللبنانيين فوجد فوق ثرى مصر السماء التي تتردد فيها أغانيه حرة طليقة من القيود . ومصر كانت — ولا تزال — مابغ الأحرار بمن تنسع البقعة الكريمة من الأرض لاحتلالهم وآمالهم .

فانطلق أول نعم له بالحرية في مسرحية صغيرة أممها « أبطال الحرية » تولت مطبعة المعارف بالعبالة طبعها على نفقتها سنة ١٩٠٩ وجعلت شعارها العلم التركي بهلاله الواحد ونجمته الواحدة وتحتها الكلمات التي تمخضت عنها النور الفرنسية : — الحرية ، المساواة ، الأخاء . وقد كان أنطون الجميل معجباً بهذا الانقلاب العثماني الذي كان الدستور نتيجته ، ومعجباً بأبطال هذا الانقلاب وخاصة « نيازي » و « أنور » اللذين كانا بطلي مسرحيته .

والمسرحية في ذاتها صغيرة الحجم بسيطة الحوادث ليس فيها ما في المسرحيات من براءة الحوار وحبكة الحوادث ، ولكن فيها حسن الانشاء وجودة السبك والاعتماد على العنصر الخطابي . ولكنها على الرغم من بساطة الفن المسرحي فيها لقيت ترحيباً كبيراً من الصحافة العربية والتركية والأوربية ، وأثنت عليها مجلة « اجتهاد » التركية وترجمت قصماً كبيراً منها نشرته مع صورة للفقيه العظيم .

وقد مكّن تطلع أنطون الجميل من الفرنسية أن يلفت إليه أنظار الصحافة الفرنسية فاشتغل محرراً في جريدة « البيراميد » التي كانت تصدرها دار الاهرام ، وكان ذلك أول اتصال للفقيه بهذه الجريدة

وإذا كانت الصحافة قد جذبت أنطون الجميل إليها في جريدة « البشير » بعد اشتغاله بالتدريس فانها جذبت من جديد في مصر إلى صحيفة « البيراميد » . ثم جذبتة ثالثة إلى إنشاء مجلة أدبية ، فكانت مجلة « الزهور » التي ظهر أول أعدادها في أول شهر « آذار » أو مارس سنة ١٩١٠ . فكان ذلك توافقا لطيفاً بين اسمها وبين شهر الربيع الذي تفتحت فيه للحياة ...

ولما عمل موظفاً في الحكومة المصرية ابتعد عن الميدان الصحفي إلا ما كان له من بحث أدبي هنا وهناك . ولكنه حنّ الى الصحافة أو هي حنت إليه ، فأسندت اليه رئاسة تحرير « الاهرام » في سنة ١٩٣٢ وما زال فيها حتى فجأ الموت في صباح الثلاثاء ١٣ يناير سنة ١٩٤٨ وهو مائد من عمله الذي فيه كما تقنى الفراسة حول الضوء اللامع حين يغريها بلهبه البراق ونوره الوهاج .

وعجيب جداً أن يتولى « الجميل » ثلاثة ألوان من الصحافة في ثلاثة عهود مختلفة من

ممره فيجيد كل لون ويبرز فيه وتنفخ له فيه شئون . فقد تولى الصحافة الدينية في صحيفة « البشير » اللبنانية ، وتولى الصحافة الادبية في مجلته الشهرية « الزهور » فكانت روضة من رياض الادب الرفيع التزيه العفيف في ذلك العصر ، وتولى الصحافة السياسية في جريدة « الأهرام » فكان فيها سياسياً من الطراز الذي سماه « حسان بن ثابت » الغاعر المخضرم بالطراز الاول .

\*\*\*

لقد صدق القول المشهور : « كلٌ ميسرٌ لما خلق له » . ومكلف الانسان ما ليس من طبعه متطلب جذوة النار في فيض من الماء . فقد أراد ( الجميل ) أو أريد له أن يكون « معلماً » أول الامر ولكنه لم يعض في الشوط الى نهاية . ولم يحجر في هذا الميدان الى غاية . وقد أراد « الحجاج بن يوسف » قبله أن يكون معلماً ، فأرادته الاقدار أن يكون حاكماً من طراز شديد . وأراد « حافظ ابراهيم » أن يكون ضابطاً في الجيش فأرادته الاقدار أن لا يعضي في الميدان الى آخره ، وجعلته صاحب لسان لا رب سنان . ولم تكن الصحافة عند « الجميل » سياسة لحسب أو لعباً بالورقة الرابحة في ميدان يكثر فيه اللاعب بالأوراق والاصطفاق بالارزاق في الاسواق ، ولكن الروح الادبية كانت تضيء معه في الصحافة جنباً الى جنب . فهو أديب مشرق العبارة واضح الفكرة حسن الغرض ، أعاته على مهنته الصحافية سليقة أدبية وثروة مذكورة من البصر بالاساليب العربية التي تعرض الحقائق في ثوب محكم النسيج رقيق الحاشية .

وما أشبه « الجميل » في الصحافة بملاح ماهر يعرف كيف يعضر بسفينته عباب بحر مضطرب لحي يغشاه موج من فوقه موج ، فهو يداور الريح . ويداور الموج ويحتال على هذا مرة وعلى ذلك أخرى ، ولا يفقد اتزانه في وسط العاصفة حتى تمر بسلام . ولهذا لم يُعرف بتحزب ولم يُرم بتمصب ، بل كان يمت الحزبية مقتاً هديداً ويرى أنها سبب مانح فيه من بلاء واضطراب . وكان يرى الحزبية قيداً للحرية . وقد أهار الى ذلك في مقدمته التي كتبها لديوان الغاعر « ولي الدين يكن » حيث يقول : (كنت أود أن ألم بالدور السيامي الذي لعبه المفيد في الاستانة ومصر ، واكتفى أخيراً أن أنع رضاً في

المعيب الفاعلي بالناس . وهو أن يسموا موتاهم حسب أحزاب أحيائهم . فحسبي أن أقول إنه كان حراً في سياسته كما كان حراً في كتابته .

\*\*\*

والحديث عن مقدمة « أنطون الجميل » لديوان الشاعر وليّ الدين يكن يسوقنا الى الحديث عن ناحية أدبية عند هذا الأديب الكبير . فقد اشتهر بوضع من المقدمات كتبها وقدم بها بين يدي جماعة من الشعراء والكتّاب ، فكتب مقدمة تحليلية لوليّ الدين يكن في أول ديوانه الذي طبع بمطبعة « المقتطف والمقطم » سنة ١٩٢٤ ، وكتب مقدمة لديوان الشاعر « اسماعيل صبري باها » الذي طبع بلجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٨ . وهذه المقدمة هي الكلمة التحليلية التي ألقاها في تأبين الشاعر سنة ١٩٢٣ . وكتب مقدمة لديوان « شاعر البراري » الذي عنوانه « بين أحضان الطبيعة » والذي طبع سنة ١٩٤٢ . وكتب مقدمة لديوان الشاعر « محمد الأتمر » الذي عنوانه « تفريعات الصباح » والذي نشرته « دار المعارف للطباعة والنشر » سنة ١٩٤٦ . وكتب مقدمة لديوان « من وراء الأفق » الذي نشرته دار المعارف لي سنة ١٩٤٧ ، وكتب مقدمة لكتاب « ما قلّ ودلّ » للكاتب أحمد الصاوي محمد . وهي كثرة دفعت بعض الكتّاب الى تسمية التقيد « بكتاب مقدمات الكتب » . وما كان عيباً أن يتولى الجميل تقديم الأدباء أو إنصافهم من زمانهم ، فقد عُرف بالصفة في الرأي والاعتدال في الحكم والرفق في النقد الى حد لا يجرح المنقود ولا يعنف عليه . ولكنه نقد رقيق رقيق ، ولا أنسى أنه كان يأخذ عليّ السهولة في حمل الشعر ويحذرنى منها « لأنّ السهولة في الغالب مرافقة الى الأخطاء » كما كتب — رحمه الله — في مقدمته لديواني . وهذا نقد رقيق لم يغضبني بل حفظته بدأ أعثها « للجميل »

واسمع نقده الرقيق لبعض ألفاظ الشاعر « الأتمر » في مقدمته لديوانه : — « أما اذا ترك عالم الأحلام والاماني وطاد الى عالم الحقائق المجردة فانه لا يتورّع عن اقتناص اللفظة الواقعية وان كان الشعراء قد تواضعوا على نبذها من لغة الشعر » . ثم يمثل لذلك بقول الأتمر في ديوانه : . . .

واخلعوا الارسان لستم (حُمْرًا) واطرحوا النير فاستم (بَقَرًا)  
 أليست هذه النعومة أو الـ « Finesse » هي أم خصائص الأدب الناقد الذي لا يتخذ  
 النقد مراوة غليظة يضرب بها رؤوس المنقودين فينفر الناس منه ومن نقده الثقيل الشديد  
 كالرصاص والحديد ??

\* \* \*

ولم يكن « أنطون الجميل » كاتباً أدبياً خصب ، ولكنه كان خطيباً عرفته منابر الأدب في  
 القاهرة في كثير من المناسبات . وما عرفته رتجل الكلام على المنبر أو يقوله على البديهة كما يفعل  
 الخطباء المرتجلون ، ولكنه كان يعد كلامه إعداداً ويلقيه من فوق أعواد المنبر القاء فصيحاً  
 رقيقاً بيناً في تودة وأناة حتى يستطيع سامعه أن يتابعه فلا يمل . وما كان أبرعه وهو يضي  
 الفكاهة الحلوة على خطابه فيشير في السامعين طائفة من الضحك ويشيع فيهم جواً من المرح .  
 ألقى مرة حديثاً أو محاضرة في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية يوم ١٦ أبريل سنة  
 ١٩٣٦ عنوانه « صانعو الجريدة » فجمع عن الصحافة وأوعى . ولكنه كان يرسل الفكاهة  
 من حين إلى حين ، فذكر من أنباء التطبيع أو التصحيف في الطباعة أن عبارة « تجديد  
 شباب القضاء » قد حرفها العامل إلى « تجديد ثياب القضاء » !

وكان يتخير في خطبه ومحاضراته أطرف المناسبات مما توحى به بديهة حاضرة أو خاطر  
 مريب . فخطب مرة في تأبين الشاعر اسماعيل صبري بإها وكان الحفل في ليلة من ليالي التمام  
 للقمر ، فابتدأ الكلام قائلاً : — ( إذا رأينا القمر ساطعاً في كبد السماء — كما نراه في هذه  
 الليلة — لا نتساءل من أين أشرق على الدنيا ... ) . وحاضر مرة في الجمعية الجغرافية عن  
 الصحافة فقال عن الصحفيين الجوالين المتنقلين إنهم يضربون في كل جهة من المدينة وفي كل  
 مدينة من القطر .... وما أشد ما تنطبق عليهم الآية الكريمة المنقوشة أمامكم في صدر هذه  
 القاعة « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها » . وقد لفتت نظره هذه  
 الآية منقوشة على جدار القاعة فاستغلها لموضوع محاضراته .

كان « الجميل » كثير التدقيق لما يكتب كثير التدقيق فيما يطبع . وكان يحذني أنه  
 يود أن يرى الكتاب العربي خالياً من أخطاء الطبع . وقد أخذ نفسه بهذا حين أصدر مجلة  
 « الزهور » سنة ١٩١٠ فهي المجلة العربية التي كاد ينعدم فيها الخطأ المطبعي ، وتحاكبها في

ذلك مجلة « الضياء » للعلامة الشيخ إبراهيم اليازجي . وقد ظهرت هذه الدقة في كثير من نواحيه . فقد كان دقيقاً في مجاس الدبوح حينما كان مقررًا لاجنة المالمية ، وكان دقيقاً في التعبير حين يعالج مسألة سياسية في الاهرام ، وكان دقيقاً حين يورد الاحصاءات . وكان دقيقاً حين يستشهد بالشعر . فيتحرى أصح الروايات فيه ، وينسبه الى قائله نسباً صحيحاً مهما كلفه ذلك من عناء في البحث عن قائله . ولا أظن التوفيق خانه في نسبة شعر الى شاعر إلا مرة واحدة في المقدمة التي كتبها لديوان « ولي الدين يكن » ، فقد نسب بيتين الى « ابن الرومي » وما من شعر « مهيار الديلمي » في قصيدته البائية التي يقول فيها :

لا تخالي نسباً مخفضني أنا من رضيك عند النسب

ولا أعرف عن أنطون « الجميل » أنه نظم شعراً أو حاول أن ينظمه ، واسكنه كان في جموعه قصيدة شعرية متساوئة النغم . وإذا كان الوزن في القصيدة العربية ركناً من أركانها ، فقد كانت حياة « الجميل » متزنة في كل نواحيها ، فاعرف عنه اسراف في شيء أو إفراط في أمر ... أتزن في الادب فكان أديباً وناقداً خطير الرأي ، وأتزن في السياسة فكان رجلاً مقتدلاً يحبه رجال الاحزاب وقد فرح كل حزب منهم بما لديه . . . . . وأتزن في علاقاته مع الناس فأحبه الكبير والصغير . ولا أعرف أنه أمرف في شيء إلا حين أمرف على نفسه بالعمل حتى بات ضحيته . فكان بذلك مستجيباً لدعوة « جوزيف كوزاد » الكاتب الانجليزي حين قال « اعمل حتى تموت » Do or die . ومن عجب أنه لم يقل الشعر على حين ينبغ فيه ثلاثة من رفاقه في عهد النهضة بלבناز وم « شبلي ملاط » و « بشارة الخوري أو الأخطل الصغير » والمرحوم « وديع عقل » الذين تغنى آثارهم عن أخبارهم .

على أن جيله من الرفاق قد أخرج جماعة من الادباء هم « مسعود درويش » و « إبراهيم المنذر » و « شكري القرداحي » و « إبراهيم سليم النجار » و « يوسف البستاني » . ولكن هؤلاء الرفاق تفرقوا ومشت بهم مناكب الارض أو مشوا في مناكبها . فدعت أسباب الحياة « أنطون الجميل » الى مصر ، وادخرته أسباب الموت في براها .

ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

نحمر عبر النضى مس

# حافظ وشوقي

## معارضه التاريخ

دواوين شوقي زاخرة بألوان شتى من الشعر التاريخي لأن شوقيًا - كما قلنا - كان مؤرخًا بطبيعته كما هو شاعر بسليقته... ولكن أبرز ما في الجانب التاريخي من شعره قصيدته الرائعة «كبار الحوادث في وادي النيل» التي افتتح بها الجزء الأول من دواوينه وهي التي قالها في المؤتمر الشرقي الدولي المنعقد في مدينة «جنيف» في سبتمبر عام ١٨٩٤ حينما ذهب مندوبًا عن الحكومة المصرية، وكان لم يبلغ الثلاثين من عمره. وقد بلغ عدد أبيات هذه القصيدة تسعين ومائتي بيت من قافية واحدة، عرض فيها تاريخ مصر منذ أقدم الصور إلى عهد نظمها، وكان في عرضه للحوادث فنسًا قبل أن يكون مؤرخًا صارداً للحوادث، فهو ينسرب من بين فرجات الحوادث ليماني بالحكمة مريعة الومض قوية التعبير ليس فيها زبد ولا طغيان على العرض التاريخي لتكون منها وثبة لأخبال وقلّة لافكر والتأمل، فأنت ترى مواكب التاريخ منتظمة آخذة برقاب بعضها في نظام فني ساحر لا يمل.

ولشوقي ميزة في هذا اللون من شعره، فهو بكلمة واحدة أو كلمتين أو شطرة من الشعر يسوق لك موكبًا تاريخيًا طويلًا تستعرضه في شعره في لمح البصر وتسكاد أشعر أن لم يستك من هذا الموكب شيء لا دقيق.

وهذه القصيدة - على حدّ تعبير الدكتور محمد حسين هبكل بك (باشا) - «رواية من الروايات الخالدة لتاريخ مصر منذ الفراعنة إلى عهد أبناء محمد علي». وقف فيها الشاعر وقفة مصري صادق العاطفة تفيض عليه ربة الشعر تاريخ بلاده منذ عرفها التاريخ. أي منذ عرف الناس شيئًا اسمه التاريخ. وأنت تراه في عرضه هذا التاريخ ممثلاً النفس نخرًا بهجد مصر حين يرتفع بها المجد إلى عليا ذراه، آصفًا - وبينًا - حين تمرّ بعمر نعراف فلم وذلة،



مستفزاً للهمم حافراً لمزائم أهل جيله والأجيال التي بعده كي يعيدوا مجد الماضي وعظمته ...  
 وترافى انتقاله من الفخر الى الأسف الى الاستغراب مع الحوادث متدفقاً متدفقاً فوق  
 موج الماضي آتياً من لانهيات القيد كما هو قينارة آلهة ذلك الزمان البعيد يدفع إليها  
 كل جبل نسائه فتتغنى وتشدو بأهازيج النصر تارة وبترانيم المسرة طوراً وبندجو الألم  
 أحياناً ، (١)

على أن القارئ لهذه القصيدة لا يحس فيها - على طول هذا العرض التاريخي - جفافاً ولا  
 خروجاً على الروح الشعري، فقد كانت فنية شوقي الشاعرية فيها أكثر سيطرة على الموقف  
 من فنيته التاريخية . ويرى الأستاذ عبد الحميد العبادي بك أن شوقياً كان « في هذا  
 المجال يخطو فوق قم الجبال وقلماً يهبط الى القيعان والأودية . وهذا طبيعي فالمقام مقام  
 الفخر لا مقام التاريخ بمعناه العلمي » (٢)

وقد استهل شوقي قصيدته بوصف رحلته في البحر وقال في مطلعها :

هَمَّتْ الْفُلُكُ وَاحْتَوَاهَا الْمَاءُ      وَحَدَاها بِعَن ثَمَلُ الرِّجَالِ

ثم بدأ يخاطب البخار ليتخاض من هذا الخطاب الى الفخر حيث يقول :

قُلْ لِّبَانِ بَنِي فَهَادٍ فَعَالَى      لَمْ يَجْزُ مِصْرَ فِي الزَّمَانِ بِنَاءُ

ليس في الممكنات أن تنقل الأجبال شئاً      وَأَنْ تَنَالَ السَّمَاءَ

أَجْفَلَ الْجَنُّ عَنْ عِزِّهِمْ فَرَعَوْ      نَ وَدَانَتْ لِبَاسِهَا الْآنَاءُ

شَادَ مَا لَمْ يَفْسِدْ زَمَانٌ، وَلَا أَنْشَأَ      عَصْرٌ ، وَلَا بَنَى بِنَاءُ

هَيْكَلٌ تَنْثُرُ الدِّيَانَاتُ فِيهِ      فَهِيَ وَالنَّاسُ وَالْقُرُونُ هَبَاءُ

وَقُبُورٌ تَحْطُّ فِيهَا اللَّيَالِي      وَيُورَى الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ

تَشْفَقُ الشَّمْسُ وَالْكَوَاكِبُ مِنْهَا      وَالْجَدِيدَانِ وَالْيَسْلَى وَالْفَنَاءُ

فَاعْذِرِ الْحَاسِدِينَ فِيهَا إِذَا لَا      مَوَاقِصَ عَلَى الْحُسُودِ الذَّنَاءُ

زَعَمُوا أَنَّهُ دَعَا تَمَّ شَيْدَتْ      يَسِدُ الْبَغْيِ مَلُؤَهَا ظُلُمَاءُ

(١) من مقدمة الدكتور ميكل ( باشا ) للجزء الاول من الشوقيات

(٢) مجلة « الكتاب » - ص ١٥٨٢ الجزء العاشر ( اكتوبر سنة ١٩٤٢ ) السنة الثانية

دُمِرَ النَّاسُ وَالرَّعِيَّةُ فِي تَشْيِيدِهَا وَالْخِلَائِقُ الْأَمْرَاءُ  
أَيْنَ كَانَ الْقَضَاءُ وَالْعَدْلُ وَالْحُكْمَةُ وَالرَّأْيُ وَالنُّهْيُ وَالذِّكَاةُ ؟  
وَبَنُو الشَّمْسِ مِنْ أَعْرَافِ مِصْرَ وَالْعُلُومُ الَّتِي بِهَا يَسْتَضَاءُ  
فَادَّعَوْا مَا ادَّعَى أَصَاغِرُ آتِيْنَا وَدَعَاؤُهُمْ خَنَاءٌ وَافْتِرَاءُ  
إِنْ يَكُنْ غَيْرَ مَا أَتَوْهُ نِفَارٌ فَأَنَا مِنْكَ يَا نِفَارُ بَرَاءُ

ثمَّ ينتقل شوقي بين عصور التاريخ المحيطة فيعرض لنا لوحات زاهية الألوان ولوحات  
أخرى قاتمة ، حتى يوفي على النهاية وقد اجتمعت له عدَّة منها تنفاوت في فتنها كما تنفاوت  
في ألوانها حسب الظلام أو النور الذي يغمر العصر .

فاذا تلمَّسنا في ديوان حافظ أثر التاريخ المصري القديم في شعره وقعنا على قصيدته  
« مصر » التي أنشدها في الحفل الذي أقيم بفندق الكونتنتال لتكريم المرحوم عدلي يكن  
بأها بعد عودته من أوروبا قاطعاً المفاوضة مع الانجليز ومستقبلاً من الوزارة ، وقد  
نشرت هذه القصيدة في ١٥ من ديسمبر سنة ١٩٢١ وجعلها على لسان مصر تتحدث فيها  
عن نفسها ، وقد بدأها بهذه الأبيات :

وقف الخلق ينظرون جميعاً كيف أبني قواعد المجد وحدي  
وبُناة الأهرام في سالف الدهر كفتوني الكلام عند التجدي  
أنا تاج العلاء في مفرق النشور ودُّرَّاته فرائد عقدي  
أي شيء في الغرب قد بهر الناس جلالاً ولم يكن منه عندي ؟  
ثمَّ يستمر في هذا الضرب من القبح حتى يذكّر الجانب التاريخي فلا يعرض له إلاَّ  
بالروح الخطابي المفاخر أيضاً فيقول :

قل لمن أنكروا مفاخر قومي مثل ما أنكروا ماثر ولدي  
هل وقفتم بقمَّة الهرم الأكبر يوماً فرَبَّيْتُمْ<sup>(١)</sup> بهرجهدي ؟  
هل رأيتم تلك النقوش اللواتي أعجزت طوق صنعة المتخدي  
حال لون الذهب من قدم العمود وما من لونها طول عهد ؟

هل فهمتم أسرار ما كان عندي من علومٍ مخبوءةٍ طيَّ بردي ؟  
 ذاك فنُّ التحنيط قد غلب الدهر وأبلى البلى وأعجزَ نِدِّي  
 قد عقدتُ العمود من عهد فرعون في ( مصر ) كان أولُّ عقد  
 أنا أمُّ التشريع قد أخذ الرُّو مان عني الأصول في كلِّ حدّ

الى آخر هذا الفخر ، والقصيدة من الوجهة الأسلوبية قوية السبك - ما في ذلك  
 هك - وهي من الناحية الخطابية بالغة حدود القدرة . فهي صالحة للإلقاء في المحافل ،  
 جدرة بأن تنال الإعجاب من حيث قوة اللفظ وعذوبة الموسيقى وبراعة الأداء . ولكنها  
 من الناحية التاريخية لا تستطيع أن تنهض الى جانب قصيدة هوقى ، لأن حافظاً في محاولته  
 كشف النواحي التاريخية كان مريع المرور بها لم يصوّر شيئاً كما صوّر شوقي ، وكان في  
 إمكانه وهو يقول :

فسَلُّوا البحر عن بلاء صفيي وسلوا البرّ عن مواقع جُردي<sup>(١)</sup>  
 أن يرسم صوراً يستمدُّ ألوانها وخيالها من الصور التي اختزنتها ذاكرته من حياته في الجيش  
 ومن قراءاته في التاريخ فيأتي بصور فريدة ، ولكنه لم يوفق الى ذلك .

\*\*\*

هذا من الجانب المصري القديم في التاريخ ، فأما الجانب الاسلامي فقد عرض له شوقي  
 بكثير من القصائد لعلَّ أولها قصيدة « نهج البردة » التي طارح بها قصيدة البوصيري  
 واستهلسها بالنسيب ، وهي التي يقول في مطلعها .

رِيمٌ على القاع بين البان والعَلَمِ أحلَّ صفك دمي في الأشهر الحُرُمِ  
 ثم وضع فيما بعد خلال إقامته في اسبانيا قصائده التي عرض فيها للتاريخ الاسلامي  
 وطبعت بعد وفاته في كتابه « دول العرب وعظما الاسلام » نظم فيها من سير الرجال ما  
 استعظم - كما يقول - وقد لزم في نظمها ما لا يلزم ، ولو أنه كان يرى الايق والاحزم به ترك  
 ذلك القيد . وبدأ هذه المجموعة التاريخية بالكلام على لغة العرب ثم انتهى فيها الى الكلام  
 على دولة الفاطميين .

(١) الجرد = الخيل : ويريد الجيوش البرية

ولكن شوقيًا في هذه المجموعة غيره في نواحي شعره الأخرى التي نجد فيها صوراً  
ابتدعها على حين أنه في كثير من قصائده هذه المجموعة أقرب إلى روح ألفية ابن مالك  
وأمثالها البعيدة عن نفس الشعر وروحه إلا في أبيات فلائل ، فهو يقول مثلاً :  
الخلقاء الراشدون أربعة مرضية سؤفتهم متبعة  
العمران وابن أروى<sup>(١)</sup> وعلي في الدررة السماء والأوج العلي  
وليس في هذه المجموعة ما يُعد تحفة فنية رائعة سوى القصيدة التي ممتاها « صقر  
قريش » وهي موشحة نهج فيها سبيل موشحة ابن سهل الأندلسي شاعر أشبيلية  
وسبنتمة ، وهي التي يقول في مطلعها .

هل دَرَى ظيُّ الحِمَى أن قد حَمَى قلب صبِّ حَلَّةٍ عن مكفص

فهو في نارٍ وخفقٍ مثل ما لعبت ريحُ الصَّبَا بالقبسِ

وقد عارضها أيضاً الوزير أبو عبدالله بن الخطيب شاعر الأندلس والمغرب فقال :

جارك الغيثُ إذ الغيثُ همى يا زمان الوصل بالاندلسِ

لم يكن وصلك إلا حُلماً في الكرى أو خلسة المختلسِ

وقد أبدع شوقي في موشحته وأتى فيها بصور جميلة . وخالف فيها القاعدة التي ألزمها  
في جميع قصائده هذه المجموعة . وقد جاء هذا الابداع من الجوِّ الذي نطمت فيه فقد كان  
هوقي مقياً بالاندلس فهو يحسُّ بزفرة العربي على هذا الفردوس الضائع من العرب . ولذلك  
برزت له موشحة ابن الخطيب فعارضها وكأن الصدى يؤوب في مسمعه « ... يا زمان  
الوصل بالاندلس » فبعثت فيه لمحات من ملك العرب ، وبرزت له شخصية عبدالرحمن الداخل  
على أن هذه القصيدة بالذات قد ظهرت على انفراد في الجزء الثاني من الشوقيات  
بما يدلُّ على أنها كانت عند هوقي خلال نظمها في منزلة غير منزلة زميلاتها في كتاب « دول  
العرب وعظماء الاسلام » إذ نظمت بروحٍ وفنٍّ مختلفين عن غيرها ، وهي قريبة في نفسها  
إلى أندلسيته المشهورة « يا نائح الطلح أشباه عوادينا ... » وقد صور هوقي في قصيدته  
« صقر قريش » قصة عبد الرحمن الداخل أول ملوك بني أمية في الأندلس . وربما كان إلى

(١) العمران = أبو بكر وعمر ... وابن أروى = عثمان بن عفان .

جانب إعجاب هوقي بهذا البطل العربي الذي فاض بعد أن تحطم ملك الأمويين في الشرق — في أن يقيم بنفسه لأسرته مُلكاً جديداً في الغرب — إعجاب آخر هو ما نعلل به قوة هذه القصيدة ، ذلك أن عبد الرحمن الداخل كان شاعراً ، ولعلَّ من أروع الصور عنه تلك التي رسمها الأستاذ علي أدم فهو يقول « وعبد الرحمن الداخل وليد أيام الثورات العاصفة والذي نفأ مثلما ينفأ ابن الملاح فوق الزاخر المخرج وحاش صمره فوق غوارب الهرايز والثورات يصارعها وتصارعه لا تشمُّ من شعره عبق الوحي ونفحة القدس ولا تشم فيه بروق الافكار البعيدة الخاطفة وأضواء النظرات المترامية الشاملة . ولكن المصائب التي حلت بقومه وسارت بها الاخبار وتحذت عنها الركبان حمتت نفسه وأفسحت خياله وحركت فيه عواطف الحقد والكراهة من ناحية ولكنها من ناحية أخرى أطلت به على جانب من جوانب الحياة الشعرية لأن ما رآه من تقلُّب الحظ وتداول الأيام وما قاساه من الآلام بصَّره رواية الحب البشرية في فصولها المختلفة وجعله يعرف الشقاء ويحسُّ الألم ، فن رقيق شعره تلك الايات التي أرسلها الى أخته بالقام ويقول فيها :

أيها الراكب الميمِّم أرضي      افر من بعضي السلام لبعضي  
إن جسمي كما تراه بأرضٍ      وفؤادي ومالكيه بأرضٍ  
قدر البين بيننا فافترقنا      وطوى البين عن جفوني فمضي  
قد قضى الدهر بالفراق علينا      فعسى باجتماعنا سوف يقضي<sup>(١)</sup>

ذلك من أسباب تعليلنا لقوة قصيدة هوقي ... فشوقي شاعر وعبد الرحمن الداخل شاعر . وهوقي بعيد عن وطنه اتخذ من الاندلس وطناً آخر يقضي فيه سنوات نفيه وقد ترك أمه في مصر بعيدة عنه ، وعبد الرحمن بعيد عن وطنه هارب من أعدائه قد فارق أهله المشردين وقد نلَّ عرشهم فاتجه مغامراً مخاطر أصوب المغرب ثم الى الاندلس وفي نفسه آمال ... فكان من كل ذلك عونٌ لشوقي على أن يرسم لهذا المبقرى الذي وفد على الاندلس وقد أخذ الخلاف مأخذه هناك فاستطاع أن يثبت أقدامه وأن يرمي دحائم ملكه ، ذهب في

(١) كتاب « سفر فريش » — من ١١٢ — للأستاذ علي أدم ، أصدرته مجلة « المنتطف »

الوقت الذي هيأته الأقدار للسلوك العربي أن يظل في العالم الغربي منشور اللواء فكانت  
الأقدار اختارته لهذا وأرادت بالعرب خيراً فقد

رُحِموا بالعسكريّ النابه البعيد المهمة الصعب القيادة  
مدّ في الفتح وفي أطنابه لم يقف عند بناء ابن زياد  
ومن ثمّ يعطينا شوقي صوراً جميلة لهذه البطولة الفذة . ومن روائعه تلك الصورة التي  
مثل الداخل وهو في رحلته :

بسلام يا شراعاً ما درى ما عليه من حياء وسخاء  
في جناح المملّك الروح جرى وبريح حفسها اللطف رُخاء  
غسل اليمّ جراحات الثرى ومعا الشدة من يحو الرخاء  
هل درى أنفلس من قدما داره من نحو بيت المقدس  
بسبيل الأمويين مما فتح مومى مستقرّ الأسس

وهذه القصيدة هي من روائع شوقي في التاريخ .

\*\*\*

فاذا التفتنا ناحية حافظ لنرى أثر التاريخ الاسلامي في شعره وجدنا له قصيدة نظمها  
عام ١٩١٨ عن ثاني الخلفاء الراشدين التماروق عمر بن الخطاب ، ولم يتبع فيها طريقة شوقي  
من حيث نظمها من باب الرجز بل جعلها كلها من قافية واحدة بلغت أكثر من ثمانين  
ومائة بيت . غير انه لم يأت بشيء مبتدع فأنت لا تقع فيها على وثبة خيال أو لمعة ابتكار  
فهي أقرب الى السرد الاخباري الراوي منها الى الفن القصصي الشعري ..

فهو يقول منها في إسلام عمر :

ويوم أسلمت عز الحق وارتفعت عن كاهل الدين أنقال يعانها  
وصاح فيه ( بلال ) صيحة خفمت لها القلوب ولبت أمر بارها  
فأنت في زمن ( المختار ) منجدها وأنت في زمن ( الصديق ) منجيبها

وهذه القصيدة لعالمها من آثار صحبة حافظ للامام محمد عبده ظلت حبيسة نفسه حتى

وجدت فرصة تكوينها . يقول الأستاذ عبد الحميد العبادي بك : « ولا ندري بالدقة الباعث لحافظ على نظم قصيدته ، فلعلّ الباعث له ما رآه من التباين حال العالم الاسلامي إبان الحرب العالمية الاولى وفساد أمر الخلافة ، فأراد أن يحلو على المسلمين صورة لاقوى شخصية ظهرت في الدولة الاسلامية ، وهي شخصية صمر بن الخطاب ، فيكون للنأشئة منها مثال يحتذونه ويلسجون على منواله . وقد يكون حافظ أراد بنظم هذه القصيدة أن يجري في غبار شوقي ، ولا سيما بعد أن نظم شوقي نهج البردة » <sup>(١)</sup>

نعم قد يكون التعليل الثاني الذي أشار اليه الأستاذ العبادي بك هو الباعث لحافظ على نظم قصيدته العممية . ولكن هل استطاع أن يجري في غبار شوقي ؟ الحق يلزمنا أن نقول إن قصائد شوقي في التاريخ الاسلامي منذ أنشأ نهج البردة حتى نظم مجموعته في دول العرب ترتفع عن المستوى الذي جرى فيه حافظ بالرغم مما في المجموعة الأخيرة من بُعد عن روح شوقي الفنية . ولكن الحق يلزمنا أن نقول إن حافظاً قد بلغ في « صريرته » غاية في دقة النظم وسبك العبارة .

### فن الشاعرين

أما وقد انتهيت من الموازنة في نطاق محدود بين آثار حافظ وشوقي في بعض النواحي التي اهتمت فيها أو تقاربت صورة المشاركة ، فقد وجب عليّ أن اختتم دراستي هذه بكلمة وجيزة عن فن هذين الشاعرين .

أول ما يلاحظ على فنّ شاعرنا المادية التي لم يستطيع أن يبرأ منها حتى في الأوصاف التي تنأى عن المادية ، وقلّ أن تصفو صورها منها . فشوقي مثلاً — وهو أقل من صاحبه انغماساً في هذه الناحية — حين يصف منظرًا طبيعيًا لجريان الماء وخبره بعنه كأنه وضع العروس تبينه وتصيته . ولكن شوقيًا كان يتجه صوب الخيال في كثير من قصائده

(١) مجلة « الكتاب » — ص ١٥٨٠ الجزء المشر ( أكتوبر ١٩٤٧ ) السنة الثانية .

وبخاصة ما كان متصلاً بالطبيعة ، على أن اتجاهه ناحية الخيال لم يكن استغرافاً في الطبيعة ولكنه كان افتناناً حسيّاً أكثر منه إحساساً روحانياً .

وكان التفات شوقي إلى المعاني خاصية من خصائص فنه وإن كانت معارضاته لقصائد الشعراء الأقدمين وحبّه في أول أمره إلى الغريب من اللفظ يفسدان عليه جوّ قصيدته ، على أنه لم يكن يهتم ، كل الاهتمام ، باللفظ قدر اهتمامه بالمعنى — وإن كانت أكثر معانيه مما دارت في قصائد قديمة — ولذلك إن تحسّ في قصائده أن الشاعر كان يكثّر ذهنه ساعة نظم قصيدته وفي ذلك يقول مطران بك « لا يجهد فكره ولا يكثّر في معنى أو مبنى » <sup>(١)</sup> وإن بدا لنا كدّ الذهن في بعض أبيات قصائده التي عنى نفسه فيها بالتقيد بالانماط الغريبة . ومن حسن الحظ أنه يبدو أن هوقياً كان يحسّ أن هذا يخالف لطبيعته الفنية فعمل على التخلص منه وعلى متابعة وحي طبيعته . ويرى الأستاذ البشري أنه « إذا كان لهذا الشاعر صنعة أو كان له في شعره ما يعدّ من عمله ، فهو احتفاله للمعنى أولاً ، فإن واثق اللفظ ولان ونصع وأشرق وإلاً فلا ثمّ هذا اللفظ المبهل » <sup>(٢)</sup> وهو في ذلك على النقيض من حافظ الذي كان لفظ القوي الخطوة الأولى في فنه ، أما المعاني فتجني في الدور الثاني أو الأخير . وقد قال هو نفسه « ... أما أنا فأُبيتُ المعنى إذا لم يتفق لي لفظ رائع » <sup>(٣)</sup> ... وهذا مصداق لما أشار إليه صديقه مطران قبل ذلك بسنوات بعيدة حين قال « إنه في أقصى ضميره يؤثر البيت المجاد لفظاً على المجاد معنى » <sup>(٤)</sup> ... ولهذا جاءت ديباجته أقوى من ديباجة كثير من معاصريه ، ولقد قويت هذه الديباجة تبعاً لطبيعة حافظ من ناحية ، ومن الناحية الأخرى

(١) من كلمة للأستاذ خليل بك مطران في « مختارات الزهور » التي أصدرها المرحوم الأستاذ انطون الجليل ( باشا ) سنة ١٩١٤ — ص ٢٠ طبعة مطبعة المعارف

(٢) كتاب « المختار » للمرحوم الأستاذ الشيخ عبد العزيز البشري — ص ٨٩ من الجزء الأول — طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٥

(٣) من حديث لحافظ مع محرر مجلة « الهلال » صفحة ٩٠٧ جزء ٨ ( يونيو سنة ١٩٢٨ ) السنة ٣٦

(٤) صفحة ٨٠ من « مختارات الزهور » التي أشرنا إليها



للجانب الذي وقف فنه فيه وهو مخاطبة الجماهير في قضايا صياحية تحتاج الى الالفاظ القوي المميز الجذّاب على أن لا يكون فيه إغراب ، ومن ذلك كان يكسّر ذهنه ليقع من محفوظه على بعينه . وقد قال عنه البشري إنه « مهما اختلف النقد في شعر حافظ وفي شاعريته فإنهم لم يفتروا قط في أنه كان من أmeer الصاغة في هذا الزمان » (١) ... أما شاعريته فكما يقظة وتنبه لا يعمل فيها غير عقله الواعي . والشعر عنده وسيلة على النقيض من شوقي الذي كان الشعر عنده - في رأيه - غاية ، وثمة فرق بين الاتجاهين ، وإن كانت الاخيلة عند الشاعرين - كما قلت - مادية بحثة . ولكن هوقياً كان عندما يحسّ أن المادية طاغية على أخيلته ومعانيه وأنها تضايقه في بعض الأحيان ، يحاول أن يفرّ منها فيتجه صوب الدين لينظم قصائد في ميلاد الرسول وفي تحية العام الهجري وما شابه ذلك ، ولكنه رغم ذلك كان لا يستطيع الفرار عن طبيعته لأن هذه الاخيلة كانت تلاحقه أيضاً ... أما حافظ فلم يستطع الإفلات من قيود ذهنه ومن الفكرة القديمة السائدة عن معنى الشعر وطبيعته وتناسى أن الشعر على حد قول الدكتور أبو شادي « روح وتصوّف أي اندماج كونيّ في الجمال والحياة قبل كل اعتبار آخر » (٢) ولذلك ظلّ حافظ لا يحميد عن طريقه ولا يتجه اتجاهات جديدة أو يحاول محاولات جريئة بل ظلّ يتابع ظلّ الأقدمين دون أن يتعمق أو يتناول أحاسيس النفس البشرية فيخلق من الصور القائمة لها ، وقد خبرها تماماً ، صوراً وألغة خالدة تمثل نفسيات الناس لا نفسيته هو في عمق وتحليل وكشف عن خبايا تلك النفوس وآلامها الخفية لأن الصاعية كانت كما يقول الأستاذ الزيات « من أبين خصائص حافظ » (٣)

### معنى لامل الصبرني

(١) من مقال لمرحوم الشيخ عبد العزيز البشري بمجلة « أبولو » ص ١٣١٥ العدد ١١ ( يوليو سنة ١٩٣٣ ) من المجلد الاول

(٢) من مقال للدكتور أحمد زكي أبو شادي عن حافظ في مجلة « أبولو » ص ١٢٦٢ من العدد المشار اليه

(٣) كتاب « في أصول الادب » للأستاذ احمد حسن الزيات صفحة ١١٠

## قلبي يناديك

قلبي يناديك بالوجيب فهل تبالين بالنداء ؟  
إن ثقلت وطأة الخطوب تلفت القلب للوراء  
لزم السالف الحبيب لراحة الحب والولاء  
تخضل في عالمي الجديد

قد لاذ قلبي بالالتماس إلى زمان مضى بسم  
وأنت غفلى ككل حان عن محنة اليأس الكليم  
ما بين ماضٍ وبين آتٍ وقفت حيرى ولم ترمي  
وها على عهدنا القديم !

لم يبق لي غير ذكرياتي فهي ملاذي من الهموم  
كيف تناصبت بإحياي ما كان من سالف النعيم  
إذ تقني لجّة القناة وننتحي فبأه الكروم  
لهني على سالف النعيم

دعائ قلبي فلم تحببي واضيعة الحب والرجاء !  
قد مال نجمي الى المغيب وأنت في جلوة السناء  
من لم يذق لاعج الخطوب لم يدرك ما محنة الشقاء  
واضيعة الحب والرجاء !

مفهر السرباسي

## جناية الآباء

خرجت التلميذات من المدرسة وانتثرن في الشارع ، انتثار فراشات الحقل الجميلة ، وهنّ يتمازحن ويتصاحكن ، وصارت « تحيات » متنحية عن رفيقاتها ، وهي شاردة الفكر ، فتنازعها الهواجس .

وما كادت تسير بضع خطوات حتى طرق معها صوت تغير صبارة ، فتطلعت الى مصدر الصوت ، فرأت هابياً جميلاً يرتدياً ملابس ضباط البوليس ، وهو واقف الى جانب صبارة صغيرة ، يضغط على تغيرها ضغطاً متوالياً ، كأنه يريد أن ينبه أحداً الى وجوده ، فمرفت أنها المقصودة بذلك ، واحمرّ خداهما الاثيلان ، وأمرعت الخلعى منتقلة الى الرصيف المقابل لمكان الشاب ، اكن هذا الحق بها وشرع يستعطفها ، غير أنها إزورّت عنه ، واهتدت في عدوها ، دون أن تحببه بكلمة .

وبينما هي سائرة لا تلوي على شيء ، طرق أذنيها صوت صديقها أنيسة تقول بلهجة المداعبة : « هنيئاً لك يا تحيات بهذا الضابط الجميل ! »  
فاضطربت الفتاة والتفتت الى خديقتها بحبيبة بحدة : « ما كنت أظنك سيئة الظن بي الى هذا الحد » .

— لا تحسبي أنني غافلة عن تصرفات هذا الشاب ، فاني أراه كل يوم ينتظر خروجك من المدرسة ليسمى لمحادثتك .

— وهل رأيت مني ميلاً للنزول على إرادته ؟

— كلاً ، ولكنني ألومك على هذا الجفاء

— ولماذا ؟

— لأن مثل هذا الفتى الجليل لا يُعرض عنه، لاسيما اذا كان محبًا قد تبسّم الغرام وروح به الشوق .

— إنك واهمة أيتها الصديقة ، فن واجب الفتاة أن تعرض مما يشين سمعتها مهما كان الاغراء شديداً .

— هذه فلسفة جديدة بالعجائز ، لكنها لا تلائم عواطف فتيات في سننا ، لم تفتتح بعد أزاهير حياتهن ، فكل منا تؤد أن تكون محبة ، وكل منا تؤد أن تكون محبوبة ، وبأحبذا لو كنت مكانك ، وحزت قبولاً في عيني هذا الضابط الجليل .

لم تحب تحيات ، بل آثرت الصمت ، لأنها كانت تعرف استهتار رفيقتها وجروح زماتها ، فتابعت سيرها وهي في لجة من التفكير ، حتى اذا وصلت الى منعطف الطريق سارت يمنة بعد ما حيت أنيسة بلطف ، وقصدت منزلها وقد تملكها اضطراب هديد ، وما كادت تطلع الباب الخارجى ، وتجتاز بحر الحديقة التي تحيط به من الجانبين عُرُش الياسمين ، حتى طرق ممعها صوت زغاريد منبعثة من المنزل ، فوقفت مرتعدة وقد امتدّ خفقان قلبها ، لكنها تغلبت على عواطفها وتقدّمت ببطء ، لأنها شعرت بأن رجلها أصبحتنا حاجزتين عن حملها ، ودخلت غرفتها دون أن ينتبه أحد لحيثها ، وألقت جانباً ما تحمله من كتب وكراريس ، وارتفعت على مقعد معتمدة وجهها بيديها ، وطفقت تبكي بكاءً مرّاً .

لبثت على هذه الحالة مدّة ، وهي مستسلمة بكليتها الى البكاء ، حتى تقرحت أجفانها واحمرت عينها الجليلتان ، وازداد توردها الاثليلين ، فطرق أذنيها صوت والدتها تقول لها :

ماذا دهالك يا تحيات ؟

فرفعت الفتاة رأسها ، ونظمت الى أمها بعينيها الدهجاءين المغرورقتين بالدموع ، وأجابت بلهجة العتاب الرقيق :

ألا تعرفين يا نينا ؟

— لا أعرف سوى أن ابنتي غبية ، تبكي لأننا نعدّها لها معدّات الزفاف .

— أجل يا أمّاء فهذا الذى بنفّس عليّ عيني ، ويسودّ الدنيا في عيني

— إنك حمقاء بلهاء ، لا تميزين بين ما يضركِ وما ينفعكِ .  
 — بل أنا حاقلةٌ أعرف ما يهيباً لي ، فأنتما تقودانني الى شقائي وتعاستي ، ونظنان أنكما  
 تعملان على هنائي وسعادتي .

— لم زالي بعد صغيرة لم يمرّك الزمان ولم تختبري الحياة ، فخيرٌ لك أن تزوجي  
 بمجوز غنيّ بدلاً من ذلك ويحفظ كرامتك من أن تزوجي هابطاً مُدفعاً فيسيء إليك ولا  
 ينيلك ما تسدين به رمقك  
 فقالت تحيات باستعطاف :

تذكر يا أمّاه إنني في السابعة عشرة من عمري ، وإن من تريد أن أنت وأبي أن زفاني  
 إليه قد أربت سنوه على الستين ، وأناى متعلمة وهو أمي لا يحسن حتى رسم اسمه ، فضلاً  
 عن تفاوت ميولنا ، وتباين نزواتنا ، واختلاف مبادئنا ، وأناى من سكان العاصمة وهو  
 من سكان أقاصي الصعيد ، فهل في شرعة الانصاف أن أقرن حياتي بحياته والبون بيننا كما  
 بين السماء والأرض ؟

— أكرر لك أنك غبية لا تدركين معنى الحياة ، فكل هذه الفوارق التي تتمشدين  
 بها نزول أمام المال ، فهو الراحة والصفاء ، والحب والهناء ، وما عداها فتعاسة وشقاء ،  
 فارجمي يا بنيتي الى عقلك ، وثوبي الى رهدك ، واقبلي العمدة زوجاً لك تنال رضاء  
 العيش ولبانه ، وتطلعي الى المستقبل وأنت آمنة مطمئنة .  
 فبكت تحيات وصاحت مستعطفة :

رحماك يا أمّاه ! لا تضمي غصن حياتي الرطب الى عود حياته اليابس ، ولا نجمي  
 بين ربيع عمري المتفتح الأزهار ، وبين شتاء عمره المليء بالأمطار والنورج .  
 فأجابتها أنها بحدة :

كفى عناداً أيتها الابنة العقوفة ، لقد اخترنا لك هذا الزوج فيجب أن تقبلينه ، إذ  
 الكلمة لنا في هذا الأمر ، وما عليك سوى الطاعة والأذعان ، ونصبحي أن تقلبي عن هذه  
 المقاومة التي لا تجدي نفعا ، لأن أباك أقسم أن يرغم أفتك مهما كلفه ذلك ، فكل شيء  
 أحيد كما تعرفين ، وصيغقده عليك في الأسبوع القادم .

قالت أم تحيات هذا وخرجت غصبي دون أن تهتم بابتها ، فارتفعت هذه على سريرها ، وألقت بوجهها على الوسادة ، وطَفِيفَةً تبكي وتنتحب حتى كاد قلبها ينفطر أسىً ولوعةً . وكانت القريبات والصديقات مجتمعات في المنزل ، وهن يساعدن في اعداد الجهاز ويغنين ويغردن ، فكانت أصواتهن تصل الى مسمع تحيات كأنها نواح وعويل لفقد ميت ورجل عزيز .

\*\*\*

قضت تحيات ليلتها في حالة تفتت القلوب وتذيب الافئدة ، فكانت تارةً تبكي وتنتحب حتى يكاد يُغنى عليها ، وتارةً تسير في الغرفة ذهاباً وإياباً وهي في حالة اضطراب شديد ، وأخرى يتولاها ذهول وانحطاط نفسي وجسمي ، فترتمي على مقعد وتلبث جامدة لا تتحرك كأنها تحولت إلى تمثال ، لكنه تمثال الحزن والالم . وما كادت الشمس ترسل أشعتها في الفضاء حتى نهضت تحيات متحاملة على نفسها ، وأصاحت من هندامها ، لأنها لم تخلع ملابسها طيلة ليلها ، وحملت كتبها المدرسية ، وخرجت قبل أن تدب رجل في المنزل .

\*\*\*

انقضى النهار ووالدة تحيات ومن يعاونها من النساء منهكات في إعداد معدات العرس ، حتى اذا ولَّى النهار انصرفن الى بيوتهن ، ولم تبق سوى عزيزة هانم ، وهي جارة تسكن في الشقة المقابلة ، فقالت لأم تحيات وهي تتطلع الى الساعة : ألا ترين ان ابنتك تأخرت كثيراً اليوم ؟ فالتفت اليها أم تحيات ، وقد نهى هذا السؤال الى غياب ابنتها وأجابت باضطراب : نعم يا عزيزة هانم ، ولا أدري لهذا التأخير سبباً ، لا حياء وهي لم تَعْتَد عليه . — قد تكون ذهبت لزيارة أحد صويحباتها . فقالت واضطرابها يزداد من دقيقة الى أخرى : لا أظن ذلك ، لأنها لا تزور في مثل هذا الوقت . وفي الحال نادى الخادم وأمرته بالذهاب الى المدرسة والاصطفار عن سبب تأخر تحيات

وتركت ما في يدها وجلست الى جانب جارتها والهواجس تساورها ، والأفكار تتنازعها ،  
وتذهب بها كل مذهب .

ساد السكوت بين الاثنين ، وكل منهما منشغلة بما تصوّره لها مخيلتها ، حتى قطعت  
عريضة هانم حبل هذا الصمت المُنغني قائلةً :

أسمحين لي يا احسان هانم بأن أصرح لك بما في نفسي ؟

فتطلعت إليها احسان وأجابت بحزن :

تكلمي أيتها الصديقة فاني مستمعة اليك .

— لقد تغيرت تحيات منذ ظهور تغيراً محسوساً ، فدحبت وجهها الجميل ، وذبلت  
نضارة وجنتيها ، وارتسمت على أساريرها آيات الكآبة ، واستعاضت عن مرح الشباب  
برزانة تجمع بين مرارة الامل ولوعة الألم .

فتنهدت احسان هانم طويلاً وقالت :

هذا هو الواقع أيتها العريضة .

— وأكبر ظني انه ناشئ من هذا الزواج التي تسعين إليه ؟

— لا أخفي عنك ان تحيات غير راضية عن زوجها لانه عجوز غير منقف بل  
لا يحسن القراءة والكتابة .

— إني أشاطرها هذا الرأي .

— عجباً أيتها الصديقة ! أتريدين اذن ان تتزوج بفاب لا يمتلك قوت يومه ، لكونه  
في ريعان الصبا ومقتبل العمر ، فأتركها تذوق معه مرارة الفقر وذل الحاجة ، وأرفض رجلاً  
غنياً يغدق عليها خيرات الدنيا ونعم الحياة ، لانه طامن في السن .

— نعم يا صديقتي ، لأن المال لا يجلب السعادة ، وحرام عليك أن تلقي بابتك في  
هوة الشقاء بتزويجها بعجوز يصح أن يكون جدّاً لها ، فأنت وزوجك لله الحمد في رخاء  
من العيش ، وهي وحيدتكما ، ولكما من أموالكما ما يغنيكما عن تقديم ابنتكما ضحية على  
مذبح المطامع ، فأربأأ بها وبنفسكما ، لأن مثل هذا الزواج يكون دائماً نصاً وهفاه ،  
لا راحة وهناة .

عمّت احسان هانم بتنفيذ رأي جارتها ، لكنها أبصرت الخادم مقبلاً فهردت اليه مستهمة ، فأخبرها بأن تحيات خرجت من المدرسة كالمعتاد في الساعة الرابعة والنصف ، فتطلعت احسان الى الساعة المعلقة في الحائط وألقتها السابعة ، فسرت في جسمها رعدة خوفاً على ابنتها التي لم ترزق بها الاً بعد سنين من زواجها ، وكانت تحبها حباً يقرب من العبادة ، وحبها هذا هو الذي حملها على تزويجها بغني ، لتجعلها بئامن من غدر المحن ، وتقلب الزمن .

وفي تلك البرهة أقبل زوجها ، ولما أطلعت على غياب ابنته كاد يحن خشية أن تكون قد أصيبت بمكروه ، لانه كان يحبها من صميم فؤاده ، ويروم اسعادها بهذا الزواج الذي يعتقد بأنه غاية المني ، ومنتهى ما تصبو اليه الاماني .

ومادم فوره قاصداً المدرسة ، لكنه لم يفز بأكثر مما فاز به خادمه ، فذهب من ساعته الى القسم وأخبر ضابط البوليس بغيبة ابنته ، فاهتم الضابط بالامر وشرع في القيام بالتحريات اللازمة لمعرفة ما حلّ بالفتاة .

\*\*\*

ذهبت مساعي والدَي تحيات أدراج الرياح في البحث عن ابنتهما كما ضاعت جهود رجال البوليس صدئى ، إذ ظلّ ما جرى للفتاة سرّاً خفياً لم ترفع عنه الحجب ، فتبدلت الأفراح أتراحاً ، وانقلب العرس الى مأتم ، وأخذ الاب يبكي ابنته وينجي باللائمة على نفسه لظلمه وعدوانه ، ولتحتيمه عليها قبول ذلك الزوج الذي كانت تنفر منه وتأباه ، وشرعت الام تندب فلذة كبدها ، ساكية دماء قلبها ، لا دموع عينها ، وتعض أناملها ندماً على ما فرط منها في حق ابنتها ، وتعد نفسها بأنها لو طادت اليها لاحاتهما في سواد عينها وسهجة فؤادها .

مضى على اختفاء تحيات شهران ونيف ، دون أن يظهر لها أثر ، أو يصل عنها خبر ، فنطرق اليأس الى قلبي والديها ، وأيقنا بأنه لم يعد ثمة أمل في لقائهما ، فاعتزلا الناس واعتكفا في بيتهما ، بواصلان سواد الليل ببياض النهار ، في بكاء وعويل ، وحسرة وألم ، حتى أصبحا في حالة يرثى لها .



وكان لاحسان هانم أخ قد بلغ من العمر عتياً ، لكنه رغم كبر سنه كان عصري الفكر ، يأبى التقيد بالعادات القديمة البالية ، التي تصيب الأمر بأضرار بليغة ، وطالما نصح أخته بعدم التمسك بأذيال هذه التقاليد ، لكنها كانت تهزأ بآرائه ولا تعيرها أذناً صاغية . ففي ذات يوم أرسل يستدعيها وزوجها على جناح السرعة ، لأنه في حاجة ماسة إليهما ، فنهضت احسان هانم وقد خفق قلبها ، دون أن تدري سبباً لهذا الاضطراب ، وأسرعت إلى بيت أخيها بصحبة زوجها الذي لم يكن أقل اضطراباً منها .

ولما استقرَّ بهما المقام هنالك ، قال شقيق احسان هانم لأخته : لقد احتملت من الآلام ماتنوء بحمله العواتق والمناكب ، وأظنك اتعظت بما مرَّ بك ؟ فهزت احسان هانم رأسها بحزن ، وانهمرت الدموع من عينيها . دون أن تفوه بكلمة ، فاستنلى قائلاً :

واذا منَّ الله عليك وعلى زوجك بما يزيل كربكما فهل تحمدانه على نعمه وآلائه ؟  
فصاح الاثنان بلهفة : وهل عندك خبر عن تحيَّات ؟  
لا أقدر أن أجيب على هذا السؤال ، ما لم تطلعا في رأيكما بشأنها فصاح الأب :  
وأي رأي لنا سوى أننا ننتظرها ونحن على أحر من الجمر ؟  
وقالت احسان باستعطاف :

حنانك يا أخي ، قل لنا أتعرف شيئاً عنها ؟

— نعم لكنه ليس بالكثير

— بالله عليك امرده لنا ، أخبرنا بكل ما تعرف

— واذا أمكنني أن أدلكما على مكانها ؟ . . .

فنهض الوالدان وصاحا معاً :

رحماك أين هي ؟ هيا بنا إليها ولو كانت في أقصى المعمورة

— إنها ليست بعيدة بهذا المقدار ، فهي . . هنا

— أين ؟ أين ؟

— هنا في هذا البيت .

وفي الحال دخلت تحيات ، فألقت أمها بنفسها عليها وضمتها الى صدرها ، وهي تكاد تغيب عن الوجود من شدة الفرح ، وأسرع إليها أبوها وطاقها وهو يكاد لا يصدق أن ابنته عادت إليه .

لكن تحيات تملصت برفق من عناقهما ، ورجعت خطوات الى الوراء ، ووقفت مطرقة الرأس ، والدموع تسيل من مآقيها ، فتطلعت إليها أمها وهالها تغير حالها واضمحلال جمالها ، حتى لم يبقَ منها سوى خيال أو شبه خيال ، فقد اصفر وجهها البديع ، وتفضت بفرستها ، وغارت عينها ، وانطفأ بريقهما ، ووقبَ خداهما ، وهزل جسمها حتى أصبح ثوبها فضفاضاً ، فصاحت أمها من صميم فؤادها .

ما ذا أصابك يا تحيات ؟

فازداد بكاء الفتاة وخبأت وجهها بيديها وأخذت تفتحب ، فأسرعَت إليها أمها وحاولت ضمها ثانية الى صدرها ، لكن تحيات أبعدتها عنها بلطف قائل بصوتٍ ضعيف :  
لا تضميني يا أمّاه ، لأنني لست أهلاً لذلك  
قالت هذا وغطت وجهها بيديها الهزيلتين وأجهشت بالبكاء ، فصاحت أمها :  
ماذا تقولين ؟

— أقول الحقيقة ، فاصفي إليّ يا والدتي ، واستمع لي يا أبي ، ولا تقاطعاني لأن دقائق معدودة .

فكادت أمها تجن ، وهمت بالكلام ، فأشارت تحيات إليها قائلة بصوت فيه رعدة :  
عفواً يا أمّاه ، لا تضيعي الوقت ، لأنّ دقائق أصبحت معدودة كما قلت لك . . .  
وتوقفت عن الكلام ، ووضعت يدها المرتجفة على بطنها كأنها تسكّن ما بها من ألم ، ثم تنفست بعمق وأردفت بصوت مرتجج :  
أنصتا إليّ لأنصّ عليكما ما أصابني :

خرجت من المدرسة في اليوم الذي لم أعد فيه إليكما ، فقابلني شاب ضابط في البوليس ، أعلمتُ خالي على اسمه ، وكان ينتظرني كل يوم قريباً من المدرسة ، ويتودّد إليّ ، ملقياً على مسمي كلمات الغواية التي تخلب عقول الفتيات ، فكنتُ أزورُ عنه ، وأبتعد عنه ، دون أن أجيبه بكلمة ، لكنني في ذلك اليوم كنت ضعيفة جسمًا وإرادة ، لأنني لم أنم طيلة

ليتي من كثرة البكاء لاصراركما على تزويجي بذلك المجوز الذي أنكر منه ، فضلاً عن إني كنت أتمنى الابتعاد عن البيت خوفاً ان تضطراي الى الزواج على كرهٍ مني ، فتبعني الشاب كالمعتاد ، وشرع يسرد على مسمعي كلماته المعسولة ، فشعرت بضعف عن مقاومته ، لكنني تابعت سيرتي ، مستمدة قوة من متانة أخلاقي ، وهو يلاحقني ويمتدني بالوعود الخلابية ولا سيما بالزواج ، حتى شعرت بأن قواي تتلاشى رويداً رويداً ، فوقفت وطلعت إليه قائلة :

ماذا تريد مني ؟

فأجاب :

أريد أن أتخذك زوجة لي ؟

فسألته :

أجأ أنت في أقوالك ؟

فصاح وهو يكاد يترامى على قدمي :

وهل مثلي يسمى الى العيب بك أيتها الحسناء ؟ تعالي لا تقدمك الى والدتي التي طالما كلننها عنك .

فصاحت أمها :

ويلك يا تحيات !

فقات الفتاة وهي تضغط بأناملها على أحشائها ، وقد اكتمهر وجهها وتساقط منه العرق البارد :

أمها رحماك ، انصتي اليّ لأنتم حديثي قبل فوات الوقت ، لأنني لا أقدر ان أنكمم إلا بصعوبة .

وهنا ازداد اكتمهرار وجهها ثم احتقن خفاة ، وتوترت أساريره ، وجهت عيناها وكادت تسقط أرضاً ، لولم تعتمد على مقعد الى جانبها ، فأسرعت إليها أمها صائحة :

تحيات : ماذا أصابك ؟

فأبعدتها بإشارة من يدها وأخذت تتلوّى كالأنعموان وهي تعتمد بطنها بكلتا يديها وقالت :

لا شيء يا أمّاه .

وامدما سكنت قليلا وهي تنفس ببطء وصمت حتى كان نفسها يخرج زفيراً من صدرها ، استنلت بصوت يكاد لا يُسمع :

اني موجزة ، فقد ركنت الى الضابط ، وذهبت في سيارته الى . . . بيته . . . كما ظننت لكنه عوضاً عن أن يقودني الى أمه ، كما وعدني ، قادني الى منزله الخاص ، إمدما أمه في

قطعة من الخولى لم أدري ما فيها .

ولما أفقت من غيبوبي وجدت نفسي . . وبألهول . .

قالت هذه الكلمة بصوتٍ مرعب مخيف ، وسقطت على الأرض تئن أنيناً موحماً ، وهي تنقلب بطناً لظهر ، فأمرع اليها أبواها وخالها وأنعضوها ، وهم يكادون يجنون خوفاً عليها ، وأجلسوها على مقعد ، لكنهما أبعدتهم عنها ، وهمت بالنهوض فخافتها قواها ، وسقطت على ركبتيها ، غير أنها استطردت بصوتٍ متحشرج :

لقد هتك عرضي ، وخيرني بين الذهاب الى بيت أبوي حيث لا ألقى سوى الموت ، وبين أن أخبيء هاري في مكان أوي اليه ، يسترني عن عيونكم وعيون الناس أجمع فأخترت الأمر الثاني . ولم أدركنه ذلك المأوى إلا بعد أن دخلته ، فاذا به مكان للدحارة ، نديره امرأة عجوز شرسة الطباع ، وحشية الأخلاق ، تأمر بأمر ذلك الضابط الوغد ، لأن محلها يقع في دائرة نفوذه ، فكنت أسام الدل ، وأحمل الهوان ، وأضطر مكرهة تحت تأثير الضرب والتهديد الى بيع جسدي لمرتادي تلك البؤرة .

فأنت تحيات بهذه الجملة الأخيرة بصوتٍ خافت مرتعد ، وقد برح بها الألم ، فسقطت على وجهها .

وكان أبوها وأما يستمعان اليها ، وهما ذاهلان جامدان كأنهما فقدوا الحس والشعور فهبأ اليها لينعضها ، وهما لا يقويان على النفوه بكلمة لشدة وجومها ، لكنها غابت قواها المتخاذلة ، ورفعت رأسها مستندة الى مرفقها ، ونظمت اليهما بعينين جامدتين متحجرتين وقالت بصوتٍ يكاد يضيع على شفقتها خلفوته :

لقد شربت ممياً زافاً قبل أن أدخل عليكما ، وهو الآن يمزق أحشائي ، فأعمر بأن فيها أنون نار ، يصهرها بأواره المضطرم .

وأرادت أن تستوي على ركبتيها لكن قواها خذاتها فاستملت : لقد مكنت في ذلك الجحيم الأرضي أكثر من شهرين ، ولم يتسن لي الهرب منه إلا اليوم لعدة الرقابة علي ، فتزودت بسم شديد الفتك ، وقصدت منزل خالي لعلني برقة قلبه ، ونبل عواطفه ، وقصصت عليه واقعة حالي ، طالبة منه السعي لي ، لاتزود منكم بنظرة أخيرة قبل أن أرحل عن هذه الدار ، التي لم تسدّر لي غير الشقاء والتعاسة . . آه . . أحشائي تنقدّر . فؤادي يلتهب . . لم أعد أبصر شيئاً . . فالوداع يا أبي . . الوداع يا أمي . . ساعحكما الله . .

قالت هذا وسقطت على الأرض وأصلت الروح .

## طفلتها (١)

« أخذتها مقبلاً باكياً أما بها من أمها رائحة . »  
بعد عشرة أعوام من هوى صائح تمر بالناعر طفلتها .  
فأخذها بين ذراعيه ، ليماني فيها صورة أمها

طالعتني دربي .. بها مرة " ترف كالفراشة الجارحة  
طفولة كما تبوح الربى ومبسم كأنه الفاتحة  
وكنت هبعت زمان الهوى وانطفت زوايع نابجة  
غداة عند الكرم ، قعدتسنا بحضن تلك الربوة الصالحة

\*\*\*

يا صغرها أعر أنموذج من بعد تلك الغربة القادحة  
وكيف هذا كان .. قد أورت حتى رنين الأشفة الصادحة  
حتى انتبال الشعر .. حتى النعم الملهوم .. حتى النظرة السارحة  
يا وجهها الصغير غبّ النوى نقضني جارحة .. جارحة  
هل أقبلت طفلتها بعدها تفجعني بأمرها النازحة  
عشرة أعوام على حبها كأنه في الليلة البارحة  
ولم تزل صورتها في دمي غريقة .. أنيقة .. ساجدة

\*\*\*

أخذتها ، مقبلاً باكياً أما بها من أمها رائحة  
نزار قباني

(١) من ديوان « طفولة نهد » وقد صدر أخيراً

## الكساح

أسبابها - أعراضها - علاجها

الكساح ، أو الخرع ، مرض من أمراض الاطفال التي يجب أن يعرفها الخاص والعام ، وهو ناشئ عن قلة المواد الواقية للجسم ، وبعبارة أخرى عن اضطراب في تكوين العظام لنقص الأملاح الترابية التي تدخل في تركيبها ، فتلين ويصبح من السهل التواءها وانفوذوها.

وهذا المرض من أكثر أمراض الاطفال انتشاراً وبفتابهم في السنتين الاوليين من أعمارهم وعلى الاخص في السنة الاولى بدون فرق في الجنس . وبوجه عام لا يتبدى ظهوره عندهم إلا اعتباراً من الشهر السادس بعد الولادة وهو وقت ابتداء التسنين ، ونادراً وقت الولادة (كساح وراثي).

ومن ناحية أخرى لوحظ أحياناً حدوث بعض تشوهات عظمية في دور الطفولة الكبرى ، وفي أحيان أخرى أيضاً في دور الحداثة (كساح متأخر)

ويستنتج من الاحصاءات الرسمية أن ٩٠٪ مصابون بهذا المرض وهو بين الطبقات

الفقيرة أكثر منه بين الطبقات المومرة . ومع ذلك فنسبة الاصابات به بين الطبقات المومرة هذه التي تسكن المدن تبلغ أحياناً ٦٠٪ في حين أن الاصابة بالكساح في أطفال الريف والجماعات الخلفية أخف من اصابته لاطفال المدن المردحة بالنظر الى توفر أعمدة

الشمس ، أو بالأحرى الأشعة فوق البنفسجية في الريف والجهات الخلوية ، وفلتها في المدن المزدحمة . وأشعة الشمس وما بها من الأشعة فوق البنفسجية من أهم العوامل في دفع هذا المرض والوقاية منه .

### أسبابها

وأكثر الأطفال نعراًً للكساحية هم النحفاء ، والمولودون قبل أوانهم ، والتوائم وذوو البنية الخنزيرية Scroiuieux . ويساعد على ذلك السكنى في الأماكن الرطبة المظلمة ، وعدم الكفاية من الطعام المغذي واللباس الكافي ، وكبر سن الوالدين أو إصابتهم بالسل أو الزهري . وقد لوحظ إصابة الأطفال بهذا الداء في البلدان الشمالية مثل انكارترا ومناطق بحر البلطيق وما جاورها — أكثر بكثير مما في جنوب أوروبا والجهات المشمسة الأخرى ، وفي الشتاء أكثر مما في الصيف ، لذلك أطلقوا على هذا المرض اسم « مرض الشتاء » .

وبين العوامل الرئيسية الأخرى التي تؤدي إلى الإصابة بالكساحية : نقص مركبات الجير ( الكالسيوم ) والفوسفور في غذاء الطفل ، وعدم ترسب القدر الكافي منهما في أطراف العظام الطويلة الضرورية الأصل لتعدو عظمية صلبة ، وبعبارة أخرى يكون التمثيل الجيري في المريض ناقصاً ، وعلى الخصوص نقص الفيتامين « د » المنظم للاستحالة الغذائية لهذين العنصرين في جسم الطفل فإذا ما نقص هذا الفيتامين في غذاء الطفل اختلت الاستحالة الغذائية للكالسيوم والفوسفور — وهما المادتان الأساسيتان في تكوين عظام الطفل — فينقص خزن أملاحهما في الجسم فتأين إذ ذاك العظام ويصبح من السهل اعوجاجها والتواءها ، وبخاصة إذا كانت هذه العظام من التي يقع عليها ضغط كبير ، كمظام الساقين مثلاً ، وقد تلين هذه العظام في بعض الحالات لدرجة تؤدي إلى انكسارها ، فيضطرب إلى وضع الطفل في الجبس لتجبير الكسور وإصلاح العظام المشوّهة .

ولا يقتصر حدوث الكساحية على العظام الطويلة مثل الذراعين والساقين فحسب ، بل قد تصيب أيضاً كل الهيكل العظمي : كمظام الجمجمة والضلوع عند اتصالها بالقص ، والجذع والعمود الفقري والحوض والوجه والفك الأعلى وغيرها ، ولكنها لا تصيب في الغالب إلا العظام الطويلة ، وهذه تلنوي تدريجياً سواء بنقل الجسم أو بتثخيل المضلات . وليس

هذا كله ، فالكساحه نفسها كثيراً ما تؤدي الى اين الاسنان الموجوده ، أو الى ذلة دودها  
أو الى تأخر بروزها ، أو نفوّه الاسنان الجديدة وتفلّسها وسوادها  
أبناً أعلاه ما لقلة المواد الواقية للجسم من التأثير في تسبب هذا المرض . والواقع  
أنه لو وجدت هذه المواد في جسم الطفل لما أصيب به ، وإذا أعطي من هذه المواد شئني  
منه . وفضلاً عن الفيتامين « د » الذي أتينا على ذكره يوجد أيضاً الفيتامين « ا » وكلاهما  
موجودان بكثرة في دهن الحيوان ، وفي اللبن والزبد وصفار البيض ، وفي زيت كبد الحوت  
( زيت السمك ) والخضر والفواكه . ويسمى الفيتامين « ا » بفيتامين النمو ، وفيتامين  
« ب » بالفيتامين المضاد للكساحه .

ويجب ألا ننسى كذلك عوامل أخرى مهمة تعمل على إحداث هذا المرض ونعني بها  
رداءة التغذية ، والرضاعة الصناعية وما يرتكب غالباً وقت استعمالها من الأخطاء الصحية  
الكثيرة . وقل مثل هذا عن الطعام الباكر والطعام الزائد الذي يؤدي الى تمدّد المعدة  
والاضطراب الهضمي . وقد يصاب الأطفال به أحياناً اذا زادت تغذيتهم عن الحدّ اللازم  
حتى عند الذين يتغذون بلبن أمهاتهم ، أو اذا أعطوا أيضاً أطعمة جامدة قبل الاوان نسبة  
لسنهم ، بدلاً من اللبن الحليب .

وأخيراً قد يكون سبب الكساحه في بعض الاحيان إصابة الطفل بإحد الأمراض  
الحادة كالحصبة أو الحصبة أو الخنّاق وجميعها تؤثر تأثيراً بالغاً في تغذية الطفل العامة ،  
وزداد الحالة تفاقمًا لما تكون صحته العمومية سيئة .

### أعراضها

تبتدىء الكساحه عادة في الظهور في النصف الثاني من السنة الأولى عند الطفل ، وذلك  
بارتفاع الحصى ، والاضطرابات المعدية المعوية ، والاسهال الحامضي ، والعرق الغزير ليلاً  
وعلى الخصوص على جانبي الرأس والبطن ، ويضعف الطفل في الوقت نفسه بأوجاع في الجهاز  
العظمي . فهذا الطفل ، بعد أن كان يجلس وحده وبدون وسيط في الشهر السادس من عمره  
راه ، بعد إصابته بالكساحه ، قد تأخر جلوسه بعد ذلك الوقت ، كذلك يتوقف سن  
نحوه ومن مهيئه عن الميعاد اللازم . والطفل نفسه لا يقتصر على عدم محاولة المشي بل انه



يرفض الوقوف على قدميه . والنظر اليه يرى فيه ما يبعث على الحزن والاهفاق من شحوب اللون والمزال ونحول الجسم واسترخاء العضلات ومن الحدود وانتفاخ البطن نتيجة تضخم الكبد ( وهذا ما يذكرنا ببطن الضفدعة ) . أضف الى ما تقدم : اصفرار الأسنان ، وشكل الرأس الطويل المربع ، وورم مفصل الركبة والمعصم والرسغ والتواء السيقان ، وتضخم كرايس الضلوع : فترى صفًا من العقد على جانبي الصدر تهبه بشكها حبات السبعة ، ثم إن مقام اليا فوخ الامامي لا تتحد في ميعادها اللازم . ويصحب هذا كله اضطرابات هضمية مختلفة كالقيء وتناوب القيض والاسهال ، والتشنجات والحجى غالباً . وهو الى ذلك كثيب الهيئة ، قليل الحركة نسبةً الى منه ، يفرع لافل سبب ويفكو الماك شديداً لدى محاولته النهوض أو الحركة ، ويكون تنفسه دائماً عسراً .

تلك هي أعراض مرض الكساحه موضع رهبة الامهات ، المنتشر في أنحاء العالم ، خصوصاً في شمال مدن أوروبا الكبرى بحيث اكتظت المستشفيات هنالك بألوف من الأطفال المصابين به . ويدوم هذا المرض من سنة أشهر الى سنة واحدة ثم يقف عند حده بعد سنتين الى ثلاث سنوات . والقالب انه لا يصل الى نهاية هذه المدة لأن المريض الصغير يقضي نحبه في معظم الأحيان سواء بمرض القلب ، أو بالالتهاب الشعبي الرئوي أو بالتهاب البليورا ( ذات الجنب ) ، أو بالسل ، أو شلل الامعاء ، أو بنتيجة الضعف والمزال .

### الوقاية

والطريقة الوحيدة لوقاية الطفل من هذا المرض هي الافتصار على تغذيته بلبن أمه . فقد أيدت الاختبارات العديدة والملاحظات الكثيرة أن استعمال اللبن المعقم يؤدي غالباً الى الاصابة به ، ثم إن التعقيم نفسه يبيد الخائر العضوية الموجودة في اللبن الحليب ، ويبعد كذلك العصابات المفيدة والضرورية جداً لهضم الصحيح .

ولا ينكر أن الأطفال الذين يتغذون باللبن الصناعي ( المصاصة ) ، أو باللبن المعقم ، يكونون غالباً ضخام الأجسام حسني المظهر ، لكن لهم هذا منتفع فقط ... والواقع أن ليس عندم أية مقاومة لاهون الأمراض

ويجب ألا ننسى خصوصاً أن خنائر لبن الحيوانات الداجنة كالبحر والماء ومثلاً ، تختلف

اختلافاً كلياً عن خمائر لبن الام : وهذا هو السبب في صعوبة هضم اللبن الحيواني هضمًا جيداً .

والنائب اليوم أن الكساحه غير معروفة في اليابان لأن اليابانيين لا يرضعون اطفالهم الا من ندي أمهاتهم - بعكس انكلترا التي ترى أن نسبة الاصابات بالكساحه فيها عالية جداً بحيث يسمى هذا المرض غالباً « بالمرض الانكليزي » ، وأسباب ذلك هو تغذية الاطفال عندهم بمستحضرات اللبن الصناعيه ، أو بالمساحيق النشويه .

\*\*\*

ويفترط أيضاً للوقاية من هذا المرض : العناية بصحة الطفل العامه وذلك باستعمال الحمامات اليوميه ، وتهويه غرفته تهويه كافيه وجعلها فسيحه صحية ، معرضه للشمس ما أمكن ، والاكثر من زياته بقدر المستطاع ، وابقائه بضع ساعات يومياً في الهواء الطلق ، واجتناب الرطوبه ، والعناية في طعامه عناية خاصه كي يكون خفيفاً مغذياً . وإذا كان يرضع من ندي أمه فيجب أن تكون رضاعته هذه منتظمه ومواعيد هذه الرضعات غير متقاربة . وإذا كانت رضاعته من الثدي الصناعي فيجب أيضاً تنظيم مدة الرضعات والتأكد من جنس اللبن الذي يعطاه الطفل ، وتمعيقه على النار ، ودرجه بمقدار الماء اللازم نسبة الى سنه الى أن يعطى صرفاً . كذلك يعتنى بنظافة الحلمه الصناعيه اعتناء تاماً .

ولما كانت الالتهابات المرضعات يفقدن كثيراً من الكالسيوم والفوسفور من أجسامهن بسبب الارضاع ، فليسن أيضاً بأقل من الطفل حاجه الى مقدار من الفيتامين « د » ، لأن هذه الماده تمكن الجسم من امتصاص الكالسيوم والفوسفور من الاغذية وتشبههما ، مما يسد النقص الحادث فيهن ، فتستفيد المرضع والطفل معاً .

أما الفطام فلا يجوز اللجوء اليه قبل الشهر الخامس عشر من عمر الطفل ، وإذا كان لا بد من الفطام قبل نهاية هذه المدة لسبب من الاسباب الخطيرة فيجب أن يكون ذلك تدريجياً اعتباراً من الشهر التاسع أو العاشر من عمر الطفل ، ويحتمس حتى لا يكون ذلك في أيام الحر الشديد .

## العلاج

عرفنا عما سبق أن لمرض الكساحه أسباباً يحدّثها ، وعلى ذلك يمكننا أن نضع أملاجه نظاماً تبعاً لهذه الأسباب للتغلب على هذه الآفة الاجتماعية بقدر المستطاع .

أولاً — يُعمل على تأمين الشروط الصحية للطفل على نحو ما ذكرنا أعلاه . فنخصص له غرفة فسيحة جافة ، كثيرة النور والهواء وتتخللها أشعة الشمس بالكفاية . وإذا كان ممكناً يرسل الطفل الى بعض المناطق الجبلية أو الأرياف ، أو شواطئ البحار التي تحسّن كثيراً صحة المصابين في مختلف أدوار هذا المرض بالنظر الى نقاوة الهواء هناك مع توفر أشعة الشمس ، ولا سيما الأشعة التي فوق البنفسجية — تلك التي تنفذ خلال الجسم فتؤثر فيه حتى تكسبه ما يعوزه في فيتامينات لازمة لبناء العظم بناءً سليماً .

ثانياً — حمامات البحر : يفيد كذلك فائدة كبرى الفصل بقاء البحر ، وإذا تعذر ذلك فيلجأ الى الاستحمام بالماء المملح الدافئ ( ٥٠٠ غرام من الملح الى ٣٠ لتر ماء بدرجة ٣٧ مئوية ولمدة عشر دقائق ) ، وذلك في مغطس للأطفال من السن الثانية الى الثالثة . أما الذين همهم أربع سنوات فما فوق فيستعمل لهم ماء مملح بارد ، ويكرّر ذلك يومياً . وإذا كان الولد ضعيفاً ولا يطيق الاستحمام بالماء البارد يمسح جسمه بالأسفنجية ، وعقب الحمام يفرك جسمه كله بالكحول .

ثالثاً — التغذية : يعنى بها اعتناء خاصاً ، وتكون كمية الطعام قليلة ومتنوعة ما أمكن . فالرّضّع الذين يتغذون صناعياً يجب ألا يزيد مقدار اللبن الذي يعطونه عن نصف لتر يومياً ، وتتم تغذيتهم هذه باعطائهم بعض أنواع الحساء والبقول . فالطفل الذي هممه أربعة أشهر ووزنه ٩ كيلو غرامات مثلاً ، يعطى يومياً أربع مرات ٢٠٠ غرام من مغلي بعض المساحيق الذشوية مثل دقيق الخربال Avoine أو دقيق الأرز أو الاراروت . وابتداءً من الأسبوع الثامن يضاف الى طعامه مرتين الى ثلاث مرات يومياً قدر ملعقة قهوة من عصير الليمون أو عصير البرتقال أو عصير الطماطم ( البندورة ) الغضة قبل تناول اللبن الحليب . وفي الشهر الخامس يضاف الى طعام الطفل نصف صفار بيضة . وبعد الشهر السادس يدخل في طعامه

مدهوك اللحم مع مدهوك البطاطس المضاف إليه اللبن الحليب ، وكذلك مدهوك البقول الجافة كالعدس والفاصوليا والبازلاء ، والتفاح المقطوع المبهور ، والبندورة والموز .

رابعاً - زيت كبـد الحوت : يفيد أيضاً في هذه الحالة إعطاء زيت كبـد الحوت ( زيت السمك ) إذا كانت معدة الطفل تتحمله ( قدر ملعقة قهوة صغيرة منه في كل مرة لـكل ستة أشهر من عمر الطفل . ثم أكبر منها قليلاً للاطفال الذين هم أكبر سنّاً ، ويُستمر على استعماله بضعة أشهر ) .

وإذا تعذر إعطاء زيت كبـد الحوت مباشرة للطفل اسبب ما ، فيمكن إعطاء المرضع منه متاديراً كافية فيتمزّب مع اللبن الحليب الى طفلها المصاب بالكساحية كما لو كان يتناوله هو بنفسه . صحيح أن المقدار الذي يستفيد منه قليل نسبةً الى المقدار الذي يتناوله الأم ، ومع ذلك فهو كافٍ لوقايته من هذا المرض .

ومن الضروري أيضاً عدا ذلك إعطاء المصابين بعض الادوية المفيدة الأخرى والتي منها شراب فوسفات الكالسيوم *Sirap de phosphate de chaux* بغية تعويض نقص فوسفات التريكالسيوم في عظامهم . والواقع انهم لا يفتقرون إلى فوسفات الكلـس بل يفتقرون إلى القدرة على تثبيت هذه الفوسفات في عظام مكتملة نامية عندهم .

وينصح بعض الأطباء بإعطاء الطفل أيضاً الفوسفور بمقادير ضئيلة جداً مضافاً الى زيت كبـد الحوت ( ١ ملليغرام من الفوسفور الى كل ١٠٠ غرام من زيت كبـد الحوت ) فيعطى من هذا المزيج قدر ملعقة قهوة للطفل يومياً . ويمكن أيضاً في هذه الحالة إعطاء شراب

هيبو فوسفات الجير ثلاث ملاعق في اليوم *Sirap hypophosphite du Dr Chorchill*

خامساً - تأثير الشمس والهواء الطلق : إن تأثير الشمس في الكساحية آتٍ من مفعول الأشعة فوق البنفسجية كما سبق وذكرنا أعلاه ، وهكذا قل عن فائدة الهواء النقي . ولذا يقضي تعريض الجسم طارياً لأشعة الشمس المباشرة كل يوم مدّة زداد تدريجياً : إما بفتح نافذة الغرفة أو بتعريض الجسم في العراء . فيبدأ أولاً بتعريض القدمين وحدهما لمدة خمس دقائق ، ثم يزداد تدريجاً تعريض باقي أنحاء الجسم يومياً . وعلاج كهذا يتطلب مدّة أسبوعين لتعويد الجسم على التعرض الكامل المباشرة لأشعة الشمس . ذير أنه يجب الانتباه في

خلالها لثلاً يصاب الطفل بالبرد ، ولا سيما في الفصل البارد .

ويمكن الاستعاضة عن ذلك بالأشعة الصناعية، ثلاث مرات في الأسبوع ، وذلك بواسطة جهاز خاص مُرسل للأشعة يوضع على بُعد متر واحد من الطفل . فيُبدأ أولاً بتعريض الجسم للأشعة الصناعية مدة ثلاث دقائق ، ثم تزداد هذه المدة بالتدريج حتى تبلغ ٢٠ دقيقة .

سادساً — مكافحة التقيوهات العظمية : وبالنظر لاضمور العضلات المتزايد دائماً في حالة الإصابة بالكساحه الشديدة ، يمكن وقف هذا الضمور بالجوء الى تدليك الأطراف وتمسيدها ، بل تمسيد الجسم كله ، ويضاف الى هذا العلاج أيضاً استعمال الكهربائية إذا رأى الطبيب استعمالها ضرورياً . ويمنع الولد من المشي لثلاً يزداد تموج عظام الساقين والتواءها تحت تأثير ثقل الجسم . ويجب كذلك عدم حمل الطفل على الذراعين للسبب نفسه منعاً لتقويه العمود الفقري ، والافوق تركه ما أمكن ممدداً على فراش قاس . وإذا أريد إخراجَه للنزهة تستعمل له عربة صغيرة يكون فيها مستلقياً لا جالساً منعاً لحدوث التقويه في ظهره والتموج في عظامه . أما العظام المنحنية جداً فتحتاج الى يد الجراح الخبير والأخصائي بتجبير العظام وأمراضها لا الجبر الجبلي الذي كثيراً ما يأتي بالسوء عوض الخير . وإذا عولج داء الكساحه في وقته ، خصوصاً إذا تمكن الطفل من الاستحمام مدة طويلة بماء البحر ، يمكن إذذاك الشفاء منه بوجه عام ، فتخف حينئذ أورام مفاصل العظام في الركبة والرسغ وغيرها ، ويقل أو يزول اعوجاج العظام ، ويعود الجذع الى شكله الطبيعي بمساعدة بعض الأجهزة الخاصة لهذا الغرض بحيث لا تضيق حركات عضلات الطفل أو نفاطها وإذا بقيت التشوهات العظمية على حالها ولم تول في سن السادسة أو السابعة من عمر الطفل فأمل الشفاء منها يُعدّ ضئيلاً وتبقى على ما هي الى النهاية . وإذا كانت التشوهات العظمية زائدة لدرجة انها تضيق وتمنع سير الطفل أو تسبب دمامة أو قبحاً في شكل العضو المأوف ، فقد يلجأ في هذه الحالة الى ابدال قسم من العظم المشوه أو كله بعملية دقيقة جداً ( Osteoplastie ) ، وهي من متعلقات الجراح الخبير الدارس .

## مشهد من مسرحية كليوباترا (١)

للشاعر محمد فهد

حجرة استقبال في قصر الملكة كليوباترا حيث تشاهد الملكة تدخل بحف بها وصفاتها تم تجلس وعند قدميها تجلس هرميون وصفاتها وبأشارة من الملكة ينصرف جميع الوصيفات إلا هرميون...

كليوباترا ( بعد لحظة ) —

أما زال مع الرّسل ؟      لعمري أيّ أنباء ؟  
وماذا جدّ في روما      فأغراه بأصغاء ؟  
لاخشي أن يعاوده      حين كامن الداء ...

هرميون :

أما أقسم أن يبقى ؟

كليوباترا :

بأرباب أمراء ...

في أجواز علياء ...

يل — لاواء الاحياء

مواراً بأضواء

ابعدتها — شوم ظلماء

كفران بفعاء ...

ولكن تسخر الأقدار

مرميون : دعي الفك — مماء الذ

وعيشي في نعيم الحب

وغرباناً من الظن

فان الفك للأحباب

حاجب يهتف :

إله الحرب أنطونيوس

إله الحب قد أقبل

هرميون :

يدخل أنطونيوس متللاً —

أنطونيوس : أحبي الجمال أحبي الفتون أحبي القمر

ومن يسرق القمر منه البهاء إذا ما خطر

ومن تشهد الشمس هذا الحيا فقهي البشر

ومن يلثم الورد منه الشفاء ..... فكم يستعر

وهذي الرياض ربا حسنها .. هنا .. وانتشر ..

(١) انظر اعداد المقتطف السالفة ديسمبر ١٩٤٧ ويناير وفبراير ومارس ١٩٤٨

كليوباترا ( وقد تناهكت أيديهما )

أراك أطلت هناك الحديث  
فاذا ترى جد في شأنهم ؟

جليل الأمورا جليل الخطر !  
( بجلان )

أنطونيو

لقد حاط أكتافىوسَ الخَصُومُ فهذا بهم وهذا يثب  
ونازعه البعض عن معتد  
فأصبح كالمهر بين الدئاب  
قليل الغناء سليل الرهب  
وما سيفه بالذي يرهبون  
ولا بأسه بالذي يحسب  
فإن لم أسارع لأعجاده  
موى الصرح . بل صرحنا المرتقب !!

كليوباترا ( نائرة )

تكلم ... أين ... وقل لي صريحاً  
وماقتك تلك الملاعب ضجت  
لقد نلت ما تشتهي فليكن  
أراك جميعاً صدقاً واحداً  
إذا نلت اليوم ما تشتهون  
بلوت بقومك ختل الرجال  
وما أنت غير فتى طاب

لقد ثار فيك لوما التباع  
بحسن يروع وحسن يُباع  
مقامك جراً ليوم الوداع  
رجالاً ... ألا بل قبيل السباع !  
فاذا بهم إذا البؤس شاع  
بقصر ... يومي ... ولوم الطباع

لا قسم بالرب

أنطونيو ( مندفعاً )

كليوباترا ( مقاطعة )

بالغداغ ! ( ثم تنفجر باكياً )

ترفع رأسها وعيناها مبتلتان بالدموع .. تناجي

رب حُملتُ بثقلين  
أما يكفي لي الوادي  
وأكفيل أهله أمناً  
وكم كنت بمحملة  
أضنني بعشرين ؟  
فأرحاه بعينين  
وعدلاً ملء هطين  
سواء ذات بأسين

فكيف اذا قضى قدرٌ بحب جاء كالحسين  
لعرش الحب يُستقلني فويل... تقل عرھين؟

أنطونيو (بحزن بالغ)

ملكك القلب إصغي لي . لكم زفت  
بحق حيك لم أشعر لها المأ  
كم كنت أضحك من جرحي قد انبثقت  
مُري أطعمك ... كمبيد ضمه كرم  
روما وداعاً ... فعرش الحب مملكتي

كليوباترا (بمد لحظة - بتفكير)

وماذا يقولون؟ هل ينصفون؟  
فن قائل... هابت رافه  
فعند المساء حليف المجون  
ومن راح ينهش عرضي غداً  
أنطونيو: فاذا تريدین؟ إني هنا  
اذا شئت أنت فقد أطفئت  
وعاد النظام إلى ربهما

كليوباترا أتخفظ في البعد عهد الغرام؟

أنطونيو —

كما يحفظ الروح سرّاً حواء!

كليوباترا — وان جاءك اللوم من عاذل

أنطونيو —

أُغلق سمعي وأحطيم فاه

بحر الدموع وهمس الشفاء؟

عرتني من العهد. ذكرى صدهاء؟

كليوباترا — وترعى موثيق قد أبرمت

أنطونيو وكيف أخون وذی رجفة

كليوباترا (بارتياح)

وعد بالغمغار رماك الآله (يتماثقان)

جناني استقر ... فللمجد سر



# بَابُ الْأَخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

## مستقبل صناعة التعدين في مصر

والسكاكين والاصبتوس والشبه وطينة  
الديايطومي وحجر الخفاف والرمل الاسود .  
أما الرواسب التي كشفت من هذه المعادن  
ولم تستثمر ولم تعين مواقعها فهي الحديد  
والنحاس الاحمر والرصاص والمارصين  
والنيكل والموليبيدوم والكروميت  
والقصدير والولفرام والجرافيت والباريت  
وعدد من مناجم الذهب القديمة .

والعلمة الرئيسية التي حالت دون استنباط  
هذه المعادن الكثيرة المعروفة هي الافتقار  
إلى الطرق المفضية الى الاماكن الغنية بالمعادن .  
ومن ثم اقتصر في الوقت الحالي على استغلال  
المناجم التي تقع إما بالقرب من شاطئ  
البحر الاحمر أو بالقرب من وادي النيل .

وفي مصر ، عند منطقة القصير ، صحراء  
جبلية مساحتها آلاف من الاميال المربعة  
فيها حجارة نارية متخلقة من أحقاب قدمة  
ومحتوي على راسب معدنية ذات شأن  
اقتصادي . وقد بقيت هذه المنطقة حتى  
الآن على فطرتها ولم ينقب فيها طام ولم تسمح  
مسحاً جغرافياً جيولوجياً لصعوبة السير  
فيها وتعذر الحصول على ماء يشربه المتقربون  
والمهندسون .

ألقى الأستاذ هولان محاضرة في الشهر  
الماضي عنوانها « مستقبل صناعة التعدين  
في مصر » في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية  
في القاهرة وقد رأينا أن نجمل هذه المحاضرة  
لأنها كبيرة الشأن . قال المحاضر :

تفاوتت الآراء في شأن مدى احتواء  
التربة المصرية على المعادن ، فمن قائل إن  
الشيء الوحيد الذي تدره التربة المصرية  
هو الحفريات والهياكل العظمية المتخلقة من  
قدماء المصريين ، ومن قائل إن أرض مصر  
غنية بالمعادن مكتظة بأنواع ممتازة منها .

والرأي عندي أن أرض مصر تفيض  
بالمعادن ، وإذا غرضنا الطرف مما يمكن  
أن تنتجه المناجم المصرية في المستقبل فلا  
يسمن أن نفعل أن أرض مصر تدر اليوم  
بترولاً وفوسفاتٍ وخام المنجنيز والطلق  
والحجر الجيري والجبس وحجر البازلت  
والرخام ورخام المرمر ورمل الزجاج والطين  
والملاح والصودا وسائر أنواع الأملاح .

وقد استثمرت في مصر معادن الذهب  
والرصاص والمارصين والقصدير والولفرام  
والبنطوليت والمغنيزيت والفلورسبار  
والايمينييت والباريت والكبريت والاصماغ

وأضاف الأستاذ هولمان إلى ما تقدم أن على شواطئ البحرين الأحمر والمتوسط رواسب وفيرة من الجبس المتبلور نسبة نقاوته عالية جداً وله في العالم سوق رابحة واستغلال هذا المعدن أمر يسير إذا انشأت العزائم وشُحِر عن السواعد .

أما الملح وأكسيد الحديد والفوسفات فهي منتجات يزيد ما يوجد فيها في البلاد على حاجتها، وإذا استنبطت أمكن إصدارها إلى الخارج والارتفاع بالثمن المكتسب من بيعها في تمويل المشروعات القومية الأخرى . وختم الأستاذ هولمان محاضرتة قائلاً إن من خطئ الرأي الذهاب في موضوع ثروة مصر المعدنية مذهب المترددين المتشاكين الذين يرون أن « الموميا » هي المعدن الوحيد الذي تغله أرض مصر . فالواقع كما سلف تبياناه أن مصر غنية بالمعادن وينتظرها مستقبل مشرق إذا اهتبلت الفرصة وعجلت باستنباط ثروتها الدفينة .

وفي صحراء سيناء مناطق كبيرة غنية بالمواد المعدنية النفيسة ، وعلى هذه المنطقة وعلى سابقتها يعلق العلماء الأمل في إنشاء صناعة معدنية كبيرة في مصر نعم بخيرها الشرق الأوسط بأسره وقد تتجاوزته إلى سواه .

وقال الأستاذ هولمان إن الخطوة الأولى التي يتعين على المسؤولين خطوها تمهيداً لاستغلال هذه الثروة المعدنية الطبيعية هي مد الطرق إلى المناطق المعدنية ووضع غارطات جيولوجية دقيقة لها والشروع بعد ذلك في التنقيب عن المعادن وعن الماء . وفي وسعي القول إن الماء يوجد على الأرجح إذا بحث عنه بكيفية منتظمة والتجارب السابقة تدل على أن هذا أمر ميسور قريب المنال . وعلى الحكومة كذلك أن تدرب طائفة من المهندسين والملاحظين على شؤون التنقيب عن المعادن لتستطيع الاستعانة بهم في استغلال ثروة مصر المعدنية .

### دواء جديد لمعالجة السعال الديكي

عقب تجربته على الحيوانات . ومن أهم مزاياه سهولة إعدادة وعدم قابليته للتلف عند حفظه في المخازن . والمادة التي اكتشف منها هذا الدواء الجديد استخرجت من تربة حديثة بمقاطعة سوراى في إنجلترا .

دريج فلسطين

كشفت في بريطانيا أخيراً دواء جديد لمعالجة السعال الديكي والمعروف أنه حتى الآن لم يظهر علاج فعال لهذا المرض الخبيث الذى طالما سبب عدداً لا يستهان به من الوفيات بين الأطفال .

وجاء هذا الدواء الجديد وقد أطلق عليه اسم « أرومبورين » بنتائج مرضية للغاية



# مكتبة المقتطف

## ١ - حضارات الهند

تأليف غوستاف لوبون - ترجمة الاستاذ عادل زعير - ٧٣٢ صفحة من الحجم الكبير  
مطبعة عيسى البابي الحلبي

لله درّ من قال : الهند من آسيا قلبها النابض . فهي كما تبدو على الخارطة شديدة بالقلب تمرى فيها شرابين الحياة من خلال أنهرها وتبدو تجاوبها في وديانها ووهادها وفجاجها ، وتنبض فيها الحياة في مصانعها وحقولها ، وتنبث منها الفلسفات والديانات فتغزو بقية القارة الآسيوية .

فالهند شعب ، أو إن شئت الصواب خليط من شعوب ، انتظمت به بلاد مترامية الأطراف عرضاً ، شاهقة الجبال علواً ، أسبغت عليها الطبيعة من صورها شتى ، ووهبتها من ضروب الطقس والمناخ ألواناً ، وأجرت فيها من الحيوان المستأنس والوحشي ما لا يكاد يقع في نطاق حصر ، وتماورتها من الحضارات صنوف تباينت مظاهرها وأسهمت في أحداث التاريخ بقسط كبير لمرافقتها ووفرة خيرها وغنى أرضها وخصب تفكير أبنائها .

هذه القارة التي تجمد فيها بيضاً وسوداً ، جبالاتاً بكل هاماتها الثلج ، وبقاعاً يفترسها لظى الحر ، مصانع تدار بالحديث من الآلات ، وحقولاً تروى وتزيع بالفطرة والبداوة .

هذه القارة الفاتنة وجدت في السكائب الفرنسي الكبير الدكتور غوستاف لوبون صديقاً كبيراً وطالماً عدته اليها كنوزها الأدبية والتاريخية ، فعكف على العناية بدرس شؤونها الجغرافية والتاريخية والأدبية والفلسفية والدينية والاثنولوجية والبيولوجية والنباتية والفنية والمعمارية والعلمية والخلقية دراسة محكمة الأركان ، دقيقة الجوانب ، فسيحة المجال ، لا رائد لها إلا الصدق والامالة والاخلاص ، فاستطاع هذا العالم الفذ أن يجمع أطراف موضوعه - طريقها وتالدها - في صغر نفيس جليل سيبقى على الدهر خالداً

ذاكراً للدكتور لوبون فضله الذي أسداه للهند وأثره الذي زيده الأيام قدراً ومقاماً .  
فكتاب « حضارات الهند » كتاب جعل من الموضوعات الجغرافية والتاريخية وما  
يتصل بها ، أدباً صرفاً يخضع لجمال الأسلوب وحسن الرواية وطرافة العرض ، تقرأه على  
ضخامته فلا ترى نفسك إلا وقد غدوت معجباً بالهند وأهلها ، ملئاً بحضاراتها  
وفلسفاتها ، مفتوناً بالدكتور لوبون رجل القلم والعقل والوجدان .

وإذا كننا قد أجزلنا للدكتور لوبون ثناءً موفوراً وأطربنا عملاً جليلاً يصح أن  
ينمت بأنه « كتاب العمر » — وإن كان لوبون أصدر كتباً أخرى يصح أن يخلد كل سفرٍ  
منها ذكرى صاحبه — فإن مثل هذا الثناء وزيداً عليه ينبغي أن يوجه إلى الأديب الكبير  
العلامة الفلسطيني الأستاذ عادل زعير . فقد انبرى هذا الكاتب الممكن لكتاب  
« حضارات الهند » ومضى يترجمه معزلاًً الدنيا وأناسيها ، آسراً نفسه في حجره وحيداً  
واستطاع بعد جهادٍ طويل اشترك فيه الدهن والعينان والأعصاب والحواس بأسرهما ،  
أن ينهي هذا العمل الجبار ، وبذلك شوكته الترجمة ويخضع هذا الكتاب الفرنسي لمرّة  
اللغة العربية ، ويجمع من السفر العربي ندّاً قريبه الفرنسي ، لا يقلّ عنه دقة ولا أمانة  
ولا إخلاصاً ولا روعة عرض ولا بياناً ، فتغنم لغة الضاد بصدوره مصنفٌ فريداً يشهد  
للأستاذ زعير بعبقريته في فنّ الترجمة ويجلد على مراس هذا الفرع المضني من فروع الأدب  
وكلمة حق لا يسعني إلا أن أقولها — غير متأثر بعوامل الصداقة التي تربطني بعادل بك  
زعير — وهي أن الأستاذ الكبير عادل بك أسدى بترجمة هذا السفر وما سبقه من أسفار  
كثائر ، ما أثر لا أنسى للغة الضاد ، فقد غداها مكتبة بتضّتها وقضيضها تمتاز بنفاسها  
ونعمت ذخيرة ذات تفرد ما كان يمكن لفرد أن يأتيها لو لم تجتمع له عوامل التفاني العلمي  
والهواية المفرطة والتضحية غير المحدودة ، والصبر الطويل . وحسبي أن أذكر في هذا  
العدد أن « عناد » الأستاذ زعير — ولا أجد كلمة تعبر عن مقصدي أبانغ من كلمة « عناد » —  
كاد يكلفه حياته مرتين ، فقد تعرض في أثناء نهوضه بترجمة هذا السفر لازمتين في القلب  
في يومين متتاليين لم ينقذه منهما سوى مريحة إلهية ومكرمة من ربّ الكون .

ولا أحسب أن كلمة ثناء مني — مهما سخوت في صوغها — بمقدرة على أن تنفي الأستاذ  
زعير ببعض مما يستأله بحق من تقدير واطراء ، لأن هذا الصرح الشامخ مما ينبغي أن  
يلقى هذا الثناء وهذا التقدير من شعوب وأجيال لا من أفراد وآحاد .

## ٢ - تجديد العربية

بحيث أصبح وافية بمطالب العلوم والفنون

للاستاذ اسماعيل مظهر — ٨٠ صفحة من الحجم المتوسط — مكتبة النهضة للعربية

هذا كتاب في صفحات قليلة ولكنه كتاب خليق بالدرس والإمعان في المراجعة .  
فلاستاذ اسماعيل مظهر يروم أن يذل أمام اللغة العربية كلمات الأتاجم التي يتداولها  
رجال العلم ، حتى يصبح لكل اصطلاح علمي غربي مرادف له في اللغة العربية ، تكتمل له  
صفات : سهوله النطق وأداء المعنى من أيسر طريق وأقربه ، وقلة عدد الأحرف

ويدهو الأستاذ مظهر إلى تغذية اللغة العربية بكل ما من شأنه أن يجعلها وافية  
بمقتضيات العلوم والفنون ، قائلاً بنحت الكلمات إذا كان النحت مفيداً ، وبالتعريب إذا  
تبين أنه أصلم سبيل ، وبالاقتياس ( وهذه كلمة من ابتداعه ) إذا أدّى المرام ، وبالتركيب  
المزجي إذا سلس أمامه الطريق .

وهناك من يعترضون على هذا المنهج الجديد الذي طلع به الأستاذ مظهر في كتابه  
« تجديد العربية » فيذهب بعضهم إلى مجافاة كل ما لم يرد في القواميس والمعجمات ونبد  
كل ما لم تذكره أمهات الكتب العربية القديمة ، ولكن الأستاذ مظهر يرد عليهم بقوله ان  
العرب — حتى أوضاعهم ثقافة وأقربهم إلى الفطرة — ابتدعوا كلمات عربية بالنحت والتعريب ،  
فكيف ينبع لهؤلاء شيئاً ونحرمه على أنفسنا في عصر نعين علينا فيه أن نواجه مطالب  
العلوم والفنون الحديثة ، فاللغة العربية — على حد قوله — ملك للذين ينطقون بها ويؤدون  
بها أغراضهم فلا ينبغي أن نجعل حولها حرمة تمنعها بالجمود والتبلد . اللغة العربية غنية  
بالأصول ، وقد لا تعدلها في اللغات لغة لها مثل اتساعها وشمولها ، فلم نضيق على أنفسنا  
الحناق ونلزم فوقمة الرجعية .

وقد مثل الأستاذ اسماعيل مظهر لكل طريقة جديدة من طرق تغذية الضاد بالكلمات  
العلمية بأمثلة كثيرة حاله التوفيق في جلها . وأعتقد انه إذا فرغ قريباً من اعداد المعجم  
العلمي الذي وقف على وضعه شطراً كبيراً من جهده ووقته وتفكيره ، لكانت هذه الخدمة  
الأدبية العلمية من خير ما يباهي به عرب القرن العشرين .

والواقع أني حصلت من هذا الكتاب الموجز كثيراً مما كنت أفتقر إليه ولست أدري  
لم لا ينتفع الجميع اللغوي بهذه البحوث الجليلة فهي مما يتفق مع رسالته ويتطابق الهدف  
الذي أنشئ لتحقيقه .

## ٣ - الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي

تأليف الدكتور محمد البهي - ٢٩٢ صفحة من الحجم المتوسط - دار احياء الكتب العربية  
جميل أن نرى المكتبة الفلسفية العربية تزداد في كل يوم نمواً وانساعاً، فما فتئ  
المفتقلون بالفلسفة يقدونها في كل يومٍ بزادٍ وفيرٍ ومحصولٍ خصيبٍ .

ومن الذين اشتركوا في النهضة الفلسفية الحديثة الأستاذ الدكتور محمد البهي أستاذ الفلسفة  
في كلية أصول الدين فأصدر كتاباً في جزأين عن « الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي »  
يتضمن تحليلاً وافياً للفلسفة عند المسلمين وتأثرهم بفلسفة الاغريق واتساع أفق تفكيرهم  
لقبول الفلسفة إلى جانب الدين بحيث لا يمين تمارض بين الاثنين، ولا يجب أحدهما الآخر .  
ومزجة هذا الكتاب أنه مدون بقلم أستاذٍ فدير درس الفلسفة في ألمانيا وتضلع من  
فروعها . فأتاحت له معارفه هذه، ومطالعاته لآراء الغربيين الذين كتبوا عن فلاسفة  
المسلمين، أن يحسن الرد على تلك الآراء إذا أنس منها مجافاة للحقيقة أو انحرافاً عن القصد .  
ولست أكنم عن الدكتور البهي أنني كنت أتعثر كثيراً في تلاوة كتابه هذا وما أذري  
أرجع هذا إلى قصور في ثقافتني الفلسفية - وهي لا ريب قاصرة - أم إلى إيهام في بعض فصول  
الكتاب مع جزالة ما استخدم فيه من كلمات . وللتمثيل أمرد الفقرة التالية من الكتاب :  
« ووجود العالم، إذا كان أصله الامكان، وكان هذا الوجود طارئاً عليه وليس ذاتياً له،  
معناه إذن تحقيق « ماهياته » (أنوائه) وصيرورتها « هويات » بفعل ما وجوده على  
سبيل الحقيقة من ذاته، وهو واجب الوجود » (١)

فهذه العبارة - ولها شبيهات كثيرة - مؤلفة من كلمات سهلة يسيرة مفهومة . ولكن تركيبها  
معاً - بحسب ظني - فيه اضطراب يجعل المعنى ينهم على القارئ ويضيع بين أطواء الأسطر .  
والدكتور البهي يعالج في صفه هذا موضوعاً خاصاً، لا عاماً، وهو « الجانب الإلهي  
من التفكير الإسلامي » ولكنه مع ذلك وجد متمتع بالبحث أمامه فسيحاً يستوعب مجلدين  
من كتاب صفحاته تزيد على ست مئة ويمد قراءه بأن يتخفهم بمجلد ثالث يتناول موقف  
رجال التصوف ورجال الاعتزال والأشعرية من علماء الكلام .

وفي الختام يخلق بنا أن نعرب عن اغتباطنا لتقدم نهضة الفلسفة في مصر تقدماً يهجع  
أمانال الدكتور البهي على التوفر على درسها والتأليف فيها، ولن يمضي بأذن الله وقت طويل  
حتى يكون في مصر فلاسفة معاصرون ذوو مذاهب فكرية جديدة تتردد أصدائها في  
الغرب والشرق ويتجاوب ترجيعها في ربوع العالم .  
وربيع فلسطين

## فهرس الجزء الرابع

من المجلد الثاني عشر بحد المئة

- ٢٤١ التكاثل الاشرافي - نظرية ما في النظام الاجتماعي : اسماعيل مظهر
- ٢٤٥ تجارب (قصة) : محمد عبد الحليم عبد الله
- ٢٤٩ نظرات في النفس والحياة : ع . ش
- ٢٥٧ تلازم القلب والعقل : من كتاب « هذه هي الاغلال » لعبد الله علي القصيمي
- ٢٥٨ سياسة الارشاد الاجتماعي : جمال الدين حمدي
- ٢٦٢ عقار يشفي الطاعون منذ ٣٠٠ سنة
- ٢٦٣ في التربية - الدوافع الفطرية الخاصة : محمود حامد شوكت
- ٢٦٨ في اطلاق ستي (قصيدة) : أحمد زكي أبو شادي
- ٢٦٩ خصائص الفن الاسلامي : محمد رجب البيلي
- ٢٧٤ أنطون الجليل : محمد عبد الغني حسن
- ٢٨١ حافظ وشوقي : حسن كامل الصيرفي
- ٢٩١ فلي يناديك ( قصيدة ) : مفيد الشوباشي
- ٢٩٢ جنابة الآباء (قصة) : جورج نيقولاوس
- ٣٠٢ طفلها (قصيدة) : زار قباني
- ٣٠٣ الكساحه - أسبابها أعراضها - علاجها : الدكتور عبده رزق
- ٣١١ مشهد من مسرحية كليوبترا : محمد فهمي
- ٣١٤ باب الاخبار الملية ٥ مستقبل صناعة التمدين في مصر - أدواء جديد لمعالجة الدعال الديكي : وديع فلسطين
- ٣١٦ مكتبة المنتطف ٥ حضارات الهند (٢) تجديد التربية (٣) الجانب الالهي من التفكير الاسلامي : وديع فلسطين

٣ - لحن المقتطف

١٠٩ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث : بقلم مصطفي عبد الطيف السحرتي

# المقطف

الجزء الخامس من المجلد الثاني عشر بعد المئة

٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٦٧

١ مايو سنة ١٩٤٨

## التكافل الاشتراكي

نظرية مآ في النظام الاجتماعي

البحث الأول في تحليل النظرية

٥ - المساواة : الممكن منها والمستحيل (١)

المساواة كلمة من تلكم الكلمات التي انتزعت من طلمها الاصلي ، أو كما يقول فقهاء اللغة من معناها الحقيقي ، لتطبق مجازاً في عالم الاجتماع . أما طلمها الاصلي فهو الدلالة على معانٍ طبيعية جامدة كقولاك : إضافة غير المتساويين الى متساويين ، ينتج غير متساويين . أما العالم الدخيل الذي استعملت فيه هذه الحكمة فقد أخرجها من هذا الضبط الجامد ، وأضفى عليها معنى مجرّداً ، فدخلتها المرونة والليونة وكل ما يصاحب المجردات من تفاعيل العقل وما يؤثر فيه من عوامل الحاجات الانسانية ، واطمأ النفس البشرية .

عندما استخدمت كلمة « المساواة » في المعنى المجرد ، أريد بذلك أن يتخذ منها قوة للتعبير عن نظرية اجتماعية تدعو الى المساواة بين الافراد ، ومن ثم الى المساواة بين الجماعات وكان السبب في هذا ظن بعض الباحثين من أهل النظر ، أن تطبيق هذا المعنى على المجتمع تطبيقاً عملياً جامداً ممكن في عالم الاجتماع امكانه في عالم الطبيعة ، وأن المساواة بين الافراد ينتج المساواة بين الجماعات المختلفة ، وإنه كذلك ينتج المساواة بين الطبقات المنفردة في

(١) نسر من هذا البحث أربع مقالات في ديسمبر : ١٩٤٧ ويناير وفبراير وابريل : ١٩٤٨



جمعية بعينها ، حدساً منهم أن القول بأن إضافة المتساويين إلى متساويين ينتج متساويين ، حقيقة يمكن أن يكون لها في الاجتماع مثل أثرها في عالم الرياضة مثلاً .

غير أن "عالم الخلق" ، أو عالم الحياة ، لم يضع في معجم ألفاظه معنى المساواة . فليس في جميع عالم الحياة فردين أو هجرتين أو زهرتين أو ورقتين ، قد كملت بينهما المساواة حتى أنك لا تجد في تفاصيلهما فروقاً أو تباينات . ذلك بأن الطبيعة تسرف في الانتاج ، انتاج الأحياء ، كما تسرف في التنويع ، تنويع التركيب والمظهر ، ولكنها إلى جانب هذا تضن بالابتكار ، ابتكار النماذج العالية ، نماذج الجمال والعبقرية . فإذا شبهت عالم الحياة بسهل منبسّط فسيبغ كثر فيه الأخاديد كما كثر فيه التلال والمرتفعات ، فإنك تقع فيه أحياناً على قنسن بارزة سامقة أشرفت بهامة الجبار على تلك الأقزام التي تترامى عند سفوحها . غير أن الطبيعة مع هذا قد أسرفت أيضاً في تنويع الطابع الذي تتصف به تلك القنن التي تشرف بقامتها الفاتحة على ما يترامى عند قدميها من تلك المخلوقات ، فجعلت منها عنصرين مختلفين ، عنصر للهدم وعنصر للبناء ، عنصر للتشديد ، وعنصر للتقويض ، طوعاً لذلك المبدأ الثابت في تضاعيف الطبيعة ، مبدأ أن البناء يحتاج للهدم ، وأن التشديد يحتاج للتقويض شأن الطعام إذا دخل الجسم فإنه لا يتمثل ويصير عنصر بناء إلا بعد أن يهدم هدماً كاملاً ويستحيل عناصر تمتص ثم تتمثل فتبني أجزاء الجسم المتباينة بأن تهير من فطرتها .

\* \* \*

يتضح من ذلك بكل جلاء أن كلمة المساواة لم يحدّد معناها في الناحية المجردة من الفكر . وإن تحدّدها الكامل إنما يطلب في الناحية الجامدة . ولكن هات ظروف المجتمع الانساني أن يضطر المفكرون فيه إلى البحث عن لفظ يعبرون به عن معنى النظام الذي يتخللون أنه أساس الإصلاح الاجتماعي ، فقالوا « بالمساواة » ، لأنها تعبّر عن معنى عملي يمكن تطبيقه ، بل لأنها تقابل في ذهن معنى المفاضلة ، وهي المبدأ الذي قام عليه نظام الجماعات الذي خرج به الانسان من بُدائياته على أن « المفاضلة » هي في الواقع النظام الذي لم يكن منه بُدء ، إذ أنه نشأ نشأة طبيعية خضعت لأوجه التفضيل التي هي فطرية في الأحياء ، أفراد وجماعات ، إذ كان الانسان عاجراً عقلاً وفكراً عن أن يحتكم في بيئته . فلما استقوى الانسان وأصبح عنصراً مؤثراً في البيئة الطبيعية وفي النظام الاجتماعية ، وأصبح نظام

المفاضلة الذي درج عليه الانسان منذ ان أصبح له مجتمع ، لا يتلاءم وحاجات الجمعية بمقتضى تغير الأحوال وتأثير الانسان في بيئته ، فلنَّ خطأ أن القول « بالمساواة » هو الدواء الذي يعالج به فساد الجمعية والذي يبرئها من مرض النظام التفاضلي في الاجتماع . ولكن هذه لم تكن غير طرفة ذهنية متعذرة التطبيق ، كما أصبح التفاضل الاجتماعي مبدءاً لا تطبقه الجماعات بحكم تطورها بعيد المدى ، وبحكم ما استطاع الانسان ان يغيّر من بيئته تغييراً جعل التفاضل من حيث مناقضته لحياة الجمعية ، كالمساواة من حيث أنها مستحيلة طبعاً وعقلاً وتطبيقاً من هذا نستبين أن الانسان قد خضع في تطوره الاجتماعي لثلاثة صور : أولها الصورة التفاضلية : وهي صورة من الصُّور اللَّابُدِّيَّة ، لأنها نشأت مطاوعة لطبيعة الانسان ولاحكام الطبيعة قبل ان يصبح الانسان بارتقائه العقلي والفكري عنصراً مؤثراً فيها . وثانيها صورة المساواة : وهي صورة خيالية نزع الانسان نحوها بحكم أن تطوره قد بلغ الحد الذي انقلبت عنده الصورة التفاضلية في الاجتماع عنصراً للهدم لا عنصراً للبناء ، أي أنها أصبحت مناقضة لحاجاته . وعلى هذه الصورة الخيالية قامت مذاهب اصلاحية كثيرة صلت على تحقيق ذلك الخيال ، خيال المساواة ، فكانت الاشتراكية والشيوعية والسوفيتية والنازية والفاشية ، إلى غير ذلك من الصور ، وهي عندي مذاهب طور الانتقال من النظام التفاضلي إلى النظام التكافلي . أما ثالثها فالصورة التكافلية التي نضع فيها هذه النظرية . وهي في الواقع الخطوة ، الفردية أو كما قلت هي الصورة اللَّابُدِّيَّة التالية بعد الصورة الانتقالية التي اتخذت المساواة أساساً لها . لم تكن النظم التي قالت بالمساواة إذن صورة ثابتة من صور التطور الاجتماعي ، وإن كان من الطبيعي أن يلجأ الفكر البشري إزاء ما بدا في النظام التفاضلي القديم من مظاهر التصدع ، إلى نظرية أخرى في بناء المجتمع تقوم عليها نظاماته ومعاييده . غير إنها لم تكن غير صورة انتقالية . وبقتضي هذا الوضع ان تكون في الصور التي نشأت عن فكرة المساواة صوراً انتقالية أيضاً . وفي هذا كل السر في ذلك القلق الذي يصيب الجماعات في هذا العصر . فإنه أشبه بالخاض الذي يتقدم ولادة الجنين ، له آلامه وله اضطراباته ، وله مساوئه ومضاعفاته . ولكن كل ذلك ضروري ولا بُدَّيْ ، ليخرج الجنين إلى عالم الوجود .

اسماعيل منظر

## الاجنبية المجهولة

من أين... من أين أنت يا أفق الناس نظره ١؟  
في أي صقع نبت؟ فأنت أندر زهره

أي الغيوم سقاك \* \* \* بقطره العلوي  
وأي ترب غذاك \* \* \* بتره السحري ١؟

حاشاك لست بحال \* \* \* كأي فردر جميل  
ففيك فوق الجبال \* \* \* غرابة المجهول

أشعلت حجر حنفي \* \* \* إلى الخفي الغريب  
فأشرقت في عيوني آفاق كوني عجيب

أقد مرى بي هناك \* \* \* إلى جنان نصيره  
ولاح لي مغناك \* \* \* في بقعة مسحوره

حوّمت فوق رباه \* \* \* وهمت بين الوهاد  
فلم يزل بي شذاها \* \* \* حتى أضلت رشادي

أواه سوف أعود \* \* \* إلى الذي كنت فيه  
فيحتويني ركود \* \* \* ما إن له من شبه

خفيما تفريينا \* \* \* أفيق من نشواتي  
أهوى شقيًا حزينًا \* \* \* إلى حضيض مواتي

مفبر السوباشي

## مشهد من مسرحية كليو بتر للشاعر محمد فراهي

يرفع الستار عن هيكل من الهياكل المصرية على الطراز الفرعوني... الوقت ساعة الفسق  
وبده طلوع الليل... تسمع من الداخل موسيقى الارغن والقيثار تنزف عن فائنا مخدراً يخلج  
الابواب ويثبت في أعماق النفس أمواجاً من المشاعر المبهمة... بعد لحظة يشاهد شاب يقطع  
المدخل في خطى عذبة . في ملابس تدل على عرافته وقبلة... عند ما يص البهو يسرع إليه  
كاهن غش الاماب

الكاهن الصغير : مولاي ... خذن المعبد ١٢  
الشاب في ( لهفة ) :  
أدع أبي ... أدع أبي ... ١  
الكاهن : ( يسرع ويسمع صوته من الداخل )  
أبي ... إلى مستنجد إلى الأمير الطيب  
الشاب ( وحيداً يحدث نفسه )

كفى خدعاً وتضليلاً      تراني صرت مخبولا ١٢  
بأوهام      ووعده بات مطولا  
وكم سلت لظى غضي      لتسكب نسم معسولا  
فأفتات الهوى وهماً      ويُعطي... ( يضط على أسنانه غيظاً )  
الكاهن الاكبر :      جئت ١  
الشاب ( بألم ) :      مقتولا ... ١١

ألا بل لن أرى غراً      فاني اليوم حررتُ  
سنا الحرة الوضاء      بعد الشك قد شئتُ  
وها أنذا بقميد الحب      قيد اللد قد ثرتُ

أحطّم في الهوى قيدي      فيغري بالهوى المقت  
أضحى اليوم من غضي      وأفنك أيّما شئت  
أأقتله... أأقتلها...؟      إلهسي... إنني حرت...  
الكاهن: رويدك يا بنيّ حذار تُلقي      قيادك للأعرام الجائخ  
ان الصواب إذا عدك تخبطت      مصرّ بفعلك في ظلام كالح  
لست الذي انزل تُرقاً زلّة      أنت الذي انزل غيث فوادح  
الشاب: أبي... يُرضيك إن أحيا      طريد الهم والعار  
تطالعي عيون الناس      بالمشفق والزارى  
إذا سلّ اللظى سيني      يفلّ الحب بشاري...  
الكاهن: تعال معي إلى الهيكل      إلى قدس الشفاعات  
ومن آمون فاستنزل      بمشوب الضراعات  
سكينة قلبك المتقلّ      ورياق الجراحات...

( يدخلان الهيكل ونسج موسيقى ارغن وعزف قيثارة ثم كورس يردد آمون .. آمون )

( الشاب يركع أمام الهيكل والكاهن يباركه )

الكاهن: آمون رحماك فاسكب      سكينة العباد  
هذا فتاك المحب      هذا الرفيع العباد  
الكورس (يردد مع الارغن) آمون .. آمون...

الامير: آمون رحماك رفقا      اني غدوت شقيا  
السهد بات وسادي      والغيط... أنهل... ريثا  
والقلب نهب شجون      قد مزلت جنبيا...  
آمون مرّ وجودي      هلاّ نظرت إلينا...  
الكاهن يردد: آمون رحماك فاسكب      سكينة العباد

هذا فتاك المحب هذا الربيع العماد

الكورس ( يردد مع الارغن ) آمون .. آمون ...

( كليوباترا تبدو مقبلة مع وصيفتها وعليها - بياض المم والحزن )

الوصيفة : ثقي واستبشري خيراً بتصريف المقادير

الملكة : يحيرني ويزعجني نهاران وها ... ليل

فلا رسلي توافيني ولا وافتي له رسل

وان تراوح الانباء إن عزّ اللقاء وصل ..

( الكاهن الصغير يقابلها في بهو المبد فيفتض سروراً )

الكاهن الصغير : إزييس ... يا مليكتي ؟ تباركت إزييس

( الملكة يلو نثرها ابتسامة خفيفة ثم يقود الملكة الى حجرة الكاهن الاكبر .. حيث تجلس على أريكة )

كليوباترا (متسائلة) أبي ؟ أبي . أين أبي ؟

الكاهن الصغير : مع الركوع السجّد

( تسمع الترانيل )

الملكة : قد هام في صلاته ؟

الكاهن الصغير : في نشوة التهجد ( يخرج )

الملكة تناجي : ربّ جئت اليوم مضنّة

روعت قلبي شجون

الحبيب الراسخ الودّ

في سبيل الحب والعلماء

ترك العمر فراغاً

أي شيء يا إلهي

أم كذب شاب بالسم

( بعد فترة تنقطع انغام الترانيل ويدخل الكاهن الاكبر )

الكامن الأكبر : أهلاً بنسل المالكين أهلاً بشمس الفلك  
أهلاً بنور الحائرين أهلاً ببندر الحلك

( كليوباترا تنهض وتساخه في ختوع فتقول )

ازدهى المعبد بالحسن السنيّ      يترأى في جلال علويّ  
ألقى من عرش إيزيس تجلّي      قدسباً في حمانا القدسي  
كليوباترا : يا أبي . قد قاذني الآن حنين      لحي الأرباب طاغٍ كالآني  
علني أحظى بسامي تفحة      تبهج النفس ربّها البهي

( يبدو الأمير عند المدخل فتواصل الملكة كأنها لم تره )

كم رغب رهقات لحن لي      فأوقاها برشد أو بنيّ  
من لي اليوم بقلب حاذري      طاهر الود من الروح النقي  
لا يروم الود إلا خالصاً      ثابت العهد .. وإن جرت صني ؟  
الأمير لنفسه اعتذار أم نداء أم رضى ؟      ويح لي من سحرها عزمي إليّ  
( متقدماً نحوها مستجماً شجاعته )

أنت لا ترضين إلا صحبة      ودّهم مين وبالبيلات جاءوا  
كلهم ذئب أتى مستأسداً      عضه الجوع .. له من مصر شاه  
من بني روما اللثام طغمة      تنضج الشر .. خسار جبناء  
فلهم في مصر مغدّى وهوى      ومراح ... في حمانا حيث شاءوا  
فالأم ترضيهم بيننا      أترى العزم قلانا والمضاء ؟  
ما دهانا ؟ .. هل عرتنا خيلة      يزعم الأعداء أنا حلفاء  
وإذا الميّن ارضته أمة      فعلى إصباحها دان المساء  
قد آمنا واستطبنا ودّم      إسخري .. ولتسحقينا باممنا  
لا .. وآمون الذي نعوا له      لن نسام الذل . أوحق اتقاء ..

## نظرات في النفس والحياة

- ٧ -

خاتمة نظرات أناطول فرانس

(١) ذهبت إلى أمي وأنا طفلٌ صغير وقلت لها : إن طاهق خادمتنا جوستين قد هجرها . فنظرت إلي وقالت : هل هي التي أخبرتك بذلك ؟ قلت لا ولكني لاحظت وعرفت . قالت : إن من التطفل المعيب أن تتحدث ممهاً قد نلاحظ من أمور الناس . وأشد منه عيباً أن نحاول معرفة ما ليس من شأننا من أمورهم ، أو أن ندَّعي تلك المعرفة .

(٢) ورأيت قصة تُمثِّل في دار التمثيل وكان أحد الممثلين يمثِّل الشيطان وكان من حوادث القصة أن يقتل بطلها الشيطان ، هذا رأيت الشيطان مقتولاً أعتراني الوجوم والذهول وظللت في مكاني بصد انصراف التَّظَاهِر المشاهدين حتى جاءت سوزان تبعت عني فقالت ما لي أراك واهماً حائراً ؟ قلت لقد قُتل الشيطان يا سوزان وإذا قُتِل الشيطان زالت الشرور وإذا زالت الشرور زالت الفضائل التي في كاخة الشرور وبها تُعرَف ، فإذا يكون مصير الناس طاعة والفضلاء خاصة يا سوزان ؟ فضحكت سوزان وطوّفتني بذراعها وقالت لا تفارق فذكرك ولا تزعم نفسك بأنَّ الذي رأيته تمثيل لا حقيقة فلا قُتل الشيطان ولا زالت الشرور ولا انمحت الفضائل التي في محاربة الشرور وبها تُعرَف . وهذا يذكرنا الذين يخفون إذا أمن الإنسان الفقر والجوع والعري والمرض أن تضعف غرائز المقاومة فيه وعزائمه التي بها ارتقى بسبب السكدي بأمن الجوع والعري وبسبب إهمال فكره لتجنب الفقر والمرض ، فيضعف عقله أيضاً ولمثل هؤلاء يقال لا تجرعوا ولا تزعموا أنفسكم ولا تفلتوا بالكم ، فلا زال الفقر ولا المرض أعشى ، ولا قُضي على الجهل .

(٣) كان اعتمادي في الهروب من المدرسة وأنا صغير على القوضى التي تخالط نظام الحياة معها كان النظام سائداً . وهذه القوضى الخالطة للنظام قد تلطف من ظلم الحياة وشدة العدل



— أو قد يزيد ظلمها — والإحساس بهذا الاختلال الملازم للنظام ، قلما يكون إذا كان المرء راضياً عن الحياة . والاطمئنان إليه كما فعل أناطول الصغير لذة وصعادة تحجب عنه الخوف من عواقبه إذا أنه يرى أنه قد يُلَطَّف شدة الحياة . وهذه الفوضى الملازمة للنظام تكثر في أعقاب دول الأمم التي قاست عسوراً طويلة من الاختلال أو في أوقات الانقلاب .

(٤) ينبغي للإنسان إذا اعتنق رأياً أن يتقبل نتائجها وعواقبها القهريّة وإلاّ كانت مقدّمات أفكاره تخالف أعقابها واختلّ منطقها وحاول التوفيق بين المتناقضين وقد يخذع نفسه ويخدع الناس وهو لا يشعر بهذا الخداع وهذه الفكرة تذكرني أني قرأت مقالين للاستاذ جوليان هوكسلي في أولها يأسف إذ أن شركات الاحتكار وكبار الماليين تتخذ من نتاج العلوم في الطب والهندسة وغيرها وسيلة للكسب بدلاً من أن ينتفع به الشعب كله الأ في حالات الأوبئة التي يخشى منها كبار رجال المال على أنفسهم والآ في مجهود الجمعيات الخيرية الضئيل ولكنه لم يفهم كيف يستطاع منع احتكار نتاج العلوم للكسب تفسيراً مفصلاً مقنعاً الا بقوله تدفع اللجنة علمية مشرفة . وفي المقال الثاني يقول ان الحروب لا تزول الا إذا كانت هناك تربية دولية تحاول أن تقضي على غرائز الكره والانتقام والحسد والافتتال وغيرها ، ولكنه لم يفهم تفسيراً علمياً مقنعاً كيف يقضي على هذه الغرائز ونظام المنافسة يحجبها ويزيدها تمكيناً كلما حاول المعلم محوها بالوعظ ، هل صحيح ما قال نيتشه الفيلسوف الألماني إن الانجليز يحجمون عن تتبع أفكارهم الى نتائجها القهريّة أم أن هذه صفة أكثر المفكرين من كل أمة إذا غلب عليهم الفكر وخشوا من غلبته أن تزوع نبات حياتهم .

(٥) في بعض الاحايين يتخذ المرء لنفسه عونا على المصائب بأن يزل معها أو يداعبها على سبيل الفكاهة والترويح عن النفس ، كما كان يصنع المسجونون في سجون الثورة الفرنسية الكبرى وهم على وشك أن يدمموا فكانوا في سجونهم يحاكون المحكمة الزورية على طريق الفكاهة والسخر فيحاكون انساناً ويدّعون إعدامه ثم ينتقلون به الى الحياة الأخرى فيحاكونه فيها والانسان اذا لم يستطع إلاّ مواجهة الامر الخيف أحسّ ايماء بالاقبال عليه ، كالفنائه التي تركتها قريناتها في حجرة مغلقة مع جثة على سبيل المرح فليجّ بها الذعر وأحسّت هذا اليماء حتى احتضنت الجثة وهي لا نعي فلما عادت قريناتها وجدتها جثة لا حراك

بها معاقبة للجثة . ومن المستطاع أن يفسر عمل المسجونين بأنه كان من محاكاة ميل النبلاء الذين كانوا قبل النورة يتخذون من كل أمر جلّ أو حقر مادة للهو ، وشاعت هذه العادة حتى ان الملكة ماري الطوانيت أحبت أن تعيش في أكواخ يخيل لارائي انها مهدمة كأكواخ الفقراء وإنما كان مظهر تدهنها زينة وتصنعاً بالنفن فأتخذت من الفقر مادة للهو . وقصتها تذكرنا قصة محبوبة ابن عباد ملك الاندلس أو إشبيلية فانها رغبت في مثل هذه الرغبة لأنها اعتافت حياتها الماضية فبنى لها ابن عباد كوخاً اذا رأيته حسبت أن أرضه من الطين كأرض أكواخ الفقراء وإنما كانت أرضه من العنبر الغالي وأمثال هذا اللهو بكل شيء تكثر مؤذنة باضمحلال الدول . على أن هو المسجونين في سجون النورة كان دليلاً على الشجاعة أو لاستنارة الشجاعة في نفوسهم وقهر الخوف .

(٦) القبط الأليف من فصيلة الأسد المتوحش وكذلك الانسان المهذب الخبير من فصيلة الشرير الأثيم . والوديع المسلم المتحضر من فصيلة الممجي الساطي ، ولكننا نندى ذلك حتى تبدر بإدرات الغرائز الكامنة ، والرجل الواحد قد يكون في معاشرة إنسان مهذباً كاملاً خبيراً وفي اتصاله بإنسان آخر شريراً دنيئاً خبيثاً . وفي الثورات والحروب ينضو المسلم المتحضر الوديع لباس الحضارة والوداعة والمسالمة وقد يبد المسمين بالمتوحشين في قسوتهم وهمجيتهم . ولكن القسوة والهمجية قد تكونان ظاهرتان حتى في أثناء السلم في حياة الرجل المتحضر الذي يألوه أصدقاؤه وكأئهم لا يرون شره وخبت طبعه

(٧) بعض الكتّاب اذا كتبوا للأطفال كتباً اقتصروا فيها على لغو القول مدّعين فيها أنهم أسفّوا وهبطوا الى مستوى عقول الاطفال فتكون نتيجة ذلك أن الاطفال ولا سيما الاذكيا يضحكون منهم ويهزءون بهم ولا أعني أنه ينبغي التفكير النظري فهذا لا استسيغه عقول الاطفال ، ولكن الاطفال يعجبون بكتب الخيال مما ألفه العبقريون مثل كتاب روبنسون كروزو وأجزاء من الاوديسية ونستطيع أن نقول أيضاً كتاب ألف ليلة للمهذب المنقح وأجزاء من كتاب أسفار جاليفار ودون كيشوت وأمرة روبنسون البويسرية وأمثالها - وكتاب أليس في أرض العجائب يقبله الكبار كما يقبله الصغار بالرغم من سخف العبقرية فيه لأنه كأنه يعطي العقل إجازة مسلّية . وأما محاولة تلقين الاطفال

النظريات العلمية في كتب يحسب الكاتب انها تفهمها عقولهم فهي محاولة لا يقبلونها ولا يجدون فيها مسرةً. إذ هي للتلاميذ الكبار لا للصغار منهم

(٨) لا شيء أكثر خداعاً للمرء من فطنة الحواس — لأنها إما نافعة وإما ينتفع بها المرء كي يخفي عن نفسه ما يريد اخفاءه لمصلحة عاجلة أو ميل نفسي — ولو انضحت الأخطاء أنها أخطاء ما خدع بها أحد ولكن فطنة الحواس هي التي تكسوها ثوب الصواب والحقيقة فيتحامق الناس في نصرتها والافتتال عليها.

(٩) بالرغم من أني رجل مسالم أحب السكينة والنظام ، فإنني أحب أن يكون في نفس كل إنسان شيء ولو قليل من التمرد مهما كان سن ذلك الانسان . أما الاستسلام التام للحياة فهو ركود وفناء

(١٠) لو استطاع الانسان أن يدرس نفسه دراسة تامة وأن يعرفها حق المعرفة لسببت له تنغيصاً وشكاً وبأساً . ومن أجل ذلك أرى أن رسائل مونتاني الذي كان يدرس فيها نفسه لم تكن إلا لهواً يتسلل به كي يذسى آلام وجع الكلى الذي انتابه ونقصه — ولكن اناتول نسي ما قال مونتاني وهو إنه كان يدرس في نفسه نفوس الناس ولا سيما من حوله ومن كان يقابلهم وفي مثل هذه الدراسة تمزية لا تنغيصاً ما دام يرى غيره شريكاً له في صفات نفسه بل ربما كان فيها إكباراً لنفسه .

(١١) مهما قسمنا العمل قسمة عادلة بين الناس فانه سيبطل عبثاً ثقبلاً على أكثر الرجال والنساء لأنه عبء الحياة وهذا لا يمنع من إصاف المنفل بأعباء الحياة والترويع عنه .

(١٢) إنه ليؤلم الانسان إذا كادت حياته تنحصر أن يفكر في أن العالم بعد موته يعيش ويمتل ويحس ويفكر كأن حياته لم تكن ، وعندئذ لا يكون له رأي أو عمل أو إحساس فيها ولا يحاول تنظيمها كما يشاء فيحس كأنه فارق في مدد الحوادث وتيار الزمن . وقد عزاه شوبنهاور بأنه ما هو إلا مظهر من مظاهر إرادة الحياة وإنه لاحياة له من غيرها ، أي عزاه في كتبه وهي تمزية لا تُعزى .

(١٣) كما أن الطبيعة تُحوّل الانسان وتُشكّله وتغيّره وتتحكم فيه . فالانسان كذلك يغير الطبيعة ويشكّلها ويحوّلها وهذا موضوع كبير يرجع إليه في كتب فون راتزل

ومس محيل وغير جريئز وغيرهم . وقد أراد أوسكار وايلد أن يضع هذه الحقيقة في أسلوب فكاهي فقال ان الطبيعة تحتذي ألوان الرسامين المصورين الحديثين في ألوان الضباب الذي يحدث في لندن . وإنا ما كنا نرى للضباب مثل هذه الألوان قبل اعتناء الطبيعة ألوان الرسامين الحديثين . وما هو أبلغ في الفكاهة أن ما كس نوردوا الناقد الألماني الشهير أخذ هذا القول مأخذ الجد فقال إن هذا الرأي يدل على سخافة عقل أوسكار وايلد وانحطاطه وقوله هذا في كتابه المسمى ( الانحطاط ) . ولكن ما كس نوردوا معذور إذ أن بعض الكتاب لا تكاد يستطيع أن تميز فكاهته من جدّه .

( ١٤ ) حقاً ان للعقل أثراً في الجسم كما ان للجسم أثراً في العقل ( وهذا شيء يعرفه الأطباء حق المعرفة وهو موضوع كبير أيضاً ) وقد كان بيير الصغير يدمن النظر في صور المزارع فتماوده ذكرى الأيام التي قضاها في المزارع وعاد بعدها نضير الوجه بفنّ الجسم ظاهر الصحة يقبل على طعامه وينضّر وجهه ويعاوده مظهر الصحة إذا أدمن النظر في صورها وتأمّلها تأمل المستملي محاسنها فكأنه طائد من نزهة ريفية .

( ١٥ ) إن شغفي بقراءة الكتب من صغيري جعلني أحس من عهد ذلك الصغر بفناء العالم إذ كـم من فكرة جاءت ثم زالت وكـم من رأي ولد كي يموت وكـم من نظرية استحدثت كي تنمحى كما تنمحى الفقاقيع وكـم من مذهب ساد ثم باد وبعد ان كان مقبولاً صار مرفوضاً، فصرت أحس برحلة عقل الانسان في فياقي الزمن .

( ١٦ ) كان لي كلب كنت أتأمله وهو نائم فأراه كأنه يحلم وتارة يثّ كما يثّ المتوجع المهموم وتارة يبسم أو كأنه يضحك وتارة يبكي فكأن له نفساً يقظى ووعياً باطناً كما للانسان — وهذا يذكرني تورجنيف القصصي الروسي في قصصه القصيرة التي تشبه الشعر المنشور، إذ كان يدمن النظر في عيني كلبه فيرى فيها عواطف الانسانية جميعها فناداه بالاخوة وهي على الأقل أخوة في الحياة .

( ١٧ ) قال لي أنطون فورنييه الرحالة متفكهاً احذر أن تكسر البيضة من الجانب المصحّد الأصفر ، إكسرهما دائماً من الجانب المنبجج الكبير لأن قومنا يكسرونها من ذلك الجانب . وقد طُفئتُ العالم فوجدت ان الناس المعروفين بالخير هم الذين يصنعون كما

يصنع غيرهم حتى في الأمور الصغيرة التافهة ، وإذا خشيت أن تنسى نصيحتي فعليك بالعزلة . اعتزل الناس كي لا يروا سهوك وكمر ك البيضة من الجانب الصغير . وقد احتذى أنا تول في هذه الفكاهة سخر يونوثان سويفت الكاتب الإنجليزي في كتاب أسفار جاليفار فإنه أيضاً تحسّل في دولة الأفوام ليليبوت حزب جانب البيضة المنمّعج وحزب جانب البيضة الموحّدب وأقام بينهما حروباً ومؤامرات وعداوات . والموعظة في هذه الفكاهة هي أن الناس كثيراً ما يتعادون ويتقاتلون لأسباب تافهة .

( ١٨ ) تذكر أنك لا تستطيع أن تهب أحداً السعادة ، بأن تقهره على أن يرى السعادة فيما تراه أنت سعادة . فكل إنسان رأي في السعادة وكان يستطيع أن يقول أيضاً إن هذا الرأي كثير ما يتغير فتارة يرى الإنسان السعادة في شيء وتارة في ضده . وفي بعض الأحيان يرى السعادة فيما فيه شقاؤه وهو لا يدري .

( ١٩ ) لا بدّ لكل جيل أن يختبر تجارب الحياة بنفسه لأن الحياة كأنها تنشأ من جديد بنشأة كل جيل إذ أن التجارب لا تعلم وإنما يكسبها الإنسان بمزاولة الحياة وقد لا ينفع بها بالرغم من ذلك ، ولعلّ ضرورة اختبار تجارب الحياة في نشأة كل جيل من أسباب قلة تغيرها أو تغيرها ببطء

( ٢٠ ) بعض الناس إذا أصابه أمرٌ محزون ونفّس عن نفسه بمظاهر الحزن احتقر نفسه من الكبر ولو تذكر أنه ليس أعظم من الأمر الذي أحزنه لما زاد على نفسه المصائب بهذا الكبر ، لأنّ احتقاره لنفسه بسبب حزنه أو الخالط لحزنه يزيد المصيبة أو الأمر الذي حزن من أجله .

( ٢١ ) بعض حقائق الحياة قد تكون غريبة على قريها وألفتنا لها حتى إنها لغرابتها قد نعدها فكاهة لا حقيقة — وهذا يذكرني قصة من قصص ممرست موام اشتهرت فيها امرأة بنقطة الفكاهة وذكاها وما كان ذلك إلا لأنها كانت ساذجة فكانت لا تستطيع لساذجتها أن تتجنب ذكر الحقائق المألوفة التي يحاول الناس نسيانها ويتحرجون من ذكرها ( ٢٢ ) المال له دولة عالمية حقيقية كبيرة قوية كدولة البابوية والكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى وهي دولة مستقلة ذات سيطرة ولكن كثيراً ما ننسى أن نعدها بين الدول العظمى .

( ٢٣ ) كثيراً ما تسرف الحكومات إسرافاً كبيراً في مظاهر الأبهة والعظمة ومناصب السياسة النائية أو غيرها ، وتحاول أن تقتصد فلا تستطيع فتوهم نفسها أن كل ذلك أمرٌ ضروري لهيبتها وصيانة مصالحها ثم هي تشكو من قلة المال الذي تحتاج إليه لإصلاح حال الناس فترهقهم بالضرائب

(٢٤) ذوو العقائد المختلفة في البقعة الواحدة قد يكونون أقرب أخلاقاً من ذوي العقائد المتفقة في البقاع المتباعدة فكان الامبراطور جوليان الوثني يصوم ويذهب في لذات الجسم ويعتقد التكفير عن الخطايا ويرى أن الألم مطهر للنفس كما كان يصنع المسيحيون في عهده ولو قارنت بين المسيحية في أوروبا وبينها عند الزنوج لوجدت اختلافاً كبيراً واختلافاً في أخلاق الفريقين .

(٢٥) بعض الناس يكره العلم من شدة عشقه له كما يكره العاشق محبوبته اذا وجد أنها بالرغم من جاهلها وحسن أخلاقها لم تستطع أن تجلب له كل أحلامه وأمانيه، وكذلك بعض الناس يكرهون العلم لأنه لا يستطيع أن يفسر كل شيء وما ادعى أنه يستطيع ذلك . وبعضهم يكره العلم لأن الغرائز الانسانية الموروثة قد تستخدم في الشر ، والعيب عيب الإنسان لا عيب العلم .

(٢٦) الأفكار كثيراً ما تكون وليدة النزعات النفسية المتناقضة فتتناقض أفكار الإنسان كثيراً وهو يحسب أنها غير متناقضة وقد ينضب إذا نهته الى ذلك ويلج في انكاره ( ٢٧ ) حسن الذوق ضروري لأنه يُنفّر حتى من ليس عنده حسن ذوق فكثيراً ما ترى إنساناً فبيع الذوق يقول : فلان « ليس عنده حسن ذوق » . وهو من ضرورات الحاكم والسياسي لأنه يشمل صفات أخرى كثيرة مثل عدل المرء في قوله وعمله وخلقه .

( ٢٨ ) ما استطاع الإنسان أن يؤسس الحكومات إلا لأنه يأمل أن يكون حاله في غده أحسن من حاله في يومه . وهذا الأمل يتجدد بالرغم من خيبته .

( ٢٩ ) ليس انتشار ثورة أو نجاحها دليلاً على مقدار الظلم الذي ابتعتها فانه إذا كانت جماعة من الناس جائعة متبلدة العقول والاحساس من التعاسة هزيلة الاجسام لا سلاح لها إلا الغيظ والمقت كانت أضعف وأعجز من أن تزيل الظلم بثورة ناجحة . وهذا أمر معروف في التاريخ فان بعض الحكام كان يعتمد ايجاد مثل هذه الحالة أو المحافظة عليها كي يظل هو وأنصاره مستأثرين بخيرات الحياة والحكم . ومن المعروف أيضاً ان الثورة الفرنسية ما استفحل أمرها لأن الفرنسيين كانوا أتعس حالاً ، بل لأن تعاستهم كانت قد قلت نسبياً عن تعاسة غيرهم من شعوب القارة الأوروبية وتعاستهم في أزمان غابرة .

( ٣٠ ) ربما كانت القسوة جُماع الرذائل . وربما كان العنف ضعفاً لا يفتقر إذ هو على الأقل ضعف الإنسان عن ان يملك نفسه وان يحكمها .

( ٣١ ) يصبح أن تختصر وصف أسباب الخصومات في كلمة واحدة فنقول إننا نلوم من لا يفكر كمن يفكر ومن لا يشعر كمن يشعر .

ع . ش

## الملكية والدولة الطبقية

فالدولة الطبقية تستخدم قوانينها المسلحة من قديم لحماية الملكية واستمرار الفوائد بالقرن والعنف . أما الجديد في الامر فهو الجهر بهذا المبدأ .

وقد طبق هذا المبدأ على نحو أكثر شيناً وخزياً في حرب الافيون سنة ١٨٤٢ ، والحرب التالية لها سنة ١٨٥٧ إذ شنت بريطانيا الحرب فيها على الشعب الصيني الاعزل ، لارغامه على فتح موانئه لتجار من رهاياها ، أولئك الذين كانوا يتحدون قوانينه بحمل الموم الى أسواقه ، وفرض التاجر البريطاني على الصين أن تترف له بامتيازات خاصة ، فهو يحمل الامبراطورية معه في نمله ولا يخضع الا لها كاله التعملة ولا يؤدي شيئاً من الضرائب المباشرة في البلاد التي يقطنها ، وتظله الامبراطورية بحمايتها هو وأملاكه وأعماله ، بل قد كان يتمتع في بعض البلاد بشرطة خاصة ومجلس بلدي خاص ويفرض — الماهدات غير المتكافئة — كما يسميها الصينيون ، فرضاً ، ويحتفظ بها بالقوة ، فتجوب القوارب المسلحة بحار الصين وأنهارها لحراسته . وقد أجري نظام مثل هذا أو قريب منه في تركيا ومصر وسيام ، كما أجري زمناً في اليابان .

وقد انتحل الرئيس الامريكى كوليج مبدأ بالمرستون وأعلنه في كلمات مشابهة اذ قال : « إن المواطن وأملاكه هما من أملاك الشعب ، ويعمدق ذلك على كل مواطن ولو في الخارج ، وإن على حكومتنا أن ترطاه حيثما ذهب » من كتاب « لماذا كانت الرأسمالية تعني الحرب » : ترجمة عصام الدين حنفى ناف :

## ٢ = سبيل سيرة

### الارشاد الاجتماعي على أي أساس ينبغي أن تقوم ؟

ما زالت الدراسة الإحصائية تلعب دوراً خطيراً في مستقبل الحياة الاجتماعية المصرية ، وخاصةً بعد أن أصبحت اليوم قاعدة أساسية في تركيز حياتنا العقلية على أسس تجريبية سليمة ، وبعد أن أصبحت أيضاً قوام ذلك الأسلوب الفذ الذي اصططح العلماء على تسميته بأسلوب « البحث العلمي » .

ومنذ أن انتظم سير الأداة الإحصائية ، الحكومية أو الأهلية ، في المجتمع الحديث ، رأينا الدراسات العلمية في شتى المرافق والنواحي التي تهتم المجتمع ، توفق بفضل « الإحصائيات » إلى الكشف عن حقائق هامة ، فتتسع أمامها آفاق البحث وتعمد أساليبه ، ولكن ليس بصورة جزائية خالية من التدقيق طليقة من قيود العلم أو الفن ، بل إن فضل هذه « الإحصائيات » ليتجلى أوّل ما يتجلى في تمكين الباحثين والدارسين ، وبخاصة في محيط الدراسات الاجتماعية ذات الطابع العملي ، من تحديد الأهداف وحصر النقاط الهامة في كل بحث من البحوث التي يعالجونها ، وعقد المقارنات الدقيقة بين الأسباب والنتائج في كثير من المشكلات الاجتماعية التي تجمع بينها أوجه شبه وثيق ، وتربط بين عناصرها روابط متعددة جديرة بأن تكشف وتدرس .

وإذا حاولنا أن نحصي حسنات الإحصاء الحديث المتغلغلة في كل ناحية من نواحي الحياة ، كالتعليم والصحة والمرافق الاقتصادية وأوجه النشاط الاجتماعي الأخرى ، لاهجرنا جهد المحاولة عن الإلمام حتى ببعض نواحي هذا الفضل ، ولكننا نخرج من هذا كله ونحن أتم ما نكون اقتناعاً بمدى ما تقدمه الدراسة الإحصائية من معاونات قيمة وخدمة جليلة في سبيل الاهتمام إلى حلول عملية حاسمة للمشكلات الاجتماعية التي قد تبدو عند النظرة الأولى



أشد ما تكون غموضاً وتمقّداً ، فضلاً عما لهذه الدراسات من أثر محسوس في تصويب وجهات نظرنا إلى كثير من مسائل الحياة ، وتمديد أساليب بحثنا وتوجيهها من ثمّ الوجهة التي نستقيم مع الحقائق التي تكشف عنها هذه الإحصائيات .

فلا عجب ، وقد ذكرنا بعض ما للإحصاء من أثر وفضل في حياة المجتمع المصري ، أن تكون حلول المشكلات الاجتماعية في كل من أوروبا وأمريكا ، وبخاصة هذه الأخيرة ، أكثر توفيقاً في علاج هذه المشكلات ، على تمقيدها ، من مثيلاتها في بلاد الشرق ، حيث ما يزال الاهتمام بالدراسات الإحصائية التفصيلية ، على أحدث مناهج هذا الفن وتجاربه ، متخلفاً عن مثيله في دول الغرب التي لها في هذا المجال الرقيب فنون وأساليب تكاد لا تقاها تُلحَقُ بالأمم .

وليس أدلّ على صحة هذا القول ، من حيث احتلال « الإحصاء » مكانة ممتازة في كل مجتمع ارتقائي من مجتمعات الغرب ، من أفراد كل مؤسسة مالية أو منظمة اجتماعية ، كبرت أم صغرت ، لقسم في منها كامل العدة ، وعلى أنهم ما يكون من الأجهزة لعمل الإحصاءات اللازمة لقيام المؤسسة بنشاطها ، فضلاً عن تخصص مؤسسات بكاملها للقيام بهذه الإحصائيات جملة ، للأفراد والشركات بله الحكومات ، مما يدلّ على أن هذا الفن قد أصبح اليوم من بدائ الحياة العملية الناجحة التي لا تستقيم بدونها سياسة اجتماعية أو اقتصادية موفقة .

إذا عرفنا هذا كله ، وما أجندَرنا أن نعرفه ، أيقنا أننا نَحْزِرُ كثيراً من التجارب والحقائق والقيم بتقصيرنا في هذه الناحية ، واكتفائنا بلون من الإحصائيات الحكومية الجامدة التي نَعَمُّ أكثر مما نَحْصِّص ، مما أدّى إلى دوام تعثرنا في علاج كثير من مشكلاتنا الاجتماعية الرئيسية ومباينة الأساليب العلاجية التي نواجه بها هذه المشكلات للأساليب أو الطرائق الناجحة التي تتخذها بلدان الغرب ، وتقعّد عليها الخطوط الرئيسية لسياساتها الاجتماعية والاقتصادية الناجحة فتجنيء من ثمّ مرسومة الأهداف مدروسة المناهج ، لا أثر للطرفة أو الارتجال فيها .

إن كثيراً من المشكلات الاجتماعية التي برزت في أفق حياتنا المصرية ومشكلات طارئة

لم نتسلح لها بعد بالذرائع الكافية أو الأساليب الدرامية الوافية ، والعجيب أن السبيل جدّ ميسّر أمامنا لاستيفاء هذه الذرائع والدراسات ، ولكن ذلك التقليد المميّز الذي جرّيننا عليه في محيط حياتنا العامة ، وأعني به تقليل التمرّع في البحث والتمرّع في ارتقاء الحلّ وتشخيص العلاج ، ما زال يأخذ علينا طريق التحرّر العقلي حتى في أخص ما يخص مصائرنا ومستقبل حياتنا ، وهكذا تجمي هذه الحلول دائماً ، لا حلولاً علمية بمعنى الكلمة بل مجرد وعود خلافة تحثني في خطب رنانة وأقوال باهرة وكتابات فاتنة لا يلبث بريقها أن ينطفيء ليكشف من بعد عن سوءات متلاحقة من القصور والنقص !

نعم إن النهج أمامنا واضح على أحسن ما يكون الوضوح ، كما أن طرائق الدراسة السليمة لمشكلاتنا العامة ، وبخاصة في ناهيتها الاجتماعية ، يمكن أن نيسّر لأنفسنا أسبابها بعد أن نقيمها على نهج علمي قويم ، ولكننا نستهين بالمشكلات في بداية أمرها ، ونواجهها مواجهة تنم على عدم المبالاة ، أو بالأحرى عدم التقدير السليم لاحتمالاتها وعواقبها ، حتى إذا ما تعمّدت أمرها بعد ذلك ، وجاوز هذا التعقيد حدود الذرائع العادية التي أعددها لها ، جاء دور التخطيط والتشكك الذي لا يلبث أن يدفع بنا في سلسلة من الارتجالات العقيمة لأوّل لها ولا آخر !

وإلا فهل ثمة أدلّ على هذا التخطيط في تشخيص عللنا الاجتماعية واختيار الطرائق المناسبة لعلاجها من أن وزارة الشؤون الاجتماعية ما زالت حتى اليوم خالية من قسم فني للإحصاء يتوفر على أداء أعماله موظفون فنيون بأدق معاني هذه الكلمة ، يقصرون مهمتهم على حمل الإحصاءات الدقيقة لكل مشكلة من المشكلات التي تعني هذه الوزارة بدراستها والالمام بمختلف نواحيها لأعداد وسائل علاجها ؟

بالأمس القريب كان من بين أقسام هذه الوزارة قسم خاص لمعالجة عثى ما يتعلق بشؤون الأسرة ، وأذكر أن القائمين عليه كانوا يواجهون صعباً جثّة فيما كانوا يقومون به من دراسات فنية مقارنة لمشكلات الأسرة المصرية التي لا تزال تقف عقبة في سبيل ارتقاؤها إلى المستوى الاجتماعي والاقتصادي اللائق بأمتنا . وكان المصدر الأول لما يلاقونه من هذه الصعاب هو عدم وجود إحصاءات وافية ودقيقة متمشية مع سير الزمن وأطراد النمو في نسبة مواليد السكان . فلم يكن عجباً أن تجمي مثل هذه البحوث ، على خطورة الموضوعات التي تصدّت لها وبالرغم من قيمة الجهود العقلية التي بُذلت في سبيل إعدادها ، خلواً من الدقة العلمية التي نجسها في بحوث الباحثين الغربيين ، سواء أ كانوا من موظفي الإدارات الحكومية المختصة أم من أعضاء المهاد الفنية الحرة ، تلك البحوث التي تبني أول ما تبني

على قواعد ومناهج الاحصاء الحديث ،

وقس على ذلك صائر ما يبحثه المختصون عندنا من مثل هذه البحوث الفنية التي ما زال يعوزها هذا السناد العلمي الأول الذي لا غنى عنه في تقويم الخطوط الرئيسية اسكل علاج يُقترح لكل خطة تختار .

إن الأرقام الدقيقة والخطوط البيانية المفصلة ترسم للباحث الاجتماعي صورة صادقة للأوضاع التي تتألف منها كل مشكلة ، وتساعده بفتح الحل الذي يتفق وطبيعة هذه المشكلة التي يدرسها . فهو من ثمّ قين ، في ضوء حقائق الاحصاء وعلى هدي رموزه البيانية ونسبه الحسابية المفصلة ، أن يجيد دراسة موضوعه وأن يحسن عرضه ، سواء أكان ذلك بطريق المحاضرة أو بطريق المثالة ، أو بغيرها من طرق الدعاية المصرية المريعة الأثر في نفوس الجماهير ، كالراديو والسينما .

والدعاية الاجتماعية ، هو قبل كل شيء « باحث اجتماعي » بأدق معاني هذه الكلمة . والدعاية الاجتماعية التي لا تقوم على أسس علمية رابكة من التحضير والبحث والدراسة الفنية المقارنة للظروف والملابسات التي نشأت المشكلة الاجتماعية وتطوّرت في ظلها ، ليست جديرة باتفاق المال والوقت والجهد في سبيلها ، لأنها ستكون عندئذ عبثاً لا طائل تحته أو ثرثرة وعظيمة سقيمة لا يبقى لها في النفوس أي تأثير أو أثر .

إن أولى شرائط هذه الدعاية الاجتماعية لتقوم على أسس علمية سليمة كما ذكرنا وكررنا ، هي استماعتها بهيئة فنية للاحصاء تتولى تزويدها بكل ما يلزمها من الحقائق التي يكون لها أكبر أثر في تصويب أعمالها وتوجيه خططها وحملاتها لاكتساب أكبر عدد مستطاع من المؤيدين والمشجعين ، فضلاً عما سيكون لها عندئذ من أثر لا يُنكر في تنوير الرأي العام بشق أساليبها الشعبية وتبصيره بالاهداف والأغراض التي لا يحس أفراد الشعب أنهم محفوزون إلى المشاركة الفعلية بمجهودهم في تحقيقها ، إلى جانب ما تبذله الحكومة من جهود جبارة في هذه السبيل .

إننا ننادي بأعلى صوتنا بوجوب إنعاء مثل هذا القمم الفني الذي سيقدم أجل الخدم لشتى إدارات الوزارة ، فضلاً عما سيكون له من تأثير دائم وفعال في تسديد خطوات رجال الارشاد الاجتماعي في كل ما يقومون به من دراسات وكل ما ينهضون به من دعايات . وسنرجى الأسس الأخرى لبحوث تالية إن شاء الله .

جمال الدين حمري

رئيس قسم الارشاد الاجتماعي - بوزارة الشؤون الاجتماعية

## ٦ - في التربية

### الدوافع الفطرية

- ١ -

تتقسم الدوافع الهورمية والميمية ، أي النامية والاحتفاظية الأولى إلى غرائز ، وهي الألوان التي يتلون بها سلوك الكائن الحي وهو يستجيب لدواعي البيئة . والغريزة صورة خاصة للدافع الهورمي والميمي ، فهي استعداد فطري يدفع الإنسان لملاحظة أغنياء خاصة بصورة خاصة . وقد تنوعت تقسيمات العلماء للغرائز ، تبعاً لأسس الاحصاءات المختلفة . وأعم هذه التقسيمات هو الدافع الهورمي والميمي ، يتلوه صعي الفرد الى حفظ ذاته وجنسه ، كما ترى مدرسة فرويد ، ويقدم فرويد غريزة حفظ الجنس على غريزة حفظ الذات ، كما يظهر من تضحية بعض الحيوانات والحشرات بنفسها في سبيل نوعها . على أن مكيدوجل Mc Dougall يرى أن الغريزتين متكافئتان ، فالأميبا تخلد نفسها وجنسها بالانقسام في وقت واحد . ويقسم مكيدوجل ومدرسته الغرائز متبعاً لغاياتها القريبة ، كما ظهرت أثناء تطور صور الحياة ، فوضع لها أربعة عشر قسماً ، كالغريزة الوالدية والمقاتلة والاستطلاع والبحث عن الطعام والتقرز والحرب والاجتماعية والسيطرة والخضوع والجنسية وحب التملك والحل والتركيب والاستغاثة والضحك . وقسمها ثورنديك Thorndike تبعاً لسلوك ذاته ، فبلغت أكثر من مائة على أنه لا ضير من تعدد التقسيم ، مادامنا نعتبر الغرائز ألواناً للدوافع الحيوية الأولى ، ومعبرة عن وحدة نفسية .

ولغريزة كما يرى مكيدوجل ، ألوان ثلاثة ، هي اللون الادراكي والزوعي والوجداني . واعتبر الانفعال محرك السلوك في الكائنات الحية الراقية ، والغريزة محرك السلوك في الكائنات الحية الدنيا كالنمل والنحل . فالغضب والخوف والكبرياء تدفع الانسان السلوك بينما تدفع

الغريزة الحشرة للتعامل . فالانفعال نواة الغريزة ، وهو مصاحب لها . ولكن دريفر Drever اعتبر الانفعال غير ضروري للغريزة ، وأنه لا يظهر إلا حين يعوق الفعل الغريزي طائق . على أن مكدوجل أصر على وجود الانفعال ، وإنما يختلف شدة وضعفاً في أثناء ظهور الفعل الغريزي دون أن يعنى . ويرى مكدوجل أن الانفعال يحدث تغييرات فسيولوجية تظهر في إفرازات الغدد كالغدة الادرنالية حين الغضب مثلاً ، واختلف عنه في ذلك جيمس ولانج فاعتبر الانفعال نتيجة للتغيرات الفسيولوجية ، وإننا نبكي لأننا نحزن ، ونخاف لأننا نقاتل . وهو رأي لا يتأيد بالبراهين الواقعية وربما كان العكس صحيحاً . وقد وفق من يبرهن هذه الاتجاهات حين اعتبر الانفعال لوناً وجدانياً يلوّن سلوك الكائن الحي الهورمي ، وأنه يختلف في شدته لا في نوعه .

وبالتقدم تكرر صور الادراك والنزوع والوجدان فتولد ما يسمى بالعادات والعواطف . فن الغريزة تنبع وحدات السلوك وتكرر في مجاري خاصة . فتتجه الانفعالات في اتجاهات خاصة فتولد العواطف ، كما تتجه صور النزوع في مجاري خاصة فتولد العادات . ومن العادات والعواطف ما هو فكري ووجداني ونزوعي . وتكون منها بتقدم السن شخصية الكائن الحي ، فتنتظم في نظام سلمي واحد في نطاق عاطفة الذات . وهناك نزعات عامة لا يتضح لها لون انفعالي ، رغم تأصلها في صور الحياة كالميل للتكرار والإيقاع . وأهمها حب الإيقاع والتكرار والايحاء والمشاركة الوجدانية . والاعب والتكرار والإيقاع من صفات الحياة ، وتخضع حياة الكائن الحي بالتدريج لنظام إيقاعي في حياته العادية من أكل ولبس ونوم ، وتضجع في حب الإنسان للرقص والموسيقى ، وتنعكس طبيعته من دورات دموية وتنفس ، وهو في صور الطبيعة . ونحن نحب التكرار ، والطفل يحبه ، وذلك علة ترديدنا للأغاني والأنغام المألوفة ، وما في قصص الأطفال من تكرار لفظي ومعنوي ، وتكرار للمواقف ، وصور الانماط . والتفسير السيكولوجي لهذه الظاهرة هو أنها تعدنا بمتنفس سهل لغريزة السيطرة . والتكرار مفتاح الثقة بالنفس ، وهو طريق الابتداء .

ومن هذه النزعات العامة النزعة للعب . وهي النزعة المقابلة للتكرار عند الطفل ،

فتمده به مجال مناسب للابتداع . ويعمل شيلر وسبنمر هذه الظاهرة بأنها فيض طاقة حيوية لدى الكائن الحي ، بينما يعتبرها مالبرانش وكارل جروس وسيلة لإعداد الكائن الحي للحياة المقبلة . وخالفهما ستانلي هول في هذا الرأي ، فاعتبر اللعب استعادة لما مضي الجنس . وهذه الآراء مكملة لبعضها ، ويفسر كلٌّ منهما جانب من صور اللعب . فالرأي الأول يفسر لعب الطفل والحيوان وقت فراغه وراحته ، ولا يفسر اقبال الفرد على اللعب رغم تعبهِ ، ويفسر الثاني تمرن القط في صغره ، على القفز ، والفتاة باللعب بلعبتها ، بينما لا يفسر لعب الكبار ، ويفسر الرأي الثالث مظاهر اللعب الالهامي المشابهة لحياة الرجل البدائي والمتوحش في الكهف . وخير تفسير للعب هو اعتباره أداة تطهير وتنفيس ، كما يرى ن . فهو صبيل تلقائي للتنفيس عن الفرائز والرغبات المكبوتة ، في صورة آمنة معلاة وقد تجمّع صورة من صور اللعب لمدلولات هذه الآراء جميعاً .

ولا يعني اللعب رفاً زائداً ، كما لا يعني العمل جواً زائداً . فاللعب هو ما نعمل مختارين ونجد فيه لذةً ، والعمل هو ما نعمل . ومن صفات اللعب التلقائية ، أن أروع ما أنتج الإنسان قد أنتجه مدفوعاً بروح اللعب ، سيما في ميادين الفنون الجمالية .

وتتصل هذه الآراء بالتربية اتصالاً وثيقاً . فالغرائز هي مواد الشخصية الأولى ، وهي النواة التي يعمل المرءي معها لا ضدها . وهي المظهر الذي تفهم على ضوءه مشاكل التربية وتضع ألوانها الإدراكية والوجدانية والزوعية أمامنا مفتاحيح تعالج ما في التربية من جهود . لقد انقلت أساليب التربية القديمة كاهل الإدراك ، وأحملت الوجدان والزوع . بينما يكاد يكون الوجدان أهم ألوان الغريزة في التعليم الجمالي . وقد قال أفلاطون إن التعليم الحق يدرّبنا منذ فجر صبا على الشعور بالذلة والالم تجاه ما هو حق . والوجدان مهم في الآداب والفنون الجميلة . ولا يعني هذا إهمال ما للإدراك من أثر في استخراج مقاييس عامة ، أو من التحليل والتعميم ، وإنما تأتي المقاييس العامة طبعاً لا تفرض ولا تملأ ، وتنقل بالأسلوب الطبيعي ، وبطريق الاستهواء والايحاء والتحليل ، والحس والإيمان . ويساعد الزوع العملية الحيوية على تحقيق أهدافها ، والتطبيق يساعد الفرد على الحكم الصائب ، والاحساس المرهف ، والتذوق الملهذب . وبذا لا يحتكر المؤلف أو الكاتب الميدان الفكري وحده وإنما تهيم المدرسة البيئة الصالحة لظهور المواهب ، واكتشاف الشاعر والفنان والعالم والكاتب والصفي والموسيقي الموهوب إذا ما توفرت فيها الظروف المساعدة لكل عبقرية على النمو ، عن طريق الاشتراك الفعلي فيما تقدم له من ألوان النشاط .

والمدرسة مجال لتربية الشخصية ، والسعي بالفردية إلى تحقيق منلها الأعلى حسبما يتوفر فيها من مواهب خاصة . والشخصية نظام متكامل منسجم من غرائز وانشغالات وعواطف وعادات تعمل في اتجاهات منسجمة . ولكل ذات ذات مثالية ، قوامها الغرائز والعواطف الخلقية المعقدة . والارادة هي مظهر الذات الخلقية المثالية ، وهي التي تنجح في ضبط الغرائز والانشغالات وتوجيهها توجيهاً صالحاً . وسبيل المدرسة إلى ذلك هو جماع حياتها من وسائل النشاط ، ونماذج المربين وصور الدراسات ، وتبدأ بحب الفرد لشخص ، ثم للأشخاص ، ثم لحب الفكرة المجردة ذاتها ، من عدل وحق وفضيلة وكره لعكسها .

واللعب روح التربية الحديثة ، وهو محور مدارس مُستَـمُـوري ودالتون وفرويد وآرمسترونج ، وهو السبيل إلى إشباع الميول وإعلاء الغرائز والتربية الخلقية . والمدرسة الحديثة مجتمع ديموقراطي ، يقوم فيه المربي مقام الملك ، له حقوق وعليه واجبات ، فهو يفهم ويوجه ، وهو الحلقة بين المجتمع المدرسي والمجتمع الخارجي ، وهو حلقة الاتصال بين الماضي والحاضر ، والحياة في المدرسة الحديثة تجربة تكتشف اكتشافاً ولا تفرض فرضاً ، واللعب والعمل فيها حقيقة واحدة . واليوم ينادي آرمسترونج بالطرق الكشفية عن طريق الرحلات والكهافة والجوالة ، ووجوب سعي الناشئ إلى خلق قيسة في الآداب والعلوم ، بل في القراءة والكتابة والحساب بطريق اللعب .

\*\*\*

وتنجه المدرسة الحديثة اليوم إلى تعليم اليد والقلب والرأس أو كما تسمى the 3 h's وتزيد صلتها بالحياة ، وعنايتها بتربية الفرد كذاتية لها مميزات واتجاهات خاصة ، وتهيء لها السبيل لبلوغ أقصى ما تتسع من مواهب ، فيضيف لثراث أمته وراث الإنسانية حسبما أهله له الطبيعة . وأين من مدارسنا الراهنة هذا التوازن الذهبي بين الدراسة النظرية الخالصة ، والعملية الخالصة ، والجمالية الخالصة . وهل مشكلاتنا تحل في مدارسنا بأن نكثر من النشاط المدرسي ، أو نقلل من أبواب مواد خاصة ، أم نطلب إعادة النظر فيما ورثناه عن نظم ودراسات تربوية قاصرة فرضت لانتاج طراز خاص من المتعلمين ؟ تلك قضية المربين والآباء بله الرأي العام .

محور هاجر شوكت

حماة

دبلوم في التربية وعلم النفس - وماجستير في الآداب

## الدمعة

سلوة المحزون في اليوم العسير وعزاء النفس والقلب الكسير  
لغة تنطق مما كنت أضلع المشتاق من حرّ الصدور  
ذوب نفس شفقها طول الأسي فجرت دمعاً على كر الدهور  
لغة صامتة لكنها من ضروب الشعر جاءت بالكثير

\*\*\*

لم أجد أبلغ منها ناطقاً يحسن الایجاز في وصف الشعور  
رسم الداء جلياً ظاهراً وجراحات المعنى في سطور...  
كم حزين كان في آلامه شاعراً ينقصه وزن البعور

\*\*\*

أيها المحزون كنكف عبرة واختزنها لدجى اليوم الأخير  
لا تن دمك في تمكابه فوق رسم أو على قبر حقير  
دمتق  
عمرانه مرهم بك



# ميلي !

للكاتب الفرنسي « جول ليمتر » ترجمتها الآنسة نعمت حسني

وأجاب الكونتيسة « كريستيان » بعد أن فكرت قليلاً :

« أجل ، كنت محبوبة مرّة في حياتي .. بل وكنت معبودة . ولكن ليس منكم يا سادة ، ولو أن الكثيرين أجمعوني كلمة : معبودتي وحبيبتي . غير أنني أعتقد أن هذه الكلمات ، كثيراً ما يقولها الرجل للمرأة كطريقة يكامها بها .. لأنه يعتقد أنها تصبو إليها . على أنني حينما كنت طفلة صغيرة .. فقد كنت محبوبة ومعبودة حقاً . ولكن من ا . من ميلي ، الصغيرة .. وهي طفلة كانت تماثلني في العمر . طفلة بألسة قدرة ، الى درجة لا يمكن أن يتصورها أحد .

أجل كنت معبودة .. وأرجو أن تفهموا الكلمة بكل معناها . فليس من كلمة أخرى يمكن التعبير بها عن الشعور الذي أوحته إلي ميلي .

لقد فهمت الآن ، أنني كنت شاغلها الوحيد ، وسرورها الوحيد ، والدافع الوحيد الذي يدفعها الى الحياة .. وإن كل شيء خلافي ، لا وجود له بالنسبة إليها . وأنا كنت أملكها اطلاقاً .

وأين مرّ هذا ... هناك في قصرنا القديم ، حيث ولدت في ذلك الاقليم الهادئ . كان قصرنا كبيراً تحيطه حديقة مترامية الاطراف .. فيها الاشجار المنمرة العتيقة . وفي نهاية الحديقة باب من الخشب ، يفتح على المزارع والحقول الخضراء المنبسطة الى مسافات بعيدة . إن صورة ميلي المتواضعة ، تربطها بذاكري تلك البقعة من الأرض ، واذكر معها ذلك السلام العميق ، الذي يقرب من العظمة .

أذكر ميلي ، فأرى أمامي فتاة في الثانية عشرة من عمرها .. قبيحة الشكل ، ذات

قائمة فارغة نحيلة .. يشوّه بشرتها لطخ ممر . وعيناها تلتصقان من بين شعرها المتدفق ،  
الذي يشبه نبات الأشواك وقد انتعلت حذاءً بالياً ، وارتدت ثوباً مهلهلاً لالون له . أي  
أنها صورة صادقة للبؤس . وأهم ما يلفت النظر في وجهها ، هو ذلك الفم الواسع ، الذي  
ينفجر دواماً عن أسنانه الكبيرة . ذلك إنها لم تكن لتنظر إليّ إلاّ والابتسام على ثغرها ،  
والمرور منطبع على محيّاها .

أمّا أنا ، فقد كنت كما يخيل إليّ ، فتاة صغيرة الجسم ، جبلة للغاية ، وكان أظفر  
شيء في جمالي ، هو بشرتي الناصعة البياض الرقيقة .. وعجري الكستنائي المستمر . وكان  
لي أخ يكبرني قليلاً .. وكان يحبّ معاكستي ليضحك مني .. فيشبه شعري بذيل « الأشقر »  
وهو جواد أحمر صغير ، كنا نشدّه الى عربة صغيرة ، تنزه بها في ضواحي ضيعتنا ، في  
الأيام الجميلة من الربيع والصف . أمّا أبي فكان يعجب كثيراً بشعري ، ويوصي بالعناية به .  
وكانت عيناها الخضروان ، لها جمال مدهش .. ولكنني كنت بطبعي ضعيفة البنية ..  
فبدوت فتاة صغيرة ، ظهرت عليها علائم الشيخوخة . أمّا ميلي فكان يخيل إليها ، أني  
أنتسب الى عالم الملائكة والقديسين ، الذين ترى صورهم على زجاج الكنائس .

\* \* \*

وكيف عرفت ميلي ؟ ... لقد كان أهلها قوماً فقراء يسكنون بجوارنا . وكانوا يهملون  
أمرها بالمرة وكنت أراها دائماً في طريقي ، فهي تعيش في ظلي ولا تطبق البعد عني .  
ولم يكن أبي ليروق له أن تصادقني مثل ميلي . أمّا أنا فكنت أعمر في نفسي ، أني  
بالنسبة الى ميلي كأيقونة صغيرة . واليقونة لا يضرها ، أن يتعبد إليها الصعاليك من  
أقصى المعبد ...

إن ميلي المسكينة لم تكن مرمجة ! فقد كنت أجدها محتبئة في ركن الباب ، تنتظر  
خروجي مع الخادمة الى الدير .. فتأخذ حقيبة الكتب تحملها وتمشي ورأيي .. لأنها تعلم  
أن أبي لا يحتمل منها المشي بجاني وكنت أبادلها بعض الكلمات في أثناء الطريق . وأقول  
لها أخيراً : « أشكرك يا ميلي » وكان هذا يكفيها !

وحاولت مراراً أن أعطيها نقوداً ، فكانت ترفض وهي ترمز رأسها في عصبية الدُّب .

فعمدت إلى وسيلة أخرى . . فقد كنت آخذ معي بعض الحلوى وأعطيها إياها من وراء ظهري ، وأنا أجري بجانب خادمتي ، فتأخذها مني .

وكثيراً ما كنت ألقت نظر ميلي، إلى شعرها المنتفش وأزرار ثوبها المنزوعة ، ناصعة إياها بالنظافة والترتيب . فتحنى رأسها ويتولاها الخجل . ثم تظهر أمامي في اليوم التالي وقد زاد انساختها ، ان الحياة التي كانت تقبها ميلي ، كان من الصعب معها ان تكون مرتبة المندام . . فانها مهيئة من أهلها ، تقضي أوقاتاً طويلة إما في العراك مع صبية الشوارع . . وإما في الركض في الحقول ، وتسلق الأشجار . أي انها شبه حيوان أليف . ولم تكن تعرف القراءة ، لانها لم تتردد على المدرسة . ولكنها كانت تعرف الحشائش ، وما ينفع منها للزكام ، وما يشفي الاوجاع ، وما يلئم الجرح سريعاً . فكانت تجلب منها الكثير للمطبخ عندنا . . كما تجلب الجرجير والهندبا البرية ، وطاقات البنفسج الكبيرة ، والخشخاش وزهر الاؤلؤ .

كانت تنتحل شتى الاسباب لكي تدخل الى القصر . . فتحوم حول المطبخ تنسقط الاواصر ، وتنفضها في ملح البصر . ولكنها لا تنصرف بعد ذلك ، بل تبقى محتبئة في بعض الأركان ، وتتسلل باحثة عني . فاذا اهتدت الي في الحديقة ، أظهرت لي نفسها من بعيد ، ولكن في خجل . فأشير إليها أن تقترب . . وعندها تسرع الي والفرح يشع في عينيها ، وهي تقول : آوه يا آنسة يا آنسة . . . »

ونجلس على مقعد تحت تمرشة العنب ، حيث نبقى هناك محتبئين ، نتكلم ونأهه كما تحلو لنا . كانت ميلي فنانة بارعة ، فعملتني كيف تصنع السيجان من مختلف الأزهار . كما كانت تأخذ مني قصاصات الاقشة والشرائط وتصنع لي منها العرائس الجميلة التي كنت أراها تضاهي ما تبنيه المحلات الكبيرة ، في هندامها الجميل :

ومن المدمش ، ان ميلي تلك الفتاة الفقيرة ، لم يكن يطيب لها أن تأكل في بيتها أكلة لذيذة ، دون أن تأتيني بنسبي منها ملفوفاً في ورقة نظيفة . ولن أنسى شكلها المضحك ، وهي تنظر الي بذهول . . وقد ظهر عليها الكبرياء والسرور ، وأنا ألتهم فطائرهما التي بسعت عليها طبقة مميكة من البطاطس الممروس ، الحلي بالسكر أو المتبل بالبهار والبصل

الأخضر . وكنت استمريء فطائر المطبخ الفقير ، أنا التي كنت ضعيفة قلبلة الأكل ، يزجرني أهلي لهذا السبب .

كانت مبيلي توحى اليّ بنوع من التأمل : فقوتها ونشاطها وجرأتها . . . كل ذلك كان يدهشي . وكنت أحسدها لأنه في استطاعتها أن تجوب كل مكان ، وأنها لا تخاف من شيء . كانت في بعض الاوقات تتصاعد منها رائحة العلف ، وقد تعلق بشعرها منه بعض القش ، فتجعلني أحلم بحياة الحرية ، بين الحقول التي كان يحياها روبنسون . ولما كننا نتأكد من وحدتنا في الحديقة ، كانت تتسلق الأشجار وتهز أغصانها فتمطرنا فاكهة ناضجة . . كما كانت تقتلع بقبضتي يديها ، الفاكهة الخضراء . . لأنها كانت تحبها وتؤكد لي أنها لذيذة . . وأردت أن أنشبه بها ولو من هذه الناحية . . فكنت آكل معها قسمة من التفاح الأخضر وغيره . وأذكر أني قلت لها يوماً : « إن أشجار الكرز عندنا تطرح متأخرة . . وهذا ما يؤسفني لأنني أحب هذه الفاكهة » . وجاءتني في اليوم التالي ومليء جوفها كرزاً جميلاً . إنها مرفقة من بعض الحداثق . لقد سرقت من أجلي وعرضت نفسها للهلاك !

وأول ما كانت ترى فرداً من القصر آتياً الى جهتنا — ما عدا خادمتي والطباخة فانهما صديقتاها — كانت تتواري بشكل عجيب . . فلا أعلم كيف اخفت ، ولا من أي ثقب من السور خرجت .

والمن الأيام عند مبيلي هي عندما كان يزورني صديقاها الصغار اكانت المسكينة تحوم حولي ، فأمر عليها دون أن أكلها أو أنظاها أني أعرفها . . وعندها تحتفي كلبية . ثم شيء آخر كان يسبب لها الحزن : فعندما كان أبي يصحبني وأخي الى منزل لنا في الضاحية ، وسط عربة صغيرة ، كانت مبيلي تتبعنا عن بعد . ولكن أبي كان يطردها بصوت خشن .

وحدث يوماً ، أنه عندما اقتربنا من المزرعة ، رأيت مبيلي وقد تعفرت بالتراب ، وهي تخرج من حفرة كانت عمدة فيها ، لكي تراني حين مروري . . وكما كانت ترتعد من الخوف عندما رآها أبي . فقلت استعطفه :

« أبي أرجوك أن تتركها تمشي ورائنا . . وهل هذا يسبب لنا ضرراً » وقبل أن يتركها تمشي ورائنا . فكانت مبيلي فرحة . . مرودة ، وهي تتأثر خداهي كالخشب الأدهن .

وكنت من وقت الى آخر ، أمد يدي الى الورا ، فتأخذها بين يديها وتدلها لحظة ، ثم أسحب يدي .

وبعد انتهاء الغداء ، تسالت خفية وأخذت كل ما وصلت إليه يدي من المأكولات وخرجت إلى ميلي ، فوجدتها واقفة خلف الباب ، وأعطيتها ما معي فتقبلت ذلك مني بالفرح الشديد وهي تقول : « آوه ! يا آستي ، يا آستي ! »

ثم جعلت ألعب مع شقيقي تحت الأشجار التي تحيط العربة . ولكنه تركني فجأة . وبعد قليل سمعت صراخاً ، فخرت الى ناحية الصوت . ورأيت ميلي المسكينة ، أمام الاسطبل وقد تبللت حتى ركبتيها بالمياه التي كانت تتساقط من ذيل ثوبها ، فان الولد الشرير غطسها فمراً في مزود البهائم ، الذي ملأته مياه الأمطار ، وكانت ميلي تبكي وترجف ، ولكنها حبست دموعها عند ما رأيته .. فهي لا تريد ازواجي . وقالت لي وهي تبتمم : « هذا لا شيء يا آستي .. إنه يريد مداعبتي فقط ... »

\*\*\*

وأراد أبي أن نقضي العيد في بيتنا الريفي .. وعلمت ميلي بذلك ، غير أنها لم تتأثر خطاي يوم وصولنا . ولكن كم دهشت وأنا أرى ميلي تنتظرني في حفرتها ، على حافة حقل الشعير وذاب قلبي شفقة عليها وأرسلت لها قبلة ... وللأسف إنني مرضت في العيد ، ولزمت فراشي وكنت أسمع وأنا أقلب في السرير ، ضجة الأصوات والضحكات فان الأسرة مجتمعة لتناول طعام الغداء ، بمناسبة العيد .

ولكني لم أكن وحدي في الحجرة ، فهناك ميلي وقد خرجت من مخبئها ، بعد أن اطمانت . وهاهي تدرس بين يدي أزهاراً ندية ، وقد ركعت بالقرب من سريري .. ووضعت جبينها على طرف سريري . وبعد لحظة ، أتى أبي ليراني .. ولكنه في ذلك اليوم ، لم يجد من الشجاعة ما يجعله يطرد ميلي ، بل انه أصر أن يوتي لها بالطعام .

\*\*\*

وبعد مدة من الزمن ، رأت والدي أن أعلم كل ما يجب أن تتعلمه سيدة ربة بيت . فمهدت بي الى الآلة مربية ، لتعلمني الحياكة وتدريبني على الاعمال المنزلية . ولكنني كنت أهوى شيئاً آخر : القراءة . ولحسن الحظ أن ميلي كانت قد توصلت أخيراً ، أن تجعل جميع من في القصر يحتملونها . فكانت تحضر دروسي ، وتعلمت قبلي بكثير رغبة منها في مساعدتي . وكانت هي التي تقوم بالاعمال الصغيرة ، التي يفرضونها علي .. كما كانت ترتب حجرتي .. بينما أكون أنا لاهية في القراءة . كنت أقرأ حياة القديسين وتاريخ رومانبا للكاتب

« رولان » ثم كتاب آخر لست أعلم إلا أنه بمجلدة حمراء قديمة يحوي قصص القرن الثامن عشر . وعند ما كانت ميلي تنتهي من عملها ، كنت أقص عليها ما قرأت ، مكافأة لها . فتسمع اليّ وقد جلست على الأرض عند قدمي ، وثبتت عينيها على وجهي ، وأذكر أن إحدى هذه القصص ، كانت تتبدى بهذه الجملة : في زمن حيث كانت مدام دو بومبادور ، تسود فرنسا . ولست أعلم كيف كانت مدام دو بومبادور ، تبدو لميلي . ولا لي أنا نفسي .  
 إنما أذكر أنها كانت قصة جميلة .

\*\*\*

ومرت أيام ثم مرضت بالجذري . وأذكر الآن ميلي التي لم تفارقني طول مدة مرضي . فهي التي تصنع لي الشراب ، وهي التي تأخذ يدي بين يديها برفق ، ولكن بكل قوتها لتمنعني عن كحط جلد وجهي ، فقد قيل لها : اني لو أكلت وجهي صرت بقعة الخلقلة . وهي تسهر على جمالي كما يسهر الحريص على كنزه .

لقد فعلوا كل شيء لابعادها عني ، خوفاً عليها من العدوى ولكنهم لم يفلحوا واستمرت ميلي لا تفارقني لحظة . وعندما تحسنت صحتي ، وكنا في شهر ابريل ، فكانت ميلي تجلب لي كل يوم ملى ذراعها من الأزهار الجميلة ، وكنت في هذه الفترة ، أجد صعوبة في استذكار الماضي . فأسأل ميلي : « أيمكنك لك أن تقعي عليّ تلك القصص التي رويتها لك ؟ »  
 فقد حرّموا عليّ القراءة . فتقص عليّ جميع القصص التي سمعتها مني .

\*\*\*

وذاث يوم ، لم تحضر ميلي ، وكان أول يوم سمح لي فيه بفارقة الفراش . فسألت عنها أمي بالحاح .. وأخبرتني أنها مريضة ، وفي اليوم التالي نقلوني الى الريف . والتف حولي الجميع يبحثون عما يسرني ويسليني . وكان أبي يصرف الساعات الطويلة ، بالقرب مني ويصحبني في زهات جميلة . غير اني لم أنس ميلي . فكنت أسأل عنها من وقت الى آخر . وقال لي أبي أخيراً : « ميلي مريضة جداً . ولكنني أرسلت اليها الطبيب وكل ما يلزم لعلاجها . وسوف يربنها متى شئت » .

ولكن مرّت الايام ولم تأت ميلي . وقلت يوماً لامي : كيف حال ميلي ؟ أريد أن أعلم ، فأجابت أمي بحزن : « لقد ماتت ميلي ! » وتولاني الدهول . ثم قلت والدموع ملى عيني : « مسكينة ميلي ! سوف لا أراها . ولكنني سوف لا أنساها ! » .

تلك هي ميلي ! المتألقة التي أحببني . والتي أذكرها على الدوام !

## وداع الحمراء

وقف أبو عبد الله آخر ملوك العرب في الاندلس على التلة التي أطلق عليها  
الاسبان ( تلة الدموع ) يودع غرناطة وهي تتوارى عن عينيه وألقى النظرة  
الاخيرة على قصر الحمراء منسورة بالدمع محفوفة بالتشبهات ، وقد ودع بهذه  
النظرة الدائمة والحسرة اللاذعة مجد العرب الضائع وفردوسهم المفقود . . .  
وكان دموعه تنظم في انحدارها هذه الايات .

وداعاً جنّتي وقرارَ قدمي	ومظهر عزّي وجلال أُمّمي
لقد طفتِ الخطوبُ عليّ حتى	فقد تُنك بين ضعضعتي ويأُمّمي
وأُسلمني العنارُ الى شقاء	يقود الحظُّ من نعلٍ لتعس
وما أنا غير مخلوقٍ توالّت	عليه كواكبُ الدنيا بنحس
تغيبُ عرائسُ الدنيا أُمّمي	وتغرب في مواكبهنّ شمسي
وتهوي كلُّ آمالي حطاماً	تجرُّ الى الفناء حطام نفسي
وتفرّق في دموعي ذكرياتٌ	تذوب كأنهنّ حُباب كُاسٍ
وأعتصر الفؤادَ عليكِ حزناً	فلا أجد العزاء ولا التأني
دفنتُ بكِ العظامَ خالداً	وملئتُ أخطأً في الآلام رمي
وما أنا غير آدمَ هام يبكي	على فردوسه في دار بؤسٍ
لقد باع الجنان بغير ذلٍّ	وبعتُ أنا الجنان بخفض رأسي

ممن لامل الصبر في

# حدود جديدة<sup>(١)</sup>

## للارض في الفضاء

قال كاتب المقال : — حدثنا ثلاثة من رجال العلم في مجمع بحوث سلاح الطيران الاميركي بمدينة أوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية : قالوا إن كلمة "دمستحيل" أصبحت من الالفاظ المهجورة في عصرنا الحاضر الذي يتبارى فيه العاملون ويكثؤ العلماء والباحثون في مختلف ميادين النشاط العسكري بحثاً متواصلاً . فإنّ ما وصل إليه العلم من ارتياد طبقات الجوّ العليا وكشف غوامض نواميسها وما هي عليه من بناء عجيب ليُعدّ فتحاً كبيراً في عالم البحوث العلمية الحديثة .

ولا جرم بأنّه قد عُرِفَتُ للأرض الآن حدود جديدة لا عهد للناس بها من قبل . وهذه الحدود هي في مجال الجوّ الأزرق البارد الذي يغلف الأرض ويحيط بها . فقد دلت البحوث على أنّ هذا الغلاف يمتدّ في جميع الاتجاهات الى مدى ست مئة ميل تقريباً من الهواء ينتهي بذرات قليلة منه مبعثرة يليها فضاء مطلق مجهول .

ولما كان علم الجغرافية في الماضي مقصوراً على درس الكرة الأرضية برّها وبحرها، فقد أصبح لزاماً الآن أن يضاف اليه جوّها كذلك ، بعد أن عُدَّ هذا الأخير ضمن حدودها . وما كان للعلم أن يبلغ هذا المدى لولا تقدّم فن الطيران هذا التقدم الباهر الذي كشف عن مجاهل لولاه ما أمكن ارتيادها . وإنّ كان ما يعلمه الناس عن فنّ الطيران شيئاً كثيراً ، إلاّ أنّ علمهم بهذه الحدود الجديدة أو بالحري هذا الجوّ المحيط بالأرض قليل جداً .

(١) مترجمة بتصرف من مقال لـ"سـ تـ فـ" . باروز كواتون عضو الجمعية الجغرافية الاهلية واشنطن



فهذا المحيط الهوائي ليس أقل شأنًا من الأوقيانوس الذي تمخر فيه السفن وتسبح فيه غنى الأحياء . وإنَّ ما يجري فيه له ما للعوامل الأرضية في مصير الإنسان . ومع أن المحيط الجويّ عظيم بهذا المقدار ، إلّا أن ما اكتشف منه لا يعدو بضعة أميال . فذو نحو عشر سنوات بلغ بعضهم إلى ارتفاع أربعة عشر ميلاً لا غير . أما الآن فقد بلغ ما كشف عنه العلم شيئاً كثيراً بفضل الطائرات كما قدّمنا والصواريخ المستحدثة حتى أمكن الآن رسم طبقات الجوِّ رسماً يكاد يصل إلى ما وصلوا إليه في رسم الأوقيانوسات وتحديد أبعادها .

ولقد بدت لهم أمور عجيبة في هذا العالم الجديد جديدة بالتأمل والفحص . من ذلك ما تبينوه بالاختبار من أن الطائرة إذا تجاوزت سرعتها سرعة الصوت أي ٦٦١ ميلاً في الساعة على ارتفاع ٤٠٠٠٠ قدم في جوٍّ برودته ٦٧° درجة بمقياس فهرنهايت لا تستطيع متابعة الطيران لأن الهواء يمنعها من ذلك وهو من الأمور العجيبة التي أشكل فهمها أولاً . وحدث ذلك عند إطلاقهم طائرة مقاتلة في أثناء الحرب العالمية الأخيرة بسرعة عظيمة جداً وكانت على هذا الارتفاع حيث بدا أمام الطيار طيفٌ غريب أخذ يتماوج مقابل أجنحتها وأمكن تصويره بآلة التصوير السينمائية . فكأن هذا الطيف حاجر منيع قام كالجدار في سبيل الطائرة منعها من المضي في الطيران بمثل تلك السرعة .

وتعليل ذلك على ما علمه المحققون أن ذرات الهواء لا تنفجر أمام الطائرة بالسرعة المطلوبة إذا كانت في مثل هذا الارتفاع وفي مثل هذا الجوِّ وعلى هذه السرعة ، فيتعدّر عندئذ تحريك أجنحتها على النحو المألوف ويقف الهواء حائلاً دون متابعة الطيران ولا يُستطاع التحكم في ادارتها وقد يتلف بعض أجزائها ولا يستقيم حالها إلا إذا خفّضت من سرعتها .

ومن دراسة جوِّ الأرض علموا أن الطيار إذا ارتفع بطائرته إلى ٤٠٠٠٠ قدم قلَّ نشاطه ووهنت قواه وتولّاه شيء من الذهول وأصبح كالنمل الذي يفقد الوعي وهو مع ذلك يشعر بأنه على أحسن ما يكون حالاً وما ذلك إلا لقلة أوكسجين الهواء عن نسبته الطبيعية . وإذا بلغ ٦٣٠٠٠ قدم ارتقاعاً أعلى دمه بسبب انخفاض الضغط الجوي . ولذا فقد اتّخذت الوسائل لصونه في مثل هذا الارتفاع الشاق . كما أن أصوات الطيارين تبلغ من

الضعف حدًا يجعلهم يستعينون بمكبرات الصوت لسماع بعضهم بعضاً وما ذاك إلا خلفه الهواء هناك .

وعلموا أن الجو المحيط بالأرض مؤلف من طبقات ثلاث :

الاولى - وتسمى بطبقة (التروبوسفير) أي المتغيرة وهي عند خط الاستواء ترتفع عشرة أميال .

والثانية - وتسمى (الاستراتوسفير) وهي تبلغ مع الطبقة الأولى مدى خمسة وثلاثين ميلاً .

والثالثة - تليها وتسمى (الايونوسفير) وهي تبلغ مع الطبقتين السابقتين مئتين وخمسين ميلاً تقريباً .

فالطبقة الأولى التي ترتفع عند خط الاستواء الى عشرة أميال تبلغ عند المناطق المعتدلة ثمانية أميال . أما فوق القطبين فيتفاوت ارتفاعها بين أربعة الى ستة أميال لا غير . وسُميت بالمتغيرة لأن فيها يتقابل الهواء البارد الجاف بالساخن الرطب فتتولد العواصف ويتقلب الطقس . ويكون الهواء في أعاليها بارداً وأقل كثافة كذلك . حتى أنه عند ارتفاع ٢١٠٠٠ قدم لا يستطيع المحال شمعة لقلة الاوكسجين - وإذا بلغت طائرة ما ارتفاع ٣٥٠٠٠ قدم غلى البنزين الذي بداخل خزائنها وفُقد مقدار كبير منه بالتبخر . وفيما وراء هذا الارتفاع يتغير لون الجو من أزرق الى أرجواني لقلة كثافة الهواء هناك فلا يوزع الضوء الشمسي كما يتم توزيعه في الأجواء المنخفضة حيث الهواء في كثافته الطبيعية .

والطبقة الثانية (الاستراتوسفير) يكون الهواء فيها صافياً خلوة من الغبار والغيوم والمطر ولا توجد بها عواصف ولا تقلبات جوية على الإطلاق . وهي باردة ولا تختلف درجة البرودة في ارتفاعاتها الا قليلاً . غير أن درجة الحرارة فيها تختلف في الشمال عنها في الجنوب . وما يدعو الى العجب أن أبرد منطقة فيها هي التي فوق خط الاستواء حيث تبلغ درجة حرارتها ١١°٢ فهرنهايت . وعلى ارتفاع يتفاوت بين ٢٥ الى ٣٥ ميلاً ترتفع درجة الحرارة الى ١٧°٠ فهرنهايت فتصير أشد حرارة من جو الصحارى اللافتح ويُظن أن الامتصاص الناقص من الهواء والأشعة فوق البنفسجية في منطقة الأوزون

والاشعة المنبثقة من الشمس والمرتدة من الارض هي سبب تلك الحرارة الشديدة . والمعتقد أن على ارتفاع ٤٥ ميلاً من سطح الارض يكون السكون التام شاملاً جميع الأرجاء لعدم قابلية انتشار المتوِّجات الصوتية لاتباعد ذرّات الهواء بعضها عن بعض . وتنداخل كل من طبقتي الاستراتوسفير والايونوسفير بعضهما في بعض على ارتفاع ٤٠ الى ٦٠ ميلاً .

أما طبقة الايونوسفير فهي مرآة موجات الراديو التي تعكس هذه الموجات وتعيدها الى الارض ثانية . ولولاها لما أمكن استخدام الراديو البعيد المدى . وصميت هذه الطبقة بالايونوسفير لأن ذرات الهواء بها مؤيَّنة أي أن بعض ألكتروناها قد دمر بفعل كل من الأشعة فوق البنفسجية والذرات المشحونة الصادرة من الشمس . ويوجد في السفتمتر المكعب من الهواء ما يقرب من نحو نصف مليون من الايونات أو بالحري الذرات المهشمة مع أن الهواء هناك قليل قلته في انبوبة الراديو المفرغة .

وتنعكس الموجات القصيرة للراديو المستعملة لمسافات طويلة بهذه الايونات انعكاس الضوء بالمرآة . فاذا بلغت موجات الراديو الصادرة من محطة الارسال هذا النطاق انعكست بزاوية الى الارض فتتلقاها أجهزة الاستقبال . ولولا طبقة الايونوسفير هذه لضاعت الموجات في الفضاء .

ويتألف الايونوسفير من ثلاث طبقات طاكسة تمتد الى مدى ٢١٥ ميلاً ( من بعد طبقة الاستراتوسفير ) وتختفي الطبقتان المنخفضتان منها ليلاً . أي من وقت غروب الشمس . حيث تكف أعضتها عن تمرير ذرات الهواء بها . غير أن الطبقة العليا تستمر ليلاً ونهاراً . وتختلف درجات الانعكاس تبعاً لمواقع البلاد من خطوط العرض بالكرة الأرضية واختلاف الفصول على مدار السنة . وهي تعكس موجات الراديو ذات التيار المستمر في الاصول أحسن منها في أي وقت آخر .

وبلغ الصاروخ الذي استعمله الألمان في ارتفاعه ٧٥ ميلاً من طبقة الايونوسفير المنخفضة وهو ما يزيد على ما بلغت طائره أو بلون ما . متخطياً طبقة الأوزون حيث تتقابل الشهب وحيث يبدأ وهج الفلق القطبي الشمالي .

وفي أطي طبقة الأيونوسفير . حيث تبلغ حدود الهواء نهايتها . يرق سطحه وتقل ذراته ويضمف تدريجاً ثم ينتهي بأن يتلاشى في الفضاء غير المدرك . وعلى ذكر الأوزون نقول أن من لطف الله وحكمته أن جعل للارض غلافاً منه على بعد ١٥ ميلاً من سطحها يقيها من مضر الأشعة فوق البنفسجية الصادرة من الشمس . يمتص الزائد منها فلا يسمح الا بمرور قدر معلوم . ولولا له لكان من المحتمل تلاشي الحياة من وجه الأرض .

\* \* \*

ومن خارج طبقة الأيونوسفير تساقط من الفضاء المجهول على أرضنا رجم غريبة مخترقة المحيط الهوائي المغلف للأرض وهي شهب تبلغ مليارات من الجزيئات معظمها من بقايا المذنبات المهشمة والتي في حال سقوطها ومرورها في طبقات الهواء العليا تشتعل بحرارة الاحتكاك فيشاهد وهج في الليل من جراء ذلك ، ثم تحترق فتتحول رماداً . ويطلق عليها غالباً اسم النجوم الساقطة والحقيقة أنها ليست نجوماً على الإطلاق . ويصل كثير منها الى ما يقرب من ٤٥ ميلاً من سطح الأرض . ولا يبعد أن تصاب طائرة ما تكون على مثل هذا الارتفاع بشهب ثاقب . وهو على صغره يسبب تلفاً محققاً لزيادة سرعته على سرعة رصاصة البندقية . ويعتقد بعضهم أن غبار هذه الرجم يكون ما يسمونه السحاب الليلي المضيء والذي يعلو سطح الأرض بنحو خمسين ميلاً . وهو أعلى سحاب وأندر . وممي بالسحاب المضيء لأنه اذ يقع عليه شعاع الشمس من الجانب الآخر من الأرض بسبب ارتفاعه الشاهق يبدو مضيئاً .

وثمة نوع آخر من الغيب هو جزيئات مشحونة مصدرها الشمس تسقط على الأرض مخترقة محيط الهواء . وهي نتيجة انفجارات تحدث في فترات متقطعة . وهي عملية أيضاً فتقع جماعات كذاذ منطلق من مضخة . غير أن القوة المغناطيسية التي حول الأرض تحول اتجاهات معظمها فتساقط على المناطق المتاخمة للقطين وتصلطم حال سقوطها بذرات الهواء فينبعث منها ضياء وهّاج هو ما يسمونه بالشفق القطبي الشمالي والشفق القطبي الجنوبي البهي المنظر ، والذي يرى عادةً على ارتفاع يتفاوت من ٦٠ الى ٧٠ ميلاً عن سطح الأرض — وقد شوهد مرة على ارتفاع ست مئة ميل . وهو ما حمل على الاعتقاد ببلوغ طبقات الهواء ذلك المدى .

وثالث هذه الشهب وأشدها غموضاً وإبهاماً هي الأشعة الكونية الدائمة الاشعاع وهي جزيئات مشحونة بالكهرباء . وسبب هذه التسمية أنها آتية من العالم الخارجي أو الكوني

من وراء المجموعة الشمسية . وقد يكون مصدرها النجوم القريبة أو العوالم البعيدة وهي واسعة الانتشار وتخترق أجسامنا من عشر مرات الى عشرين في الثانية بغير أن نشعر بها أو نفطن لتأثيرها . كما أنها تصل الى أعماق المناجم . غير أن ثمة سبباً يحمل على الاعتقاد أنها ذات تأثير في بيئتنا ذباب الفاكهة وفي أنواع هتى أخرى وفي نسلها على التعاقب . وقد يكون لها شأن خطير في مصائر البشر لم يعرف بعد .

وتمثل الأشعة الكونية القوة السالبة للذرة ولكنها تفوق القوة الطليقة في القنبلة الذرية بمراحل، ولو أنها لم تقيد بعد كما هو الحال في تلك . ولقد ذهب كثير من قوة هذه الأشعة صدئ لأن معظم ذراتها دُمر ما به من نوى (بروتونات) وعلى ذكر الذرة نقول إن نوى الذرات المستخدمة في القنبلة الذرية لم تحطم الا جزئياً .

وقد ينتفع بقوة الأشعة الكونية الى حدٍ كبير فالصواريخ التي تطلق الآن في الفضاء لأغراض حربية والتي ترسل لكشف الطبقات الجوية قد تطلق فيما بعد بقوة هذه الأشعة وكذلك الحال في المقذوفات المسيرة التي تتخطى نطاق جو الأرض وتسبح في الفضاء البعيد ولقد ساهمت الجمعية الجغرافية الأهلية بالولايات المتحدة الأمريكية مع هيئة الطيران الحربي الأميركي ومعهد فرانكلين للبحوث العلمية في الدراسات الخاصة بالأشعة الكونية وأطلقوا طائرة من قاذفات القنابل بعد تجهيزها بأجهزة خاصة لقياس قوة تلك الأشعة . فطارت عدة مرات الى ارتفاعات متفاوتة ما بين ٥٠٠٠ الى ٣٥٠٠٠ قدم فيما بين شمالي الولايات المتحدة وخط الاستواء . وكان في الطائرة بعض معادن معينة ومواد كيميائية مما يستخدم في بناء الصواريخ لمعرفة هل تتأثر بالأشعة وما نوع التأثير ومداه .

وهذه المحاولات وأمثالها مما قد تبدو للبعض غرائبها أو تفاهتها، حادت علينا بالكسب الوفير وكانت حاملاً له قيمته في احراز النصر في الحرب العالمية الأخيرة .

● التقلبات الجوية في طبقة الايونوسفير وإمكان الانباء بها ● — مما لوحظ ان الجزيئات المشحونة الصادرة من الشمس والسابتى الاشارة إليها والتي تنفجر فيتسبب عنها الشفق القطبي، هي ذات تأثير سيء في طبقة الايونوسفير العاكس لموجات الراديو فتضعف فيه خاصية الانعكاس وتعود إلينا موجات الراديو المرسله من جهة ما وكأنها معكوسة عن مرآة مشحونة وتصبح، أجهزة الراديو المستقبلية ذات الموجات الطويلة في حالة عجز عن أداء وظيفتها فلو أتيجت معرفة حالة طبقة الايونوسفير وما يطرأ عليها من تقلبات قبل حدوثها لأمكن استخدام طائرات القنابل التي تعتمد في طيرانها على اشارات الراديو غير المشوشة استخداماً جديداً . كذلك يستطاع تأجيل الاغارات الجوية أو ارسال الطائرات المسييرة بالراديو عبر

الحيط الجوي الى أنسب الاوقات وأوقفها لمثل هذا العمل . وقد أضحي هذا في حينه الامكان  
إذ أمكن معرفة التقلبات قبل حدوثها بأحدى الطريقتين الآتيتين :

الاولى بمراقبة السفع الشمسية ( وهي البقع السود التي تبدو من حين لآخر على قرص  
الشمس ) وملاحظة الوهج الساطع حول الشمس كذلك . وتنبس أطوار الاضطراب  
المغناطيسي للأرض الذي ينشأ باقتراب انفجار الجزيئات الشمسية المتجهة نحو الأرض . وهي  
ما سبقت الإشارة إليها فيما تقدم . وبذا يستطيع الأنباء بما يطرأ على طبقة الايونوسفير  
من التغيرات في اليوم أو اليومين التاليين .

والطريقة الثانية تتم بواسطة ارسال اشارات بالراديو ذات موجات مختلفة الى طبقة  
الايونوسفير لاختبار مبلغ كثافتها . ثم مراقبة ما ينعكس منها نحو الأرض وما يذهب هباء  
في الفضاء وبذا تعرف طبيعة الايونوسفير فيستطاع الأنباء بما يحدث من تقلبات طيلة  
أسابيع مقبلة .

ولوضع أساس ثابت للعمليات الخاصة بالحصول على المعلومات المتقدمة ، أنشئ نحواً  
من خمسين مركزاً للرصد الجوي في الولايات المتحدة ومدن ( الاسكا ) و ( كندا )  
و ( نيوزيلاند ) وأماكن أخرى حيث أخذت هذه المراكز في رصد الاحوال الجوية ،  
ومراقبة الظواهر الشمسية وكثافة طبقة الايونوسفير وتدوين كل ذلك على حدة ثم مقابلتها  
بعضها ببعض .

وما انتظم العمل حتى بدأ الفنيون من هيئة الاذاعة بالراديو بالمكتب الاهلي بالصمدار  
نشرة يومية تشتمل على التنبؤات عن الحالة الجوية في الساعات الأربع والعشرين المقبلة وعن  
الاقوات التي تكون فيها إشارات الراديو على أحسنها في بحر الأسبوعين التاليين أو الأشهر  
الثلاثة التالية وكانت صحة هذه التنبؤات منار الدهشة لانطباقها على الواقع انطباقاً تاماً .

واعتماداً على صحة هذه التنبؤات أغار رجال سلاح الطيران بحيش الحلفاء في الحرب  
الاخيرة إغارات موفقة غاية في الاحكام على العدو . وكذلك كان الحال مع رجال الغواصات فكان  
تبادل الاشارات بينهم وبين محطاتهم حسناً وافياً بالغرض . واستطاع سلاح الطيران بمعاونة  
مراكز الارصاد الجوية من النهوض بأعمال باهرة في الحرب الاخيرة فكانت تعبر الاوقيانوس  
الاطلانطي طائرات بمعدل ١٥ دقيقة لواحده حتى تيسر نقل نحو أربعة ملايين جندي  
بالطائرات الى أنحاء غنى من الأرض ، كما تم نقل جيوش الحلفاء بالطائرات في غزو مدينة  
بورما وإمدادهم بالميرة والذخيرة

واقعد كان للجيش الاميركي وحده تسع مئة مركز لرصد في خارج الولايات المتحدة في

كل بلد تقريباً من بلدان نصف الكرة الشمالي ، هذا علاوة على اكتشاف حالة الجو بواسطة الطائرات نفسها

أما لمعرفة اتجاه الرياح في طبقات الجو العليا فكانت تطلق البالونات الى ارتفاعات شتى ثم تُصوَّب اليها موجات الراديو فتعود الموجات منبهة بأما كن وجودها ، ومنها يُعرف بالحساب اتجاه الرياح ومدى شدتها ، وبواسطة الرادار يمكن معرفة حالة الزوابع لمسافات مترامية وتعيين مدتها بالضبط وتجنّب الطائرات مواطن الخطر وبذا يمكن تسيير الطائرات ليلاً ونهاراً وفي وسط الضباب أو السحاب

وتوجد شبكة للرادار في الهند الغربية لمراقبة الزوابع فأمكن معرفة حركات الانواء والعواصف لمسافات تتفاوت بين ١٠٠ و ٢٠٠ ميل لأن ذرات الماء العالقة بالسحاب أو الساقطة مطراً تعكس موجات الراديو المنطلقة في نطاق شعاع الرادار حاملة صورة مصغرة لحالة العاصفة ترسم على لوحة جهاز الرادار .

وتعكس الطيور المحلقة في الجو أشعة الرادار وبذا تمكن البروفسور موريس بروكس من درس طبائع الطيور القواطع بواسطة جهاز الرادار المقام على قمة أحد الجبال .

وبواسطة الرادار أمكن ارسال طائرة مسيّرة بدون طيار الى أي جهة أرادها المدير وتحريكها بالرفع والخفض والوقف ثم اعادتها، وكل ذلك بالطرق الآلية بواسطة مفاتيح مثبتة في لوحة أمام المدير .

وتنخطى أشعة الرادار نطاق عالمنا هذا . ولأول مرة في التاريخ أرسلت امارات الى جرم سماوي . فقد تمّ ذلك في ١٠ يناير عام ١٩٤٦ إذ أرسلت بواسطة الرادار امارات من أرضنا الى القمر ( والمسافة ٢٣٨٨٥٧ ميلاً ) فبلغته ثم عادت في ظرف ثانيتين وأربعة أعشار الثانية .

ويدرس العلماء الآن هل في الامكان وصول الانسان بمعاونة الوسائل العلمية الى أعلى طبقات الجو المحيط بالارض . وهل من الميسور تجاوز هذا النطاق الى الفضاء المطلق ثم العودة بسلام

وهكذا لا يقف مجهود الانسان وطموحه عند حد فهو دائم البحث راغب في المزيد

أمين عبده  
وزارة الزراعة سابقاً

## كيف هزم الأمريكيون والبريطانيون غواصات الالمان في المحيط الاطلنطي

« تقابل الاعماق أو استخفاء الغواصات — الدونار لدى اليابانيين — شبكة الطوربيد — الجهاز الالمانى الفاظف للسكريات — وسائل أخرى ألمانية للتغريب بدوات الحلفاء البحرية في المرحلة الاولى من الحرب — خبائر الحلفاء في تلك المرحلة — حراسة السفن بالقوافل — المرحلة الثانية لحرب الغواصات — الرادار مصدر انتصار الحلفاء — الرادار المتم بحرف س S — الالمان يجهزون غواصاتهم بأجهزة مضادة لاشعة مادون الاحمر — الالمان يطلون فعل الرادار الحديث سابق الفكر — الطائرات والبلونات الكشافات تنقضي على الغواصات النازية — كيف قوتلت الغواصات في خليج بكاي — المركبة البحرية الحاسمة لحرب الغواصات — الطوربيد السمي — كيف قضي البريطانيون على الطرايد السميعة — أجهزة الفوكر المدوية ومناقصها — مرحلة غزو نورمندي — الرثات الصناعية لتفنى الغواصات — طريقة الدفع الغازي — التربون الغازي » .

في سنة ١٩٣٩ كان الطيارون الأمريكيون لا يدركون الوسيلة التي تنبج لهم ابصار الغواصة وهم طائرون بطائراتهم . فنجم عن ذلك عجزهم عن مهاجمتها ، فتيسر بمعاونة العلماء لقوات الدول المتحالفة ، وذلك بعلمهم الرياضية ، تحديد الفترات الملائمة لإطلاق القنابل على الغواصات ، واختراع القنابل التي تصلح للطائرات المهاجمة للغواصات . ثم إرغامهم الى الوسائل الخاصة باستخدام العوامات الصوتية التي تنبج لهم العنور على الغواصات ، في الوقت الذي نعتقد فيه الغواصة أنها قد نجحت من يقصدون تدميرها .

وفي ذلك العهد تكشفت للأمريكيين وحلفائهم ، كثير من مبادئ الممارف ، إذ تبهر لهم رمم الخرائط التي تبين هجرات الحبثان وتنقلاتها في آفاق المحيطات . كما أتبع لهم حينئذ تعيين جميع المواضع المحددة بالجزائر البريطانية التي استقر فيها حطام المراكب التي غرقت هناك منذ أنق الناس السفانة ، وألهوا ركوب البحار . وكذلك استغفوا ملاح يبق السحك



وغمغمته وهو غائص في أعماق البحار . ووقفوا على التقلبات التي تطرأ على درجات حرارة المحيطات .

وكان الغرض من جمع هاتيك المعلومات جميعها ، تحسين الوسائل التي تكفل اكتشاف الفوَّاصات بالأجهزة الصوتية ، ثمَّ تدميرها . ومن الطرق التي درست لذلك القصد ، كيفية استخفاء الغواصات . إذ أدرك الباحثون أنَّ الغواصات الألمانية التي كانت تدهن عادةً بالدهان الاسود الحالك ، قد غيَّرت ألوانها ، فصارت مدهونةً بالألوان الأخضر الفاتح والاسمر الحائل ، والازرق البحري ، الضارب للخضرة ، أو باللون الأبيض ، « عندما تستخدم في أرجاء المحيط المتجمد الشمالي » . وكانت تصل أحياناً الى بعض فروع وزارة البحرية الأمريكية ، بعض معلومات وجيزة نافعة لحرب الغواصات . ومنها أنَّ أساتذاً في علم الحياة كان موظفاً في الاسطول ، تقدَّم بناءً على سؤال جاءه من أحد قناصي الغواصات ، في المحيط الهادي ، بحثاً مسهباً ، على عادات الطيور التي تأوي الى البحر الجنوبي لبلاد الصين . ولا شكَّ أنَّ أمضى الأسلحة لافائدة منه ترتجى ، إلاَّ إذا تقلده رجال أكفاء يمدُّون استخدامه وفق الحاجة . والدليل على صدق هذا القول ، إنَّ القوَّات اليابانية التي عهد إليها في مناهضة غواصات أعدائها كانت لديها أجهزة ( صونار ) تكنف الغواصات السائرة في الأعماق ، وتذيع موجات هديرها المترددة في اللجج ، وأجهزة أخرى لرادار . وذلك طيلة شطر من سنيِّ الحرب . ومع هذا لم تظهر جنودهم براعة في استعمالها كما كانت تصبو إليها دولهم ، فلم تنتفع بها النفع المنشود .

وفي الواقع أنَّ الحرب العالمية الثانية ، لم تحلُ من المتناقضات . ومثال ذلك إنَّ الاسطولين الأمريكي والبريطاني استطاعا صدَّ الغواصات الألمانية ، مع ما تقدَّم من وصف حالتها . وتكنت غواصاتها بمعاونة بوارجهما وطائرتيها ، من تدمير الاسطول الياباني التجاري ، فبلغ نصيب الأمريكيين من الظفر ، في ذلك الميدان ، قدر عشرة أمثال انتصار الألمان .

وكان اشتراك أمريكا في الحرب ، افتتاحاً رسمياً لمرحلة الحرب البحرية في مياه المحيط الاطلنطي ، وذلك من يناير الى سبتمبر سنة ١٩٤٢ . وفي تلك الفترة فازت الغواصات الألمانية بأقصى أمانها من الغنائم والضياع الأمريكية .

فأطلقوها بلا هوادة على السفن الأمريكية التي كانت تحتجاز المحيط الاطلنطي . ولم يكن لدى الأمريكان حينئذ وسائل كافية للحراسة ، ولا جنود متدربون على قتال الغواصات النازية ، صوناً لمراكب الجمهورية الأمريكية من الدمار المحتوم ، الذي كانت غواصات الاعداء تنزله بها . وقبلاً كان ينتفضي يوم واحد لا تفرق فيه سفينة أو سفينتان من سفن الأمريكان . وبلغ السيل الزبي ، إذ وصل عدد السفن التي خسروها في تلك الحقبة السوداء في شهر يونيو ١٩٤١ سفينة ، كان مجموع أوساقها ٧٠٧٢٠٠٠ طن فعدت أفدح خسارة شهرية خسرها الأمريكان في الحرب بأمرها .

وحينئذ اخترع البريطانيون شبكة للطوربيد ، مؤلفة من سلاك فولاذي شبكي الشكل يتدلى من جوانب المركب ، وقاية له من ضربات الطوربيد . وزودت بهاتيك الشباك مئات من السفن التي كانت تحتجاز أشد المناطق خطراً .

فلم يَسرَ الألمان مندوحة عن مقاومة الشباك الفولاذية سالفة الذكر ، فاختردوا جهازاً أطلقوه Pillenwerfer أي قاذف الكريات . وقد افترض سره ، على أثر إغراق غواصة ألمانية في مياه قليلة الغور ، بالقرب من ساحل فيرجينيا . وهي ولاية متاخمة لساحل المحيط الاطلنطي ، حيث انتزع سرها ، ( أي القاذفة ) ضابط أمريكي يقط ، من ضباط الاسعاول . وذلك من أسير ألماني من أسرى الحرب ، إذ سأله معلوماته في شأن بعض الفقاقيع الجمر ، الغريبة المنظر ، التي كانت تطفو على سطح المياه عند إغراق الغواصات النازية . فأجابه الأسير قائلاً : إن مبعثها جهاز الپلينتفر ، قاذف الكريات ، وهو يكاد يعمل مثل قذينة ضخمة من قناني مياه سلتزر المعدنية القلوية ، إذ يقذف كريات تنتج أهدافاً مزينة هي نوع من الفقاقيع الخداعة التي تخفي الغواصات الألمانية عن أبصار مطارديها ، فتفوز بالنجاة . وفي تلك المرحلة من مراحل الحرب السابقة ، برعت الغواصات الألمانية في اتباع وسائل أخرى ، شتتت للراوغة ، تخلصاً من قناصيها . فكانت الغواصة تطلق طوربيداً وثيد السرعة ، يترك أثراً من الزيت ، على سطح الماء تغرياً لمطارديها ، رجاء إقناعهم باتباع ذلك الأثر الزائف ، على حين تسلك هي طريقاً آخر ، تهرباً منهم . وروى حينئذ أحد المراقبين ،

أن غواصة ألمانية ، تخفّت بأشعة نصبتها على سطحها ، تضليلاً لأعدائها . وقد لجأت غيرها الى الاستتار عن الانظار ، بمدخن زيفة تقذف الدخان ، لتخدع قناصيهما . ولا مزية في القول إن تلك المرحلة ، قد حفّلت بأنباء إغراق السفن في المياه الأمريكية . وفي إبانها بلغ نجاح حرب الغواصات ذروته ، إذ كان إغراق الغواصة الواحدة يقتضي خسارة ١٩ سفينة تجارية أمريكية تبلغ أوساقها مائة ألف طن . فأفضى الأمر إلى مكابدة الحلفاء خسائر فادحة جداً ، إذ كان لديهم في سنة ١٩٣٩ سفن تستطيع نقل ٤٠ مليوناً من الاطنان ، فهبطت منقولاتها إلى ١٦٠٠٠٠٠ رطل .

وعندما اخترعت طريقة حراسة السفن بالقوافل ، تعاونها الطائرات الكشافة الواسعة الانتشار ، أصبح في مقدور الأمريكيين ، دحر تلك الغواصات من مياه ساحلهم الشرقي ، إلى مناطق خليج المكسيك . ومن ثمة هربت إلى البحر الكاريبي . وأخيراً قبل حلول شهر أكتوبر سنة ١٩٤٢ أرغمت غواصات الأعداء على الالتجاء مرة أخرى الى شمال المحيط الاطلنطي حيث كانت توجد مسالك القوافل الحارسة .

وغدت المرحلة الثانية التي بدأت في شهر أكتوبر سنة ١٩٤٢ وانتهت في شهر يونيو سنة ١٩٤٣ أخرج حقبة في حرب الغواصات الاطلنطية ، ولو أن خسائرها القصوى لم يتجشمها الأمريكان ، بل غيرهم من الحلفاء . وفي إبانها لم يدّخر الألمان وصماً في إطلاق العنان لغواصاتهم ، فباءوا أخيراً بالفشل الحاسم إذ كانوا يطلقونها كقطعان الدباب ، لافتراس سفن الأمريكان حتى بلغت مائة غواصة في المتوسط ، تجوب أعماق البحار أثناء الليل وأطراف النهار .

وكانت فصائلها تؤلف من وحدات تجي\* من أما كن نائية في أرجاء المحيطات ، تبعد مئات الاميال عن ميدان القتال البحري ، ولا تعتمد أن تشرع في الهجوم قدماً هجومًا مطرداً عدة أيام كل مرة . وكان المجال الرئيسي الذي نهجته لتدمير السفن الأمريكية هو منتصف المحيط ، حيث جعلت منه نفرة قاصية لا تستطيع الوصول اليها ، الطائرات الكشافة التي تطلق من قواعد البرية .

وتبيّن فيما بعد أن انتصار الحلفاء عليها حينئذٍ ، كان مرجعه ، عدّة عوامل ، أهمها

طراز استحدث وقتئذٍ ، من الرادار . ذلك أن الألمان كانوا قد سعتوا في أيديهم ، سعتوا شديداً أول وهلة عند ما تذرّع الحلفاء بالرادار . فظلوا زمناً لا يدركون الوسيلة التي توصلت بها قوات الأمريكان إلى اكتشافهم في أثناء الليل وتحميم الضباب . ولكن في شهر أكتوبر سنة ١٩٤٢ أتيح للألمان اختراع جهاز كشف اسمه لافط المباحث search receiver يسر لهم معرفة مواضع أجهزة الرادار التي كان الأمريكان يستعينون بها على مقاتلتهم عن بعد . وكان من شأن ذلك الجهاز تهيئة الوقت الكافي اللازم لغوصهم في أعماق المياه ، قبل أن تتمكن من العثور عليهم ، أجهزة الرادار التي كانت في حوزة الأمريكان .

فرد الأمريكان في شهري فبراير ومارس سنة ١٩٤٣ على تلك الوسيلة ، باختراع نموذج جديد من الرادار تتمم موجته بحرف ص . وهو نوع يختلف عما كان كشف الألمان يستطيع التقاط موجته اللاسلكية . فأسفر استعماله عن يأس الألمان وعجزهم عن الاهتداء إلى الطريقة التي كان الأمريكيون يتذرعون بها إلى فنص غواصاتهم ، وأفضى إلى تقصير أجهزتهم عن تبيان الطريقة الأمريكية المشار إليها . فلم يسمهم إلا تغيير أشكال أجهزتهم لعلمهم بوقوع حل المشكلة فأخفقوا في مساعيهم .

وما إن ذل الألمان ، طائفة من الحوائل التي كانت تعترض مداركهم حتى استقر رأيهم على كون الأمريكان يستعملون جهازاً حديثاً جداً من أجهزة أشعة ما دون الأحمر ، فجعلوا يزودون غواصاتهم بأجهزة تبطل مفعول ، ماتحيلوا وجوده لدى الأمريكان ، ففشلوا إذ ظنوا أن الأجهزة الأمريكية أصلح مما كان عندهم . فلجأوا أخيراً إلى دهن غواصاتهم بمواد صيرتها خفية حيال أشعة ما دون الأحمر واخترعوا اكتشافات لها ( الأشعة ) .

وأخيراً اخترع علماء الألمان في أواخر ربيع سنة ١٩٤٤ كشفاً لمفعول الرادار ذي الموجة المميزة بحرف السين ، بيد أن قادة غواصاتهم كانوا من قبل قد يئسوا من نجاحه فلم يدعوا لاطبة للأوامر التي قضت عليهم باستعماله .

ثم إن افراط الأمريكيين في الاستعانة بالطائرات الكشافية ، في مقاومة الغواصات ، كانت عاملاً حاسماً آخر من عوامل ظفر الحلفاء ، فأصبحت تلك الطائرات في الفترة من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٢ إلى شهر يونيو سنة ١٩٤٣ . أول مرة في الحرب الماضية ، نجحاً لدوداً

للقواصات. وقد استعملت أيضاً لغرض عينه ، بلونات الاستكشاف ، فلم تنجح إلا في أعمال القوافل الساحلية ، وذلك لضعف سرعتها وقصر مدى طيرانها .

وفي خلال تلك المرحلة استعمل جهازان جديدان لأجل الطائرات . وفي ربيع سنة ١٩٤٣ زودت طائرات ويلنجتون. الليلية بمصابيح كشافة قوية من طراز ( لي ) فهيرت نشاط القواصات التي كانت تحتاز خليج بيسكاي ، قاصدة الى القواعد الفرنسية ، مخفوفاً بأهد الأخطار . ولهذا أصبحت القواصات النازية تؤثر الصمود على سطح المياه نهراً بدلاً من الليل ، فصد تجديد ملء بطارياتها الكهربائية ، وتزويد خزاناتها بالهواء . فأفضت هذه الخطة الى زيادة ظهورها للعيان ، واستهدافها للأخطار .

وكان شهر مايو سنة ١٩٤٣ أظفح الأشهر خطراً في حرب الاطلنطي ، إذ بدأت فيه المعركة البحرية الحاصلة عند ما كانت تمخر عبابه ، قافلة مؤلفة من ٣٤ سفينة تجارية تمحصها ثماني مدمرات ، فهاجمتها القواصات الألمانية بعيد. منتصف ليل ٥ مايو من السنة نفسها فأغرقت القواصات في تلك الليلة ستة مراكب منها . ثم أغرقت ستة أخرى في اليوم التالي . ولم تستطع الطائرات الحامية لها الطيران حينئذٍ أكثر من ساعة واحدة في اليوم الاول لرداءة الأحوال الجوية . وبعد انقضاء ٢٤ ساعة على ذلك الهجوم ، سكن الجو وكفهر ، وعندئذٍ اشتدت شراسة المدمرات الحارسة فتمكنت في عتمة ليل ٦ مايو من رد ٢٤ هجمة قامت بها القواصات المعادية من دون مكابدة أية خسارة كانت من جانب الامريكان . وهذا عدا كونها في الوقت نفسه ، تيسر لها إغراق خمس غواصات وإللاف طائفة أخرى منها . ويومئذٍ كف الألمان عن القتال ولم يستأنفوه قط ، ولم يظهروا في هجومهم التالي على قوافل المدمرات الحارسة ، حماسة قصوى كالتى تميزوا بها في بدء الحرب . وفي شهر يوليو من السنة عينها قامت الطائرات الكشافة بتدمير القواصات بأقصى شدة إذ أنشئت حينئذٍ حاملات الطائرات لحراسة السفن التجارية حراسة وإفية ، سدت الثغرة التي كانت فتحتها القواصات في منتصف المحيط الاطلنطي ، حيث كانت القواصات الألمانية تتحين فرصة بعدها عن مجال طيران الطائرات التي كانت قاعدتها في الساحل ، فتفتك بالسفن بقصارى جهدها . وفي ذات مرة حسبت القواصات الألمانية تلك المنطقة كأنها وقاء خاص لها فحملت عليها حاملات الطائرات الأمريكية

الحراسة الأولى ، حلة شعواء حينما كانت هذه الغواصات طافية على سطح المياه ، وكان يجارها وقتئذٍ يتمتعون بالسباحة أو يمارسون الحمامات الشمسية ، فأغرقت منها الطائرات التي اتخذت قاعدتها في الساحل ٢٨ غواصة في غضون الشهر نفسه ، على حين أغرقت الطائرات التي كانت قاعدتها في الحاملة ، ست غواصات أخرى .

وأسفرت الخسائر الفادحة التي قاستها الغواصات النازية ، عن اتخاذها خطة الدفاع وقتاً ما ، فعدلت عن الحركات الحربية ، وكفت عن حملاتها التي كانت تفنها عند طفوها على سطح مياه المحيط الاطلنطي ، حتى أفضى بها الأمر الى قضاء أغلب ساعات النهار فائصة في أعماقها تجنباً لآخطار الطائرات التي كانت تنقض عليها .

وفي شهر أغسطس وأوائل سبتمبر سنة ١٩٤٣ ثارت القوات المتحالفة ، على الهجوم ، نجابت آمالها في الحيلولة دون اجتياز الغواصات النازية للمحيط الاطلنطي ، ومن ثمة الى القواعد الحربية الواقعة على ساحل خليج بيسكاي <sup>(١)</sup> اذ استطاع الالمان وقفها بمعاونة سلاح جديد من أسلحة الطيران ونعني به ( القنابل الطائرة ) التي تحرّكها الحركات الغازية <sup>(٢)</sup> ونسيطر عليها الطاقة اللاسلكية .

وفي أواخر شهر سبتمبر سُحبت القوات المتحالفة ، المدبرة للغواصات ، قصد مناهضة التهديد الذي وجه حينئذٍ الى الحلفاء ، من السلاح الألماني الجديد ، ونقصد به الطوربيد السمي . وهو من أعجب الأسلحة التي ظهرت في ميادين القتال حتى الآن . وناهيك به سلاحاً للغواصات . وبلغ من مفاخرة الالمان به أن حسبه وسيلتهم المثلى للنصر . ومن طريف أمره أنه كان لا يقتضي تسديداً الى هدفه ، وإنما يُلقى في اليمّ في الاتجاه العام الذي تسلكه السفينة حيث ينجذب إليها بدويّ مراوحها التي تحرّكها ، حتى ينهجر في كونها <sup>(٣)</sup> أو قريباً منه . ولهذا السبب استأف الالمان في ليل ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٣ القتال في شمال الاطلنطي ، وذلك بأسطول من غواصاتهم ، على قافلتين كانتا على مقربة من الساحل الغربي للاطلنطي . وفي تلك المعركة استخدمت الطوربيدات السميّة أول مرة . واستمرت الموقعة مدى ثلاثة أيام كان فيها الضباب الكثيف مخيماً حول الغواصات ، فعاقها عن أعماقها الجهنمية ، كما عرقل الطائرات التي كانت تدافع عن تينك القافلتين . وما إن انتهت المعركة حتى تبسّس للقافلتين أن ستة مراكب تجارية منها وثلاث سفن حارسة لها ، قد أغرقت ، وأن سفينة أخرى من

(١) خليج بسكاي جزء من المحيط الاطلنطي واقع في غرب دولتي فرنسا وإسبانيا في قارة أوروبا

(٢) سندف هذا المركب في آخر هذا البحث (٣) الكونل — مؤخر السفينة

الحارسات قد لحقها العطب. فبدأت تلك الكارثة على مبلغ فظاعة تأثير الطوربيدات السمعية. وقال الخبراء الحربيون وقتئذٍ « إن الألمان لو صبروا ربما يزودون بطوربيدات كافية من ذلك الطراز، وكذلك لو توانت قوات الحلفاء في إعداد الوسائل المضادة لتلك الطوربيدات، لرجحت كفة الغواصات النازية مرة أخرى ولصار الظفر حليفها ».

فاخترع البريطانيون في صيف سنة ١٩٤٢ جهازاً مُدَوِّياً لتفجير الألغام السمعية. ثم علموا من طرف خفي، في أواخر تلك السنة، أن الألمان يباشرون تجربة الطوربيد عينه، وتجلى حينئذٍ لقوات الدول المتحالفة، أن اختراع الوسائل المسكخفة لذلك السلاح ليس من الهبات الهينات. إذ كان واجباً جعل الجهاز المنشود صالحاً للملاحه كل الصلاحية. وكان لا محيص من سحبه فائصاً في المياه خلف السفن. كما كان لازماً جعله يحدث دويّاً متذبذباً من شأنه جذب الطوربيدات السمعية نحوه فتتخلص منها مراوح السفينة المنشودة.

وكان لدى البريطانيين حينذاك طائفة صغيرة من الأجهزة المدويّة المصار إليها مموها فوكسز Foxers معدّة لربطها بالسفن حينما تلاقىها قوات الألمان. وكان لدى الأمريكي أيضاً نموذج من هذا الجهاز صالح للعمل. وفي هذا الصدد يقول المؤلف الأمريكي وهو ضابط بحري عظيم نقلنا عنه هذا البحث، ما يأتي :-

« فلما حاقّت بسفننا هذه المفاجعة، كان في وسعنا اتمام صنع الأجهزة المدويّة اللازمة لنا، وذلك في أقل من شهر، فوزعناها فيما بيننا، وأوتقناها بالسفن الحارسة التي كانت تلازم الاستطلاع حول أطراف قوافلنا. ولما رجع النازيون بمحافلهم في شهر أكتوبر الى شمال المحيط الاطلنطي حيث كانت مسالك القوافل البحرية، مسلحين بذلك السلاح الجديد من أسلحتهم، كان الأمريكي على أتم استعداد للقائهم، فأتيح لهم هزيمتهم إذ خسروا سبع غواصات، مقابل كل سفينة تجارية استطاعوا إغراقها ».

وبدأت آخر مرحلة من مراحل حرب الغواصات من تاريخ غزو نورمندي في شهر يونيو سنة ١٩٤٤ الى يوم تسليم المانيا مقهورة. ولما شرعت قوات الحلفاء في الاغارة على نورمندي، أخفقت الجيوش الألمانية في محاولة ازال أضرار جسيمة بسفن الغزو. وذلك بالرغم مما استخدموه من الأسلحة الغريبة. وكان منها الزوارق السيّارة المتفجرة والقنابل الطائرة التي يرمز لها بحرف ثي رقم ١ - ( ٨ - ٤ ) ثم الغواصات القميثة<sup>(١)</sup> والطوربيدات البشرية، فتخلوا عن الحظائر المنبعة التي كانوا أقاموها على ساحل خليج بيسكاي. وهي التي

كانوا يشنون منها الغارات الجوية على أعدائهم ، وفيها صدوا الغارات لا تحصى رجهتها إليهم قوات الحفاء ثم أبحروا إلى بلاد النرويج مقهورين .

وتيسر للألمان باستعمال الرئات الصناعية للغواصات ، وهي اختراع هولندي اغتصبوه من هناك سنة ١٩٤٠ . والمرجح أنه قد اخترع قبلئذٍ بعدة سنوات ، فتمكن الألمان حينئذٍ من الاغارة على المياه المحدقة بالجزائر البريطانية عينها ، التي كانت مقرّاً لأجزل صيد غنموه في سنتي ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ . ويؤلف هذا الجهاز من أنبوب كبير يسهل للغواصة النجوال في اللجج بقوة محركات ديزل ، على عمق يتفاوت بين ٣٥ قدماً و ٤٠ قدماً فيغنيها عن الاضطراب الى الصعود على سطح المياه ، قصد ملء بطارياتها التي تمدّها بالطاقة الكهربائية ، وبقلل من استهدافها للأخطار عندما تتكشف للظواهر المهاجمة لها ، وتضعف من ظهورها تجاه جهاز الرادار وبالرئة الصناعية كانت الغواصات تنجو من الأخطار بمعدل يتراوح بين ٨٠ ٪ و ٩٠ ٪ ثم أصبحت السفن السابحة على سطح المياه ، المجهزة بمجهاز الصونار الكشف للغواصات أمضى سلاح لتدميرها ، وقد وصفها ( الرئة الصناعية ) كاتب آخر فقال : —

« هي كرة حديدية لأجل التنفس تشبه منظار الغواصة ، وبها تتمكن من المكث فائصة فترات مديدة ، وذلك في المناطق التي تخشى فيها الظهور والانعراض عليها لافتراسها عندما تصعد على سطح المياه . وتعرف هذه الرئة الحديدية ، عند رجال الاسطول البريطاني باسم صنورت Smart . وتؤلف من أنبوب ذي شكل مسير للتيار ، بارز على سطح المياه ، يدخل منه الهواء النقي ليحل محل الهواء الفاسد المتفشي في أنحاء الغواصة ، حيث يسد النقص الذي يحدث في الهواء المضغوط المستعمل لتنفس صهاريج الصابورة ويغنيها عن الطفو على سطح المياه قصد ملء البطاريات الكهربائية التي تستعمل في الملاحة في الأعماق . ومن منافع هذه الرئات الصناعية ، اخراج الغازات الضارة التي تتولد من أنابيب حادّ محركات ديزل التي تسير الغواصة في الأعماق ، ثم جذب الهواء النقي . وعندما يتصدى العدو للغواصة تخفض تلك الرئة وتعطل محركات ديزل وتحل محلها المحركات الكهربائية فتضطلع بالعمل ، عند شروع الغواصة في الغوص في اليم . وقد زعم الألمان أن هذا الجهاز قد مكن غواصاتهم من البقاء فائصة ٣٠ يوماً متواصلة . ومخترع طريقة ( الدفع الغازي ) هو فرانك هويتل البريطاني قائد الأسراب لتسيير الطائرات بأقصى سرعة ، وتلخص طريقته فيما يلي . —

يجذب الهواء النقي من الجو ويضغط حيث يُدفع الى المشعلة (١) فيلاقي رشاش الوقود السائل الذي يحترق احترافاً متتابعاً وحينئذٍ يتمدّد الهواء تمدّداً عظيماً بتأثير الحرارة

(١) للشعلة بفتح الميم - للوضع الذي توجد فيه النار .



ويمتزج بالغازات الساخنة المتولدة من الاحتراق ، ثم ينصب في ريش طارة التربين لكي يزيد سرعتها حتى تفوق ١٠٠٠٠ دورة في الدقيقة . وتنطلق الغازات ويجري الهواء ، من التربين الى طرف خرطوم ، في ذنب الطائرة ، ومنه الى الجو . وثمة كباس للهواء مثبت بمحور التربين نفسه ، يتناول قوته من مجرى الهواء المقترن بالغاز . ولهذه الطريقة منافع شتى . أولاها كونها محركاً مباشراً لايحتاج الى واسطة ، إذ تستفيد الآلة المحركة ، طاقتها من دون وساطة أية مروحة كانت من مراوح الطائرات التي من شأنها ، لا محالة ، خسارة بعض قوة الآلة المحركة . وثانية منافعها ، أن تجريد الطائرة من مروحتها . يهون عليها الطيران بأقصى قوتها في المرتفعات العالية حيث تستفيد من ضؤولة مقاومة الهواء في الارتفاع الشاهق . وتنتفع الطائرات أيضاً بالسكون الدائم للأحوال الجوية التي تعم الطبقة التي تعملوا الطخورية . وثالثتها أن خلو الطائرة من المروحة ، يستوجب جعل هيكلها قريباً من أرض المطار ، حيث لا تكون عندئذ في مسيس الحاجة الى ارتفاعها عن الأرض ، لتسهيلاً لتحرك مروحتها ، بلا اصطدام بأرض المطار قبيل وثوبها وارتفاعها في الجو . ورابعها - إن الطائرة متى خلت من مروحتها ، انعدم الهزيم الذي يقترن بطيرانها وأصبح لها استعمال الوفود الرخيص في مشعلتها ، فلا تحتاج الى كحول باهظ الثمن ، بل يكفيها حيثئذ ، الكيروسين وزيت الديزل والقطران و تراب الفحم الحجري . ويتميز هذا النوع من المحركات ببساطته وخفته وقوته إذ يحرق مزيجاً من الهواء ووقوداً آخر قد يكون الكيروسين أو وقوداً زيتياً أيضاً كان ، كما سلف القول . وقد وصفه كاتب أمريكي وصفاً موجزاً فقال : - يتولد من الغازات المتعددة التي تنشأ عن الاحتراق ، دوران ريش ، عجلة التربين حين تتحرك بقرب حارة البخار العادم . ويوصل التربين بكباس هوأئي شديد الضغط ، يتابع ضغط الهواء في المشعلة . وتستعمل الطاقة الزائدة على الحاجة ، التي لا يستنفدها الكباس ، في أعمال أخرى . وكانت القاعدة الأولية لاختراع التربين الغازي ، معروفة منذ عهد بعيد ولكنهم لم تنفذ في حينها لعدم وجود المعادن الصالحة لاحتمال حرارة الاحتراق في مشعلة الجهاز المقصود استعماله ، وهي المشعلة التي تستعمل لادارة ريش التربين . ثم أتيح انتاج فلزات نصف مقاومة ، صالحة لهذا الغرض ، يتسنى تكييفها تكييفاً يلائم الطائرات ، حيث تستعمل عجلة التربين المركبة في التربين الغازي ، ما تمس اليه حاجتها من الطاقة اللازمة لادارة الكباس الهوائي الشديد الضغط . أما الغاز العادم الذي يبقى مضغوطاً ، فيقذف بسرعة عظيمة من الانبوب الخلفي . ويقوم مجرى غاز العادم العظيم السرعة ، بالدفع الذي يحرك الطائرة الى الامام .

عروض جنري

## قصر الحمراء

توسعت الشمس كبد السماء ظهر يوم الاثنين لاربع خلون من شهر اغسطس ١٩٤٧ حين أخذت سيارتنا نهدى من مرعتها بعد أن كانت تنهب الأرض نحو أربع عشرة ساعة من مسيرها من قرطبة ، وكان ذلك ايذاناً بأننا أشرفنا على مدينة غرناطة حاصمة الخلافة الاسلامية في الغرب إبان القرون الوسطى . فلاح لنا من بعد سحابة كبيرة تملأ الأفق الجنوبي ما لبث أن تكشف عن حالة بيضاء من الثلوج تتوج قمم جبال سير انفسادا التي تنتشر على سفوحها المروج الخضراء والأشجار الباسقة . اشرأبت رؤوسنا لنتبين ما تكنه من المباني ، فاذا هي قلاع الحمراء ، أول ما يراه المسافر الى غرناطة (شكل ١) ، فعلت وجوهنا صمات السرور ، وفاضت أساريرنا بما يكنه كل منا من الحنين نحو هذه البقعة التي شهدت مجد العرب الباذخ وعزم التليد ، وامتلات نفوسنا أسمى وحسرة على ما فقدناه من عزٍّ وعظمة في هذه الجهات .

اقتربنا رويداً رويداً نحو المدينة فظهرت لنا قلاع الحمراء شديدة على أربعة تلال على ارتفاع ثلاث آلاف قدم للدفاع عن السهل الخصيب الذي تمتد فيه مدينة غرناطة . وقد حصنت الحمراء من الجهة الشمالية تحصيناً طبيعياً بسفوح سير انفسادا بينما حصنت من الجهة الأخرى المظلة على المدينة بقلاع حمر تبدو على مظهرها الخارجي العظمة والقوة وتوحي الى العدو المهاجم عليها الرعب والجبروت

انساب سيارتنا تجوب شوارع غرناطة في زهو ودلال تحمل ركابها من العرب الى مجدم الفابر ، حتى وصلت الى مقر سكن طلبة جامعة غرناطة . وهو منزل رحب فسيح الجنبات ، بني على الطراز الشرقي العراقي الذي انتشر في الشرق الاوسط وخاصة مصر في القرون الوسطى . وهو بناء ضخم يتوسطه فناء رحب تحيط به عقود تحمل شرفات تطل عليه . واستقبلنا بما يجب أن يستقبل به كل ضيف كريم بل بما يستقبل به أهل بيته فاب

عن بيته زمناً طويلاً ، فأكرمت وفادتنا ، وحينئذ بأحسن تحية ، ونجاذبنا أطراف الحديث من ذكريات وتبادلتنا ما يتعلق بالشعبين الاسباني والمصري من العلاقات القديمة والحديثة . وامتد بنا الحديث الى تاريخ غرناطة ، ويبدو لكثير من المصريين عن تاريخ العرب في اسبانيا أنهم استولوا عليها في أوائل القرن الثامن الميلادي وخرجوا منها في نهاية القرن الخامس عشر بعد أن تركوا بها أثراً لا يحى من مجد تليد هو قصور الحمراء .

إلا أن معظم هؤلاء مجهلون تاريخهم بأسبانيا بالتفصيل ، ولا يتسع المجال لبيان ذلك ويمكن القول بإيجاز أن العرب فتحوا اسبانيا سنة ٧١١ وعبروا حدودها الى ما وراء البرانس في فرنسا ثمالات وكانت لهم حضارة زاهرة أثرت كثيراً في حياة اسبانيا بصفة خاصة وأوروبا بصفة عامة . واتجهت أنظارهم الى أكثر سهول أسبانيا خصباً وأوفرها غلة وألطفها جواً وهي سهول الأندلس وسفوح سيرا انقادا الفنية بكرومها ورياضها .

استولى الملوك الناصريون على غرناطة في القرن الثالث عشر واشتركوا مع محمد بن الأحمر في حكمها واتخذوا الحمراء مقراً لها . وأمدتها محمد بن الأحمر بالمياه من نهر دارو الذي تطل عليه كما فوّى حصونها القديمة بإضافة برج الحراسة كما شيد في هذه الجهة برجين آخرين وحائطاً ضخماً بارتفاع هذه الأبراج .

وبنى حنيفة محمد الثالث المسجد الملكي الذي حوّل في القرن السابع عشر الى كنيسة سانت ماري الخالصة ولم يبق من هذا المسجد سوى بقاياها كالتقديله البرونزي المحفوظ بالمتحف الأثري بمدريد .

ثم قامت في عام ١٣١٤ ثورة عنيفة انتقل الحكم بمدها الى بيت اسماعيل ويوسف الأول ومحمد الخامس الذين يرجع اليهم الفضل في تشييد معظم أبنية الحمراء والحائط الذي يحيط بها في القرن الرابع عشر .

وفي القرن الخامس عشر تكاثفت الدول المسيحية على المسلمين الذين دب الانقسام بينهم واستردوا المدن الاسبانية الواحدة تلو الأخرى حتى لم يبق للمسلمين في هذا القرن إلا غرناطة ولم تلبث هذه أن سقطت في يد المسيحيين في ٢ يناير ١٤٩٢ على يد أبي عبد الله آخر ملوك غرناطة وسلم مفاتيح الحمراء عقب خطابه المدهور في قلعة المدينة الذي أعلن فيه

أن غرناطة للمسيحيين رفع بعدها الصليب الى أعلى القلعة وحوله الأعلام المسيحية إيداناً بنصرهم ، وبانتهاء حكم العرب في الاندلس . ولا يتجاهل المسيحيون هناك فضل العرب عليهم في حضارتهم وأبنيتهم . ولقد ظفرت الحمراء منهم بالعناية بها رغم ما توالى عليها من أحداث خربت الكثير منها مثل ثورة المغرب ١٥٦٩ وزلازل ١٥٢٢ وما دمرته جيوش نابليون في منتصف القرن التاسع عشر من قلاع كانت منار خوف دائم لهم .

\*\*\*

وكان شعور ايزابلا الثاني بدء اصلاح شامل للعمراء الا أنه لم يكن الاصلاح المنشود لانه قام على أساس غير معماري ، لم يراع فيه الروح الفنية التي كانت موجودة في عهد المسلمين . وقد اهتم بالمحافظة عليه القائمون بالاشراف على الآثار في اسبانيا الآن . ولا ترجع شهرة غرناطة الى شكلها الذي يشبه الرمانة المشقوقة ( Granada ) وإنما الى قصور الحمراء التي بها . ويطلق الاسبانيون خاصة والاوربيون عامة كلمة المهربا خطأ على الحمراء وقد اشتق اسم الحمراء من بني الأحمر ، وقيل أيضاً أنه نسبة الى لون التربة الحمراء الذي يتكوّن منها سفح الجبل وبنيت بها . كما أنه عرفت هذه المنطقة بالحمراء نسبة الى قلعة قديمة تعرف بهذا الاسم مجاورة لقصور الحمراء .

وتتكوّن الحمراء بشكلها الحالي من بهو البركة أو الريحان تتقدمه قاعة السفراء وعلى يسارها المسجد الخاص يقابله من الجهة اليمنى الحمامات ، وبهو السباع تحف به من الشمال قاعة الاختين ومن الجنوب قاعة بني سراج ومن الشرق قاعة العدل ثم يلي هذا البناء جنة الريف ويحيط الجميع أسوار الحمراء وأبراجها . وسيأتي ذكر كل هؤلاء بالتفصيل كما رأيناها استمدنا هذه الذكريات المجيدة وقت القبول . وهو الوقت الذي يلجأ فيه معظم الاسبانيون الى منازلهم بعيداً عن حرارة الشمس وفيظها العديد في فصل الصيف . ولما اعتدل الجو عند الاصيل استقلينا سيارتنا نحو الحمراء ، فعبرنا نهر دارو أحد فروع نهر الوادي الكبير الذي يخترق مدينة غرناطة . ثم أخذت السيارة تصعد طريقاً مرتفعاً ضيقاً يصبه الطريق المؤدي الى باب المدرج ومسجد محمد علي باشا بقلعته بالقاهرة . فلاح لنا أسوار الحمراء وأول أبراجها ، وهو باب العدل بلونها الأحمر وشكلها الجاف الذي لم يحمل

من الزخارف ما يدل على جمالها سوى القوة والعظمة .

وبرج العدل أحد الأبراج الأربعة التي يتكوّن منها مدخل الحمراء وهي برج السلاح و برج الملوك المسيحيين و برج الخزائن السبعة والرابع وهو برج العدل ، وأهمها جميعاً وتتكوّن واجهته من عقدتين على شكل حدود الفرس كالعقود المغربية المنتشرة في أسبانيا وشمال أفريقيا . ويضم العقد الأول النص التاريخي الآتي : —

« أمر ببناء هذا الباب المسمى بباب الشريعة أسعد الله به شريعة الإسلام كما جعله نفراً باقياً على الأيام الامام مولانا أمير السلطان المجاهد العادل أبو الحجاج يوسف ابن مولانا السلطان المجاهد المقدس أبي الوليد بن نصر كاف الله في الاسلام صنائمه الزكية وتقبل أعماله الجهادية فشيّد ذلك في شهر المولد المعظم من عام تسعة وأربعين وصبغته جملة الله عدّة واقية وكتبه في الاعمال الصالحة الباقية » .

كما كتب على تاج العمود الايمن لهذا الباب « الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله » وعلى التاج الايسر « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

وأصل هذا البرج مرقم قائم الزاوية لكي يقلل من شدة اندفاع المغيرين عليه وقت الخطر ولكي يحجب الداخل عن أنظار المارة .

اجتزأنا هذا المدخل الى طريق طويل ضيق تحفه أشجار سامقة الارتفاع ، خلفها ملوك الحمراء للشهد على عزهم وما غدر الدهر بهم . يرتفع الى يمينها سور ضخم يخفي وراءه حدائق يالعة منسقة تنسيقاً بديعاً يشهد على حسن ذوق الفن العربي

ثمّ عرجنا يميناً نحو قصر شارل الخامس أحد ملوك أسبانيا في القرن السادس عشر وقد بني هذا القصر على أنقاض جزء كبير من القصور الاسلامية وتعمّد فيه صاحبه أن تكون هندسته على طراز النهضة ليصرف أنظار الناس عن عظمة الحمراء وروعة زخارفها ولم يتمم صاحبه إلاّ دهليزاً دائرياً مسقفاً بسقف مغلى بأذنية تحيط به فناء مستدير مكشوف فبدأ قصر شارل وصمة في جبين لآلى الحمراء الرائعة .

يجاور هذا القصر دهليز يقع الى الجنوب من صحن البركة أو صحن الريحان ، فأمرعنا نحوه في لفة وشوق ، وما كاد بصرنا يقع داخله حتى بهرنا وأخذنا من روعة الفنون العربية





( شكل ١ ) - فلاح الحمراء بين جبال سيرانقادا ومدينة غرناطة



( شكل ٢ ) - بهو البركة او قاعة الريحان

والأعمدة الرخامية الرشيقة والنقوش الجمية الرائعة وما عليها من كتابات عربية أغلبها شعار ملوك الحمراء « لا غالب إلا الله » ( شكل ٢ )

وطول هذا الصحن ٣٦ر٥٠ متراً وعرضه ٢٣ر٤٠ متراً ، يتوسطه حوض طويل أقيم في منتصف ضلعه الأصغر نافورة كبيرة كما يتوسط الحوض بالوعة لتصفية مياهه . وقد راعينا ما أضافه الأسبانيون الى مياه البركة من الاسماك الصغيرة المختلفة الالوان .

وتنسب هذه القاعة أيضاً الى شجيرات الريحان التي أقيمت على جانبي البركة على هبة حائط ارتفاعه نحو متر ، تنبعث منها رائحة ذكية يحملها الهواء الى القاعات المشرفة عليه وفي شمال هذا الصحن صبع عقود تامة الاستدارة أكبرها العقد الأوسط عليها شرفات ومقاصير تحار العقول في وصفها ، يماثلها في الجنوب صبع عقود أخرى فوق أعمدة رشيقة تهدم ما فوقها من شرفات لبناء قصر شارل الخامس خلفها .

وقد زخرفت العقود والمساحة التي تعلوها بالجلس المزخرف بفروع نباتية وأنصاف أوراق النخيل بدفة فائقة كما تنتشر عليها كتابات عربية تنتهي نهاياتها بزهور على أرضية نباتية . ويحيط بعقود الأبواب والنوافذ شريط من النسيفساء تكررت فيها آيات قرآنية وكتابات دعائية مثل « نصر من الله وفتح قريب » . و « بشر المؤمنين » كما كتب في بطن العقد الأوسط « عزّ لمولانا أبي عبد الله » وعلى العقود الصغيرة « محمد رسول الله ولا إله إلا الله » . ويعلو هذه العقود بلاطات جصية مخزمة ينفذ منها الضوء إلى داخل العقود كما ينتشر خلالها تيار من الهواء البارد المستحب صيفاً فيملطف من هواء القاعات المشرفة عليه وأهم ما يمتاز به هذا الصحن عن بقية القصر تلك الزخارف النباتية ذات الطابع الفارسي التي تملأ العقود .

يلي هذا الصحن من الشمال ردهة صغيرة تفصل بينه وبين قاعة السفراء . وهي قاعة مربعة تتوسطها نافورة صغيرة ، يتجلى في زخارف سقفها مهارة أبداع الفنانين ولا يفوقها في جمال ناسقها ودقتها سوى قاعة الاختين التي سورد ذكرها .

قاعة السفراء: أنشأها أبو الحجاج يوسف بن الأحمر وهي مربعة الشكل طول ضلعها ١١ متراً ومغطاة بقبة من الخشب أقيمت على صفوف عديدة من المقرنصات والدلايات التي تدعو إلى



الاحجاب ويحار في وصفها العقول لدقتها ووفرة زخارفها ونقوشها الذهبية الختانة في وحدتها المتحدة في مظهرها العام في جمال وانسجام .

وهي كغيرها من أبهاء الحمراء كسيت أسافل جدرها ببلاطات القيشاني الزرقاء اللون وزخرفت بأشكال نجمية تشبه تلك التي رآها في المساجد المملوكية عندنا ، وتوسط هذه النجوم شعار الدولة الإسلامية هناك « لا غالب إلا الله » وقد لاحظنا أن بعض هذه البلاطات قد سقطت من موضعها واستبدلت بأخرى عليها شعار الدول المسيحية التي تعاقبت على حكم غرناطة بعد ذلك .

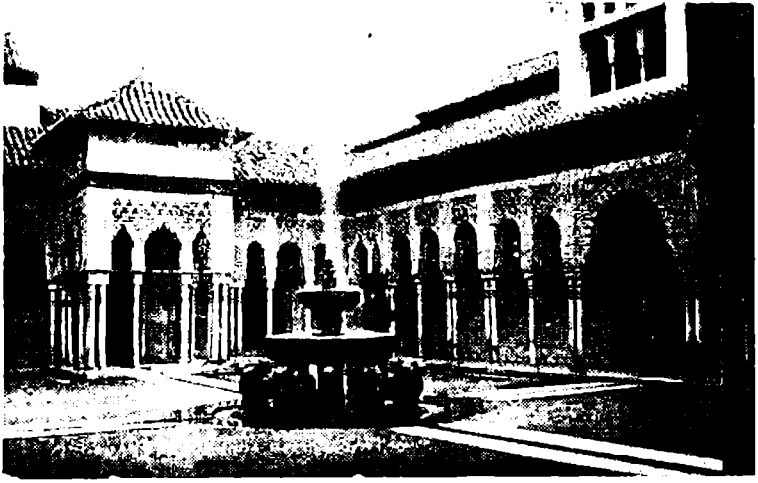
ويتوج القيشاني شريط من الكتابة الكوفية تشمل بعض أدعية لسلطان أبي الحجاج يوسف كما نقش فوق المدخل سورة الضحى .

وبهذه القاعة ثلاثة نوافذ كبيرة على هيئة طنف ( بلكونات ) يتوسط كلاً منها عمود رخامي رفيع يقسمها الى قسمين ينتهيان بعقدين جميلين ويلاحظ أن قاعدة هذه النوافذ منخفضة بحيث يمكن للجالس على وسائلها رؤية نهر دارو وقاباته وأقدم أحياء المدينة .

وإلى يسار قاعة السفراء تحفة رائعة أخرى هي المسجد الملكي الخاص . وهو على صفوه من أبداع وأروع المساجد الإسلامية في العالم ، وقد بناه محمد الثالث المصفي بأبي عبد الله وزخرفه بالفسيفساء ووريدات من الفضة ونقوش من الذهب . ويحيط بالحراب أشربة من الكتابة الكوفية . كتب في مبدأ عقد الحراب « ولا تكن من الغافلين » وعلى العقد نفسه الشكر « ولا غالب إلا الله » بالتبادل مع « العظمة للخليفة أبو عبد الله » .

ولا تختلف نوافذ هذا المسجد عن نوافذ قاعة السفراء في مظهرها العام تحيط بها شريط من الكتابة كالبسلة ، وآية الكرسي ، على أرضية نباتية في غاية الدقة والخراج . ولقد عسف الدهر بهذا المسجد غوالة شارل الخامس إلى كنيسة صغيرة ثم أعيد إلى سيرته الأولى بعد أن تعهدته يد الإصلاح ثانياً وظهرت معالمه الأولى الجميلة .

يفتح هذا المسجد من الجهة الأخرى إلى سطح برج من أبراج القلعة وقعنا فوقه بين مندهش ومعجب بطراز الفن الإسلامي في هذه القاعات والأبهاء وعناية المسلمين به . حتى أذنت الشمس بالمغرب وسجى الليل ولم نستمتع بزيارة الحمراء إلا نصفها ، فأرجأنا



(شكل ٣) - بيت الصباغ



(شكل ٤) - جانب من جنة العريف بنافوراتها البديعة

زيارة الباقي إلى اليوم التالي وعدنا من حيث أتينا بعد زيارة أعظم وأكبر قصر اسلامي في العالم لا يزال محتفظاً بحالته وجماله منذ القرون الوسطى ، لما تتجلى فيه عبقرية الفنانين من ابداع في زخارفه مع وفرتها ودقتها حتى ليقال في بعض الاحيان أن الطراز المغربي الاندلسي في الفن الاسلامي ينسب إليه .

وفي عصر اليوم التالي استأنفنا زيارة باقي قاعات وأبهاء الحمراء ولقد صدق المثل القائل ما خفي كان أعظم ألا وهو هو السباع فبدأنا بزيارته . وهو أوسع ما في القصر شهرة في العالم . قد بني في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي ويبلغ طوله ١٠٠ قدم وعرضه ٥٠ قدم قسمت أرضه إلى أربعة أقسام مغطاة بالرمل متصلـا بلاطات طويلة من الرخام يحيط بها بوائك مرفوعة على ١٢٨ عمود رشيقة من أحسن أنواع الرخام وضعت اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة في تناسق جميل ، تحمل عقوداً تامة الاستدارة من أدق وأحسن ما أخرجته الفنـان وتملأ المساحة التي تعلوها زخارف مخزومة جاءت آية في الابداع ولا يزال محتفظ الكثير منها بجماله الأصلي وألوانه المختلفة بالرغم من زوال بعض زخارفها . وقد تناولت يد الاصلاح كثيراً من هذا الجزء وطلاته بلون أبيض ، لم يحجب ما تحته من الالوان الطبيعية الأصلية في كثير منها . وينسب هذا البهو الى النافورة التي تتوسطه وهي سدسة الشكل يبلغ قطرها ١٥٠ متراً وقد صنعت من الالبستر رفعت على ظهـور اثنتي عشر سبعمـا من المرمر الأبيض عليه كتابة كوفية مطلعها البيت الآتي :

تبارك من أعطى الامام محمداً . مغاني زانت بالجمال الفانيا

وما يجدر بالذكر أن هذه السباع متقنة الصنع إلا أنها بعيدة كل البعد عن محاكاة الطبيعة كشأن النحت الاسلامي في تصوير الكائنات الحية ( شكل ٣ )

وسقفت القاعة ببلاطات حمراء حديثة لا تختلف عن الأصلية في شيء سوى أن الأخيرة كانت مغطاة بطبقة زجاجية لامعة مختلفة الألوان .

ويشرف على هذا البهو من الشمال قاعة الاختين تتوسطها قاعة أخرى تسمى قاعة الملكة وتطل قاعة الاختين من الجهة المقابلة على حدائق الملكة . ويقال إن هذه القاعة تنسب إلى أختين لأحد ملوك بني الأحمر .

وتعد هذه القاعة أحد أجزاء القصر الخاصة بالملك وحريره وتصل من ثلاث جهات بثلاث مقصورات صغيرة أعدت للنوم . ولا يداني هذه القاعة أي جزء آخر من أجزاء الحمراء لجملها وتناسق زخارفها الجصية الدقيقة ودلائلها المذهبة المدلاة من عقود تعد المنزل الرائع لهذا النوع .

وفي الجهة المقابلة بقاعة الأخنتين تجدد قاعة بني مرّاج وتنسب إلى وزراء بني الأحمر ويقال إن فيها كان مصرعهم . وقد تناول هذه القاعة الإصلاح العامل خلال العصور التالية فزخرفت بكثير من الزخارف التي تمتلئ بها جدران الحمراء دون مراعاة لازخارف الأصلية التي كانت بهذه القاعة . وما يجدر ملاحظته هنا أن عقود هذه القاعة ترتفع مباشرة فوق أعمدة على تيجانها شعار المعروف « لا غالب إلا الله »

قاعة العدل : وهي من عهد محمد الخامس وتقع إلى الشرق من بهو السباع ويفصلها عنه ممر طويل يفتح في ثلاث أبواب صغيرة تكون قاعة العدل غطيت بأبواب قباب صغيرة نقشت بنقوش جصية بدیعة تمثل المحاكاة ، منها يد مرفوعة إلى السماء ومفتاح يشير إلى العدل . وأهم ما يلفت النظر في هذه القاعات طريقة زخارفها وكتاباتهما ووريداتهما المذهبة وعقودها . وما يبرر الرأي لون الزخارف النباتية الزرقاء تحت الكتابة . وفي المساحات التي تعلو العقود وقد تغير اللون الأزرق قليلاً لتعاقب العصور وهو أحد الألوان الثلاثة الرئيسية التي تتكون منها زخارف الحمراء جميعها وهي اللون الأزرق والأحمر والأصفر الذهبي . أما الألوان الأخرى فتأتي في المرتبة الثانية وأهمها اللون القرمزي والبرتقالي والأخضر الذي نراه في فسيفساء سفلى الجدران .

ولم يراع الدقة في إعادة بعض الألوان إلى لونها الأصلي وخدع المصلحون بتقليد اللون الحالي الذي تغير بفعل الهواء والرطوبة على مدى العصور وحتى هؤلاء لم يهتموا بالدقة في خلط الألوان بالنسبة الصحيحة ولا في تنفيذها . فاستخدموا اللون الأخضر القرمزي بدلاً من الأزرق الأصلي فجاءت ألوانهم غير متناسقة مع نظيرها من الألوان الأساسية القديمة يتصل بهو السباع من الشمال الشرقي بأقدم أجزاء القصر وهي الحمامات الملكية المبنية على النظام الروماني ونجد منيلها في قصر مرّا الأموي ببادية الهام . وتتألف من قاعة

كبيرة مغطاة بقبة كبيرة أقيمت على عقود رشيقة يحيط بها شرفة تصدح فيها جوفة موسيقية من الغواني لتشف آذان المستحمين الذين يستريحون تحتها من غناء الاستحمام .

وبها فتوح جصية مذهبة ونصوص من الشعر في مدح يوسف وأخرى تدل على الغرض من هذا المكان .

تصل هذه القاعة بثلاث حجرات أخرى صغيرة ومربعة ترتفع درجة حرارتها كلما توغلنا نحو الحجرة الثالثة . وفي الأخيرة حوض صغير من المرمر عليه صنوبر مياه . وخلفها الموقد وقد تهدم ، وكان يعد الحمامات بالمياه الساخنة والحرارة في قنوات تمتد تحت أرضية الحمام الرخامية البيضاء . وهذه الحمامات مغطاة بأنصاف قباب تتخللها فتحات نجمية الشكل نبتت عليها قطع زجاجية مختلفة الألوان تنفذ منها أشعة متباينة تضفي على المكان روعةً وجمالاً . خرجنا من هذا المكان نجتاز حدائق فيحاء تحيط بالجرء وتعرف بجنة الريف ( شكل ٤ ) ويطلق عليها الاسبان خطأ جنراليف . وقد حوت من أنواع الزهور والورود أحسنه تحف بها الأشجار السامقات في السماء وتتوسطها نافورات مختلفة الأشكال تندفع منها المياه في أشكال عقود متقابلة ومتقاطعة فتأخذ بالألوان وتحار منها العقول ، وكلما اجتازنا حديقة ارتقينا عدة درجات لإدارة حديقة أخرى مرتفعة عن الأولى حتى الثالثة تفوح منها رائحة الزهور الفيحاء .

ويروي القصر وحدائقه شبكة جوفية من القنوات في نظام هندسي بديع لا يراه الانسان الا حين تنكشف بعض أجزائها ويرتفع منها خير الماء في نعمة موسيقية شجية ويندفع الماء في قوة ليروي الحدائق ويمد النافورات التي في أسفلها بالماء . ويقال إن هذه المياه تنحدر الى الجرء انحداراً طبيعياً من النلوج الذائبة التي تتوَجَّ هامة جبال سيرانفادا . وقد استغلَّ الفنانون هذا الانحدار في الانتفاع بالماء في أحسن صورة وأروع نظام .

انتهى بنا المطاف الى برج المنطرة الملكية وهي مقصورة كبيرة تشرف على مدينة غرناطة والتي كل منا نظرة على ماضي العرب في هذه الديار وكانت الشمس قد قاربت قوسين أو أدنى من الافق الغربي فودَّعنا الجرء بكل ما يجدر بها من جلال وعظمة .

محمد رجب البيلى

## نبذة

### عن تاريخ الموسيقى الغربية

« لحات سريعة لمن يبني معرفة عامة  
عن أشهر عباقرة النغم في الغرب »

لسنا نعدو الحقيقة حين نذكر أن الانجلوسكسون كانوا في مؤخرة الأمم التي بزغ فيها نجم الموسيقيين العالميين . فإنا استكملنا الموسيقى أسباب نمائها لدى الغربيين وبدأت تتحلل من أغلال الكنيسة ، وتخرج الى الحياة لتصورها وتعبّر عنها ، وتدع القواعد القديمة البالية التي كانت تجعل من الموسيقى مجرد نغم باهت ، لتصبح من بعد لسان المؤلف المعبر عما يخالج نفسه وما يحيش فيها من عتق أحاسيس الحياة ، حتى بدأت تجوز مرحلة التحول الأساسية ، تلك المرحلة الحاصمة التي شطرته شطرين هامين : الأول ، العصر الكلاسيكي الذي يستغرق القرن الثامن عشر ، والثاني العصر الرومانتيكي الذي ينفأ مع بداية القرن التاسع عشر .

وإذا نحن استعرضنا أسماء كبار الموسيقيين الانجليز خلال القرن الثامن عشر ، الذي استكملت فيه الموسيقى الكلاسيكية مراحل نموّها وازدهارها ، لما وجدنا غير « جون فيلد » على حين نجد من الألمان مثلاً : باخ ، وهاندل ، وهایدن ، وجلوك ، وبيتهوفن وفيلبر وغيرهم . فإذا ما انتقلنا الى القرن التاسع عشر ، فلا نكاد نجد من الانجليز غير : إلجار ، وموليان ، في حين نجد من الألمان : مندلسون ، وشومان ، وفاجنر وبرامس وغيرهم .

وهذه حقيقة يعترف بها الانجليز أنفسهم في مؤلفاتهم . ويحاول بعضهم أن يعزوها الى أسباب متعدّدة ، نقتصر هنا على ثلاثة منها وهي أهمها :

الأولى : انصراف القوم الى الفتح والكهف وارتداد البحار للتجارة ، مما يصدّهم من

دنيا الموسيقى الرقيقة المشبعة بالأحلام والخيال ، الى دنيا الواقع الجاف والمغامرات القاصية  
أما السبب الثاني فهو أن بروسيا وإيطاليا ووسط أوروبا كانت مزدهرة بأوساط الثقافة  
الموسيقية المتعددة ، تبعاً لكثرة عدد المقاطعات والولايات ، حيث كان لكل حاكم أو  
أمير فرقة موسيقية خاصة ، وكان التنافس بينها على أهده وهذا على نقىض الحال في إنجلترا  
حيث كان عدد هذه الأوساط قليلاً

أما السبب الثالث، وهو أقل أهمية، ويمكن وصفه بأنه العذر الذي هو أقبح من الذنب،  
فهو أن هاندل ومن بعده هايدن ، زارا ابتكرا وأقيا من أهلها ترحيباً وإعجاباً ، حتى لقد  
انصرف القوم بسماهما وتشجيعهما عن الإلتفات الى الموسيقيين الوطنيين .

على أن من الإنصاف أن نذكر أنه كان للموسيقين الانجليز في ميدان الموسيقى  
القديمة ، الوثيقة الصلة بالناحي الدينية ، باع كبير ونصيب ملحوظ . ففي خلال القرن السادس  
عشر نبغ منهم كثيرون مثل : تاليز ، وبيرد ، وجيبونز . وفي القرن السابع عشر ، ظهر  
« هنري بيرسل » الذي يضعه الانجليز في طليعة موسيقيهم . وفي العصر الحديث بدأ نفر  
من نوابغ الانجليز يرعون في التأليف الموسيقي من أمثال : تايلور ، وويليامز ، ووالتن ،  
وبليس ، وأيثيل سميت ، ووالاس ، وماكينزي وغيرهم .

وإني لأستطيع القارىء عذراً في هذه المقدمة ، التي لم يكن من إيرادها بد ، والتي جرّ  
إليها تداعي المعاني ، لبحث تاريخ علاقة الانجليز بالموسيقى . ولانتقل سريعاً الى صميم  
موضوعنا ، فالحال ضيقٌ والموضوع لا يتغذله حديث

يكاد القرن السابع عشر يخلو من موسيقى طلي ، إذا استثنينا « هنري بيرسل »  
الانجليزي ( ١٦٥٨ - ١٦٩٥ ) الذي كتب كثيراً للكنيسة ، كما كتب للأوبرا ومجموعة  
من « موسيقى الغرفة Chamber Music <sup>(١)</sup> وخاصة من نوع « السوناتا » <sup>(٢)</sup>

وبجانب هذا ، سجل القرن السابع عشر ، في طام واحد ، مولد اثنين من أشهر عباقرة  
الموسيقى . ففي عام ١٦٨٥ ، شهد العالم مولد كل من « جون سباستيان باخ » ، و « جورج

(١) موسيقى معدة للزف في مجل ضربى كالكرا لا يتواءم اوركسترا برفها ، وانما فرقة صغيرة

(٢) قطعة طويلة تنزفها آلة واحدة أو آلتان

فردريك هاندل ، وكلاهما ألماني . في حين شهد القرن الثامن عشر الجزء الأكبر من حياتهما الحافلة ، إلى أن أفل نجم باخ عام ١٧٥٠ ، ومن بعده هاندل عام ١٧٥٩ .

ويعتبر باخ من أعظم الموسيقيين العالميين ، ويعدّه البعض أعظمهم على الإطلاق ، اللهم إلا إذا ذكروا بيتهوفن . ومن أهم مؤلفات باخ قطعه التي من نوع « الكونشرتو concerto » <sup>(١)</sup> و « الأوراتوريو oratorio » <sup>(٢)</sup> و « الفنتازيا » . وقد تدرّج من طازف على الأرغن « organist » بالكنيسة ، إلى طازف على الكمان violinist بفرقة أحد الأمراء إلى قائد conductor لفرقة أخرى . وقد كان منزله في ليزبيج منتدًى موسيقياً حافلاً .

أما هاندل ، فلم يكن أبوه ، مثل والد باخ ، موسيقياً ، ولا كان يعمل حتى للموسيقى ، فهو طبيب ولا يريد لابنه أن ينشأ موسيقياً . ولكنه رضى أمام رغبته الجارفة وعبقريته المتفجرة منذ صباه ، حيث كان يرتجل التأليف الموسيقي ويتقنه . وقد طاف بإيطاليا وإنجلترا ، التي ألف فيها أوبرا « رينالدو » . كما اشتهر بقطعته موسيقى الماء water-music . وكذلك قطعه التي من نوع الأوراتوريو ، وفي مقدمتها المسيح ، وأمراييل في مصر .

ويجيء بعد باخ وهاندل في الترتيب التاريخي ، فرانز جوزيف هايدن الألماني ١٧٣٢ — ١٨٠٩ . وبهذا نبدأ في القرن الثامن عشر . ولقد لاقى هايدن في صخره بعض الشقاء ، أثر شقاق وقع بينه وبين رئيس المنشدين في الكنيسة التي كان يعمل بها منذ الثامنة من عمره . ولكن سرطان ما ابتسم له الزمان ، فاشتغل حيناً رئيساً لبعض فرق الأمراء الاقطاعيين وفي عام ١٧٩٠ ، دعت إنجلترا لزيارتها ، وكان عمره حينذاك ٥٨ عاماً وهناك ، منحه أكسفورد لقب دكتور في الموسيقى ، وتوثقت عرى الصداقة بينه وبين البرنس أوغ ويلز كما طابت له الإقامة بها ، حيث كتب بعض السيمفونيات الرائعة التي من أشهرها المفاجأة surprise-s ، ولندن سيمفوني . وفي السادسة والسبعين حملوه الى حفل موسيقي ، فوق مقعد ، حيث شاهد آخر مرة ، عرض قطعه الشهيرة « البعث » وهي من نوع الأوراتوريو .

(١) قطعة طويلة يمزجها الأوركستر كله مع آلة معينة واحدة غالباً تستحوذ على القسط الأكبر من العزف (٢) موسيقى معدة لأغراض دينية



وفي منتصف العرض ، رأوا ، راقاظر لصحته ، إرجاءه الى بيته ، وسط هتاف الجماهير وتكرعها له . وقبيل مغادرته المكان ، تقدم له موسيقي شاب من تلاميذه ، كانت همرة قد بدأت حينذاك في البروغ ، فطبع على جبينه قبلة ، وكان هذا الشاب هو بيتهوفن . وبعد هذا الحفل بقليل مات هايدن .

وبعد هايدن نجم الموسيقى العبقري « ولفجانج موزارت » وهو نمساوي المولد ١٧٥٦ - ١٧٩١ . وقد نشأ وترعرع في عائلة موسيقية ، وبدأت موهبته الموسيقية في الظهور منذ كان في الثالثة من عمره ، حتى إذا ما بلغ السادسة كان يعزف في حفرة القيصرة « مارياتريزا » في فيينا . وهناك في قصرها المقر كان يحلوا لموزارت أن يلعب دائماً مع ابنتها « ماري انطوانيت » التي أصبحت بعد ذلك ملكة الفرنسيين وطوّحت برأسها مقصلة الثوار . وطافت عائلة موزارت الموهوبة وعلى رأسها الأب « ليوبولد » والشقيقة « ماريانا » وولفجانج ، بـ سالزبورج وباريس ولندن ، حيث عوّف موزارت في الأخيرة لجورج الثالث كما ألف هناك سيمفونياته الأولى . ولعله من المؤلم أن تعلم أنه بعد وفاته في السن الخامسة والثلاثين ، ذهبت زوجته الى المقابر فلم تتمكن من التعرف على قبره ، من فرط التبديل والبؤس اللذين طرأا عليه في أخريات حياته ، فبات مغموراً مفسياً من معاصريه . وقد اشتهر موزارت بـ سيمفونياته الأربعين واوبراته التي منها الناي السحري : والفيجارو ، والدون جيوفاني .

والآن ، ننتقل إلى ذلك النابغة القدي نال بحق لقب « سيد الموسيقى » : « لودفيج فان بيتهوفن » ١٧٧٠ - ١٨٢٧ . وهو القدي ما سمعت له قطعة إلا وجلّمت بجدارتها بالخلود . وقد اشتهر بـ سيمفونياته التسع التي على رأسها السيمفوني التاسع : الانهاد choral والسادس الربيعي pastoral . كما اشتهر بقطعه الاحدى والثلاثين التي من نوع السوناتا ومنها قطعه الفريدة « ضوء القمر » . كما أن له افتتاحيات لمجموعة من الاوبرات على رأسها « فيدليو ، وليونورا ، وكوريولان ، واجمونت . وله غير هذا قطع ، متعددة من الانواع الاخرى وعلى رأسها « الكونشرتو » وخاصة الخامس للبيانو ( الامبراطور ) وموسيقى الفرقة من الثلاثيات والرابعيات والسباعيات .

ويعتبر بيتهوفن بموسيقاه ، قاطحة عصر الرومانتيك الموسيقي ، الذي يتميز بالناحية التعبيرية المعنوية ، لا بمجرد النغم الحلو المسترسل . فما تكاد نسمع قطعة لبيتهوفن ، وتعمق في فهمها ، إلاّ خيل لك أنه بنفسه يحدثك ، عارحاً لك خليجات هذه النفس وما يتورها من ألم وضيق وبأس وشجن ، وأفكار متضاربة متلاحقة ، أو من فرح وبهجة واستبشار ثم عزم واستهراء بالحياة وأكدارها . الخ . فكأنما تقرأ قصيدة من الشعر الثري بالمعاني العميقة ، أو قصة حافلة بالتصوير النفساني الرائع . وهذه الميزة الفذة في موسيقاه ، وهي العمق ، امتاز بيتهوفن على موزارت وهايذن ، وقد كانا استاذيه ا

وثمة ميزة هامة برزت في موسيقى بيتهوفن أيضاً ، وهي حبه للطبيعة وبراعته في تصوير مشاعره نحوها ، وهو ما أبدع فيه في السيمفوني السادس Pastoral أي الريفي . وقد كان بيتهوفن فناناً حقاً . كان يهوي الشعر والرسم الى جانب الموسيقى . وكان كثير الضيق بالناس ، حتى اذا ما لحقه الصمم أصبح في شبه عزلة نفسية عن الناس ، يعيش للطبيعة والموسيقى التي شاء القدر أن يحرمه من أن تسمعها أذناه ، فتجاوبت بها نفسه وروحه ، حتى أبدع لنا هذه المعجزات الخالدات وذلك الارث الفني الذي لا ينفد .

ومن طاصروا بيتهوفن ، عبقرى آخر من عباقرة الموسيقى ، ولد بعده بسبعة وعشرين عاماً ، ولحقه الى القبر بعد عام من وفاته ، كما دفن على مقربة منه ، وفوق قبره ، كتبوا هذه العبارة « لقد دفنت الموسيقى هنا ثروة باذخة ، واسكنها ذات آمال متجددة » . ذلكم هو : فرانز شوبر ( نغساوي المولد ) ١٧٩٧ — ١٨٢٨ صاحب السيمفونية الناقصة ، والنشيد الحربي وقد كتب كثيراً للبيانو ، كما بلغت الاغاني التي كتب موسيقاها حوالي ستمئة أغنية . وكانت حياته قصيرة فقد مات في الحادية والثلاثين ، ولكنه ترك موسيقى خالدة بقوتها وعمقها من الناحية « الرومانتيكية » .

وفي عام واحد أيضاً ، أنجب عالم الموسيقى عبقرين آخرين ، عام ١٨١٠ . أما أولهما فهو روبرت شومان ( الألماني ) والثاني فردريك شوبان ( بولندي ) .

ولروبرت شومان قصة حياة مفعمة بالمفاخر والمآسي معاً . وقد وصفت موسيقاه من الناحية التحليلية بأنها رومانسية أصيلة . كما أنه يعتبر الناقد الموسيقي الاول الذي أصدر

صحيفة موسيقية كان لها أثرها الملحوظ في التقدم الموسيقي وفي تدعيم المؤلفين الناشئين وفي أخريات حياته ، انتابه نوبات عصبية واختلال عقلي . وتوفي في إحدى مستشفيات الأمراض العقلية ، وهو في السادسة والأربعين من عمره . وطاشت كلاً من بعده أربعين عاماً أخرى ، وقد كان شومان يكبرها بقسع سنوات . وأمضت حياتها بعد وفاته تطوف بلدان أوروبا ، ولا نعرف غير قطع زوجها العبقري ، وفي مقدمتها معزوفات « البيان » الذي كان شومان من أساطينه ، ومن أشهرها الكونشرتو والكرنفال .

وفي أحد أعداد صحيفته الموسيقية ، كتب شومان عن موسيقي ناشئ « ارفعوا قبعاتكم يا سادة . . . لهذا العبقري » وكان العبقري الذي عناه شومان بقوله هو معاصره « فردريك هوبان » الموسيقي البولندي العظيم ١٨١٠ - ١٨٤٩ . وقد كان فردريك يعرف البيان منذ صغره ، ويضرب به المثل عند ذكر الفنان الوطني الأصلي . طاف برلين وڤيينا وبراج ودرس دن ثم باريس ، حيث كان ملجأ البولنديين المشردين من بلادهم والمجاهدين في سبيل حريتها . وأغرم زمناً بالكاتبة الفرنسية « جورج ساند » . كما قام بزيارة إنجلترا حيث كان يحبي الحفلات الموسيقية الرائعة ، ويخصص دخلها الضخم لمواطنيه المكافحين . ومات في التاسعة والثلاثين من عمره وكان آخر ما طلبه قبل وفاته هو أن يسمع شيئاً من موسيقاه . وهوبان معروف بطابعه المميز في عزف البيانو عما يسمونه الجرس الخفيف light-touch وقد ترك للعالم في طرق العزف على تلك الآلة من الدروس والأساليب الجديدة ما يُعَدُّ من الناحية الفنية ذخراً خالياً . وقطعته التي طبقت شهرتها الآفاق ، بروحها الناضرة هي « البولونيز » . كما اشتهر فردريك بنوع الحَلَك nocturne ، ويقصد بها تنبيل الليل الحالم الهادئ الساحر . ومخترع هذا النوع ، الموسيقي الإنجليزي هو جون فيلد ١٧٣٢ - ١٨٣٧ ولكن روسيا هي التي آوته حبساً وميتاً . وقد تلمذ على يديه جليينكا مؤسس المدرسة الروسية .

وقبل أن نتقدم بنا الأيام ، نذكر « فليكس منداسون » الألماني ١٨٠٩ - ١٨٤٧ . وقد احتوت جوانحه روحاً مرحة مشرقة . وفي السابعة عشرة من عمره كتب افتتاحية حلم ليلة صيف « اشكبير » . وكتب بعد ذلك مجموعة من السيمفونيات والكونشرتات ،

منها السيمفونى الاسكوتلندى والايطالى ، وكوئشرتو للسكران ، وآخر لبيانين ، عدا قطعاً متعدّدة للبيان وموسيقى الغرفة .

وفى عام واحد ، شهد العالم مولد حميدى فنّ الأوبرا : ريتشارد فاغنر (الالماني وفردى (الايطالى) ، عام ١٨١٣ . وكان قد سبقهما « كارل مارياتون فيبير » (الالماني) ١٧٨٦ - ١٨٢٦ مؤلف كل من « فريشوتز » و « أوبرون » من نوع الأوبرا ، و « الدعوة الى القالس » من نوع القالس ، عدا سيمفونيتين وقطعتين على البيان من نوع الكوئشرتو ومجموعة من الاغاني وغيرها . وقد كان فاغنر يتخذ فيبير قدوة له . كما أنه تأثر أيضاً بكل من بيتهوفن وباخ .

وطاف فاغنر بباريس حيث كتب « رينزا » ، وبلندن حيث كتب « الهولندى الطائر » وكان يكتب الأوبرا ذاتها ويهتم بتنسيق الالفاظ مع موسيقاه التي تميزت بطابع الدراما . ولاقى في حياته بعض الصعاب وخاصة المالية ، الى أن أنقذه لودفيج الثاني ملك بافاريا الذي كان معجباً بموسيقاه . ومن أشهر أوبراته أيضاً : تانهوسار Tannhauser و « لوهنجرين Lohengrin وتوفى عام ١٨٨٣

أما « يوسف فردى » ١٨١٣ - ١٩٠١ ، فقد أخرج الأوبرا الايطالية من نطاق النغم الرتيب والتقليد الجامد الى روح الدراما القوية المعبرة ، حتى يقرّبها من أوبرات فاغنر . ومن أروع ما ألف « هايدة » وتبدو روح فاغنر في مؤلفات فردى المتأخرة مثل « أوتلو » . وله عدا ذلك مجموعة أخرى كبيرة منها ما كتب ، وريجولتو ، وتروبادور .

وفى عام ١٨٣٣ ، ولد فى مدينة هامبورج « جوهان برامس » وهو بحق من أعظم المؤلفين فى دنيا الموسيقى ، رغم أنه لم يكتب شيئاً للأوبرا . وفى موسيقاه ندمج روحاً تعالى روح بيتهوفن ، وقد كانت له اتصالات متعددة ذات أثر فى حياته وموسيقاه كصلته بالموسيقار الهنغارى الشهير « فرايز ليست » ١٨١١ - ١٨٨٦ صاحب « الابسودى الهنغارى » . وكصلته بفومان وزوجته كلارا . ولبرامس فى السيمفونى والكوئشرتو باع طويل . وله فى هذا أربع سيمفونيات رائعة وقطعتان على البيان وأخرى على السكران من نوع الكوئشرتو وافتتاحيتان عدا موسيقى الغرفة . وحدث أن ثارت مناقشات طويلة بين المعجبين بكل من

فاجز ورامس فترة من الزمن وتعدت الى كل المعنيين بالموسيقى فقسمتهم معسكرين . ولكن سرعان ما هدأت هذه المناقشات ووقفت عند حد ، ذلك انه تبين للجميع أن لكل من الموسيقيين طريقه الخاص الذي يسير فيه .

وقد كان رامس يبدى إعجابه دائماً بجوهان ستراوس ( النمساوي ) ١٨٢٥ - ١٨٩٩ صاحب فالس الدانوب الأزرق وهو الموسيقي الذي لقبوه بملك الفالس وتعد مؤلفاته من ذلك النوع بالأربعائة معظمها جميل . ويذكر أن أحد المعجبين طلب من رامس مرة أن يكتب له في دفتره كلمة تذكارية فما كان منه إلا أن كتب له الأحرف الموسيقية الأولى من مقدمة الدانوب الأزرق ثم سطر تحتها ما معناه « آسف لأنني لم أكن مؤاف هذه النغمات العذبة » ثم أمضى تحتها « جوهان رامس » .

وفي الاستعراض الاجالي ، لا بد لنا من أن نولي وجهنا قليلا عطر فرنسا التي كانت دائماً من مواطن الحرية والفن الرئيسة في العالم . وهناك نجد في مقدمة موسيقييها « ميزار فرانك » ١٨٢٢ - ١٨٩٠ . وقد ولد في بلجيكا ولكنه أمضى صحابة حياته في باريس ، كهازف على الاورغن وأستاذاً . وفي هدوء أنتج فرانك بعض الموسيقى التي توضع في الدرجة الأولى كسيمفونته الوحيدة وحناننا السكمان ومؤلفاته على الارغن والبيان . وكان يستمد أصاليه من باخ وبيتهوفن ولكن تأليفه الهرمونية وألوان أنغامه جميل ميلاً ظاهراً الى المدرسة الحديثة .

وفي مقدمة الموسيقيين الفرنسيين أيضاً نجد « هكتور برليوز » ١٨٠٣ - ١٨٦٩ وقد برع برليوز في الموسيقى ذات البرنامج والمليئة بالتأملات والخيالات المتضاربة . والروح التصويرية القوية . ومن أروع مؤلفاته « السيمفوني الفانتازتيك » التي تعتبر من النماذج الواضحة للموسيقى ذات البرنامج .

وقد كان لفن الاوبرا لدى الفرنسيين مقامه فكان من مؤسسيه عندم كل من لولي ، ورامو . وعلا شأن الاوبرا على يدي جورج بيزية ١٨٣٨ - ١٨٧٥ الذي تقف أوبراه المعروفة « كارمن » ، جنباً الى جنب ، مع « هايدة لثردى » . ثم شارل جونو الذي لاقت أوبراه « فاوست » بقصتها العالمية ونفحاتها العاطفية نجاحاً كبيراً . ومن الفرنسيين في

الأوبرا أيضاً: « جولي ماسينييه » وهو أكثر المؤلفين العاطفيين نجاحاً ، و « كاميل سانت صانس » وإن كانت أوبراه « شمشمون ودالية » تعد أقل توفيقاً من مؤلفاته الموسيقية في الفروع الأخرى .

وقبل أن ندع الموسيقيين الفرنسيين جانباً لا نجد بدءاً من الإلماع الى « كلود ديبومي » ١٨٦٢ - ١٩١٨ فهو المؤسس الحقيقي للمدرسة الحديثة ، بتأليفه الهارمونية ونغماته ذات الألوان المبتدعة التي اعتبروها ثورة في الفن الموسيقي كله . وقد تبعه في روحه « موديس رافل » ١٨٧٥ - ١٩٣٧ ومن بعده كل الموسيقيين في القرن العشرين في المدرسة الحديثة المعاصرة .

وفي إيطاليا نجد الى جانب ثردي ، الموصيقار الخالد روسيني ١٧٦٢ - ١٨٦٨ وهو ينتمي في الأكثر الى المدرسة الكلاسيكية وله خمسة وثلاثون أوبرا في مقدمتها الاثنان المشهورتان « حلاق أعبيلية » و « وليم تل » . ومن تبعوا ثردي في الأوبرا الإيطالية « جياكومو بونيني » ( ١٨٥٨ - ١٩٢٤ ) الذي ترك مجموعة جميلة من الأوبرات المشهورة منها « لاتوسكا » و « مدام بترفلاي » و « البوهيمية » .

وفي الركن الشمالي الغربي من أوروبا ، حيث تجتمع بلاد اسكندناوة الفارقة ذات الطبيعة الجبلية الساحرة ، أنجبت النزويج نغرها في الموسيقى « ادوارد جريج » ١٨٤٣ - ١٩٠٧ وقد كان من المغرمن بالموسيقى والأغاني الشعبية بجانب ما ألف في المحيط الكلاسيكي كالبيان والكونشرتو . ومن أجل مؤلفاته موسيقى مسرحية « بير جينت » التي ألّفها الكاتب النزويجي العالمي « ايبن » .

أما أمريكا ، فإن من القلائل الذين أنجبتهم في عالم الموسيقى « ادوارد ماك دويل » ١٨٦١ - ١٩٠٨ . وقد كان أستاذاً للموسيقى بجامعة كولمبيا وكانت من أكبر أعوانه في فنه زوجته التي عرفت له موسيقاه في جميع أنحاء أمريكا . وقد برز ماك دويل في الموسيقى الرومانتيكية ومن أشهر قطعه « نفيد الريح » و « الزهرة الوحشية » و « ماريونيت » وتتميز جميعاً بالخيال الخافل والتصوير الجميل .

أما فنلندا فقد أنجبت « سييلوس » وهو من الموسيقيين المعاصرين . ( ولد عام ١٨٦٥ ) ومن أبرز موسيقيي المدرسة الحديثة . ومن العبارة المعاصرين أيضاً ريتشارد سترافوس النمساوي الذي ولد عام ١٨٦٤ وهو من مؤلفي الأوبرا البارعين

والمقنفين أثر فاجتر فيها . فهي عنده تتميز بناحية « الدراما » في موسيقاها ، أما مؤلفاته من نوع السيمفوني فتتميز بأنها من بدائع الموسيقى ذات البرنامج . أما الموسيقار الرومي المعاصر ايجور سترافينسكي الذي ولد عام ١٨٨٢ فهو من أشهر المؤلفين لموسيقى « الباليه » وقد ألّف في هذا الباب مجموعة تعتبر من المعجزات الفنية وخاصة من الناحية الهرمونية ، وفي مقدمتها « بتروشكا » و « الطائر الناري » و « قدسية الربيع »

أمّا وقد رعى بنا المطاف عند روسيا ، فالتنا نذكر هنا « جليينكا » ( ١٨٥٧ - ١٨٠٤ ) الذي يُعدّ مؤسس المدرسة الروسية في الموسيقى . وقد يسرت له أسباب الحياة ، إذ كان من النبلاء فترك وظيفته الحكومية وهو في السادسة والعشرين من عمره ، سعياً وراء الموسيقى . وفي إيطاليا ألّف أوراه المشهورة « حياة القيصر » ذات الطابع القومي . وبعد جليينكا نجد « فرقة الحفلة » أو « القوميين » الذين تحمسوا لا يقاط الموسيقي الروسية وانتقادها بعد حروب نابليون المدرسة . وكان على رأسهم « بالاكيريف » مؤسس الجامعة ١٨٣٦ - ١٩١٠ ، وسيزار كوي ١٨٣٥ - ١٩١٨ ، والكسندر بوردوين ١٨٣٣ - ١٨٩٧ صاحب أوربا « الأمير ايجور » ، ومودست موسورجسكي ١٨٣٩ - ١٨٨١ صاحب أوربا « بوليس جودونوف » ، وأخيراً ريمسكي كورساكوف ١٨٤٤ - ١٩٠٨ وهو أكثرهم ميلاً في موسيقاه نحو الروح الشرقية ، ومن أروع قطعه « شهر زاد » و « الديك الذهبي » .

أما زعيم الموسيقيين الرومي بدون شك فهو « بيتر تفايكوفسكي » ١٨٤٠ - ١٨٩٣ وتماز موسيقاه بعدم التعقيد مع القوة والروح العاطفية ، وقد كان للأرملة الترية المعجبة بموسيقاه « ثون ميك » أثر كبير في حياته بفضل مساعداتها الأدبية والمادية . وقد شاهدنا منذ مدة فبدأ يمثل النصف الثاني من حياته ولكنه محرف من الناحية التاريخية . وفي مقدمة مؤلفاته سيمفوناته الرابعة والخامسة والسادسة وافتتاحية روميو وجوليت سنة ١٨١٢ ، وثلاث كونشرتات للبيان وواحدة للكان ثم النفيد السلافي ، وغيرها ، الكثير من مختلف الألوان الموسيقية الأخرى

وبعد ، فما قصدت من هذا المقال ، سوى أن ألم إلمامة مبريعة ، بأعهر من خلدهم موسيقاهم ، وارتفعت بهم عبقرتهم في عالم الألحان ، تخلفوا للإنسانية روعة خالدة من النغم الملائكي ، لا تني تكرر الأجيال المتعاقبة ، وتتجاوب به أصداء الأيام ، فما الموسيقي سوى لغة الإنسانية الطليقة التي لا تعرف قيود الأجناس والأوطان .

# بَابُ الْإِخْبَارِ بِالْعِلْمِيَّةِ

## مشاهدات في بيكيني

### عند تجربة القنبلة الذرية

في هذه التجارب بمحمولة الحرب فوضعت عليها دبابات ثقيلة وأخرى خفيفة وأنواع شتى من القنابل والمواد المتفجرة لمعرفة تأثير الانفجار في هذه المواد واستعيب عن رجالها وجنودها بحيوانات كثيرة كالغيران الببض والخنازير والماعز والخراف لتقصي مدى تأثير هذه الكائنات الحية بالإشعاعات

- تعتمد العلماء إصابة الغيران بداء السرطان لمعرفة هل في الطاقة شفاء عدد منها من هذا الداء بسبب الإشعاعات المنبعثة من الانفجار
- استعان العلماء والطبـارون والبجـارة بمخارطات مجسمة لمنطقة بيكيني . وتميز هذه المخارطات بأنها ليست مصنوعة من الجبس أو المصيص قبيـثـل حملها وتـعـذر طيها بل صنعت من الكاوتشوك بحيث تصبح خفيفة الحل يمكن طيها ووضعها في حقيبة صغيرة
- استعين بعدد من الطائرات والزوارق التي يطلق عليها اسم « طائرات الدبور » و « زوارق الدبور » و « زوارق الدبور » والسفن أنها تستطيع أن تخوض غمار منطقة بيكيني بعد انفجار القنبلة الذرية وتصور

دعت الجمعية الهندسية الكيميائية القائـمـام حسن فهمي رجب بك مندوب مصر في تجارب القنبلة الذرية في جزر بيكيني إلى إلقاء محاضرة عن مشاهداته في كلية الهندسة بجامعة فؤاد ونجمل في ما يلي خلاصة لتلك المحاضرة النفيسة وقد صـحـبها عرض شريط سينمائي بالألوان عن تجربة القنبلة بعدئ من أروع وأجل وأندر ما وقعت عليه عين

\* اختيرت منطقة بيكيني لتجربة القنبلة الذرية في شهر يوليو من عام ١٩٤٦ لسببين أولهما أنها منطقة ملائمة من حيث التيارات المائية. وثانيهما أنها تبعد عن جميع طرق الملاحة المطروقة وعن مناطق الصيد كبيرة الشأن في منطقة الباسفيكي

- جرّبت تجربتان لالقاء القنبلة الذرية - كما هو معروف - واحدة فوق سطح الماء، والثانية تحت سطحه ولم يعرف بالضبط العمق الذي انفجرت عنده القنبلة ولكن من المعتقد أنه يتفاوت بين ١٥ قدماً وخمسين
- جهزت جميع السفن الحربية التي اشتركت



التجارب صيباً في القضاء على تجارتهم فلجأوا الى الرئيس رومان والى الكونغرس راجين الحيلولة دون تعريض مواردهم للخطر . واهم المسؤولون بهذه الشكوى وأمر الرئيس بأن يعنى القائمون بشؤون التجارب بهذه الناحية في بحوثهم .

\* أنشئت في منطقة بكيني أبراج مراقبة آلية كبيرة الارتفاع ووضعت فيها آلات تصوير محفولة في خزائن من الرصاص حتى لا تؤثر الاشعاعات في الافلام فتحرقها وحتى عدسات هذه الآلات وضعت عليها ستائر رصاصية كثيفة لا تنجذب عنها الا عند انفجار القنبلة ثم توصلت آلياً وتحول دون فساد الافلام

\* صنعت آلة تصوير خاصة للاستعانة بها في تصوير هذه التجارب ووزن هذه الآلة ٢٠٠ رطل كذلك صنعت آلة تصوير مريمة جداً تعمل بتوقيت خاص في لحظات متتالية بحيث يمكن بمجموع صورها ووضعها بعضها الى جوار بعض الظفر بفيلم دقيق لنسف القنبلة الذرية

\* قال القائمون حسن فهمي رجب بك ان الضوء المنبعث من القنبلة الذرية عند انفجارها يعادل عشرات المرات مقدار ضوء الشمس الحقيقية

\* ارتفعت السحب المنبثقة من انفجار القنبلة الى منسوب علوه خمسون ألف قدم بعد حدوث الانفجار بعشر دقائق ومرطبان

الصور الفوتوغرافية اللازمة بطريقة آلية بدون ان يكون فيها ركب . وتدار هذه الطائرات من على بعد بالاسلحى - وكذلك الزوارق - وقد استطاعت ان تلتقط من الافلام السينمائية والصور الفوتوغرافية ما كان من المتعذر تصويره لو أنها كانت تقل طيارين وتعرض حياتهم لخطر محقق .

\* وضع في هذه الطائرات - عدا أجهزة التصوير - أجهزة لقياس الضغط وأكياس كبيرة تملئ من الطائرات عند انفجار القنبلة وتنفث لتمتلئ من الاشعاعات والغازات والسحب المنبثقة منها ابتغاء الانتفاع بهذه المواد في البحوث العلمية الدقيقة .

\* كذلك استعين بمصورين غواصين لتصوير الحياة تحت سطح الماء فكان الغواصون يفوضون في المنطقة قبل اجراء التجارب ويصورون بالآلات التصوير لمدة ساعة عدد السمك الذي يمر من أمام آلة التصوير وبعد اجراء التجربة عاد كل مصور الى مكانه السابق ليظل ساعة تحت سطح الماء ويصور سمكاً آخر ليرى هل أثرت الاشعاعات في الحيوانات المائية أو لا .

وترتب على هذه التجارب كشف أنواع كثيرة من الاحياء المائية لم تكن معروفة من قبل .

\* وما يذكر في هذا الصدد انه قبيل اجراء تجارب القنبلة الذرية في بكيني خشى صيادو السمك في الباسفيكي من أن تكون هذه

\* الاشعاعات المنبعثة من القنبلة الذرية لا راحة لها ولا طعم ولا لون ولكنها مع ذلك تنفذ الى الجسم وتبدد خلاياه وتعمل فعلها بدون أن يحس المرء بها لأنه لا يرى شيئاً بعينه .

\*\*\*

بقيت كلمة عن الفلم الذي عرضه القائمون بحسن فهمي رجب بك وهو الفلم الرسمي الوحيد الذي طبعته الحكومة الاميركية عن تجارب القنبلة الذرية وخضعت به عدداً من العلماء في شتى الامم .

فهذا الفلم يعد ثروة لا تقدر بثمن لأنه صور مراحل لسف القنبلة الذرية فوق سطح الماء وتحت سطحه من مناح شتى تصويراً بالالوان الطبيعية وسجل أروع صفحة في تاريخ التصوير السينمائي .

\*\*\*

وحبذا لو عنيت الحكومة المصرية باستخراج عدة نسخ من هذا الفلم لئلا يتعرض لتلف وليناح لها أن تعرضه في دور العلم في المحاضرات المصرية الأخرى كالاسكندرية وطنطا وأسيوط والمنيا وسوهاج والاقصر فان الفوائد العلمية التي يجنيها المرء من مجرد مشاهدة هذا الفلم ترفع عن العيون غشاوة تخفي حدثاً من أخطر أحداث التاريخ وهو انفجار القنبلة الذرية

ما تجمدت هامات السحب وأصبحت جليداً \* تبين من التجارب ان أقدر السفن الحربية على تحمل صدمات الانفجار الذري هي الغواصات . ولذلك يرى رجب بك ان المستقبل للغواصات دون سواها من سفن القتال

\* لما نسفت القنبلة الذرية تحت سطح الماء تصاعد في الجو بركان هائل من ماء المحيط يضم نحو عشرة ملايين طن من الماء واتساعه — وهو على هيئة عمود — ٢٢٠٠ قدم

• غرق عدد من السفن التي كانت هدفاً للتجارب وانسكب منها زيتها وطفأ على الماء في خطوط سود . وتبين أن هذا الزيت مشبع بنشاط اشعاعي درجته تعادل ٧ آلاف ضعف درجة النشاط الاشعاعي في الماء المجاور له

• بلغت نفقات تجربة القنبلة الذرية في بحيرة بيكيني ٥٠٠ مليون دولار

• قال القائمون رجب بك ان من المقطوع به انه لا يمكن لدولة ما في العالم ان تصنع قنبلة ذرية وتجربها بدون أن يدري بها العالم فقد تنجح في صنعها وأخفاؤها ولكنها متى جرّبتها فضحت نفسها أمام العالم لأن المراقدين رصد فعلها

\* من العجيب ان «كفاءة» القنبلة الذرية الحالية لا تتجاوز عشرة في المئة ترى . كيف يكون فعلها إذا بلغت كفاءتها ثمانين في المئة أو تسعين

# أعظم كشف طبي منذ ما كشف الميكروب

الدكتور نجيب فرح يخطب اللثام عن لغز اليرقان

زيادة الامل في علاج السرطان والشلل العام

محاضرته ان مشكلة مرض اليرقان موجودة منذ ما نفاً الطب ولم يعرف حتى الآن شيء عنها وما فتى الأطباء حائرين بشأنها يقفون أمامها موقف المصدود العاجز

ومرض اليرقان هو أن تشيع الصفرة في لون الجلد وبياض العينين والغشاء المخاطي للفم وهذه الصفرة تسمى عند الأطباء « بالبيوروبين »

وهناك ثلاثة أنواع من مرض اليرقان أولاً -- ان تسد قناة الصفراء في الكبد بفعل مائع ما -- كحصوة مثلاً -- فلا يسمع الصفراء المحتوية على مادة البيوروبين أن تخرج من الكبد وتسيل في هذه القناة إلى الأمعاء ومن ثم ترتد هذه الصفراء إلى الكبد وتوزع في سائر أنحاء الجسم فتلوّنه باللون الأصفر

ثانيها -- ان تكون قناة الصفراء بحالة طبيعية تؤدي حملها كما ينبغي . ولكن الجسم مع ذلك يطلو باللون الأصفر ثالثها -- أن تذوب الكريات الحمر في الدم فيتلون الجلد بهذا اللون الأصفر

وقد توفر الدكتور فرح على درس النوع الثاني من أنواع اليرقان لأن فيه لغزاً ما برح

دعي الاستاذ الدكتور نجيب فرح الطبيب المعروف في الاسكندرية لالقاء محاضرة عن « مشكلة اليرقان » في دار الحكمة بإشراف سعادة الاستاذ الدكتور سليمان عزمي باشا

وزوي هنا طرفاً عما جاء في هذه المحاضرة النفيسة لأنها خلاصة بحوث وتجارب طبية صرف الدكتور نجيب فرح في التوفر عليها خمسة عشر عاماً واستطاع بما توصل إليه من كشوف طبية أن يفتح في عالم الطب آفاقاً جديدة لأن ما حققه هو أعظم كشف طبي بعد كشف الميكروب

وقد قال الدكتور عزمي باشا مثنيًا على الدكتور فرح ان ما وقف عليه من نتائج طبية تمهد السبيل لبحوث علمية شاسعة وتفتح أمام المعرفة آفاقاً مستخلد في تاريخ الطب وما يذكر في هذا المقام ان مجلة اللانست الطبية المشهورة والمجلة الطبية البريطانية عقدتا فصولاً افتتاحية مسببة عقبتا فيها على كشوف الطبيب نجيب فرح وامتدحتا أعماله وتغانيه في الاخلاص للعلم

أنواع مرض اليرقان

قال الدكتور نجيب فرح في مستهل

مريضاً بالنوع الثاني منه . وهو الذي أسلفنا الإشارة اليه — لأنها نتجت حسب ظنهم من خلل في وظائف الكبد . ولكن الكهف الجديد الذي توصل إليه الدكتور فرح ينادي بعكس هذه النظرية لأنه أثبت ان مادة البيلوروين ليست شيئاً طارضاً لا فائدة منه للجسم محتوي على صموم قاتلة بل مادة ضرورية للجسم لأنها عامل من عوامل الدفاع من الجرائم الفتاكة الخطرة

ومادة البيلوروين تجري في دم الانسان دائماً في كمية محدودة وهي بحسب بحوث الدكتور فرح تعدّ سداً أمنياً من بعض أنواع الجرائم وأنواع الفيروس وبدونها يتعرض الانسان لخطر محقق

### الميكروبات نوعان

وقال الدكتور فرح ان الميكروبات الضارة مؤلفة من نوعين :  
أولاً — نوع تؤثر فيه الصفراء والبيلوروين فتقتلانه

ثانياً — نوع لا يتأثر بالصفراء والبيلوروين بل يجد فيهما مرتعاً يهيء له الحياة والنمو

وبالعودة الى درس أحوال الحيوانات ذات الدم الحار اتضح للدكتور فرح ان السبب الطبيعي الذي يجعل الحيوانات التي تعيش بمنأى عن التربة معززة بمادة البيلوروين هو ان هذه الحيوانات تتعرض لأنواع كثيرة

يجري الأطباء والعلماء ولان الصفرة تفيع في الجسم وتلونه على الرغم من عدم حدوث اختلال ما في قناة الصفراء

وفي خلال الاعوام الخمسة عشر التي أمضاها الدكتور فرح في بحوثه في دم الانسان ودم الحيوانات الداخلة في نطاق الحيوانات ذات الدم الحار تعين عليه ان يجري مقارنات ومقاربات بين هذه الحيوانات ليكشف وجه الخلاف بينها

فكان أول ما استرعى انتباهه ان الحيوانات التي تعيش قريبة من التربة — كالجرذان والأرانب والماعز والخراف — لا توجد في دمها مادة البيلوروين بينما الحيوانات التي تعيش وفيها مرتفع عن مستوى الأرض — كالبقر والجاموس والخيول والحمير والطيور بأنواعها والانسان — تحتوي في دمها على مادة البيلوروين

وهنا بدت علامة استفهام كبيرة : لماذا تتوفر هذه المادة في دم حيوانات وتلتفي من دم حيوانات أخرى

### مادة البيلوروين

وقبيل الاستطراد في بحث هذا الامر ، قال الدكتور نجيب فرح ان الأطباء منذ ما نشأ الطب يعدون مادة البيلوروين مادة ينتجها الدم عرضاً ويطردها الجسم لأنها لا جدوى منها وإنهم يرون ان هذه المادة من المواد ذات الطابع السام إذا كان المريض بايرقن

وأمكن بفعل هذا الكشف معرفة السر الخفي لعلاج مرض الشلل العام فمن الممكن معالجة هذا المرض بميكروب الملاريا لأن ميكروب الملاريا يزيد مقدار مادة البيلوروبين في الدم وهذه المادة قادرة على اذابة ميكروب الفلل والقضاء على سطوته .

علاوة على أن هذه المادة في حد ذاتها هي علاج الملاريا لأنها تذيب ميكروباتها وتقضي عليها .

ويمكن ادراك فائدة هذه المادة ( البيلوروبين ) لجسم الانسان اذا عرفنا أن جسم الانسان يقاوم داء الملاريا . أما الكلب مثلاً — وهو خالٍ من هذه المادة لأنه يعيش بالقرب من القرية — فإنه اذا أصيب بالملاريا نفق على الفور لافتقاره الى المناعة التي تمنحها مادة البيلوروبين فيه

### داء السرطان

وأفضت بحوث الدكتور فرح الى فتح آفاق جديدة لأول مرة في تاريخ الطب عهد لعلاج داء السرطان فقد تبين أن داء السرطان من الادواء التي تعيش في مادة البيلوروبين وفي الصفراء وأن هاتين المادتين من العوامل التي تساعد على نمو هذا الداء . ولذلك ينبغي عند معالجة المرضى بالسرطان خفض نسبة تركيز مادة البيلوروبين في الدم حتى يمكن القضاء على هذا الداء

وقد أجرى الدكتور نجيب فرح معظم

من الجرائم فتودي هذه المادة الى قتل الجرائم واذابتها وانقاذ الحيوان من فعلها أما الحية-وانات التي تعيش وأنفها في التراب فهي أقل تعرضاً للجرائم التي تذوب في البيلوروبين ولذلك لم تجهزها الطبيعة بهذه المادة لأنها في غنى عنها

ففائدة مادة البيلوروبين فائدة عظيمة لأنها تمنح الجسم مناعة وقوة دفاعية لصده أعدائه من الجرائم وقتلها . وبكشف هذه الحقيقة أميط اللثام لأول مرة في تاريخ الطب عن كيفية دفاع الجسم دفاعاً ذاتياً من جرائم الأمراض

### خطورة هذا الكشف

وهذا الكشف العلمي خطير لأن من شأنه أن يزيد في معارفنا الطبية عن جميع الأمراض ومنها الأمراض التي لها صفة الفيروس وأمراض التورم .

ودلت هذه البحوث على أن جميع الأمراض الناقلة للعدوى — ومنها الأمراض الناشئة من نوع من أنواع الفيروس — يمكن أن تقسم من الوجهة الاكلينيكية الى قسمين طاهرين هـ :

١ — نوع ينتج اليرقان .

٢ — ونوع لا ينتجه

وبتوقف ذلك على نوع الميكروب وهل يستطيع أن يعيش في الصفراء « أي في البيلوروبين » أو هل تقتله هذه المادة

بحونه على الأرنب لأنه حيوان خالٍ من مادة البيوروبين لأنه من الحيوانات التي تعيش بالقرب من التربة. وقد اتضح له أنه إذا حقن الأرنب بميكروب الزهري أو بميكروبات أخرى تذوب في مادة البيوروبين أو حتى إذا حقن بمواد الزرنيخ والزرنيق والبرصوت - وجميعها مواد تذوب في البيوروبين - أفضى هذا الحقن إلى ظهور مادة البيوروبين عند الأرنب فتحصنه من فعل هذه الأدوية وتقيه شرها .

وإذا حقن في دم أرنب ميكروبات لا تتأثر بالبيوروبين - مثل أمراض السنتريتكوك أو الستافيلوكوك أو السل - وجميعها أمراض لا تذوب في الصفراء أو

في البيوروبين - اتضح أن مادة البيوروبين لا تظهر في الأرنب لأنها لا ضرورة لها وهذا نوع من أنواع دفاع الجسم عن نفسه . وقد قال لي الدكتور محجب فرح إن هذه البحوث وإن كانت خطيرة الشأن ليست سوى قطرة من بحر وأنه سيصبح في وسع الطب قريباً علاج جميع الأمراض التي لم يعرف لها حتى الآن علاج غاف . وما يذكر في هذا الصدد أن الدكتور فرح كان يستورد مادة البيوروبين من ألمانيا قبل الحرب فتمرسل إليه بالطائرة وكان يدفع عن كل غرام منها عشرين جنياً . واليوم يتعذر شراء هذه المادة لأن سعرها مالٍ جداً وقد لا يستطيع استيرادها إلا من أميركا .

### طائرة لا أزيز لها

المهندس موم ويقول القائلون بصنعها أنها تتحمل أقصى الأحوال الجوية وأعنفها . وهي مجهزة بوسائل خاصة تكفل سلامة الركاب وفيها كذلك مقاعد مريحة لانضايق حركات الجالسين .

\*\*\*

ويقدر أن أقصى سرعة لها بـ ١٤٩ ميلاً في الساعة وأبعد رحلة تقطعها ٧٩٠ ميلاً وتستهلك في قطعها ٢٥ جالوناً من مواد الوقود وربع فلسطين

وضع في بريطانيا تصميم لطائرة جديدة يطلقون عليها اسم « سجيريت » وأهم مميزات هذه الطائرة أنها تسير بدون أحداث ضوضاء وقد عمل واضعو تصميمها على القضاء على ضوضائها لتصبح في مستوى ضوضاء السيارة على أكثر تقدير

والمنتظر أن تقوم هذه الطائرة بأولى رحلاتها الجوية في هذا الخريف .

\*\*\*

وتصنع الطائرة الجديدة هذه من معدن



# مكتبة المتحف الوطني

ديوان أبي فراس الحمداني

للدكتور سامي الدهان

ثلاثة أجزاء من النسخ الكبير ، ٢٠٠ صفحة مقدمة بالفرنسية ، ٦٢٠ من الديوان

مع الشروح والفهارس والتعليقات : بيروت ١٩٤٤

تقدّم الأستاذ سامي الدهان إلى جامعة السوربون في باريس يطلب الحصول على إجازة دكتوراه الدولة ، وكان موضوع الرسالة « ديوان أبي فراس الحمداني » . فنال بذلك الإجازة ، وأصبح حقيقياً بهذا اللقب ، يعني الدكتور سامي الدهان .  
وقد رأت جامعة باريس أنّ الجهد الذي بذله صديقنا الدكتور سامي الدهان في تحقيق قصائد هذا الشاعر ، وفي الرجوع الى المخطوطات المختلفة في سبيل هذا التحقيق ، يستحق أن يشرف به صاحبه .

وفي الحق ، لقد انقطع الدكتور سامي الى هذا العمل ، فطاف أنحاء أوروبا يبحث في زوايا مكتباتها عن الديوان وشروحه ، حتى وُفق إلى جمع ما يقرب من أربعين رساله خطية ، كانت المادة التي صاغ منها هذا التحقيق الممتاز . وليس إخراج ديوان من أربعين نصاً بالعمل اليسير . .

وبذلك أصبحت المكتبة العربية تزدان بتحفة أدبية جميلة ، تحلي جيد الأدب العربي ، وهو أدب فريد في تاريخ الإنسانية ، لأنّ الحضارة الإسلامية كانت أبرز الحضارات في العصر الوسيط .

ومن الغريب أن يظل شعراء المسلمين مغمورين في زوايا المكتبات وفي بطون المخطوطات ، وأغرب من ذلك أن نجهل البارزين منهم . ولذلك قال مسيو بلاشير في مقدمته للكتاب ،

« نلاحظ كثيراً ، ونأسف أكثر من ذلك ، أن شعراء العالم العربي الذين نعجب بهم أشد الإعجاب ، ولا تخفى منزلتهم في تراث الأدب ، هم أبعد الشعراء عنا معرفة . نعتني بذلك بشار بن برد ، وأبا نواس ، وابن الرومي ، وابن الجعفي ، وأبا فراس ... »

وهذا أول ديوان ، فيما نعلم ، تم إخراجه على هذا النحو العلمي من التحقيق والإحاطة والتدقيق . وهذا العمل يفبه ما تقوم به لجنة أبي العلاء من جمع آثاره وطبعها طبعة دقيقة محققة . والفرق بين ديوان أبي فراس ، وآثار أبي العلاء ، أن محقق الديوان فرد ، والمتصدين لأبي العلاء جماعة . وأن الدكتور الدّهان أتم عمله ، ولا تزال لجنة أبي العلاء في سبيل الإخراج ، وقد تنفق فيه سنوات وسنوات .

هذه نهضة أدبية لأرب فيها ، تقدم لنا كنوز الأدب العربي في صورة جميلة صحيحة كالطاقة البانعة الزهور .

وسوف ينهض المشتغلون بالأدب يحتذون هذا المثال بعد أن عُبِد لهم الطريق ، وتبين لهم المنهج السليم . والفضل للمتقدم على كل حال .

وبعد ... هل يستحق أبو فراس الحمداني هذا العناء كله ؟

لقد قال التاريخ كلمته في هذا الشاعر ، وأصدر حكمه عليه . فن المأثور أن الشعر ابتداءً بملك ، وانتهى بملك ، يعنون لأمراء القيس ، وأبا فراس ، فهو ابن عم سيف الدولة الحمداني . وقال الثعالي « أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني كان فرد دهره ، هو شمس عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ومجداً ، وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة . وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والمذوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة . ومعه رواء الطبع وممة النظر ، وهرة الملك . ولم تجتمع هذه الخصال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز . وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ، ونقطة الكلام . وكان الصاحب يقول : بدى الشعر بملك ، وختم بملك يعني بأمراء القيس وأبي فراس . وكان المتنبي يفعله بالتقدم والتبريز ، ويتحامي جانبه ، فلا ينبري لمباراته ، ويجترأ على مجاراته . وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيأ له وإجلالاً ، لا إغفالاً وإخلالاً ... » هذا هو رأي الثعالي ، ينطق المتنبي بالعبادة في منزلة أبي فراس ، والمتنبي كما نعلم



إمام الشعراء ، وأكبر الظن أن أحكامنا على المتنبي وأبي فراس وأبي العلاء ، سوف تتغير بعد أن تقدم لنا جميع آثارهم لنوازن بينها في ضوء الواقع .

ويسرنا أن نعلن عزم الدكتور سامي الدهان على إخراج ديوان المتنبي على النسخ الذي أخرج به ديوان أبي فراس . وليس في هذا أي غرابة ، لأن الشاعرين متعاصران ، مفهوموران ، متنافسان على الرغم من قول الثعالبي السابق الذكر .

ولا نظن أن تحقيق هذا الديوان أمرٌ يسير . ولو أن المحقق كان أمام مخطوط واحد لما وجد مشقة أو عسراً ، ولكنه بازاء عشرات من المخطوطات تختلف فيما بينها من حيث الأبيات واختلاف القراءة وال ضبط . وقد يكون ذلك من تصحيف النسخ ، كما يكون من انتقال الرواة أو انحراف الذاكرة . وكل ذلك يحتاج الى الموازنة والترجيح ، والتماس النهج الصحيح .

وقد وقف الدكتور سامي أمام صعوبة أخرى هي ترتيب قصائد الديوان ترتيباً تاريخياً بحسب المناسبات . ذلك أن شرح ابن خالويه ، وهو راوية أبي فراس ، لا يحدد التاريخ الذي نظمت فيه هذه القصائد . وفي سبيل ذلك لجأ الدكتور سامي الى ديوان المتنبي والدراسات التي نشرت عنه وعن سيف الدولة الحمداني . ذلك أن المناسبات التي نظم فيها المتنبي قصائده معروفة ، والتاريخ الذي قيلت فيه مسجل ، وهي مناسبات تشبه تلك التي نظم فيها صاحبنا أبو فراس .

ولد الفاعر عام ٣٢٠ حتى إذا بلغ السادسة عشرة أصبح والياً على منبج ٣٣٦ . وفي سنة ٣٣٩ اشترك في الحرب مع البيزنطيين ، الى أن وقع أسيراً في أيديهم سنة ٣٥١ . وظل في قيود الأمر أربع سنوات ، خرباً صريعاً بعد عامين في حرب له مع ابن عمه . ولذلك قسم الدكتور سامي حياته ثلاثة أقسام . الاول قبل الأسر ، والثاني في الأسر ، والثالث بعد الأسر . ثم رتب القصائد على هذا الأساس ، وصنف تحت كل قسم أصنافاً ، في الحب ، والفخر ، والرثاء ، والهجاء . . . . .

فأنت ترى أن المحقق الفاضل قد بذل جهداً جديراً بالثناء والتقدير ، أحيا به كنزاً من الأدب الثمين .  
دكتور أحمد فؤاد الأهواني

## فهرس الجزء الخامس

من المجلد الثاني عشر بعد ائنة

- ٣٢١ التكافل الاشتراكي : نظرية ما في النظام الاجتماعي : المساواة : اسماعيل مظهر
- ٣٢٤ الأجنبية المجهولة : ( قصيدة ) مفيد القوباشي .
- ٣٢٥ مشهد من مسرحية كليوبترا : محمد فهمي
- ٣٢٩ نظرات في النفس والحياة — خاتمة نظرات أناطول فرانس : ع . ش
- ٣٣٦ الملكية والدولة الطبقية : عصام الدين حفني ناصف
- ٣٣٧ سياسة الارشاد الاجتماعي على أي أساس ينبغي أن تكون : جمال الدين حمدي
- ٣٤١ في التربية - الدوافع النظرية : محمود حامد شوكت
- ٣٤٥ الدفعة ( قصيدة ) : عدنان مردم بك
- ٣٤٦ ميني ( قصة ) للكاتب الفرنسي جول ليجتر : ترجمة الأئنة نعمت حسني
- ٣٥٢ وداع الحمراء ( قصيدة ) : حسن كامل الصيرفي
- ٣٥٣ حدود جديدة للأرض في الفضاء : أمين عبده
- ٣٦١ كيف هزم الاميركيون والبريطانيون غواصات الالمان : عوض جندي
- ٣٧١ قصر الحمراء : محمد رجب البيبي
- ٣٨٠ نبذة عن تاريخ الموسيقى العربية : سعد علام
- ٣٩٠ اخبار علمية • مشاهدات في بكين عند تجربة التنبؤ القوية . اعظم كشف طبي منذ ما كشف  
الميكروب : وديم فلسطين
- ٣٩٧ مكتبة المقتطف • دواوز أبو فراس الحمداني : دكتور احمد فؤاد الامواني

### ٥ - لحن المقتطف

١٧٧ - ٢٢٠ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث : بقلم مصطفى عبد الطيف السحرتي

# المقطف

الجزء الاول من المجلد الثالث عشر بعد المئة

٢٣ رجب سنة ١٣٦٧

١ يونيو سنة ١٩٤٨

## التكافل الاشتراكي

نظرية مآ في النظام الاجتماعي

٦ - موانع التكافل الاهتراقي<sup>(١)</sup>

(١) طغيان المصلحة : فردية أو جماعية (٢) التطفل (٣) جود النظامات (٤) تفاوت فرص الحياة (٥) تناقض الاستجابات : هو استغلال الرخص القانونية بما يحل من روابط التكافل الجماعي ، كاتخاذ وسائل النشر الحر سبيلا لمصلحة فردية أو جماعية ، نيلها مضر بناحية منها ، وطبيعة المجتمع السليم القائم على القواعد التكافلية يتطلب ما ندميه تناسق الاستجابات (٦) تكاتف سلطات عليا على استدلال السلطة الجماعية الطبيعية أو محوما : كشتكاف سلطات الحكم وسلطات الدين على استدلال الجمعية التي هي مصدر كل السلطات

### طغيان المصلحة

بلغنا الآن من البحث مبلغا نظمه كافيا للتعريف بصورة مجمل من نظريتنا في التكافل الاشتراكي ، يمكننا من الكلام في موانع ذلك التكافل . وينبغي لي أن أنبه هنا إلى أن موانع التكافل كثيرة متعددة ، لو أردنا أن نلم بها لاحتجنا إلى فراغ كبير لا يتسع له صدر بحث موجز كبعضنا هذا . وإنما تقتصر على الكلام في بعض صوره الظاهرة ، وإن كانت من أفعال ما يصد الجماعات عن بلوغ الطور التكافلي في حياتها الجماعية .

(١) نقرأ خمسة البحوث السابقة في أعداد ديسمبر : ١٩٤٧ ويناير وفبراير وأبريل ومايو : ١٩٤٨

تكلمت من قبل في الحرية الفردية وفي المساواة الجماعية ، وأثبتت أن الحرية قد تطغى على مصالح الجمعية كما أثبتت أن المساواة وهم من أوهام العقل .

كتب باحث نفسي كتاباً أتمناه « نهاية وهم » وقصد بذلك الذين . وما كان أجدره أن يعقب عليه بكتاب آخر يسميه « بداية وهم » قاصداً بذلك مبدأ المساواة الذي يقوم عليه كل نظام ضامى : Collectivist أو كما يسميه البعض « النظام الجماعي »

وبشر الشيوعيون للعالم بما سموه « تحكيم الجماهير » ، ونعني بها « دكتاتورية الجماهير » وهي عبارة فامضة المعنى إن لم تكن طارية من المعنى بتاتا ، ولكنك تسبين معناها اذا علمت أن ما قصد بتحكيم الجماهير Dictatorship of the Proletaria انما هو تحكيم فردية تستذل « تحكيم الجماهير » ، وهذه هي التحكيم الحقيقية ، التي استعانت الى بلوغ السلطة الفردية الاستبدادية من طريق الوهم ، وم أن هنالك شيء لا يقال له تحكيم الجماهير ، وما هي في حقيقة الواقع الا التحكيم في تحكيم الجماهير ، واذا كان المعنى الذي يراى به أن يستفاد من عبارة تحكيم الجماهير ، هو أن تكون الجماهير مصدر السلطات في نظام شيوعي ، فإ هو السبب في قيام دكتاتورية فردية في بلد مثل روسيا مثلاً ؟ ذلك دليل ثابت على أن تحكيم الجماهير ليست غير وهم مضخم .

ولا تقل بعض مظاهر الفردية ضرباً في مهامه الخيال من تلك الأشياء التي ذكرت . من ذلك القول بحق الملوك الالهي ، والقول بأن الكنائس وسلطات الدين موكله عن الدين الأعظم في هذه الأرض ، ونزوع بعض الملوك الى الدعوى بأنهم ظلال الله في هذه الدنيا ، وجنوح كثير من أصحاب المصالح الى القول بتقسيم الارزاق في عالم الغيب ، الى غير ذلك من سخافات العقل وسخافات الوضع .

جماع ذلك أو هام لم يقصد بها إلا تغليب منفعة ناحية من الناحيتين ، ناحية الفردية حيناً ، وناحية الجماعية حيناً آخر ، تغليباً من شأنه القضاء على كل نظام تكافلي في بناء الجمعية بالرغم من أنه النظام الطبيعي الذي ينبغي أن يقضى على كل موانعه حتى يتحقق بالعمل ، ويصبح واقعاً في كل نظمات حرة تحدد للفرد حاجاته التي لا تعد تطوره نحو الكمال وتمكنه من تنمية مواهبه الابتكارية ، وتحديد لجمعية مثل ذلك . وعلى الجملة نقول إن النظام

الطبيعي الذي يجدر أن يكون نظاماً إنسانياً هو نظام يقضي فيه على مبدأ التفاضل المصطنع، القائم على مثل الأوهام التي ذكرناها ، ليفسح الطريق لمبدأ التكافل الطبيعي الذي هو نظام الكون الطبيعي في مجموعه، ونظام الحياة العاقلة الذي ينبغي أن يكون .

فكل نظام وكل قانون وكل شريعة تنتهي أغراضها الى طغيان الفرد على الجمعية أو طغيان الجمعية على الفرد، مبدأ من شأنه أن يمنع التكافل، وبالحرى من شأنه أن يصد الجمعية والفرد كليهما عن التطور نحو النظام التكافلي . وبقدر ما يكون في النظام أو القانون أو الشريعة من مرونة ولبونة تسائر حاجات التطور الفردي والجماعي، يقاس مقدار صلاحية ذلك النظام أو القانون أو تلك الشريعة لحياة الافراد ولحاجات الجمعية .

### التطفل

من الظواهر الاجتماعية التي نراها وضخمها وأربها ووراثات الانسان القديمة، وبخاصة عصر الاقطامات وعصر الاستبداد الفردي وعصر التحكيمات، سواء أكانت تحكيمات أفراد أو تحكيمات أفلنيات، ظاهرة التطفل في الاجتماع .

نعم نقول إن وراثات الانسان القديمة قد نمت أسباب التطفل الاجتماعي وضخمها وأربتها. ولكن نخطئ كل الخطأ اذا قلنا إن هذه الوراثة قد خلقت التطفل خلقاً من عدم . ذلك بأن التطفل ظاهرة حيوية لها آثارها الجلي في عالم الحياة ومن ثم يكون لها أثر في المجتمعات الاحيائية، ولكن آثارها هذه تختلف قوة وضعفاً قياساً على ما ترث كل جماعة من تاريخها الاول. وسنحاول أن نضع تعريفاً للتطفل . ولا أدعي أنه من المستطاع وضع تعريف جامع مانع لهذه الظاهرة . وانما أحاول أن أضع تعريفاً وصفيّاً أرجو أن يجمع في نصاعته المعنى المستفاد من التطفل في عالم الاجتماع .

قد نقول إن الفرد السوي ( ونقصد به الوحدة العضوية التي تتألف منها الجمعية ) هو الذي يكفل حياته بما فيها من حاجات بقدر من الجهد يبذله بحيث يُنتِج من القيمة قدر ما يقوم بهذه الكفالة أو يزيد عنها . هو الذي يستخلص من محيطه ما يقوم بحاجات حياته من الضروريات، أو ذاك الذي يأخذ من غيره من أفراد الجمعية أجراً نقدياً إزاء عمل يؤديه ولكن الجماعات الانسانية، حتى البدائية منها، ومنذ أقدم أزمنة التاريخ، قد ميزت

بطراز من الافراد سمعوا الى استخلاص حاجات حياتهم من غيرهم من أفراد الجمعية من غير أن يهبوا الجمعية جهداً يساوي من حيث القيمة ما يستهلكون . هذا الفرد هو الذي يسمى في العرف الاجتماعي طفلياً أو متطفلاً ، تهيباً له بالعضويات التي تعيش متطفلة على غيرها من الأحياء .

جمعية من الجمعيات يزيد فيها الافراد المتطفلون ، تضعف فيها رابطة التكافل ، وأخرى يقلون فيها ، تقوى فيها رابطة التكافل . فكلما كان انتاج كل فرد موازياً في القيمة لحاجاته ، كانت الموازنة بين أجزاء الجمعية أبعد عن التراوح بين الجذب والدفع والاخذ والرد . وأمكن أن يقوم بين أفرادها حالة تكافلية بعيدة عن مؤثرات التزامهم على كسوب غير مدروعة ، ولم يصبح جزء من الجمعية مطالباً ببذل جهد أزيد مما يستطيع أن يحتمل في سبيل القيام بأود الطفيليين من أفرادها .

ولم يقتصر التطفل في الجمعيات الحديثة على الأفراد ، فقد نشأ مع طفيلان النظام الرئسمالي ، جماعات متطفلة اغتذت على جهود العمال والصناع والزراع ، وانخفضت من قوة القوانين والنظام تكأة لتطفليتها ، ومضت تعبت ، في حدود القانون ، بالقانون وبالشرائع والآداب ، بل لعلهم كانوا في حالهم تلك ، أول من أساء استعمال الحق القانوني الذي ما كان ليصبح قوة انفاية إلا بالزامه حدوداً مُمَيَّنَةً من الترخص فيه ، لا أن يذهب إلى تلك الحدود التي قصت على كل وجه من وجوه التكافل في الجمعية .

\* \* \*

### جود النظامات

لم يخلق الانسان من أجل السب ، وإنما خلق السب من أجل الانسان . هذا ما في الانجيل . والقول الحق الآن هو ان الانسان لم يخلق من أجل النظامات المدنية ، وإنما خلقت النظامات من أجل الانسان . وكذلك الحال في جميع ما يتعلق بالحياة الانسانية حيث إنها حياة تطويرية ارتقائية . فالقوانين والشرائع والمعتقدات وضروب الفلسفة بألوانها إنما خلقت ، أي خلقها العقل والطبع ، من أجل الانسان ، ولم يخلق الانسان من أجل هذه الأشياء .

وإنما خرج الإنسان من وراثاته القديمة بنظمات رمت كلها إلى أن الإنسان خلق من أجل أن يكون عبداً لنظمات معينة ، رقيقاً لقوانين بذاتها وشرائع وآراء ، قامت كلها على فكرة أن الإنسان خلق جامد لا يتطور ولا يتبدل ، ونظرت في العقل على أنه مبدأ الجوح في الطبيعة البشرية ، وإلى الفكر إلى إنه مبدأ الانقلاب . وإفها يجمع العقل ويرمي الفكر إلى الانقلاب احتجاجاً على قيام حالات لا توأعهما ، كالمعدة إذا اكتنظت بالطعام الفاسد احتج القلب واحتجت الأمعاء وئارت على الحلي نطالبه بأن يفرغ معدته مما فيها . فاحتجاج العقل وثورة الفكر ، إنما هي استجابات طبيعية لنشوء حالات غير طبيعية في المجتمع .

ولكن القوى التي تستفيد من استقرار حالات اجتماعية معينة ، وهي غالباً القوى التي تنفع أكبر النفع من الحياة الطفلية الوادعة في كنف الحياة العاملة المنتجة ، تعمل دائماً على أن تركز جهودها في حماية النظمات والقوانين والشرائع ، فيصيبها الجمود ، وتخرج عن كونها أشياء خلقت من أجل الإنسان في حملته ، إلى أنها أشياء خلقت لأقلية ترضى بها ، دون أكترية كبيرة تنور عليها .

وإن جمود النظمات ولا شك عامل من أقوى العوامل عن حل رابطة التكافل ، ونذير بفسادها :



### تفاوت فرص الحياة

من شأن النظام الرأسمالي الذي خرجت به الجماعات من وراثاتها القديمة ، أن يجعل فرص الحياة بين الأفراد متفاوتة تفاوتاً كبيراً ، حتى لقد يقضي هذا التفاوت على مواهب طبيعية وكفايات نادرة ، يحول دون ظهورها وبروزها وتأثيرها في المجتمع ، عجز مالي أو اقتصادي . وفي كل الجماعات القائمة اليوم نظمات تجعل هذا التفاوت ضرباً من العجز يصيب الجماعات في ثمراتها الاحيائية ، ونعني بها الأفراد . فهي تحد من كفايات الأكترية ، وتفسح الطريق إلى كفايات الأقلية ، في حين أن المعقول والطبيعي أن تنقلب هذه الآلية ، فيقوم النظام بحيث يجعل للأكترية فرصة إظهار ما فيها من الكفايات التي لا تتمتع بها الأقلية وحدها . بل إن طبيعة الأشياء تقضي علينا بأن نعتقد ، ومن طريق احصائي صرف ، أن الكفايات الكامنة

في أكثرية ما ، هي أكبر كمية من الكفايات الكامنة في أقلية ، مع فرض ان هذه الكفايات لا تختلف من حيث النوع والصفة .

وهذا النوع من الكبت له أثره البالغ في التأثير على الحياة التكافلية في الجمعية . ذلك بأن كل فرد في جمعية تكافلية يجب أن يمنع من الفرص قدرأ يمكنه من استخدام كفاياته إلى الحد الذي يعجز عنده عن تجاوزه في الحياة .

\* \* \*

### تنافر الاستجابات وتجانسها

إذا كان لكل منبه من المنبهات الطبيعية استجابة معينة تحدث في الجسم الحي ، فكذلك المجتمع ، كل منبه يصيبه ، لابد من أن يحدث استجابة من ناحية من نواحيه . وقد تتنافر هذه الاستجابات أو تتناسق وتتجانس ، بحسب نوع المنبه واستعداد الجماعة .

على أنني اعتقد ان المنبه هو الذي يكيف نوع الاستجابة . فقد يقع في كثير من الحالات ان منبهات مّا قد أحدثت استجابات مخالفة تماماً لما يتوقع منها . وأخرى أحدثت استجابات لم تكن تتوقع . وهذا دليل على أن الجماعات كالأجسام يتكيف استعدادها بصور عديدة ، تعمل في الأثر الذي تخلفه المنبهات فتحدث من الاستجابات ما لا يتلاءم والأثر المنتظر منها .

هنالك شعوب ثارت ثورات حاطمة لأسباب لا تتوازن والمنبهات التي أحدثتها ، وشعوب أخرى احتككت وذلت وخضعت لظروف كان من السهل جداً أن تنبذها تلك الشعوب وتخرج من قيودها عزيزة الجانب شاذة الأنف ، بأقل ما يتصور من مجهود . ومرت أدوار على أمم استذلتها فيها أساطير وأوهام ، هي من البطلان والضعف بحيث لا يمكن أن يكون لها أثر إلى جانب اية قدرة عقلية على التفكير . فالاستجابة إلى تلك الأوهام إن هي إلا أثر المنبه الذي أحدثها ، أثر الاعتقاد في الغيب اعتقاداً قائماً على ان الغيب الأثر الأول في حالات هذه الحياة .

كذلك نجد أن لكل فرصة من فرص الحياة ، وما هذه الفرص إلا المنبهات التي تظهر استجاباتها في الأفراد ، سبداً يسنداً من نظام أو قانون أو شريعة ، غريبة النشر مثلاً ، وهي



من دعامات الحضارة ، منبه استجابته عند بعض الأفراد الاتجار بالآراء والتضليل ونشر الخرافات والادعاء ، واستجابته عند البعض الآخر نشر النور والعرفان وتزويد الثقافات المختلفة بعواملها الناجحة . وما الحال الأولى إلا دليلاً على تنافر الاستجابات ، وما الثانية إلا دليلاً على تجانسها .

وما تجانس الاستجابات إلا الدليل الأقوى على أن الجمعية فيها من قدرة التكافل قدراً يقضي على تنافرها ، والعكس بالعكس . وعلى هذا يقضي التكافل بأن يقوم النظام بحيث تمحي منه كل الاستجابات المتنافرة لتظل عقدة التكامل قائمة على أساس من تجانس الاستجابات

\* \* \*

### تكاتف السلطات

من موانع التكافل الاشتراكي أن تتكاتف سلطتان أو أكثر على الاحتفاظ بحالة معينة ، تطورها مضر بمصالح هذه السلطات . ففي كثير من حقبة التاريخ تضاربت سلطات الحكم وسلطات الدين على قمع الحرية وكبت الفكر . حدث ذلك في مصر القديمة وروما ، وحدث في العصر الحديثة في فرنسا ، وظهرت آثاره جلية واضحة في ثورة الفلاحين في المانيا .

وفي حقبة أخرى تنافرت مصالح أهل الحكم ومصالح أهل الدين ، فكانت النتيجة أن مهد أهل الدين إلى تضليل الجماعات حتى تظل عجيبة لينة في أيديهم ويتم خضوعها لهم ، فيتخذون منها أداة لمقاومة طغيان أهل الحكم .

\* \* \*

وهكذا نرى أن الأسباب والحالات التي تمنع من التكافل الاشتراكي في المجتمع كثيرة متعددة ، وهي تستحق أن تكون موضع درس مسهب سنفرغ له عندما يتم درسنا لهذه النظرية .

اسماعيل مظهر

## سحابة

عصفت بها الأنواء فاصطفقت في صفحة الجوزاء من ذعر  
فكأنها والريح زحها فلك هوت في لجة النمر  
عابقتها خفت مصفقة كجناح نسر حط من وكر  
أو كالشرع يرف من فلق خوف الخضم وزحمة النمر  
ورأيتها والليل معتكر كلاءة مطوية الستر  
والريح تفسرها وتقبضها قسراً وتزجي العطر بالعطر

خفت كأعلام إذا اصطفتت يوم الوغى من نشوة النصر  
وتجيش في الأفق صاخبة مثل الخضم بمسلك وعر  
تساب مثل الصل أخصره طلأ هي من ريق النجر  
وإذا ارتعت في الأفق تحسبها حوتاً يزاحم لجة البحر

طوت الفضاء الرحب دون هدى كشرّد في مهمه قفر  
وإذا حدا ركب الرياح بها سالت مدامعها على النحر  
وإذا تملّسكها الشجا شفت واسترسلت هباتها تجري  
تبكي بكاء الصب أوجعه صدّ الحبيب ولوعة الحجر  
أو مثلها هتفت مطوّفة وهنأ لفرط وساوس الصدر

آمالنا سحب مشتتة تطوى وتشردون ما ندري  
تجتاحنا الأيام ساخرة كالريح تزجي السحب بالزجر  
لله آمال مروعة عبثت بدوحتها يد الدهر  
لا تستقر كأنها كرة يوماً على حال من الدّعر

عزناه مردم بك

(دمشق)

# نظرات في النفس والحياة

- ٨ -

نظرات مارسيل بروست

ينتمي مارسيل بروست إلى أسرة يهودية فرنسية نشأت نشأة مسيحية كاثوليكية وله صلة قرابة بالفيلسوف الفرنسي المشهور هنري برجسون . وكتب مارسيل بروست على صعوبة قراءتها لا يستغنى عنها الباحث في النفس . وقد وجد نقاداً ومُعجبين به . فمن نُقَّاده من ذكر أنه ينظر إلى الحياة بالمكسكوب أي العدسة التي يُنظَرُ بها إلى الأمور الصغيرة . فقال بروست أنه ينظر بالتلسكوب أي العدسة التي ترى بها الأمور البعيدة والواقع أنه ينظر بالاثنتين معاً بالمكسكوب والتلسكوب . ومنهم من متهماً على سبيل الفكاهة مس جين أوستن الفرنسية ، يعني القصصية الإنجليزية المعروفة وهذا الوصف لا يشابه الحقيقة إلا كما تشابه الحقيقة الصورة الكاريكاتورية المبالغ في بعض ملامحها على سبيل الفكاهة . وصحيح أنه يتفق وجين أوستن في ولوعهما بأحداث المجتمعات والمجاس في القمص وال لكل منهما بصيرة سيكولوجية وإنهما قد يتماز بالأمور الصغيرة ولكن بروست يتوغل في الأمور السيكولوجية أي النفسية توغلاً لا مثيل له . وقد نشأ ريشاً مُعتَلاً وقضى الثلث الأخير من حياته في بيته لمرضه . وأتهمه ناقد آخر بأنه كان في أكثر قصصه مولماً بحياة النبلاء والأغنياء ومن اتصل بهم من الخدم وإنه لم ير الحياة كاملة من كل وجه كما رآها شكسبير أو بلزاك أو أاناتول فرانس . ولكن ولوعه بحياة هؤلاء القوم كان ولوع الباحث لا ولوع المعجب المأخوذ بما يرى . وإذا وصل في بحثه إلى حقيقة سيكولوجية فإنها حقيقة في كل النفوس بلا تمييز بين الطبقات . وقد نشأ لاعتلاله بين النساء وامل ذلك أكسبه شيئاً من أسلوب النساء في التحدث عن جيرانهن والاهتمام بأحداث المجتمعات . هما كانت

تلك الأحاديث صغيرة واعطاء تلك الأحاديث في بعض الاحايين قيمة نفسية أكبر من قيمتها. ولكن القارئ إذا صبر على قراءتها عاد بفائدة ما قد تحتويه في بعض الاحايين من الدراسات النفسية التي تنخلها وبالرغم مما قد يعترض القارئ فيها من الملل فإن في بعض كتبه قطعاً لا يمل القارئ معاودة قراءتها. وقد يستطرد في تتبع البحث النفسي استطراداً بعيداً وله أسلوب شائق في وصف مناظر الطبيعة والناس. وقد اعترف ممرست مؤام القصصي في كتابه المسمى بالخلصة، انه شعر بملل شديد في قراءته كتاب (طريقة جرمانتيس) من كتب بروست، وقد شعرت بملل هذا الملل ولعل من أسباب الملل أيضاً إن القارئ يود أن يقرأ عن حوادث هامة، وقصصه ليست قصص حوادث بل قصص زيارات وأحاديث أو بحث نفسي، أو يود أن يقرأ شيئاً من مثل فكاكة أو سخر أباتول فرانس الحيوي. وقد ذكر هافلوك إبليس في كتابه المسمى رقصة الحياة وهو اسم رمزي مدحاً كثيراً لطريقة بروست في البحث النفسي ولا سيما في كتابه المسمى (في الوجة الزهرة) وأحسب ان هافلوك إبليس كان مصيباً في اختيار هذا الكتاب من كتب بروست ولو أن بعض المعجبين به يفضلون كتابه المسمى (طريقة سوان) ولكني أفضل ما اختاره هافلوك إبليس وأراه أملاً لنفس القارئ. إلا أني أرى ان كاتباً مثل بروست لا ينال الانصاف التام ولا يعرف مقدار بحنه في النفس إلا بقراءة كتبه كلها اذا كان ذلك من المستطاع. وبروست يذكر أن حياة الأثرياء التي يصفها حياة تبعث الملل بالرغم من وجاهتها وزينتها. فاذا كان ذلك حقاً فهو يزيد في براعة فنه الذي به استخلص منها الحقائق النفسية العديدة.

ومن نظراته النفسية ما يلي :-

- (١) كثير من الناس يردّون آراء معاشريهم بشغف واهتمام خاص إذا كانوا لم يعرفوها من قبل ولا يستطيعون الحكم عليها أصواب هي أم خطأ، وإنما يولعون بتريديدها وإظهار الالفة في ذكرها قد يفتنوا السامع انها آراءهم وانهم قادرون على فهمها والحكم عليها.
- (٢) قد يسوء رأي المتحدث في سامعه ولكنه مع ذلك يشترك في مباح ذم الانسان آخر غائب، كأنما السامع خالبا من صفات القدم التي ذكرها، فيسرع سامعه الى التصديق والموافقة بشغف ولهفة وبضخك وممرة كي يبعد عن نفسه احتمال الوصف بالصفات المذمومة المذكورة

وهو قد يعرف ان محدثه يغتابه كما اغتتاب الغائب ويذمه في غيبته كما ذم الآخر. ولكن ذلك لا يمنعه من مشاركته في ذم المذموم ظناً منه ان موافقته قد تبعه الريبة عن نفسه وتمنع محدثه عن اغتيابه في المستقبل. وهذه منه محاولة خائبة ولكنها تتجدد وتبعث الامل والزهو والارتياح.

(٣) في بعض الاحايين تبدر من انسان شرير بادرة حنان وعطف أو يؤدي مدروفاً غير متوقع فنشعر بارتياح نحوه وشكر له أكثر من ارتياحنا وشكرنا إذا كان غير شرير. ولعل شكرنا وارتياحنا تلمفاً إلى الاعتراف من شره وارتياحاً لحوال توقع الشر منه أو مروراً وتعاملماً باختياره إيانا لعطفه وخيره وإن اختار غيرنا شره. وهذا بالرغم من اننا قد نسيء الظن بالباعث الذي بعثه على الخير وهو شرير. واملنا لا نشعر بهذه الالفة والارتياح إذا كان العطف أو المعروف من رجل من أهل الخير لأن العطف أصراً مفروض ومتوقع من مثله.

(٤) من طبيعة الكذب أن الكاذب مهما أتمن كذبه، تبدر منه فلتة صغيرة في أثناء إحكام الكذب وحبكه. وهو يظن ان سامعه لا يهتم بالتأكد من صدقها والبحث عن حقيقتها لصغر شأنها. ولكن سامعه قد يتتبعها والبحث ويقاكد من كذبها فتكون سبباً في كشف كل كذبه وتدعو إلى سوء الظن به وسوء الرأي فيه. وقد تطلع هذه الفلتة الصغيرة سامعه بفتة على كذبه فيفساجاً الكاذب مفاجأة غير سارة ويحاول تفسيرها وتلافيتها فلا يستطيع. وهذا كما يقال في المحرم الذي يفكر ويتخذ كل أهبة لمنع نسبة الجريمة إليه ثم هو بالرغم من كل تفكيره واحتياطة يترك أمراً صغيراً يدل عليه لا يفتن له ويكون السبب في كشف جرمه.

(٥) متى أقنع الانسان نفسه إنه ذو أخلاق سامية ثم حقد على انسان أو غضب عليه فإنه ربما استطاع أن يحمل نفسه على ارتكاب أي عمل ذليل لأشباع حقه وارضاء غضبه إذ أي شيء لا يكون مباحاً حلالاً لا لقيديس الفاضل والمثلث الطاهر الذي يراه في نفسه (٦) بعض المذهبين المنغمسين إذا أدوا خدمة أو أهدوا هدية قللوا من قيمتها وأصغروا من شأنها مجاملة وتادباً وتلطفاً في العشرة، ولكن بعض من تهدي إليه الهدية أو تؤدي له الخدمة يأخذ قولهم مأخذ الجد فيوافقهم عليه ببارق مباشر أو غير مباشر، إمّا من قبح

الدوق أو قلة العقل أو حبسًا للتعاظم فتكون موافقته لمن أدوا له الخدمة باعثة للامتناع أو الغيظ فيمتنعون من التلطف والتجمل معه أو من أداء أي خدمة أو صنع أي معروف .  
(٧) قد يمدح المادح إنساناً ولا رغبة له في مدحه إلاً للتعريض بسامعه كأنَّ المادح يريد أن يقول لسامعه إنه ليس على صفات المدح التي ذكرها في الممدوح . وقد يَفْتَنُ في إظهار قصده المستتر بلباقة تمنع من صراحة المؤاخذة فَيَحَارُ السامع ويرتبك وقد يجاري المادح في مدح الممدوح لا رغبةً في مدحه ولا لأنه يعتقد أن الممدوح يستحق كل هذا المدح وإنما يجاري المادح خشية إذا لم يجاره أن يقال إنه يكره صفات المدح المذكورة في الحديث وإنه خالٍ منها وأنه فطن الى التعريض به وأنه يستحق ذلك التعريض به .

(٨) كانت السيدة فيردوران لا تدعو إلى منزلها من الضيوف إلاً من يوافقها على كل رأيٍ معها كان سخيلاً ، وعلى كل قولٍ معها كان باطلاً محالاً ، فلم يبق لها من الزوار غير المستذلين المستضعفين . وكانت تقول لهم إن فلانة النبيلة الثرية لا يزورها الضيوف والزوار إلاً لأنها تدفع أجراً كبيراً لمن يزورها على زيارته لها . وبالرغم من أن ضيوف السيدة فيردوران كانوا يتمنون أن تدعوهم تلك النبيلة الثرية . وبالرغم من أنهم كانوا يعرفون أن الناس يتلفهون ويتوقون إلى زيارة تلك النبيلة الثرية وأن قصة دفعها أجراً لمن يزورها قصة ملفقة باطلة ، فإن أمثالهم من المحرومين الذين تستذلهم السيدة فيردوران لآرائها وأفوالها كانوا يستطيعون أن يحملوا نفوسهم على نسيان الحقيقة وإنكارها ، ويستطيعون أن يصدقوا قولها عن تلك النبيلة الثرية . وكان يحلو لهم إدهاء الترفع عن زيارة نبيلة تدفع أجراً لمن يزورها على زيارته كما أنهم كانوا أنفسهم وصدقوا ، وهكذا تستطيع النفس أن تقبل المحال الباطل الذي لا يخفى بطلانه ، إذا كان فيه ما يرضي زهوها أو حسدها أو حقدها أو حتى ما يرضي إيجاء الموحى الباطل إذا رجحت من ذلك الموحى بالباطل عطفاً أو خيراً أو ما يرضي أهواءها وخواطرها السانحة التي تستعز بها .

(٩) لعلَّ من أسباب نسبة المُحَدَّثِ عيوب نفسه إلى غيره من الناس ، التلذذ بالتحدث عن نفسه بطريقة غير صريحة وهي طريقة تظهره من تلك العيوب في نظر بعض الناس كما يظن ، وتعطيه لذة الاعتراف اعترافاً غير صريح وغير محسوس وكأنه يمدح لذة في مباشرة عيوبه

التي ينسبها إلى الناس من غير أن يؤاخذها الناس على تلك اللذة ومن غير أن يفتنوا إليها . وكل إنسان مشغول منهموم بصفات نفسه وميوها ، فتلفته تلك الصفات إلى مناهها في غيره أو يتوهم أنها لفظة ، ويقنع نفسه ويخادعها في تلك اللذات وهو يحسب أنه يرى الناس مرآة لنفسه فينسب إليهم ما لا يزينه . وعلاوة على ذلك فإن كل سيئة في نفس الحدث كأنها مهنة يعرف أسرارها وكل عيب كأنه حرفة يدرك خفاياها . وكل صاحب مهنة أو حرفة مولع بالتحدث عن حرفته أو مهنته لأنه يعرفها أكثر مما يعرف أي شيء آخر ، كما يحلو للطبيب أن يتحدث عن الطب ، وللعلم أن يتحدث عن التعليم ، وللمحامي والقاضي أن يتحدثا عن القضاء والقوانين ، وللنجار أن يتحدث عن النجارة ، ولزارع أن يتحدث عن الزراعة . وكذلك صاحب السيئة والعيب ، يتحدث عنهما كأنهما مهنة أو حرفة الكلام فيهما غالب على لسانه ، ولكنه ينسبهما إلى الناس بقصد التجميل والترفع .

(١٠) بالرغم من شرور الناس وقسوتهم وتحاسدهم ، فإن كل نفس بها جانب من الخير والحنان والكرم والرفقة وقد تجده غريباً في النفس بين صفات تخالفه كما قد تجد الزهرة النادرة النفيسة غريبة في وادٍ موحش فقر يجد . وإذا منعت الأثرة ومنع حب النفس من ظهور جانب الخير من النفس ، فإن تلك الرفقة وذلك الحنان والكرم صفات موجودة مستترة فهي موجودة بالرغم من خفياتها . وقد تجد الرجل الفظ الغليظ الطبع القامبي إذا قرأ قصة مؤثرة يبكي لما حلّ بالضعفاء والأبرياء فيها من الآلام والظلم حتى تفيض دموعه وتبلل وجهه وهو قد لا يتورع في أعمال الحياة من أن يفعل مثل ذلك الظلم الذي أثار عطفه وأراق دموعه عند ما قرأ القصة . ولكن الإنسان إذا قسا أو ظلم سوّغ عمله . فإنه يعد نفسه دائماً عادلاً . هما كان قاسياً ظالماً ، ويقول إن القسوة قد تكون نوعاً من الرحمة . بمثل هذا القول يسوّغ المرء إتيان ما يجلب له منفعته أو يرضي نهمه فغضبه بالرغم من جانب الرفقة والعطف في نفسه .

(١١) كثيراً ما يقول إنسان لآخر يسرني أن أفعل كذا كي أمرك ثم يحسب أنه قد أدّى له خدمة ، أو صنع معه معروفاً ، وما بهم السامع ليس ما يدعي القائل إنه يود عمله ليسره ، بل ما يستطيع أن يعمل كي يسره . ولكن القائل يستطيع أن يذم ذلك وأن يذم

أنه لم يعمل ما يدعي أنه يود أن يعمل كي يسر السامع ويكاد يقنع نفسه أنه في الواقع قد صنع معروفاً وأدّى خدمة . والجمالة في الكلام محدودة ولا شك، ولكن من غير الحمود أن يغالط الجمال القائل نفسه حتى يظن أن الجمالة تقوم مقام الحقيقة وحتى يحسب أن سامعه مدين له بالمعروف الذي يكاد يقنع نفسه أنه أدّاه.

(١٢) إذا وصف انسان انساناً آخر أمامك بمدح أو ثمرٍ، فإنك قد لاتصدق القائل ومع ذلك تتأثر بقوله المرفوض بالرغم منك أو قد تتأثر كلما رأيت ذلك الانسان الموصوف أو كلما فكرت فيه أو سمعت به أو اتصلت به أي اتصال . ولعل ذلك من طرق الايهام ولعل هذا التأثير يكون في الوصف بالشر أكثر مما يكون في الوصف بالخير لأن إثارة النفس تجعلها أميل إلى التأثير بالشر إلا إذا كانت لها عند الموصوف حاجة ورأت أن الحصول عليها بأن تتأثر بوصف الواصف له إذا كان خيراً .

(١٣) إن الانسان إذا حدثته محدث مغرم بأن يطبق على نفسه كل حديث بالخير أو الشر إذا أنه يفكر في نفسه حتى ولو كان مُحَلِّقاً في سماء التفكير النظري العام . وبعض الناس يستطيعون إخفاء هذا التطبيق إذا كان الحديث كريهاً يخاف من قدر أنفسهم ويظهرون أنهم لم يطبقوا الحديث على أنفسهم ولا صلة لهم بموضوعه وبعضهم ترى في عينيه شيئاً من الشك والقلق وسوء الظن خفية أن يكون الحديث يريد بمحدثه النظري العام الاشارة إلى شيء في أنفسهم لا يستملح .

(١٤) ليس الإخغام في المجادلة والحاجة دليلاً دائماً على راحة رأي المناظر الذي أخفك . يفقد يُفصحُك المجادل فلا تستطيع الرد والقول، إذا كانت آراؤه لا اتصال لها بنفسك وعقلك أو لا حقيقة لها على الإطلاق . أما المناظر اللبق فهو إذا أدلى بحجة ورأي راجح قد يستطيع أن يجد جانباً من عقلك يألف ذلك الرأي وإن خالفته فيستطيع أن يتصل بأفكارك وبقضاياها كما تلقح الاشجار ومن أجل ذلك كان « برجوت » إذا ناظرني أستطيع أن أرد عليه القول ولكن رأيه كان يلقي رأياً ويتداخل في نفسي وكانت طريقتي في المناظرة أن يرد على قولي بما يخالف رأياً وكأنه لا يخالفه إلا في بعض الأمور دون بعضها فكان يصل رأيه برأبي مظهرًا موافق الاتفاق، حتى ولو كان صغيراً، وموضع الاختلاف وأسباب الاختلاف، فتكون



مقبولة أكثر مما تكون لو فصل بين رأيي ورأيه فصلاً تاماً .

(١٥) إن مرور المرء إذا فهمه وقدره رجل ذو عقل كبير راجح ، أقل من غيظه أو حزنه إذا لم تفهمه ولم تقدره امرأة ، كأنها لا عقل لها ولا ذكاء ، لغباوتها ، إذا كان يحبها . فالإنسان يغتبط إذا فهمه من يحبه أكثر من اغتباطه إذا فهمه من لا يحبه .

(١٦) إن اتفاق الآراء والنظريات لا يؤدي إلى تداني المثقفين قدر ما يؤدي إلى تدانيهم اختلاف الأرواح والأذواق والأزوجة . وقد يُظهر المرء امتعاضاً وغيظاً إذا وافقه على رأي يستمر به إنسان يعتقد أنه فاسد الذوق جامد الروح ثقيل الظل حتى لبكاد من امتعاضه وغيظه أن يتهم الرأي الذي شاكله فيه ووافقه عليه من يستنقل من الناس ، إلا إذا كان صاحب الرأي سياسياً فيخني غير ما يظهر ، لأن مِّم السياسي كسب الانتصار وإن كان يستنقلهم ، أو إذا كان صاحب الرأي فيه ذلك الشعور بالنقص الذي يدفعه إلى العطف على كل من يردد رأيه ويوافقه عليه ، وإن كان يخالف ذوقه ومزاجه . ومع ذلك فإن الرغبة في احتكار الرأي لنفسه ولمن وافق مزاجه وذوقه نوع من الأثرة وحب الذات .

(١٧) كثيراً ما يدعي المرء عاطفة أو يتصنع شعوراً أو يهيء فكرة باطلة وهو يعرف بطلان كل ذلك . فإذ الخج به هذا الادعاء وألح عليه التصنع انقلبت هذه الأمور في نفسه حقائق ومثله مثل الإنسان إذا أوحى إلى نفسه إنه مريض فلا يزال به الإيحاء النفسي حتى يكون مريضاً معقلاً . وكذلك إذا ادعى على إنسان دهموى تستوجب الملامة والمؤاخذه وهو يعرف إنها دهموى باطلة ، فإنه لا يلبث أن يصير ادعاؤه حقيقة في نفسه ، إذا لم يُراجع مراجعة تؤدي إلى التفاهم .

(١٨) مما كنت أتعجب له أن «بلوش» كان كثيراً ما يذم من لا يستحق بعض ذمه أو كله حباً للذم لا لسبب آخر . كما أنه كان يمدح من لا يستحق كل مدحه أو بعضه وقد يختلف تفسير هذه الظاهرة منه فلعلمه كان يتخذ من مدح الممدوح وسيلة يندع بها السامع كي يقبل ذم من يذمه ، إذ أن مدحه الناس قد يُبْغِضُ عن الأذهان أنه حقود سيء الرأي في الناس ، فإذا ذم بعضهم تلهسوا له عذراً أو لعل التفسير إنه كان يرى في مدح الممدوح تكفيراً عن ذم المذموم ، أو لعل الدافعين كانوا يتزجان في نفسه أو قد يكون المدح والذم استجابة منه

للحالة الغالبة على نفسه من راحة أو تعب أو حزن أو مرور أو غيظ طام يحمله على انسان معين أو ارتياح طام يفعل به نفس انسان آخر فيصير مدحاً وهذه الصفات كلها اشاهد في الناس .

(١٩) كان «بلوش» يُقسم ويحلف لا أملاً في افناع الناس بصدق الكذب الذي كان ينمقه بالقسم، فما أظن انه كان يأمل ذلك، وإنما كان يقسم بدافع أشبه بالهستيريا وانسياقاً مع الشعور المتغلب على نفسه وجسمه . وذلك الدافع إلى الحلف والقسم كان يمنحه لذة هديدة في تزيين الكذب بالحلف وتجميله بالقسم . وكان وهو يحلف يُخَيِّل لمن يراه أنه يغيبض حناناً ورقة وبذوب لطافة وان كان موضوع الحلف يخالف كل ذلك وكأنما كان ينتهي من عذوبة الاحساس الغالب عليه الذي دفعه إلى الحلف كذباً - وبعضهم إذا حلف كذباً يخالف عذوبة حلف «بلوش» بالكذب فان بعض الناس من احساسه انه كاذب ومن غيظه وخوفه أن يعرف السامع ذلك يحلف كذباً وكأنه يكاد يلتهم سامعه ويقسم كذباً وكأنه يكاد يبتلع ذلك السامع كأنه بالعنف يريد أن يخفيه فيصدقه .

(٢٠) إن بعض الناس قد يريدون أن يسمعوا من جالسهم قولاً يسرهم ويرضيهم ولكنهم مع ذلك يريدون أن يوهوا أنفسهم إنهم لم يحشوه على قوله ولم يغرود به ولم يلحوا عليه في طلبه ولم يلجئوا معه في الحديث حتى يذكر القول الذي يريدون أن يسمعه منه . وهكذا فعل دوق «جرمانتس» مع «سوان» عندما أراد ان يسمع منه ان صورة جَدِّه من رسم كبار الرسامين المصورين فجعل يقول له لا تملِّقني . إذكر الحقيقة ما رأيك في الصورة ؟ فلما ضاق «سوان» ذرعاً قال : إنها كالنكتة الباردة والفكاهة الغثة . فلم يستطع الدوق أن يخفي اشارة تدل على الغيظ لانه لم يظفر بالقول الذي كان يُحِبُّ أن يسمعه، بل ظهر بعكس ذلك . والحقيقة هي ان هذا الالحاح كثيراً ما يشاهد في الناس .

(٢١) قد تكون خشيتنا فقد ما نود أن نملك ولم نملكه بعد ، ولكننا نأمل ذلك في المستقبل ، أعظم من خشيتنا فقد ما قد ملكناه ونتمنا به . وامل هذا من أهم أسباب غيظ المرء واضطغائه إذا نال أحد الناس شيئاً لا يملكه المضطغن وقد لا يملكه ولكنه قد يوم نفسه انه ربما حاز بعضه أو كله في المستقبل فيخيل له الوهم كأن الذي فاز به قد سلب منه

أمرأ واختلس منه شيئاً يملكه وربما كان من البعيد أو المحال ان يملكه حتى في المستقبل البعيد ، فاضطغانه وغيظه مؤسس على وهم الأمانى الباطلة التي تجعل ما لا يمكن ان يملكه كأنه قد ملكه وسلبه منه الفائز به .

(٢٢) عند ما نتكلم ونسمع كلامنا ، كثيراً ما نفسى ان وقع كلامنا في آذاننا وعقولنا ونفوسنا قد يختلف اختلافاً كبيراً من وقع كلامنا في آذان غيرنا وفي عقول السامعين ونفوسهم ، فالأثر الذي نطنه لكلامنا في آذان غيرنا يكون في هذه الحالات أثر كلامنا في آذاننا وفي عقولنا ونفوسنا ، ونفسى ان السامع قد لا يصله كلامنا إلا " من وراء حجاب نفسي وعقلي أو جناني كما يسمع المرء كلام من يحدثه من وراء مسقط مائي لجب صاحب ، فيصله مختلف المخرج ، وقد يختلف معناه في ذهنه أو يفهم بعضه أو كله على غير ما أراد المتكلم . وهذه حقيقة ينبغي أن لا يغفل عنها المتكلمون ولا سوا من كان معلماً منهم .

(٢٣) إننا اذا قابلنا انساناً يحدثنا وأتجه عقلنا لسامع كلامه وفهمه ، لا نشعر بمرور كالمرور الذي نشعر به اذا اتجه عقلنا الى أنفسنا . هذا إلا " اذا كان اتجاه عقلنا لسامع الحدث لا يغلطنا عن التفكير في نفوسنا أو كان قصير الأمد أو كان داعياً الى التفكير في أنفسنا وفيما يهمنا (٢٤) بعض المنقذين من ذوي الأدب والحياء ينجلون ويتحاشون أن يعرف جلسهم وعشيرهم أنهم قد اطلعوا منه أو ان الناس قد اطلعوا منه على زلة بدرت منه أو نقص ظهر فيه . فاذا بدرت من الجليس بذرة سقطت ، استحبوا له خفية ان يتأثر بظهور تلك السقطة وهم قد لا يهولون من أمر هذه الزلة ، وقد لا يعيرونها اهتماماً ولكنهم يحشون ان يهتم ويتأثر صاحبها لظهورها منه ويستحبون له ان يخرج ظهورها إحساسه ، وهذا منهم من فرط لطافة الحس التي قد تخشى ان يتألم الجليس اذا علم أن الناس قد فطنوا الى زلته أو سقطته - ومن المعجيب ان استحياء لطافة الحس هذه قد أثبتت الجليس صاحب الاحساس والشك والفتنة إلى أن زلته قد كُفِّفَ أمرها ، وقد يحقد على من استحي له ، ويمد استحياءه نفوراً من زلته ويفيظه اطلاع صاحب الحياء على سقطته ، وقد يكون هذا التحاشي والاستحياء عناء لا طائل تحته إذا كان صاحب الزلة ممن لا يهم باطلاع الناس عليها ، ولكنه على أي حال يدل على أن صاحب الاستحياء ليس ممن قلت ثقافة نفسه ، فيتنبع سقطات جلسيه كي يظورها ويكيده بها أو يصغر منه بسببها .

ع . ش

(بحث بية)

## العشائر العربية<sup>(١)</sup>

نظام العشائر معروف في الشرق الأدنى من آجال بعيدة . وقد غدت طرق معاشها الخاصة - التي تبلورت على مرّ القرون لتطابق البيئة التي تعيش فيها - جزءاً ضرورياً حيوياً من الثقافة العامة في تلك الرقعة . ووحدة القبيلة - وهي التي ما فتئت تجاور القرى الزراعية والمدن التجارية - نهضت عن وجدانٍ أو عن غير وجدانٍ في علاقاتها مع القرى والمدن بنصيب لا يقلّ في شأنه من ناحية الثقافة المحلية عن النصيب الذي اضطلمت به المدن والقرى .

والعشائر العربية في الشرق الأدنى تولف في الألوان الحالي شطراً كبيراً من مجموع السكان ، وهي على أنواعٍ شتى من مدارك الرقي ، فمنها القبائل الرُّحَّل ، ومنها العشائر التي استقرّت استقراراً تاماً وبات لها اقتصادها الزراعي .

وهذا الشطر من السكان أخذ في السنين الأخيرة - على غير المألوف في التاريخ المديد - يسترعي مزيداً من الاهتمام القومي والوطني ، ومردّ ذلك الى اليقظة القومية التي شاعت في العالم العربي . فقد حقق معظم البلدان العربية استقلاله فعلاً أو أضحي على قيد خطوات منه . وزعماء العرب يحشدون الموارد القومية ، وحكوماتهم تواجه المستقبل بعشروعات بعيدة الأجل لتحسين أحوالها وتعمير مرافقها . ووجهت عناية تذكر إلى العشائر لأنها تعدّ عاملاً ذا شأن في مثل هذا التنظيم القومي ، ولأنه أصبح من معتقدات الزعماء

(١) هذا بحث طلي نشره باللغة الانجليزية الاستاذ عفيف طنوس الحبيب الاقليمي في شؤون الشرق الأدنى في وزارة الزراعة الاميركية في مجلة جديدة يصدرها في واشنطن معهد شؤون الشرق الاوسط عنوانها The Middle East Journal وكان الاستاذ طنوس عضواً في البعثة الزراعية الاميركية التي بحثت أحوال العالم العربي في ربيع عام ١٩٤٦ وصيفه

- سوائه في داخل الدوائر الحكومية العربية أو في خارجها - ان فكرة « الدولة » في العالم العربي لا يمكن تحقيقها على أساس مستقرّ دائم إلاّ اذا أصبح الشطر العشاري جزءاً متكاملًا ومندمجاً اندماجاً تاماً مع سائر الأمة يتقدّم معها في طريق الازدهار والرفي .  
ومما عزز الرغبة القومية الشديدة في إدماج العشار بسائر أجزاء الأمة ، أن هناك خشية من حدوث تدخل سيامي خارجي . وقد أدرك الزعماء القوميون في بعض البلدان العربية - في صراعهم الطويل المبرر للظفر بالاستقلال - أنه ما لم تكن العشار جزءاً لا يتجزأ ومجمّعا متصلاً اتصالاً وثيقاً بالتنظيم القومي المركزي ، فانها كثيراً ما تنجح الى النهوض بدور « الأفليات » وهذه ثغرة ينفذ منها الضغط السيامي والنفوذ الخارجي  
وثمة سبب آخر يدعو الى الاهتمام القومي الحالي بشؤون العشار وهو أن هناك اعتقاداً بأن هذه الطائفة تعدّ خطراً دائماً يهدّد الأمن العام الداخلي . ويقال في هذا الصدد إن منازعات دموية مدمرة قد تنشب بين حين وحين بين العشار وإن رجال العشار في مباشرتهم لحقوق الرعي المخولة لهم كثيراً ما يمتدون على الاراضي المخصصة للزراعة فينشأ عن ذلك سفك دم وتدمير ممتلكات .

ويحتاجون بأنه ما دام نظام البداوة باقياً مع ما له من طراز فريد في التنظيم الاجتماعي الاقتصادي، ومع ما لزماء العشار من اعتماد على القبض بأيديهم على ناصية القانون ، فن المتعذر على الحكومة المركزية أن تصون الأمن العام صوناً كاملاً .

وهناك علاوة على ذلك اعتبارات ادارية تجعل الحكومات المركزية على وجدان تام بأن العشار مورد مشاعبات وقلقل . فعند فرض الضرائب وجبايتها ، وعند إحصاء السكان وعند تطبيق البرامج القروية والصحية ، وعند تنفيذ المشروعات الزراعية ، وعند تجنيد القبائل للتدريب العسكري ، كثيراً ما تتبين السلطات أن أعمالها تحبط في ناحية أو أخرى بفعل التنظيم الفطري عند العشار . فالمشروعات والسياسات والبرامج والمخططات التي توضع على نطاق قومي كثيراً ما يكره المسؤولون إما على تنفيذها أو على التخلي عنها في المناطق التي تحلها العشار . ومن الحقائق المألوفة أنه لا يمكن اجراء احصاء دقيق للبدر الرجل أو لماشيتهم لأنهم - لأسباب شتى - يأبون أن يمتثلوا عن طواعية للاحصاء سواء إحصاء أفرادهم

أو انماهم. وعددهم يزيد أو ينقص تبعاً للغرض الذي يجري الاحصاء له من جباية ضرائب أو تجنيد عسبان أو توزيع جرايات سكر. أضف الى ذلك أن على السلطات أن تسير على نوعين من القوانين القضائية: هما قوانين البلاد وقوانين العشائر. والصدام بين هذه وتلك صدام يكاد يكون مستمراً.

وفي طافة المرء، بناء على هذه الملاحظات أن يقول إن في العالم العربي اهتماماً هائلاً بشؤون العشائر وقلقاً منها، وإن هذا الاهتمام يتخذ من الناحية العامة شكلاً سلبياً محصلة أن القبائل الرحل تعد مشكلة قومية. ومستودع فلافق، ووحدة متخلفة في مضمار الحضارة تعرض طريق الرقي القومي. ومن الناحية الأخرى، وإلى جانب هذا الاتجاه السلي هناك اتجاه قوي إيجابي من جانب الزعماء والمفكرين يدل على حرص استيعاب المشكلة. فمؤلاء يدركون مقام نظام العشائر في السكبان القومي، وهم جادون في البحث عن حلول إيجابية لهي المشاكل التي ينطوي عليها هذا النظام. بيد أنه باستثناء هؤلاء لا يتجاوز اتجاه التفكير العام الاعتقاد بأن القبائل الرحل مشكلة قومية، وإن الحل الوحيد الفاعل لها هو «استقرار القبيلة» وهذه عبارة جرت مجرى الأمثال والأقوال الشائعة.

ويتبين من التحري أن هناك إجماعاً على أن استقرار القبيلة معناه تحويل البدو الرحل الذين يعيشون على فتاج ماشيتهم وأغنامهم الى زراع مستقرين للتربة. وهناك اتفاق عام كذلك على أن القبيلة ينبغي أن تمتد بالأرض التي تستقر فيها. وهم يسلّمون بأنه متى اتخذ مثل هذا الاجراء، أمكن حل مشكلة القبيلة. وقد سبق لبعض الحكومات العربية البعض الآخر في التفكير في التفاصيل المختلفة للحل المقترح وفي الاستعداد لتطبيقه، فأنشأت إدارات خاصة تعالج حالة القبائل، وعُيّن بعض الإداريين والموظفين الخبيرين بشؤون العشائر ليلذّلوا قصارى جهدهم في إنجاز مهمتهم.

ولكن المرء يمكنه أن يدرك أن هذه ليست سوى خطوة أولى وإن الحاجة ماسة الى الدنو من المشكلة بدرسها درساً وافياً مفصلاً ابتغاء حلها حلاً نهائياً. وفي ما يلي محاولة لعرض بعض الآراء بشأن تنظيم العشائر ومقاسمها، وتقديم اقتراحات بشأن اندماجها في السكبان العربي.

وأول ما يتركه الباحث أن القبيلة العربية طائفة موعلة في التقدم ذات تهذيب خاص . وتاريخها موصول الحلقات عند إدباراً بضعة آلاف من الأعوام إلى المصور الأولى لآل في الانساني . وهذا التاريخ الطويل - وقد انطوى على العيش طبعاً لنظام عجيب من نظم البيئة الطبيعية - أفضى إلى تطور وحده ثقافية واضحة المعالم لها مظاهرها المتميزة في نواحي الحياة المتباينة . وهذه المظاهر تعين للفرد وللجماعة الطرائق التقليدية لمباشرة الأعمال في نطاق النشاط الاقتصادي والديني والعائلي ، وفي الترويج عن النفس ، وفي الحكم وفي سواها من مجالي العلاقات الانسانية . ونحن - بتعبير آخر - نعالج ضرباً من ضروب التنظيم الانساني له كيانه الكامل ودعائه المتأصلة . وإذا أردنا أن نفهم أحوالها ونقدر قيمتها وجب أن نعالجها مستعينين على ذلك بوضوح التاريخي .

وينبغي أن يؤكد ثانياً أن النظام العشائري أسدي ، وفي طاقته أن يسدي ، خدمات أساسية للكيان العربي القومي . ولعل أول مساهمة كبيرة له في هذا الصدد مساهمة ذات صفة بيولوجية مجردة ، لأن العشيرة وحدة بيولوجية قوية مقنطرة . وقد استطاعت في عصور لا يحصى عددها أن تغالب بنجاح عوامل طبيعية متضادة في بيئة من أعصر البيئات التي واجهت النوع الانساني في تاريخه ، وهي بيئة الصحراء ، حيث تسدد الشمس أشعتها بغير رحمة فتضرب بها كل نوع من أنواع الحياة ، وحيث يشح الماء ويقل الزرع ويكره كل رجل وكل حيوان على استخدام كل ذرة من الطاقة والحيوية في كفاحه في سبيل البقاء . وقد استطاع الانسان متعاوناً مع قطيع خرافه وقافلة إبله وجانحاً الى الهجرة الدائمة بحثاً عن الماء والمرعى ، أن يعمى . وفي وسع المرء أن يشهد هذا الصراع والكفاح في سبيل العيش ماثلاً اليوم ، وحسبه أن ينظم رحلة عبر هضبة نجد في المملكة العربية السعودية أو في قفار سوريا أو العراق أو شرق الأردن لينفذ بهصره إلى أوجه التطور الانساني في هذه الرقعة . وفي طاقته كذلك أن يتبين أدلة كافية على أن التطور انطوى على بقاء الأصلح والافوى والأشدّ هكيمة .

وفي هذا الصراع ، وهو صراع في سبيل البقاء ، لم تكثف القبائل بأن تبقى على حياة أفرادها ، بل أصابت كذلك نجاحاً في الاكثار من عدد أفرادها بنسبة كبيرة . ومن

الحقائق التاريخية الشائعة أنه باطراد عدد أفراد هذا النوع البيولوجي القوي المنيع ، تحسّن إلى حدّ بعيد نوع السكان الزراعيين القرويين في البلدان العربية . ومن الأمور الجلية في الأوان الحالي بوجه خاص ، انتقال سكان أشدّاء أصحاء نسبياً من حياة البداوة والترحيل إلى المناطق الزراعية المأهولة ثم المناطق العامرة . ففي سوريا والعراق والجزيرة العربية وسواها من البلدان العربية يستطيع المرء أن يرى معرضاً من مراحل الانتقال المتباعدة تبدأ من البداوة الفطرية في ناحية ، وتندرج إلى القرى الآهلة بالسكان من ناحية أخرى . وما فتئت القبيلة تسدي خدماتها البيولوجية للعالم العربي .

فالسؤال إذن هو هل نستطيع أي دولة كانت من الدول ذات الشأن أن تتخذ سياسة من شأنها أن تفضي عن وعي أو عن غير وعي إلى تصفية هذا المورد البيولوجي القومي الكبير ؟

والقبيلة تنهض ، عدا الدور البيولوجي ، بدور اقتصادي كبير الشأن . فمماهتها في الاقتصاد العام للبلدان كانت أمراً مسلماً به حتى أنه كثيراً ما يُغفل ولا يعني به عناية جدية عند وضع مشروعات التقدم القومي . ومن التحليل والتحرّي يتضح أن اقتصاد العفيرة هو بغير شك نظام صالح لاستغلال موارد الصحراء الشحيحة . فهي تستخدم بنجاح ولمصلحة الأمة بأكملها ، القليل من الحشائش التي تنمو في مناطق شاسعة متباعدة في الصحراء ، ومن شأن هذا الجهد أن يساهم مساهمة كبيرة في التنظيم الاقتصادي القومي . حتى لقد غدت الماشية في كل من الدول المعنية مورداً من أكبر مواردها سواء لاستهلاكها أو لأصداها . وهناك عدد كبير من ملايين الخراف والماعز وعدد كبير من الماشية والابل يسد حاجات الشعب من اللحم والمنتجات اللبنية وينتج مزيداً من الصوف والشعر والجلد لأصداها . والواقع أن القبائل البدوية الرحّل أو المستقرة استقراراً جزئياً في الصحاري أو في المراعي هي التي تعني بتربية هذا القدر المطرد من الانتاج الحيواني الكبير الشأن ، وهي حين تفعل ذلك تعتمد اعتماداً يكاد يكون كاملاً على الحشائش والنباتات التي تتبرع لهم بها القفاد والبيد .

وهذا مورد دائم مرموق من موارد الدخل القومي ، ومن المحتمل أن لا يكون له منيل .



وينبغي على الأقل أن لا يُعترض طريق هذا الطراز من الاقتصاد العشائري ، أو يُتدخل في أمره بكيفية ما حتى يتسنى تبيان مصدر اقتصادي ملائم يخلفه . وقد يُحاجّ المرء قائلاً إنه بترقية شؤون الري يصبح الاستقرار الزراعي مهنة أربح وأجدى من رعاية الأنعام والضرب في البیداء . وقد يكون هذا القول صحيحاً ، ولكن صوابه لا يتجلى إلا بعد ما يتحقق تنفيذ مشروعات الري الكبرى على مدى واسع ، ويبدو مؤكداً أن نجد دائماً مناطق واسعة من الأرض الشبيهة بالمجدبة لا يمكن لماء الري أن يبلغها ، ولا يتسنى نجاح الزراعة الجافة فيها . ففي تلك المناطق يصادف اقتصاد الرعي مكاناً مستطاباً للازدهار ويسدي أيادي اقتصادية أيضاً .

ومن ناحية ثالثة أسدت جماعات العشائر خدمات رئيسية لثقافة العالم العربي الحالية . وبالثقافة يعنى أسلوب الحياة كما ترتضيه وتنهجه طائفة معينة أو مجتمع يختلف اختلافاً بيناً عن طرق المعاش المألوفة بين الجماعات والمجتمعات الأخرى . وتتألف كل ثقافة من منحيين كبيرين هما : المنحى المادي ، والمنحى غير المادي . ويتألف الأول من مجموعة من الآلات والادوات والأشياء المادية الأخرى التي تستخدمها الجماعة في مطابقة نفسها للبيئة الطبيعية وفي استغلال هذه البيئة .

ويتألف المنحى الثاني من اتجاه سلوكي معين ينظم للجماعة تصرفها للامور مستعينة على ذلك بالأشياء المادية والأصاليب المختلفة من أصاليب الاتصال المائلة بين أعضائها وبينها وبين الجماعات الثقافية الأخرى .

والمنحيان على اتصال وتشابك مستمرين . ففي حالة الوحدة البسيطة المتكاملة تكاملاً تاماً — كمجتمع العشيرة مثلاً — يؤلف المنحيان شرطاً لا ينفصل عن المجتمع بأمره . ومعنى آخر نقول أن الثقافة تراث يتميز بأنه انساني ، ينشأ حينما تتصل الكائنات البشرية على مدى الزمان ، وبوساطته يستطيع المرء أن يحقق مواعمة ناجمة بينه وبين أترابه من الاناسي والبيئة الطبيعية التي تحيط به .

والثقافة ، بعد ما تعرفناها وتفهمنا كنهها ، لا تمد بحال ملكاً خاصاً لاشطر المتحضر أو المثقف من المجتمع . والمجتمع العشائري هو من ناحية جدارته الخاصة ومن ناحية ما

بحقيقه بنفسه - كإسلاف تبيان - مالك لثراث ثقافي ، شأنه في هذا شأن الطوائف القروية أو المتحضرة في العالم العربي . والناحية المادية من هذا التراث هي في الواقع بسيرة جدًّا لا تتجاوز بعض أدوات وآلات وأشياء تستخدم لتلبية الحاجة الانسانية الأولية الى الطعام والمأوى والدفاع عن النفس . ومن ناحية أخرى يرى أن الجانب غير المادّي متقدّم تقدماً طالياً ، ويتألف من وسائل واضحة المعالم للسلوك والتصرف ، وهذه الوسائل تشمل ألواناً حتى من العلاقات تتصل بالدين والامرة والحكومة والنشاط الاقتصادي والصراع والتعاون والتنظيم العام للمجتمع .

وإنه في هذه الناحية من العلاقات الانسانية غير المادية للثقافة العشائرية ، حيث نجد عناصر أضافت يدأً بيضاء الى معنى الثقافة العربية ولونها . وتنطوي هذه على قيم اجتماعية أساسية ، أهمها استقلال الفرد وشهامته ، واحترام الزمامة وتوفير الشيوخوخة ، والقرى والكرم ، واحترام الوعد ، ومراعاة حقوق الفرد ، والتعاون المشترك ، والاهتمام بالناحية الشخصية في العلاقات الانسانية ، والوجدان وجداناً اجتماعياً والولاء لهذا المجتمع .

وأمكن بفعل زيادة عدد سكان العشائر وباتصالهم الدائم ببقية العالم العربي أن تصبح القيم التي أشرنا اليها وسواها من القيم الثقافية جزءاً من أسلوب المعيشة عند العرب . والواقع أن كثيراً من هذه القيم يدعم هذه المعيشة ويسبغ عليها لونها ويوجهها الى وجهة الرقي والارتقاء . ولا نقصد القول إن كيفية معيشة العشيرة هي المصدر الوحيد أو حتى المصدر الكبير للتقدم الثقافي في بلدان الشرق الأدنى المختلفة . فهناك بغير ريب أسس ثقافية أخرى قد تفوق في عدد من هذه البلدان الأسس الثقافية العشائرية . أضف إلى ذلك انه ليست هناك نية ما في أن نوحى للقارئ بأننا نقصد أن نحكم حكماً أخلاقياً فنقول انّ العناصر الثقافية للعشائر « جيدة » أو « رديئة » ، فليس همّنا سوى أن نقرر الواقع .

وفي ضوء هذه الاعتبارات يبدو جلياً أن المجتمع العشائري لا يمكن أن يعدّ أقلية ثقافية أو مجتمعاً فطرياً دخليلاً على الثقافة المحلية . فالواقع انه يعدّ عطرأً رئيسياً حيويّاً من السكان ، وان نشاطه الاقتصادي يعدّ عاملاً كبيراً الهان في الاقتصاد القومي ، وان طرق معاشها هي جزء مكل للثقافة العامة في العالم العربي .

وربع فلسطين

( ترجمها من الانجليزية )

# طنين الآذان

## أسبابه وعلاجه

XX

السامعة ومجلسها الأذن ، عضو دقيق الصنع معقد التركيب ، يثير في إتقانه وإحكامه الدهشة والعجب . فهو الذي يجعلنا نشعر بتموجات الأجسام المصوتة واهتزازاتها . فنعرف إذ ذاك الأصوات ونقدر شدتها ونحكم على نغماتها . وهو الذي يحافظ على موازنة الإنسان وتقدير وضعية الجسم في الفضاء بواسطة عمل القنوات الهلالية الموجودة في الأذن الداخلية — إذا ما أصيب أحدهم بالنوار مثلاً — صحيح إنه يمكن للدرء أن يقدّر وضعية بدنه ويحافظ على موازنته حتى ولو كان في مكان مظلم لا يرى فيه أقسام بدنه كما لو كان في النور ، وذلك بفضل الاحساسات اللسبية والعضلية ، إنما وضعيته وموازنته المشار إليهما لا تكونا فعلاً تامتين إلا بوجود قنوات الأذن الهلالية التي تحيط بتلك الحاسة المسماة « حاسة الموازنة » . فإذا ما قطعت قناة من تلك القنوات دار المصاب وتدحرج نظراً لاتجاه تلك القناة المقطوعة واختلت موازنته .

ومعلوم أن الأذن تتألف من ثلاثة أقسام وهي الظاهرة والمتوسطة والباطنة ، والسمع لا يتم إلا بواسطة القسم الباطني أو الداخلي ، أما القسم الظاهري والمتوسط فيقومان بتوصيل اهتزازات الأصوات التي تقع على غشاء الطبلة الى القسم الداخلي الحساس ، فتتأثر حينئذ فروع العصب السمعي وتوصل الأصوات الى المراكز السمعية في الدماغ فيحكم بها . وإننا لا نقصد ان نتطرق هنا إلى ذكر العوارض والأمراض التي تطرأ على الأذن وتحول دون السمع لأن ذلك يقودنا الى شرح طويل جداً لا يتسع هذا المجال لذكره ، خصوصاً ان معرفة أمراض الأذن وكيفية علاجها تتطلب ولا ريب الماماً تاماً بأقسام هذه الأذن التشريحية ، لكننا نكتفي الآن بذكر عارض خاص الى عدد كثير من الأمراض ونعني به « طنين الآذان » المصاب به كثير من ، والذي هو موضوع بحثنا اليوم فانه غالباً ما يندرج بحدوث ثقل السمع عند المصاب .

ولا ينكر ان النتائج الباهرة التي حققها الطب الحديث في مداواة الأمراض الأذنية

جاءت صورة صحيحة للتقدم العلمي في أيامنا هذه — ما عدا الصمم الذي هو نتيجة ضمور العصب السمعي الذي لم يتوصل الطب بعدُ إلا إلى شفاء بعض حالات منه — ، ومع ذلك فقد أنقذ العلم اليوم حياة الآلاف من المرضى في خطر دامن في حالة الإصابة بالتهابات الأذن الوسطى ومضاعفاتها ، وهذا طائد ولا ريب إلى معرفة تركيب أعضاء السامعة معرفة تامة أكثر من ذي قبل . فبدأ هنا بموضوع بحثنا اليوم وهو :

### ﴿ طنين الآذان ﴾

هو أحد الاضطرابات الأكثر حدوثاً وانتشاراً بين أعضاء السمع الأخرى ، وناتج عن تهيج غير طبيعي في العصب السمعي . فقد يكون حدوثه وقتئذٍ ، طارئاً سريع الزوال ، أو بالعكس مستعصياً . ونارة يشاهد في أمراض الأذن الخطيرة ، وأخرى وهي الغالبية جدّاً ، في العوارض والحالات المرضية السليمة العاقبة . وفي كثير من الأحيان لا نشاهد لدى شخص الأذن أي أذى أو عارض يُذكر في الجهاز السمعي حتى عند الذين يتكرر غالباً حدوث طنين الآذان عندهم ويقلقون لأجله .

أما من حيث جمع الأصوات عند المصاب بطنين الآذان وكيفية شعوره بها فيختلف ذلك اختلافاً عظيماً . ففي بعض الأحيان يشعر المصاب بأصوات شبيهة بدندنة الذبابة أو الحشرة على اختلاف نغماتها وهدهدها . وفي أحيان أخرى تكون كالصفير الذي يُسمع عادة عند انفلات أنبوب من أنابيب الغاز ، أو كنفورة الماء ، أو أيضاً كنفلات تجري من أنابيب البخار . وفي بعض المرات أيضاً يكون طنين الآذان مائلاً لجيشان الماء وغليانه ، أو إلى الخرير أو الهدير ، أو أيضاً لأصوات الأجراس والأنغام الموسيقية . وفي هاتين الحالتين الأخيرتين يكون السبب في غالب الأحيان وجود خلل أو اضطراب في ( التبه ) Labyrinth بالآذن الداخلية . وأخيراً يشكو المصاب لنا أحياناً أنه يشعر بضربات شبيهة بضربات المطرقة ، أو بنوع من النفخ المنظم ناشئ من سريان الدّم في شرايين الآذن ، ويحدث ذلك عادة في بعض حالات الأنيميا ، والاحتقانات ومختلف حالات التهيجات المعصية الزائدة . وقد تكون هذه التهيجات عديدة أحياناً لدرجة أنها تسبب الأرق عند المصاب ، فيتمذر عليه النوم ، ويكون قلقاً مضطرباً متضيقاً وموسوساً بنغم شرايينه . وفي بعض الحالات يكون الطنين على هيئة ضجيج أو دوي فجائي ذو صوت جلي جاف ، وأسباب هذه الحالة حدوث انسداد فجائي في بوق أوستاكيوس ، أو فقعة طبلية الآذن ، أو أيضاً من حدوث طقطقة العضلات الصغيرة لمضغيات الركاب والمطرقة في الآذن الوسطى

﴿أسبابه﴾ هذه الأسباب كثيرة متنوعة وجميعها تساعد على إحداث هذه العلة عند المصاب . ويمكن حصر الأسباب المذكورة في نقطتين رئيسيتين ، أولها وجود علة أو أذى في الأذن مهما كانت درجتها خفيفة ، ثانياً من تأثير حالة الشخص العمومية . وتوصلاً لمعرفة السبب الحقيقي لهذا الاضطراب لا بد من إجراء فحص دقيق جداً على المصاب لمعرفة مكان العلة في الأذن ، والسبب العمومي أو الموضوعي الذي أدى إلى حدوثها . فليس من النادر أن يصحب طنين الأذن بعض الحالات العامة كأعراض القلب مثلاً ، أو أمراض الكلى والمعدة ، أو تصلب الشرايين ، أو احتقان الدماغ أو حدوث نزف فيه أو حالات الانيميا التي تسبب فرط الحساسية Hyperesthésie في التيه الذي جاء ذكره أعلاه ، أو مختلف الاحتقانات في عروق الجسد . وهكذا قل عن الالتهابات ، وهذه تعد أكثر حدوثاً بين الأسباب ، فنذكر منها مثلاً التهاب صندوق الطبلة والالتهابات الأخرى الحادة والمزمنة في الأذن الداخلية . ومنها الانصبابات Epanchements والوزم والسليمة Polyes والتهاب اللوزتين والتهاب البلعوم وتسوس الأسنان وسيلان الأذن وانتقاب العجلة : فهذه كلها تساعد بدورها على إحداث طنين الأذن .

وهناك أيضاً طنين آذان يحدث للمصاب بطريق منعكس ، ومنشأه في الغالب وجود حالات مرضية في المعدة أو في الرحم ، وفي هذه الحالة يقتضي معالجة هذه الأعضاء بكل انتباه وملاحظة حالة الانيميا والنوراستينيا عند المصاب .

ولا ننسى أخيراً ما للتأثيرات العصبية والحراض ( فساد التغذية ) والتسمات من الدخل العظيم في إحداثه . وهكذا قل عن تأثير بعض الأدوية مثل سلفات الكينين وساليسيلات الصوديوم الخ - إنما تأثير هذه وقتي ولا يؤبه به لأنه ينقطع بتوقيف استعمال هذه الأدوية . وكثيراً ما يكون السبب أيضاً تجمع أف الأذن ( المادة الصمغية فيها ) فيزول بازاته بالحقن بالماء الفاتر

﴿علاجه﴾ قبل أن نبحث عن الأمراض التي تسبب طنين الأذن يقتضي النظر أولاً فيما إذا كان يوجد جسم غريب في الأذن ، أو مادة شمية ، فإذا لم يكن شيء موجوداً من هذا علينا البحث حينئذ عن السبب العام للطنين والعمل على إزالته .

ويمكننا أن نقسم هنا علاج طنين الأذن إلى قسمين ، علاج عمومي وعلاج موضعي . ( أولاً ) - علاج عمومي : على المريض أن يعيش على أتم ما يكون في القواعد الصحية ، فتكون معيشته مريحة منتظمة ، وممارسة الرياضة اليومية الخفيفة في الهواء الطلق ،

وينجنب الأفعال المتعبة والأمور المبهجة ، وتماطي الشاي والقهوة والتبغ والكحول ، ولا يحرص خصوصاً فكره وانتباهه في طنين الأذن المصاب به

ويُعطى المصاب كسكنٍ عمومي لهذا الطنين ولقرط الدوي الذي يشعر به : الأنتيرين أو الهينسال أو الكلورال مضافة إلى البرومور أو برومور البوتاسيوم وحشيشة الهر Valeriane بحسب إرشادات الطبيب المعالج

وان كان السبب وجود أنيميا ، أو احتقانات دموية ، أو حالات عصبية عمومية ، أو المرض Arthritisme أو التسمات ببعض الأدوية وغيرها فتعالج بحسب أنواعها وأسبابها وإذا كان السبب ضعف عصبي تعطى المقويات والطعام المغذي .

ثانياً — علاج موضعي : (١) تمسيد طبلة الأذن ، (٢) تهوية صندوق الطبلة بعمل دوش هراء لمرور هذا في قناة استاكيوس ، (٣) عمل حمامات للأذن بمحلول مكثف من المورفين والأترابين بنسبة ٢٠ سقترام من هذه الأجزاء إلى ٢٠ غرام من الماء ، (٤) تبسل قطعة من القطن في مزيج من الكلوروفورم وصفغة الأفيون والهيو سيامين (أجزاء متساوية) وتدخن بها القناة السمعية الظاهرة وقد أدّى استعمال هذا العلاج إلى نتائج حسنة ، (٥) قد تقضي الضرورة أحياناً باستعمال العلاج الكهربائي : التيار الفارادي أو تيار غالفانيك المستمر ، سواء كهول أو كهبيج أو كنبه لأعصاب سلسلة العظام الموجودة في الأذن الوسطى ، أو أيضاً كهربية أو منيرة لحساسية العصب السمعي ، غير أن تأثير هذه التيارات لا يفيد في الغالب إلا مؤقتاً . ولا ينكر أنها تنفع جداً في حالات الدوار والصمم لكنها تُعَد غير كافية في علاج طنين الأذن ولا تزيل إلا قسماً من هذا الطنين ، (٦) قد يكون طنين الأذن ناشئاً عن حالة برمنة ، مصحوباً بحفاف زائد في الغشاء المخاطي في حالة الإصابة بالتهاب الأذن الوسطى ، أو عن سيلان الأذن وانتقاب الطبلة ، أو عن انسداد بوق استاكيوس ، أو عن حالة النهائية في الغشاء المخاطي للجاري السمع ، فتستعمل حينئذٍ لأجلها العلاجات الموافقة بحسب كل حالة كما يترأى للطبيب المعالج .

وفي كل حال لا بدّ من إجراء فحص دقيق للأذن لمعرفة أسباب العلة وذلك عند أحد الاختصاصيين المشهورين بأمراض الأذن والأنف والحنجرة ، للعمل على إزالة هذا الاضطراب ومعرفة أي قسم من الأذن هو المصاب . حتى وإن لم يكن هناك سبب ظاهري لذلك أو كانت العلة خفيفة مثلاً ، فالفحص الخصوصي هو جيد وكفيل أن يسكن روع المصاب ويطمئن به .

هل أتيس الفراعنة والبابليون والهنود تمدنهم عن المكسيك

## زيجور الشمسك

بين المكسيك ومصر<sup>(١)</sup>

أتاحت لي الفرصة زيارة بلاد المكسيك قبل ثلاثة أشهر من الحرب الأخيرة ودعاني صديق لتناول طعام العشاء في أحد المطاعم الكبرى في مكسيكو العاصمة، فاسترعى نظري لباس الأوانس العلامات في المطعم اذ ذكرني هذا اللباس بما طالما رأيته في متحف القاهرة من موميات فرعونية . ذلك لانه لا يختلف عن كسوة المرأة في عصر الفراعنة في تفصيله وألوانه ونقوشه ، من غطاء الرأس حتى حذاء الرجل

« ولماذا اختار صاحب المطعم لعلاماته ألبة بنات النيل في العصر الفرعوني ؟ »  
وجهت هذا السؤال لرفيقي فتبسم وقال : « إن هذا الزي إن هو إلا زي نساء المكسيك في العهد القديم ا » .

فأنار هذا الجواب انتباهي وشوقى للتعرف الى وجه الصلة التاريخية بين مصر والمكسيك وازدادت اهتماماً بهذا حينما شاهدت في سهل « تيوتيهواكان » على بعد خمسين كيلو متراً من العاصمة ، وفي تشوهيكالكو وتشولولا ، أهراماً مثل اهرام مصر ، قائمة على قاعدة هندسية لتكون مروة دالة على فصول السنة مثل هرم الجيزة الأكبر ، وتساءلت أيضاً فيما إذا كانت الثقافة المصرية بلغت القارة الأميركية ، وحملت معها تصميم الازهرام . واسترسلت في التفكير الى أبعد من ذلك فقد تساءلت عما اذا كانت عقيدة خلود النفس وما رافقها من فن التحنيط رافقت أيضاً في رحلتها من مصر الى المكسيك مشروع الازهرام ، لما بينهما من الارتباط ولا سيما لأن طريقة التحنيط كانت واحدة عند الفراعنة وسكان أمريكا الجنوبية ولا تختلف حتى في الصفات .

وهذا الاهتمام بالماضي أنار في نفسي حب الاستطلاع والمراقبة في الأحياء لملي أعرف هل لا يزال التشابه بين مصر والمكسيك ملموساً في العصر الحاضر .

(١) محاضرة ألقاها سمادة محمد جميل بهم بك رئيس جمعية اخوان الثقافة في بيروت في نادي الجمعية في ٥

من مارس سنة ١٩٤٨

على أن المفروض أن يكون وجه الشبه بين القطرين بعيداً ، لأن بلاد المكسيك قائمة على جبال ثم وأودية فأرة وأهلها تتجلى فيهم صلابة المخور وضراوة النصور ، بينما ان مصر تنبسط حول وادي النيل الخصب الريان فتتجلى في سكانها طراوة الأنهار ، وعذوبة تفريد الاطيار . ولكنني مع ذلك لاحظت وجوه شبه كثيرة حتى يومنا هذا بين المصريين والمكسيكيين ، وخصوصاً في الأوساط الزراعية . فما أكثر ما يتشابهون في اختيار الألوان وأردية النساء وفلاداتهم الذهبية ؟ وما أشد ما يتقاربون في مزاوله الأساليب الزراعية القديمة وأدواتها ، وذلك فضلاً عن بعض العادات القديمة . وهي تتجلى في بعض الحفلات الشعبية وغيرها وخصوصاً في طريقة الخطبة ، على أن وجه الشبه بين الشعبين كثيراً ما يبدو أيضاً في بعض المآكل ، ففي مصر يعتبر الفول ( المدمس ) الصحن الشعبي . ويقابله في المكسيك طعام الذرة المتبل بالحمض والفلفل وهو عند المصالح الشعبي أيضاً والذرة عند المكسيكيين أهم عناصر الطعام ويعتمدون عليها ، مثلاً يعتمد الفلاح المصري على الفول ، ويستعملون الأوراق الشفافة من عرائسها لفائف للتبغ .

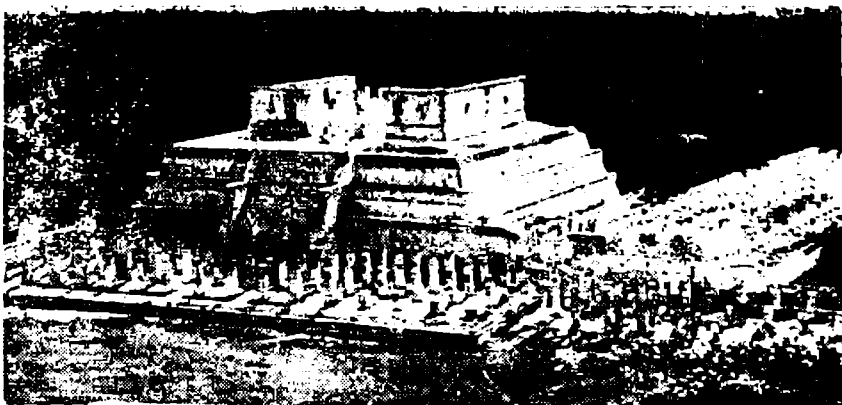
وكما ان المصري يألف بطبيعته الأباذير الحارة ، وأطيب له المآكل الحافلة بأنواع الفلفل والبهار ، فالمكسيكي شديد العناية أيضاً بهذه الأباذير لا سيما الحارة منها . ويبلغ من شغفهم بها أنهم يعملون في مدينة مارده سلطة بالفاكهة حافلة بالليفلاء الحارة .

هذا إلى أن الخفة في الروح وحب اللهو وعدم المبالاة بالغد ، هي من طبيعة المكسيكي ، كما هي من طبيعة المصريين القدماء . فينفق المكسيكي كسب يومه غير حاسب حساباً للغد على قاعدة أنفق ما في الجيب يأتبك ما في الغيب .

وإذا حملنا هذا التشابه الكثير بين الشعبين على تأثير الجو والحرارة في كلا القطرين دون أن نجعل للتاريخ صلة ما بذلك ، فإذا عسانا نقسم التشابه بينهما في الصناعات القومية الخاصة ؟

فاذا دخلت دكان بائع التحف والصناعات المكسيكية القومية ، والتفت بمنة وبسرة تراقب المنسوجات الوطنية وسائر المصنوعات التي تحتفظ بالطراز المكسيكي ، ورأيت البسط والفخار وأشكال الزوارق وتدرت فيما تشاهد من نقوش وأصبغة وألوان ورسوم ، خيل إليك أنك في داخل مخزن من مخازن التحف المصرية في القاهرة . أو في أحد المتاحف الفرعونية وإلى جانب ذلك لاحظت أن هنود المكسيك ، وهم سواد الشعب ، لا يقتصر الشبه بينهم وبين الفرق على ما بينهم وبين مصري وعراقي الأرباب فحسب ، بل يتعدى ذلك إلى وجود كثير من التماثل بينهم وبين أهل البادية في سائر الأمصار العربية . هذا ومن يقرأ كتاب





١ - احدى خرائب الانار في المكسيك



٢ - هرم كورنيفاكا



٣ - خرائب شيشن ايتذا

الفيل والآنثروبولوجيون للعلامة البيوت مميت يساوره العجب أسوة بالمؤلف، ويتساءل كيف نيسر للأميركيين قبل ألف سنة أو نحو ذلك أن ينحتوا تماثيل الفيل مع أن هذا الحيوان لا يعيش في بلادهم؟ ويتساءل أيضاً معه إذا كانت الثقافة الهندية قد انتقلت من الهند إلى القارة الأمريكية، وحملت معها رسم الفيل .

والى ذلك فإن من يقلب صفحات مفكرة عام مضى كان مكتب الولايات المتحدة للاستعلامات قد أهداها لأصحابه، يستوقف نظره فيها رسم قرية شبيهة بقرى مصر، فيتساءل عن الغاية من نشر هذا الرسم الغريب عن أمريكا، بينما أن المفكرة اقتصرت على إيراد رسوم مشاهد أميركية خصب، وإذا به يقرأ في الصفحة الحاذية ما يلي: هذا منظر قرية بناها الهنود الحر منذ ألف سنة تقريباً في ولاية نيومكسيكو : وقد بنيت البيوت من نوع الطين الذي يسمونه « آدوبي » وهي كلمة مأخوذة من كلمة « الطوب » القبطية ولا يزال الهنود الحر يسكنون هذه البيوت .

والواقع أن بلاد المكسيك هي من أقدم أقطار أمريكا حføلاً بالسكان : فقد قال بعض المؤرخين أن وادي المكسيك كان مأهولاً بالسكان منذ خمسة وعشرين ألف سنة . وقال المؤرخ برسكوت . « ان المكسيك كانت أبرز بلدان أمريكا اللاتينية عمراناً . كما أن سكانها الأقدمين كانوا يمتدازون بذكائهم وأخلاقهم بدليل ما خلفوه من آثار شبيهة بآثار المدينطين المصرية والهندية وما تركوه من أخبار عن الفتوحات والمغامرات الروائية التي تتمثل فيها أساطير النورمان والطلليان التي وردت في الحكايات عن أبطالهم » اه .

ولا بدع فإن ما بنته قبائل ايبي قبل نصف وألف سنة من الميلاد في غواتيمالا وبوكانان من مدن ، كانت آية في جمال البناء والهندسة ولا تزال آثارها تدل عليها ، كل ذلك يعرب عن مبلغ ما وصلت اليه المكسيك من العمران . ومن يزمرارده في البوكانان ويرى فيها تلك الهياكل المتهدمة المعروفة بمخرائب « شيشن إيتزا » ير الفخامة والدوق والهندسة ، ومثلها مخرائب متلا وكباروا . وإنا لنقف هنيهة اراء هذه الآثار ونفكر فيما إذا كانت مصر والهند هما اللتان اقتبسنا من المكسيك ، أم أن المكسيك هي التي أخذت عنهما . فقد روى بعض المؤرخين أن اهرام شيشيلكو القائم في ضاحية مكسيكو العاصمة ، يتراوح عمره بين الأربعة والعشرة آلاف سنة . وإذا صح أن هذا الاهرام بني قبل بضعة آلاف من السنين فتكون المكسيك قد سبقت مصر في رفع الاهرامات ، وإلا فربما يكون اهرام شيشيلكو طاصر قيام أول اهرام بنته الأسرة الأولى من الفراعنة ، أو أنه بني على أقل تقدير في حدود المعصور التي رفعت فيها اهرامات الجيزة الثلاثة من قبل الأسرة الفرعونية الرابعة .

هذا وقد بدا لي إشكال آخر منذ ألفت نظري على الاهرامات القائمة في تيوتيهواكان،  
وتفوشيكالكو وتشولالا في المكسيك . وحسب ذلك ان هذه الاهرامات مبنية على شكل  
مدرج طبقات وفقاً لأصول فلسفية كما يعرفون بها المواقيت اليومية والشهرية استناداً الى  
حركاتي الشمس والقمر . وأكبر هذه الاهرامات إثنان أحدهما كان يحمل إسم الشمس  
والآخر إسم القمر . كما استرعت نظري تماثيل ونقوش بارزة في هذه الاهرامات أشبه شيء  
بنقوش ورسوم الهند ، وغير بعيدة عن نقوش البابليين والكلدانيين . بينما إن اهرامات  
الجيزة الثلاثة كانت ملساً لا طبقات فيها ولا زخارف .

ووجه الاشكال الذي حدث في نفسي فيما إذا كانت المكسيك قد أخذت فكرة الهرم عن  
غير مصر مع ما تنطوي عليه من المقاصد وخصوصاً الدينية وذلك لأنهم عثروا في آثار بابل على  
ما يدل ان البابليين القدماء كانوا يبنون أبراجهم العالية على شكل الهرم المدرج طبقات وكل  
طبقة أقل مساحة من التي تحتها على نحو اهرامات المكسيك .

ولكن ماذا نقول عن التمثال الجاثم أمام مدخل معبد المحاربين في خرائب « شيشن إيتزا »  
في يوكاتان ؟ فإذا كانت فكرة الاهرام لم تنقل عن الفراعنة ، بل نقلت من بابل ، فهل ترى  
ان هذا التمثال الكبير الذي يمثل رأس امرأة في جسم حيوان غير مقبوس أيضاً عن  
أبي الهول الرابض في الجيزة ؟ .

وماذا نقول عن تلك النقوش ذات الشكل الصوري التي وجدت في المكسيك على قبور  
بعض القواد العظام وغيرها ؟ وهي أشبه الكتابة الهيروغليفية المصرية المنقوشة على  
الأحجار والبردي .

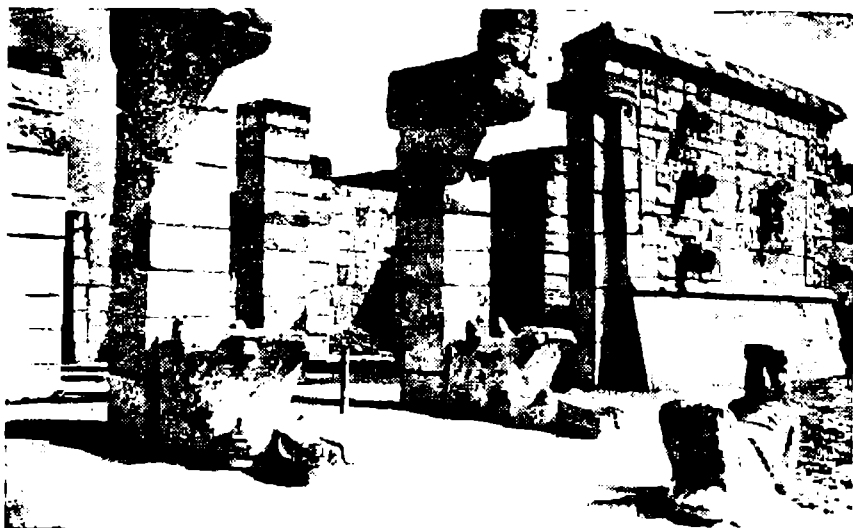
\* \* \*

تلك معلومات لا تزال سرّاً من الأسرار لأن التنقيب عن الآثار في المكسيك يرجع الى  
غرة هذا القرن فقط .

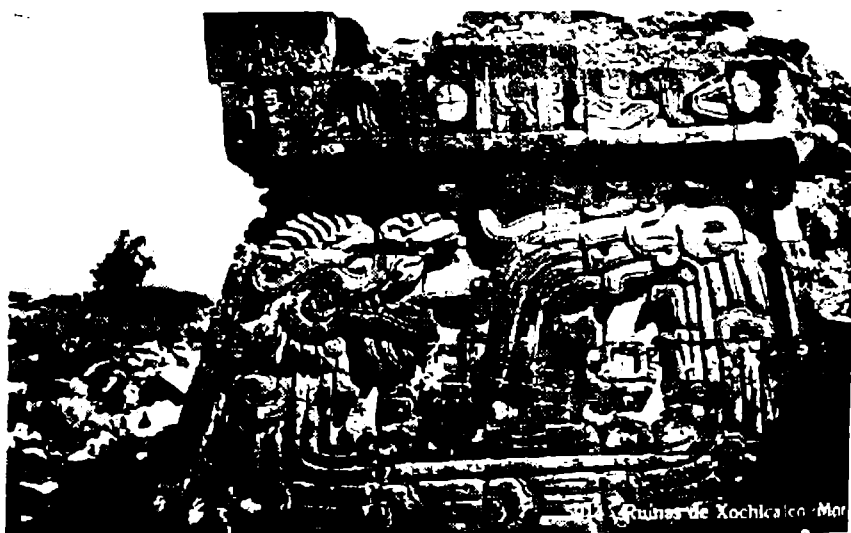
ولعلّ المكسيك التي تجمع في عاداتها أصولاً تنفق مع الهند وبابل ومصر كانت على  
اتصال مع الشرق ، ولعلّ أدوات الاتصال بين أجزاء الأرض في عهد قديم كانت أرقى درجة  
من السفن والمراكب ذوات الأشعة . وما يدرينا إذا كانت حكاية بساط الريح وليدة  
حقيقة أضاع الزمان معالمها وان ما بقي منها يقتاتل على الألسن أصبح من قبيل أسطورة  
من الأساطير .

محمد جمعة بيسهم

(بيروت)



٤ - خرائب شيشن ابتدا



٥ - خرائب اوکسيو شيكالو في نيو مكسيكو

## ٣ = سياسة

### الارشاد الاجتماعي

على أي أساس ينبغي أن تقوم ؟

#### ب — الدراسة الاجتماعية المقارنة

كان تيار النشاط الفكري العام محصوراً حتى عهد قريب في نطاق السياسة المطبوعة بطابع الجدل الحزبي المتطرف الذي يضلّ ويؤذي أكثر مما يهدي ، وينفع ، ولم تكن قضية الوطن الكبرى ، وهي لا تزال بحق مشكلة المشاكل عندنا ، لتأخذ بنصيب من العناية الجدية يصرف إلى غيرها من المشكلات الاجتماعية الدقيقة التي بدأت تطلّعها تبرغ في أفق المجتمع المصري الحديث ، وتشغل بال بعدي النظر من الكتاب والباحثين من الوطنيين والأجانب على السواء .

واقدر ظلّ الرأي العام المصري ، نتيجة لهذا التجاهل المعيب القوي منيت به مشكلاته الاجتماعية زمناً مديداً ، قاصراً عن إدراك كثير من حقائق التطور الاجتماعي الذي بدأ يفعل فعله في بيتنا القومية منذ فجر ثورتها الوطنية الكبرى عام ١٩١٩ ، وكما عجز الكثيرون من قادة فكره ، مع الأسف الشديد ، عن التوفّر الجدي على بحث أهم المشكلات الاجتماعية ودراستها الحديثة ، وإعطائها ما تُعطاء المسألة السياسية من اهتمام وعناية حتى تتعادل « القيمتان » السياسية والاجتماعية لنهضتنا الحديثة في نظر المستنيرين ، بل وأنصاف المستنيرين من أبناء الشعب .

ومن البداية المقررة في علم الاجتماع ، الذي تطور تطوراً رائداً في العقود الخمسة الأخيرة ، أن القوة المحركة لانهضات السياسية في الشعوب المتخلفة نسبياً في مفاصل الكفاية الدائبة — هذه الكفاية التي تُعَد الركيزة الأولى في صرح الاستقلال السياسي والاقتصادي معاً هي قوة الانهاء الاجتماعي Force of Social Reconstruction وأُعني بها قدرة

« الوعي الجمعي » في الشعب ، باعتبار هذا الوعي المقياس الصادق لقوة نظامه وحيويته ، على جعل مجتمعه على الدوام مجتمعاً متحرراً كما Société Mobile لا مجتمعاً جامداً أو متخلفاً immobile عن مواكب غيره من المجتمعات ذات الطاقة الانتاجية النامية

ولا نكران في أن مجتمعنا المصري بظروفه الراهنة لا يزال تعوزه الى مدى بعيد هذه القوة الانفعالية الخلاقة ، في ناحيتها المادية والمعنوية على حد سواء . والواقع أنه كان من جراء حاجتنا الى بعث هذه القوة في كيان مجتمعنا الذي ما زال يجتاز فترة انتقاله ، أن ظلت غالبيتنا لا تستطيع أن تفهم من مدلول كلمة « الإصلاح الاجتماعي » أكثر من مجرد أمانٍ عريضة وأحلام وتصورات لا يزال يريقها يبهت أمام الأحداث المتعاقبة حتى يتلاشى من مخيلاتهم المكدودة ، على حين يذهب فريق آخر مذهباً متطرفاً يجعله لا يفهم من معاني الإصلاح الاجتماعي غير الصور الهدامة والأوضاع الشاذة التي لا يمكن أن تستقيم مع مقوماتنا أو موروثات بيئتنا الشرقية وظروفها الخاصة .

وكم يؤلمنا أن نقول ، ونحن آمنون من أن نهم بالمبالغة ، ان عيب الارتجال إذا قُدِّر له أن يبرز بصورة ملموسة في أية ناحية من نواحي سياستنا العامة ، فانه لن يكون أقوى بروزاً أو أبين ظهوراً منه في سياسة الإصلاح الاجتماعي التي نُبدي فيها القول ونعيده في الاحاديث المستفيضة والخطب الرنانة المنمقة ، دون أن نضع لانفسنا حتى اليوم برنامجاً واضحاً محدد الأهداف مرسوم خطى التنفيذ ، مطابقاً ، ما استطعنا سبيلاً الى المطابقة ، لظروفنا الاقتصادية والاجتماعية وبخاصة في ظل هذه الفترة الانتقالية الدقيقة التي نجتازها اليوم .

ولا يحسن أحد أن مبادرتنا الى تقليد مشروعات السنوات أخيراً يُععد بداية عهد جديد للتنظيم العلمي لجهود الإصلاح الاجتماعي المبعثرة والتنسيق الفني لمشروعات الانشاء والانتاج لرفع مستوى الطبقات الدنيا ، بل إن الحقيقة التي لا تكاد تخفى مراراتها علينا جميعاً ، هي أننا حتى في هذا التقليد الجديد ارتجاليون أكثر منا سياسيين مجريين أو مدبرين فنيين لا يعوزهم الامام والبصر بنهايات كل مشروع ولا تنقصهم القدرة على التقدير السليم للنتائج والمعقبات الى الحد الذي يجعلنا لا نخطط خطوة واحدة ما لم نوقن أنها ستكون في الاتجاه

السليم ، حتى لا تتكبد - كما يحدث غالباً - من الجهود المضنية والنفقات الطائلة ،  
مالا يكاد يجدي أو يُثمر

وليس النقص هنا نقص أموال يمكن تدبيرها أو أيدٍ عاملة وسواعد منقّذة يستطاع  
تكتيلها وحشدّها بقدر ما هو نقص بيّن في الدراسات المنظمة والجهود المنسقة والفنيين  
الذين لهم خبرة سابقة بتفاصيل كل مشروع وقدرة على الالمام بعناصر، من النواحي الاقتصادية  
والمالية والاجتماعية ، بل والنفسية أيضاً !

والحق الذي لا نستطيع نكرانه أن الدراسات الاجتماعية بالمعنى العلمي المفهوم في بلدان  
الغرب وأوساطه الثقافية ، لا تكاد نحس لها أثراً في حياتنا عامة ، هذا إن لم تكن في حكم  
المعدومة أصلاً ، والدليل على ذلك هذه النزعة الارتجالية المسيئة التي كادت تصبح من أبرز  
سمات الحياة العامة عندنا .

وقد تكون ثمة دراسات واسعة مشبعة وتقارير ضافية مشبعة ، تتمخض عنها لجان هنا  
ولجان هناك ، ولكن الوضع هنا ليس وضع مقدار وكم ، بل وضع نهج وكيف ، وليس كذلك  
وضع سياسة حزبية معينة تقضي عليها سياسة حزبية معارضة ، بقدر ما هو وضع سياسة  
قومية عامة تلوأسسها وقواعدها التي لا خلاف عليها فوق جميع الأهواء والاختلافات .

وإلا فأين معاهد البحث الاجتماعي الفني عندنا ، بل أين خبراؤه وإخصائيوه ؟  
أو أين الدراسات الجامعية العالية في هذا الحقل الخصب والمجال الرحب ، بل أين مراكز  
التجارب الفنية والعملية التي تجري على الدوام في محيط البيئتين الريفية والمدنية لتكون نتائج  
هذه التجارب نواة صالحة لسياسات انشائية ناجحة ومشروعات عمرانية لا يقدر لها الاخفاق  
والفشل ؟

وأخيراً وليس آخراً ، أين الاحصائيات التحليلية الدورية التي تتناول شتى تفاصيل  
الحياة الاجتماعية وسائر صورها وأوضاعها لتعطي للباحث الاجتماعي جزءاً كبيراً من المادة  
المية التي ستكون قوام بحنه في الحالات الاجتماعية المختلفة وهو بسبيل تقصيه اعلاها الخفية  
وأسبابها المطوية في نضاعيف عديد من تلك المظاهر الخارجية التي تخدع غالباً ولا تصدق  
الأقل قليلاً .

وهكذا يمتد بنا حبل التساؤل ولا تتكشف الاجابات المتعاقبة الا عن حقائق مرّة  
مؤسفة أو أوضاع ومنظّمات «مظهرية» كاذبة !

وهل نعمة أبعث على المرارة والأسف من أن نعلم أن من أم المعوقات التي قد تحول  
فترة من الزمن دون توافر المراكز الاجتماعية في قرى المملكة المصرية فضلاً عن إبقاء هذه  
المراكز ثمرتها المرجوة في تحقيق الإصلاح الاجتماعي في الريف، هو عدم توافر الاختصاصيين  
الاجتماعيين الجديرين بهذا اللقب أو المتخصصين في فن الارشاد الاجتماعي من الناحيتين  
النظرية والعملية على غرار ما نفهم من هذا الفن وطبقاً لما تحقق منه في مجتمعات الغرب التي  
سبقتمنا أهواطاً بعيدة جداً في مجال الخدمة الاجتماعية Social Work ووفقت الى حد بعيد  
في تحقيق أهدافها الانسانية الرائمة ؟

وفي الوقت الذي نجد بلاداً كالولايات المتحدة الأمريكية تفيض على سمعتها بمعاهد البحث  
الاجتماعي ومراكز الدراسات المقارنة في مفككات الحضارة الآلية وما خلفته من آثار في محيط  
الاجتماع والامرة ، بل في الوقت الذي تخصص الجامعات فيها على اختلاف أساليبها ومناهجها  
في الدرس والبحث ، أموالاً هائلة وجوائز قيّمة لمؤالات البحوث المستفيضة والتجارب  
الواسعة في هذا النطاق الحيوي ، نجد بلادنا على سمعتها وعلى شدة حاجتها الى البحوث الاجتماعية  
وعلى أخذها بحظ وافر من التعليم الجامعي الحديث ، وعلى قيام الجمعيات العلمية في ربوعها ،  
لا تكاد تفرغ من الجهود العلمية والعملية لهذه الناحية ، الا أهونها وأتفها ولا تخصص من  
الاموال للنفقة على هذه البحوث إلا أقلها وأضالها !

وإني إذ أكتب الآن هذه السطور أجد بين يدي وأمامي على مكثي مجموعة مختارة  
من أروع وأمتن البحوث والدراسات الجامعية في شتى موضوعات الاجتماع والاقتصاد .

فهذا بحث ضاف للجامعة «مينيزوتا» عن مشكلة البطالة يمتاز بنزاهته العملية ومشوراته  
ونصائحه التطبيقية ، وقد توفر عليه نخبة من أساتذتها الاجلاء الذين تطوعوا لهذه الدراسة  
الشاقة عند ما امتد عصف الأزمة العالمية خلال أعوام ١٩٣١ و ١٩٣٢ و ١٩٣٣ بالمؤسسات  
المالية والصناعية الكبرى في أمريكا مما كاد يهدد مركز البلاد الاقتصادي .

وهذا بحث مقارن جامع للجامعة وسكانسون عن مشكلات انمربية واتهام في عصر الزخم



الاقتصادي وسيطرة الآلة ، وتلك دراسة علمية تطبيقية رائعة لجماعة من أساتذة جامعة « نورث كارولينا » عن مشكلة « اليوجينية Eugenic » وأعني بها تحسين النسل بطريق التعقيم .

والحق كل هذا البحث من أهم البحوث التي اشتدت إليها تشريعات عدد ولايات أمريكية صدرت لتحقيق هذه الفكرة الجديدة وتطبيق مشروعات هذا الإصلاح الاجتماعي الكبير فيها .

وثمة بحث طريف آخر مدغم بالاحصائيات الدقيقة والملاحظات العملية الصائبة للاستاذ « ماري فرامبتون » بجامعة هارفارد عالجت فيه مشكلة من أعقد مشكلات المجتمع الحديث وأعني بها علاقات الانصالي وعوامل التفاعل الدائم بين بيئة الحضر وبيئة الريف ، وأثر ذلك كله في تدرج النسب المئوية لهجرة السكان من إحدى البيئتين إلى البيئة الأخرى ، وأثره أيضاً في مشكلة التمثل الدائمة والمؤقتة ، ثم كيفية تمهيد وخلق فرص العمل بوضع ميزان دقيق عادل لتنظيم الهجرة بينهما .

وغير هذا وذاك دراسات ودراسات لمعاهد وهيئات كانت ولا تزال عمدة السلطات الحكومية والمجالس التشريعية فيما تقوم به من مشروعات كبيرة وتشريعات سديدة في ميدان الإصلاح الاجتماعي الذي قفز في هذه البلاد قفزات رائعة خليقة بأن تحمذى حسناتها من جانب البلاد التي لا تزال متخالفة إلى حد بعيد في هذا الميدان .

أما مجال الإصلاح الاجتماعي في انجلترا ودول شمالي أوروبا ، كدانمرك وسويد ونرويج وغيرها ، فحدث عنه ولا حرج ...

فإذا نحن واجدون عندنا في مصر من مثل هذه الدراسات والبحوث ، وماذا أفدناه من جهود كثير من الهيئات والجمعيات العلمية في ميدان تعد الخدمة فيه من أهم أركان ومقومات المجتمع القوي السليم ؟

الاهم لا شيء يعتمد به من الناحيتين العلمية والتطبيقية فيما خلا نتفا ضئيلة لا تكاد نفي أو نسمن من جوع ، تتحدث عن جهود فردية مبعثرة تذهب كما قلنا صرخة في واد ...

إننا إذن نجد فقرات في محمول هذه البحوث الاجتماعية العلمية ودراساتها التطبيقية

المقارنة التي تكون بحقّ « الوضي الجمعي » المرهق عند طامة أفراد الشعب .  
نعم إن مشكلاتنا الاجتماعية في الريف ما تزال تنتظر بحوثاً أوفى وأكمل من الناحيتين الاجتماعية والمالية عن مسائل الغذاء الصحي والسكن الملائم والملبس المناسب والحرفة المربحة ، كما لا تزال تنتظر دراسة أوفى لتدبير طرق الرقاية الميسورة من غوائل الاوبئة المتوطنة والعارضة التي تجرد من بيئة الريف الفقيرة الجاهلة رعىً خصيباً تعيث فساداً فيب أياماً وشهوراً . . .

وثمة مجال النشاط التعاوني في شتى نواحي الحياة في القرية وهو النشاط الذي عليه المعول الأكبر في رفع مستوى الحياة فيها . أين دراساته التطبيقية وبحوثه العملية وإحصائياته البانية ؟

كذلك الحال في مشكلات الأسرة ، مع ملاحظة الفوارق المادية والثقافية والنفسية بين حالة الأسرة في المدينة وحالتها في القرية الريفية المحدودة الموارد والاساليب . أين البحوث والاحصائيات الدقيقة المنتظمة عن كل ما يتعلق بموضوع الطفولة ، وما يتصل بمشكلات الزواج والطلاق إلى جانب التحليل العملي لمظاهر ونتائج العيوب الخلقية المتوطنة في بيئات الأسر ، وبخاصة في الحواضر والمدن ، تلك العيوب التي تعد معاول هدم وتخريب في كيان المجتمع ؟

إذن لا بدّ من إعداد العدة لهذا كله وتنظيمه التنظيم الذي يكفل إيتاء الثمرة المرجوة من ورائه ، في سبيل إصلاح المجتمع المصري ريفه وحضره ورفع مستوى طبقاته ، وتقريب الفوارق البعيدة التي تفصل اليوم بينها وتحول دون تنمية روح العدالة الاجتماعية أفرادها لنجعل مبادئها هو الأعلى دائماً وهو الأولى باستهدائه في شتى محاولتنا للانشاء والإصلاح والترميم .

إن أول ما يجب أن نعي به إذن هو تأصيل الدراسات الاجتماعية المقارنة في بعض بيانات البحث الاجتماعي العلمي في مصر ثم العمل بغير تريبث أو وناء على إعداد الاختصاص الاجتماعي وكذلك المرشد الاجتماعي الذين يكون في مكنتهما فهم رسالة الإصلاح والأرهاد على حقيقتها والنهوض بمعبء الدعاية الاجتماعية المنتجة في شتى البيئات والأوساط . ولكن

في علمنا جميعاً وعلم المعنيين بهذه الشؤون خاصة سواء كانوا من رجال السياسة أو من أعضاء البرلمان أو من رجال القانون والتشريع أو من كتّاب الدراسات الاجتماعية المختلفة . أنه بغير الاختصاص الاجتماعي الكفء أو بغير المرشد الاجتماعي الجرب ان تقوم للدعاية الاجتماعية أو للارشاد الاجتماعي في مصر قائمة .

والحق أن الغرض المقصود من العناية بأمر هذه الدراسات والبحوث الاجتماعية هو تزويد الاختصاصي الاجتماعي ، الذي سيكون نواة المراكز الاجتماعية في الريف ، وكذلك المرشد الاجتماعي الذي سيكون لسان حال الاصلاح عامة سواء في الحضر أم الريف ، بمخلاصات وافية من هذه الدراسات فضلاً عن أنه سيكون من المشاركين بصورة إيجابية فيها . ولتحقيق هذا الغرض الكبير اقترح الاقتراحات الآتية :

١ - توسيع اختصاص مدارس الخدمة الاجتماعية وإفساح المجال فيها أمام الدراسات والبحوث الاجتماعية المقارنة من الوجهتين النظرية والعملية ، ومنح إجازات قيمة لمكافأة البحوث التي أُنشئت عناصر البحث العلمي السديد . على أن تُسند هذه المدارس بالمعونة المالية التي تكفي لأمانتها على القيام بوظيفتها الأولى في الإعداد لممارسة الخدمة الاجتماعية .

٢ - يُراعى من الآن فصاعداً أن يكون اختيار من يتولون مهمة الارشاد الاجتماعي أو من يشغلون وظيفة الاختصاصي الاجتماعي في المراكز الاجتماعية المارمع تميمها في أنحاء الريف ، محصوراً في ذوي الاستعداد الخاص من خريجي قسم الاجتماع بكليات الآداب بالجامعات المصرية ، على شريطة تدعيم مناهج هذه الأقسام وإقامتها على أسس فنية وعملية الى جانب الأسس النظرية والفلسفية التي تطبع مناهجها الدراسية حتى اليوم ، وفي خريجي مدارس الخدمة الاجتماعية ومن كانوا حاصلين من جامعات الغرب على شهادات معادلة لشهادات هذه المعاهد والكليات . وبهذا وحده نعوض من فقر قسم الارشاد الاجتماعي بوزارة الشؤون الاجتماعية في الكفايات التي نستطيع أن نضطلع بعبء هذه المهمة وأن ننجح فيها .

٣ - بَعثُ مكتب البحث الفني ، بإدارة البحوث الفنية والتشريع ، من رفقته ، وذلك بتزويده بمكتبة حارة وبقسم فني للاحصاء الحديث وبكفايات تعكف على عمل دراسات

اجتماعية منظمة لمشكلات المجتمع المصري لتكون نبراساً لوزارة الشؤون الاجتماعية ولأعضاء البرلمان عند تحضير مشروع معين أو رسم برنامج منظم من برامج السنوات مع ضرورة عقد صلات قوية بين هذا المكتب الفني وبين مختلف الهيئات والجمعيات والمعاهد التي تقوم بعمل أبحاث مشابهة وتضطلع من جانبها بنفس هذه المهمة ، وذلك بقصد التعاون العام على انجاح كل مشروع من مشروعات الإصلاح .

٤ - تأليف لجنة دائمة ، على أن تحرر تحريراً كاملاً من شتى معوقات « الروتين الحكومي » يكون قوامها أعضاء عاملين يمثلون وزارات الشؤون الاجتماعية والمالية والعدل والصحة والزراعة ، ومعهم أعضاء آخرون لتمثيل الاجان البرلمانية لهذه الوزارات ، وتكون اجتماعات هذه اللجنة بصفة دورية منتظمة لبحث كل مشروع عام من مشروعات الإصلاح الاجتماعي والعمل على اخراجه الى حيز التنفيذ العملي ، بعد الاقتناع بسلامة أسسه وسعة أهدافه مع تولي هذه اللجنة وضع سياسة ثابتة تقوم على سنوات ، لتحقيق شتى نواحي الإصلاح في هذا الميدان حتى لا تجيء الجهود الحكومية ثمرة ارتجال معيب .

٥ - يجب أن تعني وزارة الشؤون الاجتماعية بإرسال بعوث سنوية الى البلدان التي ازدهرت فيها مشروعات الخدمة الاجتماعية ، لاعداد نخبة صالحة من الاختصاصيين والمارشدين الاجتماعيين ليكونوا نواة البرامج الإصلاحية الكبرى المزمع القيام بها خلال السنوات القادمة . وكم يؤسفنا أن تكون وزارة الشؤون الاجتماعية هي أقل وزارات الدولة اهتماماً بهذا الموضوع الكبير رغم ضخامة العبء الملقى على عاتقها ولو أنها بدأت تنشط أخيراً بإيفاد مبعوثين لتحقيق هذا الغرض .

وإذا كنت لم أفصل بطريقة علمية بمحة عناصر الدراسة الاجتماعية المقارنة فلأن ذلك متروك أمة الى طريقة كل هيئة أو منهج كل معهد في إعداد الدراسات والبحوث ولكل أسلوبه كما لا يخفى في تجميع عناصر الدراسة واختيار موضوعاتها وتنظيم مراجعها وتجاربها وليس من العلم في شيء فرض منهج واحد لا يتغير بتغير الموضوع أو البيئة أو حالة الأفراد النفسية وتفاوت ظروفهم الاقتصادية والتعليمية وتباين استعداداتهم تبعاً لذلك لتقبل كل إصلاح جديد .

جمال الدين صمري

رئيس قسم الارشاد الاجتماعي بوزارة الشؤون

( لبحث صلة )

# أحبك حب الحياة !

- ١ - على ضفة الجدول الرائق  
وحيثُ الأزاهير تسي النهي  
وحيثُ الحائلُ صدّاحة  
وحيثُ الجمال يقبه العقولُ  
- هناك على بعض تلك الرُّبى  
فتى في الغرام ولكنما  
كثيرُ التجاعيد مُحدودبُ  
أطلُ من الكوخ في ليلة  
وكان الهلالُ يُشيرُ الطريقَ  
فأملَ في شوقه أن يرى
- ٢ - خيالَ حبيبته المصطفاه  
خيالَ التي وهبتُ فنسُ  
مضت للمدينة مدفوعة  
وما للمدينة غيرُ الطلاء  
مفاتيحُ تسي قلوبَ الأنامِ
- ٣ - ومرَّ النسيمُ به بارداً  
فأغلقَ كَوْنَهُ بِإِسَاءِ  
ومصادفَ ناظرُهُ شمعةً  
فرَّ بِخاطرِهِ خاطرُ  
فداعبَ قيثارَهُ باليدَيْنِ
- ٤ - زُمَيْرُهُ أَنَّهُ شَانِخٌ  
وتغلّو فتسخرُ من فنسهِ  
وما الفنُّ؟ إن لم يكن وحبها  
ومن وحبها. نسفُ خالدُ  
تزيّنُ الليالي بِترجيمِهِ
- وفي كنف الشجر الباسق  
وتفتنُ في صمتها الناطق  
بكلِّ برى الهوى صادق  
فتسبح في حُلُم شائق  
ترى العينُ كوخ فتى عاشق  
ترى الشيبَ يلعب في طارضية  
وأعرجُ يمشي بعكازتبه  
يُقلبُ في لفّة فاظريه  
ويعجو الدجى من ذرا جانيبه  
خيالاً من الأفق يسعى إليه  
خيالَ حبيبته الغائبة  
جمالَ فتوتِهِ الداهية  
بشمرة أحلامها الخالبة  
وغيرُ مفاتيحها الكاذبة  
ولا سيما طفلة لاعبه  
فأرعى أوصاله فاضطرب  
وأمسك قيثارهُ المنسحب  
تجوّدُ بأنفاسها في الأسب  
وقد صوّرت حال قلب أحب  
وأنطقهُ كلَّ لحن عجب ...  
وطجرُ ساقاه عكازاته  
وتسخرُ في فنسهِ من هواه  
ولمّح العيون وهمس الشفاء  
دعاه «أحبك حب الحياة»  
ويخفيقُ في كلِّ قلب صداه

٦ - وكنا وكانت حياتنا  
وأفانمُ حبهما أصبحت  
طواها كلؤلة حرّة  
ولكنها أنكرتُ معجتها  
فلما أتاها نداء الحياة

٧ - وما ذاك فصلُ الشتاء الطويل  
وما قر الليل فوق الدروب  
أُسمع لحنًا؟ .. أجل .. إنه  
ألمت به وحدة العاشقين  
فتى بات يبكي بأنغامه

٨ - مضى الليل فأنكب فوق الخوان  
بجانبه شمعة ألهمت  
وفي جفنه حلم راجم  
وتم على الدرب همس لطيف  
وتم خيال .. بلى قد دنا

٩ - أجل هي زوجته أقبلت  
تحاذر تنبيهه من كرى  
وها هي تحمل عكازتيه  
وترمي بشمعتيه في الأثاث  
وتخرج موصدة بابها

١٠ - على الجسرها هي ذي مع فتى  
تدور يداه بأعظافها  
وها هو ذا الكوخ وسط الهميب  
أُسمع لحنًا؟ .. أجل .. إنه  
نصارعه النار لكنه

(القاهرة)

يوسف جبرا

## بين العالمية والقومية

عجيب أمر الانسان : انه كرس القرون الطويلة خارجاً من نطاق دنياه ، هائماً بما وراء الحس ، باحثاً عن أسرار الغيب ، حالمًا بالآخرة ، مفكرًا بالخالق ، مغمضاً العين عن الخليفة وشؤونها فلم يتفرغ لحياته الدنيا إلا بعد أن أنجز الأساس الذي ترسو عليه أصول حياته في الآخرة . إنه جدّ وكدّ في الأزمنة الخالية ليدرك أسرار عالم ما بعد الموت ، ولم يختر له ببال أن يهتم بعصيره وكيانه على هذه الأرض ، ويتفهم جوهر العلاقة بين الأفراد ، وإيجاد الانسجام في الروابط التي تنبثق عن كيانهم واجتماعهم . ومن يدري اذا كان الانسان على صواب إذ حاول أن يقيم الدنيا على أساس من الدين وأن يفرق منذ فجر حياته في خضم الغيب والألمحوس ، ويسعى لاعتناق دين يلذ به هرباً من هواجسه وخوافه وفاته ، ويدأب للذب بحرارة عن هذه العقيدة ، ويمجد لنشرها خارج تخوم وطنه ، وبلقح بعبادتها قوماً غير قومه ، رغبة أو رهبة ، ولو أدى ذلك الى نشوب الصراع بين الجماعة التي يحدوها الحماس الديني والجماعة التي تأبى إلاّ التثبت بتراث قديم قدسسته أجيالاً . ولعله أخطأ إذ آثر الغيب على الحاضر ، واهتم بتنظيم السماء قبل أن يبدأ بتنظيم الأرض ، وانزوى بتخيل مماء تسعد فيها نفسه بعد الموت ، دون أن يسعى لإزالة الشقاء الذي لا يزال ينصب على نفسه ، والعذاب الذي يتدفق على بدنه ، والمساوي التي يتجرعها ويورثها أعقابها .<sup>6</sup> والمتأمل يرى البشرية قد قنعت بما تملك من الكنوز الدينية ، وبانت لا تحلم بنجي رسل وأنبياء يكرّزون بالملكوت ، ولا تستشف الكون يتمخض عن ولادة نبي جديد . ألان الرسالات الدينية بلغت ذروة الكمال المطلق ، أم لأن الاختبارات المتراكمة قد برهنت على أن الدين لم ينقذ غلة البشرية التي يحدوها الطموح ويحرّكها الطمع ، ولم يأنها بالترباق لتبرأ من أوصابها ؟ ولئن كانت الحساسة البشرية وكل ما يمت إليها بنسب قد صادقت صدوقاً من الانسان

فيما مضى من الأزمنة ، فانها أصبحت شغله الشاغل في العصر الحاضر ودينه وموضع تفكيره ومحط آماله . فإذا ما توعدت الأمور عليه ، وتراكت المصاعب ، فلا أنه حديث العهد بمعالجة القضايا التي يقوم عليها مصيره ، غير عالم بأسرارها وخفاياها . لقد ذهب البعض الى القول أن اكتشاف دوران الأرض ، والاهتداء الى نظرية التطور وأصل الانسان ، قد طعنا الكبرياء الانماني في الصميم وأزلاه من عليائه فقد نصت النظرية الاولى أن الأرض التي يحيا عليها ليست مركزاً للكون ، والنظرية الثانية أظهرت له بوضوح وجلاء أنه ليس أسمى أصلاً من الدودة ، وليس أنقى طينة من سائر الحشرات والهوم . هذا العصر الذي شهد ولادة هاتين النظريتين وانتشارهما ، شاهد ظاهرة في التفكير لم تخطر ببال . هذا العصر شاهد انصباباً كلياً من الانسان على الانسان ومما كل ما يتعلق به ، واختلفت النظرة عن ذي قبل ، فهو مهما كان أصله ولونه ودينه وموطنه وطبقته ، نقطة الاهتمام ومركز الكون ، وموضوع كل بحث ورائد كل رأي ونظرية . هذا الروع الشديد بالانسان والسعي لاستكناه حقيقته الجسدية والنفسية ، والرغبة في إيصاله الى محجة الخير والفلاح ، والاختلاف بالوسائل والغايات ، لم تشهد له العصور السالفة نظيراً . هذا الكلف بتحديد مركز الانسان في الكون ، وتنسيق العلاقات المتنوعة المتشعبة بين أفراد المجتمع الواحد أولاً ، وبين المجتمعات المختلفة ثانياً ، هو باعث القلق الذي ينتاب العالم اليوم ، وأمس الخلاف في الآراء وتضارب النظريات . انه يكافح اليوم ويناضل لا في سبيل مبادئ هبطت إليه من السماء الاولى أو السابعة ، بل انبثقت من صميمه وعبرت عن رغباته وتلوثت بطبيعته البشرية . ولأول مرة أصبحنا نرتقب انقلاباً في المفاهيم يسفر عن الحروب .

في هذا العصر الذي أصبح الانسان وسيلة وغاية ، بلغت الحيرة الأوج . انه عاجز عن انتهاج خير السبل لأنه عاجز عن ادراكها وعاجز عن إيجاد الحل الملائم لمشاكله وعاجز عن تمييز المفاسد التي ينبغي عليه أن يتجنبها . إنه لم يبلغ المطلق في السن والنظم التي تمخض عنها ذهنه وتولدت من تراكم اختباراته ، وإنها لن يبلغ بها نهاية الشوط مهما بدّل ونقّح ومهما غرّب ونقى ، ما دام على صلاته البشرية الموروثة والمكتسبة وخصائصه المتركرة في أغوار نفسه . كالمجينة الطارية في البعد تصنع فيها ما تشاء من الاشكال . هكذا تبدو



البشرية للمراقب المتأمل في سياق تاريخها الطويل تكيفها البيئة والاحداث وتطور الفكر ، ويكيفها الافراد العبارة وفق ميولهم ومنطلهم . وما برحت البشرية منذ أقدم العصور حتى الآن ميداناً لتجارب الآراء التي تتمخض عنها أدمغة الرسل والفلاسفة والمفكرين . إنها تشبه من بعض الوجوه الحيوانات التي تتخذ وسيلة لامتحان المحاولات العنسية . والفرق بينهما ان الحيوان في نظر الباحث مجرد وسيلة ، أما البشرية في عرف المصالح الاجتماعي فهي هدف وغاية . ان العالم لا يرمي الى سعادة الحيوان من وراء هذه التجارب ، لكن المصالح القاندي يتوخى قبل كل شيء عز الجماعة ونقلها من حال تشقى بهذا الى أخرى أكثر نعيمًا وأوفر سعادة . والغريب أن يزداد الفلق وتشتد الحيرة وتشعب السبل وتتنوع كلما توغلنا في الثقافة وإستشر فنا الحضارة ، ويسود الهدوء وتنتفي أسباب الخلاف والخصام كلما عدنا أدراجنا نحو البساطة في الوسائل والغايات . فكأن المصاعب قد باتت حليفة لقضايا العصر الحاضر ، ولم يعتمد الانسان خلق الشقاء ليلهو به أو ليلبوه ، بل انه انبتق عن طبيعة النظم التي يسير بموجبها وعن الأهداف التي تنافي سليفته ومنله العليا واختبارات . وإذا ما رأيناها يبحث بالحاح وفلق عن مخارج لما تشكل الأمور وتقع الشبهة ويتدلس سبل النجاة ، فلأنه يشعر بالخطر الذي يحيق به ، ولأنه لم يعد يستطيع العبر على المفاسد من أي نوع كانت ومن أي مصدر جاءت ، ولأنه أخذ يشعر بمسؤوليته تجاه ذاته وتجاه أمته .

ولئن اتفقنا على القول ان العصر الحاضر يتميز بتنوع مصاعبه ، وتعددها ووفرة مشاكلها وصعوبة حلها ، فاننا نختلف كثيراً عند ما نحاول تحليل الأمور تحليلاً صحيحاً ، ونفسر الأسباب التي كانت أمّا لجملة ما نعاني وما نتجشم . في إمكاننا ان نقاضل بين مخترع وآخر ، ونقايص بينهما من حيث الفوائد التي نجمت عن كليهما على وجه يقرب من التمام ، وتتحصف أحكامنا بالصدق أينما نظر إليها بعين التجرد . أما القضايا الاجتماعية فإن بحنها من أوعر البحوث وأكثرها تعقداً وغموضاً لوفرة وجوهها وشدة تنوعها فلا تمنح الدارس متكاً يتكى عليه باطمئنان . وليس في وضع الباحث الاجتماعي أن يمنح الأحكام التي توصل إليها ليتبين الزائف من الصحيح ، بل يتعمق عليه أن يمكث يترقب حصول الاعراض التي تأتي بها مناصبات ليست في الحسبان ولا تخطر على البال . ولو كانت المجتمعات البشرية مكونة

من أفراد بُلُغ، تجردوا من الحرية والاختيار، ونشابهوا في الخصائص والميول، لقنا أننا خاضعون لنواميس مطلقة لا تتذبذب .



يقول البعض أن نظام القوميات الذي ساد العالم منذ أقدم المصور قد كان من أهم العوامل التي أدت إلى نشيت فشل المجتمع البشري لما سبب من حروب متصلة الحلقات في ماضي التاريخ وحاضره . وإن البشرية لا تستمرؤ طعم الراحة والهناء إلا إذا طلقت مبدأ القوميات وتحولت بأكملها إلى النظام العالمي الذي يرمي إلى صهر القوميات في بوتقة واحدة تموت فيها كل الدواعي التي تولد التنوع والتميز ، وتؤدي بالتالي إلى التصادم والتطاحن في سبيل البقاء والحصول على خيرات الأرض والتلذذ بها . ومبدأ الدولة العالمية ينبغي كسر الحدود والحواجر ليجعل الجماعات البشرية شعباً واحداً لا يتطاحن في سبيل العيش بل يتعاون ويتكافل .

ولنا أن نتساءل : هل في التاريخ أو في واقع الحياة ما يؤيد مبدأ الدعوة إلى العالمية أم أن في التاريخ والواقع ما يؤيد مبدأ القوميات الذي يسود في العصر الحاضر ؟ . إن فكرة انشاء دولة عالمية وجعل العالم أسرة واحدة حلم من ألد الأحلام وأمنية من أشهى الأماني . وهي ليست حديثة العهد بل إنها قديمة . ولم تنفرد الهيئات السياسية بالدعوة إليها والسعي لتحقيقها ، بل ساهمت الهيئات الدينية بنصيحها في هذا الأمر ، وإن تكن الفكرة قديمة فذلك لا يعني عليها حلة من القداسة ولا يبرهن على أنها قابلة للتحقيق . وإن دلّ قدمها على شيء فإنما يدل على نزوات طارئة وأطماع مازغة ، وآمال تَفْذِيسُها الأوهام والخيال الجامع وهي تغير بوضوح إلى درجة الفهم في أصحابها : إنهم توهموا البشرية كُها لا نوعاً ١١ .

كان أنبياء إسرائيل يكرّزون بالعالمية ، ونحيلوا أن هدف الجنس البشري في سباق تطوره أن تجتمع الأمم بأسرها في هيكل صهيون في ظل عقيدة دينية واحدة . وإدعت الكنيسة الكاثوليكية أن روما عاصمة العالم ورادة الكون . وأكثر ما تركت النزعة في القبض على زمام العالم في أقوال البابا بونيفاس الثامن ( ١٢٩٤ ) : « . . . نصرّح إذاً ونقول ونقرّر ونعبرّ أن خضوع كل مخلوق بشري للحر الروماني ضرورة يقتضيها الخلاص ، وكان

شعار فريدريك الثالث ملك النمسا Austria est imperare orbi universa == A. E. I. U. O.

أن السلطة على العالم خاصة بالنمسا ، وكان شارل الخامس يطمح الى السيادة العالمية وكان يقول : « دائماً الى الامام » . ولقد راود هذا الحلم خيال نابوليون ، فكان يطمح ليصبح الرئيس الاعلى للقارة الاوربية ، يهب قواده الممالك والاقاليم ، متخذاً بطانته من الملوك ولا يكون البابا أكثر من وكيله الروحي وتصبح باريس عاصمة العواصم . وكان يتأسف لانه أتى في زمن متأخر ولم يخلق في المصور الخوالي ١ . واننا نعلم الآن مصير تلك الاطماع التي جاشت في صدور أصحابها ، ونعلم أنها منيت بالافخاق دون أن تكتب لها الحياة ، سواء تلك التي تقوّه بها قادة روميون أو حنّ اليها قادة زمنيون يريدون اخضاع المستحيل وتحقيق ما تأباه الحياة .

إن التاريخ لم يسجل في صفحاته تحقيقاً للنظام العالمي وليس هناك ما يشير الى أن العالم سائر نحو هذا النظام الذي ينسخ من الاذهان فكرة الاوطان ومبدأ القوميات . وإذا ما أخفقت جميع المحاولات لتوطيد دماء هذا النظام ، فلأن الانسان لا يسير بوحى من غرائزه البشرية وخصائصه الاجتماعية ، بل يبحث عن علاج يداوي به أسقامه وعمله ويسعى علمه يهتدي الى مخرج يقيه شر الحروب والخصومات . إن نظام العالمية رأى يذبت في الحقول الاشتراكية والفوضوية وليس طريقاً للاتجاه الانساني الاصيل . هو رأي يحمل الطبقة محل الامة والمجتمع . انه يزيل الحدود بين القعوب ليقم عوضاً عنها حواجز بين الطبقات التي يتكوّن منها المجتمع . فلا يتحدث التاريخ عن الحروب التي تقع بين الامم بل يروي لنا قصة النزاع الطبقي . والبشرية في هذا لا تكون خطت خطوة واحدة نحو السعادة والسلام . ودون تحقيق هذا المبدأ وازالة مبدأ القوميات صعوبات لم يخلقها البشر ولم تنبثق عن ارادتهم بل نشأت بارادة الحياة وقوتها ومن طبيعة الارض التي نأهلها ، فالبشرية تتكوّن من سلالات مختلفة تعيش في بقاع أرضية محدودة بمحاور طبيعية ، وتتكلم لغات غريبة ، ولا تدن بعقائد دينية واحدة وتخضع لعوامل اقليمية متفرقة ، وتعيش في حالات غير متناهية من الوجهتين الاقتصادية والثقافية .

واذا كان التاريخ لم يسجل في صفحاته سابقة للدولة العالمية ، فانه لما يلج في الجور بريق للوجدان العالمي . ولا تشكو البشرية لأنها لم تتمكن من تكوين دولة واحدة يعيش مواطنوها

على قدم المساواة ، بل تشكو فقرهما في الدواعي الموحدة الجامعة ، وتشكو عقمها الذي لم يتح لها أن تلد سلائق جديدة . ان عوامل التفرقة والتمايز متجسدة في اللغات والاجناس والديانات والاطوان والعروق والاعمار . فاذا ما دُثنا ايجاد وحدة عالمية فينبغي أن نزيل كافة الاسباب التي تعوق هذا المسعى وتجعل التنوع مستمراً . ينبغي أن لا يتفاهم البشر إلا بلمعة واحدة ، ويصبح لونهم واحداً ، وتتجانس التضاريس الارضية ، والمظاهر الاقليمية وتقضي على مميزات الجنس ونجعل الدين عالمياً لأنه ما برح من أعظم الاسباب التي تؤدي الى التفرقة والتطاحن والتصادم . ان فظائع رهيبة رافقت ظهوره وانتشاره ، وحروباً وحشية دامت طويلاً . انبثقت عنه ، وحداً بكثير من الجحاحات أن تنكشف على نفسها وتتعصب لعقيدتها وتمقت كل من لا يدين بدينها . ويستحيل على الجحاحات البشرية أن تلتقي على صعيد واحد وتعتمد ديناً واحداً شاملاً .

يقول البعض ان الانسان قد تدرج من الفردية الى الامة ماراً بالمائلة فبالعشيرة فالقبيلة فالامة . والانسان الذي جاز هذه المراحل خلال تطوره المستمر يستحيل عليه أن يبلغ المرحلة العالمية وهي المرحلة الاخيرة . فليست هذه المتحدات سوى دوائر متساوية في الجوهر متفاوتة في السعة والشمول وفي إمكانه أن يتدرج في ولائه كما تدرج وتنتقل في مراحل اجتماعه . وقد فات هؤلاء أن الولاء المتبادل بين أفراد الجماعة القومية الواحدة طبيعي ليس اصطناعياً وليس وليد القوة والتكلف ، إنه منبثق من صميم الحياة المشتركة وما ينجم عن الاشتراك في دورة الحياة الواحدة من وشائج معنوية ومادية . إن الاتصال بالجامعة القومية التي وحدتها الحياة في الوطن واللغة والمنافع الاقتصادية وحلتها بالتسامح الاجتماعي ومكنتها من التفاعل البدني ووحدت مثلها وحدت بها للمساهمة بدأ واحدة في بناء حضارتها وأمجادها وصوغ تاريخها ، إن هذا الاتصال عضوي لا بل قسري تفرضه ضرورات الحياة ذاتها . أمّا الخروج الى رحاب الكون ، والتخليق فوق القواصل المادية والمعنوية ، والتحرر من الغرائز الاجتماعية التي تجعل على ترانس المجتمعات القومية فهو من أطوار الرُّسل والانبياء فقط . وما أندرم في كافة المصور والامم

ولا يزال النظام العالمي فوق المنال والمطاعن لأنه لم يتجسد نظاماً يكبف سلوك البشر

ويوضع على المحك ليظهر غشه من ثمينه وخبره من شره . وهو اذا كان مفيداً للجماهير القوية المنظمة التي اكتمل وعيها فانه ويل على الجماعات التي لا تزال في أول الشوط . إن بث هذه المبادئ في عالم تحركة الانانية والمطامع ، والتهدق بالمساواة والانسانية مع عدم الايمان بها مطلقاً يفرّر بالاقوام البسيطة القليلة الخبرة ويحول دون نشوء أية نهضة قومية ويولد التواكل واللامبالاة .

ويخطئ من يقول ان بقاء مبدأ القوميات مرهون ببقاء الطبقات العليا ، المكونة من الرأسمالين ورجال السياسة والعمل ، وإن الأوضاع الحالية منافضة لأمان الجماهير الشعبية وإن هذه المساواة ستزول حتماً عند ما تؤول الأمور الى يد الطبقة العاملة . وفات هؤلاء أن هذه الطبقة ليست سليمة من جرثومة النزاع ، وأن هذه الجرثومة كامنة في بنيتها ، فالنزاع العرقي كائن في صفوف العمال ، والدليل على ذلك ما يلقاه العمال الصغر من المضايقات والاحتقار في الولايات المتحدة وغيرها ، وهناك تحاسد ونزاع خفي بين العمال المحظوظين والمغبونين ، ولا ينفك الاضراب يحدث في صفوف العمال ضد الجماعة العاملة الأجنبية التي نراحمها على القوت في عقر دارها . وإن النظام الذي تمخض عنه القرن العشرون والسائد في الدول الشيوعية ليس بالنظام العالمي المرجو ، وليس بالترياق الذي يشفي البشرية من أوصابها وعطشها المرمنة . انه محاولة فذة لكنها نافضة جاءت في غير أوانها أو قبل تمامها . ولهذا فانه مني بإخفاق لا نظير له ولا عبرة في التفوق الاقتصادي أو العسكري . لأن مقارنة بسيطة تمقد بين نتائج وثمار العالم الرأسمالي الذي يسعى لتعطيله تدحض هذه الحجة وتثدها في مهدها . ففي النظام الشيوعي الذي يروج له الدعاة أنه النظام العالمي المرتقب لم تتوفر الضمانات الكافية التي تصون حقوق الانسان في الحياة والحرية ، ولم يتوفر الجو الصالح لنمو مواهبه وكفاياته وانطلاق انسانيته . ان الدولة قد طغت على كل شيء وتسرّبت الى كل ناحية وتركزت القوة في يدها وجعلتها أساساً وشرطاً لدوام حياطة النظام . لقد تفننت التجربة الشيوعية عن طغيان الجماعة على الفرد وسلب حقوقه واستباحة وجوده نشاطه . ان صورة الحكم في روسيا الشيوعية قد تبدلت ، لكن الجوهر ظل هو هو ، كما كان في عصر القيصرية . لقد كانت الملعقة المعلقة بيد فرد . أما الآن فانها آلت إلى حرب . كان الملك يحكم

بإسم الحق الإلهي ، أما الجماعة فإنها تتوصل للوصول الى ما ربهـا بعبادىء تدفع الشعب لاعتناقها والخضوع لها بقوة الحديد والنار .

إذا كانت العالمية ليست تعبيراً صادقاً عن الفرائز الاجتماعية وليست مرحلة نهائية لتطور البشرية ، فهل تكون القومية ثمرة للسلائق البشرية الموروثة ، والتسايي بها هدف التطور؟ اتفقت معظم الآراء على القول إن العصبية القومية برزت في القرن التاسع عشر وأنها إحدى ثمرات الثورة الفرنسية . إن الحصر في القضايا الاجتماعية لا ينسجم مع مناهج البحث الصحيح . فالقومية ليست خاصة بشعب دون آخر ولا يمكن حصرها في زمن معين . فإما من عصر خلا الأئـمـجـلـت فيه هذه النزعة على درجات متفاوتة من الحرارة والوضوح ، وما من شعب الاّ عبر مراراً وتكراراً عن هذه الروح السكّانة في سويداء قلبه . إنها ليست حدثاً طارئاً لا يلبث أن يزول بل إنها مبعول أصيلة في النفس أنها ارادة جامعة موحدة لآمال الجماعة وآلامهم ، إنها شعور يخالـج الأفراد انهم يتميزون عن سوام في الخصائص والغايات ومستقلون عنهم في الشخصية والمصير . انها لا تقوم على مميزات بدنية ولا فروق سلالية ولا على عقائد دينية . انها بوتقة تنصهر فيها العروق المتباغضة والعقائد المتنافرة والطبقات المتطاحنة . وأنتك لتلمس هذه النزعة في الأقوال التي تعبر عن الحنين الى بقعة من الارض معلومة محدودة أو الى جماعة معينة من الناس . وهذا الحنين الذي ينبض عن النفس المشوقة وليد التفاعل مع البيئة . وتتجلى هذه النزعة في الأوقات العصبية التي تمر بها الجماعة وتهدد كيانها ومصالحها . فتتعقد العناصر عندئذ على الموت معاً أو الحياة معاً وتهب للدفاع عن تراث وصيانة أرواح وأموال . وتتجلى أيضاً في اتفاق الجماعة على الخروج من الوطن والانتشار في أرجاء الارض . ان نابليون لم ينجح الماء من الصخرة بل أنه نبّه الأرقام في أوروبا أن فجر عصر جديد قد لاح . ان الشعوب قد استفاق تحت وطأة الزخم وعلى وقع حوافر الخيول التي كانت تطوف في أوروبا تحمل بذور الثورة ولكم تتغير المفهومات وتبدل . لقد كنا الى وقت قريب نحسب تلك البذور أفضل ما تمخضت عنه البشرية لأنها مهزت الشعوب بالقوانين بدلاً من الامتيازات التي كانت وفقاً على طبقة دون أخرى . وحرّرتها من نير العبودية الذي طال ثوائه على أعناقها . والآن نقول ان كل ما نقاسيه من آلام وما يحمل بنا من كوارث وأهوال قد نبقت عن تلك البذور .

لقد شاعدت القرون الوسطى زعة ترمي الى جمع العالم المسيحي في مجموعة ترتكز على الدين فقط . لكن هذه الزعة ما لبثت أن اعتورها الضعف وبدأ التفسخ يتسرب اليها . فان الوحدة في المعتقد الديني لم تنمر التعاون والسير جنباً الى جنب باستمرار . لقد كانت نهاية القرن الثالث عشر للميلاد خاتمة للحروب الصليبية وكل حرب دينية على الاطلاق . لقد انقلبت الحرب من نصرانية الى قومية تعلن باسم الجماعة القومية التي تعلمها وتغذيها بالمال والدماء . فظن كل شعب يميز بينه وبين غيره ، ويفرق بين مصالحه ومصالح سواه ، وحملت مصلحة الأمة مكان مصلحة الطائفة الدينية . لقد كانت الغاية من الحروب الصليبية انقاذ بيت المقدس من يد جماعة اسلامية ، أما الحروب في العصور القومية فترمي الى الحصول على المناطق التي تتوفر فيها مصالح حيوية . ويرى البعض أن هذا التحول من الفكرة الدينية الى الفكرة القومية عوضاً عن الفكرة العالمية أس الفوضى التي تسود العالم اليوم ، والاضطراب التي يتأفف منها البشر ولـكي نقضي على الفوضى ونزيل الاضطراب يجب علينا أن ننصف المؤسسات الدولية التي تقوم على فكرة القومية التي كانت مهداً لنشوء مساوئ كثيرة .

\* \* \*

إنني أنساءل : هل الشرور التي نصلى عذابها من حروب تزهق فيها الارواح وتندسر مصرافق الحياة ، وبغض يقصي الفرد عن الفرد ، وضيق ينقص العيش . . . هي واعدة مبدءاً للقومية ، أم انها ثمرة المفاسد الملازمة للطبيعة البشرية ، وثمره النظرة الفاسدة والخطائسة للقوميات . إننا أسأنا الظن بالقومية وحملناها وزر كل الشرور ، ونعتناها أشنع النعوت . إننا لم نبألغ بالقومية المرحلة التي نتوخاها لها من الصفاء والسمو ، ولم نعهد إلا نوعاً واحداً من القوميات المتطرفة ، القائمة على تأليه الدولة ، الرامية الى الخس على المنافسة العنيفة ، الماغرة الصدور بالهبط والخذل ، المتركة على فكرة تعجيد الجنس الراضية عن السطو على الضعيف المغتبهة بالنزوع إلى العدوان والسيطرة كرهاً على العالم وامتصاص خيراته ، إن القومية المنلى لا تخنق الانسانية في الانسان واستطاعة المرء أن يحيا حياة قومية وينزع نوعه انسانية . فكما انه بإمكانى أن أكون فرداً في أسرة أعمل خيرها دوماً ، يمكنى أن أكون عضواً في شركة أو موظفاً أو تاجراً أو عاملاً أو جندياً ، وأسامى في مؤسسة دينية وسباسبية

واجتماعية وأكون في نفس الوقت مواطناً في دولة. ويستحيل على جماعة قومية تدرك مصالحها وتريد الخير لأعضائها أن تقف حائلاً بين أفراد رعيتهما والعالم الخارجي ، وتقتضي عليهم أن لا يسامحوا في عملية الأخذ والعطاء والانفتاح لسائر التيارات الفكرية والعلمية والأوان النشاط الأدبي التي يزرعها العالم . إنها تقضى كل ثرات بشرط أن يكون ملائماً للحياة الجيدة الجميلة . ولا تخفى ترانها كما يفعل البخيل بالأموال التي تتجمع لديه ، وتبيح لأعضائها أن لا يعتمدوا مما يحدث في العالم بل أن يفتركو فيه بشرط أن لا ينجم عن هذه المشاركة ضرر ينزل بالامة التي أدين لها بكيانها ومصيرها ، يتعلق بمصيرها . فلم يحل النظام القومي دون اقتباس أية ثقافة بشرية وتمثلها أو ترجمتها ، ولم يحتكر طرق المواصلات ولا المكتشفات الجغرافية والمخترعات .

\*\*\*

يأخذون على النزعة القومية انها عجزت عن التماسي بالانسان الى درجة التجرد من الاهواء ، والى ايثار الحق اطلاقاً . اننا لم نبلغ هذه المرحلة من التجرد من الفرائز الاجتماعية لا أفراداً ولا جماعات ولم يقع بيننا هذا الكلف بالحق المطلق ، ولم نصل الى مرتبة « اوطيفرون » الذي ينوب عن الثقيل في اتهام ابيه القاتل . اننا لانحجم عن نصره آبائنا ظالمين ومظلومين وتستمر هذه النزعة لاحقة بنا مصاحبة لمبولنا كموطنين نفتحي الى شعب معين وننتسب الى وطن معلوم . فليس النظام القومي مسؤولاً عن عدم بلوغنا درجة الكمال ، بل الجبله البشرية هي التي توجهنا وتكيف ميولنا . أفلا يتباغض ويتطاحن ويتنافس أبناء الوطن الواحد ، وتفتش الثورات الداخلية ، وتوجد الطبقات المختلفة ؟ فالروح العدائية ليست وليدة النظم السياسية السائدة بل وليدة المتحدات التي أوجدتها الطبيعة .

ومهما كابر المكابرون فانهم لا ينكروون أن أمضى المبادئ نمت في تربة القومية . ان القومية أخرجت الفرد من صدفه الانانية السيئة ومهدت له السبل للتفتح والاندماج . انها تسعى لكسر القيود الطائفية البغيضة التي تحول دون التعاطف والتسامح الاجتماعيين وحاربت الامتيازات الطبقيّة بغية توفير السعادة للجميع ، وزابت المرء التخلي عن المآرب والاهداف الصغيرة النافهة والاقبال بقبطة على الخدمة العامة .



إن الدعوة الى انهاء دولة طلمية ايسـت إلا " يوثوبيا " ، وإنـهـا رأي من جملة الآراء التي تمخضت عنها الاذان بكثرة ما حاق بالبشرية من أخطار وما حل بها من كوارث . وان هذا الحل الذي تقترحه جماعة ايس باخر ولا بأفضل حل . وان من يتأمل سير البشرية خلال مراحل طويلة شاقة لا ييأس ولا يتشائم بل إنه يغتبط ويتفاءل . إن جهودها لم تذهب عبثاً وأنعابها جاءت بأشهى الثمرات . أليست السكنوز التي عثرنا عليها وأخرجناها للنور والهواء وطفقنا نستمتع بها وليدة ذلك التنوع البشري الناجم عن مختلف المجتمعات وناشئة عن النظام الذي نحاول نفسه ؟ وهل يوسع الدولة العالمية المرتقبة ان تتبرأ مما حققته المجتمعات القومية التاريخية وتحرم بنفساده جملة وتفصيلاً ؟ وإذا ما شاءت القضاء على التراث القديم بحجة انه تفتق عن أمم قومية وصبت عليه الزيت والنار ، فعلى أي الاس تنوي أن تقيم صرح حضارتها ؟ أتعود القهقري نكابة الى بدء الطريق لتستأنف السير ؟

ظن كارل ماركس أن الناس سيمجرون الأرض لأنها سوف تصاب بالجذب لتنتهي الى الحرارة ولا استثمارها بدون انقطاع . لقد خاب ظنه ولم تصدق نبوءته . فالأرض لا تنفك أبداً تستعيض ما فقدت . وهل كان يدور بخلفه ان الانسان سوف يتوصل لصنع مواد خصبة يمد الأرض بها فتتضاعف خيراتها ؟ وهل كان يحلم ان العلم سوف يمد الانسان بما لا يحصى من المواد الغذائية الاصطناعية ؟

\*\*\*

إن هناك كنوزاً عظيمة من الخير والحق سنعثر عليها في اثناء التنقيب والبحث . فالتعب لن ينال من العامل والبشرية تظل بكرراً أبداً . اننا اسنا مضاعفين لنسف هذه المجتمعات القومية التي ينبثق عنها التنوع ومن التنوع يتولد الجمال . وهذا التنوع كماً ونوعاً ، ليس من شأنه أن يمر قل صير الحضارة . انه لا يختلف عن السلم الموسيقي الذي تنشأ عنه أصوات متفاوتة القوة مختلفة الجرس ، لكنها منسجمة غير متنافرة ومتناغمة تطرب الأذن وأمر القلب .

الباس يعقوب

( صافيتا — سوريا )

# السيكولوجية العصرية

من كتاب العصرية بقلم ف . ل . هويلر

Modernity By F. L. Wheeler

من الظواهر الملحوظة ، في الحياة الفكرية المعاصرة ، تقدم دراسة السيكولوجية تقدماً مشهوداً .

وهي ناحية من مناحي البحث لها سحرٌ وجاذبية ، ويمارسها عدد وفير من الناس ، في سطحية أو في عمق .

وقد أمطرنا المطبعة بمسدود وفير من الكتب في هذه الناحية ، وكان للحرب العالمية الأخيرة ، فضلٌ كبير في توجيه العناية إلى هذه الدراسة ، بالنظر لما تتطلب الحرب من مائلٍ تتصل بها مثل بعض الشذوذ الجنسي ، والصدمات العصبية التي تفتاب المخربين ، والاعتلالان العصبية الوظيفية وما إليها .

فهذه المسائل وأشباهاها ، أدت إلى النهوض بالدراسة السيكولوجية ، وبخاصة دراسة التحليل النفسي ، والإيماء الذاتي ونواحي الشذوذ المختلفة .

ولقد تنوعت هذه الدراسة ، وتفردت ، واستقلت ، في تقاريعها ، فوجدت دراسة سيكولوجية الجنس Sex ، وسيكولوجية الحلم ، وسيكولوجية الاجرام ، والسيكولوجية الاجتماعية ، والسيكولوجية الدينية ، وما مائلها .

وإذا ذكرنا بالفخر والتقدير ، الباحثين المتعمقين في هذه الفروع المختلفة ، وهم فلا ، إلا أننا لا نستطيع إلا البسم من كثرة الباحثين العاديين الذين يخرجون بمحونا فجة ، أو يمارسون ، في غير زكاة واسعة ، التحليل النفسي .

وإذا أصبحت هذه الدراسة في الوقت الحاضر نوعاً من الهواية العقلية ، بل ( مودة ) لها اعتبارها ، فإن كثيراً من مبادئها الواسعة يطبقها أساتذة صغار ، ويخرجون غالباً بنتائج تورث الالفاق .

وفضلاً من ذلك ، فإننا نجد أناساً يتمشدون كثيراً ، بذكر كلمات « اللا شعور » و « العقد » والليبدو Libido ، وغيرها دون دراية لمعناها .

كما ، أنا رأينا من كبار أسانذة السيكولوجية مغالاة في قيم بحوثهم ، ففرويد مثلاً يزعم أن أغلب الأحداث النفسية مرجعها الضرورة الجنسية ، فالأحلام ترجع الى تعبير جنسي خفي ، والدين كذلك جنسي في الأصل إلا أن محبة الله ، كما يذكر فرويد ، هو شكل من أشكال التسامي بالحلب الجنسي .

ولما كانت أغلب بحوث فرويد ، في متناول الجمهور ، فإن هذه الظاهرة ، قد تفرس في القباب وعياً غير حميد نحو الجنس .

\* \* \*

ومهما قيل ، فإن العصر الحاضر ليدين ديناً كبيراً لالسيكولوجيين الكبار الغابرين ، وإذا كانت بحوثهم قد تؤدي إلى ميول غير مرغوب فيها ، فإن هؤلاء الرجال غير مسئولين عن ذلك ، ويكفي أن بحوثهم في الأمراض العقلية ، والصدمات العصبية ، ونواحي الجنون وغيرها وغيرها ، هي بحوث بالغة القيمة .

وإن رجالاً أمثال ماكدوجال ، وتولس Thouless — وتروتر Trotter وهادفيلد Hadfield وغيرهم قد أدوا لأمهم ، وللإنسانية ، خيراً كثيراً

مصطفى عبد اللطيف السمرني

## بين الشرق والغرب

ضحكت وكان الأحق البكاء      لموتى تباغت بأكفانها  
وشعبٌ يحن لمهوى القبور      وآخر جدّ لكيوانها  
أناسٌ تمنّت حياة الظلام      ودون الهدى سدّ آذانها  
وفي الغرب قومٌ بحرق النفوس      تنير السبيل لأوطانها

ضياء الدخيلي

بنداد

# اختراع علمي عصري

يدل على نوع الجنين

لكاتب اميركي مشهور

اندأ وشك العلم على تمييز جنس الحمل المستكن في  
بطن أمه وذلك قبل خمسة أشهر من موعد ميلاده .

كان التنبؤ بجنس الحمل المستكن ، مثار شغب من ذويه . فظلَّ الدُّجالون وكبار الكهنة  
ودهاقين السحرة يوعمون ، ردحا من الدهر ، أنهم يعرفون رموزاً ترشدهم الى إماطة النقاب  
عن هذا السر المعجاب . بل كانوا يؤكدون أن نبوءاتهم تصدق في نصف ما يسألون عنه في  
هذا الباب .

وكان لحكماء أقاصي المعمورة آراء متباينة في هذا التعيين . ومنها أن الحمل المستكن  
من البنين ، أنشط حركة من البنات ، وإن كانت هؤلاء يعلمونه استكناناً . وأن الجنين  
الذكر ينشأ عنه نموٌ ثدي أمه الايمن نمواً يفوقه في الايسر . وذلك على حين يحدث الجنين  
الانثى آلاماً في الجانب الايسر من البطن .

أما اطباء المصريون فيهزأون بهذه الخرافات . وإنما يعتقدون بدليل أكيد ، هو  
الذي يتجلى للطبيب المولد قبيل وضع الوليد . ومع ذلك فإن هذا الرأي المصري الشامل  
ربما لا يصح . والمعروف الآن أن العلماء قد شرعوا في اختراع ( بحسّر ) جديد سيصبح  
دليلاً على جنس الجنين المستكن ، إذ يصدق في تنبؤاته بنسبة تتفاوت بين ٧٠٪ و ٩٠٪ .  
وذلك قبل وضعه بخمسة أشهر . وهو بحس يهبه لحذر ما ( مسابر الحمل ) المعروفة في هذا  
العصر . ولو صحت الأدلة الأولى المشجعة في هذا الموضوع ، التي وقفنا عليها حتى الآن ،  
لأصبح في وسع الطبيب ، استخراج « عينة » من دم الزوجة الحامل . وارسالها الى معمل  
كيميائي خاص فلا يلبث أن يتبين جنس الطفل المنتظر .

وكان منشأ العمل الاسامي الذي أفضى الى اختراع هذا المسبار المصري ، الخاص بكشف

جنس الجنين الخفي ، المباحث التي قام بها علماء روسيا . أولئك الذين جربوا تجاربه الاندائية سنة ١٩٤٢ التي أسفرت عن صدق ٩٠ ٪ من تنبؤاتهم . ولكنهم ما لبثوا أن دلدلوا من مواصلتها مرضين ، في غضون الحرب العالمية الثانية .

بيد أنه من بواعث الضرور ، أن تفصيلات هاتيك المباحث الجلية ، قد أذيعت عرضاً ، في آفاق العالم ، كما حدث كثيراً لغيرها . إذ اطلع الدكتور . ه . نايرجس الطبيب في كلية طب جامعة جورجيا الأمريكية ، على تقرير في هذا الموضوع ، نشرته إحدى الجرائد الروسية . فعمد ذلك الطبيب هو وإثنان من زملائه - هما الدكتور روبرت س . جرينبلات ، رئيس قسم تلك الكلية ، الخاص بعلم « الغدد الصم » والدكتور هربرت . س . كيرمان ، الباحث الشاب ، إذ عكفوا على تمحيص مزايم علماء روسيا ، لتتقيد تجاربهم .

والمعروف أن الحمل يحدث اضطراباً بيناً في توازن الغدد البدينية . وأن طاقة هذا ( المسبار ) في تمييز الجنين تتوقف على ذلك الاضطراب الطارئ . كما تدور مقدرة مسارر الحمل على هذه القاعدة عينها . إذ يقوم الجسم في غضون الاضطراب الحلي ، بتذف الزائد على حاجته من المفرزات الداخلية التي تفرزها غدده الصم ، وذلك في البول . فإذا تناول الطبيب المختص هذا البول ، وحقن به الفئران أو الجرذان أو الأرانب ، غير البالغة ، عجل نمو أعضائها الجنسية ، أي أظهر فيها أدلة محسوسة على كون المرأة حاملاً حقيقة ، والعكس بالعكس . فتصدق اختباره بنسبة ٩٨ ٪ .

أما مسارر جنس الجنين ، فأقل تمييزاً من ذلك ، إذ لم يبلغ الدرجة القصوى في الانقناع المنشود . لأن مسارر الحمل تعتمد في صدق تمييزها على المفرزات الداخلية التي يفرزها المبيضان ، في حين تعمل المسابر الكاشفة لجنس الجنين ، على المفرزات التي تفرزها الغدة النخامية في جسم أمه وعلى ما تفرزه فيه مشيمتها أيضاً ، لأن هذه الأخيرة تفرز مفرزات داخلية أشبه بما تفرزه الغدة النخامية نفسها .

وقد تكون الغدة النخامية<sup>(١)</sup> أعجب غدد الجسد البشري وأعظمها شأنًا . وهي معلقة في

(١) هي غدة توجد تحت الدماغ ، لها وظيفتان أولاهما تأثيرها الشديد في نمو الاحداث نمواً قانونياً . وثانيتهما تأثيرها في نمو البضلات وبض الغدد الأخرى . وهي بلاخص تزيد إفراز البول وادرار اللبن . والأمراض الخاصة بها تنشأ إما من فرط مفرزاتها وإما من ندرتها

الشرط الاسفل من الملح ، كأنها ثمرة كرز مستقرة في وسط الأرض تقريباً . وفضلاً من كونها تسيطر على نمو الجسد ، فإنها تتحكم أيضاً في حالي القهارة والعلقة ، وتقوم كذلك بتقوية سائر الغدد . كما تؤثر هذه الغدة تأثيراً هديداً في الغدد الدرقية والكظرين . ويبدو هذا التأثير على أقصاه ، في الغدد الجنسية إذ تنبئها الى القيام بوظائفها في سن البلوغ والحلم ، فتصير الفتاة كاعباً والفتى يافعاً .

والبعث الخاص بالغدة النخامية جديد جداً . وقد شرع فيه ، جملة ، من سنة ١٩٣٠ ولذلك لم يستطع أحد الباحثين حتى أوائل السنة الحالية ، احصاء المفرزات الداخلية التي تفرزها هذه الغدة فتؤثر في الجنس . فخل الى بعض الباحثين أنها لا تزيد على ثلاثة مفرزات على حين زعم آخرون أن عددها ١٢ أو أكثر . ولكن المعروف أن الخاص منها بالتأثير في جنس الجنين ، اثنان . هما أولاً ، الافراز الداخلي المقوي للحويصلة ، وهو الذي ينشط المبيض ليفرز أحد مفرزاته . وثانيهما الافراز الأصفر المبيضي . وهذا من شأنه تنبيه المبيضين الى انتاج الخلايا البيضية . وقد تبين للباحثين الروسيين أنه عندما يحتوي دم المرأة الحامل ، على كثير من الافراز الأصفر المبيضي ، مع قليل من الافراز المنبه للحويصلات ، يدل ذلك على ان الجنين ذكر ، واذا عكست هذه الحالة ، كان الوليد المرتقب انثى — ولكن لم ينح لأولئك الباحثين ، تفسير هذه الملاحظة المدهشة ، فبقيت غامضة . وانما كان كل ما تخيلوه في شأنها أن المفرزات الداخلية التي تنبه المبيضين ، الى انتاج خلايا البيض ، لها شأن في انتاج الذكور أعظم منه في انتاج الاناث ، لأنها تنبه خلايا الخصيتين ، وتقوم مقام مقوٍ لبروتستاتة « غدة المثانة » وتلهط انتاج المنى . فن المقول إذن الظن بأن الجنين الذكر يكون أشد احتياجاً الى هذا الافراز الداخلي ، من الجنين الانثى إليه .

وفي خريف سنة ١٩٤٦ شرعت الجمعية الأميركية ، التي تعمل في مقر عيادتها الخاصة بفحص الأمهات قبل وضعهن لمواليدهن في التجارب ، وذلك في مستشفى جامعة أوغسطا في ولاية جورجيا ، قصد تعيين جنس الجنين وهو في بطن أمه . لجعل أعضاؤها يقرحون على كل من تهوي منهم الوقوف على هذا السر الخفي ، المعاونة على تنفيذه ، بأن تبرع كل سيدة منهم بمقدار ٤٠ سنتيمتراً مكعباً من دمها فاستقر رأيهم جميعاً على قبول هذه المعاونة .

فيجدر بنا إذن القاء لمحة على تلك التجربة ، لتقف على بعض المعلومات الخاصة بالعقبات التي اعترضت أولئك الباحثين . وكانت أولاها وجوب فرز الدم الذي استخرجوه من النساء الحوامل ، وذلك بالجهاز المؤلف لفرز القهدة ، قصد عزل خلاياه الحمر من مصله . لأن المصل هو مقر المفرزات الداخلية . التي تنمُّ على جنس الجنين . وتبقى بعد الفرز معضلة أخرى ، هي تقدير ما يحويه المصل حينئذٍ من المفرزات الخاصة بتغذية المبيضين إلى إنتاج الخلايا البيضية والتي تنشط المبيض لافراز أحد مفرزاته الداخلية .

ويتمُّ هذا التقدير بتخفيف ذلك المصل بمحلول ملحي مختلف الدرجات ، وقد تبلغ عشر درجات . وتحتاج كل منها في تجربة تأثيرها الى ثلاث فأرات عذاري . أي ان هاتيك الدرجات تتطلب استخدام ثلاثين فأرة . وفي غضون ثلاثة أيام تحقن كل فأرة منها باستنيمتر مكعب من المصل المخفف بالمحلول الملحي وعند ما تنتضي ٢٤ ساعة على آخر حقنة لها ، تقتل وتشرح جنبهما لفحصها فتظهر النتائج المرغوب فيها .

وحينئذٍ يمدُّ المصل الأضعف تخفيفاً ، الذي ينشأ عنه تضخيم المبيضين والرحم للفأرات تضخيماً ملحوظاً ، مقياساً لتقدير ما يشوب المصل من المفرزات المنبهة للحويصلة . اما مقدار الافراز الاصفر المبيضي الذي يشوب المصل ، فيقاس بما يوجد في مبايض الفأرات من الخلايا التي تولد أحد الافرازات البيضية . وبهذه المقاييس يتسنى رسم صورة مضبوطة لما يشوب دم الفأرات ، من الافراز الاصفر المبيضي ومن المفرزات المنبهة للحويصلة التي تلزم لنجاح التجربة . وذاتك العاملان ، هما الدليلان على جنس الحمل المستكن كما أوضحه العلماء الروسيون .

ولما استكمل أعضاء الجمعية الأمريكية جمع « عينات الدم » من النساء ، في مقر عيادتهم السالفة الذكر ، عكفوا على المباحث الخاصة بها . ثم تربثوا منتظرين النتيجة التي تظهرها حجرة الولادة . وكانت سلحة تجاربهم الأولى مؤلفة من ٣٥ امرأة . فبين لهم من خصصن أن أكثر من ٧٠ ٪ منهن قد صحت فيهن التنبؤات التي حدثت في شأن الاطفال المولودين ومن ثمة اتضح لهم أن هاتيك النتائج التي ظفروا بها لم تبلغ الدرجة التي زعمها الروس ، وإن أيدتها أساسياً . ويسوغ أن يحجل للناس أول وهلة أن هذه الوسيلة معقدة أشد التعقيد ، على حين أنها في الواقع لا تفوق إلا قليلاً أية عملية كانت من العمليات المألوفة التي يؤديها كل يوم أي فني متمرن في معمله الكيميائي .

ومن بواعث المرور ، أن ذيك الباحثين وزعمياهما كوبرمان قد أخذوا على طاقمهم تبسيط هذه الطريقة الهندسية وتحسينها حتى تعبر أشد إحكاماً وأدقاً إنقائاً مما هي عليه الآن .

واقـد أثبتت دراسة الصبغيات<sup>(١)</sup> « الكروموسومات » أن جنس الطفل يعين في لحظة الحمل به . وذلك عندما تحترق نقطة الذكر بيضة الأنثى فتتحد بها وتلقحها . وقد ثبت أيضاً أن الرجل وحده هو المسئول شخصياً عن جنس الطفل وإن كانت النساء هن موضع المدح والقدح في كل زمان ومكان ، إما من جراء ولادة البنين وأما من البنات . إذ النساء يحملن الصبغيات المولدة للإناث خصب . أما الرجال فيحملون الصبغيات المولدة لجنسي الذكور والإناث كليهما . ومتى اتحدت نقطة الذكر ، حاملة الصبغيات الانثوية ، ببيضة الأنثى الحاملة للصبغيات ذاتها كانت النتيجة بنتاً . وإذا كان الرجل حاملاً لنقطة ذات صبغيات مذكرة ولاقح بيضة ، كان المولود ذكراً . وقصارى القول ، إن الوالدات لا تأثير لهن في جنس المولود . واقترح الدكتور إ . نيوتن هارفي العالم البيولوجي في جامعة برنستون طريقة مجوز أن تصبح عملية التحكم في الذرية . وقد علّل مذهبه بقوله « إن نصف نطف الرجال تقريباً يحتوي على صبغيات مؤنثة ، ونصفها الآخر ، صبغيات مذكرة . وبين ذينك النوعين فرق طفيف في الوزن ، إذ تحتوي الصبغيات المذكرة على كروماتين<sup>(٢)</sup> أكثر قليلاً مما يشوب الآخر ، ولذلك تكون أثقل منها قليلاً .

وفي هذا الصدد صرح الدكتور هارفي قائلاً : لم لا تتذرع بالفرأزة إلى فصل أحد النوعين عن الآخر ، ما دمتا نعرف أن الفراضات المصرية تدور بسرعة فائقة لا يصدقها العقل ، بحيث تريد على مليون دورة في الدقيقة الواحدة . وبسرعة كهذه يستطيع الجسم الذي يزن أوقية واحدة ، توليد طاقة رحوية تعدل ٢٣٧ طنـاً أي قدر وزن قاطرة ضخمة ١ ، وهذه الضغوط الفادحة يمكن فصل مادتين ببعضهما عن بعض ، وإن يكن الفرق بين ثقليهما دقيقاً .

فيبدو لنا بهذا الأسلوب إمكان التفريق بين العناصر النطفية المكونة للذكور والإناث . وحينما نأظر بهذه النتائج يتسنى لنا غرس الجزيئات المبتغاة ، وذلك في قناة عنق الرحم فنحصل على النتيجة المنشودة وهي الحصول على الطفل المرغوب فيه « بيد أن هذه الوسيلة لا تعجدي كل الجدوى إلا في حالة التلقيح الصناعي ، حيث تبذل جماعة الأطباء ، أبواب العيادات الخاصة بممارسة هذه المهمة الشائكة قصارى جهودهم ، في التوفيق بين المميزات الطبيعية للأقح والملقح ، وعند ما تتحقق أماني الدكتور هارفي هذه ، يصير في وسع الآباء المقبلين اختيار ما يروقهم من النسل مطمئنين ذكوراً كانوا أو أنثاء . ولا جرم أن التجارب الأولى لهذا الاختراع ستجرب في الحيوان حتى يتحقق نجاحها فتطبق على الإنسان . هـرؤى هنري

(١) أجسام قابلة لقتلون تكون في الخلية الحية  
(٢) الكروماتين — عنصر بدونه لا يكون انصباب في الخلية



## مختصرات الطبيعة

في البدء كان الوجود المادي فضاء غير منتهٍ تسبح في حيزٍ منه ضوئيات ( فوتونات )  
أثيرية ، هي أصل المادة المسماة « الهيلي الأولي » وكان هذا الحيز الذي تشغله الهيلي  
مناهماً ، أي له قدرٌ معين . وأما الفضاء فلا نعلم له نهاية

والضوئيات الأثيرية ذات خواص تؤهلها للتطور وهي : —

١ — كانت الضوئيات تدور على نفسها دورة محورية

٢ — كانت كل ضوئية تجذب زميلتها أو زميلاتها . والجذب سحبية فيها .

٣ — بالتالي كانت الضوئيات تتجاذب وتتداور بعضها حول بعض .

٤ — كانت بحكم التجاذب والتداور قابلة للائتلاف فالتجمع

لولا هذه الخواص الأربع لما كان للهيلي معنى ولا وجود

٥ — لمؤتلفات الضوئيات خواص جديدة غير خواص المفردات التي تتألف منها .

من ائتلاف عشرة آلاف ضوئية تكوّن الكهرب ( الالكترن ) وله خاصية الكهربائية

السلبية . ومن ائتلاف ١٨٤٠ كهرباً أو ما يساويها من الضوئيات أي  $10000 \times 1840$

ضوئية تألف الكهسرب ( البروتون ) وله خاصية الكهربائية الايجابية . ومن هذا العدد نفسه

تألف أيضاً المتعادل ( نيوترون ) وهو لا كهربة فيه وإنما فيه طاقة . هذه الجسيمات الثلاثة

تسمى ذرات

من ائتلاف هذه الذرات الثلاث ( الكهرب والكهرب والمتعادل ) تتألف الذرة

الكياوية . وأنواع الذرات الكياوية المكتشفة حتى اليوم ٩٢ ذرة تختلف باختلاف

عدد ما فيها من ذرات . وتسمى الذرات أيضاً عناصر كياوية

التجاذب والتداور أدباً الى التجمع السديمي . والسديم ضباب كوني دقبق . وهو

مجموعة أجرام ونجوم مملوءة ، وكل جرم هو مجموعة ذرات وذرات متنوعة . النور والحرارة اللذان يصدران من السُّدُم وأجرامها هي ضوئيات متناثرة بتموُّج وتسمى أشعة . وتناثرها في الفضاء يسمى إشعاعاً أو تشعُّعاً .

فالائتلاف الذري الذي تتكوَّن به الذرة من الذرات هو أول مخترع من مخترعات الطبيعة وبداءة التطورات الكونية .

هذا التطور شامل جميع السُّدُم والأجرام على الإطلاق

### النظر الكيماوي

هذرات خواص التجاذب والدوران كأجزائها الذرات التي تتواف منها . ولها ضرب من الائتلاف يرتفع عن ائتلاف الذرات يسمى اللغة كيميائية . وبه تتألف الجزيئات *Molecules* من الذرات الكيماوية كجزيئات الماء والخواص والأملاح والسكريات ( الغرويات ) على اختلاف أنواعها المتعددة . وليس هنا محل لتفسير الائتلاف الكيماوي . وقوة الائتلاف الكيماوي بين الذرات تتفاوت بحسب عدد الذرات التي في كل ذرة منها بسبب قوة التجاذب بينها . فالكهارب والمتعادلات متجمعة في وسط الذرة ويسمى مجتمعها نواة . والكهبرات تدور في مدارات ( أفلاك ) حول النواة بعضها ضمن بعض على أبعاد مختلفة . وقوة التجاذب بينها تتوقف على تباعد الأفلاك عن المركز ( النواة ) حسب قانون الجاذبية الإلغة الكيميائية اخترع ثامر من مخترعات الطبيعة . لم يعرف إن كانت هذه الآلة موجودة في جرم سماوي آخر .

### المزايا الثمرات لبعض الذرات

لبعض الذرات الـ ٩٢ مزايا خاصة علاوة على الائتلاف الكيماوي . كلما كان عدد الذرات في الذرة قليلاً كان التجاذب بينها شديداً لاقتراب أفلاكها ( مداراتها ) للمركز ( النواة ) كذرات الهيدروجين والهليوم والنتروجين والأكسجين والكاربون والكبريت الخ لأن كهبرياتها أقرب إلى المركز الذي تجتمع فيه الكهارب . وهو معلوم من ناموس الجاذبية أن الجذب يشتد حسب القرب من المركز . وكلما كان عدد الذرات في الذرة الواحدة كثيراً كان التجاذب بين الذرات ضعيفاً لبعُد أفلاك البعيدة منها عن المركز . واليك المزايا :-

(١) لهذا السبب الذرات العليا العديدة الذريرات في جدول الذرات <sup>(١)</sup> تتناثر منها الذريرات المتطرفة وينفطر عقدها الى فوتونات (ضوئيات) بسبب ضعف قوة الجذب فيها الى المركز . وهذا التناثر يسمى اشعاعاً أو نفثعاً Radiation كالليورانيوم والاكتينيوم والتوريوم والراديوم، خلافاً للذرات السفلى في الجدول كالتى ورد ذكرها آنفاً من الهيدروجين فافوق . فهذه لا تشع ذريرات ولا ضوئيات يُشعر بها ، لتماصك ذريراتها بقوة الجذب كما سبق التنويه . هذه هي المزية الأولى لنوع من الذرات أي الاشعاع .

(٢) المزية الثانية ان لبعض الذرات التي في وسط الجدول قوة جذب غير الالفة الكيمية تسمى مغناطيسية وهي ذرات الحديد الممغنط والتكل والكويلت . والحديد أهدها مغنطة ١٠ مرات كمغنطة الآخرين . فالمغناطيسية اختراع ثالث من اختراعات الطبيعة والكهربائية التي هي تيار الكهرباء الجاري في السلك النحاسي هي اختراع ملحق به لما بينهما من تفاعل - المغنطيس يولد تيار كهرباء في السلك الملفت حوله . والتيار الكهربائي في سلك حول الحديد يغمط الحديد .

(٣) في أسفل جدول العناصر المشار اليه آنفاً مزية ثالثة لأربعة عناصر (ذرات) خطيرة الشأن لنفوء الحياة من اتحادها وهي الكربون والهيدروجين والاكسجين والنتروجين أهمها الكربون وهو العنصر الذي لا يخلو منه جزيء مؤلف من عشرين ذرة على الأقل . وقد تبلغ الجزيئات الحيوية التي يسمونها الجزيئات العضوية Organic الى خمس مئة ذرة فأكثر كالمواد الزلالية .

الكربون هو العنصر الوحيد الذي تتفاوت فيه وحدات ذرات العناصر الثلاثة الأخرى المؤلفة معه في الجزيئات الكبرى التي نحن بصدها . لهذا السبب يحسب الكربون عمدة الخلايا الحيوية من نباتية وحيوانية في حين انه لا بد من وجود اوكسجين وهيدروجين معه في الخلايا الحيوية ولا يتدر أن يوجد فيها النتروجين أيضاً .

(١) جدول العناصر الكيميائية مرتب بحسب عدد الكهيرات في الذرات . فالرقم الاول هو للهيدروجين لان فيه كهيراً واحداً والرقم ٩٢ هو لليورانيوم لان فيه ٩٢ كهيراً . والارقام التي بين الواحد وال ٩٢ هي لعناصر بين الهيدروجين واليورانيوم بالترتيب

النروجين عنصر جوهري للحركة في الحيات والاعسام بسبب انه يأتاف وينحل بالتواتر كثيراً في الجزيئات لانه ضعيف الالة الكيميائية (سبب ذري ليس هنا محل شرحه) ولهذا هو العنصر الجوهري في المواد القابلة للافرقاع والانهجار كالدنيمات .

### الحياة

في ضمن هذه العناصر الاربعة نشأت الحياة في مواد هلامية جلاتينية Colloidal تكونت ككياوياً من تلقاء نفسها تحت عوامل الطبيعة الهو جاء . تكونت في خلايا ميكرومكبوية فردية كالجراثيم الاولى في المياه والمستنقعات ثم تحولت الى جسيمات كالغطريات والطحليات والطفيليات والهوام والحشرات وأجسام النباتات والحيوانات الخ .

الخلليات الحيوية ليست بمجروحات من جزيئات فقط ولا هي مركبات كيموية وحسب بل هي وحدات خلوية حيوية تربط أجزاءها بعضها ببعض القوة الحيوية التي فيما بينها . فهي نوع من التجاذب الهبولاني يختلف عن تجاذب الذرات في الذرة وعن الالة الكيميائية في الجزيء . هي نوع من التجاذب أعلى شأنًا من هذين .

ان هذا الترابط الحيوي بين جزيئات الخلية الواحدة لا يزال سرًا غامضًا تحت بحث العلماء . وقد سماه بعض العلماء أو سمى العامل فيه « الحماس الحيوي » Eian Vitale وفي نظري الضعيف انه ما خرج عن كونه صملاً كياوياً خاصاً غريباً . وعباره الحماس الحيوي أبقت أمره سرًا غامضًا فلم تفسره .

الحياة هي الاختراع الرابع من اختراعات الطبيعة .

تمتاز الحياة على الجماد بالولادة والنمو والتوليد والموت والحركة . بهذه المزايا تضمن تنوعها واستمرارها . كلما تقدمت في الزمان ازدادت تنوعاً . وهذا التنوع يفضي الى التزامم فالننازع فالنغير . وهو التطور .

الجديد من الاحياء يختلف اختلافاً كبيراً عن القديم منها . فهو أكثر تعقداً وأوسع انتشاراً . في مضمار التنارع يُببّد الجديد القديم ويحل محله .

معمل الحياة الكياوي مستمر في التوليد والتجديد بلا انقطاع . ولهذا نرى الاحياء الاولى تعيش معاصرة للأحياء العليا كأنها لا قبالي ان تنمزع في النزاع معها . ومنها

ما تعيش فيها طفيليات . أعني أن الطبيعة لا تكف عن انشاء الحياة وتوليد الثابتات المدببة من التجمعات الغروية في المستنقعات . ولكن الأحياء السابقة المتركزة المستتبة نفذت - لا تدع لها سبيلاً للتطور والارتقاء إلا نادراً جداً . ويغاب أن لا يعيش جديد من الأحياء إلا طفيليات في كنف أحياء مستتبة محتمة بها كالجراثيم المرضية .

أم مخترعات الطبيعة في عالم الحياة أنها تجعل من حاصلات الطفيليات عوامل (مهموم) فائقة لها حرصاً على بقاء الأحياء المستتبة . ولولا هذه الخاصية لما أمكن استخراج الأمصال واللقاحات .

هكذا نهأ في سلم الأحياء الانسان سيدها جميعاً .

الحياة هي كجذع شجرة في الطبيعة تفرعت منها فروع مختلفة من مخترعات الطبيعة هي :

١ - الفريزة .

٢ - العقل - الشعور ، التصور ، التذكر ، الاستدلال .

٣ - الاجتماع - المجتمع ، السلطة ، السياسة ، الاقتصاد ، الجريمة .

٤ - الروح .

٥ - الكهانة - الألوهية ، الديانة ، الفن .

٦ - الضمير - أدب النفس .

٠٠ - ثم ماذا

### الفريزة

هي نابض داخلي لعمل جسماني من غير عقل ولا اختيار ولا داعٍ معقول .

الفريزة شاملة جميع الأحياء من أدناها ذوات الخليات المفردة إلى أعلاها الحيوان فالإنسان . أدنى الخليات الجرثومية تأخذ من محيطها غذاءها وتنبت ما سواه .

جرثومة الأميبا Amoeba إذا اصطدمت بذرة حمادية كذرية هباء انتكحت وامتدت فتوأتها من ناحية أخرى . ولكن إذا لامست جرثومة داي أتوم Diatom مثلاً عكفت عليها وطوتها إليها بما ينتو منها من نواتي والتهمتها وهضمتها . الداي أتوم جرثومة تنتمي إلى فصيلة طحلبية تسمى خرّ الماء أو غلفنة (رخصة القوام جداً) .

فالشيء الذي في الأميبا يعجز بين الداي أتوم والذريّة الجأدية هو الغريزة . كيف ؟  
ومن أمثلة الغريزة أن الخلية الحية المنفردة متى بلغت إلى حجم معين تنقسم إلى جرثومتين  
كل واحدة منهما كالأم الأصلية طبيعةً تفعل هذا بحكم الغريزة . والطير يبني عشه ويهاجر  
من بلد إلى بلد بحكم الغريزة .

الطفل الرضيع وهو خالٍ من التعقّل إذا لمست شفثاه ندي أمه جعل يمتصه بحكم  
الغريزة . ونحن بحكم الغريزة نمشي إلى الأمام باتجاه فظنا لا إلى الوراء . ونمضغ الطعام بسبب  
أن الشعور بمحرك عضلات الفكّين . جميع الأفعال التي نفعلها بغير اختيارنا كالتنفس ونبس  
القلب هي من قبيل الغريزة .

ما الذي جعل سيقاننا وركبتنا لا تتحرك إلا للأمام لكي تسهل الحركة لغريزة المشي ؟  
وما الذي جعل شفثي الرضيع تطبقان على الثدي من أول يوم لكي تكون الرضاعة غريزة ؟  
بعبارة أخرى ما الذي يوجه الغريزة في عملها ؟

يوجه الغريزة عضو الحركة في الجرثومة وفي العضو المختص في الحيوان ؟  
المائع ( البلاسم ) في الأميبا مثلاً يعمل بفعل الحواس الحيوي Elan Vitale إلى ناحية  
فينتو فيها عندها نتوء . فإذا صدم جسماً رخصاً ليناً كالداي أتوم امتد هذا النتوء وانطوى  
جسم الأميبا عليه وأدخله فيه .  
بأي إلهام يفعل هذا ؟ لا ندري . فنقول بإلهام الغريزة . وتبقى الغريزة مبرراً يبحثه أهل  
العلم .

هذا مرّ عجيب اخترعته الطبيعة وحفظته لنفسها . ألكي تحمّر لونه البشر اخترعته  
وكنته ؟ . هل نكتشفه في المستقبل ؟

الغريزة هي الاختراع الخامس من مخترعات الطبيعة  
في الجمادات شي ؟ يشبه الغريزة . هو التبلور . تتكوّن البلورة في جسم محدود وشكل  
هندسي معين . فنى بلغت إلى الحجم والشكل المعينين توقفت عندها كأنها تركت الشان  
لبلورات أخرى .

كلما تطوّرت الغريزة وارتقت نحوّت إلى عقلية

## العقل

نشأ العقل برعمة في غصن الغريزة ولكنه بسق منها طلياً جداً . فكان هو يفسخ . وهي تضؤل الى أن أصبحت كأنها أثرية في الاحياء العليا .

لا ندري متى صارت الغريزة في سلم الاحياء تعدُّ عقلاً . بل يصعب جداً أن نميز بين العقل والغريزة أو أن نحكم عند أية درجة افتراق . والظاهر لنا أنهما لا يفرقان . لاغنى عن الغريزة الى جانب العقل حتى في أعلى الاحياء مهما اعتمدنا على العقل . معظم الاحمال التي نعمل بغير تفكير هي غريزة كتنذبذ المقلتين في محجريهما لتسديد الرؤية . وكتحريك الجفون لتنظيف المقل . وكتوازن الجسم في الوقوف .

العقل في عرف العلماء هو مجموعة القوى العقلية . وأبرزها الشعور والتصور والتذكر والاستدلال . كل هذه نشأت طالة على الغريزة ثم جعلت تمايز بمقتضى المعيشة

ولكن ما هي هذه القوى ، هل هي أعضاء ذات وظائف في جسم الانسان ؟ هل لها ذاتية أو ذاتيات قائمة بنفسها — كلاً فاهو العقل إذن ؟

العقل فعل من أفعال الدماغ ليس ذاتية قائمة بنفسها . هو فعل من أفعال الخلايا الدماغية ، كما ان الضحك من أفعال فكي الضاحك . والمشي فعل من أفعال رجلي الماشي . العقل وظيفة من وظائف المراكز الدماغية المعقدة التي تقوم بها ملايين الخلايا كما هو معلوم فسيولوجياً والأرجح أن هذا العمل يحدث نبضات كهربائية سريعة في الجهاز العصبي على نظام لا يزال مجهولاً . وقد ثبت بالامتحان أن في الجهاز العصبي تياراً كهربائياً عقلياً بشكل خاص أليس الدماغ مؤلفاً من ذرات ؟ أليست الذرات مؤلفة من كهبريات ؟ أليست هذه ينوع الكهرباء ؟ فلماذا لا يكون العقل كهربائياً في خلايا الدماغ ؟

لك أن تقول ان الحوادث الكهربية العقلية أو الأفعال الفكرية هي فيضٌ Emanations من الخلايا الدماغية كالامواج التي تنبعث من العناصر المشععية كالراديوم مثلاً . وهي أمواج كهربية .

العقل هو أمجوبة الطبيعة . عجيب في قوته ، عجيب في أفعاله ، عجيب في اتساعه ، في ضخامته ( خياله ) . فمر للطبيعة نفسها التي اخترعته . وتغلغل بين ذراتها وذريراتها ، وبين

أجرامها ومجرّاتها . أخضع الطبيعة ، اعتقل قواها ، سخر نوايسها لخدمة الجسد الذي يصدره ، نظم العالم الاجتماعي ، الحيامي والاقتصادي . واستوى على عرش المجتمع . استنبط الخيال . وابتكر الفن واختلق الروح من الوم وكوّن العقيدة . فابتدع الكهانة وأخيراً اصطنع الضمير ،

العقل عمل كل هذه . وما كان هو إلا غصناً في جذع الحياة التي هي بدعة الهولاء المعجبية . ثم صار فرعاً ضخماً باسماً أعظم من الغصن .  
أليس العقل أعجوبة السكون كله . وما هو ؟ ما هو إلا تحفة فنية في معمل الدماغ . فله در الدماغ الذي يشع ذلك الحماس ، وينبض تلك القوى ، ويعكس على صفحات الوجود تلك المعجائب ، والله در الطبيعة التي اخترعته . ثم قام يتحكم بها ويشمخ عليها . « سبحانك اللهم ما أعجب أمماتك كلها بحكمة صنعت » - العقل هو الاختراع السادس .

### المجتمع

لك ان تقول ان المجتمع هو وليد الفريضة والعقل معاً لانه ابتدع مع نشوء الحياة فتوالدت الجرائيم متجمعة وتنوّعت أفرادها في حين كانت تتجمع . فلا بدع ان نرى كل صنف مستعمرة تتجمع فيها أفراد كل صنف لحاجتين : التعاون على الحياة واتقاء الأضرار . هذه سنة التجمع من الجرائيم فصاعداً الى الانسان .  
المجتمع قديم كقدم الحياة . ثم لما برز العقل جعل ينظم المجتمع تنظيمياً يكفل له حيويته وبقائه . فتفرّع من نظامه السلطة فالسياسة فالقانون ثم الاقتصاد . وكل نظام من هذه الأنظمة أصبح اليوم عالماً عظيماً قائماً بذاته مضطرباً كبحر خضم .  
هذه الأنظمة من مخترعات العقل . وكل نظام متفرّع الى أنظمة أخرى لا تكاد تحصى حتى نجد فروعاً أخرى تفرّعت من فروع .

### الروح

من بدع التعقل - التصور والاستدلال والتذكر - التي هي أم القوى العقلية نشأت الروح وكان الحلم مولدها . رأى الانسان القديم شبح أباه في حلمه فلما امتنقظ



استغرب أن يرى أباه وهو يعلم أنه مات ودفن من زمان . فكشف الرس لكي يتحقق أن كان أبوه لا يزال فيه أو خرج منه . فاستغرب إذ رأى جيفة بالية . فحدث رفيقه في هذه الرؤيا . فقال له رفيقه انه رأى مثلها . وهكذا تحدث القوم في أمر الرؤيا . وأخيراً قال فيلسوفهم ما هذا الذي رأيتموه الأ و هم في الحلم ، ولكل ميت طيف يحضر على ذويه أحياناً ، ومباه روحاً . فصاروا ينسبون لهذا الروح قوة وإرادة بحسب ما يبيديه من كلام ووعد ووعود . وصاروا يستعبرون أرواح الأموات الى أن جعلوا يقدسونها . وكان لأرواح أبطالهم المقام الاسمى . ومن ثم نفأت الألوهية للعبادة . والعبادة اقتضت الكهانة للقيام بخدمة المعبود وتقديسه والوساطة بينه وبين القوم الى غير هذا من مقتضيات الكهانة . والى جانب الكهانة نشأ السحر تأييداً للعقيدة بقوة الآله .

ولعبت الكهانة دوراً عظيماً جداً في تاريخ البشر حتى انها في أكثر الأحوال ظفرت بالسيادة السياسية والادارية . ان تاريخ مصر القديم كله تاريخ الكهانة إذ كان الملك كاهناً قبل أن يصير ملكاً . فكان كاهناً وملكاً معاً .

نفثوا الروح اخقاعاً بديع من مخترعات العقل هو سابع الاختراعات . والكهانة اختراع من مخترعات الروح وهي الثامنة . ومرجع هذه الاختراعات المتسلسلة الى فعل الطبيعة وما وقف العقل عند هذا الخيال الروحاني بل تبسط في خياله فاخترع الفن . والتمن أيضاً من مبتكرات الكهانة ، لأن العبادة اقتضت اكرام المعبود وتعجيد به زخرفة معبده وتمثاله فكان هذا الافتضاء حافزاً لصنع التماثيل والصور وإجادة زخرفتها . وكذلك اقتضت صلاة العبادة الرقص والترنيم . وهذه اقتضت الشعر لنظم الترانيم .

ثم إن لتعليل الألوهية وأفعال الآلهة اقتضت ايمان السكينة في الفاسفة اللاهوتية ومنها امتدت الفلسفة الى تفسير الـكون وظاهراته ونفوسه . ومن الفاسفة نشأ العلم فاعظم هذا العقل وما أوسع تفنن هذه الطبيعة وما أعجب اختراعاتها : الائتلاف اللذي . ثم الحياة . ثم العقل . ثم ماذا

ماذا في طبي هذه الطبيعة بعد ؟

نجهل نظرنا في أطراف فروع العقل المتفرع من الحياة الباسطة من الجماد فنرى برهة

نور شرعت تنشق عن زهرة بديعة . ما هي ؟

الضمير : تاسع اختراعات العقل والطبيعة وأعظمها شأنًا . بعد العقل  
ان بقاء الاجتماع متماسكاً مضموناً بالعدالة . اذا لم تقم العدالة تزق المجتمع . العدالة  
هي الرابط الممكن للمجتمع . هي قوة الجذب بين أفراد المجتمع كما أن الجاذبية هي الرابط  
الممكن لدرّات الهولي وأجرامها .

فترى أن السلك الذي ينتظم فيه السكون أولاً وآخرأ هو الجاذبية من أول نشوئه  
الى ما شاء الله من مخترعات الطبيعة .

العدالة اقتضتها سلامة المجتمع . فاذا اقتنع العقل بهذه الحقيقة الراحنة كان اقتناعه هذا  
هو ( الضمير ) بعينه . فترى أن الطبيعة هيأت الضمير لافراق العدالة وانفاذها لكي يرتبط  
الأفراد والجماعات بعضهم ببعض حرصاً على صلاتها وصلامتها وهنائها . . . ولكي تستقر  
العدالة يجب أن يكون للضمير سلطان قدير نافذ يسيطر على الحرية ويلزم الروح والجسد  
والارادة أن ينفذا العدالة . كيف يستطيع هذه السيطرة ؟ هنا الإعجوبة العظمى . كيف  
يستطيع الضمير أن يتسلح بقوة رغم الارادة والعقل على طاعته في فعل الخير ؟ هذه أعجوبة  
واجب الاحجيب لا تزال في بطن الطبيعة . اذا أبرزتها بدأ دهر السعادة للبشر . ما الله حذاً .  
الضمير الآن في بدء نشوئه في الانسان . والى اليوم لا يستطيع أن يقوم بوظيفته إلا  
بمعاونة الشريعة وبسلاح القانون والشرطي والقضاء . مع ذلك هذه ليست قوة جامعة مانعة  
لأن خلّص الشر في الانسان لا يزال يطغى ويتملص من القانون والشرطي والقضاء . يجب  
أن تكون قوة التنفيذ في الضمير نفسه . فكيف يمكن هذا ؟

على العقل أن يحل هذه القضية . عليه أن يخترع أداة لتقوية الخير على الشر وأداة  
للتقويم الاخلاق . فاذا توفى الى خلق أخلاق شريفة في الانسان فعل الإعجوبة التي توفى  
جميع الاحاجيب . يجب أن يعرف الإنسان العدالة . انه ليعرفها جيداً . فعرفة العدالة  
لا تكفي بل يجب أن تزداد . فكيف يرغم الضمير الارادة على احترام العدالة . هذه مهمة  
الضمير والعقل الآن . في قلب الانسان شرور وأشرها الطمع . فعلى العقل أن يححو الطمع  
لكي يمكن الضمير من انفاذ حكمه . فكيف يمكن هذا ؟ وهل يمكن ؟

الضمير الآن في دور الطقولة فتى صار ينفذ المدالة بغير سلاح يكن قد أدرك سن البلوغ . فتى يدرك هذه السن . أبعد ألف سنة ؟ أو مئة ألف ؟ أو متى . الله هو العليم .

الضمير هو تاج المحترقات . ثم ماذا بعد هذا ؟  
ان الطبيعة نور زهرة شرع يفتح فينقلب كشمسها من توسجها تدريجياً فتبدو الزهرة أوضح فأوضح وأجمل فأجمل .

أو ان الطبيعة لنافة ينقلب ظاهرها عن باطنها طبقة طبقة فيبدو ما في جوفها طاقاً أو نطاقاً بعد نطاق آخذاً بعضهم بمحاشية بعض فتظهر من بطن الطبيعة أسرارها . فبطان الطبيعة مغمم بالأسرار وفي كل دهر ينفضح سر . وآخر سر اجتانيناه منها هو الضمير فإذا بعده ؟

• • •

لا أظن الطبيعة تقف في ابداعها عند حد . فإذا بعد الحياة والعقل والضمير من أحاجيب :  
هنيئاً خلفائنا الذين سيعرفون الأسرار القادمة .  
بقي ان نعلم ما هو غرض الطبيعة من كل هذه المهرجانات . هذا بحث آخر .

• • •

يظهر ان الله تعالى اختص الكرة الارضية بموضع أسرار الطبيعة ومنشأ مخترعاتها وجعل العقل الذي هو أعظم ما ابتدعته مكن عجائبها . ولا نعلم ان كان في الوجود المادي جرم آخر غير الأرض محظوظاً بهذا العجب العجيب . في رأي العلماء إنه ليس في النظام الشمسي سيار له خصائص الأرض . وليس في سيار آخر انس ولا جن . وفي رأيهم أيضاً انه ليس في عالم المجرة وغيرها من المجرات نظام كنظامنا الشمسي أتجته الطبيعة الفلكية لان طرف انبثاق السيارات كان صدفة . ولا يحتمل أن يصدق هذا الانبثاق في الاكوان إلا على احتمال واحد من بلون . والله أعلم .

نغور الحار

القاهرة

# بَابُ الْمَرَاتِلَةِ وَالْمُنَاطَةِ

## داعي الاجتماع

طالعت في مقتطف نوفمبر ١٩٤٧ بحثاً مجلداً لقصة المعرفة بعنوان « الانسان هذا الغر الاعظم » وقد دججت البحث راعة الأستاذ فؤاد طرزي . والحقيقة أن الموضوع يثبت أن الانسان لغز أعظم لما في هذا الكائن من صفات الخير والشر ولما جهوته الطبيعة من صفات متوائمة ومتناقضة فمن أنبأها الى أحطها ومن غاية في الدكاء الى غاية في السخافة ومن منال اللخير الى أشد منه في الاجرام ومن وديع في النظام الى ثوروي فوضوي ضده ومن بسطة في الجسم الى نحافة فيه ومن صورة ملاق الى قزم وغيرها من التوائم والاضداد . ولقد احتار ولا يزال يحتار المفكرون في أصول تنفثته تنفثة ثابتة الاركال غير مترجحة حتى وصل بهم المآل الى انه لا يمكن ذلك إلا إذا اهتمل مبضع الجراح في السيطرة على مفرزات غدده الصم وعلى تغيير العوامل الوراثية في كروموسومات خلاياه فعند ذلك يمكن الحصول على الانسان الكامل أو ( السوبرمان ) . وعند ذاك لا تتجسم حيرة أبي العلاء المعري حين قال فيه .

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

هذه فذلك بسيطة أوحاها لنا مقال الأستاذ المذكور ولنا بصدد موضوع تربية الانسان ولكن الشيء الذي يهنا هو ما وجدناه في مقال الأستاذ من قوله « فالإنسان مدني بالطبع ، كما يقول ارسطو ، وكذلك هو نزاع الى المعرفة بالفطرة أيضاً وهو يريد الاجتماع بغيره حباً في المعرفة قبل أن يجتمع حباً بالاجتماع » . لاهك أن المفهوم من هذا أن الدافع للاجتماع هو غريزة حب الاستطلاع التي تؤول الى حب المعرفة بينما المعروف والمسلم به والذي أقره ابن خلدون في مقدمته ، هو أن أساس الاجتماع والحافز إليه هي غريزة حب الحياة وتفرع منها أو تمت إليها كل فرائز الحب سواء أكانت للاستطلاع فالمعرفة

أم للجنس حيث انتظار الحياة الهائلة بالتعاون أو التكافل فيهما - وعامياً . تقول - هذا لأن الإنسان في فجر التاريخ يوم كان صياداً كان محاطاً بالحيوانات الوحشية التي أقوى منه سلاحاً وبدناً فاضطرَّ إلى أن يخرج أسراباً من بني جنسه حتى يتمكن من مقاومتها كما اضطرَّ أن يجاور أخاه في كهف أو كوخ أو قرية كي يدفع الخطر الدائم والمنتظر بمعاونته ابتقاءً لحياتهما .

ولم توجه - ز الطبيعة الإنسان فقط بهذه الغريزة بل جهزت الحيوانات بهما فالطيور المتناكلة تجتمع سرية . والضفادع سرية . والاممماك . وليست مناظر أسراب الجراد غريبة من البال والداعي لهذا حفظ الحياة بطريقة سلبية أو إيجابية أي بالمقاومة أو الانزواء . فالثي الجرب أن الضفادع المتجمعة في غدير تنق إذا ما غطست إحداها تحت الماء غطست الأخرى آلياً فكأنها آذنت بالخطر وكأنما كل واحدة رقيب . ومن ثم فقد قيل « إن الطيور على أشكالها تقع » . وما ينطبق على الضفادع ينطبق على الطيور فإذا ما أحسَّ أحدها بخطر طار الآخر على طيراتها آلياً كذلك .

\*\*\*

نتنتج مما تقدم أن حب الحياة هو الدافع الأصلي للاجتماع وليس حب المعرفة . فاجتماع الإنسان بأخيه لا لأجل العلم بل ليكونا بنياناً مرسوماً يصد خائلة العدو الخارجي ولعين على العيش بإسلامة ويقضي على الخوف ومن ثم ينشأ لواء العلم والعرفان والعمران ويزيد على ما تقدم أن بعض الفلاسفة يقولون أن الإنسان وحشي بالطبع لأنه أناني فردي يحب حياته . فلو فرض أن أقفرت بقعة من البقاع من القوت ولم يبقَ لشخص إلا ما يهد به رقبته فلا يمكن أن يعطيه لغيره خوف أن يموت وحبه للحياة شديداً . وعلى هذا الأساس الاقتصادي نرى العائلة ذات البيت الواحد تتمازل لأن كل فرد يحب الجمع لنفسه أكثر مما يمكن من مقومات الحياة الأساسية . ولولا ذلك لبقي الناس كلهم أسرة واحدة من فجر التاريخ حتى يومنا هذا . وفي هذه الحال قال أبو فراس الحمداني :

معلتي بالوصل والموت دوني إذا مت ظمناً فلا نزل القطر

غير أن هذا القول إن صحَّ اقتصادياً فلا يصح اجتماعياً لأن الحياة تبقى دائماً إذا ما قل أفرادها التقاطع وإنما أوردتها لابين منتهى غريزة حب الحياة من جهة المفعول في

مجتمع فرضته نائياً مجدياً لا أمل لتعميم القوت فيه على أفرادهِ . أما في المجتمعات الوارفة العيش فكذلك نرى حب الحياة هو المسيطر على تسيير دفة أمور أفرادها سواءً بالفتح أو التجارة أو بالنظمة اجتماعية أخرى غير اني لا أعدم بقولي هذا أهل المروءة وهم قلة وهم الذين يتبعون روح العقل في أعمالهم وهم الذين يشملهم قول أبي العلاء المعري :

ولو أني منحت الخلد فرداً لما أحببت بالخلد انفراداً  
فلا هطلت عليّ ولا بأرضي سحائب ليس تنظم اليلاداً

وعلاوة على ما تقدم فاني أرى غريزة حب الحياة بادية ذات تأثير على سلوك الانسان حتى في آرائه ومقرراته فكم نرى في أوقات الاضطرابات والثورات من أناس يغيرون مبادئهم خوفاً من دكتاتورية الرأي العام وقسم منهم يموتون دفاعاً عن فلسفة لا يعتقدون بها ولكنها ترضي تيار الرأي العام الجارف . فكل هؤلاء كمثل من أراد النجاة فملك مسالكها ولكن خافه القدر فوقع في ما كان يتحاشاه لا سيما اذا كان الشخص ذا شخصية تفتقد في المناسبات وكذلك لا يعدم المجتمع أناساً ذوي عقيدة صلبة وتاريخ البشرية يثبت ذلك فـكـوـبر نيكوس أـحـرق وسقراط جرّع السم ولا فوازيه قتل ، والتاريخ الاسلامي مليء بمصارع الأعيان اذن فغريزة حب الحياة هي الداعي الاسامي للاجتماع وإن تلبست بأبراد مختلفة وتبرقت بيرافع كثيفة فأنت لو دفقت وكشفت لوجدتها الهيكل الاسامي في بناء الحضارة والعمران وما أنظمت الانسان الا سائرة بموجب وحيها وعلى نهج ضلالتها للمجتمع البشري او الاقليمي بصورة عامة . ولله درشوقي إذ قال .

الحياة الحب والحب الحياة هو من مرحتها مر النواة  
وعلى صحرائها مرّت يداه فحيت ماء وظلالاً وجنى

رسيمر السمر

( البصرة )

\* \* \*

ملحوظة : جاء في مقال القدرة مقل الروح في منتطف مارس بقلم ميشيل شبلي السمد والصحيح « رشيد شبلي السمد = رشيد السمد »

## موجات الرادار لا أشعته أو موجات الرائد اللاسلكي

حضرة رئيس تحرير المقتطف

جاء في مقال نشره المقتطف في عدد مايو تحت عنوان « حدود جديدة في الفضاء » ان لرادار أشعة ، والحقيقة إنها موجات ، فأرجو نشر ما يلي احكاماً لواقع العلمي .

كان للرائد اللاسلكي ، أعظم شأن في النصر الذي أحرزه الحلفاء ، على الاعداء في الحرب الخالية ، نصراً فاق ما جنوه من العائنة الذرية نفسها . وسوف تكون له منافع شتى جليلة في أزمان السلم أيضاً . وهو عين سحرية تتيح للطيارين الحلقين في الجو ، والمسافرين على ظهور السفن ، والمستقرين على سطح الأرض ، سواء في أثناء الظلام والغيوم أو الضباب أو الغيث أو الدخان ، الرؤية الى أبعاد تفوق ما تبلغه عيون الانسان . وهذا الجهاز يعمل بالاسلوب الآتي وصفه :

( أولاً ) توليد موجات لاسلكية قصيرة . ( ثانياً ) تآلقي الاصداء التي تنجم عن هاتيك الموجات عند ارتدادها عن الجسم القعي الذي تصادفه في مجراها . ( ثالثاً ) توقيت رحلة الموجات عيناها في حالي توجيهها وعودتها ، بغية تقدير بُعد الهدف . ( رابعاً ) تبيان مبعث ذلك الدوي بالنسبة لموقف راصده . ( خامساً ) إظهار هذه البيانات برسومة رمما مؤلفاً من خطوط ونقط ضوئية ، على ستار ، أو تكشفها كهودر متحركة تمخل خريطة للمنطقة المنشودة . والرائد اللاسلكي بصفة كونه سلاحاً دفاعياً يستطيع آناء اللبل وأطراف النهار ، كيفما تضطرب الاحوال الجوية « أ » اكتشاف الطائرات أو السفن القادمة قبل أن تكشف للعيون البشرية حتى في ربيع النهار « ب » تمييز الخاصة منها بالاعداء ومعرفة التابع منها للحلفاء « ج » إرشاد المقاتلين الى اعتراض الطائرات المعادية قبل دنوها من أهدافها « د » ارشاد المقاتلين ليلاً الى مواقع قاذفات القنابل المعادية حينما تبلغ كل منها مدى أنظارهم . « هـ » تسديد المدافع المضادة للطائرات واطلاقها اطلاقاً ذاتياً ، على الأهداف المتحركة خفية كانت أو نائية عن الابصار ) يفوق في إحكامه ما يستطيع المدفعيون تصويبه نحوها عند رؤيتهم إيها ، عن كذب « و » تحريك المهاييع الكهربية

الكشفة تحريكاً من شأنه استقرارها في المكان الصالح لظهور القاذفة عند ما تهم بشن فارتها ليلاً. وذلك حالما يدير الرائد اللاسلكي مفاتيح المصابيح عنها .

أما أعماله في حالة الهجوم فهي ( أولاً ) قذف القنابل آلياً ، على الأهداف المستترة عن القاذفة ( ثانياً ) تمكين السفينة المزودة بهذا الجهاز ، من اقتفاء أي مركب آخر ، صديقاً كان أو معادياً . فان يكن معادياً ، تتبعه وتطلق نارها عليه فتفرقه . وذلك من دون أن يراها أحد من ركبها ( ثالثاً ) إظهار منظار الغواصة للطائرة المزودة بالرائد اللاسلكي ، بينما تكون الطائرة على عشرة أميال من مجال الغواصة ( رابعاً ) ارشاد جنود الهابطات ( البراشوتات ) أو الطائرات الشراعية ( الخالية من المحركات ) الى مناطق هبوطها ، وذلك عقب استيلاء الجيش على تلك المناطق ، وان اكتشفها سائر أراضي العدو .

وتنحصر أعمال الرائد اللاسلكي ، في الملاحظتين الجوية والبحرية فيما يلي : —

( أولاً ) رسم خريطة لأي صقع كان ، تحلق الطائرة في جوفه ، ولو خفيت أرضه عن نظر الطيار ( ثانياً ) اكتشاف المعالم الأرضية أو جبال الجبل ، التي تهدد السفن ، أيًا كانت حال الجو من الاضطراب ، اكتشافاً يفوق بمراحل ما يتجلى للـمرء مائة عن بعد ( ثالثاً ) هداية الطائرات الى المناطق الصالحة لهبوطها ، أو ارشادها في طيرانها فوقها ، وإعادتها الى موطنها سالمة ، غير مكترثة لما يطرأ على الجو من التقلب . وهذا الى جانب ارشاد قائد الطائرة ، بلا وعيه ، ارشاداً متواصل ، حتى يصير على إرتفاع عشر أقدام ، عن سطح الأرض ، من طيرانه ، أو ارشاد المنقذين الى مقرها اذا سقطت ( رابعاً ) تبيان تنسيق سفن القوافل ، لأمير البحار ، المشرف عليها ، تبياناً متقناً يدل على ما عساه يحدق بها من سفن العدو ، في أي وقت كان ، من رحلتها المقصودة .

وقال عالم الانجليزي ( متخصص في هذا الفن ) وذلك في أحدث مؤلف له : — إنني لا أذيع مرراً إذا قلت إن قوام عمل الرائد اللاسلكي هي الموجات اللاسلكية ، السريعة التذبذب التي تتولد من مرسلة كهربائي . ثم تنطلق في الجو حتى تصادف أي جسم صلب فتنعكس عنه بسرعة الضوء . وإن هذه القاعدة هيئة في ظاهرها . أما ادارة الجهاز فتفيء آخر لأنها غاية في التعقيد فلا يستطيع القيام بها إلا الخبراء ، وإن شاء الله تعالى سأنصل في أقرب فرصة كل ما أجملته في هذه المجالة ليتبين للقارئ ، مبالغ عظمة هذا الاختراع المدهش .

عوض جندي



# بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

## منهج جديد في كتابة التاريخ

ببسطه كاتب أميركي كبير

خير فلسفة يزود بها الباحث . ومن التاريخ  
زوم أن نعرف لا كيف كان يتعين على المرء  
أن يسلك . بل كيف سلك فعلاً وتصرف .  
وفي وسعي القول إن الرجل ذا الإلمام  
بالتاريخ في طاقته أن يتكهن بأحداث الغد  
قبل أن تحدث فعلاً لأن بوادر الثورة الروسية  
كان يمكن اجتلاء طلعتها قبل حدوثها بسنين  
وسنين لكل من درس التاريخ دراسة امعان  
وتدبر . وآية هذا أن شينجلر تكهن في  
كتابه « ردة الغرب » الذي أصدره عام  
١٩٢١ بالموقف العالمي الحالي .

وقال الكاتب الكبير أن السبب في إغفال  
درس التاريخ هو أن المؤرخين يعرضون  
أحداثه بكيفية تدل بداهة على مجافاة للواقع  
مجاافة تامة . فهم يتخيرون مناحي معينة من  
النشاط الانساني — كمنشآت الحكومة  
أو الاقتصاد أو الدين أو العلم أو الفن أو  
الموسيقى أو الفلسفة أو الأخلاق — ثم  
يكتبون تاريخ أمر واحد مجرد من هذه  
الأمور ويسوقونه مستقلاً عن العوامل  
الأخرى .

زار القاهرة أخيراً الكاتب الأميركي  
الكبير الأستاذ ولیم جیمس دیورانت وهو  
بمد من أفدر المؤرخین المعاصرين ومن  
أكثرهم أصالة وأوسعهم مجالاً في البحث  
وقد أتبع لي أن أقبله وأسأله عن  
المنهج الذي يتبعه في كتابة التاريخ  
فقال :

ان من الخلال البارزة في عصرنا الحالي  
إنساني عناية قصوى بدرس ما حدث  
البارحة ولنا من وسائل تحقيق هذا البحث  
أساليب باهرة . غير أن ما حدث من ستة  
آلاف عام يفتقر أشد افتقار الى عناية منا  
حتى ليصح لنا أن نقول أننا متخمون بالانباء  
منضوون جوعاً الى التاريخ . ومعنى هذا  
أننا لا نملك أساساً نستطيع به أن نحكم على  
الانباء ونذكر كنهها بحق ادراك .

وهذا يفسر لنا الموجات الفكرية التي  
تجتاح بلاداً مدة من الزمن ثم تنجاب عنها  
كوجة « السلوكية » التي ظهرت في الولايات  
المتحدة أشهراً ثم اختفت

ودراسة التاريخ هي في جلية الأمر

والواقع ان المرء يحيا بجميع هذه  
العوامل في وقت واحد وكل عنصر من هذه  
العناصر يؤثر تأثيراً أساسياً في العناصر  
الآخري في كل جيل من الأجيال .

وللتمثيل على هذا أذكر ان روائع  
يوروبيديس تأثرت الى حد كبير بفلسفة  
سقراط . كما ان النظريات الدينية عند  
اليونانيين تأثرت بالروائع الأدبية  
ليوروبيديس .

وحدث مرة ان بركليس الحاكم صاحب زوجه  
اسباسيا - وكانت تعمل من قبل في سوق  
الهوى - يشهدا تمثيل رواية من تأليف  
يوروبيديس على مسرح ديونيسيوس وفي  
طريقهما قابلا سقراط . فمحن زوى في هذه  
الحادثة العارضة تمازجاً بين عنصر الحكومة  
وعنصر الأخلاق وعنصر الدين وعناصر  
الأدب والموسيقى والهندسة والنحت  
والفلسفة وما الى ذلك وإذا أردنا تصوير  
هذه الواقعة التاريخية تصويراً صادقاً وجب  
ان نذكر جميع هذه العوامل لتكتمل  
الصورة وتكتسب حياة واقعية .

والمستر ويل ديورانت مشغوف بكتابة  
التاريخ طبقاً للكيفية التي بها عاش الأفراد  
الذين يصنع منهم هذا التاريخ . ولذلك يتعين  
عليه أن يلم الماماً شاملاً بجميع نواحي  
النشاط الانساني لتصبح للرواية التاريخية  
وحدثها وصلاتها .

ودرج المستر ديورانت على اصدار

سلسلة من الكتب النفيسة عنوانها « تاريخ  
الحضارة » صدر منها حتى الآن ثلاثة أجزاء  
وبقي عليه أن يصدر ثلاثة أجزاء لتكتمل  
المجموعة .

والسفر الاول من هذه المجموعة  
عنوانه « رائنا الشرقي » وفيه يرد  
المؤلف حضارة أوروبا بأسرها الى المنبع الذي  
نبعت منه وهو القارة الآسيوية .

والمجلد الثاني عنوانه « حياة اليونان » وفيه  
سعى المستر ويل ديورانت ليدرس حضارات  
اليونان المتنوعة باعتبارها تفاعلاً لآلوان شتى  
من النشاط وتتبعاً لسيرة حياة « ثقافة »  
من مهدها الى لحدها

والكتاب الثالث عنوانه « قبصر  
والمسيح » وفيه يدرس الكاتب تاريخ روما  
والمسيحية منذ روميليس الى قسطنطين .

أما السفر الرابع « عصر الايمان » فهو  
استرسال في درس التاريخ من قسطنطين  
الى دانتى وسيكون ثلث هذا الكتاب  
مخصصاً للحضارة الاسلامية التي تفتحت  
آفاقها أمام المستر ويل ديورانت . ويقول  
الكاتب أن القارئ لهذا السفر من  
المسيحيين سيعجبون لافاضتي في معالجة  
الحضارة الاسلامية بينما طلاب العلم  
الاسلامية ستعدهم وجزاتي .

والمجلد الخامس « عصر البعث  
والاصلاح » وفيه يدرس التاريخ الى عام  
١٦٤٨ وتختتم السلسلة بكتاب سادس عنوانه

«عصر العقل» وفيه يحاول المؤلف أن يدرس تسلسل معرفة الانسان ونموها ، وهل يؤدي نموها المطرد الى افناء العالم أم الى انقاذه ونحريره .

وربما كانت حضارة الغرب عاجزة عن حل معضلة «العقل» فإذا ثبت ذلك ثبتت تكهنات شبنجلر عن ردة الغرب واندحاره وأصبحت الحقب القادمة مدينة بنهضتها

للشرق كما كان الأمر من ألف عام . وقد قال المستر ويل ديورانت إن مصر تجد في إيران واحداً قوياً في الشؤون الثقافية الإسلامية وأنه يروم أن تدوم هذه المزاخمة لمصلحة النهضة الفكرية العربية .

وختم حديثه قائلاً : في وسعكم أن تنتظروا كتابي عن الحضارة الإسلامية في عام ١٩٥٠ <sup>١٩٥٠</sup> وربع فلسطين

### في علاج الملاريا

وجراثومة الملاريا التي تصيب الانسان وتسمى « لاسموديم فيفاكس » وتسبب أعراض المرض في اليوم الثالث ، قريبة الشبه جداً في تأثيراتها وتطوراتها وحياتها على وجه العموم بالجراثومة التي تصيب القردة والتي توصل هذان الطبيبان الى معرفة سلسلة تطوراتها .

ولذلك فإن ما كشفه الأستاذ شورت والدكتور جارنهام سدفاً رافغاً ظل شاغراً حتى الآن في المامنا التام بالتاريخ المعقد لدورة حياة تلك الجراثومة التي تسبب الملاريا الخبيثة عند جميع الحيوانات الثديية ومنها الانسان وهذه الجراثومة هي من نوع الكائنات الهلامية الطفيلية ذات الخلية الواحدة ولها قدرة عجيبة على التكاثر بسرعة وهي ذات أشكال وأحجام شتى . كما أن جراثومة الملاريا لها أطوار متنوعة معقدة في دائرة تطوراتها وإن ما يسبب ظهور الاضطراب والتعب

كتب الدكتور يان كوكس مقالاً عن علاج الملاريا جاء فيه :

أذاع الأستاذ شورت والدكتور جارنهام الأستاذان بمدرسة الصحة في لندن نتائج بحوثهما الأخيرة عن جراثومة الملاريا . وهذه النتائج تعد من أهم ما حققه الباحثون من معلومات عن الملاريا .

فقد فحص هذان الطبيبان أدوار الجراثومة الهلامية الممماة « بلاسموديم سينتومولجي » وهي التي تسبب الملاريا عند القردة وأمكنهما من هذا الفحص الميكروسكوبي معرفة الأدوار التي تمر بها هذه الجراثومة في تطورها وتأثيرها في كبد الحيوان المصاب . وقد وصلا بذلك الى معرفة ما يسمى بدور « التكوين النسبجي » لهذه الجراثومة وهو طور من أطوار حياتها لم يكن معروفاً من قبل . وقد استطاع الأستاذان أن يفتنوا آثار هذه الجراثومة الهلامية من الأنسجة الحيوانية

الذكر والأنثى . ويحدث تبادل الأزواج في جوف الحشرة ويندمج كل زوج مع بعضه في شكل كائن هلامي ذي خلية واحدة مستطيلة الشكل ويسكن الجدار الخارجي لبطن البعوضة . وهناك تكاثر هذه الكائنات بواسطة حماية الانقسام وينتج عن هذا التكاثر جراثيم الملاريا التي تسمى « سبوروزويتس » وتمر في مجرى الدم للبعوضة حتى تصل الى جهاز الافراز في البعوضة ولا سيما جهاز افراز اللعاب . وهنا تكون الجرثومة قد مرت بدورها الاول كاملاً وتكون على أهبة الانتقال بطريق الحقن الى الحيوانات النديبة ومنها الانسان طبعاً وذلك حينما تلدغ البعوضة هذا الحيوان لتمتص الدم منه .

ومنذ سنوات ادعى أحد المهتمين بالملاريا أنه استطاع رؤية الجراثيم التي نصيب خلايا الدم في بادئ انتقالها - وتسمى « سبوروزويتس » . غير أن الكشف الأخير الذي حققه الطبيبان يبين أن تطور حياة الجرثومة في داخل دم المصاب ليس بهذه السهولة التي ادعى هذا الباحث أنه رآها وتمكن من تتبعها .

فقد وجدنا أثناء تجاربهما أن دورة جرثومة الملاريا معقدة جداً فضلاً عن الانسان اذا حقن بدم يحمل ميكروب الملاريا فيمكن علاجه تماماً بواسطة الكينين . وقد لوحظ ان الكينين اذا تماطاه المريض في أثناء

عند الانسان من جراء اصابته بهذه الجرثومة منشؤه ان غالبية التطورات التي نجتازها تحدث في أثناء وجودها في الكريات الحمر للمصاب وهي فوق ذلك تنغذى منها

وتتكاثر الجرثومة الواحدة - وتسمى في طور التكاثر هذا سكينزونت - بطريق الانقسام . وهكذا ينشأ من كل واحدة اثنتان ولكن يجمعهما الغشاء الخارجي للجرثومة الاولى التي تعد نواة التكاثر . وهكذا يستمر التكاثر المزدوج بسرعة فائقة حتى يحدث انفجار في هذا الغلاف الخارجي وتنفصل الجراثيم الناتجة - وتسمى حينئذ ميروزويتس - حتى تقوم كل واحدة بدور الجرثومة الاولى . وبطريقة التكاثر هذه تزداد كمية السموم في الدم . وتستمر هذه السموم في دورة المصاب الدموية ويظهر بذلك المرض على الانسان بنسبة كمية السموم الناتجة من تكاثر الجراثيم . فتارة يظهر المرض كل يومين أو كل ثلاثة أيام أو أربعة كما أن نوع الملاريا المعروف باسم « برميكبوس » يختلف عن أنواع جراثيم الملاريا الاخرى لان مدة تطوره يختلف عن مدة تطور الأنواع الاخرى .

### أطوار جرثومة الملاريا

وحينما تمتص بعوضة الجامبيا الناقلة للميكروب دم رجل تحمل في جوفها بعضاً من هذه الجراثيم ويحتمل أن يكون فيها

## تطورات الجرثومة في داخل الأنسجة

كانت المشكلة أو الحلقة المفقودة هي : أي الأنسجة في المصاب تمر بها جرثومة سبوروزويتس وتتطور في داخلها ؟ وظل هذا السؤال بغير جواب حتى كان الشهر الماضي حين أذاع الاستاذ شورت والدكتور جارنهام أنهما توصلا الى تحديد تطور الجرثومة في كبدة قرد حقن بجرثومة سبوروزويتس سبعة أيام متوالية . وقد أمكنهما ملاحظة الآثار التي تثبت وجود هذه الجرثومة على شكل بقع ملوثة في الأجزاء الدقيقة من الكبد . وتبلغ مساحة كل بقعة جزءاً من ثلاثين من المليمتر المربع . وأمكن بواسطة جهاز الدياميتير ملاحظة أن معظم الجراثيم هناك تم تطورها أو أوشكت على اتمام دورة التطور الأخير أي أنها في حالة التكاثر المسمى « ميروزويتس » .

طور تكاثر الجرثومة المسماة « بارازيتس » بمنع العدوى ويقضي على المرض . أما اذا أعطي المريض السكينين في أثناء تكاثر الجرثومة وهي في طور تكاثرها المسمى « سبوروزويتس » وهي الجرثومة التي تخرج من لعاب البعوضة فإنه لا يمنع عدوى الملاريا ويتبين من ذلك أن هناك farkاً كبيراً بين العدوى بواسطة الجرثومة في طور السبوروزويتس وبين عدوى جرثومة « البارازيتس » . وهذه الأخيرة في طورها هذا تظهر المرض بسرعة لأنها تكون كاملة التطور في لعاب البعوضة وفي الأنسجة الرخوة بها . أما جرثومة « سبوروزويتس » فإنها لا تظهر المرض بالسرعة السابقة لأنها ليست كاملة التطور ولذلك فإنها تمر في أنسجة المصاب وتتطور في داخلها عدة تطورات ثم تعود فتظهر ثانية في الأجهزة الرخوة اللملمية وتسمى بعد تطورها في جسم المصاب بجرثومة ريفوزويتس .

## الصم يسمعون

ويديرها بآلة لضبط سرعة الحركة . ويحتوي كذلك على جهاز صغير للاستقبال وآخر خاص بذبذبة الصوت . ويدير هذا الجهاز بطاريتان من أحدث طراز وزن كل منهما ثمانى أوقيات ونصف أوقية لاغير .

يصنع مصنع من المصانع في لندن الآن جهازاً صغيراً جديداً للاستعانة به على السمع لا يزيد حجمه على حجم علبة سجائر مسطحة الشكل .

ويتألف هذا الجهاز من خمسة محركات مستقلة لتشغيله يختار حامله أي المحركات يشاء



# مكتبة المقتطف

## الشروق

ديوان شعر : لذاعر حسن كامل الصيرفي : دار المعارف بمصر : ٩٦ صفحة  
من القطع المتوسط : ١٩٤٨

عرفت الصيرفي شاعراً منذ أكثر من عشرين سنة ، وعرفته شاعراً هادئاً الطبع نبّير  
الديباجة ، سهل الأسلوب ، يبسّ المعنى جيد المبني ، قويّ الروح في هدوء ، ناثراً الأحاسيس  
في صمت بالغ ، فلا ينم عن قوة روحه وثورة أحاسيسه إلاّ المعنى الخبوء من وراء الالتقاط  
المنظومة ذلك النظم المنساب السياب الماء في الغدران الهادئة ، يتساقّل بين ما يمتزجه  
من عوائق ، تسليلاً لا تحسّه ، ولكنه بالغ غرضه الأخير ، حيث تنفتح أمامه الرحاب  
القصيّة عند مصبّه ، فإذا بالغدير الهادئ يتحوّل في النهاية مجرّاً عظيم الانساع يفيض  
بالمعاني الأخاذة والإيماءات التي تهز النفس من أمواقها هزّاً ، وتنطبع آثارها في النفس  
انطباعاً قلماً يزول .

وعرفت الصيرفي فوق ذلك شاعراً صادق الشعارية ، لم يتكف يوماً أن ينظم شيئاً  
نسوق إليه مناسبة من المناسبات لا تخلف في نفسه ذلك الأثر الشعري الذي يهيج في  
الشاعر هيطان شعره . فلا كوارث الزمن ولا أحداث الحياة عنده إلاّ أوهاماً تمر خيالانها  
كأنها الصور المتحركة ، إذا لم تترك في نفسه ذلك الأثر الذي يفتح مغاليق الشعارية . فإذا  
بلغت الأحداث من نفسه ذلك المبالغ ، فاض بالمعنى المستخرج من أمق أغوار النفس ، مصبواً  
في قالب شعري رصين . وعلى الجملة فقد عرفته الشاعر الذي لم يخاف للأحداث ، وإنما خلقت  
لأحداث من أجله . وقلماً يكون الشعر ذا قيمة ما لم تخضع له أحداث الحياة ، فإذا خضع

لنك الاحداث فهناك يخرج الشعر عن طبعه ويتبدل مواجهه ، فيصير نظماً ، أي كلاماً موزوناً أثره في النفس أتمه ما يكون .

وعندي أن أكبر ما يتصف به شعر الصير في أنه أثر من نفسه ومن عقله معاً . فنفسه نفس شاعر واسعة الآفاق ممدودة الرحاب . وعقله عقل حر ، لم يقف في يوم ما حائلاً اضطره إلى تكلف معنى من المعاني التي كثيراً ما تقحم في الشعر ، فتكون كالنكتة السوداء في الورقة البيضاء ، وغالباً ما تلوح للقارئ الناقد كالباباة في كأس من اللبن الصافي .

وكثيراً ما طفت القيود الفكرية على الشعراء ، فكلفتهم ما لا طاقة لهم به ، بل كلفتهم نمناً باهظاً ، هو فقدان الأثر الشعري جملة ، والمحالة في الشعر كالمحالة في سوق التجارة ، لا ينجو محترفها من أرباب كلاهما مُرّ : إما الفقر وإما السجس . وما أكثر الذين يتحايلون على الشعر في عصرنا هذا .

هذا يجمل رأيي في شاعرنا الصير في . أمّا ما يؤيده فكثير في ديوانه « الشروق » :

وبخاصة في « جنة الحب » : ص ٣٤

باجنة الحب قاسر أمر رضوانك	مُسِمتَ عن شدو لحني فوق أفنانك
نقبت نفسي من الدنيا وصيغتُها	وجئت تصبغ روعي خير ألوانك
فألبابك لم تفتح مغالقة	وما لروحك لم تحقق لغنائك

ثم في « الحيرة » : ص ٧٠

بإطالي أنا صار في شعاب دُجى	يلهو بغاية روعي ليله الصافي
كأنني أنا نأرٌ ظلّ مشتملاً	بين الوجود وبين المبهم الخافي
وكما شاهدت عينا في أفق	ذاتاً تحققتُها أطراف أطراف
كأنني والاماني في جائشة	أفقٌ لذبوب به أصداء هُتاف
حُبِرت في عالمٍ تطغى مجائبه	على رؤاه وغاب نوره الصافي
ما أضيع النور في قومٍ يحبّرم	سرهم وكون حالمٌ فاف

ثم في « الصباح الجديد » ، ص ٨٦

أيها المتعب الذي حطم الناي واستراح

هذه غاية المني هذه غاية المراح  
لوعة بمد لوعة فرحة ثم لا فتاح  
نغمة في صميمها آهة الحزن والجراح  
حالم في محيطه راحة اليأس والكفاح  
مبهم كله رؤى تخطط الجد بالمزاح  
جزته اليوم طاراً ظلمَ الهازل الوقاح  
كم قنيت لو بدت ظلمة الليل عن صباح  
فاكشف السر هائلاً عن أحاجيبه الصباح .

\* \* \*

أيها المتعب الذي حطمت الناي واستراح  
نم قريراً فقد مرى لحنك العذب في البطاح  
فجرك الحلو لم يضع بين أيامك الشجاح  
فهو ما زال سابحاً هائلاً خافق الجناح  
إن يكن غامر الدجى فلقد هارو الصباح

\* \* \*

وهذا الديوان في مجموعته قطعة من فن شاعرنا الصيرفي ، لا يند فيه شيء عن شاعريته .  
وقد أتينا بأمدال من شعره الهادي ، فلنختم كلمتنا بشيء من شعره النائر الذي لا يخرج في  
ثورته عن طبيعة الشاعر ، التي تخفي وراء ذلك الهدوء عوامل الثورة الحاطمة : قال في «نشد  
الثورة» : ص ٨٩

تحرك من صباتك يا فتاها وأرجع عروها وأعيد قواها  
فقد طغت الخطوب على حماها فوهاً للآبي اذا تلاها

\* \* \*

تقدم بالأماني الصفوا ولا تخف الصواعق والحنوا  
وأوجد من عزائمك السيوا وأشعل نارها وأثر لظاها

اسماعيل مطهر



## جورج برنارد شو

السيدة فلة فهمي بدوي — المطبعة المصرية — ٣٣ ص من الحجم المتوسط

تطالعك في مفتتح هذا الكتاب صورة وجه جعده الدهر وغضنه مر السنين ، أرخى لحية بيضاء كثة ، وعلت رأسه بضع شعرات بيض غير منتظمة . وتشرق في ديباجة وجهه جبهة عريضة انحصر عنها الغباب وأمسث نهبا لتفاعيل الأيام .

تلك صورة الفيلسوف الارلندي المتفرد جورج برنارد شو الذي ولد والعبقرية معه في مهد واحد ، ونشأ يصارع الدهر ويجاني التقاليد ويسخر من العرف ويتحدى كل شيء حتى السماء !

فلم يكن من العجيب إذن ، وهذه خلاله وتلك معامله ، أن يكلف الأدباء المعاصرون في كل موقع على تتبع سيرة هذا الرجل المارد النحيل الذي تسجل صحف العالم بأمره كل كلمة من كلماته ، وتقنن القارات الخمس بكل فكاهة يفوه بها .

وكان من الذين استهوتهم شخصية « شو » في مصر السيدة فلة فهمي بدوي فأصدرت منه كتاباً جليلاً نقيماً عنوانه « جورج برنارد شو . . . فلسفته وشخصيته » .

نشأ برنارد شو — كما تقول السيدة فلة — في بيت أدمن ربّه الحمر ، فسخط على بنت الحان وكره شاربها ولعن كل من دنا من زقاقها ونقم على كل من طاقها . وتعلم وهو بعد في ربتى صره التكلان على القادّ والتمويل على النفس ، فلم يدع لقواعد الوراة مجالاً كبيراً للتأثير فيه .

آمن في أوانٍ بمبادئ الرأفة بالحيوان ، فكفّ عن تناول لحما وأمسك من تغذية جسمه بدسمها حتى صار معروفًا لا يعرف البدانة ولا الاستكراه . شغف بالموسيقى فرّس نفسه في هذا الفن حتى غدا من زمائه ، بل من نقّاده الممتازين الفحول ، ولكنه سرعان ما سئمه ، فهجره منتحلاً لنفسه مهنة الأدب وجاعلاً من فروعها صناعةً تدين له بالطاعة وبتدين لها بمجده وصيته الطائر واسمه اللامع .

إذا دُعِيَ برنارد شو الى بيت ، لم يدع صغيرة إلاّ دسّ إصبعه فيها — كما يقولون في الأمانال — فهو لا بدّ أن يشارك نفسه في كل شأن من شؤون الدار ، حتى صحاف المائدة

لابد أن يغسلها ، وتهيئة المقاعد حول نضد الطعام لامعدى عن أن يكون له رأي فيها .  
جريء جرأة لا يزاحمه فيها سوى قلّة ، يجاهر بمعتقداته ومعتقداته ولا يبالى بالعواقب .  
ولعل من أبرز معالم هذه الجرأة انه خرج على البريطانيين في عام ١٩٣٦ - والبلاد تفتظها  
هبة واحدة واقفة في وجه ملكها ادورد الثامن المزمع الاقتران بأمركية مطلقة - بقعة  
عنوانها « زواج ملك » زاد فيها عن حرية الملك في تحيّر شريكه العمر ، وسخر من مناوئي  
قلب صاحب العرش وازدري معارضتهم .

إن تاريخ حياة برنارد شو ، تاريخ حفل بالأحداث والعارف . انه سجل لرجل عبقرى  
يخلق في أجواء عليا آيباً أن يباريه في العبقرية أحد ، حتى لقد نعت شكسبير بأنه أبغض  
الناس إليه . وقال إن صبره لينفذ أحياناً ويضيق ذرعاً كلما عرض له امم شاعر السكسون ،  
فيود تهديئة أعصابه أن يحفر الأرض ويخرج رفات شكسبير ويقذف بالحجارة .! حقاً إن  
ذوي الشخصيات القوية يتصادمون وإن كيد الكبار كثيراً ما يجاوز في مغالاته كيد الصغار  
والحق إن السيدة الجليلة فلة فهمي بدوي بلغت مرتبة مرموقة من الإجادة في جلالة  
صفحة حياة شو وفي إبراز مميزات شخصيته ومعالم أدبه ومقومات فاسفته ومنهج تفكيره  
بيد أني أختلف معها في تقدير بعض رواياته ولا سيما مسرحية فيسر وكليوبترا ، فلت  
أرى فيها جمالاً ولا روعة وهما الصفتان اللتان ألصقتهما السيدة فلة بها .

ولولا هفوات في النحو وكبوات في اللغة لخلص هذا الكتاب الممتع الاصيل من كثير  
من أوجه النقد ، فلعل الطباعة تتحمل تبعه هذه الهنات .  
وربع فلسطين

القاموس المصري

الاستاذ الياس أنطون الياس

بعض الناس يعمل ليومه وبعضهم يعمل لفده وبعضهم يعمل لجيله وبعضهم يعمل  
لأجيال لما تأت بعد

والاستاذ الكبير الياس أنطون الياس يعد من الفريق الأخير لأنه وقف سنوات طوبه  
من عمره على عمل واحد جليل هو وضع قواميس باللغتين الانجليزية والعربية يستعين بها  
أبناء كل جيل تال فضلاً عن أبناء الجيل الحالي

ظهر أول قاموس له في عام ١٩١٣ بمجمع بين دفتيه اثنين وثلاثين ألف كلمة انجليزية

ومرادفاتها العربية وبعد ثمانية أعوام أأاد طباعته فزاد عدد كلماته الى ثلاثة وثلاثين ألفاً . وفي عام ١٩٣١ طبعه من جديد فارتفع عدد الكلمات الى ٥٦ ألفاً وطبع طبعة رابعة في عام ١٩٤٣ فبلغت كلماته ٦٤ ألفاً وأردفها بطبعة خامسة في عام ١٩٤٦ أربت كلماتها عن ٦٤ر٥٠٠ كلمة وظهرت في العام الحالي طبعة جديدة سادسة في ٦٥ ألف كلمة و ٨٠٦ صفحات من الحجم الكبير مردانة بالصور والرسوم

وهذا الجهد لا ينهض به أفراد لأنه فوق طاقة الفرد ولكن الأستاذ الياس أنطون الياس بعزمته التي لا تقبل وإخلاصه للعلم وتفانيه في البحث عوّل على أن ينهض بهذا المشروع مهما بلغت تكاليفه وتضحياته وهي تكاليف وتضحيات يدفع ثمنها من نصارة العمر وضوء البصر وتوتر الأعصاب واجهاد البدن وأرهاق النفس

و « القاموس المصري » الذي جاء نتيجة هذا العمل المارد الجبار يعد خير قاموس يصل اللغتين العربية بالانجليزية ويربط بينهما . وآية ذلك أن الأستاذ الياس لم يدخر وسعاً في سبيل ادخال فرائد من التصحي وشواردها تعبر عن دقائق من المعاني النادرة استخرجها من كنوز اللغة مستأنساً ببحوث أئمة الادباء التي ظهرت في أمهات الكتب والمجلات والجرائد ولا سيما مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية ومجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية وأدمج كل ما أقره المجمع من كلمات في قاموسه الجديد

وأصدر الأستاذ الياس أنطون الياس كذلك قاموساً عصرياً آخر « عربي انجليزي » عدا « الانجليزي العربي » الذي أسلفنا الحديث عنه فزاد في طبعته الرابعة الجديدة المريدة عدد الكلمات العربية ومرادفاتها الانجليزية حتى بلغ عدد كلماته ٦١ ألف كلمة وعدد صفحاته ٨٣٦ صفحة مردانة بالصور والرسوم

ولا ريب في أن كل من يقدر لصاحب الفضل فضله يقر في فصاحة وإجلاء أن الأستاذ الياس أنطون الياس بقواميسه المصرية مدّ فراغاً ما كان في وسع أفراد أن يشغلوه وإنه أصدى للغة الضاد ولغة الانجليزية يدّاً منتظلاً مذكورة له على الدوام . ولا غرو بعد ذلك اذا رأينا « القاموس المصري » بشقيه متداولاً في مكتبات العلماء والباحثين ودور العلم العامة والخاصة ودور الصحف في مصر وفي غير مصر . فالأستاذ الياس كما قلنا في صدر هذه الكلمة لم يعمل لجيل واحد وإنما عمل مملأً أدبياً تتداوله أجيال وأجيال

وتباع النسخة من كل من القاموسين المصري الانجليزي العربي والعربي الانجليزي بمئتين ونصف جنيه وهو ثمن قليل اذا قوبل بما أنفق في إعدادده من وقت ومال وجهد وعناء وتضحية

# فهرس الجزء الاول

من المجلد الثالث عشر بعد المئة

- ١ التكافل الاجتماعي — نظرية ما في النظام الاجتماعي : اسماعيل مظهر
- ٨ صحابة ( قصيدة ) : عدنان مردم بك
- ٩ نظرات في النفس والحياة — نظرات مارصيل بروست : ع . ش .
- ١٨ المعاشير العربية : وديع فلسطين
- ٢٥ طنين الآذان — أسبابه وعلاجه : الدكتور عبده رزق
- ٢٩ وجوه الشبه بين المكسيك ومصر : محمد هيكيل بيهم بك
- ٣٣ مياسة الارشاد الاجتماعي : على أي أساس ينبغي أن تقوم : جمال الدين حمدي
- ٤١ قصة فنان : أحبك حب الحياة ( قصيدة ) : يوسف جبرا
- ٤٣ بين العالمية والقومية : الياس يعقوب
- ٥٤ السيكلولوجية المصرية : مصطفى عبد الاطيف السحرتي
- ٥٥ بين الشرق والغرب ( قصيدة ) : ضياء الدخيلي
- ٥٦ اختراع علي عصري يدل على نوع الجنين : عوض جندي
- ٦١ مخترعات الطبيعة : نقولا الحداد
- ٧٢ الرسالة والمناظرة \* داعي الاجتماع : رشيد السعد . موجات الرادار لا أشقته أو موجات  
الرائد اللاسلكي : عوض جندي
- ٧٧ باب الاخبار العلمية \* منهج جديد في كتابة التاريخ . لوليم جيمس وبورانت : وديع فلسطين .  
في علاج الملاريا . الصم يسدون
- ٨٢ مكتبة للتنظيف \* الشروق : اسماعيل مظهر . جورج برنارد شو : وديع فلسطين : الناموس  
المصري

## ٦ — لحق المقتطف

٢٢١ - ٢٦٠ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث : بقلم مصطفى عبد الاطيف السحرتي

# المقطف

الجزء الثالث من المجلد الثالث عشر بعد المئة

٢٥ رمضان سنة ١٣٦٧

١ اغسطس سنة ١٩٤٨

## من فلسفة طاغور

الناسك : أنا حرّ . أنا الواحد العظيم المنفرد بذاتي .

« عند ما كنت لله عبداً ، أيها الطبيعة ، أثرت بعض قلبي إزاء بعض ، وبعثتها في حرب دموية انتحاراً في صبيل الدنيا . وسلطت عليّ الشهوات التي ليس لها من غاية إلا أن يأكل بعضها بعضاً ، وأن تلقف كل ما يسهه فيها ، فأمضتني المآ وقرّفاً .

« أما وقد تحرّرت من المخاوف والشهوات ، وبعد أن انكشف عن بعري الضباب ، وبعد أن أهدمت قوى عقلي بريئة وضياءه ، فلأخرجني إلى عالم الكذب والبهتان . رفة أخرى ، ولاجلسن على ذات قلبي ، غير ملموس ، ولا يجوزح من مكاني

« فإزاني : ألا يوجد في هذه الدنيا الفسيحة من رحى ؟

« الناسك : رحى ؟ ألا تعرفين أن هذه الدنيا هوة لا قرار لها ؟ فجموع هذه المخلوقات إنما تخرج من قنّب العدم باحثة عن رحى يحميها ، ومن ثمّ تدخل ثانية في فوهة الخواء اللامتناهي ، وهناك تفقد آثارها . ها هي ذي أشباح الكذب والرياء تتخايل من حولك رواحاً وجيئة في سوق الأوهام والخيالات ولا تعطينا من غذاء ، اللهم إلاّ عدماً باعلاً .

« إنما تحرّك فينا نهمه الجوع ثم لا تكفينا . ابتعدي من ثمّ يا بنيّتي ! ابتعدي

الناسك : لقد بدأ الليل يحلّك ظلامه ، وأشدّند وحدته . إنه يتربع دلي كهل . لوجود كأنه امرأة مجورة . أما هذه النجوم ، فدمومها استعالت ناراً .

« أم يا بنيستي . . لقد ملأت أحزان قلبك الصغير كل ليالي حياتي بالآلم والضنى ، والى الأبد . إن يدك الجميلة قد تركت لمستها الرقيقة في نسيم هذا الليل . إني أشعر بها على جيبني يا حبة القلب . إن تنهداتك قد تبعثني لمّا أن قررت بعيداً ، وتعلقت بقاياي . ولسوف أحملها حتى مماتي .

\*\*\*

الملكة جونافاتي : تكلم الآلهة

« هل أغضبتك يأمي العزيزة ؟ أنهرتني حين المستجديات أولاداً يعنهم ليسعشن بها يبذل لمن من ثمن ، وللباغيات يقتلنهم ليسمن من العار . وهأنذا ملكة عظيمة ، وعند قديمي تسجد الدنيا كلها . هأنذا أمضي باحثة بلا أمل في أن أحظى بطفل أضمه إلى صدري لعلي أنعم بماطفة تجعل حياتي أعلى قيمة وأكبر خطراً . أي جرم اقترفت ، وأية كبيرة ارتكبت يأماء لاستحق كل هذا ، ومن أجلها تطرديني من ملكوت الأمهات ؟

\*\*\*

بين راغوباتي الكاهن وجاسنج خادم المعبد :

« جاسنج : ما الذي سمعت ؟ أيتها الآلهة الرحيمة أهذا أمرك ؟ أرغبتك في أن يقتل الأخ أخاه ؟ سيدي اكيف تقول إن هذه هي إرادة الأم ؟

« راغوباتي : لم تكن لدي من وسيلة أخرى لأخدم إلهاتي

« جاسنج : وسيلة ! ولماذا الوسائل ؟ أيتها الأم : أليس لديك سيفك القاطع لتنفيذ أنت بيدك القويّة ؟ أهو لزام أن تذهب ارادتك حافرة تحت الثرى اتفاقاً ، كما يفعل اللص القاتل ، لتسلب مراً في السلام ؟ بالخطيئة !  
« راغوباتي : ماذا نعرف من الخطيئة ؟

« جاسنج : ما عرفته منك !

« راغوباتي : إذن قف معي اقف وتلق درسك ثانية مني . ليس بالخطيئة من معنى في الواقع . إنك تقتل لتقتل . ليس في ذلك من خطيئة أو أي شيء آخر . ألا تدري أن ترى هذه الأرض إنما يتألف من عدد غير محدود من حوادث القتل والتفطيع ؟ إن الزمن

القديم ما ينفك يخطط حوادث الحياة المنحدرة في جوف العدم مع مخلوقاتنا بعداد من دم !  
يقع القتل أينما تتصوّر . في القفر المجدب وفي حظائر الانسان ، وفي عشوش الطير ، وفي  
حفر الحشرات ، وفي البحر وفي السماء . وهناك قتل من أجل الحياة ، وقتل من أجل التسلية  
وقتل للشيء أصلاً . ان الدنيا تقتل من غير أن تهدأ نوبتها . وكذلك الالهة «كالي»  
روح الزمان الفائض بالفتنة ، واقفة ولسانها العاطش مندلع من فمها ، وكأسها بيدها ، حيث  
إليه يتسرّب دم الحياة القاني ، كما يتسرّب الرحيق الى الدنان من عناقيد العنب الشمية .

« جاسنيج : قف يا ستاذي . إذن فالحب تضليل والرحمة سخرية ! وكل ما في هذه الحياة  
من حق باقٍ منذ أبعد الأزمان ، منحصر في نعمة القتل والتعطش الى الهدم والتعطش ؟ وإذا  
صحّ هذا أليس من المعقول ان تكون الحياة قد حطمت بعضها بعضاً وفنت منذ أزمان قصية ؟  
« يا ستاذي : إنك تعرف الحق كما تعرف الباطل . إن شرائع القلب ليست بذاتها شرائع  
الكتب المقدسة . العيون لا تستطيع ان ترى بنورها هي . بل يجب أن يأتيها النور من  
الخارج . أعف عني يا ستاذي . أعف عن جهلي .

« من ذا الذي يقول إن طرق الدنيا ملتوية متعسّرة ؟ على أية حال سوف نعلم بنا الى  
النهاية . النهاية التي ينتهي معها سلطة الشرائع والاحكام ، وتنسى معها خطيئات الحياة  
وألامها ، حيث تلك الراحة الأبدية .

« ماذا تجدي عنا الكتب المقدسة ، والمعدون وتعاليمهم ؟

« لا يا ستاذي : لا تحدّثني عن الحب . فلا أفكر دائماً في الواجب . إنما الحب كالخفيش  
الأخضر وكالأشجار وكوسيقى الحياة ، كلها أشياء ينعم بها سطح الأرض . إنها تأتي وتذني  
كالاحلام ..... ولكن من وراء هذه الاشياء يكون الواجب ، كلبقات الصخور العاتية ،  
أو كحمل ثقيل لا تزحزحه القموى .



« ماليني : لقد حافت ساعتي ، وأصبحت حياتي كقطرة الندى المترفة على زهرة  
اللونس ، تهتز خافتة في طيات الزمان . إني أخض عيني ، فبخبيل إليّ أني أسمع عجبج السماء ،  
وفي قلبي حرق لا أعرف سببها .

« لقد سفر القمر في هذه الآونة من بين السحب وروح السلام يرف على صفحة الماء ، كأنه يحتضن الدنيا برمتها بين ذراعيه ، تحت ضوء القمر العظيم ... من هنا تذهب الطريق وتعد الى حيث تفقد آثارها بين الأشجار الشيقة بظلالها الصامتة . وهنا تقوم البيوت . وهناك يقوم المعبد . وشاطئ النهر يلوح من بعد صامتاً موحفاً . فالظاهر أنني هبطت ، كهاطل ينتفض فجأة من سحب كلها أحلام ، الى عالم الانسانية ، فكنت على جانب الطريق .

\*\*\*

« كيمنكر : انها لاسوأ اللحظات تلك التي يخدع الانسان فيها قلبه . فان الشهوة العمياء تصبح كتاب صلواته ، وتتريع الأوهام على عرش ألمته . أمن وراء هذا القمر ، الذي يحتلني قائماً بين السحب المارية انسياً ، يكون عالم الحقيقة الخالدة ؟ الصبح السافر سوف يغشانا في الغداة . وستبدأ الجماهير الجامعة تجوب أنحاء بحر الوجود بألاف من الشباك ، ولما يتذكرون هذا الليل الهادي بأضوائه القمرية ، الا كما يتذكرون غشاء رقيقاً من الباطل تلمسه سنوات النوم ، أو الأشباح ، أو الأوهام . إن تلك الشبكة السحرية التي تنسج مادة من مفاتن خادعة تبديها امرأة ، لهذا مثلها ، وهل يمكن أن تشغل محل الحقيقة العظمى ؟ هل لعقيدة يخلقها وهمك أن تطفي عطش المهاجرة ، إذ تنظي نيرانها ، وتشتد حرارتها ؟

\*\*\*

« إذن يجب عليك أن تتفعل نفسك من أحلامها وانظر أمامك . فان البيت القديم الذي أربته العصور ، تلتهمه النيران . وأرواح أسلافنا تطير متناوذة فوق الخرائب ، كطيور تصرخ باكية على عشوها المهطمة . أهذا وقت التردد ؟ حيث الليل مشد الحلك ، والأعداء يطرقون الباب ، والرايا نائمون ، والناس سكارى بأوهامهم ، وكل منهم يضع يده على حنجرة أخيه ؟

\*\*\*

وفي أيام الهن تنهل أقدم الروابط ، فالأخ يحطم أخاه ، والصديق يخون الصديق . سأخرج في الظلام ومن ظلام الليل سوف أعود ، لأقرع الباب . فهل سأجد صديقي واقفاً يلحظني ، ويبيده مصباح مضي ؟ سأحمل هذا الأمل بين جوانحي .



# تنمية مدارك الطفل

غاية التربية والتعليم أن تعين على النمو : فالروح تنمو باستخدام مداركها ، والمدارك تنمو باظهارها نفسها تلقياً وتعبيراً ، وهذه مظاهر مرتبط بعضها ببعض لا انفصام لها . إن محل النمو هو أن يعمل كل عضو لنفسه ، أي اذا أريد للطفل أن ينمو في عقله وجسمه فعليه أن يستخدم مداركه إذ أن نسبة استفادة الطفل من جميع مخارج التعبير التي منحه إياها الباري عز وجل تتوقف على مقدار نمو مداركه وسعتها ، فالنمو الذاتي عن طريق التعبير الذاتي هو الاول والآخر في التربية والتعليم وعليه المعول ، فعلى المعلم أن يقدم الرغبة والارشاد ، والمادة والكتاب ، ويقف عند هذا الحد ليترك لشخصية الطفل مخرجاً ، ولكن المعلم في مدارسنا في أكثر البلاد العربية يتدخل الى درجة قصوى ، ويظهر تأثيره في كل شيء بحيث يصبح الطفل آلة مسيرة فهو الذي يشرح الدرس ، وهو الذي يكتبه على اللوح الاسود بلا انقطاع ، والطالب لا يقدم على عمل ما ، وقد يقوم بعمل ميكانيكي تقليدي ، وبذلك تَمَّحى الصلة بين الإدراك والتعبير بسبب تدخل المعلم ، فلا يترك الطالب يسعى لنفسه : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يُرى » إن خبرتي في التربية والتعليم تجعلني أجهر بما يأتي :

إن سبب قهقر مدارسنا ناشئ عن فقدان الطالب حريته في التعبير ، فلو مثل المعلم لم لا تسمح للطالب بأن يعبر بحرية عما يعلم لأجاب : إن ترك الطالب يعبر بحرية ، يعود بنتائج غير مرضية . وهو جواب غير صحيح لأن نظم التربية والتعليم التي يسير عليها المعلم قد عودته أن يهتم بالنتائج المحسوسة الظاهرة — تلك النتائج التي تظهر المدرسة لدى التفتيش أو عند الامتحان ، يظهر رائق ، فهو يحنو صولة التنظيم المنبئة أن تقضي عليه ، اذا ترك له يبدع بتدرج بالتعبير الحر ، لأن أول مظاهر النمو في العاقل تكون مقرونة بالجهل ، وعدم

العناية ، وعدم الترتيب ، والمعلم يخشى هذا ، ولا يسأل إلا عن الأشياء المرتبة الصحيحة ، كي تقيس بها عين الزائر . ومن هنا نخلص الى نتيجة ظاهرة تنخر في قواعد مدارسنا وهي أن التفتيش في المدارس لا يجري على الأفراد بل على المجموع قاطبة ، وإن الامتحان في نهاية كل فصل ينظر فيه الى عمل المجموع : فإدام التفتيش وراء المعلم بحسه ، ومادامت الامتحانات تحدد به ، فهو لا جرم يعمل على ارضاء المفتشين ، ويزين لهم نجاح طلابه بالنتائج الموهمة

كلنا يعلم أن المعلم يسمى لا ليؤسس الطفل على قواعد ثابتة ، بل ليبيّن في عقله بيتاً من المعلومات أوهى من بيت العنكبوت ، في ظاهره زخرف القول ، ابتغاء مرضاة المفتشين ، كأنما الغاية من التربية ارضاء المفتشين ، والنجاح في الامتحان . إن هول الامتحان وشبهه الخيف لا يزال فكر الطالب — فالامتحان يهدده أنى سار ، فإذا ما عبر الطالب نيباً ممساً بمخالب نفسه ، جاءت النتائج على غير ما يشتهي المعلم ، فرسب في صفه الماول أو المولدين ظلماً وقسراً وهو ليس بالمولوم ، فالامتحانات خطرة وخيفة وأغلب ما تكون نتائجها نافعة مضطربة ، والآخرى أن يسمح للطالب أن يعبر عن نفسه بطريق غير الامتحان : فانه إذا لم يسمح له بذلك في بدء حياته الدراسية صعب عليه انتهاج ذلك في باقي حياته . إذا أردنا أن نعين الطفل على النمو ، وجب علينا أن تقدم شيئين بسخاء وكرم وهما : الغذاء والرياضة — فالغذاء ضروري للنمو ، والحاجة الى الرياضة كبيرة وايسر بأقل أهمية من ذاك لنمو الجسم فأطرافنا وأعضاؤنا وحواسنا ومداركنا لا تنمو إلا بالرياضة ، وإنها عندما تصل الى أقصى درجة في النمو ، لا يتيسر بقاؤها على الكمال الذي وصلت إليه إلا بالاستمرار على الرياضة ولما كانت القدرة على النمو غير محدودة في المدارك العقلية والروحية ، كانت الرياضة الدائمة ضرورية لها ، ولا يمكن الاستغناء عنها . ففي عهد الطفولة حيث تكون عوامل النمو والانساع في أقوى درجاتها ينجم عن ترك الرياضة عواقب وخيمة ، لا يمكن تقديرها فإذا حصر طفل صحيح الجسم في مربره حولين من أعوامه الأولى بلا حركة أو درج نفض جسمه ، ولا سيما أطرافه ضرراً كبيراً .

وهناك حقيقة أخرى وهي أنه يجب أن يقوم بفعل النمو الطفل نفسه لا غيره ، ولأن

يجب أن يتناول الطفل الغذاء الذي يقدم إليه بنفسه ، ثم يرضعه بنفسه ، وكذلك نمو أعضائه ومداركه ، فهو وحده الذي يجب أن يمرنها لا غيره : فالنمو هو الشيء الوحيد الذي لا ينوب عنا أحد بالقيام به ، كما لا يأكل أحد بالنيابة عن غيره ، لأن مشاهدة الآخرين بأكلهم لا تغذي أجسامنا ، كما لا يقوي أطرافنا مشاهدة آخرين يمرنون أطرافهم : فالعوامل التي تعمل على نمو الطفل تأتي من الداخل فله — وله وحده — أن يغذيها وأن يستعملها ، وأن يظهرها ، وهذا أمر لا ريب فيه ، إلا أننا كثيراً ما ننفي عنه ، رغم جلالة ، لأن أهدافنا أموراً هاملاً نأخذها وأقربها تناولاً .

إن جميع الحقائق التي ذكرتها آنفاً لا جدال فيها إلا أن الأخذ بها أمر لم يتم بعد ، فيظهر أن نظم التعليم في أكثر الأقطار العربية تتغاضى عن هذه الحقائق ، ولا تقدّر حق قدرها . لقد كان ثم المعلم أن يقدم للطفل كل شيء : فهو الذي يغذيه ، وهو الذي يهضم له طعامه ، وهو الذي يأخذ بيده ليتدرّج به على نقل خطاه ، وعمرينه على المشي ، وبذا يصبح الطفل مبرراً مراقباً ومسيطرأ عليه .

يحدّه المعلم للطالب كل ما يجب أن يقوله أو يشعر به ، ويحصر له ما يجب أن يفكر به ، أو يكتبه ، أو يعمله فيأتي على سطح عقله شيئاً من المعلومات ، ولا يتركه شأنه لحظة واحدة يفكر فيها منفرداً أو يدرس فيها أو يلجأ فيها إلى كتاب يسترشده ، ليكتب ما توحى إليه مداركه ، وهكذا يحول المعلم دون الاستقلال الفكري في الطالب ، فيخرج ضعيفاً في المدارك التي يستولى بها الإنسان على العالم ، ويعيش حياته كلاً على مولاة الأستاذ الذي قضى على شخصيته ، فطرحة في هذا العالم آلة معطلة لا يعرف للحياة معنى ، ولا يفقه معنى السعادة من أين وكيف جاء هذا الفهم المفلوط في غاية التربية والتعليم في مدارسنا ؟

لنسأل أنفسنا ما هي المدارك التي تنميها مدارسنا ؟ إن نظرة واحدة إلى جدول الدروس تبين لنا قسمين من العوامل : فالقسم الأول يسمى الإدراك ، والقسم الثاني يسمى التعبير ، فحينما نعلم الدروس من التاريخ والجغرافيا والعلوم الحديثة تكون الغاية تنمية مدارك الطفل التلقية ، وحينما نعلم دروس الأشياء والرسم والغناء تكون الغاية تدريب قوى الطفل المعبرة إن المدارك التلقية هي التي تمكننا من فهم ما يحيط بنا ، وهي ترسم في أنفسنا ، ثم تصبح

ملكاً لنا ، وهي تنقسم قسمين : الأول يختص بالمدارك العقلية التي بها نرى ونلاحظ ، ونفكر ونتأمل ، وبدرك ونفهم ونجادل ونحاج . والثاني يختص بالمدارك العاطفية ، وهذه فئتان أيضاً . فالقسم الأول : الحنو، والثاني الإعجاب .

وتقسم المدارك المعبرة إلى أربعة أقسام بحسب مخارجها التي تبرزها ، وللعلم الحرية النامة في استخدام هذه المخارج والاستفادة منها . فالأول اللغة ، والثاني الحركة الشخصية والثالث العمل اليدوي ، والرابع الفن ، وينطوي تحت المخرج الأول تعلم المواضيع مثل الانشاء ، الخطي والشفوي ، والقراءة الجهرية والصامتة والالقاء . ويعمل المخرج الثاني تعليم المواضيع كالتمارين الرياضية والألعاب والتمثيل ، ويحتوي المخرج الثالث على تعليم المواضيع كالنجارة والبستنة في مدارس البنين ، والخياطة والطهي في مدارس البنات ويدخل ضمن المخرج الرابع تعليم المواضيع كالرسم والتصوير والموسيقى . بقي علينا أن نسأل أنفسنا ما هي الصلة بين المدارك المتلقية والمدارك المعبرة ، وهل من الممكن أن تنمي كلاً منهما على حدة ، وهل في الامكان ان نخصص هذه الساعة لتدريب المدارك المعبرة وتلك لرياضة المدارك المتلقية ؟ كلاً — لا يمكن ذلك لأن المدارك المتلقية والمعبرة لا يمكن اعتبارهما وحدتين مستقلتين — فالواحدة متممة للأخرى ، وكل واحدة منهما بمثابة إرّوح لغيرها ، فاذا انفصلت الواحدة عن مكملتها شلت وتعلّط عملها .

اذا كان الادراك حياً احتاج الى التعبير ، وإذا كان التعبير حياً احتاج الى الادراك وعلى ذلك فانه اذا كان التعبير حياً ناهضاً عن ادراك نفساني كان شعور الطفل بالأشياء حياً حقيقياً . ان عوامل الادراك تنمو في الطفل وتظهر بواسطة التعبير لا بطريقة أخرى ، أما عوامل التعبير فلا تنمو إلاً بطريق الادراك : فالعقل الذي يحاول ان يرسم ما يرى يدرب فيه قوة الملاحظة ، كما إنه ينمي قوة التعبير ، وكلما فهم الأشياء التي تأتي تحت إدراكه أو حسه ازداد عمله ، ومتى ازداد فهماً للأشياء نما عقله وأصبح ذا رأي سديد ، وفكر ثاقب . فالمرء الذي يحاول أن يدبر من آرائه في مسألة عويصة اجتماعية كذات أو سياحية ، أو طبيعية أو اقتصادية ، فانه يسعى بهذه المحاولة أن يعبر عن نفسه بكل جلاء ، فيجعل من الاضطراب السائد في نفسه انتظاماً وتنسيقاً . وكلما أثار الانسان عقله المظلم ، وتعمق في الموضوع اتسعت مداركه ، واهتدى الى نواح جديدة فيه لم يك قد وصل إليها من قبل : فالطفل الذي يحاول أن يرسم ما يرى إنما يكون اتصالاً دائماً بين الادراك والتعبير ، لأن كلاً منهما يساعد على اظهار الآخر حتى في المواضيع الجافة مثل الرياضيات .

يافا — نلسطن

سرييف : نلسايجي

## نظرات في النفس والحياة

- ١٠ -

نظرات ميشيل موتتاني

ميشيل موتتاني هو الأديب الفرنسي صاحب الرسائل الملهمة وكان ثمرة من ثمرات عصر إحياء العلوم في أوروبا . كان من أسرة نبيلة وولّى القضاء وصار حاكماً لإحدى المدن فترة من الزمن ، ولكنه قضى أكثر حياته في قصر أجداده بين الكتب ، وكانت القراءة وكان التفكير والتأمل في صفات النفوس ، أحب شيء إليه في الحياة مع أنه أخذ نصيباً من كل مباحها ، فانه كان يحب الحياة شأنه في ذلك شأن أدباء عصر إحياء الآداب والعلوم . ولكنه كان يفضل القصد في كل الأمور ويرى أن الخطوة الوسطى هي مفتاح السعادة فلم يكن منها لك على اللذات كما تنهك عليها كثير من الأدباء بعدهم من الغرّب والتعبد ورفض الدنيا والخشية من متعها . وكان يقول بتحكيم العقل ، ولكنه كان يحذر الاختيار بأحكامه . وكان يعرف قصوره وإنه داعية إلى الكبر والغرور ورسائله تدل على اطلاع كبير على أدب القدماء وعلمهم ولا غرابة في ذلك فإن أباه كان قد قضى عليه أن يتعلم اللاتينية في سن الطفولة . وله آراء كثيرة كأراء المعاصرين لنا ، مثل رأيه في اجتماع الشخصيات العديدة في النفس الواحدة ورأيه في أن الغريزة في الحيوانات هي في الحقيقة نوع من العقل ومظهر من مظاهره ورأيه في أن التفكير المؤسس على التجربة أصدق من التفكير المؤسس على النظريات العامة التي نشتق أولاً ثم يحاول صاحبها اثباتها بعد ذلك بما يراه . وهو على اعتزازه بحكمة القدماء يرى أن المشاهدة والملاحظة والتجارب أهمّ منها . ولكن مما لا شك فيه أن دراسته لكتب القدماء كانت رياضة صالحة لعقله مكنته من الانتفاع بالتجارب والملاحظة . وكان يرى أن الاقتناع بالآراء والعقائد لا يكون بالقهر والقسر ، ولذلك كان يبغي على الطوائف الدينية في عصره حرق بعضهم بعضاً وقتال بعضهم بعضاً . ولذلك كان يقول لهم إن آكلي

العلوم البشرية أرف منهم وأكثر إنسانية . وقد كان معتدلاً في نقد الآراء المقررة . وكان على اعتداله وتحفظه صريحاً في بعض رسائله . وكانت لمؤتاني آراء جديدة في التربية مؤسمة على تجاربه ومشاهدته وربما كانت كما يقال ( رد فعل ) بسبب ما ألزمه أبوه في سفره . وكانت دراسته النفس البشرية في رسائله وسيلة من وسائل التربية ، كما كانت ذريعة إلى السعادة ولذات الفكر . وكان ذا رأفة كبيرة بالحيوانات والطيور . ولا غرابة في ذلك بعد أن رأيناه ينسب إليها العقل . وكان يرى أنها أكثر شبيهاً بالإنسان في إحساسه ونقلها يظن الإنسان . وقد ترجمت رسائله عقب نشرها إلى لغات كثيرة . وكان الأدباء مولعين بقراءتها وتدير أوصاف النفس فيها فكانت لـالكسبير الشاعر الإنجليزي نسخة منها — وقد ذكر مؤتاني في بعضها أنه يفضل من الكتب تلك التي لا يرتبط في قراءتها بأتمامها دفعة واحدة بل ينتقل فيها ويفادر القراءة متى شاء ويعاودها متى أراد . وهذه كانت خطته في كتابته أكثرها فانه في الرسالة الواحدة ينتقل من موضوع إلى موضوع يتصل بالاول ويوحى به ذلك الموضوع الاول . ومن نظراته ما يلي : —

(١) إذا كان المرء أقدر على الفكر وأدق فيه نظراً وأبصر بمسالكه وحيله وعرف الناس منه ذلك فانهم يكونون أسرع إلى كرهه وأعجل إلى بغضه خوفاً من قدرة عقله أن تصيبهم بسوء وأن تعاجلهم بشر ، ولا سيما إذا ظنوا فيه نقصاً في الامانة والنزاهة . أما إذا كان غير قادر على الفكر فانهم قلما يختصونه بمثل هذا البغض حتى ولو كان سيئ الخلق . فالتناس يخشون أن يستخدم المرء فكره فيما يسوئهم ويضرهم سواء أكان أميناً أم كان غير أمين . وهذا سبب من أسباب كره جمهور الناس لدوي الفكر — وهم في هذه الحالة ينسون أن النسي الماكر قد يبلغ بمكره من أذاام ما لا يبلغه المفكر .

(٢) بعض الناس يتعلم المنطق كي يخاف به أصول المنطق والحق، ويقيقنع الناس بالباطل . وهو كالذي يتعلم القوافين كي لا يتقيد بها ويقي يتجو من قصاص خرق سياجها لانه يتعلمها يعرف منافذها ومخارجها وأبواب تقصها وحيل التهرب منها . وكذلك رى أناساً يتعلمون المنطق لمثل هذه الناية في تلبس الحق على الناس . على أن أكثر من يتعلم المنطق كي يطبقوه على الحياة بحسن نية ، يعجزون من تطبيقه تطبيقاً صحيحاً بسبب غلبة

الطباع والذمات النفسية والشهوات والرغائب والمطامع . فالمنطق الصحيح كثيراً ما يكون بهجوراً منبوذاً في الحياة سهواً أو جهلاً أو عمداً أو مخادعة من الطبع للعقل . ولولا هذه المرائع لكان قنعه للناس في الحياة أعظم وقائده أتم . ولكن المرء كثيراً ما يعتنق الرأي أولاً ثم يتخذ من المنطق ما يسوغه .

(٣) قد تكون للانسان ميول نفسية مستترة وصفات لا يفتن لها . ولكن أجسمه قد يدل عليها . فقد كان شيشرون الخطيب الروماني به ميل شديد الى السخر يظهر منه وان أخفاه . بدلالة تجمُّد أفعه وققلصه . وكان الاسكندر المقدوني والكبياديس الانيني معجبين بحيلهما وكانت دلالة هذا الاعجاب في جسم الاول انه يعمل برأسه زهواً ودلالته في جسم الثاني للغة بها أثوثة في كلامه . وقس على ذلك باقي الصفات المستترة . وقد يحاول المرء أن يخفي الحسد أو الحب أو البغض فينم عليه جسمه ، ثم يتعجب اذا نسبت إليه هذه الصفات .

(٤) قد يظن بعض الناس أن الكذب صفة مقصورة على الاراذل . والافراد والاذال . ولكن الحقيقة هي انها صفة عامة شاملة . فانما نجد كثيراً من الاخيار الافاضل الذين تكاد لا نجد فيهم عيباً آخر بارزاً لا يتورعون من الكذب . إما على سبيل العمد أو المغالطة للنفس .

(٥) بعض الناس قد يتعوّد الكذب حتى لا يستطيع أن يصدق وان كان الصدق منجيه من ضرر أو تلف . وهذا من غرائب تحكُّم العادة اذ توهم المرء أن الكذب هو الذي ينجيه كما تعوّد أن ينجو بالكذب في حالات فيحسب أنها قاعدة مطردة حتى ولو بدا أن الصدق منجيه فانه يشك فيه ويحذره . وتحكُّم العادة يذكّرني قصة رجل ممن يعرضون أعمال المهاراة في إصابة الهدف كان يوقف امرأته أمام جدار من الخشب ويرسم حول جسمها خطاً ثم يقذف بالمُدَى من مكان بعيد بعض البعد فتصيب المُدَى هذا الخط ولا تمس المرأة ولا تخرجها . واتفق أنه قد تم على امرأته وأراد أن يقتلها قتلاً يظنه الناس خطأ في إصابة الهدف من غير عمد ، فصار يرمي بالمدية إثر المدية فلا يستطيع أن يصيبها ولكنه يصيب الهدف الذي تعوّد أن يصيبه . وذلك من حكم العادة . ولعل طائفة في صميم نفسه كانت أيضاً تنمته من قتلها وان كان لم يفتن الى طائفة الحب أو الرحمة المستترة ونظن الى طائفة حب

الانتقام الظاهرة . ولعلّ اعتراز نفسه بفنّ إصابة الهدف ، منعه من أن يتكاثف الخطأ بإصابة زوجه . مهما حاول ذلك

( ٦ ) في بعض الأحيان يدفع الخوف الإنسان الى الانتحار خوفاً من الأمر التي يتوقع ضرره ، وإن كان ذلك الضرر أهون من الموت . وقد ينتحر المرء خوفاً من الموت في أي شكل من أشكاله ، فهو يموت من خوف الموت . وهذا يدل على أن الخوف أهدى على النفس من الموت . ولا أخاف من شيء قدر خوفاً من الخوف ، فإن للخوف عدوى وأخذة وبغثة وإلحاحاً . وقد يخاف المرء حتى مما هو عونٌ له على الخوف ، ومنجاة له منه . وإذا لم يدفع به الخوف الى التهلكة فقد يدفع به الى الجنون أو الى الأقدام على ما يمحى ويخاف . وقد يسري الخوف في أهل المدينة الواحدة فيقاتل بعضهم بعضاً من سوء الظن وتوقع الأعداء . وكل منهم يظن أنه يقاتل العدو المخوف الذي بقتلهم . وخوف المرء من الألم قد يكون أهدى من الألم وخوفه من حوادث تصرف الأقدار وانشغال باله بذلك الخوف قد يكون أشد من تلك الحوادث . وقد تسري عدوى الخوف في الجيشين المتقاتلين فيفر كل منهما من الآخر كما حدث في بعض وقائع الحروب المعروفة في التاريخ . وهذا يذكرني بما ذكره هازليت في إحدى رسائله من أن فناء تُركت في حجرة مغلقة بها جنة فليج بها الذعر والرهبة ، حتى أقدمت على ما تخشاه ، فعانت الجنة وماتت من الملح والذمر . ويذكرني بقصة أظن أنها في كتاب من كتب أناتول فرانس عن رجل من أهل مدينة ذهب إلى الريف ونزل في نزل صغير ولازم ما ذاع بين الريفين أنه فوضوي جاء من المدينة كي ينسفهم بالقنابل ، فصدقوا الاذاعة الشائعة وتسلوا إليه في خفوت وسكون في جنح الليل كي يقبضوا عليه مباغتة قبل أن ينسفهم بالقنابل وكانوا يرتعدون وهم يتقدمون خلسة نحو حجرته ويفرون طائدين كلما ظنوا أنهم معهم صوتاً . وكان الرجل قد أحس بهم فظن أنهم لصوص جاءوا ليقتلوه ، فصرى الرعب في نفسه وفي أوصال جسمه وجعل يرتعد من الخوف وعند ما فتحووا الحجر وجدوا أنه مات من الرعب . ويذكرني قصة ( الجبان ) لجي دي موباسان وهي قصة رجل صفع آخر فدهاه المصنوع إلى المباراة فاشترط الصافع أن لا تقف المباراة إلا بعد جرح أو موت أحدهما . ولكنه عندما خلا بنفسه في بيته ، وجد جسمه يرتعد ويرتجس وخاف أن ينحى عليه أمام أصدقائه وخضوعه



اغفاءة الخوف فيفتضح ويُعرف بالجين ويلحقه العار فانتحر خوفاً من ظهور خوفه ودلالته أمام الناس . وأتذكر أيضاً ما يسمى بالفزع الأكبر أيام الثورة الفرنسية إذ أن الفزع قد يعم في عهد الثورات ، وقد يكون مُعينا عليها فكثيراً ما يقسو المرء من الخوف . ومن عجائب الخوف خوف عبد الله بن الزبير وهو من الشجعان . ولكنه لما رأى ان الغلبة ستكون لجند بني أمية استشار أمة أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات الطيبين في أن يستسلم . فقالت له عش كريماً أو مت كريماً وحشته على القتال . فقال إنه يخشى أن يُمنَّل به أعداؤه بعد موته . فقالت لا يضير الشاة سلبها بعد موتها . والواقع ان الانسان كثيراً ما ينغم نفسه بأمور وحوادث مختلفة قد تحدث بعد موته . ومن الشجاعة حقاً قول الأستاذ هالدين الانجليزي في كتابه ( تفاوت الناس ) انه اتفق وزوجه ان تُهدى جُثمانها بعد موتها المستشفى للتشريح كي يستفيد البحث العلمي وتستفيد الانسانية . وهذا يذكرني قصة اهداء الشنفرى الشاعر جنته بعد موته للوحش كي تنعم بأكلها وذلك في قوله :

إذا قطعوا رأسي وفي الرأس أكثرى وغودر عند الملتقى ثم سائري  
فلا تدفنوني إن دفني مُحَرَّمٌ عليكم ولكن أبشيري أم حاصر

وبعني بأم حاصر الضبع - ومن فكاهات الخوف قصة الجبان الذي يدعى الفجاعة مثل قصة تروترن الترسكوني لمؤلفها ألفونس دوديه . وكان تروترن يدعي مغالبة الايوث والوحوش مع أنه كان يخشى حتى الاسفار وركوب البحر . ولكن من الاغاليط المألوفة أن يحسب الناس كل من يدعي الشجاعة ويتوعد كي يخيف ، جباناً . حقيقة إن بعض الناس يخفي جنبه وخوفه بادماء الشجاعة ، ولكن المفارقة بها قد تكون مفارقة بحق كما أثبت شارلز لامب في رسائل ( الاغاليط المشهورة ) ولامبروز بيرس قصص في الخوف من الجنث والافاعي المخطئة خوفاً أدى الى الهلاك .

(٧) قد يكون قبول المرء للأكاذيب من السذاجة الفطرية التي تفترض الصدق في نفس عدتها . وقد يكون ذلك القبول من الجهل وهو عيب العامة . أما عيب المتعلمين . فقد أبلغ في تكذيب ما لم يقد دليل حسي على صدقه ولا أكثفي بأن أقول أنه لم يقد دليل حسي على صدقه ، بل أنقطع ببطلانه واستحالة كونه ، كأن الكون يقاس بملائكة الانساو وهو

غير محدود بمحدود فكره ونفسه . وقد فطنتني الخبرة الى أن المادة لا المعرفة هي التي تزيد غرابة الأمور . ولولا اعتياد الانسان الحقائق المألوفة لقطع ببطلان ما لم يتعود منها . وهذا يذكرني الدكتور صمويل جونسون وهو أديب أريب ولكنه كان يكذب البعارة بعنف إذا حدثوه عن بعض الظواهر الطبيعية التي تحدث في البحار مثل ارتفاع مياه البحر في شكل نافورة في بعض مناطق الضغط الجوي المنخفض . وكان يقطع ببطلان قولهم وبعده من الاساطير والخرافات التي أولع بها أهل الرحلات من قديم الزمن . والسكن من غرائب خصال النفوس أنه كان يسرع الى تصديق أمور أخرى مما يصعب اثباته . وقد يكون للاخضاع فيه سبيل . وقال مونتاني . ( ينبغي للانسان أن يعرف أن الحياة والعالم كتاب لا آخر له ) أي لا يستطيع تقصيهما بالمعرفة .

(٨) قد تبدل وتغير صفات النفوس الغالبة حسب أحوال الحياة ودوافعها . فان فيرون الامبراطور الروماني الذي اشتهر بالطغيان وصفك الدماء كان في أيام شبابه قد طاب منه امضاء حكم الاعداء على أحد الاشقياء . فقال آمناً : وددت لو اني لم أعلم الكتابة - وهذا يذكرني رويسبير زعيم الثورة الفرنسية الكبرى فانه كان في صباه قاضياً في محكمة أراس ولكنه استقال من منصبه كي لا يعطي حكم الاعداء في رجل . وبعد ذلك كان خطيب حكم الارهاب وأرغم النواب على اقرار قانون يجيز للمحكمة النورية أن تحكم بالاعداء من غير مماع أقوال المتهم أو شهوده أو دفاع عنه ومن غير مناقشته ، وهو الذي كان في صباه يرفض الحكم بالاعداء ، حتى اعدام الماعترف بجرمه أو الذي خضت الادلة وثبت جرمه بعد البحث ومع ضمانه العدالة في المحاكمة .

(٩) اختلاف المبول النفسية والزمات في النفس الواحدة ، حل بعض المفكرين على أن يروا في كل انسان أكثر من نفس واحدة . ولكن المفكرين الحديثين يقولون شخصيات لا نفوساً . وقد لوحظ اتصال الشخصيات في النفس الواحدة في أوقات مختلفة بسبب حوادث أو أمراض . وعلى هذه الحقيقة أسس ستيفنسون القصصى البريطانى قصته المسماة ( الدكتور جيكيل والمستر هايد ) والأول من أهل الخير والثاني من أهل الشر والاجرام .

(١٠) من أصعب الصعاب أن نقطع بأننا قد عرفنا الحق الذي لا شك فيه مادامت

حراسنا وملكاننا ، وما دام غيرنا من الناس كلٌّ يمدنا حمداً أو سهواً أو جهلاً أو عجزاً بما هو أساس حكمنا مما قد يجافي الصواب. ومن أجل ذلك ينبغي المرء أن لا يتشبث برأي كل التثبت . وعلى ذكر هذا القول أذكر كلمة لاوليفر كرومويل معناها أن من رحمة الايمان وصحته ، أن يؤمن المرء بأنه قد يخطئ ، ولكن حتى هذا الايمان بالخطأ لا يعصم المرء من الخطأ والتثبت به . إذ أن صاحبه لا يراه خطأ .

إذا كان تنوع حجج التفكير النظري يدعو الى الحيرة والارتباك ، فإن تنوع تجارب الخبرة قد يدعو الى حيرة مثلها ، لأن الأمور والأحوال المتشابهة مهما عظم أوجه الشبه بينها ، لا بد من أن يكون بينها من الاختلاف ما يتطلب نوعاً خاصاً من أحكام الخبرة ، فلا يصح الاعتماد كل الاعتماد على حكم الخبرة والتجربة في أمر من الأمور لأنه مشابهة قليلة أو كبيرة لأمر آخر خبرناه . فقد يقتضي الاختلاف القليل مسلماً آخر من مسالك العمل وحكماً آخر من أحكام العقل. ولكن الناس كثيراً ما يكتفون بالمشابهة ويتخذونها نبراساً وهادياً ودليلاً فيخطئون من حيث لا يفتنون . على أن أحكام الخبرة قابلة للزلل الذي ينشأ بسبب أهواء النفس فشأنها في ذلك شأن التفكير النظري . وهم يحبون أن الخبرة ماضية منه لأنها أمر عملي — وهذا بذكري قول أحد المفكرين الذي قال إن خطأ الخبرة بسبب الأهواء قد يكون حتى في تجارب معامل البحث الكيميائي .

(١٢) فلما يتفق اثنان في الحكم على أمر من الأمور اتفاقاً تاماً معها تشابه رأيهما — ولو أن حادثاً حدث في الطريق ورآه كثير من الناس ثم طُلب منهم وصفه لاختلّفوا في تفاصيل المراتبات حتى ليظن المرء أن بعضهم يكذب عمداً ، ولكن الاختلاف قد يكون غير كذب متعمد . لأن نظر كل إنسان الى الأمور يختلف عن نظر غيره بعض الاختلاف إلا إذا كان هناك إجماع ورغبة في الاتفاق لِأَرَبٍ ما

(١٣) اتفق أن رجلاً اتهم بالقتل وعُيِّنت بعض القرائن ولُبِّست الحقيقة ، فحكمت الحكمة عليه بالإعدام . ثم ضُبط رجل آخر واعترف أنه جنى تلك الجريمة وظهرت أدلة ذلك . فأبَت الحكمة أن تعيد النظر في الحكم على الرجل الأول احتراماً لقداسة القوانين والشرائع. وهذه مُسِنَّة لانزال بعض الدول المتحضرة تأخذ بها. وكثيراً ما يفعل الناس ذلك

ويعلمون بهذه السُّنة في حياتهم الخاصة - وهذا يذكرني قصة تحكي عن كاليجيولا الامبراطور الروماني إذ حكم على رجل بالإعدام. ثم ظهر أنه لم يَجِنَ ما أُسِيب إليه. فقال إنه إنسان فاذا لم يكن قد جنى هذه الجناية فلا بد أن يكون قد جنى جناية أخرى. فاقبلوه وهذا من عنت القضاء وجنون الحاكم ولكن للناس ما يشابه هذه الصفة .

(١٤) إدهاء المرء أنه يعرف نفسه دليل على أنه يجهلها . فإن المرء يسر غور النفس ويمجد بعد طول ممارسته للبحث فيها أن الذي يعرفه من أمورها وأحوالها قليل جداً إذا قيس بما لا يعرف

(١٥) الناس يكرهون النقد وهذا بالرغم من ادعائهم ضد ذلك وقد يُلحِصُ إنسان على صديق ويدعوه الى نقد نفسه أو أعماله أو أقواله ويدعي أنه يحب الصراحة ويكره التملق فإذا خُدِعَ صديقه بهذا الادعاء ونقد أعماله أو أقواله أو صفاته وجد منه نفوراً أو عداءً أو حقداً أو غيظاً، وكلُّ منا يلوم الحكماء لحبهم التملق ، وكلُّ منا يود أن يحاط بالتملقين - إلا إذا خفينا من تملقهم أن يراد به الاحتيال لنيل ما لا نريد أن نحود به .

(١٦) ينبغي للإنسان أن يزداد قوة بمعرفة سقطات عقله ونفسه وأن يكون مثل الجنبي في أساطير الاغريق الذي قيل إن أمته الأرض وإنه كان كلما صُرِعَ وغُلبَ ومن جسمه الأرض ازداد قوة ونشاطاً وقدرة على الكفاح .

(١٧) ينبغي لكل إنسان أن لا يحكم على أعماله بظاهر ما يؤديها به من حجج . وأن يُعوّد نفسه على أن يبحث عما وراء ذلك من أسباب مستترة ولا يطمئن حتى يصير ذلك البحث عادة تواتيه من تلقاء نفسها . ولكن ينبغي مع ذلك أن يعرف أن هذا البحث مطلب عسير ، إذ أن النفس كثيراً ما تُضللُّ صاحبها فيه بوسائل مختلفة .

(١٨) إن الانسان الذي يتطلع الى بلوغ منزلة كمال الملائكة قد تتدأى به غرائزه في سبيل هذا المطلب وتهوي به طبائنه في العمل للوصول الى منزلة الاررار حتى يعير في حضيض الغياطين أو في رتبة البهائم أو الوحوش وهو لا يدري بل يُخَبِّلُ له أنه يعمل بخير . فينبغي أن يحذر المرء ذلك .

(١٩) العادة تشكل الحياة كما تهوي ، فكأنما هي خمرة الساحرة سيرصبة التي يحكي عنها

في أساطير الأغريق والتي كانت تسقي من تسهويم خمرة تُحِيلهم قِرْدَةً أو خنازير أو وحوشاً ضارية أو حيوانات مُسْتَذَلَّة . فليحذر المرء العادة إذا استطاع الحذر منها والنهكُم فيها بدل تحكُّمها فيه ، وهي في أول أمرها أسلس فيبدأ المرء وأضعف ، فإذا نَأَسَلَتْ ركبته وغلبته على نفسه . وقد يكون تأصلها إما بسبب ان صاحبها يجهل عواقبها ويستلذ موافقتها وموآتاتها، وإما من كسل الرأي والجسم . واليأس من التغلب عليها يؤدي إلى نهكها وإلى ازدياد سوء عواقبها .

(٢٠) الموصيقي على لنتها إنما هي إئتلاف لنتات مختلفة الأصوات والمخارج والوقع ومع ذلك يستطيع صاحبها ان يؤلف منها أنغاماً عذبة مقبولة إذا كان ممن يجيد فن الموسيقى . وكذلك من يجيد فن الحياة يستطيع أن يستخدم أحوالها المختلفة من مرور وحرز ونعمة وشقاء وغنى وفقر ، كي يؤلف منها فناً مؤتلف اللنتات عذبة مقبولة .

(٢١) مقاساة الآلام والخطوب هي في الخوف من مقاساة الآلام والخطوب . فإن المرء بهذا الخوف يُقَسِّيلُ على ما يخاف كبهض الحيوانات الضعيفة التي يقال إنها إذا تَمَسَّكَتْ بها القدر كل التملك تقبل على الوحوش التي تفترسها .

(٢٢) كما ان علم الطب مؤسس على التجارب فعلم الحياة أيضاً مؤسس على التجارب ولا صلاح لها إلا بها . - ولكن بعض الناس خلقت لهم غرائز وطبائع يعرفون بها طرق النجاح والصواب وان قلت تجاربهم ، كما ان بعضهم لا ينتفع بكثرة تجاربه كالملاح الذي يطوف العالم فتحسب ان أسفاره قد جعلته خبيراً حكيماً قافلاً عالمياً . ولكنه قد يرجع من أسفاره وهو جاهل غبي كما كان قبلها ، ولم تفده تجاربه ومشاهداته عقلاً أو علماً .

(٢٣) لا يمتاز الحق على الباطل بأن الحق من حقه أن يقال في كل زمان ومكان فقد يكون قول الحق مؤذياً للناس مُضِراً بالعدل أو قد يكون قوله لا طائل تحته ولا فائدة إلا العناد الذي يجر إلى خبث النفس والحقد والمهاترة ، أو قد يكون قول الحق كأنه لم يُتَقَلَّ من سم السامع . ولكن متى وجد الانسان فرصة مؤاتية وزماناً موافقاً واعتزم ان يتكلم وجب عليه ان لا يتعدى الحق وان لا يخطئ الصدق اذا وجد ان قوله غير مُضِراً بالعدل

والخير . فلو ان رجلاً فرّ من مجرم حتى فاب عنه ورأيت الطريق التي سلكها وسألك الجرم ان تدله عليها كي يقتله ، ما كان من العدل والخير ان تخبره ، ولهذا المثل أشباه في الحياة كثيرة .

(٢٤) كثيراً ما يحكم الناس ويتخذون رأياً في أمر من الأمور قبل تمام المعرفة وقبل اتخاذ الآهة للحكم وقبل الاستعداد حتى لا يفوتهم شيء من صواب أمره . وهذه عادة شائعة لها أسباب كثيرة مثل الكسل أو قلة الاكترات والاهتمام بالحق أو الخوف من إرهاب النفس وكدها بالتقصي والتمحيص أو الاكتفاء برأي الغير وحكمه اعتماداً على أنه قد كف نفسه مؤونة البحث وربما لم يكن قد فعل ، كما لم يفعل من اعتمد على رأيه الى آخر ما هناك من الاسباب العديدة .

(٢٥) إن الانسان يخلق لنفسه ضرورات . فان كثيراً من الأشياء والامور لا تغير ضرورية إلا لأن الانسان ألها فاحتاج اليها ، ألا ترى أن الثياب ما كانت ضرورية قبل أن اتخذها الانسان ورققت بشرته وأعصابه واحساسه ، فاذا حاول أن يستغني عنها بعد ذلك هلك . ولكن قد يستغني عنها من لم يتعودها من القبائل . وقد ذكر هيردوت المؤرخ أن حجاجم قدماء المصريين كانت أكثر صلابة من حجاجم الفرس لأن قدماء المصريين تعودوا الاقلال من غطاء الرأس أو الاحتفاء عنه ، وتعود الفرس غطاء الرأس الثقيل ، فالعادة تشكل الجسم وتتحكم فيه كما تتحكم العادة أيضاً في النفوس والامور النفسية . والمؤرخون يقولون إن اتخذ الانسان الثياب كان بسبب حصر الثلج الذي زحف فيه الثلج جنوباً وبرد فيه الجوف فاذا صح ذلك كانت الضرورة هي التي دعت الى الحاجة لثياب واتخاذها من جلود الحيوانات وفروها قبل أن يتعلم الانسان الفول والنسيج . ولكن بعض القبائل حتى في الاقاليم الباردة لاتزال تعيش شبه طارية أو كان ذلك الى عهد قريب .

(٢٦) ليست عظمة الأمور وقيمتها هي التي تدعو الى البحث عن أسبابها بل جذباتها أو مفاجأتها أو غرائبها هي التي تدعو الى ذلك وتعري النفس بالتعلق والشغف بها واستغلاص أمرها . وهذا يصدق في اكثر الناس إلا ممن خصص حياته لدراسة أمر هام . ومن أجل ذلك جاءت المخترعات والمستكشافات القديمة عفواً كالنار مثلاً - ويقال ان البنسلين في

مصرنا كشف عفواً على أن غرابة الأمور لا تمنع من أن تكون لها قيمة وعظمة .

(٢٧) من الخطأ وقلة الانصاف أن نحتقر بعض الأعمال الضرورية لأنها ممضة متعبة كرهية مع أن الحياة لا تستقيم إلا بها فضرورة العمل من مقاييس قيمته ، والسعيد من نطاوعه نفسه على أن يستنبط مروراً في كل عمل ضروري يعملهما كان كرهياً .

(٢٨) العقل يعرف ملكاته خفيث توجد يوجد العقل . ومن ملكات العقل الحافظة والذاكرة وقياس الأمور والتهدي به الى الصواب والى الرجوع عن الخطأ وهذه ملكات نجدتها في الحيوانات والطيور . ومن بحث في حياتها وعرف صفاتها من وفاء وتذكر للجميل وحفظ ما تستوعبه حواسها ومن التأني للانتقام من أساء اليها ومن شهامة أو خبت تعد لها الوسائل وتدير الأمور ومن حزن أو مرور ومن ندم أو توبة ومن مكر أو دطابة ومن نهذ الى الصواب بعد الخطأ ومن نظر الى ما تستطيع أن تعمله إما بتدريب أو بغير تدريب لا يستطيع أن ينكر انها عندها قوة الادراك وحفظ ما تدركه وعندها التذكر والاستنتاج . وقد أطال مونتاني في ذكر شواهد ذلك وقصصه . وذكر انها ما كانت تستطيع كل ذلك لولا ملكات العقل المذكورة التي نسبها اليها . ولارحالة هانز كودنوف حجج وقصص منها في كتاب (جيرانى الافريقيون) . ولجالك لندن القصصى الاميركي ايضاً .

(٢٩) لو كان للكذب وجه واحد فربما استطاع الانسان معرفته ، ولكن الاكاذيب تختلط وتتفاعل فتنشأ عنها كاذيب أخرى مختلفة الوجوه والأنواع والأشكال . فلا استطاع معرفة الباطل بسبب هذا التفاعل . وقد يكون الكذب شبيهاً بالحق فيخدع المرء وجه الشبه أو قد يكون في الكذب شيء من الحق ولكن ما أضيف إليه من الكذب والباطل يخرجها عن حد الحق وقد يجعله أبلغ في باب الكذب .

(٣٠) من الخطأ أن يحتقر المتعلق بأمور الروح أو صفات العقل جسمه اكراماً لنفسه . فانه لا كرامة للنفس من غير كرامة الجسم والاهتمام بأموره .

ع . ش

( لبحث بقية )

# سياسة الارشاد الاجتماعي وعلى أي أساس يجب أن تقوم

— ٥ —

## تتمة الدراسة السيكولوجية

ما من شيء أشقّ للأمم وأضناها ومال بها إلى الانحطاط أكثر من وقت الفراغ إذا هو تُرك لاستنابات الشر والموء والهوهات الوضيعة . وما من واجب أشدّ أخذاً بمخيق الحاكمين من محاربة البطالة والمعالة ومغرياتهما السيئة بشئ الطرق ، وأخذ الناس بالانفع ، والحسنى ليستغلوا أوقات فراغهم في المفيد والمجدي .

ولا يستطيع منكر أن ينكر أن الطبقات الدنيا من الشعب ، التي هي أحوج ما تكون إلى الإرشاد والدعاية الاجتماعية مهما يهبط طاقها من مهل آلي أو يدوي ، قد تُقْصِيْ في ساعات النهار كادحة ، فأنها ستجد أمامها بعد ذلك فراغاً كبيراً من الوقت لا تعرف كيف تستغده ولا كيف تفيد منه بما يعود عليها بصحة الجسم والعقل معاً ، وعلى بيئتها ومستواها الاجتماعي بالخير والرفق والنفع بصورة تحسها وتلمسها لو أننا قسناها بمقاييسها الصحيحة . ولا يتوهم أحد أن مهمة إرشاد هذه الطبقة العديد أفرادها ، وهم مع الأسف الشديد قد غلبت عليهم أمية مطبقة ، أمرٌ من السهولة بمكان ، أو أن أيما سياسة ترسم حيناً اتقن لتعالج هذه الناحية بالذات مغفورة أخطاؤها وعثراتها ، ما دامت تستهدف مجرد الترفيه عن أفراد هذه الطبقة ، وتقصد إلى إرشادهم بأساليب تحاول أن تكون علمية أو فنية ، ولكن الواقع الذي لامرأ فيه أن رسم خطوط هذه السياسة ودراسة مناهجها المفصلة بقصد تحديد الأهداف المقصودة من ورائها ، هي في الدرجة الأولى من الخطورة والأهمية ، وهي التي يجب أن تشغل المرشد الاجتماعي ، دائماً ولا سيما في بيئة اصطالحت عليها الأدواء الاجتماعية.



الوبيلة ، مقرونة بأنماط شتى من العادات والتقاليد القبيحة أو المستنكرة عرفاً وشرعاً .  
فنحن لا نهمنا قيمة المنهج العلمي الذي نستهديه في حَبْنِك وتنظيم وسائل الإرشاد  
بقدر ما نعيننا الناحية السيكولوجية ذات الأثر المباشر في إحداث الانفعالات العمورية  
المطلوبة ، ومع ذلك فإن يَم لنا وجه الافادة من هذه الناحية ، الأكيد نَفْعُهَا ، إلا إذا  
درسنا بصورة مُنظمة ، ملامح وخصائص هذه الأوساط الدنيا سواء في الريف أو في الحضر  
ودرسنا كذلك حاجات ومطالب السواد الأعظم من جماهير الشعب المصري في عامة نواحي  
المملكة ، عندئذٍ يجد المرشد الاجتماعي أنه على بينة من هدفه وعلى ثقة من سلامة اتجاهه  
واستقامة جادته .

وهنا نستشعر مرة أخرى قيمة « المراكز الاجتماعية » كعامل هام في دراسة الطبيعة  
« السيكولوجية » للوسط أو البيئة التي وجد المركز الاجتماعي من أجل نفعها وخدمتها ،  
لذا الواقع أن ما سيؤديه المركز الاجتماعي المزود بـ « الاختصاصي السيكولوجي العملي » -  
« Psychologue Pratique » لن يقل من حيث قيمته وأثره ، عن النواحي الصحية والاجتماعية  
والغنية التي تستهدفها هذه المراكز بأخصائيتها المتمكنين في هذه النواحي جميعاً .

ولسنا في مقام الاقضية العلمية المشعبة لمناهج هذه الدراسة ، ويكفينا أن نقول إنها  
ستعتمد كل الاعتماد على مناهج علم النفس التجريبي المعنى بنفسية الفرد ونفسية الجماعة ، كما  
ستعتمد على علم الاقتصاد الاجتماعي وعلم الصحة العقلية ، فضلاً عن الأسس التجريبية  
للبداوجيا الاجتماعية كعلم وفن ، وفي حدود ما تقتضيه مهمة إرشاد هذه الجماهير ، على  
تفاوت حظوظها من الاستنارة ، من الاستعانة بأساليب الإرشاد العصرية ، التي هي في  
ذات الوقت أساليب « سيكولوجية » للتوجيه والتنقيف والعقل .

وللتدليل على صحة ما سبقنا هذا الحديث إليه ، نذكر مثلاً أن السينما ، وقد أصبحت  
اليوم من أهم وسائل الدعاية في العالم ، تعد وسيلة محققة النفع والأثر ، من ناحية إحداث  
الانفعال الشعوري المطلوب الذي يمد بدوره ذريعة إلى الانقاس العقلي وتحقيق التجانس  
الفكري تدريجياً بين أفراد الوسط الاجتماعي المطلوب إرشاده وتهيئته لتقبل فكرة كل  
إصلاح اجتماعي جديد . فربما شريطاً سينمائي فغير من الأثرمة التعاليمية أو التثقيفية التي

أحسن اختيارها وإخراجها ، أجدى أثراً من مجرد محاضرة أو حديث يلقى ليذهب به ذلك نسياً منسياً .

ولنتصور مثلاً أننا نريد أن ندعو إلى موضوع اجتماعي معين كتوحيد الزي - وهي مسألة كثيراً ما أثيرت في أوقات ومناسبات مختلفة - أفلا نرى بداهة ، وبجرد انفعالنا الشعوري ، نحن كشعراء ، بهذه الفكرة ، أن فيلماً قصيراً يعالج الفكرة بصورة لطيفة جذابة ويعرض في مختلف أنحاء البلاد <sup>(١)</sup> ، وخصوصاً لو عُزِّز في فترات دورية بأفلام قصيرة أخرى تعالج ذات الموضوع - يكون عندئذٍ أبلغ وقعاً وأعمق أثراً في نفوس الجماهير من عدة أحاديث ومحاضرات تاتي لمحاولة إقناعهم بألارايا الاجتماعية التي تعود على البلاد وعليهم من « توحيد الزي » ؟

والمسرح ، كوسيلة أخرى من وسائل الارشاد الاجتماعي ذات الأثر النفسي البالغ في نفسيات الجماهير ، له بدوره خطره وأثره العميق في توجيه الشعب . ولا يجهل بنا أن نفسي أنه كان وسيلة التربية الشعبية الوحيدة عند الانثينيين القدماء ، ولقد أجدى على البقطة الاجتماعية اليونانية في تلك العصور الزاهرة ما لم تجده فلسفات حكمائهم ومفكرهم الاعلام عند محاولتهم تحقيق علم الكمال أو « اليوتوبيا » .

والامر يتوقف في المسرح أيضاً ، وإلى حدٍ كبير ، على حسن اختيار القصص التي تعد للتمثيل ، فلا تكون من أنواع النافه الذي لا يهدف الى غرض ما ، بل يجب أن تعالج بعض أمراضنا الاجتماعية التي نشكو منها ، مع العمل على إيجاد عدد كافٍ من المسارح الشعبية النابتة والمنقلة ، تستجيب لمطالب الإصلاح الاجتماعي من ناحية ، وللمطالب وروح الطبقات الشعبية المختلفة من ناحية أخرى

وهنا يجب ألا ننفل حقيقة نفسية هامة جدير بنا أن نستفيد بها في وضع اختيار المسرحيات والموضوعات المقدمة لكل من المسرح الشعبي والسينما المنقلة ، تلك هي ما نلاحظه على سواد الشعب المصري من أنه حاضر الملل مريع التحوُّل زاهد في الاطلاع والتعمق واستخلاص المعلومات من المقدمات الطويلة الخ .

(١) من الفروض ان كل مركز اجتماعي يحتوي على قاعة للمرض السينمائي

فقمين بكل سياسة إرشادية نعني بتوجيهه عن طريق مسيرتها أولاً الطبيعية ، أن نحاول فهم هذه الطبيعة وميولها ومنازع أهوائها وهواياتها كي توفق في استخدام هاتين الوسيلتين بأسلوب ناجح لا يضجر هذه « الطبيعة » ولا يبلد من ناحية أخرى إحساسها واستعدادها للاستجابة والتأثر عن اقتناع وفهم .

وعندي ، وأنا في معرض هذه الدراسة النفسية من ناحية القيم الشعبية التي نعني بتحويلها الى مؤثرات حسية ومعنوية تجدي في نشر وإذاعة الأفكار الاجتماعية الصالحة بين عامة أفراد المجتمع المصري ، أن الحكم على قيمة « المؤثر » رهن بمدى خبرة وكفاية من نبطت به مهمة الحكم ، وحوّلت له سلطة اختيار الموضوعات المناسبة ذات الوقع العميق والأثر البعيد في إقناع أبناء الوسط المراد إصلاحه ورفع مستواه العقلي والمعنوي عن طريق الارشاد . أما ترك الأمر فوضى أو جعله في أيدي لجنة يختار أعضاؤها حيثما اتفق ، أو ممن تغلب عليهم النزعة الديوانية البيروقراطية ، لا الكفاية العلمية ، فهذا ما يؤدي بكل سياسة إرشادية ، مهما استعانت بأحدث آلات السينما وأوفى المسرح وإدارته ، الى فشل ذريع وافلاس أكيد وضياح تام لما تنكبده الدولة من نفقات طائلة تنفق في هذا السبيل ١ .

ولاشك أن محاولة دراسة الأساليب والطرق المنبئة في بعض البلاد الأجنبية ، وبخاصة إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية اللتين أتاخنا لهما خلال الحرب العالمية الأخيرة مشاهدة نماذج من أفلامهما الاجتماعية والثقافية ، سيعين « اللجنة » أو « اللجان » التي ستعني بهذا الموضوع الهام في وزارة الشؤون الاجتماعية إمانة تذكر ، بل إنني لأذهب الى أبعد من ذلك فأقرر أن في الامكان اختيار المناسب الملائم لعقليتنا واطروف مستوانا الاجتماعي من هذه الافلام ، وترجمتها الى اللغة العربية بطريقة « الدوبلاج » ثم الاستعانة بمذيع خاص من هؤلاء الخبراء السيكولوجيين والاجتماعيين تكون مهمته التعليق بصورة أخاذة ومشوقة على حوادث الاشرطة المعروضة ، وذلك في أثناء عرضها على جمهور النظارة . ويسرني أن أذكر في هذا المقام ، أن وزارة الشؤون الاجتماعية قد اهتمت أخيراً الى جهاز سينمائي من نوع معين يمكن بواسطته عرض المناظر منظراً منظراً ، بصورة يمكن معها

التعليق على كل منظر على حدة ليسهل على جمهور « الفلاحين » أو « العمال » سبيل تفهم الموضوعات التي تذيبها وتعرضها هذه الأفلام فينبغي أن تنطوي شعورهم برئياتها وتتمياً ملكاتهم العقلية ، التي لم تنقف بعد ، لتفتح على ما تنطوي عليه من اتجاهات قوية وتوجيهات مقنعة وارشادات تخاطب بأساليبها وجدانهم وشعورهم الباطن قبل أن تخاطب العقل والمنطق على طريقة المعاهد والكلية ١٢ .

\*\*\*

والحق أنني لست في حاجة الى الاطالة في تأكيد قيمة « الدراسة النفسية » من حيث خلق وتكييف « المؤثر » النفسي الذي يجب أن تنطوي عليه كل دعوة إرشادية صحيحة نود لها النجاح على طول الخط ، وفيما اخترت من الأمثلة السابقة ، التي حققتها على سبيل التمثيل لا الحصر ، ما يضع نصب أعيننا الحقيقة التالية ، وهي أن سياستنا الارشادية التي تضطلع الحكومة اليوم بأوفى نصيب من أعبائها وتكاليفها ما زالت في حاجة ماسة الى تقعيدها على الأسس والقواعد التي حاولنا شرحها تباعاً فيما سبقناه من أحداث .

وأما شدة حاجتها الى تقعيدها على أساس راسخ من هذه الناحية التي سقنا إليها الكلام في هذا المقال ، فأمر لا يحتاج الى طويل مناقشة ، كما أنه أمر من يتحقق ، كما كررت ذلك مراراً ، بمجرد تأليف « لجنة » أو « لجان » لائتمنها الكفايات الملمة بأصول وفائتها واختصاصاتها العارفة بمخاطبة الواجب الملقى على طائفتها ، وهما نحس أولاء إذا كنا في حاجة الى بحث بعوث الى الخارج للتخصص في النواحي التي سقنا إليها الكلام في موضوعاتنا السابقة ، فالتناحور ما نكون الى بعوث وبعوث لئتمد بها هذا الذي اصطلاحنا على تسميته بالـ *Psychologie Pratique* الذي يكون في مقدوره أن يعطي لموضوعات الارشاد عن طريق السينما والمسرح بل والاذاعة اللاسلكية ، روحها المعبرة ، وقيمها الشعورية المتجاوبة مع نفسيات الطبقات الدنيا من الشعب ، عندئذ نستطيع أن نقول إن لنا سياسة إرشادية غير مرتجلة ، وعندئذ نستطيع أن نقول كثيراً من الخير لهذا الوطن العزيز .

جمال الدين صمدى

رئيس قسم الارشاد الاجتماعي بوزارة الشؤون

# نظرة في البشرية

وطموح البشر الى السعادة

لاح لي يوماً ملاكٌ في خيالاتي يطيرُ  
هو للعاصي نذيرٌ ولذي التقوى بشير  
صاح يا سكان هذي الأرض ما هذا الضرور  
ملء مسعاكم خداعٌ ملء مجناكم شرور  
ذا حسودٌ ذا حقوقٌ ذا دنيءٌ ذا غدور  
ذاك طاعٌ ذاك زانٍ ذاك زنديقٌ كفور  
مع هذا كل مر ماكم صفاء وجبور  
كيف ترجون صفاءً وطوباً لكم كدور  
وصفاء العيش للسفردوس تمثيل صغير  
يا أمير اسمع متى تطمع وبأ هذا الأجير  
إن كنه السعد في القدر دوس طهر فسور  
يا بني الإطاع أي منكم الذاكى الطهور  
أعلى ذا الشرط قولوا لكم عزم يدور  
ثم ترجون نجيماً هكذا الحق الكبير  
ودليل الحس بادٍ ليس في الحس قصور  
أي ملك وأمير أي ذي عليا استشيروا  
أو بني الحقل أو الصناع والتجار زوروا  
وبذي الخدمة والمنهوك والبطال دوروا  
اسألوهم كلهم هل فيهم راضٍ شكور  
من ينله الصفو يوم تحبه لهم شهور  
قد مكسنا كل أمر فاشتكت منا الأمور  
عندنا التدليس حذق وعلى الصدق نكير  
واغتصاب ونجيات بها السهل ومور

ليس يدري غيرها المؤ نس فينا والسمير  
 إن حطرتها عليه فصموت لا يحير  
 وإذا وافى الذي كنا عليه نستثير  
 ثالبه وعلى أعراضه كنا نغير  
 حل منا الذروة العليا كما يعلو الأمير  
 هكذا فينا تفاق طيه الجبن الكثير  
 ثم ننسى ما افترفنا من سفالات تضر  
 ونرى حقنا بالكبرياء بس الفسور  
 لا اختراع لا اكتشاف\* لا حضارات تنير  
 لا علوم لا فنون لا مرايات ودور  
 لا اختصارات مسا قات بها هان المسير  
 لا سياسات حكميات ولا وال قدير  
 كل هذي النعم اختصرت بشيء لا يضير  
 طاجت ظاهر أمر وعلى الباطن سود  
 وعلى الخبث من الباطن لم يهجم مغير  
 نحن ما زلنا كما كنا بما اعتدنا نسير  
 حالنا من عهد نوح هي ويل وثبور  
 ظلت الفطرة وعشاء وما ضلها بحير  
 وضحايانا بحب الذات جهوز غفير  
 لا تقولوا خف من ويلاتنا الشيء الكثير  
 وعمدنا وبننا في رخا عيسى غفور  
 إن زعمتم أن فضلنا جدنا الأعلى تجودوا  
 لا تقولوا العلم أجدى لا تقولوا العلم نور  
 اجتدى بالعلم رهط واشتقى جمع يسير  
 بعد خير العلم طلابه ويله ويل غرير  
 هل ربح الهيجا بغير السحر ذا العصر تدور  
 طائرات دارحات طائرات فصقور

وافتجارات جحيم لا يضاهيها صغير  
 كم عبادكم بلاد في بلاياها تغور  
 كم صناعات وآثا ر تولاها الدور  
 كم حقول وتجارا ت رأيناها تبور  
 يلدُ الشهر خطوباً عجوت عنها العصور  
 ذاك فضل الدنيا ت اغتنمه يا غفور  
 ذاك نور العلم والف ن اقتبس بامستنير  
 واهن يا من صاح صار الجوع عبداً والبحور  
 أيها الزاعم سبقاً \* \* \* مة الى الخلف تسير  
 ناكماً طوراً وطوراً رحوياً تستدير  
 مبيلاً حالاً وأسواء حالة منك المصير  
 ليس بمجديك خليل ايس ينجيك نصير  
 بل جهاد لهُوى النفس س على النفس ينور  
 كلُّ مجدي غير مبني على ذا الجهد زور  
 ما قيس الأساديين ذئاب وغفور  
 لا ولا جاء عريض لا ولا مال وفير  
 إنهم خلق بنبيل النفس ممتاز خطير  
 نفهم من دهم شمع لة قدس تستعير  
 أفسدوها أخذوها فهي غم لا ينير  
 هل ترى تسترجع ال خور وما حان النشور  
 أم ترى نبق على ذا اللؤم تحوينا القبور  
 عنصر ابن الغاب منه من تبتته القصور  
 أنخل الصنطين نخلأ فروان أو شعير  
 هكذا الوضع أيكفينا شذوذ وندور  
 أما نحن طباعاً خشب بال حقير  
 اذ صيغناه ادعينا أنه علق نصير

اروار مرقص

اللاذقية . سورية

# الرائد اللاسلكي

- ٢ -

سلاح الحلفاء السري

حينما شن هتلر إغاراته الجوية الضخمة على بلاد انكلترا ، في اليوم الثامن من شهر أغسطس سنة ١٩٤٠ لم يكن هجومه مفاجأة للانكليز ، بل أمراً متوقفاً ، إذ سبقوا أن استعدوا له الاستعداد الواجب فأنفقوا في سكبنة وروية كفيتمهم أكثر من ٤٠ مليوناً من الدولارات ، وذلك في إنشاء سلسلة متواصلة الحلقات من أجهزة الرائد اللاسلكي ، لتؤدي ليلاً ونهاراً واجب الحراسة اللازمة لوقاية جزيرتهم ، من كل طائفة كانت تسول لفائدها نفعه الدنو من البر البريطاني . فشرع الانكليز من سنة ١٩٣٥ في نصب هاتيك الأجهزة . وكانوا حينئذ يسمونها ( خط الدفاع الخفي ) إذ أقاموا خمس محطات للرادار ، على ساحل البحر الشمالي . وفي سنة ١٩٣٨ حينما حمل تشمبرلان مظلمته وقصد الى مدينة ميونيك <sup>(١)</sup> في ألمانيا ساعياً الى منع نشوب الحرب نغابت مساعيه ورجع بخفي حنين . وكان المهندسون البريطانيون حينذاك يقيمون مرآة مطعة أخرى للرادار . فأصبحت تلك السلسلة مؤلفة من ٢٠ جهازاً . فلما اجتازت الطائرات الحربية النازية البحر الشمالي ، قاصدة الى البلاد البريطانية كانت هذه متاهة لاستخدام سلاحها السري المشار إليه ، للدفاع عن نفسها . وغدا في وسع البريطانيين وقتئذ اكتشاف كل غارة جوية كانت تصوب نحوهم ، في حينها ، وصددها بطائراتهم المقاتلة .

وكان البريطانيون في بدء الأمر ، عاجزين عن استطلاع الطائرات المغيرة على بلادهم ، عجزاً طفيفاً ، وذلك لأنها كانت تتوَحَّى ، إما المهبوط الى أهدافها ، عند دنوها منها ، ما استطاعت إليه سبيلاً ، وإما جعل إغارتها الجوية مقصورة على ساعات الليل خصب .

(١) هذا هو نطقها الصحيح وفق ماورد في أحدث المراجع العلمية — لايونيك



واستمر الحال على هذا المنوال ، الى شهر سبتمبر ، إذ تلقى الألمان درساً أليماً فالياً إذ خسروا في غارة واحدة ١٨٥ طائرة من أسطولهم الجوي المهاجم الذي كان مؤلفاً من ٥٠٠ طائرة حربية . وفي شهر نوفمبر غير الألمان خططهم فعادوا الى الاغارات الليلية . ولكن المهندسون والعلماء البريطانيون كانوا يتوقعون هذا الانقلاب ، فأتخذوا من قبله الاحتياطات الواجبة لاحباطه ، وأعدوا له أجهزة جديدة متقنة من الرادار . فتبين لهم أن هذا الرائد اللاسلكي الحديث ، أعظم تأثيراً في عمله في أحلك الليالي ، مما كان صنوه القديم ، يؤديه في ربيع النهار .

وكان الطراز العتيق منه يدلُّ على الطائرة المعادية ، بوساطة الموجة اللاسلكية المرتدة عنها ، فبظهر مصدرها العام للطائرات المقاتلة المدافعة التي كانت تعمل في دفاعها ، على رؤيتها الخاصة وتمييزها القوي ، دون سواها ، في الاستدلال على العدو واحباط هجومه المقصود على بلادها .

وبتلك الوسيلة الحديثة ، كان يقسنى للرقب الأرضي اختيار أية طائرة نازية ، تظهر صورها على مرآة جهاز الرائد اللاسلكي ، فيسارع الى اعطاء الارشادات المفصلة ، الى طائرة من المقاتلات التي تحت إمرة ، فتبادر الى تعقبها ، حتى تصبح على بعد يتفاوت بين ميل وثلاثة أميال من خلفها ، وتحتها مباشرة ، في طريقها نغمه ، حيث تفتك بها .

• • •

وفي أوائل سنة ١٩٤١ رُكبت أولاً أجهزة الرائد اللاسلكي ، في الطائرات المقاتلة الليلية ، فتفاقت خسائر الألمان في فصل الربيع من تلك السنة ، تفاقماً دلَّ على مبلغ منافع الأجهزة المفار إليها ، ولا عجب ففي شهر يناير ، كان تدمير طائرة المانية واحدة من قاذفات ثابليهم ، فوق بلاد انكلترا ، يعدُّ ظفراً رائعاً تسجله الصحف الانكليزية في صفحاتها بحروف بارزة ، فارتفع هذا الرقم في شهر مارس إذ بلغ ٢٤ قاذفة . ثم زاد في شهر ابريل الى ٥٢ وفي مايو بلغ ١٠٢ قاذفة . وما لبث عدد الاغارات الألمانية على البلاد البريطانية ، أن انخفض وتضاءل كثيراً إذ قرر هتلر حينئذٍ العدول عنها والتمركز في مهاجمة بلاد روسيا ، وعلى هذا النمط قهرت القوات النازية الجوية في الأجواء البريطانية .

(كيف قضى الرائد الاسلامي على أخطار الغواصات الألمانية) : فصلنا هذه الوسائل تفصيلاً جيداً ، وذلك في المقال المستفيض الذي نشرناه في مقتطف مايو سنة ١٩٤٨ غلبنا أن نوجز الكلام هنا على ما فاتنا ذكره هناك ، قصد الاشادة بمنافع هذا الاختراع الرائع فنقول : —

كان الالمان في بدء الحرب العالمية الثانية ، يطمحون الى طرد سفن الامريكان ، من أرجاء المحيط الاطلنطي كما دحروها شرّ دحر سنة ١٩١٨ في الحرب العالمية الاولى . وذلك بمحشد غواصاتهم هناك لمهاجمة سفن الحلفاء . ومما يؤسف عليه ، تمكنهم من تحقيق أملهم في ذلك الشر الاول من تلك الحرب الطاحنة إذ بلغ المتوسط اليومي لشحنات السفن التي أغرقوها من قوات الحلفاء ١٦٠٠٠ طن واستمرت هذه الحال حتى توسّل الحلفاء بالرائد الاسلامي إلى انقضاء اخطارها ، كما سيحيي القول : —

كانت الغواصة في فابر الزمن ، تستطيع ليلاً ، الصعود الى سطح الماء ، قصد ملء بطارياتها الكهربائية وتخزين الهواء اللازم لها ، في اسطواناتها ، بمنجاة عن الخطر ، في أغلب الاحيان ، إذ لم يكن في وسع العدو استكشافها . فإذ اخترع الرائد الاسلامي حتى صار ذلك الاستخفاء أثراً بعد عين ، لأن باصرة الرادار لا يخفى عليها أي شيء كان ، سواء أكان في الظلام أم الضباب ، وإن تكن حاجرة عن اختراق الماء .

• • •

ولا غرو فقد أتيح للبريطانيين ، قبل قيام تلك الحرب الضروس ، اختراع جهاز رادار يحمل في الجو ، فيستطلع غواصات العدو حينما تسبح على سطح الماء . وكان بدء استعماله في سنة ١٩٤١ فتجلّت لهم منافعه إذ ثبت لهم أنه يمكنهم من ( رؤية ) الغواصة على بعد يربى على عشرة أميال . فاذا أضفنا هذه الطاقة ، الى قدرة الطائرة على قطع مئات الاميال في ساعة ، أصبح في مقدور الطيّار ، بالجمع بين تينك الميزتين ، استطلاع الغواصات في مكانها .

وما من شك أن الالمان كانوا قد أدركوا من قبل ، خاصة أو اثنتين ، من خواص الرائد الاسلامي ، وذلك عقب استيلائهم على جهاز من الاجهزة الامريكية ، فجعلوه نبراساً . وعلى

مؤنه فازوا باختراع طراز لاقط لاسلكي ينفه الغواصة النازية الى الاختفاء في الأغوار  
 حالاً يستدل عدوها على مقرها . ولما أيقن مديرو الرادار التابعون للحلفاء ، من استفحال  
 حرب الغواصات النازية ، على أثر اعتداء الحلفاء الى أماكنها على سطح الماء ، عمدوا الى  
 اختراع جهاز جديد آخر ذي موجة تغايرها في القديم . وقضى الحلفاء بضعة أشهر في اختراع  
 الرائد اللاسلكي الجديد المنفود ، فاستعملوه حقبة معينة حتى ادرك الألمان بعد حلول  
 فصل ربيع سنة ١٩٤٣ أن أجهزتهم اللاقطة أصبحت غير صالحة للاستعمال المقصودة بها . وكان  
 ذلك نتيجة تدمير مائة غواصة من غواصاتهم في زهاء ثلاثة أشهر . إذ وقع ثلثا هذا العدد  
 فريسة للطائرات . وضاق الألمان ذرعاً بمحلتهم السيئة فاستعنوا مهرة صناعهم الفنيين لينفذوا  
 الموقف ، فهبّ هؤلاء لنجدتهم من ورطتهم . وعكفوا على استكشاف سِرِّ الطريقة الفاضلة  
 التي اعتقدوا كون الحلفاء استرشدوا بها الى قنص الغواصات النازية . وفي سنة ١٩٤٤  
 أفرق الحلفاء بقرب ساحل فرنسا ، غواصتين المانييتين كانتا تفلان فوجاً من خبراء الألمان  
 وأجهزتهم . ثم وضعت الحرب أوزارها ، حينما كان الألمان لا يألون جهدهم في استكمال  
 اختراع أنبوب هواي ( هو الرئة الصناعية التي يسمونها بلعائهم Schnorkel وقد  
 وسفناها في مقتطف مايو ١٩٤٨ وذلك في مقالنا على وسائل الحلفاء التي استعملوها لطريقة  
 الغواصات النازية وهي الجهاز الذي يمكن الغواصة من بقاءها مغمورة في الماء كما نشاء )<sup>(١)</sup>  
 ومن الحق أن هذه الرئة الصناعية الفائقة لم يكن مستطاعاً للرائد اللاسلكي الاهتداء  
 الى طرفها البارز فوق سطح الماء .

وكان للرائد اللاسلكي تقع خطير الشأن ، في صون قوافل السفن إذ كانت غواصات  
 الألمان في بدء الحرب العالمية الثانية ، تهجم ليلاً ، زرافات ، من كل حذب وصوب ، على  
 قوافل سفن الحلفاء فتدمرها ، ولكن أجهزة الرائد اللاسلكي التي زودت بها هاتيك

(١) ويد كتاب ما تقدم جاء في البرقيات العامة في ٢٠/٦/١٩٤٨ من لندن : —

أعلنت وزارة البحرية البريطانية أن أمانورة بحرية ستبدأ غداً في المناطق الشمالية الغربية لبريطانيا فتترك  
 فيها وحدات كبيرة من الاسطول البريطاني مع عدد كبير من الغواصات المجهزة باللات خاصة تسبح لها بالبناء  
 سنة أسابيع في جوف البحار

السنن فيما بعد حدثت من تلك المهاجمات ، إذ أتيج للرائد اللاسلكي ، الاستدلال على الغواصات التي كانت تطفو على سطح الماء ، ومقاتلتها بلا صعوبة ، ليل نهار .  
وبالرائد اللاسلكي تسنى أيضاً ، حل مشكلة السفن التي كانت تشرذ عن قوافلها .  
وكذلك التي كانت تتلصق في سيرها أو تضل طريقها ليلاً من دون علم قائد القافلة ، فتصير غنيمة باردة للغواصات النازية . وكان قائد القافلة البحرية يتوصل بالرائد اللاسلكي للرقابة على قافلته بأمرها أثناء الليل وأطراف النهار ، فيكشف من فوره ، عن أية سفينة تجدد من مسير القافلة .

ولا ننسى في هذا المقام ، أن حاملات الطائرات التي كانت تحرس سفن الحلفاء ، قد حاولت أجهزة الرائد اللاسلكي معاونة جلية ، على القضاء على غواصات المانيا ، قضاء مبرماً ، حيث كانت الحاملات المشار اليها تكمل استطلاع الرائد اللاسلكي ، الذي كان يشمل آفاق المحيط الاطلنطي .

( الرائد اللاسلكي سلاح لارشاد قاذفات القنابل ) : وقد ثبت أيضاً أن الرائد اللاسلكي أفنك سلاح للهجوم . ويؤيد هذا القول ، حوادث هجوم القاذفات المتحالفة ، على بلاد المانيا . بيد أن الحلفاء لم يظفروا بأمانيتهم من هذا القبيل إلا في سنة ١٩٤٣ إذ استناعوا انتاج ما كانوا يحتاجون اليه من الأجهزة التي اخترعت خاصة للهجوم . وحينئذ افتضى الأمر ، ايفاد القوة الجوية الثامنة الى انكافرا . وذلك في أواخر صيف سنة ١٩٤٢ حيث قضى أفرادها فصل الشتاء كله يتدربون على الدروس الصعبة الخاصة بالطيران في أجواء المانيا . وأسفرت النتائج عن كون فرقة من تلك القوة الحربية زودت طائراتها بالادار ، استطاعت قيادة أفواج من الطيارين ، بلغ عددهم ٦٠ ضِعْفاً ، في كل غارة جوية شنها على مدن المانيا .

وكانت أقصى أمانيتهم حينئذ أن يبعثوا المجال الجوي بأمره ابصاراً مجيداً في كل وقت ليلاً ونهاراً ، مقرونًا بتسديد قذائفهم الى أبعد مدى تسديداً صائباً .

عروض هنري

« يتبع »

# صدي أنشودة

## الكرمانبول<sup>(١)</sup>

لكاتبة الفرنسية « ماري ماندرون »

ترجمة الأئمة : نعمت حسني

عند ما جاءت مدام « هاريون » للمرة الأولى ، إلى سجن المعبود ، ومعها ملابس الأميرة الملكية ، إذ كلفت بتنظيفها واحضارها الى السجن كل أسبوع ، فانها لم تقوَ على مقابلة ما شعرت به من الاضطراب ! ولكن كيف ذلك ؟

ان مدام هاريون ، تكره الظلمة الطغاة - من الملوك - وتعلن هذا الشعور الملتبس ، في معجاة وحماس . . وتنتظر منوح الفرصة ، حتى تثبت ذلك بأجل برهال . وها قد سنحت لها الفرصة ، وها هي صحبة حارس السجن ، تصعد المذرج المظلم ، وقد امتلأ قلبها بالتدني والكراهية . . فاذا ما انتهت الى حجرة السجناء ، طلبت الاذن بالدخول في كثير من المعرفة . ولكن بمجرد ان دخلت الحجرة ، خفضت لجأة من نظراتها الوقحة ، من غير أن تدري قدلك من سبب . . ثم إنها شعرت ان صوت خطواتها مزيج رهيب . .

لفت بخفة !

من يكون هذا الرجل ، ذو الجسم الممتلئ والخدين المقرهلين ، الذي تراه أمامها . . أليكون الملك ؟ أجل . . انه الملك من غير شك .

كان يرتدي في غير ثائق ، سروالاً من الصوف البنفسجي اللون . . وسترة بنية قد تكسكت بعض أزوارها من حراها ، فظهرت من تحتها صدره من الحرير المنقوش برسم الأزهار .

(١) أنشودة كان يردها أثنوريون في باريس عام ١٧٩٣

وبدت على وجه الملك صمة الوداعة والحلم .. أو ربما كان هذا رمز العظمة الحزينة ، ولابد  
المصائب والحن

كان لويس السادس عشر ، يجلس على كرسي كبير .. وقد أمسك في يده كتاباً ، وهو  
يعلي منه املاء على ولده الطفل الجالس الى منضدة أمامه .

ورغم أن هذا الطفل هو ولي العهد ، فإن مدام باريون ، وهي أم لطفل مثله .. قد  
انجذب قلبها الى هذا الطفل الجليل الذي تبعثرت جدائل شعره الاشقر الحريري فوق  
كتفيه . وراح بعضها يتثنى فوق الدفتر . واسكن ما هذا الصنف . أيلين قلبها لهذا الطفل  
وهو ابن لويس السادس عشر ١٦

وفي الطرف الآخر من الحجرة ، جلست امرأة ترتدي ثوباً بسيطاً من حرير النافاه  
الرمادي اللون . وأمامها طفلة تجلس على كرسي صغير . إنها الملكة ، وقد انهمكت في تعليم  
ابنتها الحياكة .

كان الهدوء شاملاً . والملك يعلي على ولده درس الاملاء ، بنغم واحد متواتر . وفي  
المسافة ما بين الملك والملكة ، كانت شمس الخريف ترمم على بلاط الحجرة ، في خط مستقيم  
من نورها الباهت ، خيالاً ضيقاً مستطيلاً للنافذة ذات القضبان الحديدية .

وترثت مدام باريون هنية .. ثم أخرجت الثياب الملكية من صلتها ، ووضعها على  
منضدة هناك . وكان الحارس الذي أوصلها ، واقفاً ينتظر خروجها عند الباب . ثم لحته وقد  
توارى .. ففهمت انه يراقبها . يا للعجب ! أيجول بخاطره أن تلك المرأة التي تلهب وطنه  
وحماساً تميل الى هؤلاء القوم احقاً إنه لمنتهى الجنون ! ...

ولكن ما لها تأسف إذ ترى ان الملك تبدو عليه الطيبة ، وسلامة الطوية ! فلو كانت  
تبدو عليه صمة الخبث والشر لاستمرت تمقته ، وهي في راحة أكثر مما هي الآن .

كانت مدام باريون ، تواظب على الحضور كل أسبوع ، لاحضار الملابس بعد تنظيفها ،  
الى معجن المعبد .. حيث الأميرة الملكية .. وكانت وهي تؤدي مهمتها هذه تمثل العاملة  
المجدة المتأنقة .

وكانت دهشتها تزايد ، وهي ترى تلك المشاهد ، المألوفة في كل أسرة ، تمر أمامها عند

زارتها لمجن المعبد كل أسبوع .. فاذا هي ليست غريبة كما كانت تتوهم .  
وها هي ذي تدخل يوماً ، فترى ملك فرنسا وقد وقف بالقرب من النافذة ، يتأمل الشمس  
وهي تميل الى المغيب . وشعر الملك بدخول منظمة الملابس ، فالتفت إليها مبتسماً كأنه  
يرحب بها .. حتى لقد شعرت مدام باريون ، بحاجتها الى البكاء . ترى ما هو السبب في هذا  
الاشغال ؟ قد يكون الملك ، بهندامه العديم النظام وجسمه الغليظ ، قد ذكرها بزوجها  
النوفي !

وأحست منظمة الملابس ، أن قلبها قد انقبض بشكل غريب ، واستولى عليها الحزن  
العين ، يوم أن صعد لويس السادس عشر إلى المقصلة .  
تغيرت آراء مدام باريون ، فالملك لم يكن بالرجل الشرير ! ولكن الملتفين حوله أثاروا  
عليه بكل ما هو خطأ .. ولولا ذلك لكان وشعبه على أحسن ما يكون . ثم زوجته ،  
لك النموية الملعونة .. التي كانت السبب الأقوى فيما حلَّ به .. إنها لم تكن تحب الملك  
زوجها . وهي حقيقة لا يجملها أحد !

كانوا قد فرقوا بين ماري انطوانيت وبين طفليها ، بعد إعدام الملك . فنقلوها الى سجن  
الكونسير جيري ، حتى لا تفكر في الحرب ... ويوم أن توجهت مدام باريون ، الى سجن  
الملكة . بعد هذه الحوادث ، وجدت أمامها امرأة مسكينة . تلبس الثياب السود .  
وحيدة في سجن مظلم . دخلت منظمة الملابس وكانت ماري انطوانيت ، جالسة إذ ذاك  
الى المنضدة عتيقة وقد استندت اليها بمرفقيها . ووضعت رأسها بين يديها . ولم تر مدام  
باريون ، وجه الملك ، فقد كان مخفياً وراء يديها النحيلتين . وظهر حول منديل الارملة  
البنثنة ، شعرها الذي أصبح ناصع البياض ، بعد موت الملك ... وعندما دخلت منظمة  
الملابس ، لم تأت الملكة بأقل حركة . ففهمت مدام باريون ، أن ماري انطوانيت ، تبكي وراء  
يديها الملتحمتين . وشعرت منظمة الملابس ، بنوع من الاحترام ، نحو هذه المرأة الحزينة  
لانهم سره . فانسحبت شبه هاربة وهي تنثني على أطراف قدميها .

وظلت مدام باريون ، في خدمة الملكة . وكانت تعرف أن الواجب على من يقتربون من  
السجناء ، ألا يتكلموا معهم وإلا ...

لقد تأكدت السيدة باريون ، أنه عمل في منتهى الوحشية . وساءلت نفسها ، أيجيز لهم الشرع ، أن يفرقوا بين الأم وأولادها ... لو كانت هي من اجترؤا عليها بهذه الفعلة . إذن لانتعبت فيهم أطافرها ، ثم أسنانها .

كانت مدام باريون ، تصعب ولدها أيها ذهبت . حتى إلى سجن الكونسير جيري فقد كانت هوارع باريس في تلك الآونة ، تسودها الاضطرابات . والقوم يرددون أنشودة الكرمانبول ، فيرتفع لهيب الثورة عاليًا .

كانوا أول الأسرى محجورون ابن مدام باريون ، عند بواب السجن . ولكنهم تركوه أخيراً يدخل مع أمه ، حاملًا لها سلة الملابس .

وارتعدت الملكة ، يوم أن رأت ابن منطفة الملابس . ظهر عليها الألم . ولكنها ما لبثت أن اقتربت من الطفل ، ومسحت على شعره بيدها المرتعشة . كان طفلاً لطيفاً جميلاً . تنجلى النباهة في نظرات عينيه الزرقاوين . لقد لقنوه الدرس ، وحذروهم أن يتكلم مع السيدة ذات الثوب الاسود - الملكة - ولكن ليس في استطاعتهم أن يمنعوه النظر إليها . نظر إليها دون خجل ، ولكن بأدب . وكذلك لم يستطيعوا أن يحرموا عليه الابتسام . فابتسمت للملكة . فكان ردها على نظرات الطفل وابتسامته ، أن انعطفت نحوه تقبل شعره الأشقر ...

واضطربت منطفة الملابس ، عندما رأت الملكة تتبعها بنظراتها ، وهي تخرج صعبة ولدها . كانت ماري الطوانيت ، تنظر الى هذه المرأة الشعبية ، وهي ترحل عنها بمسكة بيد ولدها . ولا ريب أنها أحست بشيء من الحسرة .

وأتمت مدام باريون ، مع ولدها ، الى سجن الملكة كالعادة . وكان أحد الجنود من حراس السجن ، قد داخله الشك في أمر الطفل . فمنعه من الدخول . ولكن بخشونة وقسوة ، حتى جعله يقع فيصطدم بجيئته في زاوية مقعد من المقاعد الخشبية الغليظة . فصرخت الملكة ، كما صرخت مدام باريون نفس صرختها . ثم اندفعتا نحو الطفل بقفزة واحدة ولكن الملكة كانت أسبق . فأنهضته . وانزعجت من كومة الملابس القريبة منها ، مندبلاً جعلته على جبهة الطفل ، وكانت تقطر دماً . ثم ضمته الى صدرها وأخذت ترتب على ظهره ، تحاول بذلك أن



تلطف منه الألم ، ونظرت المراتان كل منهما الى أخرى من وراء رأس الطفل ، نظرات مميقة تنسكلم عن ظلم الانسان ، وميله للشر اثم شعرنا وكأنهما قد ارتبطتا برباط أبدي متين من ذلك اليوم ، وقد منعوا الطفل أن يدخل مع أمه حجرة الملكة . كما أصبحت منظمة الملابس والملكة ، ولها لغة خاصة تفاهان بها . تلك هي لغة العيون . تسألها الملكة بأن ترفع حاجبها ناظرة إليها في قلق وخوف . وهذا معناه : « كيف حاله ؟ » فتد عليها مدام باريون ، بأن تخفض عينيها في حركة سريعة ، بعد أن تنظر إليها نظرة يظهر فيها الاطمئنان . أي : « أنه بخير » .

وأتت أخيراً ، مدام باريون ، الى الكونسيير جيرى وحيدة ، فقد كان ولدها مريضاً . وقالت للعارس بصوت بين العالي والمنخفض ، حتى يكون مسموعاً من الملكة : لقد جئت وحدي ، فولدي مريض !

كان مفروضاً على الملكة ، ألا تكلم أحداً . ولم تكن قد خالفت هذا الامر مطلقاً .. إلا أنها سألت مدام باريون ، بصوت خافت بدا فيه القلق : « هل بعنوا بطبيب يعالج الطفل ؟ » وأحست مدام باريون ، ان قلبها يذوب تأثراً وكداً . وأشارت لها بالنفي .



كانت مدام باريون ، تجلس بالقرب من سرير ولدها . وقد أصبح لا يفادر الفراش . فتأخذ يديه المحمومتين بين يديها - وهي تفكر في سؤال الملكة . وحنانها واهتمامها بالطفل ! وتأكدت مدام باريون ، ان جميع الامهات هن شعور واحد . ويعرفن كيف يتفاهن فيما بينهن . بما في ذلك الملكات . ثم قالت والامي يحق فؤادها : « لماذا يريدون قتل هذه المرأة ! » .

أجل ، إن جميع الامهات يمكن هنّ التناغم سوياً . فعندما ارتدت مدام باريون ، ثوب الحداد ملوت ولدها وأتت بعد ذلك للمرة الاولى ، الى سجن الكونسيير جيرى . . وكان الحزن قد أسقمها ، وبدا على وجهها الألم المضي ، وتقرّحت أجفانها من البكاء . فأن أن دخلت الى حجرة الملكة ، حتى ركعت هذه في صمت ، أمام أختها في الحزن . وكانت ماري

انطوانيت تركع أمام منظفة الملابس ، والدموع تسيل حارة فوق خديها !  
 ويوم أن صعدت ماري انطوانيت ، الى المقفلة . حبست مدام باريون نفسها في منزلها ،  
 وهي تقامي أشد الآلام النفسانية . ومكنت في عزلتها بعض الوقت . ولكنها عدت عن  
 ذلك . لثلاث تنبيه اليها ظنون الجيران . نعم يجب ألا تنجس اليها الشكوك . وذلك من أجل  
 الطفل ، نزيل سجن المعبود — الذي وكل اليها أخيراً أمر العناية بملابسه . دون اخته الطفلة  
 التي لا تدري عنها شيئاً — ذلك الطفل الذي يعيش في وحدة وبؤس . وقد خيّل اليها وهي  
 المرأة الضعيفة ، أن عليها واجب حمايته بطريقة خفية !

كيف استطاعت هذه المرأة ، أن تجعل أولئك القوم ، المرضى بحب التجسس ، يتركوها  
 تداوم الهجيء الى سجن المعبود ، دون أن يهتوا بها أو يلتفتوا اليها ! ذلك انهم رأوا فيها  
 امرأة مسكينة ، قد استبد بها الحزن لموت ولدها . فهي تحب العزلة ، ولا تحب أن تتكلم  
 أو تنظر الى أحداً ولكنها ترى وتسمع كل شيء ولا تفوتها كلمة أو إشارة تتوهم انها قد  
 تمس حياة الطفل .

\*\*\*

ولاحظت مدام باريون ان قلبها يذوب أسمى وحرناً . إن الطفل السجين قد أصبح  
 نحيلاً وزاد شحوبه . كما انه كان يجلس مطأطئ الرأس فوق ممريره الصغير . لا يتحرك  
 وقد تدلت ساقيه . وكأنما هو غريق في لجة من الحزن ! وكان بالقرب منه بعض اللعب .  
 ولكنها قديمة ألفها من زمن بعيد . كما أحزنها أنه أصبح قليل الكلام . غير أنها معتمنة  
 يوماً يتكلم . كان يتكلم متأوهاً . وكأنما يخاطب نفسه . ذاكرآ « نوبل » وهداياها في الأيام  
 الخالية . ثم توصل اليه أن يهديه كتاباً مصوراً ! لقد وصل الى جمع المسكين بأن عيد  
 الميلاد آتٍ بعد قليل !

لقد أقبل نوبل ! انهم قطعوا الرقاب ، وغيروا الاوضاع . ولكن ليس في مقدورهم  
 أن يمنعوا صفار الاطفال ، أن ينتظروا مجيء الطفل يسوع عند المدفأة !

كانت مدام باريون ، قد احتفظت بلعب ولدها بعد وفاته ، كذخيرة للذكرى . وكان منها  
 كتاب مصور .

لم يتوصل أي انسان ، الى معرفة ما هي الطريقة التي أمكن بها مدام باريون ، أن تدخل في ساعة متأخرة من ليلة عيد ميلاد المسيح ، الى حجرة وليّ الهد السجين . وكان قد وضع حذاءه الصغير في المدخنة سرّاً ، قبل أن ينام . فذا ما أصبح الصباح ، وجد الطفل ، كتاب الصور فوق حذائه . أما منظفة الملابس . فقد قبض عليها .

لم يكتشفوا شيئاً في الكتاب ، يوجب الريبة . ولكن حوكت مدام باريون ، أمام محكمة النورة ، وحكت بادانتها ، بدعوى انها ارتكبت والطفل سجين المعبود ، جريمة « التواطؤ السري » ولانها خافت « ثقة الشعب » وعلى ذلك ، فقد حكم عليها بالانعدام . ولم تدافع مدام باريون عن نفسها . فانها كانت تعلم أنهم سوف لا يدركون معنى ما تريد أن تقول . دفاعاً عن نفسها ، ولم تكن كذلك ، لتشعر بالخوف من الموت ، أو بالأسف على الحياة . ولكنها أصبحت قلقلة النفس ، حزينة الفؤاد لأنها ستترك الطفل السجين ، وحيداً في هذه الحياة ...

وعند ما نقلوا مدام باريون ، الى السجن المعد لها ، سألت الجندي الذي كان يقودها من أحد الدهايز الموصلة الى حجرتها : « يربك ياسيدي : ماذا قال الطفل عندما وجد كتاب الصور ؟ » ولم يكن ذلك الجندي شريراً قاسياً كما كان الآخرون . فأخذته الشفقة من أجل تلك المسكينة . وقال لها بصوت خافت ، وهو يرفع كتفيه : تسألين ماذا قال ؟ لقد فعل ما تفعله جميع الاطفال : صفق بيديه طرباً . وصاح قائلاً : « ها قد فكر في نويل انويل أتى إليّ فانهم لم يتمكنوا من أن يمنعه عني أبداً » . فابتسمت المرأة الشعبية ، وفاض على وجهها البشر والمرور . ثم قالت بعد أن فكرت قليلاً : « إنه ليس بالشيء الكثير ، إذا أنا ضحيت بحياتي في سبيل أن أبعث الفرح في قلب طفل صغير ممكن نبذه الجميع » .

\*\*\*

وها هي ذي تلك المرأة الحظيرة الشاذ ، ترتفع بتضحيتها هذه ، وهي لا تعلم ، الى أعلى الرتب العظيمة . فتأخذ مكانها بجانب من قاموا بأشرف التضحيات وأسمائها :

نعمت ميني

## عازفة الليل

على معروفك النشوان سرّ ملنّ مكتوم  
لحون في معانيها أمانى عاشق محروم  
تناجي الليل والشيطان والبدر على الماء  
فيهي الطلّ مدراراً ، ويمجري النفس المحموم.

\*\*\*

وفي معروفك النشوان قلبي إذ يناديك  
إلامّ القل يا روحي وسري بين أيديك ؟  
مجا الكون ، وهامّ الليل في ظلّ ولّاء  
دعبه الآن يستوحي أغانى الشوق من فيك

\*\*\*

ليالى الصيف هل تنسى مع الأمس أغانيها ؟  
وهل لا ترفع الكفّ لنجني من دواليها ؟  
وهل لا تغلق الكأس على الفحن بصباها ...  
إذا ما دلت الحسناء والصباها في فيها ؟

دنا الموعدُ ، والأفهام يا حسنة تدعونا  
وهذا العمرُ ساعاتٌ لمن يطويه مفتونا  
تعالى نقطع اليلة في سكرٍ واقفاء  
ونحيا في تفاهاتٍ كما يحيا المحبونا

\*\*\*

لمن هذا الندى المسكوبُ فوق المشبِ والزهري  
لمن هذا الشراعُ الخالم الساري على النهر ؟  
لمن هذا الجوى المكتومُ كالنارِ بأحشائي ؟  
تعالى تترك المعزف لا يشكو على النهر .

\*\*\*

هي اليلةُ يا روجي ... وننساها اذا شئتِ  
وننسى كيف ننساها إذا ما اشتقتُ واهتقتِ  
هي الحلمُ الذي يختال في سحرٍ واغراء  
إذا ضاعت .. تمنى قلبك الوهانَ لو جئتِ ا

القاهرة

يوسف جبرا

# المناعة والتلقيح

يراد بالمناعة ما يملكه الجسم الحيواني أو البشري من القدرة على مقاومة العوامل المرضية بنجاح كافٍ بحيث لا يشعر الشخص أو الحيوان الذي يقال أنه ملقّح ، بشيء ما ، أو أنه يمرض فقط ببعض اضطرابات خفيفة وقتية — في حين أن الشخص غير الملقح يبقى مريضاً لاصابات خطيرة بل مميتة .

والمناعة لها من التأثير في حياتنا الصحية ما لا يقدره الكنهون منا حق قدره . كيف لا وهي تلك القوة الحيوية الكامنة في أجسادنا التي تمنع عنها عدوى الأمراض الوبائية أو السارية ، فتقاوم هذه الأمراض وتعيد الى الجسم حالته الطبيعية . بل هي التي تصد هجمات الجراثيم الفتاكة التي تقترب الفرس السامحة وفقرات الضعف فينا لتهاجمنا وتتغلب علينا . ألا ترى حياتنا في نضال دائم ودفاع مستمر لصد غارات تلك الأمراض وما توجهه هذه الينا من سهام قاتلة قواها حيوانات بحيرية وحشرات مختلفة وبعموض متنوع وماء ملوث وطعام ضار وهواء فاسد وطادات ذميمة . . وكلها أعداء لا يستهان بها تحاول أن نصلينا حرباً حواناً وتفتك بنا ، فكيف نتقي أذاها إن لم تكن فينا مناعة قوية وجسم ضحيح مقاوم ؟ بل كيف نحذر غوائلها وعدوانها إن لم تكن في دمانا وسوائل جسمنا كريات دم دفاعية سليمة لتحيط بذلك العدو الداخلي وتقضي عليه في مهده ؟ والمناعة نوطان : طبيعية واكتسابية ، فالأولى منها تكون موروثة ، والثانية مكتسبة في أثناء الحياة .

١ — المناعة الطبيعية : هي التي تنتقل إلينا بالارث الطبيعي من الآبوين والجدّين : ككريات دم دفاعية ، وغدد افراز سليمة ، وأعضاء داخلية صحيحة وأوردة دموية مربة وبنية متينة . وما المقاومة التي يبديها الانسان أزاء بعض العوامل المرضية إلا برهان على وجود مناعة طبيعية عنده . وهذه المناعة إما أن تتناول جميع طبقات الحيوانات أو تقتصر

على بعض منها ، أو أنها لا تتناول في بعض الظروف الخاصة إلا أشكالاً من نفس النوع . ولتأخذ مثلاً على ذلك الحيوانات المجترة التي لا تتأثر بالعام Morve إلا نادراً — بعكس الخيل التي تصاب بهذا المرض بسهولة كلية . وبنفس سهولة أيضاً تصاب الكلاب بالجرمة الخبيثة ، والدجاج بالكراز .

أما في باثولوجيا الإنسان فالزنج مثلاً يكونون أقل حساسية بكثير من البيض للاصابة بالمalaria والحُمى الصفراء ، بينما السل والجذري يكونان بنوع خاص على الزنج أنفسهم شديدي الوطأة . وهكذا قل عن الميضة ( الكوليرا ) التي تصيب الأوروبيين أحياناً ، فهؤلاء يكونون أكثر استعداداً وأسهل تأثراً بها من سكان الهند مثلاً .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ألا نرى دائماً بين السلالة البشرية الواحدة أشخاصاً ذوو مقاومة شديدة أزاء بعض العوامل المرضية ؟ فكل منا قد لاحظ هذه المقاومة إبان انتشار الأوبئة الخطيرة كالهيضة والتيفوس والجذري وغيرها . ولنتصور مثلاً شخصان يشربان من ماء واحد ملوث بمجراثيم الحمى التيفية ، فيصاب الواحد منهما وبسل الأخير ، وما ذلك إلا لمناعته . وأشخاص آخرون يقربون من مجرى ماء ملوث أيضاً بمجراثيم الميضة ، فيصاب فريق منهم بها ويبقى الفريق الآخر سالماً من كل ضرر . وهكذا قل عن الزلّة الوافدة ( الانفلونزا ) التي إذا ما تفشت يوماً في مدينة أو قرية ، أصيب بها بعض الناس ونجا البعض الآخر نتيجة المناعة الطبيعية عنده ، مع أن الاصابة واحدة والتعرض للعدوى بالداء واحد . وكمن مريض اشتد عليه الداء وكاد يورده موارد الهلاك ثم لم يلبث أن زال هذا الخطر عنه لقوة مناعته ! بل كم من عليل أيضاً أصابه ما أصاب الأول وبذل نطس الأطباء أمامه جهودهم ومعارفهم ، ومع ذلك فقد باءت مساعيهم بالفشل وقضى المصاب نحبه لضعف مناعته .

بيد أن هذه المناعة لا تكون بوجه عام مطلقة بل هي تقبّل غالباً بتقدم السن . فحسم الحدث مثلاً بأنسجته التي لا تزال ضعيفة وفي دور النمو يكون أسهل تأثراً وقبولاً لكثير من الأمراض التي يقاومها عادة البالغون أو متوسطو السن . وليس هذا لحسب ، بل توجد أيضاً سلسلة من العوامل والأسباب الأخرى ، المتفاوتة الأثر والتي يمكنها أن تبدل من مقاومة

الجسم واضعاف مناعته . فالغذاء غير الكافي ، والجوع والعطش ، والاجهاد العقل والجسدي ، وتردد الأمراض ، وعدم كفاية اللباس والنور والهواء ، والسكنى في الأماكن غير الصحية ، والتدخين ، والتسمات المزمعة ( كاللورفين والكوكائين ) ، وخاصة المشروبات الكحولية وأمراض التغذية ( داء السكري مثلاً ) : هذه الأسباب منفردة كانت أو مجتمعة ، تعمل بدورها على اضعاف المقاومة البدنية وتهيء الجسم لقبول الأمراض . ويساعد على ذلك : الرطوبة ، والزلات المعدية المعوية ، وتعرض الجسم الفجائي للبرد بعد الحر ، والمهوم والأحزان والخوف ولا سيما الخوف من الأمراض ..

٢ - المناعة المكتسبة : الجسم في هذا النوع من المناعة عليه أن يكون ويفرز بشغله الخاص مواداً جديدة واقية ضد جراثيم الأمراض الفتاكة التي تدخل فيه ، والمواد المذكورة هي التي نكسب سوائله وهمه قوة ومناعة .

وهناك أيضاً المناعة الصناعية المعروفة منذ أبعد أزمنة التاريخ ، وقد استعملها أقدم الأطباء كأبقراط وغيره ، ويمكن اكتسابها بطرق خاصة لمقاومة كثير من الأمراض ، لا سيما السموم ، فكثير من الشعوب والقبائل المتوحشة ، ومنها قبائل أفريقيات الشرقية ، كانت ولا تزال تستعمل بعض الطرق لاكتساب مناعة تقيها مثلاً من مفعول سم العقارب أو سم الأفاعي ، ويقوم ذلك بتعضير خلاصة من السم بشكل عجينة لزجة يُفرك بها سطح الجلد بعد شرطه شرطاً خفيفاً ، فيحدث إذ ذاك التهاب في هذا المكان يجد الشخص الملحق نفسه من بعده في مأمن من عواقب اسعات هذه الحشرات القتالة .

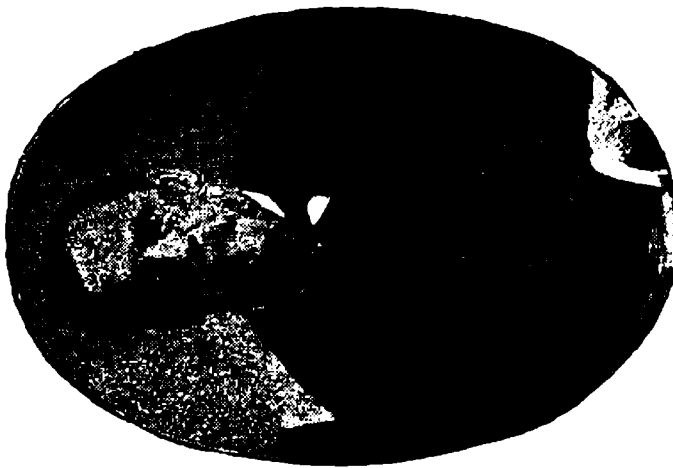
أما في أيامنا هذه فيمكن للإنسان كما هو معلوم أن يكتسب مناعة كافية ضد مختلف الأمراض السارية أو الحادة وذلك بواسطة التلقيح والحقن بمختلف الأمصال واللقاحات والتي منها خاصة المصل المضاد للحمى والكزاز والحمى التيفية والكوليرا والطاعون والجدي وغيره . والجسم الملحق في مثل هذه الحالات يبتدىء بتكوين مواد مضادة لسموم هذه الأمراض ووقاية الجسم من جراثيمها .

ولنفرض أننا لقحنا حيواناً لم يكتسب قبلاً أية مناعة صناعية — بكمية كافية من مصل صناعي يحدث مناعته عنده ، وأننا حقننا له بعد ذلك مقداراً من سموم جراثيم معينة





ادورد جنر (۱۷۴۹-۱۸۲۳)



لوئس پاستور (۱۸۲۲-۱۸۹۵)

فلاحظ أن هذه السموم تفقد مفعولها كما لو كان الحيوان نفسه عنده مناعة فاعلة Active ضد جراثيم المرض المحقون بها . فهذه المناعة المكتسبة بوساطة المصل تطول مدتها ما دام هذا المصل موجوداً في جسم الحيوان المحقون الذي أجرينا عليه الاختبار ، لكنها تزول بوجه عام بعد مضي بضعة أيام لأن المصل الغريب المحقون يُفرز سريعاً من الجسم كما تفرز جميع المواد التي تدخل في التيار الدموي فالجسم لم يتدخل والحالة هذه في تكوين المناعة المكتسبة من الحقن بالمادة الواقية المستعملة ، بل تلقاها جاهزة لهذا الغرض ، ويسمى هذا النوع من المناعة بالمناعة المنفعلة Passive

وقد اكتشف أيضاً العالم الألماني بهرنغ Behring ، وزميله الياباني كيتاساتو Kitasato الحادث الخطير التالي وهو أن المصل الدموي في الحيوانات الملقحة صناعات تجاه مموم الخناق أو الكزاز يكتسب خواص غير موجودة في المصل الطبيعي . فإذا زرعنا جزءاً ضئيلاً من المصل المشار إليه مع مقدار عمت حتماً من تلك السموم ، وحققنا به حيوانات صحيحة سالمة ، لا نرى هذه تصاب بأي مرض أو اضطراب — بينما الحيوانات الأخرى التي لم تتلقح تجاه تلك السموم ، وحدها أو ممزوجة بالمصل الطبيعي ، تموت فوراً . وهذا ما يؤيد لنا أن مصل الانسان أو الحيوان قد اكتسب بهذا التلقيح خاصية فريدة وهي مثل مفعول السموم واكتساب خواص مضادة لها ، وذلك بفضل وجود مواد خاصة تؤلف مع السموم نفسها امتزاجاً أو اختلاطاً لا ضرر منه أصلاً ، ويُطلق على هذه المواد الخاصة اسم « المواد الترياقية » Antitoxine

مدة المناعة الممكن اكتسابها : تختلف هذه المدة باختلاف الطريقة التي تكتسب بها المناعة . ففي الجدري والقرزية والسعال الديكي والحشي التيفية تكون مدة المناعة نحو أربع سنوات ، وقد تمتد أحياناً الى سبع سنوات . أما الحيوانات التي تصاب بالطاعون البقري وذات الرئة والجذرة الخبيثة فانها تكتسب بالشفاء من هذه الأمراض مناعة تقيها أعواماً طويلة . وعلى نقيض ذلك نجد أمراضاً لا تكسب الانسان أية مناعة اذا شفي منها ، مثال ذلك النزلة الوافدة والتهاب الرئة . وأخيراً توجد أنواع أخرى من الأمراض لا تترك عقبها عند المصاب - سوى حساسية شديدة للعامل المرضي ، ويدخل في هذه الفئة مثلاً الخناق

(الدفترية) والنزلة الوافدة والبنمونيا والحمرة . وما يجدر ذكره هنا هو أن درجة المناعة المكتسبة بالبقاء من هذه الأمراض لا تتناسب دائماً مع وحدة هذه الأمراض . وبعبارة أخرى نجد أن أخف الحالات المرضية وأبسطها قد تمر مريراً أحياناً ودون أن نغمر بها ، ومع ذلك فهي قادرة على اكتسابنا مناعة لا تقل عن التي نكتسبها من مرض شديد المدى مصحوب بحمى عالية وأعراض مدمية ثقيلة

التلقيح ضد الجدري : ويقودنا هذا البحث الى ذكر كلمة عن التلقيح من الجدري . فهذا التلقيح قديم العهد جداً وكان معروفاً عند الصينيين منذ بداية القرن الحادي عشر إنما طريقة اجرائه التي كانت متبعة آنثري في بلادهم ، كما في سيام أيضاً ، تختلف جوهرياً مما هي عليه اليوم . فقد كانوا يدخلون قشور بشور الجدري في تجاويف الأنف عند الشخص المراد تلقيحه . أما في المعجم فكانوا يعملون خدوشاً صغيرة على سطح الجلد ويفركونها بقشور جدري مسحوقة . وهكذا قل عن شعوب بلدان الشرق الأقصى التي كانت لها طرقاً خاصة لنفس الغرض

\*\*\*

ولما كانت سنة ١٧٢٤ أمت الى انكلترا سيدة انجليزية تسمى اللادي مونتاجو Mantague كانت تقطن الامتانة في ذلك العهد وجلبت معها الى أوروبا الطريقة التي كانت متبعة آنثري في اليونان والتي تقوم بتلقيح أصحاء الأبدان بمطعوم مأخوذ من انسان مصاباً بالداء ، اعتقاداً منهم أنهم لا يسلون من الداء إلا بنفس الداء . والطريقة الآنف ذكرها كانت مستعملة خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر واكتشفت كغيرها بعراق المرض ، لكن ممارستها لم تكن متقنة ثابتة ولا على أساس علمي واضح ، وهذا ما جعل الناس غير متأكدين من نجاحها ، ولذا أهمل شأنها كطرق العلاج الأخرى الكثيرة النافعة ، حتى إذا جاء الطبيب الانكليزي الخالد الذكر ، ادورد جنر Edward Jenner (١٧٤٩ - ١٨٢٣) مكتشف اللقاح الواقي ضد الجدري ، فقوض الأفكار القديمة المغلوطة وقسبها رأساً على عقب .

وبقرن إمام الطبيب جنر الذي يدين له العالم اليوم بكثير من الشكر بإحدى الحوادث

الهمة في تاريخ التلقيح ضد الجدري . فكثير من الملاحين كانوا يعرفون أن الماعوم يتورق الإصابة بداء الجدري . وقد اعتاد الناس في بلوختان من أزمان طويلة على ارضاع أطفالهم من أبقار مصابة بالجدري حفظاً لهم من الإصابة بهذا المرض . غير أن الطبيب جنر كان أول من عمل على تحضير اللقاح واستعمله فعلياً عام ١٧٩٨ ، بعد دروس متواصلة دامت عشرون عاماً ، فوضع بذلك الأسس المتينة الأولى لمعارفنا الحالية عن قوانين المناعة ونواحيها .

\*\*\*

وما تقدم يتبين لنا أنه قبل مجيء ادورد جنر كانوا يحاولون أن يكسبوا الجسم مناعة بواسطة مواد سامة جداً كثيراً ما كانت تؤدي الى الوفاة . غير أن جنر لم يكن يستعمل للتلقيح سوى السائل الموجود في البثور الجدريية ، وهذا السائل لا يسبب أبداً عند الانسان عدوى جدريية خطيرة ، بل دمايل وبثور فقط في المكان الملقح لا تلبث أن تفيئ سريعاً دون إحداث اضطرابات هامة في الجسم لأن اللقاح المستعمل حسب طريقة جنر لا تتخلله مادة سامة ، إنما مادة جدريية مخففة ، ويحدث هذا التخفيف في جسم البقرة نقصها التي هي أقل حساسية من الانسان للإصابة بالجدري

وقضية التلقيح ضد الجدري قد أصبحت معروفة جيداً في أيامنا هذه ، وتقوم كما لا يخفى باستعمال اللقاح البقري : فبعد تلقيح المعول يؤخذ الصديد الذي يتجمع في البثور ويوضع في أنابيب معقمة ثم يستعمل عند الحاجة . وهذا اللقاح هو الأكثر استعمالاً في أيامنا هذه . أما اللقاح البقري فيستخرج من الصديد الذي يتولد في البثرة بعد تلقيح الانسان ، وهذا قليل الاستعمال لأنه ينقل أحياناً أمراضاً معدية قد تكون موجودة في الشخص المنقول منه اللقاح : كالداء الزهري مثلاً أو الملاريا الخ . ويقدر المارفون أن عدد الحوادث التي تنجم اليوم من مضاعفات التلقيح ضد الجدري قليلة جداً : ٦٩ : ١ حادثة على ١٠٠٠٠٠ تلقيح ، وأغلبها خفيفة وقتية . أما من حيث الوفيات الحاصلة من مضاعفات التلقيح نفسه فنقدر بـ ٤ فقط من مليون طفل ملقح ، وأسباب هذه كلها ناشئة بلا ريب من إهمال

النظافة والتطهير ومن عدم تغطية المكان الملقح بضاد صغير يقيه من الاوساخ والعدوى الخارجية .

\*\*\*

بقي أن نذكر كلمة أخرى عن داء الكلب والحقن الواقية والشافية منه . فالعلامة الفرنسي باستور ( ١٨٢٢ - ١٨٩٥ ) وجد له حلاً مختلفاً . فقد أخذ النخاع الشوكي من حيوان توفي بهذا الداء للبحث فيه عن المادة السامة التي أدت الى وفاة هذا الحيوان . فوضع النخاع في زجاجة تحتوي في قعرها على البوتاسا السكاوية ، وهذه البوتاسا تجفف هواء الزجاجة بامتصاصها بخار الماء ، ويحجف النخاع أيضاً بهذه الطريقة ، فتضعف سميته تدريجياً بحيث تغدو بعد ١٢ - ١٤ يوماً معدومة ولا لها أي تأثير على أحداث السكب في الحيوانات المراد تلقيحها . ويبتدىء العلاج للانسان بحقن النخاع المشار اليه : أولاً من ذي الاربعة عشر يوماً ، ثم من ذي الثلاثة عشر يوماً ، فالثاني عشر فالخادي عشر الى أن نصل أخيراً الى النخاع الذي مضى عليه يومان فقط ، والعلاج الكامل يدوم نحو عشرين يوماً . ويجب تلقيح المصاب مرتين خلال الحزمة أيام الاولى ، أما في العشرة أيام الاخيرة التي تستعمل له فيها نقاط شديدة الفاعلية فلا يعمل له خلالها سوى تلقيح واحد .

وقد استنبطوا أيضاً طرقاً أخرى لتخفيف سمية الداء بغية تلقيح المصابين به . فحربوا مثلاً استنبتات جراثيم هذا الداء وتربيتها في معامل الاختبار ، في ظروف لا تنمو فيها الخواص البيولوجية لهذه الجراثيم ، وعلى الخصوص قدرتها المرضية واستعملوا أيضاً لهذا الغرض عوامل طبيعية وكيميائية مختلفة ، تخفيفاً لسميتها ، أو ابادة لهذه السموم ، وذلك تارة بالحرارة وأخرى بإضافة بعض مواد مطهرة كالحامض الفينيكى مثلاً . وفي كل حال يكفني في مثل هذه الحالة بأخذ المواد السامة المخفف مفعولها - تلك التي نمت من تربية الجراثيم المذكورة في معامل الاختبار ، وواضح أن أخطار التلقيح تكون أقل اذا استعملنا جراثيم مرضية ميتة في تلقيحاتنا اليومية .

الركنور عبره رزق

بيروت - لبنان

# الساكن الجديد

يحكى أنه وقع في سالف الزمان حادث غير مألوف في حيّ عتيق من أحياء القاهرة .  
فقد زل بذلك الحيّ رجل مريّ المظهر ، واختار لسكنه منزلاً قديماً متّصفاً بملكه  
الحاج محمد الشريفي ، الشيخ الرقيق الحال .

وتجمع أناس من أهل الحيّ في مقهى زريّ ، وطفقوا يتساءلون عن السبب الذي دنا  
ذلك الغريب السريّ الى اختيار حيهم الفقير الاقامة فيه . وقال أحدهم بعد أن هدّ من  
رجلته نفسه طويلاً ، وأطلق دخانها في الهواء .

— يبدو لي أنه غير مصريّ .

فغضب رفيق له يجلس الى جواره .

— ولمّ ذلك ؟ .. ألاّ أنه صبيح الوجه مشرقه ؟ ... هو المرء الذي يضفي على صاحبه  
مثل هذا الروف .

ورفع أحد الحاضرين فنجان القهوة عن فمه وقال .

— يجنّب إليّ أنه أمير .

وشرق مدّخن النرجيلة بدخانها على أثر ضحكة انتابته ، وتساءل متحمّكاً بعد أن سكن  
هو والذين جاروه في الضحك .

— أمير يقطن حيننا ؟ ..

وظهر الحاج الشريفي حينئذٍ دليّ عقبة المقهى ، وقال وهو يضحك عن أنياب صفر  
متأثرة في فمه المظلم .

— ولمّ لا يقطن داري أمير ؟ .. إنه منجق كبير خطير .

وتمالت الأسئلة منهاه عليه من كل جانب .

— أأبلىته ؟ ...

— ماذا قال لك ؟ ..

— وكيف عرفت أنه منجى ؟ ؟ ...

— اصمتوا حتى يقصّ علينا الأمر .

— أتيحوا له فرصة للكلام .

وجلس الشيخ إلى جوار مدخّن الرجيلة مزهواً بنفسه . وقال بعد أن سكنت الجلبة .

— شاهدت بعيني شارة وظيفته مطبوعة على أوراقه ، وعلى أثاره .

ألم تروا خادمه في ثوبه الموثى بالقصب ؟ انه من سناجق المالك المرموقين .

خاوره جليسه قائلاً :

— إذا كان الأمر كما تقول فلا بد من أن تكون دولته قد دالت .

وقال آخر :

— لا بد من أنه فقد جاهه وماله .

فاحتج الحاج قائلاً .

— لا ، إن مظهره يدل على الغنى . ألم تروا خادمه في حلته الثمينة ؟ ألم تلاحظوا

ريشته أثناء نقلها الى الدار ؟

ثم دس يده في جيبه ، وأخرج قبضة من النقود الذهبية وضعها على المائدة . وصاح  
وقد انفرج ثغره عن ابتسامة عريضة .

— انظروا ... لقد دفع لي قيمة الايجار عن الثلاثة الأشهر القادمة ...

هذا الفقير المسكين !! ...

مرت الأيام ، وتحول المنكرون الى مصدّقين ، وانقلب استخفافهم بالسناجق الى إعجاب

به ، ونفاز بإقامته بين ظمرائهم . وزاد هذا التبدل الذي طرأ على القوم زهو الحاج الثريبي

واعترازه بداره التي شرّفها ذلك العظيم باختيارها سكناً له وتبدّل حال الحيّ فلم يفرق في

مثل الركود الذي كان غارقاً فيه من قبل . بل تعددت المشاهد التي بهرت قطانه . كان بعض

الترسان يقصدون على ظهور جيادهم المطهمة دار السنجق ، ويحيون فيها ليالي لهو وطرب  
تتلاً الأرجاء أحوال عجيبة تتخللها صيحاتهم وقهقهاتهم .

وتناول خادم السنجق في ليلة تغيب فيها مخدومه من داره ، وتوجه الى ذلك المقهى  
الذي سبق ذكره ، وأخذ يحدث المجتمعين فيه عن جاء سيده العريض ، وسلطانة العتيد ،  
ومن تواضعه على الرغم من ذلك الجاه والسلطان . ثم تطرق الى ذكر ثرائه الواسع ، وأخذ  
يلين الجود الذي كثيراً ما أتى على ما عنده من مال قبل أن يرسل اليه ناظر مزرعته ريعها  
السري الوفير .

وتعددت زيارات الخادم للمقهى . وبالحق مستقبليه في توقيره ، وبالغ هو في إحاطة نفسه  
بظاهر الوفاق حتى بدا كأنه السنجق نفسه . وقال ذات ليلة لمالك الدار التي حازت الشرف  
الأكبر .

— لا بد لي من أن ألفت نظرك إلى أمور لا يعرفها مثلك فالسنجق لا يزار . ولكنه  
هو الذي يستدعي من يفاء الى داره متى يفاء . والسنجق لا يطالب بمال ولكنه يفتدق من  
ماله متى يشاء على من يفاء .

وكان صوت الخادم وهو يلقي عباراته رهيباً فلم ينجز عن بث الرهبة في قلوب محتبيه  
وانقضت الشهور الثلاثة على هذا المنوال . وحل دفع قيمة الايجار الجديد . ومنى  
الحاج نفسه بأن ينفعه السيد العظيم قبضة أخرى من القطع الذهبية . ولكن الأيام تعاقبت  
بعضها في إثر بعض دون أن تتحقق هذه الأمنية . وساوره القلق ، ولكنه ظل يتظاهر  
لرفاه من رواد المقهى بالطمئنان ، ويضع السنجق فوق كل مظنة . على أنه كان لا يملك  
من حطام الدنيا الا تلك الدار ، وليس له من مورد لرزقه ورزق أولاده الا ما تغلسه ، فلما  
طال انقطاع ذلك المورد عنه ساءت حاله ، وعضه وعض أهل بيته الجوع ، وخانه الصبر فلم  
يلق السكوت . وراح يقص على أولئك الرفاق ما يعاني من ضيق . فقال له مدخن النرجيلة ،  
وكان يمت اليه بصلة نسب .

وما الذي أسكتك الى الآن ؟ اذهب اليه ، واشك له سوء حاله . فهو اذا ما وقف على  
حقيقة أمرك أعطاك فوق ما تطلب .



وتعالت العبارات التالية من جوانب المقهى على التعاقب .

— لعل السنجق نسبك ! فقيمة إيجاره الزهيدة مما لا يخطر لمثله على بال .

— اذهب اليه واطلب نقودك ، فهو لا يرضى بأرهاق فقير مثلك .

— لم لا تذهب اليه ؟ .. لا شك في أنه سيرفق بك ، ويطيب نفسك

وهو الحاج محمد رأسه متنهداً وغمغم .

— السنجق لا يزار ... السنجق لا يطالب بمال .

وأسقط في يد القوم ، فلما وجدوا أن ليس في الأمر حيلة ، صارحوا أصحابهم القوم بأن ليس له في مثل هذه الحالة إلا الأذعان .

وكان خادم الأمير يتحاشى في تلك الأثناء المقهى . ولكنه توجه اليه أخيراً في ليلة حميمها القوم سعيدة الطالع ، وأخبر الحاج محمد بأن سيده تعطف فأذن له بزيارته في الصباح التالي . وما كاد الرسول يعود أدراجه حتى صاح الشيخ متلهلاً .

لقد كنت أتوقع ذلك ، والسنجق لا يهضم الحق كغيره من الناس ولا يستهين بالشرف استهانتهم به .

وتنفس القوم الصعداء ، وتباروا في تمجيد السيد الكبير والتحدث بمناقبه . وأمرع الحاج في الصباح الى منزل السنجق ، فاستقبله هذا الأخير هاشماً ، وابتدعه بقوله .

— لعنة الله على ناظر مزرعتي !! ذلك الممهل الذي لم يرسل إليّ حتى الآن ما طلبت من مال . على أنه بعث إليّ منذ يومين بخطاب يدعو الى الطمأنينة . وأنا ان أكتفي حين وصول المال المنتظر بدفع الإيجار الذي تطلب حسب ، ولكنني صأنفحك إيجار العام المقبل سلفاً . وحملق الحاج في جليسه وقد بردت أطرافه ، واضطربت أنفاسه . وواصل السيد كلامه بعد تردد قصير

— وبما أن نقودي قد نفذت ، فأعطني مبلغ خمسين جنيهاً على أن أردّه إليك مع البالغ الأخرى .

ودار المكان بالحاج ، وأظلمت الدنيا في عينيه . وحاول أن يذكر لأمريّ التي رثه

ماله ، وجوع عياله ، وقضاءه أياماً طوالاً لم تقع عينه فيها على قطعة من المال . ولكن الكلمات حشرجت في حلقه الذي جفّ ويبس . ووقف السنجق خذا حذوه في غير وعي . ولم يمد إلى رشده إلا على صوت الخادم الذي طفق يسأله وهو يقوده إلى باب الدار .

-- ماذا دهالك ؟ ... ألم يعطك سيدي ما تسأل ؟  
فأجاب فاغراً فاه :

-- لا ياسيدي . بل طلب مني خمسين جنهما ... أنا الذي لا يملك خمسة قروش .  
وصاح الخادم وهو يبدي دهشته :

-- أطلب منك هذا المبلغ حقاً ؟ ... أأولئك كل هذا الشرف الكبير ؟  
فغمغم الحاج في مرارة :

-- ولكني لا أملك شيئاً . ألا تفهم معذرتي ؟ .. أنا لا أملك قرشاً .  
ورفع الخادم رأسه ، وحج الحاج بنظرة صارمة . وقال :

-- طلب السنجق أمراً واجب الطاعة ، فلا معدى لك عن أن تصدع له .  
واجتمع الحاج في المقهى بلسبيه ورفقائه ، وأعاد على مسامعهم ما دار من حديث بينه وبين كل من السنجق وخادمه . ولما رأى الوجوم يسود الجمع ازداد اضطرابه ، وأخرج مندبله الأحمر العريض ، وأخذ يمسح به العرق المتصبب من وجهه  
وقال نسيه ، بعد فترة مكوث .

-- إن الله ذاته لا يكلف نفساً فوق وسعها .  
وعدّ بعض الحاضرين هذه العبارة تحدياً للسنجق فلم يرتاحوا إليها ، وصاح أحدهم .

-- لا يجمل بنا أن نخذل سيداً كبير القدر في ضيقه .  
فردّ الحاج محتدّاً .

-- ولكننا لنماني ضيقاً أشد من ضيقه .  
وعقب نسيه بقوله :

-- من أراد منكم عون السنجق ، فليعنه بماله لا بمال غيره .  
فتمالت الصيحات من جوانب المقهى :

— لا يجعل بنا أن نخذه .

— لا بد من أن نتعاون على تلبية طلبه .

— هذا واجب لا مفر منه .

— أنا أدفع جنيتها .

— وأنا أدفع جنيتهم .

واشتعلت الحماسة بين الحاضرين ، فجادوا بضمن قوتهم ، ولم يحمل المساء حتى تجمع لديهم المبلغ المطلوب . وجاء الخادم الى المقهى يستطلع أخبار الحاج ، فوجد مطلب سيده موفوراً ، فحمله اليه راضي النفس مسروراً .

ونعاقبت الأيام دون أن تنفرج أزمة السنجق فيني بوعده ، ويؤدي دينه . ولم يفكر أهل الحي في تفريج ضيق الحاج كما فرجوا ضيق مدينه ، إلا إذا استقنينا نسيده الذي قامته قوته ، وحرم نفسه حتى تدخين الزجيلة ليوفر معاش الأمرتين .

وكانت الليالي تمر بالمقهى متجانمة لا يجد فيها الجديد . فالوجوه التي تجتمع هناك تظهر بعينها في كل ليلة ، والاحاديث التي تدور بينها لا تختلف ولا تتنوع . على أن غريباً دخل ذلك المقهى في إحدى الليالي فاستثار فضول الحاضرين ، وكان جاء ليقابل صديقاً له من أهل الحي فلم يجده ، ورأى أن ينتظر قدومه ، فانتحى ركناً من الأركان ، واتخذ له مقعداً فيه . وممع القوم يتعدثون عن السيد الكبير نفاض غمار الحديث وسألمهم :

— أهو طويل بدين مبطان ، وجهه أبيض ، وشعره أحمر ؟؟

فصاح الحاضرون

— هو كذلك ... أنعرفه ؟

ولكنه ناد يسألهم .

— أهو خادم وسيم يلبس القصب ؟

فأجابوه مثلهم :

— نعم هو بعينه .

وانهالوا عليه أسئلة .

— ماذا تعرف عنه ؟

— أهو سنجق حقاً ؟

— أهو غني ؟

— حدثنا عنه بربك ...

وصمت الغريب حتى سكنت الضجة ، ثم طفق يقول :

— نعم ، كان منجقاً واسع الثراء ، ولكنه لم يتوان عن تبديد ثروته . ولما حل به الفقر بعد الغنى ، عجز عن احتمال ذلة الفاقة ، وراح يلتمس المال عند الأثرياء من معارفه القدماء ، فكان يقصد الواحد من هؤلاء فلا يرجع من عنده إلا بتمتلى الوفاض . ونزل فندقاً لم تعرف القاهرة أغنى منه ، وفاض على كرم أصدقائه عيشة لا تقل في مظاهر بذخها عن عيشته أيام ثرائه .

والكن كرم أصدقائه لم يلبث أن شارف نهايته ، فأخذوا يتبرمون به ويعطابه ، ويرصدون أبوابهم في وجهه ففجعت موارد رزقه ثم نصبت ، وعجز عن سداد مطالب الفندق فطوب بمغادرته . وتناقلت الألسن أخباره التي سرعان ما وصلت الى خدم الفندق . وأشفق هؤلاء عليه ، ورفقوا بحاله ، ورأوا أن يتعاونوا على تعريج كرامته ، فإذ كل منهم بما وسمعه وجمعوا خمسين جنيهاً ، والتجأوا الى خادم السنجق ليرفع الى سيده هبتهم المتضعة . ولكن الخادم عاد بها إليهم ، وأنبأهم أن همدومه لا يقبل منحة من الخدم . ثم إنه لا يتنازل فيقبل هبة ثقل عن مائتين من الجنيهات .

وتهدج جلاسى المقهى فرحاً لدى سماع هذا القول ، وصاح أحدهم .

— والكن السنجق كرمنا فقبل منا هبتنا .

وصاح آخر .

— لقد رضي منا بخمسين جنيهاً فقط ١١ ..

وابتنم الزائر الغريب ثم أردف .

— لكن السنجق بعث برسوله بعد يومين الى خدم الفندق ينبئهم أنه رأى بعد التروتي

أن بقدر ماطقتهم النبيلة ويقبل هديتهم ....

وطأ طأ القوم رؤوسهم ولم يجرؤ أحدهم على القطع برأى في أصر السنجق الى أن تعالى صوت من أحد الأركان يقول .

— يا له من سيد كريم نبيل ١١

فهب القوم رؤوسهم مصدقين ، وهمموا مؤيدين ....

واستحكمت الشدة التي كان نسيب الحاج محمد إيمانها . فانه لم يكن يحصل فيما مضى على ثروت عياله إلا بفق النفس . فلما تضاعف حمله كاد ينوء به . وراح ينقّس عن نفسه بانقاص قدر السنجق ، والنيل من محمته ، ووصمه بخراب الامة . وأخذ يدفع الحاج الى المطالبة بحقه والاشتداد في ذلك . وقال له في عصر أحد الأيام وهما جالسان على باب المقهى .

— لماذا تهيب به الى هذا الحد ؟ أهضم حقمك ، ويتركك وأهل بيتك عراة جائعين ، بينما ينفق هو المال على قصفه ولهوه بغير حساب ؟ ثم لا يكون جزاؤه منك إلا التبجيل والتكريم ؟

خار الحاج هنيهة . ثم رفع بصره إليه وقال :

— ان كنت أنت لا تخشاه فاذهب اليه وطالبه بمحبي نيابة عني .

فتهدج الرجل حساسة وصاح .

ولم لا أذهب إليه ؟ أتخشب أنه سيسلخ جلدي ؟ ... أو سيدفني حياً ؟ أما هذه المسكنة التي ضربت على أهل هذا الحي ؟

وانتفض الحاج فجأة وهمس في أذن جليسه .

— أنظر ... ها هو ذا مقبل صوبنا .

وكان السنجق يسير الهويناً تحف به الهيبة والوقار . ووقف الرجلان هيويين إذا اقترب منهما . وانحنيا له حتى كاد رأساهما يلصقان الأرض

ولسكن الجدل لم يلبث أن احتدم بين الرجلين ثاقبة ، ثم أخذوا يقلبان الأمر في روية على مختلف وجوهه حتى استقر رأيهما على أن يرفع الحاج عريضة الى السنجق بشرح فيها سوء الحال ، وعدة حاجته الى المال .

وكتب لها العريضة صديق من جلساء المقهى يكاد يرسم الحروف رسمًا ، وبالغ في وصف بؤس الحاج ، كما بالغ في الاشادة بشمال السنجق وبمطفه على المعوزين ورحمته بهم .

وأرسل السنجق في طلب الحاج على لثر وصول العريضة اليه ، وقال له حين مثل بين يديه

— أأنت فقير الى الحد الذي شرحت في استرحامك ؟ ؟

فأجابه الحاج بصوت متهدج ؟

— أولادي جباع يا سيدي الأمير .

فقال السنجق وهو يبتسم ابتسامة إهفاق :

— أما رجل هادل وأرى أنه لا يجوز أن تحتمل هذا العبء وحدك . فعليك أن تجد

لي مسكنًا آخر من منازل الحي خاليًا لانتقل إليه ، وأدع لك دارك تستغلها كما تفاء .

وسأغل أنتقل بين مساكن الحي حتى ترد لي تقودي . فان واجب كل منكم أن يضعي

كفيره في سبيل السنجق ... هذا هو العدل التام .

وقام خبيى الحاج وهو يبتسم ابتسامة دلت على رضاه التام عن نفسه .

محمد فخير السرباشي

## قرطبة

في عشية السبت الأول من أغسطس سنة ١٩٤٧ تركنا مدريد عاصمة أسبانيا بعد أن أخذنا أهبتنا وزودنا لسفر طويل يزيد عن خمسمائة ميل لكي نصل الى قرطبة قرابة عصر اليوم التالي . مرنا في أمان الله في طريق جبلي مرصوف كثير الالتواء والارتفاع والهبوط . وقد أرسل القمر أشعته الفضية على ما يحيط بطرقنا من سفوح الجبال والهضاب والوهاد ، فننعكس في أبدع صورة وأجمل ما حبهته الطبيعة من مناظر زاهدا حسنا وبهاء تلاءم أنوار الكهرباء التي تربط المدن والقرى بعضها ببعض والتي كانت تلوح لنا من بعد على سفوح الجبال فسر الناظرين إليها كأنها عقد من جمان نظمت فيه لآلىء منشورة بين المروج الخضراء استمر الحال كذلك ونحن نجتاز أنواعاً شتى من المناظر الطبيعية التي يندر وجودها في مكان آخر حتى اقتصف الليل وغلبنا النوم الى شروق الشمس بعد أن قطعنا نحو أكثر من نصف الطريق . وهنا تختلف المناظر الطبيعية عن السابقة قليلاً ، اذ تقل الارتفاعات وتسع رفعة المزارع المستوية في أغلب الأحيان رغم ما يحيط بها من جبال كأنها سلسلة من أحواض قليلة الغور بعيدة الحافة تختلف سعة بعضها عن بعض . وتنتشر فيها زراعة الغلات الغذائية كالقمح والشعير والذرة والأرز على جانبي وديان الأنهار وفروعها التي تنعدر من سلاسل الجبال المنتشرة في الهضبة الأسبانية ، كما تكثر على مدرجاتها حقول الكروم والزيتون والخروب وأنواع الفاكهة المختلفة كالنفاخ والسكرى وغيرها من الأشجار الدائمة الخضرة التي يشتهر بها حوض البحر المتوسط . وأهم ما لفت نظرنا كثرة مراعي الثيران البرية التي تربي خصيصاً للمصارعة .

وبينما نحن في مرحلتنا ومرورنا نتجاذب أطواف الحديث إذ لبت نظارنا من بعد شبح

أبنية أخذ يزداد عددها كلما قربنا منها فأخبرنا أحد موظفي وزارة الخارجية الأسبانية المرافقين لنا أنها أبنية قرطبة .

وبعد قليل وصلنا إليها وتهدأت سيارتنا مارة بأحيائها الجديدة والقديمة تجوب شوارعها الضيقة الملتوية ، تكتنفها منازل عالية متلاصقة فتحجب عن الشوارع بعضاً من إشعاع الشمس فتقل جراتها صيفاً . ولذلك كان السير في هذه الشوارع القديمة مستحب في أشهر الصيف عن السير في شوارع الأحياء الجديدة الواسعة . وتفتح أبواب المنازل في الأحياء القديمة الى ردهات صغيرة ملتوية لتحجب عن المار رؤية الداخل . وتؤدي هذه الردهة الى فناء واسع مكشوف تحيط بأغلبها بوائك على عمد وشبكة يعلوها حجرات الدار ، المطللة على الفناء . وقد غرست به أشجار الناكهة وصفت على جوانبه أصص الرياحين والازهار فيعبق الجو براحتها الزكية وتملأ حجرات المنزل . وأهم ما يلفت النظر أن أسفل جدران المدخل والفناء غشي بتريعات القيفاني البديعة الصنع الدقيقة الزخارف . ولا غرو فان تصميم هذه المنازل كان متبعاً عند قدماء المصريين ، ثم انتقل الى أرض الجزيرة بالعراق ، ثم نقله الفنانون الأمويون مع خلفائهم الى أسبانيا حيث انتشر بدوره خاصة في جنوبها وجنوبها الشرقي . وقد زلنا بأحدى تلك الدور الشرقية القديمة مقر سكن طلبة جامعة قرطبة ، وفيها استرخنا قليلاً من عناء السفر ، وأنسى لنا أن نسقيع ونحن متلهفون لرؤية آثار عظائنا المسلمين في مسجدهم المشهور بمسجد قرطبة التي تفخر به هذه المدينة ، عاصمة الأندلس قبل الفتح العربي وبعد فتحها عام ٧١١ ، وقد اتخذها عبد الرحمن الداخل الأموي في مبدأ الخلافة العباسية عاصمة له وخلفائه حتى استردها فرديناند الثالث بعد أن ترك بها المسلمون من المشروعات العمرانية المختلفة ما تشهد بعقريتهم الفذة في أنواع الفنون المختلفة وتسجل في تاريخهم آثاراً فريدة في نوعها تدل على نهضة فياضة زاخرة

فن مشروعاتهم الحيوية اصلاح القناطر الرومانية سنة ١٠١ على نهر الوادي الكبير الذي يحده المدينة من الجنوب . وقد أقام هذه القناطر يوايوس قيصر قبل الميلاد بخمسين عاماً وتنتهي من الطرف الشرقي بقلعة من بناء العرب لها برجان عظيمان .

وكان بقرطبة قرابة الإلني مدرسة لتدريس العلوم وتخريج العلماء ، وكان على رأس هذه المدارس مسجد قرطبة العظيم الذي كان بمثابة جامعة اسلامية كالجوامع الازهر إبان

العصر الفاطمي . وكان يؤمه المسلمون في مشرق الأرض ومغربها لتحصيل العلوم على أسانئها المتضلعين .

وقد بلغ من تسامح العرب الديني عند استيلائهم على قرطبة ، أن اقتسموا الكنيسة بينهم وبين المسيحيين ليقسم كل منهم شعائهم الدينية . فأقام المسلمون صلواتهم في النصف الجنوبي الشرقي المواجه للكعبة . وأقام المسيحيون صلواتهم في النصف الآخر . وظل الحال كذلك قرابة الثلاثين عاماً من حكم عبد الرحمن الأول حتى استتب الحكم العربي بقرطبة ، وزاد عدد المسلمين بها حتى ضاق بهم المسجد . فتناوض الخليفة الأموي عبد الرحمن مع المسيحيين لشراء نصف الكنيسة الآخر ليضمه للمسجد نظير مكافأة مالية كبيرة يمنحها المسلمون للمسيحيين لاقامة كنائس لهم خارج قرطبة حتى لا تتعطل شعائهم . وقد كان في وسع خليفة المسلمين الاستيلاء على نصف الكنيسة الآخر دون أي مكافأة أو تعويض . فأبى حرية الفرد الدينية اليوم من أمس

وقد تمّ الاتفاق بين الطرفين وأضيف النصف الثاني للمسجد عام ١٧٠ هـ . ويعرف هذا المسجد بمسجد عبد الرحمن الأول . وكان يتكوّن من فناء تتقدمه أروقة الصلاة ومددها أحد عشر رواقاً تفصلها عشرة صفوف من الأعمدة في كل صف أحد عشر عموداً فيكون عدد الأعمدة جميعها مئة واحد عشر عموداً . ولم ينته المسجد عند هذا الحد بل أضيفت إليه ثلاث زيادات أخرى من الجنوب والشرق حتى بلغ عدد أعمدته ١٢٩٣ عموداً . وذلك لزيادة إقبال المسلمين على المسجد فأضاف عبد الرحمن الثاني عام ٢٤٨ ثمانية أعمدة إلى كل صف من الصفوف العشرة السابقة في مسجد عبد الرحمن الأول .

وفي عهد الحكم عام ٣٥٥ امتدت صفوف الأعمدة من جهة القبلة عشرة أعمدة أخرى وجعل به محراب جميل تحيط به تربيعات القيشاني الجميلة وحولها إطار من الكتابة الكوفية عليها تاريخ الفناء .

وقد استجاب المنصور عام ٣٧٦ لرغبة المسلمين في إضافة زيادة ثالثة إلى المسجد ولكنه لم يتوسع جنوباً كما فعل أسلافه ، بل أضاف زيادة إلى المسجد من الجهة الشرقية . فأضاف تسعة أروقة بطول المسجد ليكون عدد أروقه النهائية تسعة عشر رواقاً . وقد منه نهر الوادي الكبير من التوسع جنوباً كما منعه قصر الخلافة من الجهة الغربية .

وبذلك أصبح شكل الجامع مستطيلاً ، طوله من الشمال إلى الجنوب ١٧٥ متراً وعرضه من الشرق إلى الغرب ١٣٤ متراً . وظل المسجد بدون تغيير من عهد المنصور حتى غزا قرطبة فرديناند الثالث عام ١٢٣٦ ، فبنى به معبداً صغيراً لسائت كلبنت كما بنى في زيادة



الحكم معبد آخر قوطي الطراز في نهاية القرن الخامس عشر وفي عام ١٦٠٧ تم إنشاء كنيسة عظيمة في وسط المسجد .

ويشغل الصحن ثلاث مساحة المسجد . ويحيط به من الشمال والشرق والغرب صف من الأعمدة والدعائم . وقد كان مخصصاً الى ثلاثة أقسام زرعت فيه أشجار البرتقال حتى أطلق عليه هذا الاسم . أما الآن ففيه أشجار الصنوبر والنخيل وترويه ثلاث نافورات شكل (٤) ويبدو المسجد من الخارج كأنه قلعة محصنة بجدار مميك ارتفاعه عشرة أمتار ونصف متر تتواجه شرفات مسننة ، وتبرز من الجدران دعائم سائدة لتزيد في قوة البناء وتحمل ضغط العقود المتكثفة عليها من الداخل . شكل (١)

وبالمسجد تسعة عشر باباً أهمها المدخل الرئيسي في الجهة الشمالية ويقع في نهاية الخط الذي يتعامد مع المحراب والعقد الكبير الذي يتوسط مسجد عبد الرحمن الأول . وواجهة هذا الباب من الرخام المنقوش بزخارف بدئية عذمة (كالدنلا) تتوسطه كتابة عربية وهو مصفح بقطع من النحاس بعضها مشتمل الشكل ، والبعض الآخر حشوات صغيرة متعامدة حفرت عليها زخارف نباتية (أرابيسك) . وقد أزال المسيحيون - عقب استيلائهم على قرطبة وتحولهم المسجد الى كنيسة - بعض هذه الزخارف وحفروا بدلها صليباتاً وشارات ملوكهم من الكاستيليين ١٣٣٧ .

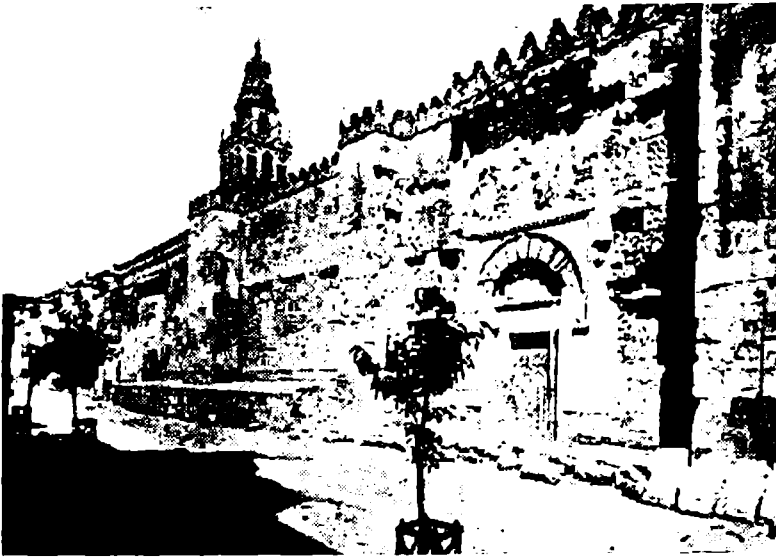
وعلى يسار الداخل مئذنة شاهقة الارتفاع . بناها عبد الرحمن الثالث الناصر عام ٣٤٠ بدلاً من برج الأجراس القديم . وقد بنى هذه المئذنة من الحجارة على نمط مئذنة الجامع الأموي بدمشق . وهي مربعة الشكل طول ضلعها ١٢ متراً وارتفاعها ٩٣ متراً وتتكون من خمسة طباق وضع المسيحيون بها أجراماً عام ١٥٩٣ . وللمئذنة بابان يؤدي كل منهما الى درج مستقل عن الآخر ولا يتقابل الصاعد عليهما إلا في قبة للمئذنة .

يجتاز الانسان الفناء الى المسجد نفسه فيجد نفسه في غابة واسعة أشجارها على هيئة صفوف من الأعمدة الرخامية المختلفة الأشكال والألوان . فيها عهد ملساء ، وأخرى مقناة ، وغيرها تحيط بها قنوات حلزونية ويبلغ عددها ١٢٩٣ كما ذكرنا آنفاً ، جلب بعضها من نابون الفرنسية ، والآخرى من أشبيلية أو راجونا كما جلب البعض الآخر من خرائب قرطاجة المدينة الرومانية الى أن أحضر لها الامبراطور الروماني ليو الرابع تلك العمدة القسطنطينية .

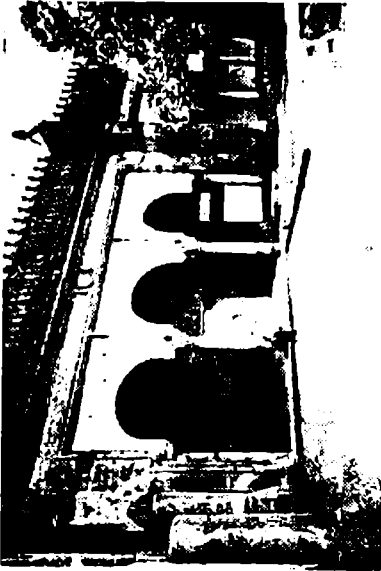
ولما كانت مساحة المسجد كبيرة والأعمدة قصيرة الطول لا يزيد ارتفاع الواحد منها عن ثلاثة أمتار . فقد أملت على الفنان الارتفاع بسقف المسجد الى علو يتناسب مع مساحته



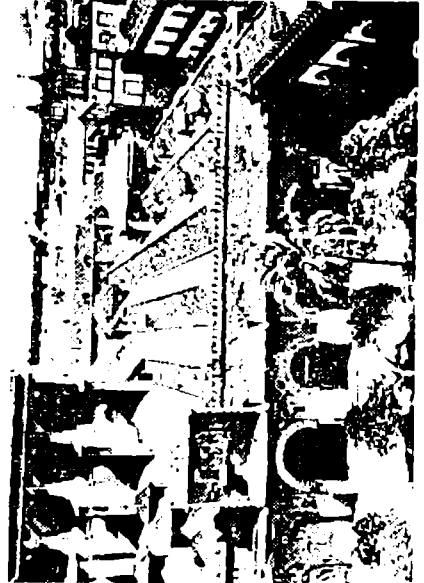
داخل المسجد بعمده وعقوده المزدوجة ذات اللون الأبيض والأحمر



الجدار الغربي بشرفاته المسننة تبدو من ورائها المئذنة



شکل (۴)



تألفت فوق تيجان الأعمدة صيفان من العقود على شكل حدوة الفرس يعلو الواحد منها الآخر على غط عقود القناطر الرومانية كما هو مبين في الشكل (٢). ولا يكيل على الناظر هذا المنظر المعقد، فقد بنيت الأقواس من فصوص رخامية بيضاء متبادلة مع أربعة صفوف من الطوب الأحمر وهي ظاهرة اسلامية تعرف بالأبلاق. ونجدها بالقاهرة في قصر الشمع عصر الفتيمة، وفي الأبنية الملوكية كمسجد الناصر محمد بالقلمة وغيره.

ولا يكاد الرأي يحول بصره في هذه الغاية حتى يصطدم ببناء غريب يعترض هذه الأعمدة الجميلة. وما ذاك البناء إلا كنيسة كاتانوز أقامها رجال الدين المسيحي في عهد شارل الخامس في وسط المسجد في بداية القرن السادس عشر. كما يجدي في بعض حنايا المسجد الجانبية معابد كنسية صغيرة لا تتفق وأبنية المسجد الداخلية. وقد فطنت الحكومة الأسبانية إلى هذا الخطأ فأخذت تعمل على إزالة تلك المعابد المسيحية.

وقد زاد إعجابنا عندما توغلنا إلى داخل المسجد نحو مقصورته. وهي مكان يتقدم الحراب، يفصله عن باقي المسجد سور صغير من الحديد لكي يمنع الناس عن الوصول إلى الحراب البديع الصنع. وقد أعدت المقصورة لكي يصلي الخليفة بها في منزل عن الناس وفي مأمن منهم. وقد نقل المسلمون فكرة إنشاء المقصورة إلى قرطبة من المسجد الأموي بدمشق حيث بنى بها معاوية بن أبي سفيان أول مقصورة في العالم الإسلامي.

ومحراب المسجد في نهاية الرواق السادس من الغرب وهو آية في الإبداع الفني يعجز الوصف عن وصفه، وفي عضادتيه أربعة عمد أثنا عشر أخضران، والآخرا تشوبهما حمرة حمالة، ويعلو حنية المحراب ربع كرة مجوفة من الرخام المزجج على شكل الحمار. وزخرفت واجهته بفسيفساء مختلفة الألوان يزيدها بريقاً اللون الذهبي فيضني عليها لمعاناً ومكلاً يبدو لرائي من الإمام بخلاف ما يبدو له من الجانب. ويحيط ببلاطات القيثاني شريط من الكتابة الكوفية، تشمل آيات قرآنية وأحاديث نبوية وتاريخ انشاء المحراب من عهد الحكم سنة ٣٥٥. ويعلو المحراب قبة مرتفعة حملت على ثمانين قسي متقاطعة نتج منها شكل نجمي تتوسطه وريدة بارزة أضلاعها، ملئت بالرسوم العربية المذهبة (شكل ٣)

وكان على عتبة المحراب منبر فريد في نوعه وصناعته من خشب الأبنوس استغرق صنعه سبع سنين وعلى جانبي المحراب بابان أعدا أيسرهما لحفظ أدوات المنبر وطسوت ذهب وفضة لوقد الشمع في ليلة ٢٧ من رمضان ويقال أنه كان يحفظ به مصحف يرفعه رجلاي لثقله فيه أربع وركات من مصحف عثمان بن عفان الذي خطه بيمينه وفيه نقط من دمه سقطت عليها أثناء اغتياله. أما الباب الآخر فانه يؤدي إلى ردهة تؤدي إلى بيت الخلافة (الكرار) كما يسمونه

الاسبان الذي كان يجاور المسجد من الخلف وقد قتل المسلمون هذه الفكرة من الشرق كما كان الحال في مسجد الكوفة أيام علي رضي الله عنه. وفي مسجد عمرو بن العاص بمصر القديمة. ثم انتقلت الى شمال أفريقيا في القيروان، ومنها الى أسبانيا حيث نشاهد هذه الظاهرة في مسجد قرطبة. وكانت دار الخلافة تتصل بالمسجد مباشرة بواسطة دهليز مغطى بقبوة يعترض الشارع الذي يحد جدار المسجد من هذه الجهة مع العلم ان مسجد قرطبة الآن تحيط به شوارع أربعة من الجهات الأربعة.

وبالرغم من صعة هذا المسجد العظيم وكثرة عمده التي تربي على الألف فقد كان يضاهى بثرات تبلغ ٤٧٠٠ ثروة من القضة الخالصة. وكان بينها واحدة يوقد بها ١٠٠٠ مصباح ولم يبق من هذه الثريات إلا ٤٠٠ حتى أوائل القرن ١٨ أخذها الفرنسيون معهم عند دخولهم قرطبة في زمن نابليون. وكانت هذه المصابيح تستنفد في كل سنة ٢٤٠٠٠ رطل من الزيت وكانت أضواء هذه الثريات تسقط على سقف المسجد بنقوشه الهندسية وألوانه الخلابة فتتمكس على المصلين فتروق عيونهم وتستميل نفوسهم. ولا يزال بعض هذا السقف الى الآن في أرجاء المسجد إلا أن الأجزاء الأخرى قد بدل المسيحيون بعض سقفها بأقنية متقاطعة تحفي وراءها السقف الأصلي وذلك لاقامة عقود كنيسة فخامت غير متناسبة مع باقي سقف المسجد فأخذوا الآن في رفعها وإعادة باقي السقف الى ما كان عليه قبلاً. ومع ان هذا السقف مستوٍ من الداخل إلا أن شكله من الخارج يكون مثلثات قائمة متوازية (جمالونات) كسقف المسجد الأقصى (شكل ٤). ولم يتخذ الفنان المسلم هذا الشكل اعتباراً وإنما كان يرمي الى فكرة جارية تعرف بما نسميه اليوم بتكييف الهواء. وكان الغرض من السقف الخارجي الآخر ان يقلل من اشعاع حرارة الشمس داخل المسجد فيلطف من درجته ويجعل حرارته مقبولة كما يساعد من جهة أخرى على تصريف ماء المطر الذي يسقط عليه كما هو مبين بالشكل (٥). وقد لاحظنا أن أرض المسجد قد طمرت الى علو نصف متر ليخفي ما تحتملها من فصوص الرخام وقواعد العمود. وتعمل الحكومة الأسبانية الآن على رفعها واعادتها الى حالتها الأصلية كما تحافظ على باقي أرجاء المسجد.

ولا يسعنا إلا النضر والاعجاب بعظمة المسجد الجامع وما حوى من روعة البناء ومختلف النقوش الإسلامية وما لا يتصوره أي انسان في مسجد آخر في العالم الاسلامي وهو بحق الدرة الثمينة التي تتوج هامة الارث الاسلامي بأسبانيا في تاريخ العرب

محمد رجب الببلي

دبلوم في الآثار الإسلامية

# بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

تشارلس داروين في حياته

بمناسبة مرور مئة وأربعين عاماً على مولده

كنت بربرة كونواي تقول إن داراً مشيدة بالآجر الأحمر تظلمها أشجار خضر باسقة وتحيط بها حديقة فسيحة فيحاء كانت في بريطانيا بعد وضعه نظرية التطور والانتخاب الطبيعي . وكانت أسرة داروين في الصيف تجد

من شجرة كستناء وارفة الظلال مفروسة في حديقة الدار الرائعة ، مكاناً مختاراً للهو والمرح . وكان كل من الأبناء يختص نفسه بزاوية من الزوايا يستقل فيها بأفرع الشجرة الرخية .

وهنا ، في تلك البقعة التي تخيرها تشارلس لنفسه ، بدأ الصبي يقتني أول مجموعة من الحنافس



تشارلس داروين

البيت السعيد الذي نما فيه أبناء الدكتور داروين أحد مواطني مدينة فروز بري وهي مدينة انجليزية جميلة طاعنة في السن تاخم حدود وايلس وكان تشارلس — وهو واحد من أبناء الدكتور داروين — في الثامنة من عمره لما انقضت أمه النفس الأخير . وقد ولد هذا

الصبي في عام ١٨٠٩ وترك وديعة تراثها شقيقناه الثان تكبرانه مناً . وما كاتنا نطمان الى أن شقيقهما الحدث سيغدو في المستقبل قطباً طائر البيت من أقطاب العلم والحشرات ويسهر على نعيمها والعناية بها ، فكان أن تفنق ذهنه عاماً بعد عام على الاهتمام المطرد بالثوون العلمية والشغف بها ، ولا سيما لأنه ورث عن جده إراسم

بأنه سيفقد كاتباً روائياً في الطليعة، ولكنه لم ير أن يكون هذا مقصده ومطمعه. وما كان أولئك الصحاب يفتنون إذ ذاك إلا أن تشارلس سيدون في ما بعد كتابين من من أقوى الكتب إثارة للخواطر ومن أبعثها على اهتمام الدوائر العلمية بمناقشة آرائها في العصر الفيكتوري، وهما الكتابان اللذان طالج فيهما نظرية التطور، أو النفوس والارتقاء كما يؤثر البعض أذ يسميها. وعنوانا الكتابين « منشأ الاجناس » و « منبت الانسان ». ويوم ظهر الكتابان، كانا يعالجان موضوعاً علمياً مخفوقاً بالريب لا يدانه في الحقيقة منه موضوع آخر في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

ولم ينزل من قدر آرائه في الأزمان الحديثة إلا قلة قليلة من نظرياته التي أخطأ عنها اللثام.

\*\*\*

ولما همت السفينة « بيجل » بأن تنهض بسفرة إلى سواحل المحيط الهادي أنفرح صديق من أصدقاء تشارلس داروين في جامعة كبريدج هو العالم النباتي الأستاذ هنري أن يلحق تشارلس بالبعثة باعتباره عالماً طبيعياً وبعد مجادلات تردد صداها بين أفراد طائفة تقرر أن يسافر تشارلس، فكانت تلك الرحلة باعثاً على تثبيت اتجاهه في الحياة إذ جعلت منه عالماً له نهج سليم منظم.

داروين rasmus Darwin كثيراً من خلاله واستعداداته، وكان هذا الجدّ معروفاً بأقوال الحكمة يرسلها على السجبة. ومن ماثور قوله: « ما أحق الرجل الذي لا يقدم في حياته على تجربة ما »

\*\*\*

وكان لداروين خيال خصيب وكان من دأبه أن يذرع الطرق منفرداً ويؤوب إلى داره وفي جمعته أبناء وروايات مشبعة بالحياة لمغامرات لا ريب في أنها ما حدثت. وكان الصبي يبدي حب استطلاع مقترن بالالمية عدا أنه كان ذا طالع جذاب في ذاته يجلب له من الأصدقاء عدداً موفوراً أينما حلّ وحيثما استقرّ به النوى.

وكان أبوه — وهو طبيب ذو شهرة دائمة — يؤثر أن ينشأ ابنه تشارلس رجل دين. بيد أن الصبي كان يبدي كلما أمعن في النماء إعراضاً عن هذا الاتجاه، وإقبالاً ظاهراً على احتراف مهنة الطب وإن كان مجرد التفكير في إجراء عمليات الجراحة في ذاك الأوان بغير استعانة بمواد التخدير، يلقى من تشارلس صدوقاً وعروفاً.

وتلقى تشارلس علومه في مدرسة للبنين المشهورة في شروز بري ثم التحق بجامعة كبريدج وفيها تجلّت مواهبه العظيمة وإن كان متجه في الحياة لما ينتقرر. فكثيراً ما رأى فيه أصدقاؤه وخلصاؤه إمارات توحى

## البحوث الذرية والطب

من المشكلات الحيوية الرئيسية الخاصة بصحة الانسان واصابته بالامراض يمرض الآن للبحث والفحص . ومن الموضوعات التي مردها استعمال الطعام الى جزء لا ينفصل من البدن ، وكيفية سير الدورة الدموية في الاوعية وأنواع الاصابات ووسائل التدوي بأنواع العقاقير المتباينة .

واستطرد قائلاً إن استخدام تلك النظائر في البحوث يجري في منهج طب وربما أسفر في القريب عن نتائج بعيدة المدى وقال الدكتور شيلدز وارين من مدينة بوسطن - وهو مدير قسم البيولوجي والطب في لجنة الطاقة الذرية - عن ميدان التطبيق العملي للمواد ذات النشاط الاشعاعي في معالجة الامراض أن عدداً قليلاً جداً من النظائر أمكن تبين فعله حتى الآن ، ولكن هذا العدد يطرده زيادة

وقال إنه بسبب ميل أنسجة معينة الى عناصر معينة ، يمكن بفعل النظائر استخدام اشعاع بدرجة يراعى فيها انتخاب داخلي مركز حتى لا يمتد أثر الاشعاع الى أنسجة لا يراد تعريضها له . وقال إن استخدام اليود ذي الطاقة الاشعاعية في علاج سرطان الغدة الدرقية ، واستخدام الفوسفور في بعض حالات اللوكيميا ، والذهب في حالات خبيثة أخرى تعد أمثلة على تطبيق العلاج

عقد في شيكاغو أخيراً مؤتمر للأطباء نظمته الجمعية الطبية الاميركية وكان من أبرز ما قرره هذا المؤتمر ان الطاقة الذرية سوة استخدمت في القابل من الايام استخداماً طبياً أو غير طبيب فما لا ريب فيه أن طبعة النوى ( جمع نواة ) ستغدو عاملاً مطرداً الشاؤ في ممارسة الطبيب لمهنته

وتزعم بحوث هذا المؤتمر طائفة من الخبراء يمثل كل منهم منحىً معيناً من فروع الطب ذات الصلة بالطاقة الذرية ، واشتركوا مع الأطباء في بحث الآمال الكبيرة المعقودة على البحوث الطبية وعلى العلاجات والتشخيصات والتطبيقات التي تنطوي عليها طبعة النواة . ولم يغفلوا كذلك بحث أصر العناية بالجرحى والمصابين في حالة حدوث اعتداء سلاحه الذرة .

وقال الدكتور بول ايرمسولد من مدينة أوكريدج في ولاية بنسلي - وهو مدير قسم النظائر isotopes في لجنة الطاقة الذرية - إن أكثر من ٧٠ ٪ من جميع ما شحن من النظائر من رصيد أوكريدج يستخدم الآن في بحوث طبية علاجية وفي بحوث التركيب العضوي ( الفسيولوجي ) للانسان والحيوان .

وقال إن هذه البحوث تجري الآن في ٢٢٩ مؤسسة متميزة للبحوث وهناك كثير



كيان الطب إذا استخدمت استخداماً معادياً للولايات المتحدة .

ووصف أنواع الاصابات التي تقرب على إلقاء قنبلة ذرية ومدى تلك الاصابات فقال : إن كل قنبلة يمكن استخدامها بإحكام لتأتي على خمس وعشرين مدينة كبيرة في الولايات المتحدة . واستعان الدكتور وارين على تبيان قوله بصور فوتوغرافية تصور الخراب والدمار اللذين لحقا بمدينتي هيروشيما ونجازاكي اليابانيتين .

\*\*\*

وقال الدكتور سنسيف من ولاية انديانا — وقد عين رئيساً للجمعية الطبية الأميركية في هذا الاجتماع — إن أهل الولايات المتحدة يعيشون متمتعين بصحة طيبة وانهم يحتفظون بهذا المستوى حتى يبلغوا سنّاً متقدمة وهم في هذا لم سبق لم تعرفه دولة أخرى في تاريخها .

\*\*\*

وعزا الرئيس هذه الظاهرة إلى « روح تقدم الطب الأميركي » التي تقبدي في منح كل طبيب مستقل فرصة يرقى فيها بحوثه وكهوفه العلمية ويحسن خدماته الطبية متحرراً من كل تأثير حكومي أو نفوذ سياسي يعوق بحوثه ويعرقل أعماله .  
وربع فلسطين

بحيث يروا الحالة الخاصة بالمريض .  
وأكد الدكتور جوزيف هملتون مساعد

أستاذ الطب الطبيعي في جامعة كليفلاند في مدينة بيركلي إن النظائر ذات النشاط الإشعاعي يمكن التعامل بها بسلامة وأمان إذا اهتمت بنا كسبناه من خبرة في تداول أشعة الراديوم وأشعة إكس .

وقال الأستاذ لويس ستروس عضو لجنة الطاقة الذرية إن استخدام الطاقة في أيام السلم يمدّ رقباً في الطب وإحالة له من علم محض إلى غايات عملية . ولعلّ هذا أمر خطير بسبب خفية الرأي العام من الطاقة الذرية وقلقهم مما أصفرت عنه عند تطبيقها للمرة الأولى في إنتاج القنابل الذرية

واستطرد فقال إن من المشكلات الأخرى التي نعرض لها هذا الأمر ، تلك المصالح الخاصة التي تليها الحكومات والمصانع والجامعات والمختبرات العلمية وتغيب بها . وقال إن من العسير تعاون تلك الهيئات جميعها تعاوناً بعيد المدى في مشكلة شاملة كشكلة استخدام الطاقة الذرية في أيام السلم .

\*\*\*

وقال الدكتور سنافورد وارين حميد مدرسة الطب في جامعة كليفلاند في لوس انجليس متحدثاً عن استخدام الطاقة الذرية في أغراض التدمير إن القنبلة الذرية من شأنها أن تنشئ مشكلة خطيرة يتعرض لها

## في ميدان العلم

### علمنا الذري

يقراوح ارتفاعها بين ستة آلاف وعشرة آلاف قدم. وقد تبين أيضاً أن جزيرة برمودا عبارة عن جبل في المحيط ارتفاعه خمسة عشر ألف قدم.

وتوجد في قاع المحيط، كما توجد على سطح الأرض، سهول ووديان تنبت بها نباتات غنية بالفيتامينات والبروتينات والزيوت والمواد الدهنية والكاربوايدرات وبعض المركبات الهامة في غذاء الإنسان.

كما أن درجة خصوبة التربة في قاع البحر تبلغ في بعض الأحيان درجة الخصوبة على سطح الأرض. ويمتد بعض العلماء أنه سيأتي يوم يتمكن الإنسان فيه من استغلال قاع البحر في إنتاج المواد الغذائية لتخفيف أزمات الطعام في العالم.

وهذه تلك الهيئات هو معرفة التركيب الجيولوجي لقاع البحر وتكوينه وشكله حتى يقف العلم على طبيعة القشرة الأرضية.

وتقوم جماعة أخرى من العلماء بقياس طاقة القشرة الأرضية على الإشعاع ومعرفة ما يجري في داخل الأرض. وقد استطاع الدكتور ويليام أوري الأخصائي في معامل الجغرافيا الطبيعية بمعهد كارنيجي في واشنطن بمساعدة طالمن من جامعة فورد هام قياس

تقول أحدث النظريات العلمية في وصف الكوكب الذي نعيش عليه إن الأرض عبارة عن فرن ذري جبار تغليه قشرة من الماء واليابسة ممها الفاقدم (ستمائة متر).

ويقوم الآن علماء أمريكا بإجراء بحوث تحت سطح الماء في مناطق يبلغ ممها آلاف من الأقدام لمعرفة شكل قاع المحيط والوقوف على نوع الانفجارات الذرية التي تجري في باطن الأرض.

ووظيفة هؤلاء العلماء قياس قاع الاطلنطي بوساطة أمواج الصوت. وطريقة ذلك أحداث صدى صوتي افهجارين صغيرين أحدهما صادر من قاع البحر والآخر من الطبقة الصخرية التي تقع تحت الطبقة الطينية للعباء. ويقاس الصوتان على جهاز خاص بوساطة ميكروفون مثبت تحت الماء، وبما أن سرعة الصوت تحت الماء والطين معروفة، فإنه يسهل قياس العمق.

وقد تبين أن قاع الاطلنطي في المنطقة العمالية الغربية منبسط نسبياً وأن قشرة الأرض في هذه المنطقة مغطاة بطبقة من الطين والصلصال تحت سطح الماء. أما المنطقة الممتدة من إسكلندا حتى المناطق القطبية الجنوبية فهي عبارة عن سلسلة من الجبال

يقوم بها العلماء تحت قاع البحر على كشف تلك الناحية .

### تلفزة المسرح

شاهد النظارة في احدى دور العرض بشارع برودواي بمدينة نيويورك ، في الاسبوع الماضي ، حفلة ملاكمة أقيمت في حي بروكلين القريب من هارع برودواي . وقد تمت تلفزة الحفلة على موجتين من قاعة الملاكمة الى دارالسينما ، حيث عرضت الصور مباشرة بالطريقة العادية على الشاشة .

وجهاز التلفزيون الذي استعمل في هذا العرض عبارة عن مسجل خاص للافلام ينقل ٣٠ صورة في الثانية على شريط الفيلم العادي ( ٥٥ م ) ولم تزد المدة التي تقع بين توجيه ضربة بوكس في بروكلين وبين رؤية النظارة في برودواي الى ٦٦ ثانية . والمعتقد ان علماء التلفزة سيستطيعون في القريب العاجل بجهاز التلفزة الجديد نقل الحوادث ماعة وقوعها مباشرة الى الجمهور في دور العرض .

### لماذا يكبر الانسان

أدّى تطوّر العلوم الطبية الى بحث جديد يهدف الى ابطاء التطوّر الطبيعي في جسم الانسان ، وهو التطوّر الذي يؤدي الى الهرم . وتجري الآن بحوث واسعة النطاق في كثير من الجامعات الامريكية لمعرفة كيفية تقدم خلايا الجسم في السن . ولماذا يتوقف نشاط تلك الخلايا وانتاجها

الموجة الاشعاعية المنبعثة من الصخر في احدى النقط الواقعة على صق كبير تحت أحد شوارع نيويورك . وأدّى هذا الى الفناء ضوء جديد على هذا الموضوع .

فوجد هؤلاء العلماء الثلاثة ان البوتاس المشع ، الذي يشبه الحطام الذي الى حد كبير يشع الحرارة . وهذه الحرارة المعكوسة تكون حوالى ٧٥ ٪ من الدفء في العالم . وهذا الكشف يقضي على النظرية القديمة القائلة ان الكوكب الارضي أخذ تدريجيًا في البرودة ببطء . ويؤدي هذا الكشف الى نظرية جديدة وهي ان الارض عبارة من جسم يدفئ نفسه بنفسه أي حطام هائل من الانفجار القوي .

ويقول الدكتور أورى ان الفترة الواقعة بين وجود الارض وبين الوقت الذي ينتهي فيه الوقود القوي في هذا الكوكب لا تقل عن عشرين بليون سنة . وبما ان الارض حديثة العهد ، فان الوقود القوي في باطن الارض كافٍ لتمددة العالم لعدة مئات الملايين من السنين .

\*\*\*

وقد لوحظ في السنوات الاخيرة ان حرارة القشرة الارضية على اليابسة آخذة في الارتفاع ، وتحت سطح الماء آخذة في الهبوط . ويقول الدكتور أورى ان ذلك قد يكون راجعاً الى عدم وجود الجرانيت تحت سطح الماء . ومستاعد البحوث التي

ويجب على الطب الوقائي أن يضع حداً لذلك . وقد تطوع خمسمائة شخص في جامعة مينسوتا لاجراء تجارب عليهم في هذا الموضوع مدة عشر سنوات ، لمعرفة العوامل التي تؤدي الى تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم . ويبحث الآن عدد من الاخصائيين لمعرفة ما إذا كان النقص الغذائي أو الغذاء يمنع أو يؤخر الأمراض التي تحدث تدهوراً في الجسم ومن المتوقع أن يتوصل العلماء بعد ثلاثين عاماً الى مضاعفة عمر الانسان .

بعثات الكشف في المناطق القطبية يتولى المعهد الأمريكي الكندي للمناطق القطبية ، وإدارة الأبحاث التابعة للاستطلاع الأمريكي تمويل بعثات من الدول الأوروبية والولايات المتحدة لكشف عن المناطق القطبية . وستدور معظم تلك الأبحاث في مناطق الاسكا وبرايدور وشمال كوبيك وخليج هدسون . وأهداف تلك الأبحاث معرفة ما يأتي :

تاريخ استيطان الاسكيمو بالقرب من مضيق بيرني ، لماذا لا توجد الضفادع والحيوانات البرية والبحرية في المناطق القطبية البحث عن مسكن طائر نادر الوجود طويل القدم طويل المنقار . دراسة منطقة الانتقال من أنليم الغابات الى مراعي التندرا ، دراسة كيمياء الدم عند الحيوانات القطبية ، والحياة القطبية للبكتريا وآثار التغيرات الجوية في الحيوان والانسان .

عند المتقدمين في العمر . ويعتقد الدكتور ادوارد بورتر ، رئيس الجمعية الطبية الأمريكية أن متوسط عمر الانسان ، بالقياس الى متوسط عمر الحيوان ، يجب أن يكون ١٥٠ عاماً بدلاً من ٦٨ كما هو الحال في الوقت الحاضر . ويقوم الباحثون الآن بالبحث عن الأسباب التي تحول دون بلوغ المائة والحسين وهل ترجع تلك الأسباب الى تراكم التجارب البدنية والعاطفية عند الفرد ؟ وقد أنشئ أخيراً « معهد التغذية الانسانية » في جامعة « نورث ويسترن » بولاية إلينوي . ويبحث رجال هذا المعهد هذه المشكلة من ناحية الغذاء لمعرفة ما اذا كان طعام الانسان وشرايه سبباً في الهرم .

ويقوم معهد فيلس للدراسات الانسانية في كلية أفتيوخ بدراسة آثار تجارب الانعام من مولده الى سن النضوج على جسم الانسان . أما جامعة كولومبيا فيدرس اخصائيوها مسألة الوراثة والبيئة .

وقد أشار الدكتور اندرو ايبني الأستاذ بجامعة إلينوى الى أسباب الكبر فقال انه يعتقد أن التدهور في خلايا الجسم يرجع الى سلسلة من التغيرات تتجمع فيها مواد غريبة في جدران الخلايا وبينها . وقد تكون هذه ناشئة عن اضطرابات الخلايا بسبب ضعف داخلي أو عوامل خارجية أو كليهما . ويقول الدكتور وارد كرامبتون أن ملايين يموتون سنوياً بسبب الأمراض المزمنة



لجنة ظهرت ٢٠٠٠٠٠ ر. ٢٠٠٠٠٠ منتمتر  
مكعب. ودل البحث على أن تريثيلين  
الجليكول أفوى بكثير إذ أن جراما واحدا منه  
ظهر ٥٠٠٠٠٠ ر. ٥٠٠٠٠٠ منتمتر مكعب من  
الماء وبدأت المصانع والمكاتب والمستشفيات  
في الولايات المتحدة في استخدام هذه الطريقة  
لذلك الحين بنجاح واضح ، وقد اتضح  
أن هذه الوسيلة تقضي على أنواع أخرى  
من البكتريا والفيروس ، ويبدو أن من

بملائق بخار الجليكول لمدة بضع ساعات  
يكتسب دمه المناعة ضد البكتريا والميكروبات  
الأخرى مدة ساعات طويلة  
ويعمل العلماء في صنع جهاز صغير عملي  
لنفت بخار الجليكول عند استخدامه في  
المساكن والمدارس والمكاتب بنفقات قليلة .  
لتخفيض عدد إصابات البرد التي تعترى سكان  
الولايات المتحدة ، وتقدر في كل عام بحوالي  
٢٨٠٠٠٠٠ ر. ٢٨٠٠٠٠٠ .

## أجراء أبحاث ذرية

### في بروكهافن بفيو بورك

سيفهد هذا الصيف افتتاح جامعة  
بمدينة في بروكهافن بلونج أيلاند بمدينة  
بروورك لأجراء أبحاث ذرية تقتصر على  
سائل استخدام القدرة في أغراض سلمية ،  
بشرط على إدارة هذا المعهد الثقافي ،  
لأروب باسم « معمل بروكهافن الوطني »  
لأحد الجامعات ، وهو هيئة لا تبني رجحا  
لنعم نعماً من كبريات الجامعات في شرق  
الولايات المتحدة .

الجوانب المظلمة في العقل الانساني حيث  
يكن الخوف من الحرب .  
وسيعمل في بروكهافن حوالي أربعائة  
عامل ، وما ينيف على ألف خبير ومساعد  
وسينقسم العاملون في هذا المعهد الى ثلاث  
مجموعات : أسافذة دائمون للتدريس والأبحاث ،  
وآخر مجموع للتدريب على الأبحاث الذرية ،  
وعلماء زائرون ذوو نظريات جديدة لهم  
مطلق الحرية في العمل على اثباتها .

\*

وتقول الحكومة تمويل هذا المشروع  
من طريق لجنة الطاقة الذرية ، ولن يكون  
لأبحاث التي تجري في بروكهافن علاقة  
بالقوة العسكرية . وستكون كلها خاصة  
بزيادة مقدرة الانسان على مكافحة الأمراض  
بإنتاج المواد الضرورية في الحياة ، وإضاءة

وبما هو جديراً بالذكر أن العمل يسير  
في معامل بروكهافن منذ عام مضى . ويجري  
الآن تنفيذ برنامج لتدريس الفوائد السلمية  
للذرة في المعارض والمعاهد القريبة من  
بروكهافن .



# مكتبة المقتطف

الكتاب الذهبي

لمهرجان خليل مطران بك

دار الهلال — ٣٢٠ صفحة مصورة من الحجم الكبير

لا تزال محافل الأدب في مصر وفي غير مصر تذكر تلك الحفلات الأدبية البهجة الخالدة التي دما الوفاء إلى تنظيمها في العالمين القديم والجديد لتكريم الأستاذ الجليل خليل مطران بك شاعر القطرين ورائد التجديد في النهضة الفكرية المعاصرة وقطب البيان المرموق في دنيا الناطقين بالضاد وغفر أبناء المشرق في سجاياه وخلاله .

لا تزال تذكر حفلة دار الأوبرا التي أسبغ عليها جلالة الفاروق فيضاً من رايته السامية فشملمها بعطفه وبرّه وكرّم خليل مطران بك بلبق رفيع كلما اقترن باسمه ذكر فضل الفاروق على نهضة الأدب وعلى رجال الرأي ... لا تزال تلك الحفلة ملء الصمغ ، وما فتئت الخطب التي تبارى في إلقتها دهاقنة السياسة وزعماء الفكر والقصائد التي أنشدها كبار الشعراء ، تتردد أصدائها في الأذن فتصيح لها بلهفة واهتمام لأن محورها يدور حول خليل مطران إمام الأوفياء في أيام ندر فيها الوفاء ، وزعيم المروءة والشهامة في أوان تفتقد فيه هاتان الخصلتان .

فأبرحنا نجتزئ من الذاكرة خطاب السنهوري باشا ونستعيد كلمة خليل ثابت بك ، ونسترجع شعر الاساتذة العقاد وملاط وعبي الدين والاممر ونستروح شذى كلمات أنطون الجليل باشا ودسوقي أباطه باشا ومحمد علي ثانويه باشا وزكي طليعات وسامي السراج وفؤاد

مرئوف وهيكل باشا ومحمد عبد الغني حسن ولا تزال ترتد إلى ما أبطنه الوحي لتتذكر ما قيل في مطران من الدكتور طه حسين بك والدكتور فارس الخوري بك والدكتور بنر فارس والأستاذ خليل شيبوب والأستاذ عباس المصري والأستاذ مختار الوكيل وسواهم من حملة القلم ورجال النظم ، فنعم النفس بنوع من الرضا لا يسيء إليه إلا النسيان الممقوت ولا ينقص من قدره إلا ترادف الأيام وتباعد العهد .

ولذلك لم تمكد لجنة تكريم خليل مطران بك تصدر كتاباً ذهبياً ينطوي على كل ما قبل في هذا الشاعر الفحل ، حتى تلقينه كالجائع الصائم يقع على طعام بعد سغب فلا يملك إلا أن يتلغ بغير ازدراء في نهم ورجاء مزيد .

فهذا الكتاب كحلبة السباق فيه جساد كثيرة تتبارى لتبليغ هدفاً واحداً وقد بلغته جميعاً لأنه رمى يستهوي كل فارس من فرسان الأدب ، ولأن تكريم خليل مطران تيمة كنا نجرم في حق أنفسنا لو لم نهض بها في حياته .

ولقد حاول كل من تحدث عن خليل مطران أن يطرق ناحية بعينها من حياته يبرزها ويحلل في آفاقها مما جعل الكتاب على تفرق فصوله وتباعد كتّابه وتناثر مهاربهم تنتظمه وحدة واحدة هي التنويه بمعامد خليل مطران اسافاً رقيق الشعور وأديباً غللاً تدين له الضاد بالكثير ، ورجل بروة وأريحية وهامة لا يجاريه في مفاخرها إلا قلبيلون ، ومحدثاً لبقاً يسوق الفكاهة ، في مواضعها فيحسن الحديث ويحسن المرح ، ومجدداً دأبه ، أن يكون في الطليعة أبداً يقود الصفوف ويرشد أجيالاً بعده من الأدباء .

وإن لجنة تكريم خليل مطران ، التي عرف جميع أعضائها بغير استثناء بوفائهم وادراكهم لآقدار الرجال ، لتستأهل البناء سابقاً لأنها وإن رامت أن تكرم خليل مطران ، فقد كرمته الأدب والخلق معاً ، وإن شاءت أن تضفر على هامة خليل مطران تاجاً من ألوان التقدير والتكريم ، فقد ضفرت لغة الضاد إكليلاً زينت به مفرقها . ولأنها تمد نوحاً لما يتعين أن يكون عليه موقف الأجيال الحاضرة من رؤاها وقادتها ومهدي الدرب أمامها .

فإذا كان الأدب المعاصر يكرم خليل مطران ، فأنما يكرم نفسه ويصون للعربية ذخيرة نفيسة لا تقوّم ببدر المال . ونعم ما أسدته لجنة التكريم بإصدارها الكتاب الذهبي ، ونعم



ما تقعله بشروعها في طبع دواوين مطران وكتبه لأن الخليل من الذين يعتقدون عن تواضع أن نصيبه في رفع مقام الضاد نصيب ضئيل ، مع انه علم خفاقاً وبند ظلاً أبداً منهوراً مرفراً . وما دام المجال مجال حديث عن خليل مطران ، فلنرج الله أن يتقذ الخليل من محنة المرض التي يجتازها اليوم بصبر وجلد ، وأن يمد في صر رجل لا أحسبه أساء الى كائن حي ، وأن يدخل على نفسه طمأنينة تردّها اليه العافية ، وأن يكرمه الله وهو إله المكرمات .

ربيع فلسطين

### خواطر من الطب

تأليف الدكتور مصطفى الديواني : ١٤٤ صفحة من القطع الاوسط : القاهرة ١٩٤٨  
من الخلائق البينة في مؤلفات صديقنا الدكتور مصطفى الديواني أنها علم في أدب . فموضوعها علمي وأصولها أدبي . بل لا نبالغ إذ نقول ان أسلوبها يمتاز بالسلاسة والسهولة التي تحبب القراء في العلم وتدنيه من نفوسهم ، وذلك وحده من الأشياء التي تضفي على ما يكتب الدكتور الديواني خصيات يتفرد بها .

وخواطر في الطب من الكتب الفريدة بحق في المكتبة العربية . فهو يعني بالطفل وهو أساس المجتمع وأساس الأسرة ويعالج ما يتعرض له الطفل من أخطار في أدوار حياته الأولى ويرشد الأمهات الى خير ما وصل اليه الطب في أمر العناية بأمر النفس . وهو عماد المستقبل . وما يدلك على قيمة الموضوع الذي طلجه الدكتور الديواني في كتابه شيء كمررتك أن قدما اليونان قد جروا على تقليد له معنى عظيم ، فكان الرجال اذا شاهدوا امرأة حاملاً في الطريق وقموا بخشوع وانحنوا احتراماً . ذلك لأنها تحمل في أحضانها المستقبل كله .

### السنكسار

وضع الارشمندريت ميشيل عساف — طبع بالمطبعة البولسية في حريصا ( لبنان )  
وضع حضرة العلامة الارشمندريت ميشيل عساف من الاكليروس البطريركي سفيراً نفيساً أممات السنكسار وضمّنه سير القديسين الذين تكرمهم كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك على مدار السنة .

وقد قدمته مجلة المسرة الغراء الى قرائها كحلقة أولى من كتاب تقيس مطول كامل وضعه حضرة الارشمندريت عساف من أخبار اولئك الأبرار الذين ينبعث من ذكريات أضعبتهم الدينية والانسانية عقب الايمان الوطيد والاخلاص الجيد والتفاني المزه عن ترهات الحياة وأباطيل هذا العالم المادي الزائل .

وقد طبع هذا السفر النفيس طبعة أنيقة في المطبعة البولسية في حريصا ( لبنان )

## ٨٩ شهرآ في المنفى

تأليف الاستاذ محمود حسني العرابي : ٣٢٠ صفحة من القطع الكبير : القاهرة : ١٩٤٨

أول كتاب من نوعه في اللغة العربية طالع موضوعاً وطالع أسلوباً وطريقة . فالكتاب سيرة شخصية لمؤلفه لحقبة من حياته أعتقد أنها الحقبة التي كوَّنت شخصيته .

عرفت الأستاذ محمود حسني العرابي قبل أن ينفي ولقيته بعد أن عاد من منفاه ، فإذا بي أرى فيه بعد النفي شخصية تختلف اختلافاً كلياً عنها قبل أن تحيط به تلك البلوى الجاثمة ، بلوى النفي والحرمان من الجلوسية .

ولا يسعك أن تفتح أول صفحات الكتاب فتكف عنه حتى تأتي على آخر صفحة فيه . فانك لا تشعر بأنك تقرأ ، وإنما تشعر بأن بعض مواكب الحياة تمر بك الواحدة تلو صاحبتها ، وتحس بأن الجوّ الذي يكتنفك هو حق الحقائق لا جوّ الأوهام الذي تعيش فيه . تشعر بأنك العبد المسترق لعُرف الدنيا ، وتوقن بأن الحياة المدنية ليست أكثر من جملة أشياء تواضع عليها الناس ، ولكن أكثرها خطأ ، فكأنك تعيش في عالم أساسه الخطأ ، وأساسه الاستبداد ، وإنك إذا انحرقت شيئاً مما هما تواضع عليه الناس وأخذت به الدول ، فأنت الشريد في دنيا كلها يأس وكلها قنوط وكلها أسفاكات ، بل إنك تشرف من تحت على عالم يلوح لك أنه عالم من نسج الخيال لا من واقع الحقيقة .

تفهد فيه خلجات نفسية عميقة/ كل العمق وإن كانت في ظاهرها من بسائط الحياة . إنسان مجوع ويشعر بالبرد ويمأوره اليأس ويحدوه الأمل وتجري في دمه خلجات الحب ، وهو بعد في موقف من الحياة كله صراع وكله تضارب خفيف بين أمر القوانين وحاجات الحياة . تدس فيه صراع القلب والمادة ، وتجاالد الفهوة والعقل ، وتنافس الأمل واليأس أيهما يفوز بأن يستولى على تلك النفس التي تريد أن تطمئن فتزلزها الأحداث وتضربها قوارع الزمن بسياط من نار .

غير أنك تلحظ في تضارب أمواج هذا الخضم أن في الانسانية بقية من روح وحشاشة من عطف وإنارة من حب ، هي كل أهل أولئك الذين لا يزالون يحسنون الظن بالإنسان .

والكتاب ثورة ساكنة ، وصرخة هافنة ، بعد أن كان في نفس كاتبه ثورة جاثمة وصرخة مُدَوِّية . ذلك هو الفرق الذي يلسه الناقد بين وقعة المصيبة ورمادها الذي تخلطه ومصيبة صديقنا العراقي إن كانت قد أصبحت الآن رماداً ، إلا أن في ذلك الرماد شملاً من نار تبدو ثم تحبو ، تؤمل أن تنقلب أقباساً من نور ينتفع أبناء هذا الجيل بما فيها من روائع حقبة من حياة رجل عاش كريماً ونفي كريماً وقضى حياة النفي كريماً فلم تكن له فناء ولا التوى له عود .

م . ا

### الأوذيسة

السيدة عبدة سلام الخالدي — صفحاه ٢٨٥ — المطبعة المصرية بالقدس

في جورٍ منقل بالهموم ، مشحون بالغموم ، يسود فلسطين الجريح اليوم . تتوالت في نفس أديبة فلسطين الموهوبة السيدة عبدة سلام الخالدي نوازع الأدب وتطلع علينا بكتاب ( الأوذيسة ) الذي نقلته الى العربية نقلاً ما أحسبه إلا وقد جاء مطابقاً للأصل وأخرجته إخراجاً متصل الأجزاء ، محبوبك المرد ، مطمئن السياق .

وأسلوب ( السيدة عبدة ) في ترجمة ( الالياذة ) قبل عام أسلوبها في نقل الأوذيسة ) : براعة أداء وروعة أسلوب ، وقد مهدت لهذه الطرفة الجديدة بكلمة ( تمهيد ) موزونة في تعريف ( الأوذيسة ) قالت منها :

« الأوذيسة هي إحدى الملاحمتين الخالديتين المنسوبتين الى هوميروس الشاعر اليوناني العظيم ، وهي وصف دقيق لرحلات ( أوديس ) ملك إيثاكة ، تلك الرحلات التي دامت عشر سنوات واكتشفتها الأخطار والمشاق في طريق رجوعه الى بلاده ، بعد سقوط طروادة

وعضي السيدة الخالدية في سرد تفاصيل المعركة مرداً مائلاً الى أن تقول في الأوذيسة : « وهي تصف لنا وصفاً رائعاً جذاباً حاداً الغريب في تلك الأيام وتتناول طريقة عيشهم وآداب سلوكهم ، وتعاملهم في أيام سلمهم ، كما وصفت لنا الالياذة حالة هؤلاء الأغريق في أيام حربهم وقتالهم »

ويقينا أنني ما انكفأت مرة على تلاوة ما يخطه قلم السيدة عنبرة من طرائف البحوث  
ويُضفيه على الخزانة العربية إلا 'وعادت بي الذكرى الى رسالة تلقيتها يوماً من زعيمة  
كواب لبناني السيدة مدني صائغ في وصف السيدة عنبرة قالت منها :

« ... إن في نساء هذه الأمة العربية قوى هائلة مستقرة بدت لي بوادرها منذ أعوام  
وكان لي حظ مرافقتها منذ هببت ، فبالروعة عند ما ترغي وتزبد ، جالسة كالإله الغالي ،  
وبالأنوثتها المستحبة تخالف سنن الطبيعة وتقتنع بالهمود عندما يوضع الغطاء وتسد المنافذ  
وتحكم الاقفال ! ولكن همد يتلوه تدفع وإصرار في غير تنطع ودعوى ، وفي غير  
نفاظة وخشونة ، هو تدفع ترافقه يد الله الرؤوم ، فتفتح أمامه النوافذ وتعمل الاقفال  
لأن فيه الحياة كل الحياة ، ولأن فيه الخير كل الخير !

ها هي السيدة عنبرة في بلاد الغرب تبعث وتثقب وتستقصي ثم تنقل لبني قومها هذه  
الصور الرائعة التي ما سبق أن جمعها قلم شرقي بهذا الالام وهذه الاحاطة ، الى هذا الانسجام  
والانساق والدقة في التعبير الى هذا التغلغل في لبّ الفهم وكنهه حتى حدّ الاكمال ،  
بارك الله في قلم السيدة عنبرة وأطال في حمرها لتمدّ الخزانة العربية بمثل هذه  
الطرائف التي يطرب لها عشاق أدبها ويقدرونها .

القدس — فلسطين

البروي الملتزم

### الكتاب الذهبي لجريدة البصير

تلقينا من حضرة الأستاذ شارل فميل وموديس فميل صاحبي جريدة البصير التي  
نعدر في الاسكندرية نسخة من الكتاب الذهبي الذي أصدرته الجريدة بمناسبة مضي  
خمسين عاماً على انبعاثها .

وفد اشترك في تحرير هذا السفر النفيس طائفة كبيرة من أعلام السياسة والأدب  
في السفر السكندري فجاء الكتاب آية في أناقة الطباعة وجمال الاخراج وحسن التبويب  
والذوق في اقتناء موضوعاته .

ويطلب الكتاب من دار الجريدة في الاسكندرية ومن وكالاتها في شارع قصر  
البيل رقم ٣٥ في القاهرة .

## فهرس الجزء الثالث

من المجلد الثالث عشر بعد المئة

- ١٦٧ من فلسفة طاغور : ا. م .  
 ١٧١ تنمية مدارك الطفل : شريف المشاشي  
 ١٧٥ نظرات في النفس والحياة : ع . ش  
 ١٨٦ سياسة الازهاد الاجتماعي : جمال الدين حدي  
 ١٩١ نظرة في البشرية ( قصيدة ) : ادوار مرقص  
 ١٩٦ الرائد اللاسلكي سلاح الحلفاء المصري : عوض جندي  
 ١٩٩ صدى أنشودة الكرمانيول : ماري ماندرون : ترجمة الآمنة نعمت حني  
 ٢٠٦ طازفة الليل ( قصيدة ) : يوسف جبرا  
 ٢٠٨ المناعة والتلقيح : الدكتور عبده وزق  
 ٢١٣ الساكن الجديد : محمد مفيد الشوباشي  
 ٢٢٥ قرطبة : محمد رجب البيبي

- ٢٢٩ باب الاخبار الطبية \* نزارلس داروين في حديثه . البحوث القرية في الطب : وديع فلسطين  
 حالنا القرية . تلفزة السرح . لماذا يكبر الانسان . بنات الاكتشف في الناطق الطبية . الماد  
 تكتشف عن وسيلة جديدة لمنع الاصابة بنزلات البرد . اجراء أبحاث ذرية في بروكافن في نيويورك  
 ٢٣٨ مكتبة المقتطف \* الكتاب القمي لمهرجان خليل مطران بك : وديع فلسطين . خواطر من  
 الطب . التسكار . ٨٩ شهراً في المنق ا. م . الاوفية : البدوي اللثم . الكتاب القمي  
 لهجة البصير .

### ٢ - لحق المقتطف

٩٦-٩٩ عالم الدرة او الطاقة الدرية والفنية الدرية : بقلم نقولا الحداد

# المقطف

الجزء الرابع من المجلد الثالث عشر بعد المئة

٢٩ ذو الحجة سنة ١٣٦٧

١ نوفمبر سنة ١٩٤٨

## الروحانية وتطورها

عند البدائيين وفي العصر القديم

- ١ -

منذ عصور موعلة في القدم ، اعتقد الانسان أن الشخص الحي يختلف عن الجثة الميتة ، في أن جسمه حال الحياة ، يحوي جوهرًا مخالفًا للبدن يُوجّه أغراضه وحركاته ، ويحكم في غائته وتجده ، وإليه يرجع السبب فيما يعتلج في الانسان الحي من إحساس وفكر وشعور . ذلك بأن الاعتقاد في مثل هذا المبدأ الروحاني ، أو النفس ، قد علق بأذهان كل السلالات البشرية العائقة على ظهر الكرة الأرضية ، بلغة ما بلغت من انحطاط النفاة أو ضعف القوى العاقلة . ولقد نجد ما نستدل به على وجود هذا المعتقد جليًا في أقدم ما خلف الانسان من الآثار .

واعتقد أهل الثقافة والعلم من الأمم ذوات الحضارات العالية أن النفس موجود غير مادي أو هي مبدأ فاعل يلبس الجسم . غير أن الفرق بين الأشياء المادية وغير المادية ، لم يتقرر إلا بعد عصور متطاولة من البحث والدرس ، وبعد التنقل في درجات من الفكر صقلت التصور الإنساني في حقيقة النفس . أما المعتقد الذي ساد بين الجماعات ذوات الثقافة الدنيا ، فداره أن كل إنسان لا يتكوّن في ذلك الجسم المادي الذي يتنقل بين عشرينه فقط ، بل إن فيه مع الجسم نسخة أخرى منه ، ظلّية الصورة ، بخارية اقوام . هذا المصباح البخاري ، الذي هو المبدأ الروحي الحال في الكائن العضوي الحي ، فيه القدرة على مفارقة البدن ، وعلى التنقل بسرعة من مكان إلى مكان ، وعلى استخدام كل القوى التي

يملكها حال ملابسته الجسم ، أو جُلِّسَها على الأفل ، أينما كان وحيثما حلّ . وما السُّوم  
عندهم إلاّ انفصال هذا الجوهر عن الجسم انفصالاً موقوتاً . كما أنهم كانوا يمتقدون أن  
للغيبوبة والإغماء وغيرها من الأمراض الشديدة ، إنما ترجع إلى انفصال كهذا قد يطول  
أمدّه . أما الموت فهو انفصال نهائي حيث يفتقل ذلك الجوهر الى مكانٍ قصيٍّ بعيد .

أما كون هذا المعتقد من الأشياء الواقعة عند كثير من الشعوب ، فيدل عليه عنايتهم  
التامة بمراعاة عادات تلقاه ، نمبر عن منزلته من أنفسهم وعقولهم أتمّ تعبير . من تلك  
العادات أن لا يوقظ النائم لئلاّ تهرب نفسه فلا تعود إليه . فإذا كان من الضروري إيقافه ،  
فينبغي أن يكون ذلك بتلطف وتؤدة ، حتى يكون لنفسه من الوقت متسع كي تحمل في  
الجسم مرة أخرى . ومن ذلك أيضاً أن أصدقاء المريض قد يستقدمون رجلاً منطبباً ،  
فيحاول هذا أن يقع في غيبوبة ، حتى تتمكن نفسه من تعقب نفس المريض التي تكون  
معمنة في الرجمي نحو عالمها الثاني ، فتقبض عليها إن أمكن قبل أن تكمل جولتها في الارتداد  
نحو وادي الموت ، لتتحلّ علمها ثانية في بدن المريض . فإذا وقع الموت ، بادر أصدقاء  
الميت وأهله الى اتخاذ كل الوسائل الممكنة التي تساعد النفس المفارقة في جولتها ، وتحقق  
صعادتها في أرض الظلال ، حيث يعتقد أنها سوف تحيا حياةً تشبه أقرب القبة حياتها  
البدنية في هذه الدنيا .

من عادات قبيلة الكايفس Kayans في برنيو مثلاً ، أن يجلس شخص من له مראה  
خاصة بجوار الخيمة ، حيث يظن أن الروح تظل جاثمة بضعة أيام بعد الموت ليؤدما  
بتفاصيل دقيقة ترجعها في رحلتها الى أرض الموتى

إن عادات الدفن عند كثير من الشعوب تؤدنا بشواهد بخلية تظهرها على الاعتقاد  
بأن الروح المتجردة عن البدن تماثل في كل الاعتبارات الأساسية الشخص الحيّ حال قيامه  
في الحياة روحاً وبدناً . والمادة الدائمة في أن يقتل بعض العبيد أو الزوجات عند موت  
رجل نابه ، إنما فيه تعبير عن الاعتقاد بأن أرواح هذه الضحايا ترافق روح الميت حيث  
تذهب ، وأنها تستمر على القيام بخدمته كما كانت تخدمه قبل الموت . كما أن هناك عادة أوسع  
من هذه انتشاراً وذوبعاً ، هي أن تحرق مع جثة الميت أثمن أمتعه ، وبخاصة أسلحته  
وأدوات زينته ، وقد ترجع الى الاعتقاد بأن لهذه الأشياء نسخاً طيفية أو أرواحاً  
شبحية ، يمكن أن تحملها الروح المفارقة معها ، لتستخدمها في العالم الآخر ، كما كان  
يستخدمها الإنسان الحي في هذه الدنيا .

أظهر الأستاذ إ. ب. تيلور E. B. Tylor في الفصول التي مقدما عن الفكرة الروحانية ،

حقيقة التصوّر البدائي في « الروح الشبح » وأبان بجلاء ، عن شيوعها الواسع من حيث الزمان والمكان ، وذكر عليها من الأمثلة ما يجعلنا تمدد صُورها واختلاف ضروبها (١) ولا نكف في أنه عزّاها الى السبب الصحيح ، حيث ردها الى ما يعالج الانسان من ظاهرة الأحلام والرؤيا ، وانصال ذلك بالمعلومات التي يتلقاها في النوم وفي الغيبوبة والاضغاث ومن ظاهرة الموت نفسه . وفي حالة النوم ، حيث يكون الجسم محتاجاً للراحة ، يظلّ النائم غير واعٍ للأشياء المحيطة به . فيخيّل إليه أنه زار أما كن قصبة ، وأنه التقى بأشخاص وحدّثهم وأنه ارتدى ملابس في أثناء هذه المخاطرات التي تطوّف به في الأحلام ، وأنه تقلّد سلاحه . وقد يرى في الرؤى وفي الأحلام ، خيالات مصوّرة بصور أصدقائه المتوفّين . ولما كان أكثر الهمج على اعتقاد أن ما يمرّ بهم من تجارب الأحلام ، إنما هي حقائق واقعة ، كالحقائق التي تمرّ بهم في اليقظة تماماً ، فانه من الطبيعي ، بل ومن المحتوم ، أن تقوم هذه الأشياء الى نظرية أن النفس الشبح ، ذاك الذي يستطيع أن يظهر خلال الأحلام في أماكن قصبة ، تاركاً البدن في حالة أشبه بحالة الموت ، هو بذاته الجوهر الروحاني .

فيل إن الإنسان البدائي قد تصوّر أن الروح الشبح شيء مادي . ذلك في حين أن الأستاذ « تيلور » يصفها بأنها « تصور روحاني » . غير أن وصفك « الروح الشبح » على ما أدركه البدائيون ، بأنه مادة أو روح ، إنما هو وصف مُضِلٌّ سائِق الى الخطأ ، فإن هذا الشيء إذا جاز نعمته بهذه الأوصاف ، وجب علينا أن نصفه بأنه روحٌ ماديٌّ . ولا شك في أن هذا تضارب في اللفاظ وتناقض في المصطلحات ، يرهانا عليه أن الشعوب التي نعتقد في « الروح الشبح » ، لم تستوعب بعد تصوّر التفرقة بين الأشياء المادية والأُمادية . والبحري المادية والروحانية ، وهو تصوّر لم يتميز في عقل الانسان إلاّ في عصور قريبة من عصرنا بعض الشيء . ومن الواضح أنّ « الروح الشبح » يُدرك بوجه عام ، على أنه كثيراً من الخصائص المادية وأنه يحتاج الى نفس الأشياء التي يحتاج إليها الروح الحالّ في البدن ، وأنه ممرضٌ لآلام البرد والحرّ ، والجوع والعطش ، وأنه مقبّد بحالات المكان والمادة ، ولكن بصورة أقلّ مما تكون إذا تقمص البدن البشري . هذه المادية الغفناضة التي يتصوّرها البدائيون « للروح الشبح » ، تمّ عنها العادات التي يلزمها كثير من الجملعات ، إذ يعمدون الى فتح ثغرة أو وقف في السقف أو الجدار في حجرة الميت ، ليخرج منها الروح المفارقة ، أو هم يركزون أنبوبة من الخيزران الجوّف في الأرض فيؤسّق الجنية المدفونة ، حتى تتمكن الروح من زيارة البدن الذي فارقتهُ .

(1) Primitive Culture E-B-Tylor London 1871, especially chap. xi.



شيثان اثنان منهما نستطيع أن ندرك الصورة التي تكيّف بها المعتقد البدائي في « الروح الشبح » : هما الخيال والتنفس . نخيال كل إنسان إنما هو شيء هبائي دقيق جداً له بعض الشبه بالشخص الذي يلزمه في كل صور نشاطه ، ولا يفارقه إلا إذا نام أو مات . وكذلك النفس الذي يؤخذ شبيهاً ويردّ زفيراً من الأنف أو الفم ، فهو شيء مرتبط بالحياة ، فإذا حدث حدث الموت زال واختفى . وجرت العادة في بعض البقاع أن يقرب من الطفل الوليد من فم المصحّض ، فيتلقى الطفل روحه الفاردة فتحلّ فيه ويلطول بذلك عمره في هذه الحياة . وتدلنا اللغة فوق ذلك على أهمية الدور الذي تلعبه الأفكار المكونة في عقل البدائيين عن الخيال والتنفس مثل كلمة طيف وظل وروح ونفس (١) :

عرّف الأستاذ تيلور « الروح الشبح » تعريفاً لم تقع على أجمع ولا أبين منه ، فقال « إن تصور هذا الشيء قد انحصر في أنه جوهر رقيق غير ماديّ شبيه بالإنسان ، وأنه في طبيعته ضرب من البخار ، فكأنه غشاوة أو خيال ، هو مبدأ الحياة والفكر في الشخص الذي يحلّ فيه فيض في عليه صفة الحياة ، يستقل وحده بالوعي والإرادة التي يتصف بها الجسد إذا لابس في مستطاعه أن يخالف الجسد وراء ظهره مصافات شاسعات ، وأن يتقل بسرعة البرق من مكان إلى مكان ، هو في أكثر أمره هبائيّ شفاف غير مرئيّ ، ومع ذلك فله قدرة طبيعية ، وقد يظهر مرئياً لأشخاص ما في حالة الصحو أو النوم ، كطيف منفصل عن الجسم الذي هو شبيهه ، يبقى ويظهر للناس بعد موت صاحبه ، فيه القدرة على أن يدخل بدن غير صاحبه أو أبدان حيوانات ، وفيها يؤثّر ويحتكم وقد يفعل نفس ذلك الفعل بالجمادات . »

منذ أن نشر الأستاذ « تيلور » كتابه « الثقافة البدائية » أصبحت الفكرة الروحانية موضع العناية والبحث من جانب كثير من المؤلفين ذوي القيمة ، وبالرغم مما كتب ونشر في هذا الموضوع يعتقد الأستاذ « وايم مكندوغل » أن ما كتب « تيلور » في « الروح الشبح » وفي نشوء الفكرة فيه ، بقي ثابتاً لم تزعه عواصف النقد ولا محاولات التجديد . ومن رأي العلامة « أندرو لانج » Andrew Lang أن اهتلاس (٢) اليمظة أو تخيل الأشباح أشياء يمكن أن تكون ذات أثر بالغ في تنشئة هذا التصور . وحاول مستر « مرت » R. R. Marett وغيره من المنفعيين لرأيه أن يثبتوا وجود تصور سابق على تصور الروحانية ، يجعل لكل شيء في الطبيعة قوة غير معينة تماماً أو خصيّة بذاتها ، فأر ذلك في عقل الإنسان البدائي تأثيراً جره إلى الفكرة الروحانية . بل قالوا : إن هذا التصور

(١) وفي مصطلحات المدور الوسطى Spiritus, Anima, Animis, Pneuma

(٢) مهتلس الغفل : مملو ( المخطوط ٢٠٩ : ٢ )

هو المصدر الذي استمدت منه كل المعتقدات التي شاعت في أرواح البشر والحيوانات والنباتات ، ونصورات التجسيم في القوى الطبيعية<sup>(١)</sup> والفكرات في الآلهة والشياطين ، وعلى الجلة ، كل الآراء المتعلقة بالوجودات الروحانية . فمن هذا التبع صدرت كل هذه التخيلات ثم تفرعت فصارت شيعاً وضروباً . ومن رأي الاستاذ « مكدوغل » أن هذا الرأي يصح أن يكون تعقيباً على نظرية « نيلور » ، لا أن يكون نظرية تحمل محلها .

إن الإنسان البدائي عندما عزى إلى الحيوانات والنباتات والجمادات « رُوحاً شبيهاً » فالغالب أنه إنما خصها بذلك بالتبعية لنظريته التي كوَّنها من تأمله في الحياة الإنسانية . جاء هذا الاستنباع بحكم الضرورة . فإن الأشخاص الذين يشاهدون في خلال الأحلام والرؤى ، يظهرون معهم كلامهم وأسلحتهم وملابسهم وغير ذلك من متعلقاتهم المادية . والظاهر فوق ذلك تغليباً أن « الروح الشبح » في الإنسان ، كان أول تصور تام وصل إليه العقل في وجود قوى ذاتية ذات ذكاء وفهم ، تعيش وتعمل منفصلة عن المادة الجامدة ، وعن كل ضروب الأمر في داخل موجودات بدنية . وإذا صحَّ هذا فإن تطور الرأي في قوى من طبيعة شبيهة بالقوى الإنسانية ، وليست إنسانية ، كالشياطين والآلهة والأرواح ، خيرة وثيرة ، لا بد من أن يكون قد جاء بالاستنباع والتقدم من هذه الفكرة الأساسية التي كوَّنها الإنسان البدائي في « الروح الشبح » الذي يحلُّ في الإنسان .

ذاع ما يشبه الاعتقاد بذلك « الروح الشبح » في عصور مختلفة وأما كن متفرقة ، فلابس صوراً متباينة . فإن بعض المجمع يتفقون مع بعض فلاسفة العصر القديم في اختصاص كل إنسان بروحين أو ثلاثة أو أربعة أرواح ، تختص كل منها بوظيفة معينة . غير أن ما يقع بين الشعوب البدائية الثقافة من الاختلاف والتنافر في الرأي تلقاء ذلك المعتقد ، أجلي وأبين عن اتفاقهم وتساوق رأيهم فيه . والنظرية في « الروح الشبح » دائمة كل القديع في كل بقاع الأرض . وهي فوق ذلك ملجأً بلجاً إليه في تعليل كثير من المعلومات والمراثيات التي تلت انتباه الناس على مختلف ثقافتهم . ولهذا قد افترض ، وقد نكون في فرضنا محقين ، في هذه النظرية قد تكونت في عقول كثير من الشعوب وفي كثير من مختلف بقاع الأرض وإن أن هذه النظرية من المطابقة لأساليب التفكير التي يأخذ بها فريق من النوع البشري البعيد من التأثير بسفطة التصديق المسرف ، ما مكَّنها من البقاء إلى العصر الحاضر ، حتى لقد أخذت تنقل مع المآثورات التي ترثها الجماعات الإنسانية في مختلف الأصقاع وكل مظهر من مظاهر التصور البدائي الذي قام من حول هذه النظرية يمثل له عملياً واعتقادياً ، بأشياء

لا تزال دائمة بين كثير من أجيال أوربا السامية الحضارة ولا يخرج عن حكم هذه القاعدة الاعتقاد بـ «بديّة الروح» ، فقد يعبر عنه تعبيراً صريحاً بالعادة المتبعة في فتح نوافذ حجرة المحتضر وبابها ، حتى تتمكن الروح المفارقة من مبارحة المكان ، كما يعبر عنه ذلك الوم الجرمانى الثابت ، في أن « الروح الشبح » الذى يفارق أمّا في حالة الوضع ، قد يعود ليرضع الطفل ، وقد يضطجع بجواره فيترك أثر ثقله على الفراش .

إن تاريخ تطوّر الروحانية في خلال الخطا التي خطتها الحضارة الأوروبية نحو الكمال زودنا ببيّنات تثبت حقيقة أنه في كيان كل جماعة من الجماعات المتحضرة ، يندفع تياران من التقاليد الماثورة ، أو بنموطان من العقيدة والعادة ، ينسابان معاً وفي آن واحد ، فيتفاعلان ولا يندمجان ، هما : تيار التقاليد الشائعة الذي يضر الأكرين ، وتيار التقاليد الثقافية الذي يختص به الأفلون .

في مدى الأتوار التي تقلبت فيها الحضارة الأوربية ، ظلت المعتقدات المتعلقة بطبيعة النفس البشرية ومصيرها غامضة متنوعة متقلبة . وبالرغم من أن التصور البدائي في الروح الشبح ، قد ظل ثابتاً في العقلية العامة ، خضوعاً لنفس الأسباب التي أدت الى اعتناق كثير من شعوب الهمج لهذا المعتقد على تدابر ما بينهم في الزمان والمكان ، فانه لم يصبه التغير ولم يخضع للتطور منتجاً في تطوره طرقاً ملتوية معقدة ولم يدلف الى حيث قدمي عليه بعض الشيء وأصابه قليل من ظلامية الفكر ، إلا بعد أن تناولته تعاليم زعماء الدين ، ومسته بهارج الفلسفة ، ومحاولات العلم . على أن العناصر التي تناقلت التقاليد الهامة من هذه المصادر ، كانت في أكثر الأمر منافية منطقياً لنظرية « الروح الشبح » . وهذه المناقاة قد أخذت ولا شك بضلع كبير في الحيلولة ، وبخاصة في مجرى التقاليد العامة ، دون تكوين فكرة محدودة مقبولة قبولاً إجماعياً كما خلفت نزعة شككية أو سلبية في أساسية الحياة المقبلة ، ظلت سائدة في كل العصور وعند كثير من الشعوب .

وكما تقدمت المدنية ، زاد العلم وامتدت فوضى الفكر العام ، تلقاء هذه المشكلة المعطى حتى لقد بلغنا في عصرنا هذا مبلغاً تضاربت فيه تيارات الفكر حاملة كل ضروب الآراء والمعتقدات ، التي قتلها الأجيال الماضية بحمق وتنقيحاً .

أما أن نحاول أن نتأثر كل الانحرافات والشعب التي انساق فيها ذلك التيار المعكر ، تيار التقاليد العامة فذلك ولا شك أمل خائب ، ومحاولة بائرة . ولهذا سأقصر هي في الصفحات التالية على تأثر تاريخ الروحانية في التقاليد الثقافية دون غيرها . سأعمل على أن أظهر ، بعد المرور بعصر الروحانية البدائية ، على أية صبرورة كسفت التقاليد الثقافية هذه

الأسامية ورفعت من حواشيتها ، حتى وصلت الى هذا العصر ، فساد يلقى بها ، بعد أن وجدت على مدى الازمان الخالية في زاوية من زوايا متحف أنثروبولوجي ، لتكون هناك مناراً للأشجان<sup>(١)</sup>

إن المؤثرات الرئيسة التي خلقت الروحانية وصورتها في التقاليد الثقافية ، منتزعة إياها من الروحانية البدائية ، وقذفت بها في ذلك الجرى المضطرب ، لا تعدو ثلاثة مؤثرات .

الأول - تعليم أنبياء اليهود

الثاني - تأملات اللاهوتيين والفلاسفة في اليونان القديمة .

الثالث - جهه د الآباء النصارى متأثرين بالتقاليد الثقافية المنقولة من دنيا اليونان القديمة والتقاليد اليهودية ليكونوا مذهباً مفصلاً مقبولاً في الكنيسة .

\* \* \*

للغريانيين القدماء تصوّر في الروح يشبه في جوهره تصور « الروح الشبح » عند كثير غيرهم من الشعوب . وإنه ينبغي لنا أن نفرق ، كما قال الميجل الاستاذ

(١) طاشت الروحانية في أساطير الاطارقة ، وتناقل أساطيرها الشعراء ، فقد زعموا أن ملكاً كان له ثلاث بنات سمى صفراهن بـ سيكي ، وبالزئاق اليوناني بسوخي Psyche ، وكانت فريدة في جمالها حتى خيل للناس أنها الزهرة الهة الجمال ، فحبوها ومجلوها . فلما رأت الزهرة منهم ذلك أخذتها الغيرة ، فأرسلت إليها أروس ( اله الموت ) ليرى قلب سيكي بهم ، فلقى بها في هوى أروى أروى الداس منظرأ وأفسدم فطرة . فلما رأى أروس جمالها شغف بها حباً . وكان أبوها يرغب في أن يزوجه فأرسل يستشير أبولون ، فكان جوابه أن لف ابتك في كفن ، واحملها الى رأس جبل ، فقد قدر عليها أن تزوج من وحش يربح منظره الناس والجبان . فلفت كما أمر أبولون وحلت الى رأس الجبل وتركت هناك ، مودعة بالدموع والانات . وما كادوا يفعلون حتى هبط إليها ملاك حملها الى قصر منيف كامل الميزات من قصور الاله أروس . وكان أروس ينشأها اذا جن الليل ، ويفارقها اذا تنفس الصباح ، على غير علم منها ، فلا تراه ولا تلم من هو . وظلت على ذلك زمناً في رعد من الميئس وخفض من الحياة ، حتى اذا كان ذات يوم هبط عليها اختاها فأحفظها ما رأتها عندها من النعيم والسعادة ، وكان أروس قد أوصاها أن لا تسأله عن اسمه ولا تطلب منه أن تعرف من هو . ولكن أختيها قد أوحا إليها أن هذا الذي ينشأها انما هو وحش مأواه الظلام . فلما جن الليل ونام أروس أدنت منه مصباحاً ، فاذا به أجل الآلهة ، فهزتها الفتوة ، ولم تنهك ، فانصب بعض من زيت السراج على كفتفه ، فاستغاق منضجاً متألماً ، وتوارى عنها بعد أن عنفها وآذاها بالتمنيغ . فخرت عليه ، وهمت بأن تلقي بنفسها الى اللج ، وخرجت من قصرها تطوف البراري والقفار حتى وصلت قصر الزهرة ، فأسرت فيه واستعبدت . غير أن أروس كان بها صبا مستهماً ، فلما عثر عليها أسيرة عند أمه ، رقت لها ومضى يث فيها المواء والسوى من غير أن تراه أو نحس به ، ثم استعطف الزهرة ففت عنها ، وتزوج بها ، وزواجاً لن يقبه فراق ، ولن يناله صدم .

والمتشغلون بدراس الاساطير يذهبون بإجماع على أن هذه الاضطورة انما تدل على اعتقادهم ، أي الاطارقة بأن النفس خالدة ، تطهرها مصائب هذه الحياة وأحزانها ، حتى تحظى بالنعيم الابدي المقيم .

شارلس<sup>(١)</sup> ، بين التصور العميق البدائي ، والتصور الذي انطوى عليه العهد القديم<sup>(٢)</sup> (التوراة) . فالتصور البدائي على أن الانسان يتألف من عنصرين : روح أو نفس وجسم . والنفس مقر الإحساس والشهوة ، وبدرجة أقل ، مقر العقل ، وأنها مطابقة للشخصية . والنفس أو الروح تفارق البدن عند الموت ، فتعبر هذا العالم الى العالم السفلي حيث تكون أرواح الموتى : « شيول » Shool . على أن هذا القول قد تحوّر بعض الشيء عند غير البدائيين من الشعوب ، فقد اعتقد بعضهم ، أن الروح تظل حائمة تطوف في الأمكنة المجاورة بعض الوقت بعد حدوث الموت . أما العلاقات والمعادن الأرضية فكانت تتكرر في « شيول » . فإني يمتاز هناك بمملته ، والملوك يتيجانهم وعروشهم ، والأغلف بتلك الجليلة المعروفة ، كذلك يمتاز كل أمة بقسماتها ، بل وبملابسها وحاداتها . زد الى ذلك أن المنتقلين الى عالم الموتى يتطعمون فيه بملاعهم التي كانوا عليها في برهة الموت . أما أرواح الأجداد فتعرف أرواح أحفادهم وأخلافهم ، وينتفعون بما يقدمون لهم من خدمة أو مواساة . بفضل التعاليم التي أتى بها الرسل وتطور الفكرة في التوحيد ، بدأت الروح تنفصل عن النفس . وبالرغم من أن النفس ظلت الجوهر الرئيس للجسم ، ومقر النشاط العقلي لم تختص بالبقاء بعد موت البدن . فبالموت تنطفيء النفس وتزول ولا يبقى إلا الروح . ولكن لما كانت الروح قوة للحياة غير مُشَخَّصة ( impersonal ) تحمل في الانسان والحيوان ، فانها تعود الى مصدر الحياة الكلي ( Fount of all life ) فكل وجود ذاتي ينتهي بالموت . في تقسيم شخصية الانسان ذلك التقسيم الثلاثي ، تستقل الروح والنفس بعضهما عن بعض في الجوهر والاصل . فالروح هو الاصل غير المُشَخَّص للحياة والذي مصدره الله ، ومرتدة بعد الموت الى الله . أمّا النفس ، وهي المبدأ المُشَخَّص في الانسان ، فالوظيفة العليا التي تنشأ في الجسم النشط ، وتندثر باقصال الروح . من هنا ، واتباعاً لهذه الوجهة من النظر ، تنفي النفس عند موت البدن ، ويصبح معنى « شيول » وهو مقر الألفس ، مرادفاً لمعنى أَبَدُون - (٣) Abaddon أو الدثور . البقية من ٣٠٢ اسماعيل مظهر

(1) A Critical History of the Doctrine of a Future Life in Israel, in Judaism, and in Christianity". by R. H. Charles, D. D. (2) Old Testament التوراة

(٣) Abaddon جهنم ، الشيطان ، الهاوية ( أخط دركات جهنم ) ملاك الهاوية ، الهلاك ، الفناء ، الدثور من كلمة عبرية معناها الفناء ( Abad ) أي destruction or annihilation ومنها الفعل العربي باد وأباد ، أبدون ( ي سفر أيوب في العهد القديم ٢٦ : ٦ ، والزماير ٨٨ : ١٢ ترجت « الهلاك » .

# الارشاد الاجتماعي

وعلى أي أساس يجب أن يقوم ؟

## الدراسة التشريعية

لكل علم موضوع يختص به دون غيره ، ويبحث في مشكلاته وشتى بحوثه ، فإذا اختص الكيمياء بالاجسام وعناصرها ، والفلكي بالنجوم وحركاتها ، فبأي شيء يختص العالم الاجتماعي ؟

إنه يختص بالأحداث الاجتماعية ، فما على الباحث إلا أن يدرس الأمور الاجتماعية ، بعد أن يترك جانباً غاياته الشخصية ، وأهواء نفسه ، ليجعل هدفه إيجاد القوانين التي تسير عليها . وقد يجهل بعضهم شبيهاً بين الأحداث التاريخية والاجتماعية ، وقد يظن أن موضوع العلوم البيولوجية والنفسية والاجتماعية واحد ، مع أن لكل واحدة من هذه المعارف خصائص ومميزات .

فالحوادث التاريخية والحوادث الاجتماعية قد تتشابه كثيراً ، ولكن الخلاف بينهما ينحصر في وجهة النظر وطريقة البحث . فالمؤرخ يدرس حدثاً مقررناً بالزمان والمكان ، أما الاجتماعي فيخرج من المعين إلى المطلق ، ويحلل عدة حوادث تشابهت مواضعها ، ليأتينا بالقوانين التي تسير عليها .

وعليه فإن الأحداث الاجتماعية مستقلة عن الأحداث التاريخية والبيولوجية والنفسية . وقد قال دوركايم في كتابه عن الانتحار « إذا كان هناك علم للأحداث الاجتماعية ، فلا بد له من أن يقوم بدراسة عالم جديد ، يخالف ما تدرسه سائر العلوم ، ولا يؤبه لهذا العالم الجديد إلا إذا كان مكوناً من مجموعة من الحقائق » <sup>(١)</sup>

(١) راجع Durkheim; Le Suicide 6-10

وراجع أيضاً علم الاجتماع الديني للاستاذ يوسف شلحت — الفصل الاول — توطئة

والحق أن الأحداث الاجتماعية حقائق راهنة ، أي إنها لا تقل في حقيقة وجودها من الأشياء المادية . و « الشيء » في حد ذاته يمتاز بكونه لا يتغير طوعاً لا إرادة الانسان ، وإذا أراد الانسان أن يحدث فيه بعض التغيرات ، عليه أن يبذل بعض النشاط والجهد ، بسبب الموانع والمراقيل التي يضمها « الشيء » في وجهه . وللأحداث الاجتماعية نفس الصفة فهي لا تخضع لإرادتنا ، بل إن إرادتنا هي التي تنقاد لنا ، وإذا حاولنا مقاومتها ، وأفلحنا في محاولتنا ، فالقوات التي تضعها في وجهنا والصعاب التي نلقاها هي الدليل على استقلالها عنا .

ولا زبد أن نذهب إلى حد القول بأن الأحداث الاجتماعية هي أشياء مادية ، إذ أن القول بمادية هذه الأحداث معناه أنها كالأشياء خاضعة لقوانين محتومة بصورة تفرض على الباحث عنها أن لا يضع نصب عينيه فكرة الجبر الاجتماعي ، ولكننا نقصد إلى أن نقول إن الأحداث الاجتماعية ليس أمرها فوضى لا قياس لها تقاس عليه ، بل إنها تخضع بدورها لقانون « السببية » الذي يعرفه العلم الحديث في ميدان التجربة ، وإن كان يستحيل على الباحث الاجتماعي أن يقوم بإجراء تجارب كذلك التي يلجأ إليها الكيمائي ، وهذا ما حدا بعدد من المفكرين ، ومن أشهرهم « جون سينوارت مل » إلى القول باستحالة التجربة في العلوم الاجتماعية .

على أن الأحجى أن يقال ، إن القانون ، وهو مظهر وثمرة الفن التشريعي الدقيق ، لا يكفي وحده لأن يضطلع بسبب المجتمع في القالب الفني أو النموذجي الذي يريده له المصلحون والمهترعون ، كما لا ينبغي وحده في أن يكون الثقافة الاجتماعي الأول لمحاربة الادواء والعلل التي تنهك ، بمعنى أن يكون التجربة العملية الناجحة دائماً ، أو الموعول الأول دائماً عند تنفيذ سياسات الإصلاح الاجتماعي حملةً وتفصيلاً ، ولعلنا لم ننسَ بعد تلك « الثورة » الفكرية الفذة التي انطوت على اعتراضات فقهية لهاوجاهتها ولها تقديرها بمناسبة عرض مشروع القانون المدني الجديد على برلماننا المصري ، وكيف انصب اعتراض جلة فقهاءنا على تأكيد خطورة ذلك المبدأ الذي ينادي بأن تفزع إلى سلاح التدريع كلما توهمنا أن ثمة نقصاً يعترض ترائنا القانوني في أي تقنين من تقنيناته المتعددة .

فاذا كان هذا هو الحال في ميدان هو من صميم القانون وموصول بأوثق أوامر النسب الى التشريع كعلم وفن ، فكيف به في ميدان الارشاد الاجتماعي الذي يعتمد أول ما يعتمد على إحسان سياسة التوجيه قبل اتقان مهنة التقنين ، ومعنى أول ما يعني بتلقين الأخلاق الاجتماعية عن طريق الاقتناع والاختيار لا عن طريق الاكراه والضغط والجبر ؟



إن الحقيقة الجديرة باعتبارنا ، والتي دلت عليها الحوادث والوقائع في مجتمعات شتى لا ينقصها أن توصف بالتحضر والرفي ، تحدونا الى أن نجعل التشريع آخر ملجأ نلجأ إليه ، بل إنها لتحثنا على أن نجعل أي تشريع من تشريعاتنا صدقاً أميناً لظروفنا المادية وملابسنا الاجتماعية وبخاصة من النواحي العقلية والنفسية والأخلاقية ، حتى لا تنجي هذه التشريعات بمثابة أثواب فضفاضة يتعرض فيها الشعب ، أو قل الغارز والمُستغاثين لارتباط بينها وبين عقلية الشعب المطالب باحترامها وتنفيذها أية رابطة من روابط الانسجام والتفاهم والاقتناع بصواب الحقائق التي تنطوي عليها هذه التشريعات ، وليس من بدع في هذا الأمر ولا غرابة ، وبخاصة إذا عرفنا أن القانون لم يخلق المجتمع البشري . ولكن المجتمع هو الذي خلق القانون ، وتطور المجتمع البشري هو الذي ساعد على تطور القانون ومكّن له من أن يستعمل الى الصور التي نأتي حاجات الجماعة البشرية وتماهي مطالبها العادلة .

إذا أدركنا هذه الحقائق كلها ، أمكننا أن نكشف السر في تقاصر كثير من التشريعات الوطنية عندنا عن تلبية مطالب الجماعات ، وبالحرى في جودها وتلاشيها تدريجاً الى حد نبيان أمرها ، بعد ما أثار من الضجة والدوي ساعة ميلادها وإخراجها للانفراد في صورة قواعد ملزمة .

ولقد طافت مصر ذاتها هذه التجربة وستظل تعانيها طيلة فترة الانتقال التي تجتازها منذ ثورة عام ١٩١٩ . فلقد تفتحت روح القومية المصرية تفتحاً مريعاً وانبعثت تطلب آفاقاً جديدة من المعيش ، فكان أن حاولت الاداة التشريعية مسابقة هذه النهضة في كثير



من مناحي الحياة ، ووفقت في بعض خطواتها على حين أنها تعثرت تعثراً ملحوظاً في بعضها الآخر ، مما يدلنا أقطع الدلالة على أن كل إصلاح لم يهتم بعد في نفسية الجماهير ولم تهضمه بعد عقلية أبناء الطبقة المطالبة بإطاعة القانون الاصلاحى الموضوع لصالحها ، لا يكون مآله إلا الإخفاق والفشل واستبعاده من نبت النظم الاجتماعية التي تسير على نهجها حياة الجماعة .

إننا إذن يجب أن نطامن من تهمسنا الفأر للإصلاح الاجتماعي عن طريق التشريع ، وبالتالي ، من الأيمان الأعمى بمجدوى القاعدة الملزومة في تثبيت أقدم الارشاد الاجتماعي وتقوية معنوية المرشدين . وأحسب بنا وأولى أن نكون العقلية الاجتماعية المستفيدة من طريق التدرج الوئيد الذي تملسه طبائع الأشياء في نطاق الاجتماع ، من أن نحاول الطفرة بأفراد الشعب الى حد الكبوة به بصورة قد يستحيل بعدها إقائته من عثرته أو تخليعه من كبوته ، فضلاً عما يتخلف في نفسية الجماهير من جراء ذلك من سوء ظن بالمشرعين وواضعي القوانين .

على أن هذه الحقائق كلها ليست بمحاولة دون البدء في دراسات فقهية اجتماعية مقارنة تتوفر عليها نخبة من المتضلعين من الدراسات القانونية والاجتماعية ، ويتم اعدادها وتحضيرها في جو التعاون المشترك ، ولنحاول بدراسة المشكلات التي نضر أن عقلية الشعب قد بلغت إزاءها حداً من النضج والفهم يجعلها سهلة التقبل لكل إصلاح يأتيها عن طريق التشريع



ولقد توفرت وزارة الشؤون الاجتماعية بالفعل على اعداد طائفة من هذه الدراسات ، تتعلق بالطفولة المشردة والابوة غير الجديرة بحماية أبنائها وبمشكلات الطلاق ونعدد الأزواج الى غير ذلك من الدراسات التي بلغ بعضها درجة عالية من التجديد والاتقان ، لولا ما شاب بعضها من روح التمرع المسيئة التي أمرنا إليها ولولا ما يؤخذ على بعضها الآخر من تمخاذه الدراسة الاجتماعية أو تخلفها عن مسايرة الدراسة الفقهية جنباً الى جنب ، كما لم المشرع ، وهذا أمر من الأهمية بمكان ، بروح الموضوع من الناحية الاجتماعية وحقيقة

انفق التي يجب عليه معالجتها وحلها ، كي يستطيع أن يحكم بعد ذلك على مدى جدوى  
النوب التشريعي في إعداد المشروع وإخراجه الى حيز الوجود .

• • •

لهذا أرى — ويرى معي الكثيرون — أن تكون الرابطة التي تربط بين أداة الدراسة  
الاجتماعية ، ممثلة في ادارة الارشاد الاجتماعي ، وبين أداة الدراسة التشريعية ممثلة في ادارة  
البحوث الفنية والتشريع ، على أقوى ما تكون الروابط ، بل إنني لأذهب إلى أبعد من  
ذلك فأناادي بوجوب إدماج كل من هاتين الإدارتين في ادارة كبيرة شاملة تتولى  
العملين جميعاً وتنهض بعبء العمل من بدايته الارشادية إلى نهايته الفقهية العلمية . وهنا  
سيظهر لنا ان التفاعل بين الحقائق الاجتماعية في محيط الحياة العملية ، وبين الحقائق  
التشريعية في أدق صورها العلمية والفنية ، حقيق أن يكشف لنا عن آفاق جديدة من  
الاصلاح تحيي أكثر مسايرة لوضعية الحياة القومية المصرية ، من هذه المحاولات  
الاصلاحية العرجاء التي لا يكاد يجمعها جامع أو يربط بينها رابط .

ولا زلت أقول إن التخصص مفقود ، أو يكاد يكون مفقوداً في إدارة الارشاد  
والحال كذلك في قسم التشريع الحالي بإدارة البحوث ، إذ أن تنظيم الوضع الجديد المقترح  
لا يمكن أن يؤتي بثمرته المرجوة إلاّ بواسطة تكثير عدد الاختصاصيين في كل من فروع  
الإدارتين واستبدالهم بغيرهم من غير المتخصصين الذين يعملون فيهما

• • •

وإلى هنا تنتهي فصول البحث ، وقد راعيت فيها مجازة الحقو العلمي ، والتفصيلات المرفقة  
كي أخلص منها إلى صورة لعلها تكون أقرب إلى الموضوع في أذهان القراء ولعلها تجعلهم  
بعد ذلك يؤمنون بخطورة مفاكالت الارشاد الاجتماعي ومخطورة موضوع الاصلاح الذي  
يجي عن طريق الارشاد .

صالح الربيع صمري

رئيس الارشاد الاجتماعي بوزارة الشؤون

## چيزيل

ابنة الامبراطور شارلمان  
نقلتها الى العربية واعدتها تمثيلية  
الآنسة : نعمت حسني

### الأشخاص

فرديناند : من أبناء النبلاء في البلاط الامبراطوري	فرانسوا : من حاشية الامبراطور المقربين
أدولف :	هارالد : قرصان وثني
شارلمان : الامبراطور	اليزابيت : ابنة الامبراطور شارلمان
چيزيل : ابنة الامبراطور شارلمان	النايفة

### في البهو الامبراطوري

فرديناند : ألا ترى يا أدولف ، أن الامبراطور قد أصبح قلقاً مضطرباً في هذه الأيام ؟  
أدولف : نعم .. لقد لحظت عليه ذلك يا عزيزي فرديناند  
فرديناند : إن الامبراطور شارلمان ، الذي أنفق ثلاثة وثلاثين عاماً من عمره حتى الآن وهو يحكم مملكة العظيمة .. ملك أعنة المجد .. وبلغ من الفخر فانيته ...

أدولف : فأتى يقيم في هذا القصر ، طلباً للراحة لمدة من الزمن .. أليس كذلك ؟  
فرديناند : عفوك يا عزيزي : إن الامبراطور ، قد أتى الى قصر الجوميج .. لا  
اعتزم الإقامة به .



أدولف : اذن فهذا القصر القائم بالقرب من الدير .. والذي تشرف أسواره الضخمة ، على نهر السين . سيتمخذه شارلمان مقره الجديد .

فرديناند : هو ما تقول ، فان الحياة في هذا القصر تلذ للامبراطور ، ويطرب لها .. غير أنه أصبح قلقاً مضطرباً ، من رؤية تلك القوارب الكبيرة التي تمخر عباب البحر . وكأنها هي تطير فوق المياه ، في خطوط منتظمة . وقد جلس فيها الجداًفون صفيين ...

أدولف : انها قوارب فريدة في نوعها .. لها قوادم غاية في العلو . لا تنال نهايتها الامواج مهما تعاظمت . وقد نقشت أعالي هذه القوادم ، على هيئة رأس حيوان التنين .. رمز الوثنية .

فرديناند : إنك لا زلت حديد البصر ، كهدي بك يا صاحبي .. أرايت أيضاً ، أن هذه القوارب ، لها قلوب بيض ممبجة .. بعضها مخطط بالأحمر الأرجواني .. وبعضها مخطط بالأزرق السماوي ؟

أدولف : أجل ، ورايت أيضاً ، ذلك البريق الذي يأخذ الابصار ، عندما تنعكس الشمس على دروع الجداًفين المتقاربين .

فرديناند : كفى يا عزيزي . فربما أتى الامبراطور على حين غرة .. فيسمع ما يدور بيننا ، عن أولئك الرجال الذين ينثرون غضبه ...

أدولف : لقد كان بالأمس في حالة شديدة من الغضب . وهو ينظر من هذه الشرفة .. وقد استند الى حافتها بقبضتي يديه المرتعشتين .. وكان الكل من حوله سكوتاً .. حتى الاميرة جيزيل ابتته ...

فرديناند : آه . جيزيل ، ذات الغدائر الذهبية الطويلة .. إنها أعز أخواتها على أبيها .. لله ما أمهلها ، وما أبهاها .. آه ! اني أنسى

أدولف : على رسلك يا فرديناند .. كنت من ساعة تنصح لي أن أكون حذراً ، وأنا أتكلم عن أولئك الرجال الذين أتوا يزاحون الامبراطور في بحاره . فبالله الآن ، تسرف في الكلام عن إبتته ، غير طابع بما في ذلك من

الخطر الشديد .

فرديناند : وأي خطر في ذلك ؟

أدولف : ألم يصل الى علمك أن الامبراطور يفضب غضباً شديداً ، إذا علم أن رجلاً ينظر الى إحدى بناته ؟

فرديناند : حتى ولو كان من أبناء النبلاء ؟

أدولف : بل ولو كان ملكاً متوجاً . فهو يؤثر ألف مرة ، أن تهب ابنته نهاراً ، لدير من أن يراها من ربات التيجان .

فرديناند : إن كان ما تقول ، فاني أخاف أن يتبدل حيي وتقديري لذلك الرجل .

أدولف : صه ، يا فرديناند . والأفضل لنا أن نتكلم في أمور خاصة بنا . لئلا يباغتنا الامبراطور . أرايت ! ها هوذا مقبل علينا من بعيد . فلنصلح من شأننا ما استطعنا . فهو يحب أن يكون أبناء النبلاء ، حسني الهندام .

فرديناند : آه ! وها هي جيزيل بصحبته . ( صوت خطوات تقترب )

شارلمان : فرديناند . أدولف . أرى عليكما أثر الاهتمام . ويغلب على ظني ، أنكما كنما تمكلمان عن أولئك المحاربين الاخساء المجانين .

جيزيل : أبي ! يجب أن نضع حداً لهذه الحال . إن أولئك الرجال ، على ضالة شأنهم ، أوشكوا أن يسببوا القلق لجميع من في القصر .

شارلمان : لقد أصدرت أوامري بالامس ، الى بعض من أئق بهم ، ممن لهم دراية وخبرة ، بإقامة الكمين . لأمر ولو رجل واحد ، من أولئك الرجال .

فربما حدثتهم أنفسهم ، واقتربوا بمراكبهم من السواحل في مكنون الليل .

جيزيل : وهل نجحت الخطة يا صاحب الجلالة ؟ هل وقع واحد منهم في الكمين ؟

شارلمان : نجحت الخطة يا صغيرتي . ونجحت الى حد بعيد . فقد وقع في الكمين رئيس الجماعة ، وأخذناه أسيراً ، واسمه هارالد . هيا ، فرديناند . هيا ، أدولف . ستشاهدان بعد قليل ، هارالد الوثني وهو يعرف الآن

الفرنسي . فقد لقنه إياه رجل فرنسي ، وقع في أمر أبيه ، كما يزعم .  
 فرديناند : هل ننتظر أواصر عليها علينا صاحب الجلالة الامبراطورية ؟  
 شارلمان : لا ، مكانكما يا صديقي . فبعد لحظة ، سيزدحم هذا البهو الكبير ، بعطاء  
 البلاط الامبراطوري . وسيتقاطر رهبان الدير الى هنا . بعد ان ذاع  
 خبر وقوع هارالد ، ذلك الذي يدّعي لنفسه اماره البحر ، وهو بعد ،  
 ليس إلاّ أفافاً من الشمال ، ذلك الفيكنج ، كما يسميه بعضهم .  
 والنورماندي كما يسميه البعض الآخر . فلكل يريد رؤيته . ( صوت  
 جلبة وأقدام )

الاصوات معاً : طاش الامبراطور شارلمان .

شارلمان : خذوا أما كنكم يا سادة . تقدّم هنا ، يا فرانسوا . تكلم . هل رأيت  
 السجين ؟

فرانسوا : نعم يا مولاي . رأيته عندما اقتيد الى السجن . وهو شاب في مقتبل  
 العمر . كبير الجسم ، متين العضلات ، جميل الحيا . وكان يحاول التماس  
 من حراسه ، وقد بدت عليه ممة التوحش والكبرياء . أهبه بفهد صغير  
 وهو ينظر فيمن حوله ، بعينيه الزرقاوين ، وكأنما الشرر يتطاير منهما .

شارلمان : هل بلغتهم أمري .. إني أريد أن أراه وأكله في الحال ؟  
 فرانسوا : نعم ، يا مولاي .. وسيأتي بعد قليل ، مكبلاً بالسلاسل والأغلال ...  
 ( صوت جلبة )

شارلمان : إني أسمع جلبة .. لعله هو .. آه ؟ نعم .. ها قد أتى . ( بغضب وقد  
 رأى هارالد مقبلاً عليه ) أنتى لك هذه الجرأة ، فتأتي أنت وأتباعك ،  
 لناهضتي في بحاري وأنهارى ؟ ألا تعرفون اسم الامبراطور شارلمان ؟  
 ألا تعلم أنني السيد المطلق ، على هذه الممالك الشاسعة ؟

هارالد : ( بهدوء ) أنا ملك البحر ، وملكتي أكبر من ممالكك جميعاً .

شارلمان : إني أحكم رجالاً كثيرين ، يخطئهم العد .

هارالد : أنا أسيطر على الأمواج - وهي أكثر عدداً وكثرة ، من رجال الأرض جميعاً .

شارلمان . ألا تعرفون عندي ، أنني أخضعت اللومباردين ، وأخذت تاجهم الحديدي .. وكذلك أخضعت البافاريين والآقاريين وأهل اسبانيا .. وإني جعلت من الماكسونيين نصارى ، وأنزلتهم على حكلي ؟

هارالد : لقد جعلت الأمواج تنحني لقواربي ، وهي خاضعة ذليلة .. وانتقاد العواصف لاوامري وتصرفي .. فأنا سيد الزوابع والهواء .. وأنا أعز منك سلطاناً .

شارلمان . ( هاجماً عليه ) هيا أغرب عن وجهي .. وإلا قتلتك في الحال .

هارالد : ( هاجماً على شارلمان ) سأحطم رأسك بهذه السلاسل .

جيزيل : ( مجروح ) أبي ! ( هارالد ) كيف تهجم على مولاك ، أيها النمس ؟

هارالد : سيدتي ، إني آسف .. ويؤلمني أن هذه السلاسل ، قد مسّت شعرك الجميل .. وهي غلطة أشعر منها بالجل .

شارلمان : ( متهمكاً ) حسن . هارالد ، امبراطور ! امبراطور الزوابع وملك الهواء . تحت سطوتي وتصرفي .

هارالد : ليس في مقدورك غير قتلي .

شارلمان : أقدر على أكثر من ذلك .. سأحتفظ بك مكبلاً بالسلاسل .

هارالد : إذا صاد أحدنا طائراً متوحشاً .. فليتنا كد أنه سوف لا يحتفظ به طويلاً .. وأن الطائر سوف يعود إلى الحرية .. أو يحطم رأسه على قضبان القفص .

شارلمان : هذا جميل .. إذن ، عد إلى السجن .. وحاول أن تفلت منه .

### موسيقى

جيزيل : ( وقد رأت فرانسوا مقبلاً عليها باهتمام ) آه ! هذا أنت يا فرانسوا .. أوراك شيء من الأخبار ، أيها العجوز ؟

فرانسوا : أتود مولاتي ان تسمع أحجب الاخبار ؟  
جيزيل : بلا شك . . على أن تكون أخباراً صحيحة . . ليس فيها شيء من  
المبالغة .

فرانسوا : عفواً . . هل قصصت يوماً على مولاتي شيئاً خلاف الحقيقة ؟  
جيزيل : إذن هيا حدثني عن تلك الاخبار ، التي تسميها صحيحة .  
فرانسوا : إنما أريد أن يبتى ذلك مرةً بيننا ، يا مولاتي !  
جيزيل : أعدك بذلك .

فرانسوا : لقد فرّ هارالد الفيكنج . . وقد وجد باب السجن السندباني العظيم ،  
مفتوحاً على مصراعيه . كما وجدت الأغلال الحديدية ، على عتبة الباب .  
وكأنه يروم بصنيعه هذا . الاستمراء والسخرية .

جيزيل : ( بصوت خافت ) هرب . يا رحمة السماء . ( لفرانسوا ) وماذا قال الامبراطور  
عندما علم بهذا الحادث ؟

فرانسوا : غضب غضباً شديداً . وأمر بالبحث عن الهارب ، وقتله أينما عثر عليه .  
وان لا يذاع خبر هربه إلا بعد القبض عليه .

جيزيل : إنه حادث غريب ، كما تقول . ولكن ، هل تظن إنهم سوف يعثرون عليه ؟  
فرانسوا : لست أدري . بل يغلب على ظني ، إنهم لن يعثروا عليه أبداً . لقد سمعت  
أموراً غريبة ، عن أولئك الشيكنج .

جيزيل : وماذا سمعت ؟

فرانسوا : سمعت إنهم أتوا من بلاد بعيدة في الشمال . تحيطها أسوار ضخمة من  
النلوج البراقة . وإنهم يعرفون أغنية يغنونها إذا أرادوا طي الأمواج ،  
حسب هواهم . وأغنية أخرى ، تفتن بها الزوابع فتخضع لسلطانهم .

جيزيل : لا ريب أن تفاع مثل هذه الأقاويل ، في أحوال كهذه . والآن هيا اذهب ،  
إلى حقيقتي الأميرة اليزابيت . وقل لها إنني أود أن أراها . وإني  
منتظرة هنا .



- فرانسوا : ممّا وطاعة ، يا مولاتي سأذهب في الحال ( يخرج )
- جيزيل : يا الهي ! مالي أشعر بالخوف . أليس من الخجل ، بل من المدهش . أن أشفق على حياة هارالد ، حبيب الأوثان ، الذي اجتراً على أبي ؟ إني لأعمر أن وجهي يحمر خجلاً . وكم أتمنى ألاّ يعثروا عليه أبداً . فلا تلوّن صلاتي ، وليحفظ الله قلبي بعيداً عن الشطط ( ضجة خفيفة )
- يا الهي ! ماذا أرى . هارالد !
- هارالد : لا تنصرفي يا سيدتي الجميلة . فإريد بك سوءاً .
- جيزيل : ولكن ماذا جاء بك هنا ؟ ألا تعلم أن والدي يبحث عنك ليقطلك . فلماذا لم تهرب ؟
- هارالد : لقد هربت .
- جيزيل : إذن ، لماذا عدت الآن ؟
- هارالد : أردت أن أراك . أردت أن أقول لك مرة أخرى ، إنه أحزنني ما بدر مني . وإني عند ما عدت الى سجنّي ، في تلك الليلة ، لحمت خيطاً حريراً من شعرك الذهبي الجميل ، ملتصقاً حول أغصالي الحديدية ، مما سبب لي الخوف . وجعل عيني الجريئين ، تعرفان معنى الخجل ، وهما تتواريان تحت أجفانهما . أردت أن أقول لك أيضاً يا سيدتي : إني سأبقى طول حياتي محتفظاً بذلك الخيط الحريري الثمين .
- جيزيل : قلت لك اهرب يا هارالد . اهرب في الحال وإلاّ قتلت .
- هارالد : لا أستطيع . أريد أن أبقى قليلاً . فقد بهرني جمالك في هذا الثوب الأبيض الضافي . وهذا الأزار الموشى بالذهب . ثم ما أجل غداؤك القهيمية المسترسلة . ماذا أتمقدين أطرافها بأحجار الزمرد . فه ما أجل هاتين اليدين البضتين ، وتبينهما هذا الكتاب ذا النقوش القهيمية .
- جيزيل : هذا هو الكتاب المقدّس .
- هارالد : أرنيه يا سيدتي . من يكون هذا الطفل المسكين ، الرافد فوق القف . ولم هو طائر ؟

- جيزيل : هذا هو المسيح . . وقد ولد بئساً ، ليكون عزاء المستضعفين .
- هارالد : أما آلهي أنا فأنهم أقرباء . لديهم الأسلحة الحديدية . ولهم خوذات من الذهب ، تلعب فوقها أحجار ثمينة بلون البحر . وثيابهم من نسيج الذهب والفضة . وهم أقوى من العاصفة . وأجل من السحب عند الغروب .
- أما أصواتهم ، فهي ما يترامى إلى آسماءكم . تسمعونها أثناء الزواجر . خلقت أصباح الصيف الجميلة ، من بساطهم . إنهم ليتمكنون قسراً من خروجه من خالص الذهب ، وأرضه من أحجار الزمرد . وإذا أرادوا الهبوط إلى الأرض ، وصلوا إليها وهم يمشون بأقدامهم المقدسة ، على قوس قزح . إنني لأشفق على إلهك المسكين .
- جيزيل : كفى يا هارالد . قلت لك اهرب . إنني أسمع وطء أقدام .
- هارالد : حسناً . . سأختفي من هذه النافذة التي أتيت منها . إلى اللقاء يا سيدي الجميلة .
- جيزيل : آه ! لم يخطئ حذمي فقد كنت أشعر بوجود هارالد ، حولي في كل لحظة . ( صوت أقدام ) .
- اليزابيث : آه ! جيزيل . أصبحت صباحاً يا عزيزتي . لقد أخبرني فرانسوا إنك هنا في انتظارني . ولكنني أبطأت عليك قليلاً . فقد كنت في جدال مع الأميرة مادلين .
- جيزيل : لقد كنت أشعر بالملل والسأم من كل شيء . فأرسلت إليك . ولكن فيم كنما تتجادلان ؟
- اليزابيث : كننا نتكلم عن ذلك الثيكنج ، الذي وقع في أمر أبي .
- جيزيل : وهل علمتا عنه شيئاً جديداً ؟
- اليزابيث : لا ، إنما كانت مادلين تفص عليّ أموراً غريبة ، سمعتها من مريبتها عن أولئك الثيكنج ، وبلادهم وحياتهم . وهي تفص لا يكاد يتصورها للعقل .

- جيزيل : لقد سمعت أنا أيضاً ، مثل هذه الروايات الغريبة . ولكنني أرى انها روايات مختلفة ، لانصيب لها من الصحة .
- اليزابيث : ولكن ، ألا ترين معي ، أن جرأة هارالد الوثني ، لا مثيل لها . كما أن جماله عجيب يفوق حد الوصف ! انه أجمل من أي أمير رأيتُه حتى الآن . آه ! مالك يا جيزيل . فيما تفكرين ؟
- جيزيل : لا شيء . إنما أنظر الى السحب الداهية نحو الشمال . ( صوت وقع أقدام )
- فرانسوا : سيدتي الأميرة اليزابيث . عفوكا . فقد أكون قطعت عليك الحديث .
- جيزيل : ما وراءك من الأخبار ، يا فرانسوا ؟
- فرانسوا : خبر سار . لقد تعطف مولاي الامبراطور وأمر بإقامة حفل صيد في الغابات القريبة من البحر .
- جيزيل : ومتى يقام هذا الحفل ؟
- فرانسوا : في الغد يا مولاتي . وسوف يشهده جلالة الامبراطور .
- اليزابيث : آه ! هذا حسن . هل أخبرت الأميرة مادلين ؟
- فرانسوا : لا يا مولاتي . لم أخبرها بعد .
- اليزابيث : اذن . سأذهب إليها أنا لكي أخبرها بذلك . أكبر طفي انها ستفرح وتطرب بهذا الخبر ، أيما طرب .
- جيزيل : سأعود إليك بعد قليل . ( تخرج )
- فرانسوا : هل تأذن لي مولاتي ، بالذهاب ؟
- جيزيل : نعم ، اذهب يا فرانسوا ( يخرج ) لو أتيت لي أن أرى هارالد في الغابة ! قلبي يحدثني بأفني سأراه هناك غداً . إن خوفي من لقائه ، يفوق شوقي لرؤيته .

### موسيقى

( صوت الأبواق من بعيد . ثم صوت جواد يعدو . ثم يمشي على مهل )

- جيزيل : ما أجمل هذا المكان المنفرد من الغابة . آه ! وهذه الأشجار الكبيرة ! أخاف أن أكون قد أبعدت كثيراً عن الجماعة ، وأنا أطارد تلك الولة الملمونة ، التي اختفت فجأة . آه ! ماذا أرى . من يكون هذا الفارس . هارالد ! ما أحوجني الى الدهجاعة ( صوت جواد يعدو ثم يتمهل )

- هارالد : جيزيل ! لا عليك . تعالى . اتبعيني (صوت عدو الجوادين )
- جيزيل : لقد ملأت قلبي رعباً . كفى يا هارالد . لقد أبعدنا كثيراً . وأصبحنا بالقرب من الشاطئ .
- هارالد : كما تودين . ولنترجل عن جوادينا ( ويترجلان ) هل ترين ذلك القارب . انه قاربي . وهو في انتظاري . جيزيل ! اتبعيني الى مملكتي .
- جيزيل : لا أقدر . ولا يمكن لي أن أترك أبي
- هارالد : بل تعالى معي . يكن البحر مملكتك . وأحبك كما أحب الآلهة .
- جيزيل : لا أستطيع
- هارالد : بل اتبعيني . وإلا حملتك فسرأ .
- جيزيل : دع يدك يا هارالد . فقد آلمتني
- هارالد : آسف . والتمس صفعك مما بدر مني . ( لحظة )
- جيزيل : هارالد ! ماذا بك ؟
- هارالد : لقد مسّت جدائك يدي . وأنا أقبض على معصميك الآن . فتذكرت يوم رأيتك للمرة الأولى . جيزيل ! إذا أصبحت مسيحيًا وأمنت بالملك فهل يوافق أبوك على زواجنا ؟
- جيزيل : لا أظن . فهو لا يقبل أن يقدم للمسيح تقصاً ، عن طريق الغواية . فارحل ودعني يا هارالد . لقد كتب علينا ألاّ ننال سعادة العيش معاً .
- هارالد : جيزيل ! لقد هيمن حبك على قلبي وعقلي . وبث لا أرى في العيش معنى بغيرك .
- جيزيل : آه ! ما كنت أحسب أن الحب يعصف بالقلوب بهذه القوة .
- هارالد : جيزيل ! في استطاعتنا أن نسمع بالحب . فلم نجعله سبب شقائنا . هيا اتبعيني يا جيزيل . اتبعيني الى حيث تنتظرنا السعادة .
- جيزيل : كيف أسعى الى السعادة ، وأخلف من ورائي أباً حزيناً ، يذكّرني باللعنة حتى الممات . أيجوز لي أن أطمئن قلب أبي ، ذاك الشيخ العظيم في سبيل حي وسعادتي ؟ . إذن ، فليبق هنا جسدي ، أما قلبي فهو معك . فارحل يا هارالد .
- هارالد : لا ، بل سأبقى ، لكي أقتل ذلك الرجل الذي يزوجونك منه .
- جيزيل : لن أكون زوجة لرجل على وجه الأرض . بل سأكون راهبة في أحد

- الأديرة . أناجيك في عزلي . أناجيك وقت الصبح . وأستقبل نعيم  
النصبح على ذكراك ، الى أن أخضض ميني للكرى . فأرحل يا هارالد . أرحل  
هارالد : ولكني لا أريد الرحيل . أريد أن أموت وأنا بالقرب منك .
- جيزيل : أتوسل إليك ( صوت النهر من بعيد . فتقول له بجزع ) هارالد .  
هياً اركب القارب . فاني أخاف عليك .
- هارالد : ولكني لا أقوى على الرحيل . ان نظرائي لا نستطيع أن نتحول عنك .
- جيزيل : أتوسل إليك . أيرضيك أن أركع عند قدميك ؟ .
- هارالد : سأذهب . سأعود الى حياة البحار . حياة الزوابع والحوادث . وسأصبح  
معروفاً بالرئيس ذى العينين القاسيتين . الذي لا يحب الكلام ..  
ولا يبتسم أبداً .
- جيزيل : اما أنا . فإذا عدت الى قصر الجومبيج . فسأركع أمام أبي الامبراطور .  
لبأذن لي بالترهب . وسأعيش بقية حياتي ، في أحد الأديرة : منقطعة  
عن العالم . أبكي سعادتي المفقودة .
- هارالد : . وسيصبح هارالد الثيكنج ، ولا تعرف السعادة الى نفسه سبيلاً . لأنه  
التقى يوماً بجيزيل ، إبنة الامبراطور شارلمان ، والتفّ خيط من  
شعرها الذهبي ، حول معصميه . والآن ، دعيني أقبلك قبل أن أرحل  
عنك الى الأبد ( لحظة ) جيزيل ! دعيني أنظر الى عينيك ملياً .
- جيزيل : كفى يا هارالد : هياً اركب القارب . لآعود أنا الى الجماعة . قبل أن  
يلحق بنا أحد . اذهب وليحرمك الله .
- هارالد : وداعاً يا جيزيل . وسأناديك من بعيد ، كلما جنّ الليل وصاد السكون .  
سأناديك بكل قوتي ، وأنا أنظر صوبك . فاصمعي جيداً الى صوتي ،  
إما مختلطاً بأرق النسمات . وإما متغلغلاً في هزيم الرعد وقاصف الهواه ..  
سأجعل إيمك أمزوجة يترنم بها الهواه في جوف الليل . فوداعاً يا جيزيل .
- جيزيل : وداعاً يا هارالد .

موسيقى

نعمت منى

## طليلة

أتيت لنا أثناء إقامتنا بمدرسة زيارة بعض ما يحيط بها من الضواحي القريبة منها كالمتكوريال ومدينة طليطة لقضاء صحابة يوم كامل في كل منهما حسب الخطة الموضوعة بمعرفة قادة البعثة والمختصين بوزارة الخارجية الأسبانية . وقد كنا نتمنى أن تطول إقامتنا في كل بلد زورها لنكون أكثر نعرفاً بها وبمعالمها وآثارها ، إلا أن ضيق الوقت وارتباطنا بمودة الباخرة جعلنا نخصص لطليلة يوماً واحداً ، ومع ذلك فإن أتركنا أصبح في خيالنا لتصوير هذه المدينة العربية ، وترسم لها صورة قد تكون غير حقيقية ، اعتماداً على ما قرأته عنها أو ما سمعته من أخبارها . بل سأقص عليك ما شاهدته فيها بدون مبالغة لنحكم بنفسك على حقيقتها . وبالرغم من ضيق الوقت وكثرة معالمها الجديرة بالزيارة — كما علمنا بعد — فقد أمكننا الاطلاع بالقيء الكثير عنها .

ففي صباح اليوم الثاني من شهر أغسطس سنة ١٩٤٧ تركنا منزل ماير سيزار كارلوس Colegis Mayor Cesar Carlos مقر سكن طلبة الجامعة بمدرسة الذي نزلنا فيه مدة إقامتنا بهذه المدينة ، وبمنا نحو الجنوب شطر طليطة وكان علينا أن تقطع سبعة وأربعين ميلاً لنصل إليها بعد ساعتين تقريباً .

فاخترقنا أحياء مدريد الحديثة وشوارعها المتسعة المنظمة على أحدث النظم ، وقد بلغ عرض بعضها — كالشارع الكبير Gran Vía — نحو المائة متر ، في حين أن شارع فؤاد الأول بالقاهرة — الذي يعد من أعظم الشوارع عندنا — لا يصل عرضه إلى ثلث هذا القدر .

سرنا في هذا الفارع الكبير في القسم المخصص للحيارات حتى أصبحنا على أبواب مدريد الجنوبية . فقامت المنازل الهيعة به وتناثرت ( الفيلات ) على جانبيه وتباعدت

المسافات بينها حتى تركنا مدريد ورائنا لمسافة طويلة . وتوسطنا هضبة المربتا التي ترتفع عن سطح البحر أكثر من ألفي قدم .

مرنا في طريقنا المرصوف المتسع وسط حدائق الكروم والخرنوب وحقول الحبوب وغيرها ، وكانت تترأى لنا من حين لآخر بعض الوديان والجبال بترتبا الحمراء التي فتشتها هوامل التعرية من الصخور التي تحتها . ثم ما لبثت هذه الجبال أن ازدادت بالقرب من طليطلة . وتحتل هذه المدينة نفسها منطقة مرتفعة من الصخور الجرانيتية التي استعمالها السكان في بناء دورهم وقلاعهم .

عبرنا نهر التاجة الذي يمر بشمال المدينة فوق قنطرة تعرف بهذا الاسم ، رجع بناؤها الى عهد العرب . وتهادت سيارتنا في سيرها مجتازة شوارع طليطلة حتى وصلت الى ميدان كبير يتوسط المدينة .

هبطنا منها مع رفاقنا الأسبانيين فرحين مستبشرين بزيارة بلد عربي في مظهره وإن اختلفت لغة ودين سكانه متعدي مبانيه وإن اختلفت في طرزها من مكان لآخر . ففي الشوارع العامة والميادين الكبيرة نجد المباني الشاهقة ، مقامة على بوائك ضخمة تعلوها دور السكن بشرقاتها ومشربياتها ، وتحت هذه البوائك محال التجارة والمقاهي . ونشبه هذه الشوارع في نظامها شارع محمد علي بالقاهرة وما ذلك إلا أثر معماري خالد من عهد العرب في العصور الوسطى انتقل معهم من الشرق .

بينما نجد في الأحياء الأخرى الشوارع الضيقة الملتوية المرصوفة بقطع كبيرة من الأحجار أقيم على جانبيها جدران مرتفعة ، قليلة الفتحات الخارجية (من نوافذ وشرقات) وإن وجدت فتحجبها مشربيات من الخشب المخطط حتى لا يتيسر للشار رؤية من يطل منها من أهل الدور ، في حين أن هذه الفتحات كثيرة في الداخل ، وتفتح جميعها على أفنية داخلية كما في قرطبة وغرناطة ، وهي المناطق العربية التي تركز فيها حكم العرب عدة قرون . ولا فروق طليطلة كانت تحت الحكم العربي زهاء الأربعة قرون ، استعرب خلالها ما تبقى من سكانها من اليهود والمسيحيين واتخذوا عادات العرب ولغتهم ، واندمجوا مع الفاتحين ، ونتج من هذا المزيج الجديد حضارة ازدهرت في عهدهم ، لم تبلغ شأواً مثل ما بلغت في عهد العرب .

ولقد ترك العرب آثارهم في الأرض والسكان مما جعل لاسبانيا طابعاً خاصاً يميزها عن بقية البلاد الأوروبية . ويظهر هذا الطابع بصورة واضحة بصفة خاصة في آثارها الرائعة بطليطلة . ولقد عهد بذلك الاسبانيون أنفسهم فيقولون ، إن طليطلة مثل صادق للآثار التي تركها العرب في أسبانيا سواء في المباني أو في المرأة .

وجولة صغيرة خلال شوارعها تتيح لك الفرصة للتحقق من الجمال الفني والطبيعي وخاصة في النساء كما ترى في الشكل رقم (١)

فقد احتفظت المرأة الاسبانية بدقة التقاطيع العربية كالأنف الطويلة والعيون العمود الواسعة والشعر الفاحم مع أنوثة فياضة وجاذبية ساحرة ، كما وراثت من الغرب لون البشرة البيضاء المشوبة بحمرة خفيفة تزداد قليلاً إذا خجلت فتكسبها خفة ودلالاً عجيباً — هذا إذا رأيتها في الشارع دون أن تكلمها . أما إذا تجاذبت معها أطراف الحديث حدثتك بوقار وفي حياة محتفظة بعاداتها وتقاليدها الشرقية . ولا ينمع المجال الآن للكلام عن المرأة الاسبانية بأسباب ، إذ أن هذا يطول شرحه . وإنما أكتفي بهذا القدر الآن عن المرأة الاسبانية . لأنها أول ما يلفت نظرنا أثناء تجوالنا في شوارعها ونحن في طريقنا إلى القصر أو الكوار . والكوار اسم عربي يطلق على قصور في مدن مختلفة بأسبانيا . ففي أشبيلية (الكوار) وفي طليطلة (الكوار) الذي نحن بصددده الآن .

سرتنا نحو الكوار في طرق ضيقة ملتوية أخذت في الارتفاع تدريجياً إلى مرتقب طالٍ بعداً أعلى بقاع طليطلة . ولما أشرقنا على هذه المنطقة هالنا أمر كُنّا لا نتوقعه إذ وجدنا أنفسنا ترتقي خرائب وأطلال بقايا بناء ضخم تناثرت هنا وهناك ، كأنما قاذفات القنابل الثقيلة بالتعاون مع مدافع الهاون قد دمرت بعض هذا البناء تدميراً ، في حين صمد البعض الآخر ليشهد عدوان المغيرين .

ظننا أول الأمر أننا خارجين منطقة خربة قديمة إلى جهة أخرى لنصل إلى الكوار فيما بعد . وبينما نحن في طريقنا إذ وجدنا أنفسنا أمام باب ضخم ، وطلب منا دخول الكوار لمشاهدة أروقته الباقية وآثاره الداخلية . فدهشنا من أمره وعلت وجوهنا حيرة ، وأخذنا نتساءل في لهفة عن حقيقة سر الكوار .



وأمام هذا الأثر الخالد أخذ زميلنا الاسباني (كاستيلو) يقص علينا قصته. واليك أثرها:  
 وقعت الحرب الأهلية في اسبانيا عام ١٩٣٦ بين الاسبانيين الملكيين والشيوعيين الحمر  
 كما كانوا يسمونهم ، وليس بخاف على أحد انتشار عدوى الشيوعية في البلاد وأثرها الخطير  
 في التغلب على النظم القائمة حتى استطاعت التضليل بالرأي العام في اسبانيا في هذا العام ،  
 واشتعال نار الحرب ضد الملكية ، ابتدأت الثورة في جامعة مدريد فتهدمت عن آخرها ،  
 ثم انتقلت الى دور الحكومة فاقصر الملكي ، وكاد الحمر ينجحون في حربهم لولا هرب  
 الملكية وحاشيتها وحرسها الى الكزار واعتصامها ، فحاصرها الشيوعيون نحو ٧٠ يوماً ،  
 لاقى خلالها المدافعون عن الكزار كل الويل حتى كادوا أن يسلموا في آخر لحظة من هول  
 شدة قصف مدافع الاعداء عليهم حتى تهدم معظمه وخاصة طباقه العليا وسقفه وبعض جوانبه  
 كما هو مبين بالشكل رقم (٢) .

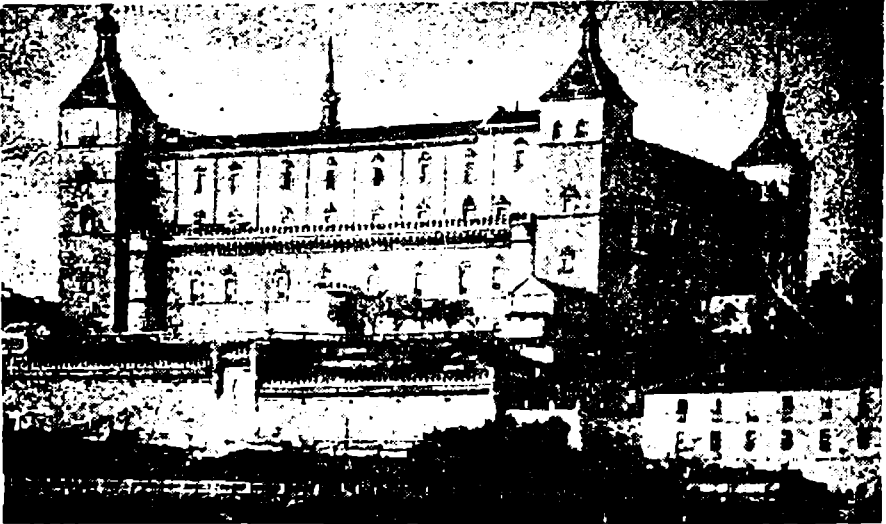
وقد نفذت كل المؤونة اللهم إلا من بعض بقايا الحبوب وكسر الخبز التي لا تقيم أود  
 المدافعين عنه كما نفذ الغاز وكثر عدد الجرحى داخل الكزار وصار الأطباء يعالجونهم في  
 ضوء الشموع كما بليت أسلحتهم الطبية . ومع ذلك فقد استخدموها حتى آخر رمق فيها  
 لانقاذ ما يمكن انقاذه من الأرواح البريئة . أما الذين قتلوا فقد دفنوا في جناح خاص  
 بالكزار بالدور الثاني . وقد بلغ عددهم ١٠٤ قتيل نقشت أسماءهم على أحد جدران هذا  
 الجناح أمام مقابرهم . وقبل نهاية الحصار أسر جيش الحمر ابن قائد الكزار المدافع عنه  
 « الكولونل ماسكاردو » Mascardo وكان عمر ابنه سبعة عشر عاماً ، واتصلوا بأبيه تليفونياً  
 يهددونه بقتل ابنه في الحال إذا لم يسلم الكزار . واستطاع الابن الاتصال بأبيه تليفونياً  
 يرجوه عدم التسليم ، وأنه سيضحي بحياته في سبيل نصرتهم في النهاية . فلم يسلم الأب  
 الكزار وقتل الابن وقد تم لهم النصر أخيراً على يد الجنرال فرانكو الذي استطاع محاصرة  
 الحمر من الخارج وهزيمتهم . وقد احتفظت الحكومة الاسبانية بهذه الذكرى الخالدة  
 فسجلتها على لوحة تذكارية كتب عليها قصة التسليم وتهديد القائد وتضحية ابنه بتاريخ  
 ٢٩ / ٧ / ١٩٣٦ ، ووضعت بين صورتيهما في حجرة القائد نفسه بالطابق الثالث من الكزار  
 ونعمت الحكومة الاسبانية عدم اصلاح الكزار بل احتفظت بحالته الراهنة لذكرى



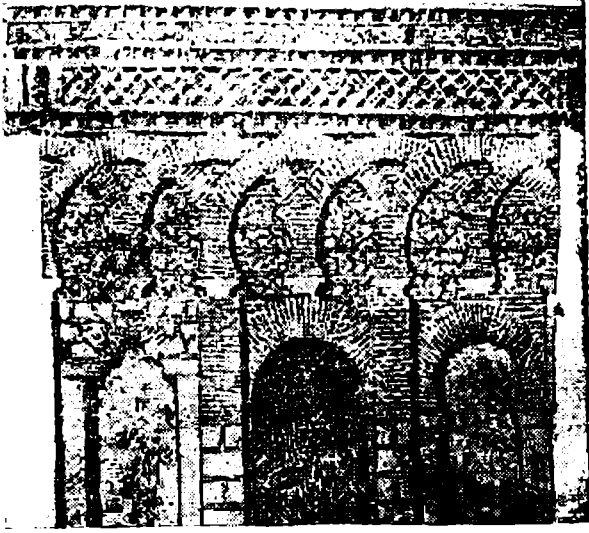
شكل ١ - عروس بملابسها الوطنية



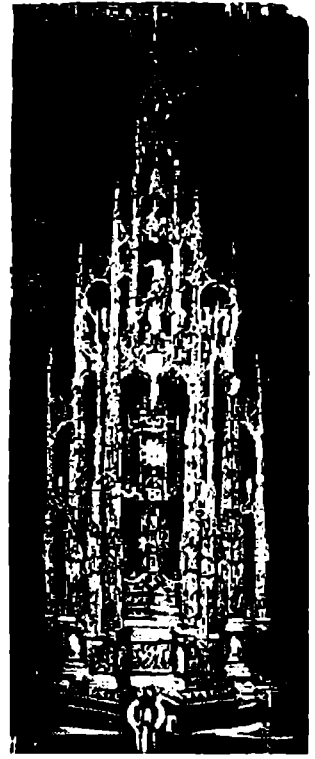
شكل ٢ - الكوار بعد النورة



شكل ٣ - الكوار قبل النورة



شكل ٤ - مسجد باب مردوم



شكل ٦ - تمحف من الذهب  
الخالص الذي اكتشفه كولبوس  
في القرن الخامس عشر



شكل ٥ - كنيسة سانتا ماريا البيضاء

والموعظة للأجيال القادمة من الاصباقيين وروحاً للوطنية وقوة المريعة والتضحية في سبيل  
لعمرة بلادهم ضد أي طغيان فاشم .

هذا هو الكزار إشكله الحالي بعد أن تهدم معظمه . أما الكزار الأصلي فإنه بناؤه مربع  
شامخ الارتفاع أقيم في كل ركن منه برج ، وله شرفات وبوائك في واجهاته ، كما هو مبين  
بالشكل رقم (٣) ويمكنك من مقارنة شكل الكزار قبل وبعد الثورة أن تدرك ما حل به  
من الحراب والدمار .

\*\*\*

طفنا بأرجاء الكزار لتتحقق مما وصل إليه من الداخل فإذا به في حال يرثى له ، فقد أعدَّ  
الطابق الأول للطهي وحفظ الأسلحة ، بينما خصص جناح خاص بالطابق الثاني لدفن الموتى ،  
يقابله من الجهة الأخرى جناح آخر يتكوّن من دهليز طويل مظلم ينفذ إليه الضوء من نافذة  
صغيرة في أعلا الجدار ، وقد مدت على أرضه قليل من الوسائد القديمة البالية تعاف الكلاب  
النوم عليها لردائها وقذارتها . وكان ينام عليها المرضى . وأمامها منضدة الطيب (المشرحة)  
التي خصصت لأجراء العمليات الجراحية عليها ، وفي جانب آخر من هذا الكزار أقيم معرض  
صغير احتفظ فيه ما تبقى من مخلفات الأدوية وبعض الجيوب وكسر الخزف والأسلحة القليلة  
وقد احتفظ بالطابق الثالث آثار حجرة القائد ومكتبه وتليفونه الذي تلقى به التهديد ، أما  
بقي هذا الطابق فقد تهدم ولم يبق منه إلا بعض الجدران الداخلية .

بعد أن طفنا بأرجاء الكزار خرجنا ثانياً حيث قد قاربت الشمس من كبد السماء واشتدَّ  
الحر وغلُمَت النفوس . ولم يبق لنا إلا فتيات صغيرات تبدو عليهم مسحة من الجمال الربيعي  
الأسباني ، وقد وقفن أمام الكزار في ملابس نظيفة ويرتدين نقالاً من القماش والقلمين أشبه  
عندنا الأحذية (الكاونشوك) وقد أمسكت كل منهن بحجر من الفخار بها ماء أشبه الابريق ،  
يطلق عليها الأسبانيون كلمة ( بطيخو ) وينادين ( أجوا ... أجوا ) ماء ... ماء فشربنا نظير  
دريهمات قليلة .

عدنا ثانياً نحو بحور طلبلة الضيقة ، نستظل بمجدرانها المرتفعة ، مارين ببعض  
أبوابها المتبقية والقلاع الشاهقة التي ترجع إلى العصور الوسطى ، حتى وصلنا إلى مورد ضخم

يحيط بالمدينة من الجهة الشمالية يشبه في علوه وضخامته أسوار صلاح الدين والعاقل التي تصل ببابي الفتوح والنصر في شمالي القاهرة .

يقع خارج هذا السور حديقة فسيحة تملؤها أشجار باسقة ، وتحث هذه الأشجار وبحوار كوخ صغير ( بوفيه ) جلسنا على كرامي ومناضد أعدت لنصف لسكل قادم . فتناولنا ما تيسر مما جلبناه معنا من الغذاء ، واحتسينا القهوة وشرب البعض الآخر مشروبات منلجة ، وقطعنا شطراً من الوقت حتى استرحنا قليلاً ، ثم عدنا ثانية لقمنا أنفس السير لزيارة باقي معالم طليطة الغنية بها .

وقد كان بطليطة عدد كبير من المساجد تهدم معظمها ولم يبق منها إلا عدد قليل تنكر لها الدهر وحولت الى معابد وكنائس بعد أن تغلب عليها المسيحيون في القرن الحادي عشر وأخذها الفونس السادس حاصمة له سنة ١٠٨٥ .

من هذه الكنائس سانت توم التي كانت مسجداً ثم أدخل عليه بعض التعديلات القوطية في القرن الرابع عشر لتحويله الى كنيسة .

وفي أحد هوارع طليطة الضيقة التي لا تتسع لأكثر من مرور سيارة واحدة بها ، وقفنا أمام مسجد « باب ردوم » يحيط به فضاء غير متسع ارتفع عنه الشارع بدرجتين ، وقد كان هذا البناء مسجداً أقدم ليذكر فيه اسم الله عام ٩٦٠ كما تدل على ذلك الكتابة الكوفية التي تعلو واجهته . ثم تحول الى كنيسة St. Cristo de la Suz ، أما الآن فهو أثر غير مستعمل احتفظت به الحكومة الاسبانية في عداد آثارها لذكرى والتاريخ .

وتنقسم واجهته ثلاثة أقسام أفقية يتكوّن القسم الأسفل منها من دعامتين بارزتين تقسمه ثلاثة عقود ، أكبرها العقد الأوسط وهو عقد دائري ، بينما العقد الأيمن على شكل حدوة الفرس ، والأيسر مفصص . ويظهر أن هذا الخلاف بين العقود الثلاثة راجع الى ما تناول الواجحة من الإصلاح . وقد بني ذلك القسم بالحجارة المشدّبة والطوب الأحمر في مداميك منتظمة أما القسم الأوسط فقد أُنِيَ بالحجارة الغير مشدّبة تبرز منها عقود متقاطعة صماء على شكل حدوة الفرس مبنية بالطوب شأنها في ذلك شأن باقي عقود المسجد .

أما القسم العلوي فقد بني أيضاً من الطوب ويتكوّن من أشرطة ضيقة أفقية من الزخارف المعيارية ، أهمها وأكثرها انساعاً الشريط الأوسط ، وقد بني من الطوب الذي استخدم في زخرفته على شكل معينات هندسية . ويملأها شريط من الكتابة الكوفية يبدأ بالبسملة وينتهي بتاريخ البناء كما هو مبين بالشكل رقم ( ٤ )

ويظهر أن العرب نقلوا فكرة استعمال الطوب في البناء والزخرفة من العباسيين بصرًا إلى مصر في جامع أحمد بن طولون ، ثم إلى شمال أفريقيا وأسبانيا .  
دخلنا هذا المسجد فإذا نجد أنفسنا في ردهة مربعة تنوسطها أربع ممد ، مختلفة تيجانها يظهر أنها نقلت من كنائس قديمة . ونحمل هذه الأعمدة اثنتي عشر عقداً تقسم الردهة إلى تسعة أروقة متساوية مغطاة بقباب أكثرها ارتفاعاً القبة الوسطى . وتلتصق بكل قمة من الداخل بقود متقاطعة في أشكال هندسية مختلفة في كل واحدة عن الثانية . وهذه الأشكال إما ثمينة متعددة الأضلاع أو معينات أو مربعات أو مستطيلات . وهذه تنقسم بدورها إلى ثلاث وهكذا .

إلى هذا القسم مكان الصلاة وهو يرتفع عن الأول بثلاث درجات ويتوسطه محراب على جانبيه صفان من الأعمدة الضخمة . وما لفت نظرنا أن بعض الجدران زخرفت بالفرسكو على بعضها رسوم آدمية يزنطية يظهر أنها من آثار الكنيسة القديمة التي تحول إليها المسجد فيما بعد .

وبالقرب من مسجد باب مردوم كنيسة سانت ماريا البيضاء Santa Maria La Blanca وهي مثل آخر للمساجد التي نالت من صروف الدهر ما لم ينل أي مسجد آخر ، فقد حوّل اليهود في القرن ١٣ ، ١٤ إلى معبد وغيروا ما كان به من الكتابة العربية إلى عبرية . ثم استولى عليه المسيحيون وأصبح كنيسة عام ١٤٠٥ . ويقال أنه كان ملجأ للنساء ١٥٥٠ . ثم استولى عليه البوليس وحوّلوه لثكنة . ثم إلى اصطبل لخيولهم . وقد فطنت الحكومة الأسبانية إلى ذلك فأخلته وأصلحت بعض أجزائه .

وبعد هذا المسجد مثل رائع للفن المدجرجن الذي يعتبر حلقة اتصال بين الفن الشرقي والفن القوطي ، ويجمع هذا الفن بين صفات الفن العربي والروماني والفسجوثي القديم . تأخذ عن الفن العربي استخدام الطوب في البناء والجص في الزخرفة ، كما استعمل الخرف والجدران والتطعيم . والمسجد من الداخل روعة وجمال تأخذ بلب الناظر إليه . ويتكوّن من قاعة كبيرة بها خمسة صفوف من الأعمدة المثمنة ذات التيجان النخيلية من الجص المحرم للكون من أنصاف فروع نخيلية مجدولة ، تنتهي أطرافها بلفات يتكوّن في مجموعها شكل بدع . وفوق كل صف من هذه الأعمدة ستة عقود على شكل حدوة الفرس مغطاة بطبقة لاصقة البياض من الجص . وربما نسب إلى ذلك اسم « سانتا ماريا البيضاء » . وفوق هذه العقود صف آخر من العقود المنفصصة لتزيد من ارتفاع السقف كما هو مبين بالشكل رقم (٥)

ويتكوّن الباب الخارجي من حشوات خفية تشبه الأبواب الأيوبية بمصر .

وقد حرص الأسبان على ألا تفوتنا فرصة زيارة كاتدرائية طليطلة . وفي طريقنا إليها عرجنا على متحف الجريكو Casa del Greco ويعد هذا المتحف من أعظم المتاحف الفنية لما يوجد فيه من روائع رسوم الفنان الأسباني جريكو الذي يعد من أعظم مصوري معالم هذه المدينة . فقد استطاع أن يسجل بريشته جميع الحضارات التي خلقت آثارها في طليطلة . حتى يقال أن طليطلة تعد ماصمة للفنون في إسبانيا ليس لكثرة ما بها من الآثار والكنوز وإنما لوجود رسوم الجريكو بها . وأخيراً وصلنا إلى كاتدرائية طليطلة التي ابتدئ بناؤها ١٢٢٧ على الطراز القوطي ونظراً لأنها لم تَمُت إلا في القرن ١٥ فقد نجد بها بعض التأثيرات الباروك وعصر النهضة . ويبلغ طولها من الداخل ٣٩٥ وعرضها ١٧٨ وهي مقسمة خمسة أروقة وغنية بالزخارف والنوافذ الزجاجية الملونة .

وتحتفظ الكاتدرائية بكثير من الكنوز والكتب الفنية والأعمال الرائعة لأعظم الرسامين الأسبانيين أمثال جويو وجريكو وتيتيان ، وغيرهم كما تحتفظ بكثير من الكنوز المهداة إليها وأهمها تحفة رائعة من قطعة من الذهب الخالص الذي اكتشفه كولبوس في أمريكا ، زانها ١٦ كيلو جرام صنعت في شكل بديع يمثل المسيح . شكل رقم (٦)

أوشكت الشمس على المغيب حينما عدنا إلى الميدان الرئيسي الذي تركنا فيه سيارتنا بعد قضاء يوم حافل بالآثار التي تشهد بحق على ما كانت عليه طليطلة من عز وحرارة . وقد شهد بذلك المستشرق الأسباني جايمجنوس حين قال : « لقد سطعت في إسبانيا أول أشعة لهذه المدينة التي نثرت ضوءها فيما بعد على جميع الأمم النصرانية . وفي مدارس قرطبة وطليطلة جمعت الجذوات الأخيرة للعلوم اليونانية بعد أن أشرفت على الانطفاء وحفظت بعناية . وللى حكمة العرب وذكائهم يرجع الفضل في كثير من أهم المخترعات الحديثة وأتقنها » . وقد نبغت طليطلة في صناعة الأسلحة ولا زال شهرتها إلى اليوم في أنواع صغيرة كفتت بالذهب والمينا ، تعرض للبيع لزارئين ولهواة جمع التحف عما دعا بعضنا للتسابق لشراء ما تيسر من المجوهرات وقطاعات الورق وغيرها من التحف التي لها طابع خاص قدما يوجد في أي بلد آخر من بلدان العالم . ثم احتلنا مقاعدنا في سيارتنا وعدنا إلى مدريد فرحينا بهذه الزيارة الكريمة .

محمد رجب البيلى

دبلوم في الآثار الإسلامية



# ذكري يوهان ليندهارد

للميجر كراج : السويدي  
سكرتير الاتحاد نمريبات لنج

## ترجمة أبي سلمى

### ترجمة حياته

في الحادي عشر من شهر اكتوبر ١٩٤٧ توفي الأستاذ ليند هارد عن ٧٧ سنة ، وكان حتى نهاية حياته معروفاً بنشاطه في عالم التمرينات. وفي آخر شهر مايو المنصرم كتب موضوعاً عن التمرينات الحديثة في مجلة الاتحاد الدولي لتمرينات « لينغ » وفي هذا الجو الثمالي تعرض لخدمات صحية كبيرة تغلب عليها بتاريخه المجهود في التمرينات . ففي السنين الأولى من حياته انتحى نواح مختلفة في سلوكه . وبعد مضي عدة سنوات في عمله بالكلية انضم الى مدرسة « اسكوف العليا » ونال شهادتها الأولى في سن التاسعة عشرة . وكانت خدمته الأولى في سلاح المدفعية اذ خدم ضابطاً احتياطياً لمدة سنة . وفي هذه الأثناء تطورت ميله الى الناحية العلاجية ، واجتاز الامتحانات الخاصة في العلوم عام ١٩٩٣ . وكذلك امتحاناته النهائية عام ١٨٩٨ . وفي الأعوام التالية قام بخدمة التمرين الطبي كطبيب دفعته روحه النشطة الى تحمل كثير من المسؤوليات حتى سنة ١٩٠٨ حيث عاد الى بلده بعد مضي سنتين أمضاها متجولاً في الدانمارك وشرق جرينلاند

وقد ابتدأ بالعمل في البحوث الفيزيولوجية حيث اقتنع ان هذا هو عمله في حياته . وكان نشاطه في السنة التالية منصباً على فيزيولوجية التنفس والدورة الدموية وساعده في ذلك الأستاذان . هازيل بالخ - A. K. Haeselbalch و كروغ - A. Krogh . وابتدأ احضار ليند هارد بالتمرينات سنة ١٩٠٩ حين عين مدرساً للفترج ونظريات التمرينات لجامعة ( كوبنهاجن ) وعلاقة ذلك بالناحية العملية ك موضوع هام في امتحانات الفلسفة . وكان لظافه العلمي في هذا الميدان الجديد قد جملة مكتشفة يضم سلوكاً تقليدياً طليئاً كخبير في

نظريات التمرينات . وعقب انتهائه من امتحانات الدكتوراه في الطب عام ١٩١٤ عين محاضراً جامعياً سنة ١٩١٦ . وفي سنة ١٩١٧ عين أستاذاً في نظريات التمرينات في الجامعة . وفي سنة ١٩٢٠ عين مديراً لمعمل التمرينات النظرية في ( كوبنهاجن ) ولكنه هـذا المركز من زيادة الاحتمالات للبحث في التجارب الفيزيولوجية . وتمكّن بماله من مجهودات في التمرينات العملية من اكتساب مركز حميد مقاطعة للتمرينات الدانماركية في معهد كوبنهاجن . ومكث به من عام ١٩٣٠ الى سنة ١٩٣٨ وكان في سنة ١٩٢٥ عضواً في الجمعية الملكية العلمية الدانماركية . وفي سنة ١٩٢٩ كان ضمن المؤلفين العالميين المعروفين ( في العمل الفيزيولوجي — Arbeitsphysiologie ) . وفي الخامسة عشرة من حياته كان تفكيره العملي منصباً على العمل العضلي . ومن هنا جاءت معظم الموضوعات العلمية في هذه الناحية . وفي سنة ١٩١٤ طبع عمله في التمرينات وهو الأول من نوعه الذي أثار أهمية أكثر مما يتصور في كتابه المعروف « التمرينات الخاصة » ( وقد أعيد طبعه سنة ١٩١٨ وفي سنة ١٩٢٧ . وترجم الانكليزية سنة ١٩٣٤ والى الاسبانية سنة ١٩٤٥ ) وفيها كتب نقداً لاذعاً لتمرينات ( لينغ ) ، حيث كانت تؤدي في المناطق الشمالية في بدء القرن العشرين . وقد هاجم ( ليند هارد ) طريقة لينغ وبصورة خاصة المصممة بالتمرينات الاستعراضية ، كانت قيمة هذا العمل منحصرة في ازدياد الاهتمام بالتمرينات . ومن هنا أوجد الصلة بين نظريات التمرينات وعلم وظائف الاعضاء العملي . وفي عرضه لذلك تمكن من إيجاد اتحاد بين أساتذة الفيزيولوجية ومدرسي التمرينات التربوية . وكان لهذا فضل في اكتساب ذكرى دولية كمؤسس لنظريات التمرينات وبعلمه كتباً بعد ذلك توفر لديه عدد من المعارضين وبالأخص من السويديين . وفي كتبه الحديثة التي تتعلق بالتمرينات العلاجية السويدية الذي قلل فيها من قيمة عمل لينغ في تمريناته العلاجية في المعهد المركزي للتمرينات ، ولكنه تحول أيضاً الى مهاجمة أصحاب لينغ ( ليدبك Lidbeck وجورجي — Georgi وهيلمار لينغ — Hjalmar Ling ) وقد تعرض أيضاً برانتينج — Branting الى النقد اللاذع الذي أدى الى قيام معارضة في وجه ليند هارد ، ومن هذه الناحية تدخل في نواحي متعددة في تاريخ التمرينات حيث استعرض في أعماله أعمال الدكتور وستربليد Dr. C. A. Westerblad الذي تمكن بعد

دراسته أعواماً من نيل شهادات أكبر من دين Daire وليندهارد . وهذه الكتب كأعمال ليندهارد جميعها مكتوبة باختيار دقيق في الكلمات وبعرض سليم وقد صريح ساحق وحتى أن أي قارئ خالٍ من أية فكرة عن تقاليد لينغ يجد في كلام ليندهارد مهاجمة لطريقة لينغ حتى إذا ما تمكن ليندهارد من جمع أعماله في كتاب متواضع وكذلك عمله بالتمرينات وفي طريقة التربية ونظرياته نجد أنه تجاوز حدود الفلسفة الفيزيولوجية إلى اتخاذ طريقة لينغ بعد تصحيحها . وفي خلال حصوله على تأييد من مصادر معروفة مهمة لكي يقوم بتمريناته الواسعة ، وبنفس الوقت خلال وجوده مؤيداً باستاذيته العالمية في التمرينات الرياضية الفيزيولوجية قد حصل على منزلة رفيعة جعلته يهب مواهبه الفريدة للمبشرين التي احتاجت إلى دراسة نقدية ومساعدة البحوث السيكولوجية التي ارتقت وتحسنت في بداية القرن العشرين . ولذلك فإن موته يعتبر ضربة أليمة للتمرينات البدنية إذ أنه من المؤسف أن أيامه الأخيرة كانت تحاط بسحب من النزاع القاسي .



ولقد كتب ليندهارد محاضرة وحديثاً في نهاية يونيو سنة ١٩٤٧ وفيها بين سلوكه تجاه أصحاب تمرينات لينغ في السويد . وهذه المحاضرة لا تنفي رأيه نقياً باتاً فيما ذكرنا سابقاً . بل يوضح فيها أنه يعارض لينغ في مادة التمرينات العلاجية . ولا يمكنه بأن يقلل من عظمة لينغ من حيث التكوين الجثامي . ويعترف أيضاً في محاضرته أن هيلمار لينغ أخذت تقدماً في بحث تاريخ التمرينات بالإشارة إلى جدول التمرينات التي أعطت نظاماً في كمية الجهود الذي مارسه بشدة وأن وريثة لينغ بعد موته أبقوا أبحاث لينغ كما هي دون تقدم ، وحتى في محاولة تخمينها بدراسة القوانين الخاصة بتنظيم الجسم ومحاولة ربط التمرينات بها . وكان ضمن من هاجمهم برانتينغ Branting حميد المعهد المركزي للتمرينات والذي نظم هذه العلاقات . وأخيراً يقرر ليندهارد أن هناك فترة مرت به حتى وصل إلى نظرياته من تمرينات لينغ لأنه بدأ يدرك أخيراً وبالندرج أن الأخطاء التي حدثت نتيجة لأعمال لينغ في التمرينات لا يمكن أن تؤخذ عليه في القرن العشرين .

# صيد الاسفنج

في خليج المكسيك

لم يُعرف بعد على وجه التحقيق متى بدأت صناعة صيد الاسفنج في خليج المكسيك بأميركا الشمالية ، بيد أنه كانت هناك حوالي سنة ١٨٧٠ ميلادية قوارب تجوس خلال الخليج في كلّ منها رجلان أحدهما يحذف والآخر يقوم بمهمة التحديق في دلوٍ قاعه من زجاج يضعه على سطح الماء حتى اذا لمح شيئاً من الاسفنج بادر بتدلية عصاً طويلة منبّت في طرفها خطّاف تصل الى حيث الاسفنج موجود فيجتذبه بها .

وما أن حانت سنة ١٨٩٠ ميلادية حتى فكر المدعو « جون شيني » في هذه الثروة المائية وأخذ في ارسال القوارب زراعات بالقرب من هاطى « فلوريدا » الغربي لصيده بنفس الطريقة ودأب على العمل فازدهرت هذه الصناعة ونمت ومن ثمّ تأسست بورصة الاسفنج لتنظيم تجارته وارتفعت أثمانه لغلاء أسفنج البحر الابيض المتوسط .

ولما وثق « جون شيني » المذكور من وجود الاسفنج بهذا الخليج بكيات وافرة حيث يمتد نحو خمسين ميلاً من الشاطئ آثر صيده بطريقة القوس في الماء فتهاور مع المستر « جون كوريكويس » في الامر . وهو أول يوناني أقام في « فلوريدا » فأشار عليه الأخير باستدعاء نفر من غواصي جزر بحر إيجه ببلاد اليونان . فحسن ذلك الرأي لديه وصحّ العزم على تنفيذ الفكرة وكان ذلك في سنة ١٩٠٥ . فأرسل اليوناني واستدعى ثلاثة من الغواصين فجاءوا بعائلاتهم الى « فلوريدا » وأقاموا في مدينة « تاريون اسبرنجس » على خليج المكسيك وشرعوا في العمل توّاً .

واليوناني بطبعه شغوف بركوب البحر الذي يرى فيه أسباب معيشته كما يرى فيه ابناً ميداناً لبطولة ورنواً للفتوة وإليه يرجع الكثير من معتقده الديني

وهنا بدأت نهضة جديدة لهذه الصناعة . ومع مرور الزمن اجتذب هؤلاء اليونان إخوانهم في المهنة من جور اليونان فأقبل هؤلاء أيضاً بقضهم وقضيتهم وأقاموا بتلك المدينة وكونوا مستعمرة يونانية حتى بلغ عددهم ثلاثة آلاف واطمأنا هناك محتفظين بكل مظاهر قوميتهم وعاداتهم من لغة ومأكل وملبس وعبادة وغيره ، ذلك ولهم كنيسهم على اسم القديس نقولا فضلاً عن الصلاة العائلية التي تقام في كل منزل لأن حياة اليوناني وثيقة العرى بعقيدته الدينية .

وتعمل سفن الغوص في مياه يتفاوت عمقها من ثلاثين الى مئة قدم . وتقوم السفينة في الموسم الواحد برحلتين طويلتين تعود في نهاية كل منها الى الشاطئ لتفريغ ما التقطت من اسفنج ولاخذ ما تحتاج إليه من مؤونة وغيرها .

ولغواص شغف عظيم بمهنته . ومن مأثور القول عندهم « أن من مارس الغوص طامين ظل غواصاً طول حياته » - ويستطيع من بلغ السادسة عشرة من العمر البدء بالغوص حتى يجاوز الستين قليلاً ثم يعتزل العمل .

ويطول موسم العمل في الخليج بسفن الغوص الى تسعة شهور سنوياً يصرف منها الغواص نحو شهرين تحت الماء متنقلاً بقدومه في قاع الخليج وهو في شبه ظلمة .

وجهاز الغوص هو عبارة عن ثوب من القماش المزدوج العازل للماء ومبطن بطبقة من المطاط ( الكاوتشوك ) فيلبسه الغواص ويحكم ربطه حول معصميه بالمطاط أيضاً . ثم يغطي الرأس بكرة من المعدن تثبت بمسامير محكمة ، وبهذه الكرة طاقتان من الزجاج السميك بنظر الغواص من خلالها ما حوله وفي أعلى الكرة أبواب طويلة يتصل بالسفينة لامداده بالماء اللازم - وجهاز على ما وصفنا ليس بالشيء الخفيف القوي ينسى للابسه التحرك به بسهولة ويُسر فهو يزن نحواً من ١٨٨ رطلاً .

فتي حان وقت الغوص يقوم زملاء الغواص بمعاونته على لبسه ثم يضعون فوق كتفيه أثقالاً من الحديد ويهبط رويداً رويداً حتى يستقر بقدومه في قاع الخليج وهناك يشعر بضغط الماء . وكلما احتاج الى هواء جديد أمال رأسه الى الوراء فيضغط على زرر بداخل الكرة المعدنية فيتدرب الهواء الى داخلها بواسطة الأبواب بالقدر المطلوب .

ويرى الغواص المربيات حوله ملوثة بلون أخضر أو أزرق داكن يسترعي النظر . وهو لا يسمع لوقع قدميه على الأرض صوتاً بالرغم من أن حذائيه يزنان ٣٥ رطلاً . وفي هذا السكون الرهيب يعمل الغواص جاداً في طلب الأسفنج . وقد يسير مبللاً دون أن يعثر على أسفنجة تستحق الصيد . لأن القانون يقضي بمنع صيد الأسفنج الصغير الذي يقل محيط الواحدة منها عن خمس بوصات - وأحسن الأسفنج ما بلغ محيط الواحدة منها ١٦ الى ١٨ بوصة .

\*\*\*

ويتكوّن الأسفنج من حيورين صغير وينمو نمواً بطيئاً جداً في الشهور الأولى . ثم يزداد اتساع محيط الأسفنجة بمقدار بوصة شهرياً . ويقتضي ان يبلغ مدى نظر الغواص في الماء ست أقدام على الأقل ، غير انه يستطيع في الأيام المشرقة الرؤية الى مسافة تتفاوت ما بين ٣٠ الى ٥٠ قدماً ويمكنه أحياناً رؤية قاع سفينة التي تملوه مائة قدم إذا كان الماء أيضاً صافياً . ويتعرف رفقاؤه الذين في السفينة على مكانه برؤية فقائيع الهواء المتصاعدة منه ، فتنبه الى حيث يتجه . ويحمل الغواص بيده كيساً من الشبك وبالأخرى خطافاً ثقيلاً ذا ثلاث شعب يجتذب به الأسفنج المتشبث بالصخور ويضعه داخل الكيس حتى اذا امتلأ أشار الى رفقاؤه بالسفينة فيرفعونه ويدلون له بغيره وهكذا . وإذا حصلت سفينة ما على نحو ١٥٠ الى ١٨٠ قطعة منه عد ذلك فوزاً .

وناهيك بحاسن الطبيعة ومفاتيح البحر . فهناك ممكة سباحة تحدج الغواص بمينين نجلاوين وكأنها تقول له من أنت وما شأنك وكيف استبعت الخدور وماذا تبتغي من وراء تجوالك . وثمة نوع آخر من السمك يعترض سبيل الغواص الى غير ذلك من مختلف حيوانات الماء .

ويلج الغواص أحياناً شبه مغاور مظلمة يتم ظاهرها على التداعي والانقياد . غير إنها صلبة لا تقوى على النيل منها المعاول ، أما تكوينات المرجان فحدث عنها ولا حرج . فهي أشعار منظومة في جبين الصخر . وأبناها سرحت الطرف ترى الجمال مجسماً وشئنه بد

الطبيعة خلّواً من زَيْفٍ أو صناعة - فهناك وهاد وهضاب وأحراج وبساتين على مثال ما يُرى على سطح الأرض . والماء المحيط بكل ذلك هو بمثابة الغيم أو الضباب يغشى كل هذه المرتبات فيكسها روعة وجلالاً . وفي ناحية أخرى جبل شامخ لم يحاول تسلقه أحد، ولم نطأه قدما انسان ، ولم نصف به فطريح . هو بكرٌ بين الجبال ممتنع كجبهة الاسد له سحر يلعب بالألباب ويأخذ بمجامع القلوب . تراه وكأنه يتحرك وبموج غير أنه ثابت الأركان وطيد البنيان .

كل هذا لا يغفل الغوّاص عن أداء مهمته ، أو يلبيه عن خطورة موقعه ، فان عينه لا تفترأ تجوس خلال الصخور والآكام باحثاً عن الاسفنج الذي هو هدفه الوحيد وضائته المنشودة ، والذي يرى وكأنه وسائد من المطاط داكنة اللون لرجة المدس طالقة بالصخر . وإذا شاء الغوّاص نسلق بعض المرتفعات فتح صمام الهواء الذي بداخل كرة الرأس برهة فيتسرّب جانب من الهواء الى الداخل فيخف وزنه ويطفو قليلا وهذا مما يساعد على ارتفاع المرتفعات .

وثمة خطر يتعرض له الغوّاص وهو في عمق الماء ذلك هو القرص أو كلب البحر فهذا الحيوان يشتم رائحة الدم فينجذب اليه . ولذا فان قانون الغوص يقضي على الغوّاص لدى رؤيته لهذا الحيوان اخفاء يديه العاريتين تحت ابطيه حالا ، وان يهم بالعمود ولكن يبطن خشة انقضاضه عليه اذا بدت منه علامت الخوف . وعلى أثر صعوده الى السفينة يبادر رفقاؤه برفع الانتقال من كاهله وزرع جهاز الغوص عنه تدريجياً ، لأن جسمه يكون مغموراً بالعرف اذا كان الفصل صيفاً . وقد تبدو عليه علامت الاعياء الشديد . ثم يستبدل ملابسه المبللة بغيرها . وكثيراً ما يخرج عن مألوف عادته على أثر صعوده من الماء فيوجه الى زملائه سبلاً من التعنيف الشديد لسبب قد يكون تافهاً ، غير أن أحداً منهم لا يجراً أن يحبه بكلمة لهم بما هو مستهدف له من المخاطر في كل لحظة . ولكنه لا يلبث أن يستجمع شعوره وينوب الى رشده .

وكثيراً ما يصاب الغوّاص بغبه كساح أو غلال وقتي اذا لم يتح له الوقت الكافي للراحة بين فترات الغوص ولصعوده من الماء بسرعة كبيرة .

وكما صعد غواص من الماء نزل آخر مستخدماً نفس جهاز الغوص . ويستطيع الغواص النزول الى جوف الماء من ثلاث الى ست مرات في اليوم الواحد تبعاً لحالة الطقس وعمق المياه . أما مدة مكثه فتتفاوت من بضع دقائق الى نصف ساعة أو أكثر .

وعطوّر على الغواص تناول أي طعام أو ماء طول نهار العمل إلا مقادير من القهوة المركزة . فإذما انتهى يوم العمل وأعد له الطعام تهافت عليه تهافت الجياع على القصاص . ومتى انتهى اليوم وآذنت الشمس بالمغيب انصرف الجميع الى الامم والارب على أضواء العمود التي تتجاوب مع لمعان السكواكب . وأدير الراديو لسباع الموسيقى والابحار وعمي السفينة وكأنها جزيرة صغيرة تعج بمختلف الاصوات وتترنح بالاغاني والاهازيج حتى اذا قضوا جانباً من الليل انصرفوا الى النوم بعد أداء فرض الصلاة الجامعة .

والغواص هو الشخص المختار بين رجال السفينة نظراً الى نوع عمله وخطورته .



أما الاسفنج المستخرج الذي يكون مطلقاً بطبيعة هلامية كالمطاط فيوضع أكواماً ويغطى بقماش كثيف ويترك زمناً لينضج على حد تعبيرهم . وبعد أن يجف يتشقق هذا الغلاف ويتساقط بعضه . ثم يستعينون على نزع الباقي بمدى قصيرة . وبعد ذلك يوضع في أوانٍ بها ماء وملح ويعالج حتى يلتقي من المواد الغريبة وينظم عقوداً في خيوط ويلقى في الهواء ليحفظ ويزداد نقاوة .

وبعد ذلك يرسل الى بورصة الاسفنج التي تنعقد مرتين في الأسبوع لبيعه . وصيد كل سفينة يوزع ثمنه على رجالها حصصاً متفقاً عليها . فلهواص أربعة أنصبة ونصيذان لكل من سائر العمال . أما الرابن فله نصيب أوفر .

وللأسفنج درجات متباينة تبعاً للنعومة والمثانة ومقاومة الضغط وقوة الامتصاص لدهاء واللون وبعض مميزات أخرى

أصبح عبره

بوزارة الزراعة سابقاً

من الانجليزية بتصرف



## وصف العاصفة

عند امرئ القيس وعند فرجيل

لقد نلسم جميعاً اليوم بأنه لا بدّ لنا في درسنا الأدب العربي من المقارنة بين هذا الأدب وأدب أخرى إذا ما شئنا أن نقبين قيمته الانسانية ومكانته في العالم. إلا أننا اسنا بنافلين عن أن هذه المقارنة لا تجوز بين أدبنا وبين الأدب الغربية الحديثة، وإنما الرأي في الأمر أن تكون هذه المقارنة بينه وبين الأدب العالمية القديمة ولا سيما الأدب اليوناني واللاتيني لسعة انتشارهما في العالم المتمدن. ولقد وفر لها هذا الانتشار الواسع، الجانب القوي من الروعة والفن الذي انتهبا اليه في تعبيرهما عن العواطف الانسانية وتصويرهما لما حتى أن أمم الغرب جميعها اتخذتهما كنل أعلى تقيس الى آثارهما كل أثر كتابي أو شفهي حصّ الشهرة الادبية والخلود.

ولقد نفمر في أثناء تطبيقنا هذه الفكرة عملياً واتخاذنا آثارنا الادبية أثراً ومقارنتنا إياها مع بعض ما خلف لنا اليونان أو اللاتين من تراث أدبي. أن أدبنا العربي القديم هذا، الذي يظنه البعض بعيداً عنا، غريباً عن حياتنا، يلائم كل الملائمة تلك الحياة التي نعيشها في عصرنا العشرين، إذ أن هذا الأدب في كثير من مقطوعاته، لم يقصر دون الأدب الغربية القديمة في تعبيره عن العواطف التي قد تشغل صدر كل انسان في أثناء وجوده في مواقف ومشاهد مماثلة يعدها من ذرى حياته العاطفية الوجدانية وقمها.

وبين الآثار العربية القديمة التي نراها جديرة بمثل هذه المقارنة، مقطوعة لامرئ القيس بذكرها لنا الرواة في آخر معلقته وتناقلاهما كتب الأدب بالاعنوان « وصف البرق والمطر والغيث ». ونحن نورد هنا، معتمدين على نسخة « أهلوارد »<sup>(1)</sup> التي نراها أصح من

(1) Paris 1913 — W. Ahlwardt — "The Divans of the six ancient Arabic Poets"

غيرها من حيث البحث العلمي ، وهي في الوقت نفسه ، أشد ملائمة من سواها لتناول العاصفة بمقتضى العوامل الطبيعية .

أَصَاحَ تَرَى بَرَقًا أُرِيكَ وَمِيعَهُ  
بُضِي سَنَاهُ ، أَوْ مَصَابِيحَ رَاهِبٍ  
فَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ  
عَلَا فُطْنًا ، بِالشِّمِّ أَيْمَنُ صَوْبِهِ  
فَأُضْحَى يَسَحُّ الْمَاءَ حَوْلَ كَتَيْفَةٍ  
وَمَرٌّ عَلَى الْقَنَازِ مِنْ ذُمَائِهِ  
وَتِبَاءٌ لَمْ يَتْرَكْ بِهَا جَذَعَ نَخْلَةٍ  
كَأَنَّ تَبِيرًا فِي عَرَانِينِ وَبَلَدٍ  
كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَعِّمِ رَعْدُوهُ  
وَأَلْقَى بِصَخْرَاءِ الْغَيْطِ بَعَاعَهُ  
كَأَنَّ مَكَارِكِي الْجَوَاءِ غَدَبَةً  
كَأَنَّ السَّبَاعَ فِيهِ غَرَقَى عَشِيَّةً  
كَلَعَ الْبَيْدَيْنِ فِي حَيٍّ مُكَلَّلٍ  
أَمَالَ الْحَلِيطُ بِالْقَبَالِ الْمُنْتَلِ  
وَبَيْنَ الْعُذَيْبِ ، بَعْدَ مَا مُتَّامِلٍ  
وَأَيْسَرُهُ عَلَى السُّتَارِ فَيَذِلُ  
يَكْبُثُ عَلَى الْأَذْقَانِ دُوحَ الْكَنْهِيَلِ  
فَأَزَلَّ مِنْهُ الْعَصَمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلِ  
وَلَا أَطْعَمًا إِلَّا مُعْبِدًا بِجَنْدَلِ  
كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بِحَادٍ مُرْمَلِ  
مِنْ السَّيْلِ وَالْأَغْنَاءِ فَلَسَكُ مَفْزَلِ  
زَوْلَ الْبَايِ ذِي الْعِيَابِ الْمُحْمَلِ  
صُبْحَنَ سُلَاقِمٍ رَحِيقٍ مُفْلَدَلِ  
بَارِجَانِهِ الْقُصْوَى أَنَا يَشُّ عُنْمَلِ

هذا ونحن نرضي بهذه القطعة على النحو الذي نقلها به لنا الرواة — إلا أننا ظننا من حسن الرأي والدق الأدبي أن نردها ونحللها كوصف « عاصفة في مرتفعات نجد » ، (١) لما يخلع هذا العنوان من الوحدة التأليفية على أبياتنا ، فتبدو هكذا هذه الأبيات حكمة القائل بعضها مع بعض وتزداد بذلك رونقاً وفناً .

نعم قد يجد بعضهم في صعوبة الالفاظ وبعدها عن المؤلف المأنوس ، وفي غرابة بعض التراكيب ، مائقاً دون تذوق هذه القطعة تذوقاً تاماً — إلا أن هناك وفرة كتب الأدب التي تشرح جميعها أبياتنا هذه شرحاً مسنوفياً — فتقيض لهم أن يتجاوزوا هذا المأثم

(١) ولقد سبق إلى هذه الفكرة المشرق الإنجليزي « شارلس لاين » : (Charles Lyall) في كتابه

Translations of Ancient Arabia Poetry — (لندن) ١٩٣٠ — ص ١٠٣ — ١٠٦ . وفيه

فيها مواطناء « نيكسون » و « جيب » في كتابيهما في الأدب العربي .

المخارجي الشكلي الى عالم من الجمال لم يكن لهم عهد به من قبل ، إذ أنهم يدخلون في نفس الشاعر ويشاركونه عواطفه ومشعوره ، ويغتبطون بصوره البكر ويستخفون طرباً لهذه « الموسيقى الداخلية » التي يتدبر بها الفنى العربي ، تطوّر انفعالات طافته إزاء انقلابات العاصفة ومراحلها .

فأرايك من حيث التصوير بوصف وميض البرق في جوارب السحاب بحركة اليدين في برعتها وخفتها أو بمحبو لهيب المراج بعد أن يندلع إذ يعمّل الراهب القليل لينشرّب الزيت . وما قولك بلطف صورة المكاي وصفيرها وبها يكفي الشاعر عن انقطاع المطر وروح الطبيعة أَر ذلك . وأريدك واعياً الى الروعة الفنية التي يولدها امرؤ القيس في نفس القارئ أو السامع من أنه جعل هذه الصورة اللطيفة الى جانب صورة قوية صاخبة تمثل ضخامة العوامل الطبيعية وبطشها في أثناء العاصفة . ولذلك نرى ان الشعر العاشر هو قمة مقطوعتنا من الناحية التصويرية — ... وهو الى ذلك قمتها من ناحية الموسيقى الداخلية . وما لك انكي توافقنا على ذلك إلا أن ترجع الى قراءة الأبيات من الشعر الثالث وتضخم الصوت شيئاً نفياً حتى تنتهي الى البيت العاشر الآنف الذكر فتعطي لحروف صدر هذا البيت من « قاف » « وصاد » « وغين » « وطاء » « وعين » حقها من حيث القيمة الصوتية فتمثل بذلك لسمعك غير تمثيل دوي العاصفة المقبلة نمحوك ، ثم انفجار السحابة والقائها ثقلها من المطر . ثم ف بعد ذلك لحظة نكل مدتها الى ذوقك الفني ، وانتقل بعدئذ الى البيت الحادي عشر : ألا نشعر بنفلك حينئذ خارجاً من موجة موسيقية أولى ، موجة العنف والشدة والانتباض ، ومدفوعاً بموجة موسيقية أخرى ، موجة الانفراح والانبساط تحملك من غير وعي منك وتدخلك في حركتها اللطيفة الرشيق ، فيجعلك كل ذلك تدرك حسياً بشخصك المادي والروحي ، روح الطبيعة بعد انقطاع المطر وزوال العاصفة ؟

وهناك مزايا أخرى لا نقف عندها ، بل نتركها لذوق القارئ إذ أن غايقتنا هنا ليست درس مقطوعتنا بمحدّ ذاتها وتحليلها تحليلاً أدبياً دقيقاً ، وإنما ألحنا الى بعض مواطن الفن والجمال فيها محاولة منا أن نساعد القارئ على مقارنتها مع مقطوعة لاتينية في وصف العاصفة أيضاً . ولقد أخذنا هذه المقطوعة من « فرجيل » أحد شعراء اللاتين الهظام .

ولربما كان أعظمهم ، وهي منتزعة من مؤانته المشهور « القرويات » Géorgiques  
يفتتح « فرجيل » الباب الاول من « قروياته » بالدعاء « لميسان » الذي أحسن إليه ،  
واتخذ في كنفه ، ثم يطلب من الآلهة ، ولا سيما الحقلية منها ، ان تمضه في عمله الأدبي  
ثم يتنمى بحياة الخزل والقرى وأعمالها وأشغالها من حراثة وزرع ، ولا بد لكل ذلك من  
تعب وجهد وعناء - فيدفع ذكر هذا شاعرنا الى الحديث عن العنصر الذهبي وسعادة  
الانسان إذ ذاك ، ثم ينتقل الى الكلام عن أدوات الفلاحة التي يستخدمها الفلاح ، ثم عن  
دلائل خصب القرية وعن خزن البذر وإعداده ، ثم عن الزمن الصالح للزراعة ، ثم عن أمور  
تربية الدواجن ، وما يحمل بالقروي أن ينصرف إليه من محل في الصيف وفي الشتاء .  
وهكذا ينتهي به الامر الى كيفية تدبير الوقت في الخريف والربيع أيام تفاجئ العاصفة  
الحواسر والقرى ، فينهض :

ما عسى أن أقول عن مواسف الخريف وأنوائه .  
وما ينبغي ، إذ يقصر النهار ويخف الحر ،  
أن يكون المرء حريصاً عليه . أو <sup>(١)</sup> هند ما يقبل الربيع المطير ،  
وتكون الحقول قد استوى فيها زرعها على سوقه ،  
وتكون الحبوب الحليبية في السنبلة الخضراء قد صمنت .  
كم من مرة في حين كان يدعو القروي الحصادين إلى حقوله الصفر ،  
ويكون قد باشر في حصاده الزرع القائم على سوقه القصب ،  
التحمت المعارك ، على جميع أنواعها ، تبين الأرياح هذا ما رأيت .  
وكانت هذه الأرياح تستأصل الزرع المنقل ، من أمحاق جذوره  
وتدفع به بعيداً ، ثم بأعصار قائم ،  
كانت تأتي العاصفة ، فتقل السوق والتبن المتطاير ، وتذهب به .  
وكم من مرة ، في الفضاء ، تلبدت المياه شائب ،

(١) لقد بالتنا في الإيجاز اختصاراً للنص اللاتيني ، ومعنى الجملة كما يلي : أو ( ماذا أقول عما ينبغي  
أن يكون المرء حريصاً عليه ) عند ما يقبل الربيع المطير .

وحضن في جوفه ، الماصفة الهائلة تصحبها الأمطار الدكن ،  
 ما أتم في علّ من الغيوم ، وما هي إلاّ والسحاب المتعالي ، يهبط على الأرض مدراراً  
 وسيل عظيم يغمر السنايل الضاحكة ، بجنى عمل البقر ،  
 ويجريها فتتزع الخنادق ، وتغور الأنهار مرتفعة عن مجراها العميق  
 لجبهه ، ويرتج في مضايقه المضطربة ، البحر  
 والآب <sup>(١)</sup> في وسط الغيوم السود ، بيده اليمنى الساطعة  
 يشرع الصاعقة ، ومن وقعها في أرجائها الواسعة ،  
 تهتز الأرض ، وتولي الوحوش هاربة ، وقلوب بني الانسان ،  
 في جميع الأفطار يمتريها خوف وضيع .  
 أما هو <sup>(٢)</sup> فلا يزال يرمي بسهمه الملتهب ، أو الأثوس ، أو الودوب أو جبال  
 السيرونيا الشاخنة <sup>(٣)</sup>  
 فتتضاعف الرياح ، ويتكاثف الواابل  
 ومن الزمهرير العنيف ، « الغابات تدوي تارة ، وتارة الشواطىء » .

\*\*\*

وبعد أن يسدي الشاعر على قرويه النصائح ، ويوصيه خيراً بالورع والتقوى والدأبم  
 للآلهة ولا سيما ساراس ربة الحصاد وسائر الأعمال الحقلية ، يواصل في الانهاد ، محصياً  
 دلائل انقطاع المطر وانتهاء العاصفة ، فيقول :  
 ولا تعود ، فتتشر للشمس الفاترة ، أجنحتها ،

(١) أي « جوبيتار » رب الآلهة والبشر . واسمه عند اليونان « زفس » كما هو معلوم .

(٢) أي « جوبيتار » دائماً .

(٣) كل هذه الجبال في بلاد اليونان ، أو مقدونيا . فجبل « أثوس » Athos في مقدونيا . وجبل  
 ردرت ( Rhodope ) في « التراس » تراقيا ( Thrace ) وجبال « السيرونيا » ( Mts. Céraunia )  
 المروفة اليوم بجبال ( Deila Chiura ) في إقليم الإبير ( L'Epire ) والرجح عندنا أن فرجيل يقلدهنا  
 الشاعر اليوناني تيوكريت ( Théocrite ) المعروف أيضاً بقروياته وحلياته ( Bucoliques ) راجع هذه  
 الأسماء في مؤلفات الشاعر اليوناني ٧٧٤٧ في أي طبعة كانت .

طيور الأسيمون المريزة <sup>(١)</sup> لدى ثائيس <sup>(٢)</sup>  
وأما الغيوم ، فتسمى شيئاً فشيئاً الى أسافل الأرض وتضطجع على الحقول .  
وعلى رؤوس السطوح ، حيث يتوقع غروب الشمس ،  
عبثاً يحاول طير اليوم نحيبه الليل .  
يظهر طالياً في الهواء المجتلي ، نيسوس <sup>(٣)</sup> ،  
وبالشجرة الحمراء ، التي اجتزتها ، تؤخذ سيلاً .  
وأينما ولت هذه ، تشق الأنثير الخفيف بأجنحتها .  
فنيسوس أبدأ في أثرها ، لدوداً ، متحرشاً ، يصفق بجناحيه في الهواء .  
وكيفما أتجه نيسوس في الهواء ،  
فهي تخف في هربها ، وتشق بأجنحتها الأنثير .  
حينئذ تضغط الغربان على حلاقيهما ، وتتقر بصوت مجلو ،  
ترسله ثلاثاً أو أربعاً . وغالباً ، في مواقعها العالية ،  
ولا أدري أي لغة غريبة تحدث فيها هذا الفرح ،  
هي تمبث فيما بينها تحت الأوراق . يله لها ، بعد أن دفعت الأمطار ،  
أن تعود الى مفاهدة صفارها ، وأعفاشها الحلوة .

(١) طير وهمي ، ورد اسمه في الأساطير اليونانية ، كان في زعمهم ، لا يجمل عنه الا على سطح بحر هادى . وكانوا الى ذلك يتفاءلون به .

(٢) إلهة بحرية ، وهي أم « اخيلوس » بطل الالباذة المشهور .

(٣) أصل هذه العورة أسطورة يونانية فخواها ما يلي : « كان في رأس نيدوس ( Nisus ) ملك « ميغارة » ( Megare ) مدينة في اليونان ، شجرة ارجوانية اللون ، وكان مبدع مملكته منوطاً بهذه الشجرة . فحدث أن مينوس ( Minos ) ، ملك اقرطش ( Crète ) حاصر مدينة ( Megare ) وكانت إسقولا ( Scylla ) بنت « نيسوس » تحب « مينوس » ، فاجتزت الشجرة الارجوانية من رأس أبيها وقبضت هكذا النمر لحبيبها . ومن هذا الحين ، حول نيسوس إلى باشق وحول إسقولا الى سنانة ، وتري الوالد أبدأ في اثر ابنته ليقتمن منها ويماقها على سوء عملها .

أفا بعيد عن الزعم بأن قد أنعم عليها بثيها من روح الجن ، أو بأن قد مننت عليها  
 الأفقار بحكمة فوق طبيعتها ،  
 إلا أنه ، عندما تنحى العاصفة وغيم السماء المتناقلة .  
 وتعدل الى سبيل آخر ، وعندما يعمد جويينار الندى الى الأرياح  
 فيضض الى بعضه ما كان من الغيوم منبسطة  
 وما كان منها ملتصقا ببسطه ،  
 تتحوّل عند ذلك حالات الأرواح ، وأما القلوب ،  
 فهي تغمر باختلاجات غير التي كانت فيها أثناء كان الريح يدفع الغيوم .  
 فن ثم أهازيج الطيور في الحقل ،  
 والقطعان الفرحة والغربان المرحّة في نعابها .

هذه ترجمة قطعة من الأدب اللاتيني يعرفها شباب الغرب ويراجعونها في مطاوي كتبهم  
 بعد أن تروّضوا بها وبغيرها من النصوص القديمة ، أثناء دروسهم الأدبية ، على الأسلوب  
 الصحيح السليم في الانشاء وعلى الصور والمواظف السديدة المحكّمة في الرأي والتفكير .  
 جلّوناهام متعة للنفس وروحاً للقلب . ونحن ننشرها اليوم في الشباب العربي اذكاة للعلم وخدمة  
 للأدب . ولقد حاولنا ما وسعنا ان نجاري في الترجمة النص اللاتيني بكل أمانة واخلاص ،  
 حتى النقل بيتاً بيتاً . واجتهدنا أثناء عملنا هذا ، ان نتجرد عن ذوقنا العربي وعن أسلوبنا  
 العربي وعن صورنا العربية ، لكي تبرز طائفة « ثرجيل » والصور التي اتخذتها قوالبها ،  
 أمام مشهد العاصفة ، على طابعها الخاص لا يشوبها عنصر قط غريب عنها . وذلك قصداً منا أن  
 ندع القارئ يجعل نفسه أمام نفس الهاعر اللاتيني معتدداً عليه وحده ، ليستنتج ما يسمعه وما  
 يشاء أن يستنتج من المقارنة التي لا مناص له من أن يقيمها بين المقطوعتين . واما نحن ،  
 وان كنا نعترف للقطعة اللاتينية بالتفوق في بعض النواحي ، فاننا لا نرى أثرنا العربي  
 قامراً دونها من حيث وصف الواقع وابتكار الصور والابحاء العاطفي والاندفاع الشعري

# المجتمع والسياسة

## في الأدب المصري الحديث

( هذا بحث قراءته باللغة الانجليزية في مجلة الشرق الاوسط التي تصدر عن

معهد الشرق الاوسط في واشنطن

وكاتب المقال هو المترجم هيوارت ديون J. Herworth-Dunn فارسي اللغة العربية في جامعة لندن بين عامي ١٩٢٨ و ١٩٤٨ ومن رجال معهد شؤون الشرق الاوسط . ومن مؤلفاته كتاب « توثيق لتاريخ التربية في مصر الحديثة » . وقد نشرته جزء واحد في عام ١٩٣٩ ونحاول هنا أن نترجم هذا البحث متحررين الدقة في الترجمة غير مقيدين بما عن لكاتب أن يقوله )

إنّ الأدب العربي الحديث ، بل إلى الأحداث التاريخية فيه ، أمرٌ ضئيل لا يُغفال كبير باعتبارها مصدراً للمواد دواصة التطورات الأخيرة في الكيان الاجتماعي لمصر . ومن أسباب ذلك أن ترجمة الكتب العربية إلى اللغات الأجنبية لا تلقى احتفاءً كبيراً ، وإن هناك عُرفاً بين الغرب بأن تمتدّ الكتابات المعاصرة أدباً منخفض المستوى

وعما لا معدى عن إقراره ، أن العناية بالأدب العربي القديم لها شأن كبير ، ولكن التوفر على هذا الاتجاه لا يصح أن يُسمي البصيرة عن حقيقة ماثلة وهي أن هناك أدباً عربياً جديداً يبرز اليوم معتمداً إلى حدٍّ ما على اللغة العامية التي أصبح لها اليوم شأنٌ وأي شأن من الناحيتين الأدبية والاجتماعية .

ولهذه الحقيقة قدر كبير في أعين طلاب شؤون الشرق الاوسط ، لأن هذا الأدب الجديد يولّى لإلقاء نظرة ثقافية شاملة على العربية ، ولن يستطيع الغربيون المنتبهون لشؤون العالم العربي أن يلغوا بها إلماماً طيباً إلا إذا وجهوا عناية إلى طابع هذا الأدب وجوهره .

والواقع إن النصف الأول من القرن التاسع عشر لا يبيء لنا مصادر عربية كثيرة لدراسة الأحوال السياسية والاجتماعية ، ولكن هناك سفراً لا يسمع دارساً لشؤون مصر



الحديثة أن يفعله وهو كتاب « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » لعبد الرحمن الجبرتي . وهذا الكتاب — وهو في أربعة أجزاء — يحتاج حقاً إلى إعادة كتابته باللغة العربية لأن هناك عدداً من المخطوطات سهلة المنال تتضمن مواد حذفت في الطباعات الأصلية المنشورة، بسبب هوى محمد علي . وقد ترجم الكتاب إلى اللغة الفرنسية بوساطة لجنة قوامها مصريون ، ولكنه مع ذلك قين بأن ينقل نقلاً جيداً إلى اللغة الإنجليزية لأنه يسرد في إسهاب أحداث مصر التاريخية من عام ١٦٨٩ إلى يوم وفاة المؤلف في عام ١٨٢٢ .

ويستطيع المرء بدرس الجبرتي أن يقف وقوفاً طيباً على حياة الشعب المصري ثقافياً وأدبياً واجتماعياً واقتصادياً ، كما يقف على حياة الطبقات الحاكمة والعلماء . وقد أسرف الكتاب في اقتباس أقوال الكتّاب والشعراء المعاصرين له ، وكان بعضهم يوجّه نقداً إلى أماليب الحياة المصرية في تلك الأيام الغابرة .

ومن الشعراء المشهورين حسن البدري الحجازي ( وقد توفي عام ١٧١٨ ) . وإذا تسنى لطلاب العلم أن يظفر بنقده للعادات الدينية والاجتماعية للشعب ، استطاع أن يزري بمعظم ما سجله المراقبون الغربيون والسيّاح العابرون الذين لم يقفوا جيداً على أحوال مصر في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر . ولكن ملاحظاتهم مع ذلك تقدّم دائماً على سواها باعتبارها في طبيعة المصادر التي يعود إليها الباحث .

ولا يسع المرء أن ينتقص من قدر مذكرات الجبرتي ، ولن يتسنى لنا أن نظهر بمرجع آخر ذي شأن إلاّ حين يدرج بنا التاريخ إلى عامي ١٨٨٧ — ٨٨ حين نشر علي مبارك بائناً موسوعته الموسومة « الخطط التوفيقية الجديدة » .

وفي عصر محمد علي ( بين عامي ١٨١١ و ١٨٤٩ ) عرفت مصر أول مطبعة فيها نصبت في بولاق — من أحياء القاهرة — في عام ١٨٢١ وهي لا تزال المطبعة الرسمية للحكومة . ولا يصح أن يحتجزنا « إنتاج » هذه المطبعة طويلاً ، ويكفي أن نقول إن المطبعة نشرت ٢٤٣ سفيراً — ومعظمها منقول من اللغات الأوروبية — بين عامي ١٨٢٢ و ١٨٤٢ ، وكذلك ١٢٥ كتاباً باللغة التركية و ١١١ بالعربية و ٦ بالارانية وقاموساً بالاطالية وليس لهذه المجموعة من المؤلفات قيمة أدبية وإن كانت الترجمة العربية الموضوعات العلمية لها قيمة لغوية واصطلاحية . وقد أصدر محمد علي أمره بإعداد هذه الأسفار العربية لتستخدم في المعاهد التي أنشأها باعتبارها ضرورة لازمة للأداة العسكرية . وإذا عثر الباحث على أزهار بين دكام تلك الأشواك فهذا من المصادفات الجردة .

وافرد الشيخ رفاعة بدوي رافع الطمطاوي دون سواه بالمروق عن قائمة المترجمين

الطويلة . وهو ينحدر من أسرة عريقة في العميد ، تلقى دروسه في داره ثم في الأزهر طبقاً لمنهج المسلمين الصحيح . وكان جملة ما نشره نحو ستة وثلاثين كتاباً ، أبرزها كتاب « تلخيص الأريز إلى تلخيص باريس » وقد كتبه بعد إقامته في باريس موقداً ليكون إماماً لأول بئة كبيرة من الطلبة المصريين زارت فرنسا بين عامي ١٨٢٦ و ١٨٣١ .

وعدا القيمة السيكلوجية لهذا الكتاب باعتباره معرباً عن وجهة نظر معينة لمسلم تجاه لون من ألوان المجتمع أجنبي عن المؤلف في بلاده ، فإن للبحث قدراً اجتماعياً خاصاً لأنه يضم بين دفتيه ملاحظات دوتها أول مسلم منقف يتصل اتصالاً وثيقاً بأرفع دول أوروبا حضارة ومدنية . ورفاعة مفعم إنجاباً بفرنسا ، وبما حققته من تقدم في مجالات الأدب والعلم والمعاهد والجامعات والكتبات والمتاحف والمشافي . وقد أجرى مقابلة بين المسيحي الفرنسي والمسيحي المصري من أبناء وطنه ووصف الأخير بأنه فذر ما كر . وتحدث عن الصناعة الفرنسية ليعين المفارقات بينها وبين كل المصريين . وأبدى إعجابه بالمصحف والدستور الفرنسي ومنهج الحكومة . ولم ينس - وهو مدرك إنه يكتب كتابه ليتلوهم زملاؤه الأزهريون - أن يقتبس بين آن وآخر آيات من القرآن وفقرات من الأحاديث وأن ينتقد بعض طادات الفرنسيين الاجتماعية ولا سيما في ما يتعلق بسلوك المرأة . وأبدى روعه من كيفية تحاذل الرجل الفرنسي أمام الجنس اللطيف . أصف إلى ذلك أن وجهة نظر الفرنسيين تجاه الدين كانت بغير ريب صدمة لرفاعة .

ولا ينتقر الكتاب إلى ملاحظات تشيع الانسجام على محيا القاريء . ومن آيات ذلك سذاجة المؤلف عند دعوته للجلوس حول مداة - وهي مكان الشرف في البيت الفرنسي - وعدم قدرته على أن ينسى ما تعنيه كلمة « النار » عند المسلم من اشارة إلى « الجحيم » . وسره كثيراً أن يُلفي الكتب الفرنسية وقد خلت من الشروح والحواشي ذا كراً أن كل كتاب كان يدرسه في الأزهر تضمن « مكتبة » من أمثال تلك الشروح والحواشي .

وهذا الكتاب جدير بأن ينقل إلى اللغة الأنجليزية لما انطوى عليه من نظرة انسانية فضلاً عن قيمته التاريخية . وإن مقام رفاعة في الأدب العربي الحديث يعدل مقام لومونوسوف في الأدب الروسي . والواقع أن رفاعة ترجم بعض الكتب بالروسية لحساب محمد علي ، ويبدو أن ذلك كان تلبية لطلب حاكم مصر .

وبانتضاء عهد محمد علي في منتصف القرن التاسع عشر أبطىء تقدّم مصر وأخذها بالاساليب الغربية حتى ولى الحكم اسماعيل باشا ( بين عامي ١٨٦٣ و ١٨٧٩ ) فلقى التعليم عناية شخصية من الحاكم ، وأعيد فتح المعاهد ونظمت بإشراف علي باشا مبارك مزاحم رفاعة . وفي نحو هذا الوقت ، بدأ نفوذ السيد جمال الدين الأفغاني يمدّ صدًى في الحياة المصرية

الأدبية والدينية والسياسية . فقد كان الأفغاني زعيماً لحركة الجامعة الإسلامية وأباً للنهضة الروحية في العالم الإسلامي . والواقع إن تأثيره لا يزال حتى اليوم مدوساً .

وقد بسعت لمعارضة حركة الأفغاني، حركة أزهرية رجعية بزعمها أمنال عيش والبيجوري . ونصّدر الحركة الإصلاحية في مصر محمد عبده تلميذ الأفغاني الوفي والشيخ العباسي شيخ الجامع الأزهر ونجل محمد المهدي وهو شيخ ذو نفوذ في عهد محمد علي وكان قبلاً قبطياً . وفي هذه الحقبة نرى كذلك مبادئ النهضة الصحفية في مصر ، فقد غدا بعض الصحف الذي أنشئ إذ ذاك في مرتبة عالية . ورأينا كذلك مدرسة مفعمة بالنشاط قوامها مترجمون سوريون ومصريون تعاونوا معاً منتفعين بالجهود الصحفية ليقربوا المصريين إلى التفكير الغربي وفي هذا حققوا نجاحاً يذكر .

وأخيراً ، وليس آخراً ، برزت طبقة من الساخطين قوامها ضباط في الجيش وعلماء ومفكرون لم يرضوا عن الحالة في مصر ، فعملوا على تشجيع الملاحين المستضعفين المقراء المنقلين بالضررائب على رفع أصواتهم إعراباً عن شعورهم .

وفي عهد اسماعيل اتخذ هذا المخطط العام أصاليب شتى . فكان أبرز أنصار الإصلاح الدليل رجل مصري يهودي اسمه « جيمس صنوه » عرف في ما بعد باسم « الشيخ أبو نضاره زرقه » . والواقع ان من عجائب التاريخ أن يندو يهودي رائداً أول في إنعاش الحياة المصرية الاجتماعية والسياسية . وقد بدأ « صنوه » حياته العامة كرجل معني بالأدب المسرحي واستطاع فعلاً أن يصدر إثنين وثلاثين رواية تمثيلية عربية . ولكنه ما كان يجذب إلى السياسة حتى طغت شهرته في هذا المضمار على كل ما أصابه من نباهة ذكر من المسرح . وقد عمل على اتصال وثيق مع جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، وعموديهما بدأ في عام ١٨٧٧ نشر جريدته التهكية التي خلع عليها اسمه المستعار ( أبو نضارة ) . ولما كانت الجريدة متفرّدة دون سواها بهذا الطراز ، يادرون بتقليدها مستعملين اللغة العربية الدارجة التي كان متضلماً منها . وتضمن كل عدد من المجلة حملة عنيفة على الحكومة ، فلما لم تستطع السلطات أن تتحمل الوصف المثير لحالة الإصلاح المصري ، نفي أبو نضارة فعمل معه صحيفته إلى باريس وأصدرها هناك فصادف من الشهرة ما جاوز بغير ريب ما كان يمكن أن يظن به في مصر . وكانت الجريدة توزع في جميع ربوع العالم الإسلامي وأصبحت لسان الحركة القومية المصرية وحركة الجامعة الإسلامية فالتف حولها جميع النافرين من المسلمين . ونفي من مصر كذلك جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده . وشق مسلمون من تركيا وإيران وشمال أفريقيا وأوربيون من العاطفين عليهم — كويلفرد سكاون بلنت — طريقهم إلى

باريس لينشطوا الحركة ويسدوا لها الرأي والمشورة . واستطاع ذلك اليهودي أن ينجز عملاً رائعاً من أعمال الارتياح بأن نظم نشاط العصاة المملعين ووجهه وكانت له يد في تأييد ثورة عرابي في مصر وحركة المهدي في السودان وحركة تركيا الفتاة . ومع ذلك استقبله سلطان تركيا وشاه إيران وكرمه القطبان مثنيين على جهوده في سبيل الاسلام . وتمدُّر الحصول على نسخ من جريدة أبو نضارة ، ولكنها مع ذلك كانت تقرأ وتقتل الفسخة منها من يد إلى يد .

وفي وقت صدور مجلة أبو نضارة والصحف المحلية الأخرى بدأ فاضل بن مدرسة من الكتّاب عزم أفرادها على أن يعيدوا إفراغ اللغة العربية في قالب جديد لتستطيع أن تعبر عن أفكار جديدة ناشئة عن الاتصال بالغرب . وإلى هؤلاء يرجع الفضل في إبراز الأدب العربي الجديد . وإذا فلبنا مصنفاتهم صفحة صفحة استباننا لنا أمثلة لعبارات وتراكيب عربية نقلت عن اللغات الأوروبية حرفاً حرفاً متحررين مما درج عليه الأدب العربي وسرعان ما أدّى ترادف الأيام وألفة المصريين لهذا الفن الجديد إلى استحداث أسلوب عربي طيّس رن جديد .

وقد أنقى إفلاس البلاد في عهد اسماعيل باشا وادخال المراقبة الثنائية ( البريطانية الفرنسية ) للإشراف على مالية مصر في عام ١٨٧٩ إلى نشوء ثورة عرابي — تلك الثورة التي مهدت لجميع الثورات العربية الأخرى — ثم إلى احتلال البريطانيين لمصر في عام ١٨٨٢ . وغدت العلاقات مع بريطانيا العامل المهيمن في جميع مراحل السياسة المصرية منذ ذلك الوقت . وفي الفترة الواقعة بين عامي ١٨٨٢ و ١٩١٤ رأينا عدداً من الكتّاب المبرزين لا ينفار إلى كتاباتهم إلا قليلاً ، ولكنهم يحتاجون إلى دراسة عميقة إذا أريد الوقوف وقوفاً طبيعياً على كيفية تصرف مصر سياسياً واجتماعياً تجاه ضغط الغرب العنيف .

ولندكر من أولئك الكتّاب سليم النفاش وهو من السوريين الذين استوطنوا مصر واستثمروا مواهبهم الأدبية في خدمة قضية مصر . وإن مصنفه الضخم « مصر المصريين » الذي صدر في عام ١٨٨٤ يعد ضرورة لا ممدى عنها لمن أراد أن يقف على تاريخ مصر السياسي في تلك الحقبة . فهو يتضمن معلومات مستفيضة لا تعرف في سواه من المصنفات عدا إنه انتصف للفلاح وجار دفاعاً عنه حتى جاوز في ذلك سواه من الكتّاب .

ولا يسع أمراً أن ينسى كتابات جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، وقد صبغت الإشارة إليهما عند الحديث عن عصر اسماعيل باشا . فقد أسهما بقسط وافر في شؤون الدين والسياسة والاجتماع والشؤون الاجتماعية للشعب المصري . وتلك البحوث مدرجة في كتاب

« العروة الوثقى » وفي الجزء الثاني من ترجمة حياة محمد عبده الذي جمع أصوله المرحوم الشيخ رشيد رضا وهو تلميذ من تلاميذه . والكتاب الأول نشر عدة مرات وهو سفرٌ منازله مقام معلّى . وقد جمع الشيخ علي يوسف كتاباته في تلك المشكلات عنها وضمتها كتاباً نشر في عام ١٨٩٠ بعنوان « منتخبات المؤيد » . وكان علي يوسف قلمياً سياسياً مرموقاً في عصره ، وصديقاً للخديو ورفيقاً ملازماً لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده .

وفي أثناء العشرين عاماً الأخيرة من القرن التاسع عشر ، ظهر كذلك عدد وفير من الصحف والمذشورات بقلم كتّاب اشتركوا خفية في الحياة السياسية في مصر . والواقع أن من أكبر رواد هذه المدرسة قطب سياسي ومحرر نشأه السلطات كثيراً وأعني به عبد الله النديم . ومن أبرز ما أصدره مجلة « الأسناذ » وهي وثيقة نادرة المثال في درس شؤون مصر . وعدا نشاطه السياسي ، ظهر بشهرة كشاعر وخفايا . وكان من المنظمين الرئيسيين للنزرة العربية ، وقد نفي من مصر في مناسبات شتى ، ثم مات في القسطنطينية في عام ١٨٩٦ . وفي هذا العصر رزى عدداً كبيراً من الصحف غيبت اللثام عن قدرة المصري العجيبة على أن يستغل ذكائه وروحه المرححة في الصحافة السياسية . ومعظم هذه الصحف يستحق الدراسة والتحري ، وقد كان رؤساء تحريرها رجالاً فذروا حياتهم للعمل في السياسة لملجاء مستعدين على الدوام لأن يؤذوا الثمن كاملاً . وفي ما يلي بضعة أمثلة على الصحف التي صدرت ومواعيد صدورها وهي :

أصدر محمد توفيق مجلة « حمارة منيتي » في ٢٣ فبراير ١٨٩٨ وأصدر محمد النجار « الأرغول » في أول سبتمبر ١٨٩٤ وحسن توفيق مجلة « الأرنب » في عام ١٩٠٦ ومحمد توفيق « المقرعة » في ٢ مايو ١٩٠٥ ومحمد حدي ومحمد هلالى اليباري « الزمان » في ٧ نوفمبر ١٨٩٨ وصدرت مجلة « غزل البنات » ولها اسم آخر هو « دفن الباشا » في فبراير ١٨٩٩ ثم صدرت مجلة « المهدي » في ٨ يوليو ١٨٩٨ و « الفيلسوف » في ١٠ مايو ١٩٠٤ ثم أصدر عبد الرحمن الهندي مجلة « غفريات الحمارة » في أول مايو ١٩٠٦

وهناك لون آخر من ألوان الدراسات ، وأعني به « كتاب حاضر المصريين » ل محمد صبر وقد نشر في عام ١٩٠٢ . وقد حل صبر بالتفصيل النظام الاجتماعي والاقتصادي للمصريين و « أسباب تدهورهم » كما جاء في عنوان الكتاب الفرعي . وإن فقرات كثيرة من ملاحظاته ما فتئت تقتبس حتى اليوم في الصحف وفي سواها من الكتابات . ويبدو أنه لم يكن إلا واحداً من رجال مدرسة المعجيين بأوروبا على حساب مصر ، لانتنا نرى فتحي باشا زغلول يصدر كتاباً عن « مصر تقدم الانجليز السكوتوفيز » ، وأميز فكري باشا يصدر سفرأ في ثمانية صفة في

عام ١٨٩٢ عنوانه « إرشاد الألبا الى محاسن أوروبا » وكان مصنفه باشا فهمي رئيس الوزارة في عهد كرومر المعروف، بأنه رغبة البريطانيين من أكبر العاطفين على جهود هذه العائلة . واذا انتقلنا الى الجانب المشرق لفترة السابقة لعام ١٩١٤ ، أتضح لنا أن زيادة الرخاء - فضلاً عن جنوح المصريين الى حدٍ كبير عن الاشتراك في النشاط السياسي والاقتصادي للبلاد - أفضى الى تنشيط الاستغراق في الشؤون الاجتماعية . فشهدت تلك الحقبة نشوء مدرسة مصرية للموسيقى بدأها عبده الحورلي وعززها بعلمه كامل الخالعي الذي أخرج كتابين عن الموسيقى . وكانت تلك المدرسة بدورها سبباً في بعث مدرسة أخرى من الشعراء الشعبيين والمغنين . وصرح ما بدأ المجتمع يحمل منها موضع طوره وترفيه . ودار كثير من هذا الاتجاه الاجتماعي حول مسرح ألف ليلة وليلة ، وليسكن التشجيع الذي لقيه هؤلاء المغنون من بعض الأفراد كان له فضل كبير في ما حققته الموسيقى والأغاني من ارتفاع . وكان أقطاب المجتمع يتبارون لظفر بشرف دفع أقصى أحر يطالبه موسيقي أو مُغنٍ . وبكفي للإشارة الى ما أسهم به أمثال هؤلاء المرفهين في الحياة الأدبية أن نذكر حسن الآلاتي الذي أخرج مجموعة من ثلاثة مجلدات تتضمن لمحات عن الحياة الاجتماعية لاهل القاهرة وتنطوي على صور عن حياة الليل لا يكاد يعرف لها مثل عند غير المصريين . ويكاد حسن يكون بوجهٍ ممتاز في خصاله ، وقد جمع حوله « الأدبابة » من الشعراء والكتاب وذوي الألباب وسواهم . وكان لهم زادٍ خاص خلف « الكتبخانة » وكان إسمه المأثور الشائع « المضحكخانة » أي بيت الضحك . وكان من أصدقاء حسن ، محمد البابلي وهو من المصريين الأذكاء البارزين ، وقد نشر إبنه مجموعة من أقواله . ومنهم محمد الرشاد ومحمد الموداحي والشاعر المشهور حافظ ابراهيم . وهؤلاء جميعاً ابتدعوا ما يمكن أن يمدّ نسقاً جديداً للغة العربية نقله عنهم في ما بعد زغلول باشا الوعيم القوي .

ومن فروع الأدب التي كثيراً ما تنفصل ، مع أنها تعدّ دراسة خاصة بسبب كتاباتها باللغة الدارجة في الأغلب ، الشعر الشعبي الذي يفصح عن كل ما يتميز به المصريون من روح وذكاء وحذق . ولهذا المدرسة شأن من الناحيتين الاجتماعية والأدبية ، لانه بالاستمئانة بهذا الأدب يمكن النفاذ جيداً الى فلسفة الشعب ، فما نعرف مرآة أصدق من مرآة الأدب الشعبي . وقد صرّ لنا حسن صقر مثلاً صورة للحياة الاجتماعية والسياسية حتى الحرب العالمية الأولى بأسلوب منير وإن كان سهل الفهم محبوباً من الجميع وتصويره للحياة في حيّ الأزبكية في القاهرة في عام ١٩٠٥ تصوير متقن ، وقد كانت الأزبكية بؤرة المشارب والبارات وحياة الليل . وعقب حادثة دنشواي في عام ١٩٠٦ ، وجه حسن صقر قصيدة

الى كرومر هي خير نموذج لهذا اللون من الادب . وفي وصف المرء أن يدرك منها كيف ينشد المصري سلوى في الشعر الشعبي المائل في حالات يكتمفه فيها وهنّ سياميّة ، لأن الشعر يخيّل له أنه على قدم المساواة مع كرومر الكبير . وعنده كذلك فصيحة غزلية في بني اسرائيل وأخرى عن الحرب الروسية اليابانية وثالثة عن الطيارين الترك الذين أسقطهم البريغانيون ومجموعة فصائده ديوان ، لتسأهل دراسة لأنها تهيء لنا مئة الوفوف على وصف الحياة المصرية وفي الفترة التالية للحرب العالمية الأولى ، ترى أمامنا نتاجاً جديداً وفيراً . ومن أهم هذا النتاج ظهور مدرسة جديدة لكتّاب الرواية والأفصوصة ، ومن روادهم الأوائل هيكل . وقد ظهرت أول رواية له « زينب » في عام ١٩١٤ ، ولكنه لم يجد الشجاعة الكافية ليقول إنه مؤلفها بسبب حداثة الهمد بهذا الفن الحديث . وطال هيكل كثيراً من المشكلات المتصلة باستخدام اللغة العربية الدارجة في الحوار المكتوب .

ومن الروائيين في تلك الفترة عينها ابراهيم المازني مؤلف « ابراهيم الكاتب » وقد عارض في استخدام اللغة الدارجة من حيث المبدأ . وبينما يتدأ هيكل بدراسة اجتماعية مقدورة للحياة في الريف ، يصف لنا المازني الدوائر الأدبية والفكرية التي كان على اتصال بها والتموران محمد ومحمود يقدمان لنا نتاجاً من خير ما يجتذب اهتمام الدارس للحياة المصرية . فكتّاب « ما تراه العيون » لمحمد يحتوي على صور كثيرة للحياة اليومية . بينما نعن محمود في دراسة موباسان وتشيكوف فاستطاع أن ينشئ مدرسة مصرية لكتابة الأفصوصة بقلدهما كنيرون من الكتّاب في جميع البلدان الناطقة بالاضاد . ومن حظ التبحورين أهما يتميخان إلى أسرة عريقة فاستطاعا أن يدخلوا « الهيئة الارستقراطية » الى ميدان الأدب وهو عامل له شأنه في مصر . ونقص محمود ، عدا إنها تسجل تسجيلاً أميناً جميع نواحي الحياة المصرية ، مكتوبة بأسلوب رائع ينعيم عن ريشة فناني صناع .

وليس في الأدب العربي الحديث كتاب كبير الوقع في النفس مخاض في التصوير صادق للحياة ككتاب « الأيام » لطف حسين ، وهو قصة حدائته . فان كيان الأسرة بأسره مرصوف ووصفاً نابضاً بالحياة شاملاً ، ولا سيما مشاهد الحياة المدرسية ووصف الحياة التي يدرج عليها رجال الدين . ومما يؤسف له أن هذا الكتاب نقل إلى الانجليزية نقلاً رديئاً بسبب افتقار المترجم إلى الانام بالأوضاع التي تحبب بالرواية ، وإخفاقه أخفاقاً تاماً في صوغ الأسلوب الرائع الانيق لطف حسين باللغة الانجليزية . ولقد أنتج فلم طه حسين عدداً كبيراً آخر من الكتب — معظمها بمعالج تاريخ الأدب ونقده — وأشهرها كتاب « مستقبل الثقافة » . وفي تلاوة هذه الأسفار خير توطئة للوقوف على الأدب العربي الحديث .

وتوفيق الحكيم - وهو كاتب معاصر آخر - له أتباع كثيرون، ولا ريب في نبوغه وذكائه. وكتاب «عودة الروح» هو من خير الدراسات عن الحياة المصرية الاجتماعية والسياسية في السنين الأولى للثورة بزامة زغلول باشا.

وبمقابلة هذه الرواية بكتاب «حديث عيسى بن هشام» الموبلحي في القرن التاسع عشر، يستطيع المرء أن يدرك فكرة طامة عن التحولات الاجتماعية الكبيرة في السنوات المئة والخمسين الماضية أسوة بما فعله صلاح الدين ذهني في كتابه «مصر بين الاحتلال والثورة». وإن درس هذين السفرين يفسح كذلك مسطراً من ارتقاء على اللغة، وآية ذلك مرونة أسلوب توفيق الحكيم وقدرته على الاغراب عن آرائه في جدالة وإسمر على النقيض من السالفين ذوي الأساليب الجامدة الجافة. ومن مصنفات توفيق الحكيم الأخرى - وهي كثيرة - لامعدي عن الاطئاب في إطرء دراسته الاجتماعية البارعة «يوميات نائب في الأرياف» ففيها وصف لآلوان من الأخلاق يصادفها القاضي في البلاد بكل ما تنطوي عليه من شذوذ سواء كان أصحابها من ضباط البوايس المقامرين أو من الخفر أو من حكام الأقاليم. والمنفلوطي هو من الكتاب المملوئين حياة الذين تجدر دراسة كتبهم لاوقوف على حياة مصر السياسية والاجتماعية. ويلقب المنفلوطي «بأبي المقالة المصرية». ومقنناته تهيه المرء أن يقف على الأحوال العامة، ولكنه ثقل متشائم وقد أصبح اليوم قديماً في منهاجه. وعلى النقيض منه يرى محمد أمين حصونة صاحب عقل يقظ يدرس عن كنب كيفية التوصل بالأفصوصة لبسط صور الحياة المصرية.

وسمير القلماوي كاتبة شابة لها مستقبل عظيم على الرغم من نظرتها الجدية المبالغ فيها، وإلحاحها في استعمال العربية الفصحى. وكتبتها «أحاديث جدتي» وصف مشوق لحياة الأسرة. ولحسن شفيق المصري كتاب عنوانه «الحاج درويش وأم امعاءيل» وقد أصدره ابن اخته عبد السلام علي نور وهو فنان مصري نال شهرة طيبة في أوروبا لنقوشه على الخشب والمعادن. وحسين شفيق المصري محرر بارز في الصحف باللغة الدارجة، وقد عرف بوجه خاص بمجلة «المكاهة» التي كان توزعها واسماً، وجريدة «الناس».

و «مذكرات فتوة» لحسين يوسف و «مذكرات عرجي» لحفي أبو محمود و «المقتل» لعبد الله حبيب تتمد نماذج صادقة لنواحي الحياة الشعبية المصرية.

وقد أسدى أدب المجالات خدمة جلي لمساعدة الكتاب الناشئين في مصر، وأبرز مجلتي أسبوعين في الوقت الحالي هما «الرسالة» ويرأس تحريرها أحمد حسن الزيات و «الثقافة» ويرأس تحريرها أحمد أمين.



وأحمد أمين كاتب ذي معرفة عظيمة وهو متمكن من اللغة العربية . وقد أصدر عدداً من الأسفار في تاريخ الاسلام وثقافته ، وكانت له يد طويلة في انشاء مركز لدراسة العربية في مصر . وفي كتابه «فيض الخاطر» اختار أحمد أمين أجود مقالاته في موضوعات شتى في العلم والدين والحضارة والسلوك الاجتماعي والمادية والاصلاح والموسيقى ، وفيه كذلك صور من الحياة اليومية ، كمثلته التي أفردتها للحديث عن النجار المصري . وكذا ذكر نعلم كثيراً من الغرب ، واستطاع هو وجرجي زيدان أن يؤثرتا تأثيراً بعيد المدى في أدب التاريخ العربي الحديث . وقد أصدر زيدان كتاب « تاريخ التمدن الاسلامي » في عام ١٩٠٢ وكتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » في عام ١٩١١ مع أن الحكومة المصرية اضطرت في عام ١٨٩٣ الى تكليف فان ديك الاميركي وفيلبيدس اليوناني أن يصنفا كتاباً مدرسية عن التاريخ العربي لتدرس في المعاهد المصرية .

ومن الأدباء الممتازين في العصور الحديثة المرحوم عبد العزيز البشري نجل سليم البشري من شيوخ الجامع الأزهر . وكتابه « المختار » يضم بين دفتيه صوراً كثيرة للحياة المصرية . وعباس العقاد كاتب آخر ممتاز وناقد أدبي مقتدر ، تعالج بمجموعة مقالاته نواحي الارتقاء الفكري في مصر الحديثة

وفكري أباطة ، وهو نائب وصحفي ، يرقب الحياة المصرية عن كثب ، وقد أصدر أخيراً سلسلة جيدة من المقالات عن الشباب المصري ( هي الضاحك الباكي ) . وابنة الشاطئ « غدت اليوم صوت الفلاح المسموح وكتبها ومقالاتها في هذا الموضوع لا غنى عنها وقد أصدر مريت بطرس غالي في عام ١٩٣٨ كتاباً عنوانه « سياسة الغد » وهو من أنفس الدراسات الاجتماعية التي صدرت بجميع اللغات ، وبما يؤسف له إنه لم تنشر له ترجمة انجليزية حديثة .

وفي الامام عينه كتب حافظ باشا عفي في دراسة اجتماعية ممتعة عنوانها « على هامش السياسة » وبعد عام أصدر عبد الحميد فهمي مطر كتابه « التعليم والعمالون » ايما لج فيه مشكلة مصرية حيوية .

وقد يكون في هذا العرض الموجز ما يعطي صورة عامة لجهود المصريين الادبية ولا تقدم المربيع الذي أحرزوه . ومن العسير أن ندرك كيف ان ناشراً مثل جورج يونج جرو طي أن يقول في عام ١٩٢٧ « إن مصر الحديثة لا لغة لها ولا أدب ولا أساطير خاصة بها » . ولم يكن هذا بالكاتب الوحيد الذي يفضي بمنزل هذه البيانات المضللة .

وربيع فلسطين

( ترجمها عن الانجليزية )

## الروحانية وتطورها

تابع المنشور في ص ٢٠٢

ولكن هذه العقيدة ، كما يقول الأستاذ « نشارلس » ، لم تنجح أبداً في تجريد العقيدة القديمة التي ناطقتها تجريداً كلياً من قيمتها . فإن مبدأيهما المتناظرين في النفس والروح ، قد تفسياً معاً وسارا متعاضدين .... وكأني بالأستاذ نشارلس يريد أن يقول : إن التصور البدائي في « الروح الشبح » ، قد عاش عند العبرانيين ، الى جانب التصور الثاني الذي كان أقل شبيهاً وأغلق على الفهم .

كما أن الفكرة في « الروح الشبح » ظلت واسعة الانتشار ثابتة القدم بين العبرانيين ، بالرغم من التعاليم التي أتى بها الأنبياء وكونوا بها تصوراً أغلق من التصور الأول في شخصية الانسان ، كذلك تجد عند اليونان أن « الروح الشبح » ظل محتفظاً بمكانته في العقائد العامة ، في الوقت الذي مضى فيه الفلاسفة يقيمون القواعد من أدب تقليدي مأثور أجرى على تصور الروح أو النفس تغيرات كثيرة ، وفيه تركزت أصول كل وجه من وجوه التأمل أو النظر التي تناولت ذلك التصور فيما بعد تعليماً أو تقريراً .

ان صفحات هوميروس ترينا بجلاء أن أفارقة العصر الهومييري اعتقدوا في « الروح الشبح » . غير أن تصورهم في هذه الناحية قد اختلفت جل الاختلاف في بعض تفصيلاته عن « الروح الشبح » الطرازي الذي شاع في الروحانية البدائية ، أو ذلك التصور الذي استقر عند الشعوب البربرية والهمج في خلال كل العصور . إن « الروح الشبح » الطرازي يحمل كل القوى التي تكون في الانسان الحي ، سواء أكانت بدنية أم عقلية ، ولا يفرق عن الشخص الحي ، على الأغلب ، إلا في أنه أقل مادية وأقل استسلاماً لحدود الزمان والمكان . أما « الروح الشبح » الذي عرف عند أفارقة هوميروس ومجي عندهم « إيدولون » ، *Idolon* أو *Psyche* فلم يمتد بانه يمتنع بمواهب عقلية ، أو هو على الأقل لا يختص بكل المواهب العقلية التي للانسان الحي . لقد كان طيفاً ظلياً لا غير ، ينفرد عن جسم الانسان المحتضر من طريق النعم أو من حرج مغفور . وهذا الطيف أو الظل ، يتخذ طيف حياته الأولى وخصائصها من حيث القدرة ، إذا ما مضى منحدراً الى أرض « حادس » ، *Hades* . أما القوة والارادة ، وكذلك العقل والقوى العاقلة على وجه عام ، فقد فرض بأنها تحل في منطقة الحجاب الحاجز من الجسم ، وانما تنحل بل وتندثر عند موت البدن .

أما العقول اللامادية أو المتجردة عن الاجسام ، فلم تكن معروفة عند أفارقة ذلك

العصر وحتى آلهتهم، فانها كانت تعيش على الأرض، وكانت مشخصة في أجسام لا تختلف عن أجسام الناس إلا في أنها معصومة من المرض ومن الموت.

هذه الظلال إذا نفيت مرة الى أرض « حادس »، فانها تؤسر هنالك وتسجن. ومن هنا نجد أن دنيا هوميروس كانت مبرأة عن الفزع من الأشباح التي غشت فيما مضى ولا تزال تنشى على عقول العديد الاغلب من الجماعات والامم. كذلك لم يكن في دنيا هوميروس من محل لعبادة الموتى. ذلك بأن الموتى لم يكن لهم من محل معترف به في هذه الحياة، ولم يكن في مستطاعهم أن يؤثروا في حياة الإنسان الدنيوية بالخير ولا بالشر.

وليس لدينا من أسباب تحملنا على الشك في أن ضرباً من الروحانية يمت الى الصنف الشائع منها كان ذائعاً من قبل عصر هوميروس بين الاغارقة. فإن إشارات من هذه الروحانية وما ينجمها في العادة من عبادة الموتى، قد عاشت فيما روي عن أخيلس Achilles وفطروقلوس Patroclus والضحايا الجنائزية من الحمر والغنم والثيران والخيول وشباب طروادة. والظاهر أن هذه لم تكن غير بقايا طمة قوسية استمدت من عبادة الأرواح التي ذاعت وانتشرت في عصر سابق، حيث بعثت الأرواح الخشية والخوف في القلوب بقواها الناشطة، وتدخلها في مرافق الحياة الانسانية (١).

من كتابات هوميروس ما يظهر لنا حالة فكرية سابقة قد نستخلص منها ميلاً أو نزعة نحو تشخيص المجردات وإلباسها أثواباً مادية. ولقد كان لهذه النزعة آثارها البينة في ضروب الفلسفة التي ذاعت فيما تلى ذلك من العصور. ففي بعض الاحيان نظرت الروح الى الحياة، أي اعتبرت هي والحياة شيئاً واحداً، وأن القوى العاقلة، وقد اعتبر أن مقرها منطقة الحجاب الحاجز، قد رُدت الى ما مسمى « ثوموس » (٢) أي القلب Thomos أو « بولي » (٣) أي الارادة Boly وهما ذاتيتان، إن تبعنا البدن، فانهما لا تختصان بشيء من الاعضاء البدنية.

إن حياة « الروح الشبح » في أرض « حادس » ليست بقاءاً للشخصية. ذلك بأن الجسم، عند أفارقة ذلك الزمن، كان جزءاً جوهرياً من لوازم الشخصية. ومع هذا فقد يظهر في هوميروس، وربما كان ذلك إضافة على الأصل ضُمَّت فيما بعد، اعتقاد بخلود نقر قليل من ذوي الحفظ. هذا الخلود لم يكن خلوداً للروح وحده، بل خلوداً للشخص كله، وكان

(١) See: "Psyche": Erwin Rhodes, second edition, Leibzig, 1906

(٢) Thomos: the soul: also the life, breath, Lat. anima. the soul, heart. Lat. animus.

Lidd & Scott. p. 323 (٣) Boly = will, determination. Lidd & Scott. p. 134.

يعتقد بأنه انتقل بجسمه بفعل بعض الآلهة إلى « جزائر السعداء » the Isles of the Elect أو إلى « الرحاب الألوزية » : The Elysian Fields وهي أصقاعٌ بعيدة قسيمةٌ قد يكشف عنها في ناحية من نواحي الأرض بارجٌ جريٌّ أو ملاحٌ فارح . وهذه الفكرة ، التي ربما كانت خيالاً شعرياً قد شغلت مكاناً ثابتاً في المعتقد السائد ، بعد أن تضمنتها الأشعار الهوميرية . فلقد كانت تعقيباً طبيعياً على تلك الصورة التي صبت فيها الروحانية الاغريقية .

إن هذه المعتقدات الهوميرية ظلت مقبولة ، على وجه عام ، حتى القرن السادس قبل الميلاد عندما نشأت طبقة جديدة من الخالدين ، وهم رجال من طراز أولئك الذين يعبثون في « جزائر السعداء » لم يعرفوا الموت ، وأنهم بقوة الله من الآلهة ، قد زُجُّوا في خلال صدعٍ أو غارٍ من الأرض ، فابتلعهم الزلزال ، أو ضربتهم إحدى صواعق « زيوس » : Zeus فأخذوا بها ولكن لم تقتلهم . هؤلاء الأبطال أصبحوا موضع عبادات محلية في كثير من الأحوال . ولا يبعد أن تأثير هذا المعتقد ، وتلك العبادات ، كان سبباً في أن يعود معتقد بقاء الشخصية إلى الحياة ، ذلك المعتقد الذي طاش قبل العصر الهوميري . ولقد يظهر أن مذهب « هسيود » : Hesiod في « العصر الذهبي » : Golden Age كان له أثر كبير في العودة إلى ذلك المعتقد . فقد علم أنه بالرغم من أن رجال العصر الذهبي قد بادوا وفنوا ، فإن أرواحهم قد بعثت بإرادة زيوس إلى حياةٍ أخصب وأغنى من حياتهم التي قضوها في أمر البدن ، وأن هذه الأرواح ، وقد شركت الآلهة في خاصية الخلود ، قد عرفت ، كما عرف الآلهة ، باسم « ديمون » <sup>(١)</sup> : Daemons ، وأنهم يعيشون بين الناس غير منظورين ، حارفين بأعمال الناس ، خبيرة وشريفة .

لا مجال إلا لتقليل من الشك في أن هذه المؤثرات كان لها فعل بالغ في بروز عبادة الموتى وتغلغلها في تناب الحياة الدينية عقبب العصر الهوميري عند الأفاقة . لم يخص كل الناس بالبقاء بعد موت البدن ، وإنما خصمٌ بذلك كبار القواد والذين امتازوا في الحياة عن غيرهم من الناس . في ذلك الوقت حلت عادة الدفن في الأرض محل الحرق الجنائزية التي عرفت في عصر هوميروس ، حيث ذاع الاعتقاد بأن روح الميت تحوم عمقبة من المكان الذي يتضح رفته . ولما أن كان المعتقد أن هذه الأرواح وفيها القدرة على التأثير في حالات الناس ، وبخاصة حالات أحفادهم وسلائلهم ، فقد أصبحوا موضع عبادة من أفراد الأسرة

(١) Doemon : Lat. from Greek (daimon) — a god, a spirit, a spirit, a benign of another world. (Demous. Encycl. Dict. p. 652. vol. II)

وتدل لغة « ديمون » في اليونانية على اله أو روح أو كائن من عالم آخر

ومن هم حولها من الناس ، وخَصُّوا بطقوس تَقْرُبُبة أو تَوْسَلِيَّة ، وقدمت الى البطل الميت التقدّمات ، من الحُر والعسل والزيت والنماج المحروقة ، كما تضمنت تلك العبادة في مجموعها الاعتقاد بأن الميت يعيش بين أهله وعشيرته وأن الموت لم يغير منه إلا القليل . غير أن هذا البقاء لم يَحْوَ فكرة خلود الروح ، بل إن بقاء الروح واستمرار حياتها تنوف على العكوف على تلك العبادة ، يقوم بها الأصدقاء ، وبالأخص أعضاء الأسرة ، بنوجهون بها إلى البطل الميت .

إنَّ البطل إنما يحظى بتلك الحياة بعد الموت بفضل إله من الآلهة ، يُدْخِلُ عنه في العادة هاتفٌ دَلْفِي . ولكن هذه العملية المعقدة سهلت مع الزَّمان وبُسِرت ، فذاعت وتضاعفت عدد الأبطال بسرعة حتى لقد أصبح من الشائع المسلم به ، أن كل الذين يستقون في حومة الوغى ، ينالون حظوة البقاء ، كالأبطال تماماً .

إن باباً واسماً للاعتقاد بالحياة بعد الموت قد فتح بنشوء الأمرار « الألوزية » . اتمدت هذه الأمرار من عبادة « دماطر » Demeter و« فرسيفون » Persephone الألوزيان وهما إلهان موضعين مقرهما العالم السفلي . اغتُرف بهذه العبادة في أثينا ، ثم تدرجت هذه اعتنقوا ذلك فانتسج نطاقها انشاعاً عظيماً ، حتى لقد سمح للعبيد تعلم أصولها والتفقه فيها . أما أولئك الذين اعتنقوا أصول هذه العبادة ، فقد بشر لهم بحياة أخرى يحبونها في المستقبل . حياة أقل خيالية وأكثر واقعية من حياة الدنيا السُّفلى ، حياة الطلال المظلمة ، التي لا يتطلع الذين هم لم يمتنعوا أصول هذه العبادة إلى أكثر منها . بذلك أصبح الأمل في حياة مستقبلية أُرأى ممكناً لجميع الناس . ولكن بالرغم من هذا ، لم يقبل معتقد خلود الروح قبولاً تاماً شاملاً .

ظهر ذلك أول ما ظهر في إغريقية ، بظهور عبادة « ديونيسيوس » ، التي تركز مظهرها في فناء العابد فناء باطنياً في الآلهة . وفي الصورة الأصلية التي لا بدت هذه العبادة كما مورست في « ترافيا » ، كان العابدون يروّحون في أخذهم من الرقص الوحشي . وفي ذلك الإفعال يتصلون بالآلهة . أما الروح فيظن ، في مثل هذه الحال ، أن تتصل عن الجسم وتطوف في أماكن بعيدة ، حيث تتصل بالآلهة والديمونات daemons .

انتشرت هذه العبادة من ترافيا في أنحاء إغريقية ، واندجت في عبادة « أفولون » ، وكان من أثر انتشارها أن اعتنق الناس فكرة أن الروح بكل خصائصه العقلية يمكن أن يتصل عن الجسم . ثم اعتقدوا أن الروح إنما فطر ليكون له مصيراً أعلى وأسمى من حياته في أمر البدن ، وأنه ما حل في البدن إلا مرضاً مجبراً ، وأنه لا بد من أن يتحرر وينطلق

يوماً ما من ذلك الأمر المزمري ، وأن الشعائر التعبدية التطهيرية ، هي طريق ذلك الفسك .  
 نعمت هذه الأفكار وتطوّرت تطوّراً عظيماً في العبادة الأورفية : Orphic Cult حتى  
 لقد قيل بأن الروح إنما يحظى بحياته الحقيقية مع الآلهة وفي بيئتهم ، وأن حياته في البدن  
 نيفسي يقصيه عن هذه الحياة العليا السامية . فإذا مات الجسد ، انتقلت الروح لتحاسب  
 وتمتحن في العالم السفلي . وقد يقضي عليه بأن يتجسد ثمّ يتجسد مرات ، حتى يصفو ويظهر  
 طهرأً كاملاً ، فإذا تمّ له ذلك عاش مع الآلهة . والواقع أن العبادتين « الديونيسية Dionysiac  
 والأورفية Orphic » قد رفعتا الروح حتى اعتبر إلهاً سجن في البدن ولما كان الخلود من  
 خصائص الآلهة الجوهرية أصبح الروح الانساني ، من طريق اندماجه في حياة الآلهة  
 خالداً بالاستمتاع .



بينما كانت الروحانية آخذة في التطور نحو القول بنظرية الخلود الانساني عن طريق  
 لاهوتي المذهب الأورفي ، كان الفلاسفة الذين عرفوا باليونانيين الماديين ، قد بدءوا ، منذ  
 القرن السادس قبل الميلاد ، ذلك الجهد الطويل الذي رمى ، غير متجانف لتعصب ولا  
 منكر لوجي العقل ، إلى فهم الطبيعة النهائية للأشياء ، ذلك الفهم الذي ندعوه اليوم  
 الفلسفة الأوربيّة . كان برهم الذي رموا إليه أن يثبتوا أن العالم كله ليس إلاّ مظهر  
 بعينه من مظاهر وجود كليّ ، هو الأول والاساس . ولقد حدى بهم ذلك الاتجاه أن  
 يرفضوا ، بداءة ذي بدء ، الفكرة الروحانية في مظهرها : المظهر الشوقيّ ، والمظهر  
 اللاهوتيّ ، فاعتقدوا أن روح الانسانيّ لم يكن غير أسلوب تتجلى فيه القوة الكلية  
 التي تحرك كل الأشياء وتعمل في جميع الأشياء ، والتي بدونها يصبح العالم مواتاً ، فبصيه  
 الهمود والنبات ، وتمتنع عليه الحركة والتغير ، وإذن لم يكن « لروح » عند هؤلاء الفلاسفة  
 من علاقة البتة « بالروح » كما عرف في المأثورات الهوميرية . لقد دلت كلمة : « يسوخي »  
 Psyché : Psychie عندهم على قوى العقل والشعور والارادة ، واخترأوا لذلك كلمة : Thomas  
 « ثومرس » ( وهي كلمة يقول اللمامة مكدوغل أن لا مقابل لها في الإنجليزية ) . وقد  
 دلت في المأثورات الهوميرية على الخصائص البدنية الخالصة في منطقة الحجاب الحاجز .  
 كذلك لم يكن الروح Psyché عندهم موجوداً فردياً مشخفاً خالداً ، كما كان في الكهنوتية  
 الأورفية . لقد لاح لهؤلاء الفلاسفة أن خلود الشخصية أمرٌ فائد المعنى . ومع هذا ، فإدام  
 أن الروح في الانسان هو فعل القوة التي تحرك كل الأشياء ، وبالحرى الحياة الكونية ذاتها

فهي بمعنى مّا ، خالدة وغير قابلة للتدور . بهذه النظرة كسب الروح شرفاً جديداً ، أسمى من ذلك الذي خصّه به الباطنيون واللاهوتيون ، إذ جعلوه ينمي الى الآلهة . إن المعنى الذي أنفاه عليه الفلاسفة ، هو معنى أنه مظهر جزئي من مظاهر تلك القوة الاحدية التي تبني الكون وتهديه ، وبذلك لم يمس الروح « ديمونا » dæmon فرداً ، بل أصبح القوة الالهية بذاتها .

إن رؤوس الفلاسفة الطبيعيين في « يونيا » قد اعتنقوا وجهات من النظر مختلفات في حقيقة ذلك الجوهر الذي خيل إليهم أنه أصل الأشياء . فأولهم « طاليس » أو « ثاليس » ( ٦٣٦ ق . م . ) اعتقد أن العنصر الاسامي هو « الماء » . أما « أناكسيمنس » فقال بأنه « الهواء » ذلك في حين أن « ديوجنيس » ولو أنه اتبع رأي « أناكسيمنس » من حيث القول بأن عنصر الاساس هو « الهواء » فإنه أضفى على الفكرة ما أوسع من نطاقها وزاد إلى خطرها ، حيث أبان عما بين الهواء والروح ( أو الحياة ) من التشابه والمطابقة . فالهواء روح . فهو إذن حي وعاقل . ولكن هذه القوة العاقلة ، هي شيء أسمى من الهواء الذي تمارس أفعالها في محيطه . فهي ينبغي ، بناءً على ذلك ، أن تكون أسبق منه في الوجود الزماني . إنها هي « الارخية » (١) Archy طلبة الفلاسفة . والكون موجود حي متطور بقوته الذاتية ، مستمد تفاعلاته من حيويته الالئنة فيه . فلم يكن الهواء عند « ديوجنيس » فيرمز يرمز به الى « العقل » .



كان « هيرقليطس » ( ٥٠٣ ق . م . ) من هذه العائفة من الفلاسفة اليونانيين ، ولقد عمل على تحويل هذا الطراز من التأمل على قاعدة الفرض بأن النار هي مبدأ الحياة والفعل ، وأنها تعمل في حركة ذلك « الداف المستمر » أو « الفيض المستمر » الذي يلبس الأشياء . ما من شيء في معتقد الظاهرات يمت الى طبيعة النار الالهية ، إلا وهو عند هيرقليطس روح ، والروح عنده النار . فالنار والروح فكرتان متبادلتان ، وبذلك يكون روح الانسان ناراً أيضاً ، هو جزء من النار الحبوية الكونية التي تلف الروح الانساني وتتضمنه . ومن طريق ما ثبت فيه من نسبات ، يحتفظ الروح بكيانه ويظل حياً ، في صورة جزء من العقل العام ، ومن طريق اتصاله بذلك العقل ، يكتب الروح قواه العاقلة .

(١) "Archy" : a beginning, first cause, origin

« الارخية » Archy : معناها البدء ، سبب أول ، أصل ، أرومة .

في الانسان يعيش الآله . لا على الصورة التي رسمها اللاهوتيون حيث قالوا بأنه ينزل مخصصاً في فردية مغلقة ، وفي هيئة فرد من بني الانسان ، بل في صورة وحدة تاف النوع الانساني وتنمذ فيه نفوذ أسنة النار في الاثير ، إذ جزءاً من الحكمة السكلية يحيا في روح الانسان . وما الروح غير جزء من النار الكونية التي إن لفت وسبقت في داف أو نبض الصور السائلة ، فانها مع ذلك مقيدة ، بل محبكة ، في الوظائف البدنية .

إن النار التي هي الروح ، تحوّل نفسها ، على وجه الدوام والاستمرار ، ماء وتراباً ، وما مادتا بناء الأبدان ومنهما يبني البدن البشري . ذلك في حين أنها تتجدد بسبيلات *drifts* تستمد من النار الكونية . ومادام الروح في حركة دائمة من التجدد ثم التحول الى عناصر أدنى ، فهو ليس جوهرأ باقياً قائماً بذاته . فاذا ظل الروح قادراً على التجدد بالاستمداد من النار الكونية التي تلفه وتنضمه ، فان الفرد يبقى حياً . أما الانفصال عن النار الكونية مصدر كل حياة ، فذلك هو الموت .

\*\*\*

بين الغبنة والغبنة ، كما في النوم والأحلام ، يفقد الروح الفردي اتصاله بالنار الكونية التي تهب الحياة ، فيؤمر آونة في طالة الخصاص ، وهذا موت جزئي . وقد تأتي برهة لا يستطيع فيها الروح الانساني أن يسترد ما يفقد في عملية الأيض : *Metabolism* الهدم والبناء (أو التجدد والتحول) فيدرك الموت . هنا يموت الفرد ، ولكن النار الكونية باقية أزلية أبدية . إن فكرة الخلود الفردي ، وحتى فكرة بقاء الروح الفردي ، فلما اكتسبت أي معنى عند هيرفليطس . فالفرد باعتباره موجوداً مستقلاً ، ليس له من قيمة أو مغزى . إن استمرار هذا الوجود الفردي تناقض عند هيرفليطس . إنه لا يعترف بالبقاء والخلود لغير النار . هذا الخلود لا يتناول ظواهرها المتحيزة في أفراد ، وإنما هو من خصائص تلك الطاقة الكونية التي تثبت في تضاعيف كل الأشياء ، ثم تنص في ذاتها نائمة جميع الأشياء .

كان الروح عند فلاسفة الطبيعة اليونانيين إذن جزءاً من الطبيعة ، وعلم النفس فرعاً من العلم الطبيعي . لم يكن عندهم من فارق بين الطبيعي والروحي أو النغمي . وعلى الجملة ، فإن كل الأشياء بما فيها الحياة والعقل ، لم تكن عندهم إلا ظواهر للطاقة الكونية .

اسماعيل مطهر





# مملكة المرأة

وفاء امرأة

من شهيرات النساء : ايلين سالسبوري

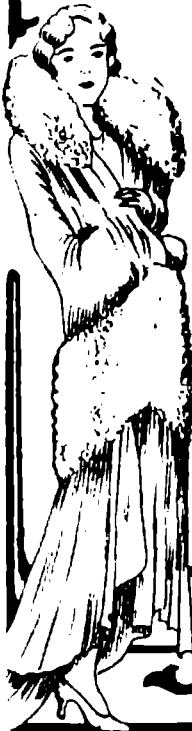
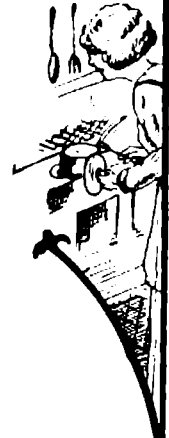
باندي مترام : أنشودة البراهمة الوطنية

الطفل ومراحل نموه

قواعد ذهبية : لمن يريد أن يحفظ صحته

أقوال في المرأة

تحرر هذا الباب وتعرف عليه  
السيدة انصاف عصمت



## وفاء امرأاة

أفاق السجين رقم ١٠٠ من اغماثه فسمع الطبيب يقول لمساعدته لقد ضاعت جهودنا سدئى يا جاك . فلا يمضي وقت طويل حتى تفيض روحه الى بارئها .

وأمسك السجين بيد الطبيب الكهل وطلب منه أن يقترب ليفضي اليه بقصة حياته الممذبة ، قال : أيها الطبيب إن الذي يرقد أمامك ليس برجل كما يظن الجميع ، بل أنا امرأة ... امرأة ضعت بحريتها ثم بحياتها في سبيل من أحببت !

وذُعر الطبيب من قولها وهم بأن يكشف عن جسدها للتحقق من صحة قولها غير أن ماري رجته أن يقرئ قليلاً حتى تقص عليه قصتها .

مات أبوها وهي ما زالت في مقتبل العمر فأخذت أمها تنقضى وتمكث في سبيل توفير فرتها لها ولا بنتها ، غير أنها أصيبت بمرض أقعدها فأصبحت لا تقوى على العمل .

ونزلت ماري الى مضمار العمل لتعول أمها المريضة فالتحقت بحانة من حانات الليل . ولم يمض وقت طويل حتى وقعت في حب رجل شقي استحوذ على قلبها فأصبحت لا تقوى على فراقه ويضاء القدر الغادر أن ينقص عليها حياتها الهادئة فيقابلها شاب يحاول أن يوقعها في حبائله ولكن بغير جدوى ، ولما شعر رومند عشيقها بقوة منافسه ، تحداه وطلب منه أن يبارزه وقتل رومند العاشق الدخيل ، ولكن البوليس قبض عليه وأرسله الى جزيرة الشيطان .

وقفت ماري تودّع حبيبها وهي تذرف الدمع على فراقه ثم قالت له سوف أتذكك من السجن يا حبيبي ولو أودى ذلك بحياتي .

ومرّت الليالي والأيام وماري لا تزال تفكر في طريقة تمسكها من تنفيذ وعدها الذي قطعته على نفسها ، وأخيراً استطاعت أن تصل الى جزيرة الشيطان ورسمت خطتها بأن يتسلل رومند تحت جناح الظلام بعد أن يغافل حارسه ويهرب الى الشاطئ حيث تعد له زورقاً ينقله الى أرض السلام والحرية .

قافل رومند حارسه وتمكن من الهرب . غير أن ماري تأخرت عن مواعدها فقضى عشيقها ثلاث ليالٍ في معتنق يبعد قليلاً عن الجزيرة .

ولاحظ الحراس اختفاء رومند فأخذوا يقتفون أثره ويبحثون عنه هنا وهناك، وفي الأحراش التي تحيط بالسجن، غير أن ماري لحقت به في اللحظة الأخيرة. ولما شعرت باقتراب الحراس منها لبست ملابس المبللة وأعطته ملابسها.

وأخذ رومند طريقه إلى الحزينة بينما شعرت ماري بعدم قدرتها على الفرار ومتابعة السير فتظاهرت بأنها السجين الهارب وقبض عليها الحراس

وذات ماري الأمرين في سجنها بعد أن فقدت حريتها وظلت تعمل في السجن أعمال الرجال فتارةً تقطع الأحجار، وأخرى تحمل الأثقال، وتحمل غلظة الحراس مدة طويلة، غير أنها وجدت في سجنها ما يخفف عليها وحدتها. فقد وقعت في غرام حارس يدعى ديديه الذي لم يكن أحد غيره في جزيرة الشيطان يعرف حقيقة أمرها.

ولاحظ السجناء أن هناك علاقة رغبة بين رومند المزعوم وبين الحارس ديديه كما شعرت ماري بأنها مهددة بالفضيحة فكانت تفكر دائماً في الانتحار خوفاً على حبيبها الجديد الذي أساءها حبيبها الأول الذي لم تسمع عنه خبر بعد أن أنقذته وفدته بنفسه. ولكن ديديه تمكن من تهدئة روعها وناشدها ألا تستسلم له واجسها ما دام مستعداً لأن يمترق بابنه وأن يتحمل في هذا السبيل كل ما يحدث.

ومرّت الأيام وما زالت ماري تفكر في مستقبل حبيبها عند ما تنكشف حقيقة أمرها غير أن الأقدار شاءت أن تنقذها من الفضيحة.

فقد عقد السجناء العزم فيما بينهم على أن يقوموا بنورة في وقت معين طالبين الخلاص من الحراس والحاكم والنجاة بحريتهم، وقد أخفوا هذا القرار عن رومند (ماري) زميلهم لما لاحظوه من علاقات الصداقة بينه وبين الحارس ديديه.

وهبّ المسجونون يقتلون الحراس ويحطمون القيود، وعلت ماري بأمر النورة فأمرعت تريد الاطمئنان على الحارس فوصلت إليه في الوقت المناسب إذ كان أحد السجناء بهم بأن يهوي عليه بمعهلة فتلقت هي هذه الضربة القاتلة.

وسكنت ماري عن الكلام ونظرت إلى الطبيب نظرة يبعثها من جراحها الدامية ألم مبرح، ثم أمسكت يد الطبيب وقالت: إن نفوة الفرح التي تغمرني ستجعلني أتحمل آلام الموت وعذابه وقد أنقذتهما منه.

## من شهيرات النساء

### ايلين سالسبوري

زحف الملك ادوارد الثالث على رأس حملة تأديبية ، بعد ان اشتد خطر العصابات الاسكتلندية التي كانت تهدد حدود إنجلترا ، وكثيراً ما كانت تغزى على البلدان الواقعة على الحدود الانجليزية فتقتل سكانها الأمنين وتنهب كل ما هو ثمين .

وسار الجيش الانجليزي حتى وصل الى قلعة سالسبوري التي حاصرتها العصابات الاسكتلندية فترة طويلة من الزمن ، كما وقع قائدها الكونت سالسبوري أسيراً في قبضة العصابات الاسكتلندية ، ولكن زوجه ايلين ظلت تدبر القتال وتضع الخطط الحربية بدلاً من زوجها الأسير ، كما أخذت تبت روح الاستشهاد والاستبسال في رجالها ، حتى وصلت الجيوش الانجليزية وعلى رأسها الملك ادوارد الثالث ، ففك بالعصابات المعادية وتمكن من فك الحصار عن القلعة .

وأمر الملك رجاله بأن يضربوا معسكرهم من حول القلعة ، على أن ينزل عند ايلين ضيفاً هو وبعض قواده العظام حتى يزول خطر العصابات الاسكتلندية تماماً ويسود السلام وتعود الطمأنينة .

ورحبت ايلين بقدوم الملك وأقامت مأدبة فاخرة عند تشریف الملك لقلعتها ولم يكن الملك قد رأى ايلين من قبل . فلما كادت تدخل عليهم قاعة الطعام وقد ارتدت كل ما هو غالٍ وثمين ، وكشفت عن محاسن جمالها وسحر عبونها ، حتى أخذ الملك بمجالها فراح يتقرب إليها ويدير حديثه في مواضيع شتى ، حتى انتهى الى التحدث عن الحب ، والسلطة والقدرة !!

وشمرت ايلين بما يدور في خلد ضيفها الكريم فأسفت أشد الاسف لطمع الملك وساءها نكران الملك لجميل زوجها الذي لولاه لتمكنت العصابات الاسكتلندية من تهديد عاصمة ملكه .

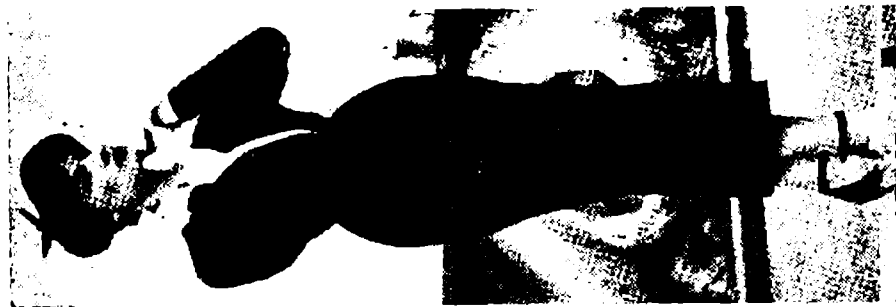
وما ان انتهت المأدبة حتى طلب ادوارد الثالث من سيدة القلعة ان تقابل في الحديقة .  
وفي خلوة وتحت شجرة مورقة مثمرة جلسا يتحدثان عن الطبيعة ولكن ايلين  
لاحظت ارتباك الملك ، وفهمت أن هناك شيئاً آخر يريد الملك ان يفضي اليها به .  
وأمسك الملك بيد ايلين وأخذ يصارحها بمقدار الحب الذي يكنه قلبه نحوها من أول  
نظرة ، وانه لن يبرح هذا المكان ولن ينجي زوجها من الأسر إلا بعد أن يفوز  
بوعده منها .

ووقفت المرأة ، ثم تراجعت خطوات ونكست رأسها ثم قالت .  
« مولاي صاحب الجلالة : « بالرغم من انك تريد ان تلحق الأذى والعار بأسرة بذلك  
في سبيلك كل غالٍ وثمين ، فانني لأريد ان ألحق بك أية اهانة ، ولذا فاني سأخذ كل كلمة  
تفوهت بها على محمل المزاح لا الجيد »  
وانتابت الملك حيرة عند ما سمع رداً لم يكن في الحسبان ، فأطرق قليلاً . ثم قال : « لنلعب  
إذن الشطرنج » ثم خلع خاتماً ثميناً من يده وقال : « ضعي شيئاً في مقابل هذا الخاتم  
وسنتغالب عليهما ، وهما لمن يرجح »

فقالت ايلين : ومن أين لي بشيء يوازي في قيمته هذا الخاتم الثمين ؟  
فأجاب الملك : ضعي أي شيء مهما كان تافهاً ، وأجابت ايلين رغبة الملك نخلعت خاتماً ثميناً  
من يدها ووضعت به بجانب خاتم الملك .  
وأدركت ايلين ان الملك يحاول جاهداً أن يخسر الرهان لكي يترك لها خاتمه تذكراً  
وأملأً في ان تتذكره ايلين كلما نظرت الى خاتمه في أصبعها .



وانتهى الدور بأن خسر الملك كما كان يريد فأخذ خاتمه من فوق المنضدة وحاول أن  
يضعه في أصبع ايلين ، ولكنها سحبت يدها قائلة : « لا يسعني يا مولاي ان أقبل هذه  
الهدية » . وظهرت عليها علامة الغضب فبادرها الملك قائلاً : « انك تتعبدن احتقاري . أنت  
إنني سيد البلاد وسيدك ، وراحتي نافذة في كل مكان » ؟  
فقالت ايلين : « إنني أعلم ذلك يا مولاي وتراني دائماً مستعدة لخدمتك دلي ان لا يكون



أحدث أزياه فصل الخريف

# أحدث أزياء فصل الخريف



شكل - •



شكل - ٤



## باندي مترام

انتودة البراهمة الوطنية

الهند البراهمة من أشد الامم تعلقاً بوطنهم  
ولهم انتودة يسمى « باندي مترام » مماها  
السلام لك يا أمنا » أنتودوها في أثناء  
ثورتهم على الانجليز سنة ١٩٠٥ وكان لها  
تأثير عظيم في نفوسهم هذا نساء :

« اسجد لك يا أماء . القنبة بالانهار  
والانهار ونسيم الجنوب النمش . حقولك خضر  
بالحداد . ليلتك تمشع بنور القمر الفضي تكلك  
الاشجار الزهرة . انقسامك بتألق كالنور .  
صوتك رخم وألفاظك تنقاط كالجوهر البراق .  
أنت تدب حلفتنا . أنت تنجدين الاصدقاء  
وتطاردن الاعداء . أنت منقذة شعبك . أسجد  
لك . أنت الحكمة . أنت الدين . أنت القلب .  
بل أنت صميم قلوبنا ومجري أنفاسنا . وفوة  
سواعدنا تدب تماثلك في هياكلنا . إنك إلهة  
« درفا » تحلين عشرة أسنة بيديك . أنت  
« لكشمي » ( إلهة السعادة ) تلبين في بحيرة  
الحقوق . أنت سارا سواتي ( إلهة الملم ) .  
أسجد لك أيها الام الطاهرة الجميلة الباسمة  
الحاسة المزدانة بالجواهر » .

ومن أروع آتاشيدم في الصلاة ما يلي :  
« يا إلهي . إنك كثير الاسماء بلا اسم .  
كثير الاشكال بلا شكل . المامت وأصواتك  
مل . آذاننا . أقبل صلاتي في خلال كل درة  
من ذرات الوجود . ارفق بهيمة الارض  
القدمة بميت القديسين والابرار . أرض التلال  
المباركة والمحاري المقدسة . والاحراج الغضة  
المظلة ، والسهول الفسيحة للشرقة . إنها مجد  
الشرق القديم ومساكنه . يا وطننا ومسقط  
رؤوسنا . يا بلاد الهند . لتتألف شعوبك  
ويكرم بعضها بعضاً بهدوء وسكينة . امنحها  
يا إلهنا السلام الذي لا تدبر الملوك أن تمنحه .  
اعطها السعادة التي تجزئ الثروة عنها . ليعمل  
كل واحد لنفسه وللجميع . يشتغل ويدع الناس  
يشتغلون . يمش ويدع الناس يمشون » .

في ذلك ما يسيء الى ممعتي وممعتك ويلحق  
ماراً بشرفي وشرفك » .

« ولكنني أريد أن تأخذي هذا  
الخاتم تذكراً مني قبل رحيلي » .

« ان ذكرى تشريفك لقمعتي هي  
أمن ما أحتفظ به كذكرى ، وأرجو أن  
لا تضيف الى هذه الذكرى شيئاً مادياً  
يشوه جمالها » .

وشعر الملك بأنه أقدم على فملة شمناء  
وعزم على أن يكفر عنها على مدى الايام .

\*\*\*

وفي الصباح رحل الملك ليهاجم أعداءه  
فأنزل بهم هزيمة منكرة ووافته الأحبار  
بأن الكونت زوج ايلين ما زال في قبضة  
الاعداء ، وإنهم يطلبون مبلغاً ضخماً فدية  
عنه حتى يطلق سراحه .

ورجع الملك الى القلعة ، ولكنه لم يشأ  
أن ينزل ضيقاً على ايلين ، بل أرسل اليها  
رسولاً يبلغها هذه الأخبار ويطمئنها بأنه  
سيأمر بدفع الفدية حال وصوله الى عاصمة  
ملكه ليطلقوا سراح زوجها الكونت  
الشجاع .

\*\*\*

وبر الملك بوعدة فدفع الفدية وأنقذ  
من الامر زوج المرأة التي أحبها وطعم  
فيها فقابلت حسه وطعمه بأنفة وإباء  
وحافظت على شرفها دون أن تخشى بطش  
الملك وغضبه .



## الطفل ومرحلة نموّه

من الخامسة الى الثانية عشرة

هذه مرحلة إتقان للخبرات والمهارات اللغوية والحركية والعقلية السابق اكتسابها . وبهذا تنتقل هنا تدريجياً من مرحلة الكسب الى مرحلة الاتقان . والطفل في هذه المرحلة ثابت ، قليل المشكلات الانفعالية ، كثير النشاط . ويميل في منتصف هذه المرحلة الى الانتقال من مرحلة الخيال والابهام والتمثيل الى مرحلة الواقعية ، فالطفل من سن ١٢ الى سن ١٢ مخلوق عملي ، واقعي ، على وفرقة من النشاط . ويميل الى جمع الأشياء وادخالها ، وتنظيمها . ويميل ميلاً شديداً الى الملكية التي تبدأ تنمو قبل ذلك بكثير ، ويتجه قرب نهاية المرحلة الى الانتماء الى الجماعات المنظمة ، بعد أن كان يميل ميلاً شديداً قبل ذلك لجرد الاجتماع بمن هم في سنّه . ويجب التنافس والتفاخر في الجسمية والحركية بنوع خاص ولما كانت هذه المرحلة مرحلة إتقان لما سبق كسبه من حركة ولفة وتفكير ، فيمكن الاكثار في المدارس من دروس الأشغال ، والموسيقى ، والفناء ، والأناشيد ، والألعاب الجمعية ، والرقص والتمثيل . وغير ذلك . فمذه كلها تشبع في نفس الطفل الحاجة الى الاتقان والتنافس والشعور الواقعي بالنجاح .

ويقسم بعض الباحثين هذه المرحلة مرحلتين : إحداها تنتهي في سن الثامنة ، والأخرى تنتهي في سن الثانية عشرة تقريباً . والمرحلة الأولى استمرار للدرحلة السابقة فهي كما قلنا مواصلة للنمو الحركي ، وزيادة فهم العالم المحيط بمناصره المادية والاجتماعية ، وهي مرحلة يبدأ فيها ظهور بعض مبادئ الاستقرار الانتقالي . وأما المرحلة الثانية التي تبدأ في سن الثامنة وتنتهي في العاشرة . فهي مرحلة استقرار في النمو الجسماني ، واستقرار في الحياة الانفعالية . وهي مرحلة إتقان المهارات الحركية ، والعقلية ، وتكون فيها القدرة على الاستفادة من المرونة والتكرار كبيرة جداً . وهي كما قلنا مرحلة واقعية ، والاصرار على التمسك بالحقيقة فيضعف عندها التلذذ من اللعب الياهي ، ويبدأ الاهتمام باللعب والتمثيل القريبين من الواقعية . والطفل في هذه المرحلة يحب اللعب الجمعي ، ولو أنه لا يهتم باللعب الجمعي المنظم في شكل فرق اهتماماً كبيراً إلا في أخريات المرحلة . وتبدأ الاتجاهات

الاجتماعية تظهر في هذه المرحلة كالزحمة أو التبعية أو الميل للمساعدة أو الميل للحنو أو الميل للاستبداد أو حب التهمك أو غير ذلك وهي مرحلة قليلة المشكلات في العادة إذا

سنت التاسعة . ولذلك يرى علماء النفس أن الفكرة القديمة القائمة على أن يحفظ الطفل حفظاً آلياً كثيراً من مواد الدراسة في هذه المرحلة ، خصوصاً قبل العاشرة فكرة خاطئة، ويجب الاعتماد على البحث والتفكير وعلى الذاكرة المنطقية وعلى تحفيز الطفل للعمل والتكرار عن طريق ميوله ومصادر الشوق لديه .

المرحلة من سن ١٢ الى سن الرشد

تنتهي الطفولة عادة عند سن الحادية عشرة، أو الثانية عشرة تقريباً ويبدأ الفرد يدخل بعد ذلك في دور جديد تظهر فيه تغيرات كثيرة بعضها ظاهر وبعضها خفي . ومن التغيرات الظاهرة مثلاً، استتالة القامة وبدء نمو الشعر

### قواعد ذهبية

لمن يريد أن يحفظ صحته

- ١ - أنت المشغولة عن صحة أولادك وأهل مزلتك وعليك أن تحميهم على اتباع النصائح التالية :
- ١ - الأكل ثلاث مرات في اليوم وفي أوقات معينة . وجعل طعام الشتاء خفيفاً
- ٢ - الاقتصاد في ألوان الطعام . ومضغ الطعام جيداً وتحاشي الأطعمة التي تليق للمدة .
- ٣ - عدم تناول شيء من المنبهات التي تثير المدة مثل المحمرات والاشربة الروحية أو الاقويوه ونحوها إلا دواء عند الحاجة إليها .
- ٤ - عدم تناول شيء بين وجبات الطعام .
- ٥ - الاكثار من اللحوم شتاءً والخضر صيفاً
- ٦ - الراحة بعد الطعام بالاستلقاء قليلاً .
- ٧ - اتقاء البرد بعد الدفء .
- ٨ - الاستبدال والتعطف في كل شيء .
- ٩ - النوم مبكراً .
- ١٠ - الاهتمام بالرياضة بزمياً .
- ١١ - تجنب العقاقير الطبية بقدر الامكان .
- ١٢ - الاهتمام بالنظافة البدنية .

فورت بالمرحلة التي قبلها والتي بعدها . ولكن المشاكل لا تلعب أن تظهر إذا أهملنا خصائص الطفل في هذه المرحلة من ميل الى الكشف والمعرفة والتجول والمخاطرة والمصادرة والاهتمام بالعالم الخارجي من مواد وأشخاص اهتماماً لم يسبق له عنده مثيل .

\*\*\*

وبطء النمو الجسماني في هذه المرحلة يجعل الطفل حسن الصحة قليل القابلية للتعب شديد الميل للحركة والنشاط ، قادراً على

على العارضين وعلى الشفة العليا عند الولد ، وينمو الشعر كذلك على العانة وحول الأعضاء التناسلية ، وتحت الإبطين عند كل من الولد والفت ، وتنمو بعض أعضاء الجسم بنسب

النحل ومواصلة العمل مثلاً طويلاً . أما من الناحية العقلية فكل القوى العقلية من تذكر وتفكير وانتباه وغير ذلك تبدأ تنضج في هذه المرحلة خصوصاً بعد

وينتج عن هذه المظاهر وما يشابهها حساسية شديدة في النشء وحالات انفعالية تحتاج الى رعاية .

فبعض البنات والأولاد يخافون على

أنفسهم خوفاً شديداً إذ يظنون أن هذا النمو قد يستمر استمراً مطرداً .

وبعضهم عثرون على أطراف أصابعهم حتى لا يرجحوا المكان ويزعجوا من فيه .

وبعضهم لا يجراؤ على التكلم أمام الناس لعدم تقهّم في أصواتهم أن كانت ستخرج رفيعة وغير رفيعة .

\*\*\*

وخلاصة القول أن الطفل في هذه المرحلة ينتقل من الطفولة الى اكتمال النمو .

وعلى هذا المر

الواقع بين المرحلتين يمر الطفل في دور المراهقة والبلوغ . وهي مرحلة مليئة بالصعاب بالنسبة للنشء ، ويكون فيها الفرد في أشد الحاجة الى المعونة ممن حوله .

تختلف عن النسب التي كانت تنمو بها قبل ذلك . والتديان عند البنت مثال من هذا النوع من النمو . ومن الظواهر الهامة بدء تضخم الصوت عند البنين ، ومرحلة الانتقال يتكسر

فيها الصوت عادة بين الرفيع وغير الرفيع . أما التغيرات الخفية فأهمها ما يطرأ على بعض الغدد من ضمور كما يحدث في الغدد التيموسية والغدد البينية وما يطرأ على بعض الغدد الأخرى من نمو ونشاط كما يحدث في الغدة النخامية والغدد التناسلية . وافرادات الغدد ترجع إليها التغيرات الجسمية الظاهرة التي أشرنا إليها كما يرجع كثير من الظواهر النفسية التي تظهر في هذا الدور .

\*\*\*

وهذه المرحلة على

وجه العموم مرحلة نمو مريع في الوزن ، والطول ، وبصحبها مؤقتاً شيء من رعونة الحركة وفقدان بعض الدقة والتوازن في الحركات .

### أقوال في المرأة

— تناق المرأة من أجل امرأة أخرى . وتزوج لأن غيرها سبقتها الى الزواج . وتلمي بمنزلها لتبدو نظيفة أمام زائراتها . ولولا هذا لكان للمرأة شأن آخر . . . . « جول كوراي »

— المرأة مخلوق عجيب ظمض ... زعم أنها تريد فرواً تميناً لبقية الرد في الشتاء ، بينما هي تخرج بجوارب من الحرير الخفيف الشفاف وحذاء مكشوف . « هنري ليل »

— يعتقد الرجل أن المرأة خلقت لكي تنصت الى آرائه في كل موضوع . « برنسين »

— من مصائب الزمن أن المرأة تتر بسهولة على الرجال السخفاء إذا أرادت المشور عليهم . أما إذا بحثت عن الظرفاء فلما تظفر بأحدم

— يقول الفرنسي : أنا أعرف فلانة إذا قبلها والامريكي إذا ضربها . والانجليزي إذا عجزت له بطرف عينها البسرى — أما المعري فيؤكد معرفته لآفة فتاة قابلت نظراته نظراتها وهي مطلة من النافذة .

هبلها دالون

# بَابُ الْمُرْسَلَةِ وَالْمُنَاطَةِ

## تعليق على مقالين

نفرت المقتطف للفراء بمددها الصادر في يونيو من هذه السنة ، مقالين تقيمين أحدهما لسعادة محمد جميل بهم بك بحث وشرح فيه عن علاقة المشابهة بين حضارة مصر القديمة والبابليين والهنود وبين حضارة المكسيك قديماً . وكان البحث طريفاً في منحاها جداً . وأما المقال الثاني فهو بقلم الكاتب العلمي الفاضل عوض جندي وفيه يؤكد القول بتوجاه الرادار لا أشعته . وفي ثانياً مقاله يفرح الكاتب كمادته وصفاً علمياً لرادار وفوائده بطريقة المبهودة في تبسيط الحقائق العلمية المعوية ، تلك الطريقة التي لا يجهما كل قارئ للمقتطف والصحف العلمية المبهودة في العالم العربي . وإني على قدر تفكيري ليلامق على المقالين . وقد أكون على صواب أو أحيده .

هو مصر القديمة والمكسيك بعد أن يستطرد سعادة المفضل ( محمد جميل بهم بك ) في شرح أوجه الشبه بين الحضارة المكسيكية التي هاهد بقاياها عياناً ، والتي وجد نقوشها وكتابتها التي نعبه الهيروغليفية وأزياء أهلها تشبه أزياء المصريين القدماء ، ووجد إهراماتها تحاكي إهرامات مصر مع فارق قليل من حيث توج السطح ، بعد المقارنة الناضجة بقول سعاده : « ولعل أدوات الاتصال بين أجزاء الأرض في عهد قديم كانت أرق من السفن والمراكب ذوات الأشعة . وما يدركنا إذا كانت حكاية بساط الريح وليدة حقيقة أضع الزمان معاملها ، وإن ما بقي منها يتناقل على الألسن أصبح من قبيل أسطورة من الأساطير » . وإني قبل أن أدلي برأيي أرى لزماً أن أبدي رأيي العلامة المرحوم الأب أنستاس الكرملي ، فهذا أيضاً كتب في المقتطف مؤكداً أن العرب قد اكتشفوا أمريكا قبل كولومبوس . وكان دليله في ذلك وجود أسماء حيوانات ترجم بأصل تسميتها إلى اللغة العربية مثل ( الكنغر Kangaro ) ( الكانجرو ) ( الجيم المصرية ) فيقطع الأب هذه الكلمة إلى كلمتين كان جرو أي ( كان جرواً ) . ومن طبيعة هذا الحيوان أن تسكن أجراؤه في كيس بجسمه فينقلها حيث يشاء . وتطورت الجملة العربية عند الأمريكيين القدماء لاختف إلى ( الكانجرو ) أي إلى كلمة واحدة . ومن جملة من رد على الأب أنستاس رد مستفيض بالحقائق العلمية هو الأستاذ الفاضل ( حنا خباز ) وحتى إنه ( حنا ) قرر أن العرب قديماً يخشون البحر ولا يجسمرون على السفر فيه إلى مسافات شاسعة قصية . وقد استشهد على ذلك بقول شادرم .

لا أركب البحر إني أخاف منه المعاطب  
طين أنا وهو ماء الطين في الماء ذاهب

ولكن رؤية صاحب السعادة ( جميل بيهم بك ) لحضارة المكسيك وعلاقتها بالشرق العربي تدمع الغريث والوقوف عند أي الأب انستاس كما تحمل الفرد المدقق ينتجع الطرق للاستدلال على إمكانية اتصال الشرق بالغرب، لا بطرق المواصلات الراقية والخيالية كبساط الريح بل بطريقة أخرى ترد أصولها الى طبيعة العالم وقاراته في الأزمنة السحيقة في القدم . وهنا لا بد وأن يولي المرء وجهه شطر علم الفلك والجيولوجيا لمعرفة تطور الأرض ومكان القارات بعضها بالنسبة لبعض ، وهل كان على ما هو عليه الآن ؟

يقول العالم ( جورج دارون ) إن القمر انفصل عن الأرض وترك هوة عميقة تزلحق إليها قسم من الربع الباقي من الأرض . ويؤيده في قوله كثير من العلماء في وقته . ويقول العالم « فاجنر » الألماني في تكوين القارات ، مستنداً إلى علم الطبيعة والجيولوجيا والنبات والحيوان أن في العصر الجيولوجي الثاني أي قبل ٥٠ مليون سنة كانت القارات كتلة واحدة وعلى مر العصور انقسمت الى كتلتين شرقية وغربية، فالغربية تعمل الأمريكتين، والشرقية الباقي . ولقد تزلحقت الكتلة الغربية وكأنها تسير طافية على مادة مائعة، وفي أثناء سيرها غرباً تجمعت أقسامها الغربية بفعل المقاومة فكوّنت جبال روكي الصخرية والأنديس وغيرها من جبال أمريكا فالهوة التي بقيت بينها هي البحار كهوة القمر التي كوّنت ( الباسيفيكي ) حسب رأي جورج دارون المذكور . وإن الناظر الى رسمها متجمعة حسب رأي ( فاجنر ) ومتفرقة ليجد أن اسبانيا وغرب أفريقيا يتداخلان لابل يمكن أن ينطبقا بما فيها من تنوءات مع شرق أمريكا الجنوبية وشرق أمريكا الشمالية حتى شمال المكسيك . وكأنما اسبانيا قد اقتطعت من خليج المكسيك فنشبه بحجمها سداداً له . وغربي أوروبا ينطبق على القسم الشرقي من أمريكا، وشرق أفريقيا من الشمال الى الجنوب يتصل بغرب آسيا واسقاليا . ومن الثابت تاريخياً أن البحر الأبيض المتوسط كان عبارة عن مستنقعات تظلمها أحراج النباتات والغابات وبعض الجبال وتسرح فيها حمر الوحش والحيوانات الأخرى كفرس البحر . ولم يكن مضيق ( سبتة ) جبل طارق . ولكن في طور من أطوار الزمن انفتق هذا المضيق وتدفقت مياه الأطلنط شرقاً فكوّنت البحر المتوسط ، وما بقي من رؤوس الجبال هو الجزر الباقية الآن فيه كالأرخبيل اليوناني وقبرص وكريت وفورسيفيا وسردفية وصقلية وجزر الباليار وغيرها . مما تقدم نتوصل الى القول بأنه يمكن أن يكون الانصال بين أمم العالم القديم بوساطة أدوات وطرق المواصلات البدائية لأن البرازخ الأرضية كثيرة وعملية الجفاف

والعمر مستمرة ومتبدلة من مكان الى مكان . وأن البحار لم تكن بهذه السعة، ولكن عوامل التآكل والتعرية الجيولوجية هي التي أوصلتها بصورة تدريجية الى ما آتت اليه الآن . وإذن فلا مانع من تشابه الحضارات، وتبادل الكلمات، ولا غرابة إذن في مقارنة «بيهم والكرمل» على هذا الأساس. أما على أساس الرقي العقلي الموهوم فلا يستند الى النقل ولا الى العلم ولا الى حقيقة التطور الجنسي والعقلي في الانسان، إذ أن الانسان كلما تفهقنا به الى الوراء آلاف السنين نجد عقله منعطاً خلقه ومجربة لأنه أقرب الى الحيوان منه الى الانسان. فمن أين يأتيه الابتكار .

﴿ الأشعة والموج ﴾ لا هك اننا نعيش في بحر من الهواء كما تعيش الاممك في بحر من الماء . فكل حركة من الكلام الى المشي تموج الهواء . وكذلك النجوم في أفلاك تموج بما حوالها من المادة اللطيفة . وأشعة الشمس وغيرها من الأجسام المشرقة تصل اليها بصورة أمواج ، فالضوء يصل على وسيط الاثير . وكذلك الأشعة الكونية وأشعة الأجسام المشعة كلها تسير بصورة موجية . وإذن فالكون كله أمواج في أمواج . وكثيراً ما تقرأ في الكتب هذه العبارة ( أشعة اكس وهي موجات ) ( الأشعة اللاسلكية . وهي أمواج ) وأشعة الرادار هي أيضاً بدورها أمواج . وإذن فلا يوجد مجال لسوء الفهم بين أشعة أو أمواج لأن الاشعاع معناه الانطلاق - من جسم مشع - لدقائق المادة أو الطاقة أو من جسم غير مشع ، لكنه يحتوي على مادة تفمضض ضوءاً وحرارة وغيرها من صنوف الاشعاع فالرادار جهاز تنطلق منه أشعة لاسلكية وبما أن كل أشعة تمر عبر موجياً فلا أص إذا ما صميناها أمواجاً أو أشعة . هذا من جهة العلم . أما من جهة المجاز فيجوز أن أصمى الأمواج أشعة والأشعة أمواجاً لملاقة المشابهة في القوام والمسير . فكثيراً ما يقال يدفع الفضل من أعطاف فلان أو تموج عواطفه رقة . وكذلك في قول الشريف الرضي ضولا تشعشع في سواد ذؤابتي لا أستضيء به ولا أستصبح

فسمي الغيب بالضوء مجازاً لملاقة المشابهة . وكذلك في قول المتنبي :

قامت تطلني من الشمس قمس أعز علي من قممي

قامت تطلني ومن حجب قمس تطلني من الشمس

فأحدى الشمسين كما هو ظاهر (فرد) والشمس الثانية حقيقية ، وأكثر التسمية في اللغة العربية على المجاز اللغوي وقواعده . وعليه إنني أرى أنه لا يضير العلم إذا ما قال واحد أشعة الرادار أو أمواج الرائد اللاسلكي لأن الأشعة أمواج علماء ومجازاً .



# مكتبة المقتطف

## معجم الأحلام

تأليف الأستاذ اسيرو جيري — صفحاته ١٦٠ من قطع المقتطف على ورق جيد — الثمن ٤٠ قرشاً  
طبع بمطبعة المقتطف والمطبع بمصر

الحلم ظاهرة هي أهمق الظواهرات العقلية وأغربها . يعمل فيها البصر والسمع ، ولكن لا تستعمل فيها العين ولا الأذن لأنهما مقفلتان بقفل النوم . يشاهد الحالم الأشياء والأشباح ، ويرى الأبنية والغياض والأشجار والبحار الخ... ويسمع الأصوات والأنغام ، وهو يعتقد أنه أبصر وسمع . ولكن لا عيناه رأتا ولا أذناه أصغتتا لكي تكذب هذا الظن ، أو تبلغ ذهنه أن ما رآه وسمعه لم يكن حقيقة ، ما كان إلا وحماً . وقد يكون الحلم من الوضوح والحلاء بحيث أنه إذا تذكره الحالم بعد زمن طويل اعتقد أنه كان حقيقة لا وحماً . فإذا حلم مثلاً أنه حفر حقلاً ورأى فلاناً وفلاناً وسمع كيت وكيت فبعد حين يتذكر هذا الحلم وهو يعتقد أنه كان حادثاً حقيقياً لاحقاً . أعني أنه يختلط فيه الوم بالحقيقة اختلاط النوم باليقظة لذلك نمد الأحلام من جوهرات الخواص العقلية التي نستوجب دراسة عميقة لتفسير ما فيها من حيرة وإبهام ولتعليل أسبابها ونتائجها التي حار فيها المفكرون وتقول فيها المعلقون وأمعنوا في تفسيرها كأنهم يستخرجون من أوهامها حقائق ، لذلك ما من عالم أو فيلسوف إلا خاض غمارها لاستكناه أسرارها . والفكر مفرم مادة باستجلاء الأسرار .

قرأت في الآونة الأخيرة كتاباً بموضوع الأحلام للبحاث الأستاذ اسيرو جيري المحرر بالمطبع والمقتطف بحث فيه بحثاً علمياً وتوسع فيه توسعاً تناول كل ناحية من نواحيه ولم يترك فيه وجهة إلا استوفى البحث فيها . واستند في بحوثه القيمة على ما كتبه جلة العلماء والفلاسفة الأقدمين والمتأخرين . واستمد معلوماته المعتبرة من مقالات أقطاب العلماء والفلاسفة أمثال العلامة سيجومند فرويد المدهور والفيلاسوف السير اوليفر ليج والعالم ستند الذي كان صاحب مجلة الجلات والعلامة برار دي بواووز في النمبولوم والمعاران نيون

ونوفيل فايتز عن تأثير الحشيش المخدر والدكتور جردون في أحلام الطيور ، ورومانس في حلم السكلاب ، ونمسون في أحلام الحيوانات والأستاذ ستانلي في أحلام العميان وولتر سكوت في أسرار الأحلام . وأخيراً أورد فصلاً برمته في هذا الموضوع للفيلسوف برغن المشهور واستشهد بكثيرين من السابقين واللاحقين حتى أنه جمع زبدة ما لاخ في أذهان البعثة في هذا الموضوع وأورد ماورد في الكتب المقدسة عن الأحلام وهكذا لم يترك شاردة ولا واردة إلا اقتبسها لكتابه .

ثم اتبع هذه البحوث القيمة بمعجم عن تفاسير الأحلام منقولة عن كثيرين من الثقافات الذين جمعوا قصص الأحلام وحاولوا تفسيرها وتحقيقها بالأحداث الماضية والمستقبلية ورتبها حسب ترتيب الحروف الهجائية .

وقصارى القول أن هذا الموضوع الذي يحسبه معظم الناس أوهاماً لا يستحق الالتفات إليها ، ينبغي لك في هذا الكتاب عظيم الأهمية وأنه من جوهرات حياة الإنسان . كيف لا وهو من أغرب الظواهر العقلية التي تشغل بال الإنسان . فمن يشاء أن يلم بفلسفة الأحلام ويميز بين الحقائق والأوهام فعليه بهذا السفر النفيس .

نفراد الحرار

### قصة الذرة

الأستاذ فوزي الشنوي — صفحاته ١٦٠ صفحة — طبع مطبعة رايد بعم — الثمن ٢٠ قرشاً

لا ريب في أن عصرنا الحالي هو عصر الذرة . فإن لقاء القنبلة الذرية الأولى على ميروشيا كان نذيراً ببدء عصر جديد في أساليبه الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والصحية . وقد عهدنا حتى الآن أثر الأسلحة الذرية في السياسة الدولية، فلولاها لما تعقدت المسائل الدولية بشكلها الحالي .

وقد أقبل العلماء والأطباء على استخدام الاشعاعات الذرية في كثير من بحوثهم الطبية وقد وصل بعضهم الى نتائج حسنة في بعض الأمراض المستعصية ، فأطلعونا على كثير من أمراضها .

ويمكن الأستاذ فوزي الشنوي في كتابه الممتع من مرد حوادث البحوث العلمية الخاصة بالذرة في أسلوب قصصي بسيط يسهل فهمه على القارئ العادي ، ومنه يلم بجميع المعلومات والنظريات اللازمة لفهم هذا الموضوع العبق الذي أصبح رمز عصرنا الحالي . والعصور القادمة .



وقد بدأ المؤلف قصته بالنظريات الفلسفية التي قيلت عن الذرة من أقدم عصور التاريخ سواء عند الفراعنة أو عند اليونان، فسردها في رواية مريضة ومماها بالمرحلة الأولى للبحوث الذرية. ثم انتقل الى المرحلة الثانية حينما وقف أحد كبار العلماء في مجمع علمي هام وأعلن ان البحوث الطبيعية وصلت الى ذروتها .

ولم تمض سنتان حتى عثر رونتجن بطريق الصدفة على أهمية اكس المجهولة وهي التي تستخدم في الكشف عن الأمراض الداخلية في جسم الانسان ولم يستطع أي عالم أن يفسر سر هذه الأشعة، ولا كيف نتجت، حتى قام رذرفورد بتحليلها فنقل البحوث الذرية من مرحلة النظريات الفلسفية الى مضمار الماديات .



ومن أمتع أبواب الكتاب فصوله الأخيرة وفيها يتحدث المؤلف عن المستقبل فيطلق الخيال العلمي لاستنتاج حالته ، فيتنبأ بأن انسان المستقبل لن يشغل أكثر من ثلاث نوان في السنة مما يعرض العالم للكوارث الاقتصادية إذا استمرت الأوضاع الحالية على ما هي عليه الآن واعتبرت العمل سلعة .

وفي أحد هذه الفصول روى أيضاً طائفة من القوى الكامنة في الطبيعة مما لم يدرسه الانسان بعد مثل الأشعة الكونية وقال انه قد لا تمضي عشرون سنة حتى يرفع الناس على منازلهم ساريات تجمع هذه الأشعة الهابطة من السماء وتغنيهم عن جميع موارد الطاقة .

ولعل أبرز ما في الكتاب هو ترجمته لعدد من الاصطلاحات العلمية ، فاهتق لها ألفاظاً عربية يشاهد أنه توخى فيها جانب الانسجام العلمي ، وان تكون مفسرة للمدلول اللفظ الاجنبي بالعربية .

وحتى يجعل الموضوع سهل الفهم على القارئ زود كتابه بأربعين صورة وربما اشترك في إعدادها عدد من الرسامين والمهندسين كما طبع على الغلاف صورة فنية لطيفة بريشة الرسام محمد مصطفى حماد ، وهي تمثل المدنية كطفل صغير يلعب بالطاقة الذرية فيخرج منها شعاعان يمثل أحدهما الدمار المائل في الاضطراب الدولي الحالي، ويمثل الثاني الناحية الانشائية لبناء العالم .

# بَابُ الْأَخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

## معهد الشؤون العالمية

في الشؤون العالمية الدكتور ايروين توبن من كبار موظفي قسم الشؤون الدولية العالمية والاجتماعية والصحية بوزارة الخارجية الأمريكية . وقد شملت الدراسة محاضرات واجتماعات ومباحثات غير رسمية . وجرياً على العادة التي اتبعت في السنوات الأولى لإنشاء المعهد كان المحاضرون من أعضاء الجامع العلمية وموظفي الحكومة وأعضاء الهيئات الدبلوماسية في أقطار كثيرة . ومن

من لهم سير حياة مختلفة . وتعمد في المدرسة التاكونية . طيلة أيام السنة ، اجتماعات لبحث الوسائل المؤدية الى تذليل الصعاب القائمة في صيل حسن التفاهم فيما بين الدول . وبخلاف أعمال المعهد تشمل الأعمال الصيفية إقامة معسكر للجنود الأمريكيين والشباب الغراء الذين تقراوح أعمارهم بين السابعة والسابعة عشرة . ويجري العمل في المدرسة الجبلية ، في خلال السنة الدراسية ، على اعتبار أنها مدرسة ثانوية الغرض من إنشائها إعداد الطلبة الغراء ، عن طريق تلقينهم دروساً لغوية وانصاهم بالأمريكيين ، للإنتظام في الدراسة في الكليات في الولايات المتحدة .

انقضت خمس وعشرون سنة على إنشاء معهد الشؤون العالمية بمدينة ساليسبورى بولاية كونيتيكت في القسم الشرقي للولايات المتحدة وأصبح ينتظم في الدراسة به ثلاثون طالباً قدموا من اثنتى عشرة دولة . وقد أنشئ هذا المعهد نتيجة لقرار اتخذته الاتحاد الدولي للطلبة الذي كان يعقد اجتماعاته في مدينة جنيف بسويسرا في المدة من سنة ١٩٢٥ الى سنة ١٩٣٩ . وقد نقل الاتحاد عندما نشبت الحرب الى كلية وليمز في وليمز تاون بولاية ماساشوسيتس . وقد أخذ يعقد اجتماعاته منذ سنة ١٩٤٢ حتى الآن في المدرسة التاكونية Taconic بمدينة ساليسبورى . وقد أصبح نصف أعضاء الاتحاد في سنة ١٩٤٨ من الولايات المتحدة . أما الدول الأخرى الممثلة فيه فهي اليونان وفنلندا وهولندا وإيطاليا وفرنما وسويسرا وتركيا وإيران وشيلي وسيلان وكندا . ومعظم الطلبة الأجانب كانوا يتلقون دروسهم في الولايات المتحدة بواسطة اطانات دراسية مختلفة من قبل الحكومات والمعاهد .

وكان يدير الأعمال الدراسية التي استغرقت منه أسابيع ، بقصد أعداد الشبان للزفامة

## صناعة نماذج الطائرات

يوجد في الولايات المتحدة نحو ثمانية عشر ألف شخص من صانعي نماذج الطائرات ، وهم أعضاء في أكاديمية صانعي نماذج الطائرات ، وهي هيئة مستقلة لا تسعى للكسب وتعمل فقط لتحسين صناعة الطائرات ، كما إنها وثيقة الصلة بالجمعية الوطنية لغوون الطيران . وهي تفتل في ميدان صنع نماذج الطائرات اتحاد الطيران الدولي الذي يسن اللوائح الدولية الخاصة بالطيران ومقره في باريس .

وقد أنشأت الأكاديمية في سنة ١٩٣٤ جماعة من كبار صانعي نماذج الطائرات لتطبيق أحدث النظريات في صناعة الطائرات وللارشاد والتوجيه في الغوون المتعلقة بهذه الصناعة ، وأعمالها معترف بها من جميع الهيئات والسلطات التي يعينها أمر الطيران وهي تساعد ادارة الطيران المدني في حكومة الولايات المتحدة ومصحة المعارف الأمريكية وعدة مصالح حكومية أخرى على تنفيذ مختلف البرامج التعليمية والعلمية . ويقرر سياسة الأكاديمية مجلسها التنفيذي ويقوم بتنفيذها موظفو مقرها والمدير المنتخب في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة . وما يذكر ان موظفي الأكاديمية وأعضاء لجائها ومجلسها باستثناء الموظفين العاملين في مقرها لا يتقاضون مرتبات على أعمالهم .

ويدير المسابقات التي تقرأها أكاديمية صانعي نماذج الطائرات مديرون معترف بهم طبقاً لقوانين الأكاديمية ولوائحها . وهي تجري مادة بإشراف الهيئات المدنية والتعليمية والتجارية . ولنضرب مثلاً على ذلك نقول ان معرض الطيران الوطني الكبير الذي أقيم في شهر يوليو الماضي في مطار أندروز الحربي الواقع على مقربة من واشنطن قد أقيم بإشراف الطيارين الذين اشتركوا في حروب في الخارج وهيئة الطيران المدنية والنادي الوطني لأعمال المطارات وجريدة « ذي إيفنج ستار » التي تصدر في واشنطن . وقد اشتركت في المسابقات التي أقيمت في ذلك المعرض للحصول على الجوائز ثلثمائة طائرة تقريباً وشهدتها نحو خمسين ألف شخص . وقد أقيمت مسابقتان هامتان في الولايات المتحدة قبل المسابقة الدولية التي أقامها فريق ويكفيلد بمدينة اكرون في شيلي من يوم ٢٦ أغسطس الى يوم ٢٧ منه . وقد اقيمت المسابقة الأولى من يوم ٤ أغسطس الى يوم ٨ منه ، وكانت محلية ، في القاعدة الجوية التابعة للبحرية الأمريكية في أولان شبولاية كنساس ، وأقيمت المسابقة الثانية في ديترويت بولاية ميتشيجان ، وكانت دولية من يوم ١٨ أغسطس الى يوم ٢٣ منه .

إنها نالت شرف إقامة المحابقة في بلادها في هذه السنة ..

وترد الى مقر أكاديمية صانعي نماذج الطائرات ، يومياً تقريباً ، رسائل تحية من الشبان في أقطار كثيرة ، ويتبادل أعضاؤها في جميع أنحاء البلاد الرسائل بانتظام مع زملائهم المولعين بفنهم في الخارج .

### اكتشاف علاج للحصى الراجعة

والسلفاميرازين لا يستطيعان بث تلك الطاقة في هذه الأجسام . ولكن اذا حقن المريض بمخلوط مركب من احدى هذين المستحضرين والبلازما . فان السلفا تقوي طاقة الأجسام الدافعة في الدم القوي حقن به المريض ، ومن ثم تستطيع هذه الأجسام التغلب على بكتريا الحصى

وقد ثبت من اجراء التجارب الاولى لهذا الدواء على أن أعراض المرض تخف بعد مدة من العلاج تتراوح بين ٢٤ و ٧٢ ساعة وتختفي تماماً بعد أسبوع واحد .

### زيادة مطردة في انتاج المانيا من الصلب والفحم

شهر يونيو أي زيادة ٧١٪ على ما كان عليه في شهر يونيو من سنة ١٩٤٧ . وبلغ الانتاج في الربع الثاني ١٦٤٠٠٠ طن مقري أي زيادة أكثر من ٥٥٪ على ما كان عليه في مثل هذه المدة من سنة ١٩٤٧ . وبلغ انتاج اقليم الرور من الفحم رقماً قياسياً جديداً أيضاً إذ أن الانتاج اليومي وصل الى ٧٦٨ و ٣٠٨ طن في يوم ٢٨ يونيو .

جلد ١١٣

(٤٢)

ومما يذكر ان مسابقة ويكفيلد التي تعتبر أكبر مسابقة دولية ، وقد أوجدها في إنجلترا ، في سنة ١٩٢٨ ، الهورد ويكفيلد لتفجيع الروح الرياضية عن طريق الطيران وقد أقيمت احدى عشرة مرة وكانت آخر مرة في سنة ١٩٣٩ . وقد رجحت الولايات المتحدة السكاس الدولي في ذلك الحين كما

اكتشف الدكتور فورست هداسون البكتريولوجي ، دواء جديداً لعلاج الحصى الراجعة . وهذا الدواء عبارة عن حقنة من بلازما الدم ومستحضرات السلفا . وطبيعة هذه الحصى انها تصيب الانسان في فترات متوالية وتستمر الاصابة بها أسابيع ، وقد تمتد الى شهور .

وتقوم نظرية هذا العلاج على أساس أن بعض مستحضرات السلفا قادرة على تنشيط طاقة الأجسام الدافعة في دماء المصابين غير قادرة على قتل البكتريا . وثبت أن السلفاميرازين

يؤخذ من تقرير أصدرته الادارة العسكرية الامريكية ، عن شهر يونيو ، ان انتاج الصلب والفحم وصادراتهما في منطقتي الاحتلال الامريكي والبريطاني بالمانيا قد بلغ رقماً قياسياً جديداً فيما بعد الحرب . فقد بلغ انتاج اقليم الرور من الصلب القوي يعتبر أهم المواد التي تساهم بها المانيا في برنامج الانعاش الاوربي ٧٥٠ و ٧٣٣ طن مترقياً في

جزء ٤

## زيادة الانتاج في الولايات المتحدة

قد قلت بينما زادت قيمة مشتريات المهمات الثقيلة في الربع الثاني من السنة بنحو ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠٠٠ دولار على ما كانت عليه في الربع الأول. ويعزى ذلك الى كثرة المخزون من بضائع القطاعي والجملة.

\*\*\*

وظلت الاموال المستثمرة في الخارج في الربع الثاني من السنة في المعدل السنوي البالغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٤ دولار الذي قدر في الربع الاول من السنة.

وزادت جملة مبالغ الدخل الشخصي الذي يعمل الاجور والمرتبات والارباح المعادية وارباح الاسهم واجور المحال والاملاك في الربع الثاني من السنة بنحو ٠٠٠ر٠٠٠ر١٥٠٠ دولار، أي أن معدلها السنوي بلغ نحو ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠٩ دولار. ويرجع معظم الزيادة الى زيادة دخل المزارعين، كما حدثت زيادة أخرى في ميدان التجارة والصناعة.

وقد زاده الدخل الشخصي الذي يمكن التصرف به في الربع الثاني نظراً لتخفيف الحكومة لفتات ضريبة الدخل في شهر مايو الماضي. وعما يذكر أن زيادة الدخل الشخصي وتخفيضات الضرائب التي يدفعها المستهلكون مما ساعد ذوي الدخل، في

أصدرت الادارة الاقتصادية بوزارة التجارة الأمريكية بياناً جاء فيه أن القيمة الاجمالية للسلع التي اقتنوها الولايات المتحدة والمخامات التي قدمتها بلغت ما يساوي ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٤٨ دولار سنوياً في الربع الثاني من سنة ١٩٤٨. ويزيد هذا المبلغ الذي يساوي قيمة انتاج البلاد السنوي بنحو ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠٠ على ما قدرته الوزارة عند انتهاء الا شهر الثلاثة الاولى من هذه السنة.

\*\*\*

ومن العوامل الهامة التي أدت الى زيادة قيمة الانتاج زيادة المصروفات السنوية الخاصة بالاستهلاك الشخصي بنحو ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٠٠ دولار بالنسبة لمختلف أنواع السلع والمخامات. وزادت قيمة مشتريات الحكومة من البضائع وما تلقت من خامات حتى زاد معدلها السنوي بأكثر من ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٥٠ دولار على المعدل السنوي في الربع الاول نظراً لزيادة مصروفات الحكومة لشراء السلع اللازمة لمساعدة الدول الأجنبية وتوسيع نطاق أعمال الانشاء المحلية وخاصة أعمال انشاء الطرق.

وقالت الوزارة في بيانها أن قيمة الاموال الخاصة المستثمرة في داخلية البلاد

الأعمال في الدوائر الصناعية وزيادة عدد العاطلين .

ومع ذلك صرح الجنرال لوشيو كلاي الحاكم العسكري الأمريكي في ألمانيا ، في اجتماع صحفي عقد بواشنطن في شهر يوليو الماضي ، بأن إصلاح نظام العملة في مناطق الاحتلال الغربية قد ساعد على انعاش المصانع واستيعاب العاطلين بالتالي . وقال انه قضى على السوق السوداء وأدى الى عرض سلع على أرصف المتاجر لم تشاهد فيها من مدة طويلة . وأضاف الى ذلك قوله ان النتائج الاولى لإصلاح نظام العملة كانت حسنة الى درجة لم تكن متوقعة مطلقاً . فقد جعل للنقود قيمة لم تكن لها في السنوات الثلاث الماضية .

\*\*\*

وأدى تحسن حالة التغذية في المنطقتين الى زيادة الانتاج . فقد بلغ وزن واردات المواد الغذائية في شهر يونيو ١٩٤٤ و ٧١٤ طنّاً أي ما يقرب من ضعف متوسط وزن الواردات الشهري في سنة ١٩٤٧ .

\*\*\*

وورد في البيان أيضاً ان تمليك أجهزة البضائع الألمانية في منطقة الاحتلال الأمريكي لأحدهما من ضمن تمويلات الحرب قد اتمى تماماً . ومعنى هذا ان طاقة المصانع الباقية ستستغل لانعاش غرب أوروبا اقتصادياً .

خلال الربع الثاني على زيادة الاتفاق بمعدل سنوي قدره ٣٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار على معدل فقاتهم في الربع الاول ، في حين إنهم احتفظوا بمدخرات شخصية في مستوى يزيد قليلاً على مدخراتهم في الربع الاول .

\*\*\*

أما فيما يتعلق بميدان التجارة الخارجية فقد زادت كميات البضائع المصدرة في منطقتي الاحتلال الأمريكي والبريطاني في ألمانيا في النصف الاول من هذه السنة على جميع الكميات التي صدرت في سنة ١٩٤٧ . وقد بلغت قيمة الصادرات في الأشهر الستة التي انتهت في يوم ٣٠ يونيو ٢٢٩٠٠٠٠٠ دولار ، كما يؤخذ من بيان أذاعته ادارة التصدير والاستيراد المشتركة . ويزيد هذا المبلغ بنحو ٧٣٠٠٠٠٠ دولار على قيمة جميع صادرات السنة الماضية . وبلغت صادرات شهر يونيو سنة ١٩٤٨ نحو ١٦٥٠٠٠٠٠ دولار منها ٤٠٠٠٠٠ دولار قيمة مصنوعات . وهذه القيمة أكبر قيمة لصادرات المصنوعات في شهر واحد بعد انتهاء الحرب .

\*\*\*

وورد في البيان ان الحالة الاقتصادية في المنطقتين كانت في شهر يونيو ، بصفة عامة ، غير مستقرة نظراً لإصلاح نظام العملة الذي أدى في البداية الى اضطراب

## لجنة استشارية أمريكية

### لاستغلال المواد النادرة

غيرها وعقد الاتفاقيات مع المؤسسات الصناعية الخاصة بفأن السلع النادرة .

وقال المستر تشارلز سوير وزير التجارة الأمريكية ، أن اللجنة ستراعي في مملها إلغاء قيود الطوارئ التي كانت موضوعة في وقت الحرب إلا ما هو ضروري منها لحماية الاقتصاد الوطني ولائمداد الأقطار المحتاجة مملأً بسياسة الولايات المتحدة الخارجية ، بالسلع التي لا يمكن تصديرها الى جميع الجهات بغير وضع قيود له ، والعمل على استقرار الحالة الاقتصادية في الولايات المتحدة ، وتوزيع البضائع التي تؤثر تأثيراً مباشراً على تكاليف المعيشة أو الانتاج الصناعي بنظام وإنصاف ، وتميز الأمن الوطني بواسطة الحصول على مقادير كافية من المواد والمهمات الضرورية .

والكي تقوم اللجنة بعملها على نطاق كهذا ينتظر أن تقوم بدور هام في الميدان الاقتصادي . ومع أن الانتاج في الولايات المتحدة قد بلغ القدره فان الطلب على كثير من المواد يزيد على الموجود منها . ويعتبر عمل اللجنة في المحافظة على موارد الثروة الوطنية وتوزيع المواد النادرة توزيعاً عادلاً ذو قيمة كبيرة ، كما أنه ضروري لمواصلة الانتاج على مستوى عالٍ واستمرار تصدير

ألفت في الولايات المتحدة لجنة استشارية لضمان الحصول على المواد النادرة اللازمة لاقتصاد الولايات المتحدة وتنفيذ برامج المساعدة وبرامج التصدير الى الأقطار الأخرى واستغلالها على الوجه الأكمل . وستعمل اللجنة ، وهي مؤلفة من كبار موظفي مصالح حكومة الولايات المتحدة ، على تسيق برامج الامدادات الكثيرة التي تعمل على تنفيذها وزارة التجارة الأمريكية وتضم اللجنة ممثلين عن وزارات الخارجية والتجارة والمالية والزراعة والداخلية والعمل وادارة التعاون الاقتصادي المسكامة بالقيام بدور الولايات المتحدة في برنامج الانعاش الأوروبي وادارة بناء المساكن وادارات الدفاع الوطني وادارة النقل التابعة لقوات الدفاع . وهناك هيئات أخرى ستوفد مستمعين لحضور اجتماعات اللجنة .

وتقوم اللجنة بالأعمال التي كانت تقوم بها هيئات حكومية متفرقة . وبثأليفها أتيحت الفرصة لختلف المصالح الحكومية المختصة للاشتراك في تقرير السياسات ووضع البرامج الخاصة بتوزيع المواد النادرة ووضع قيود التصدير واتخاذ التدابير اللازمة لتقديم المساعدة أولاً الى الجهة التي تستحقها قبل

المواد اللازمة للتعمير في الخارج طبقاً لنظام الموضوع له .

وذكر المستر سوير ، في تقريره الأخير الذي قدّم نسخة منه الى الرئيس ترومان كما قدّم نسخة أخرى الى الكونجرس ، ان قيود التصدير قد فرضت لمنع التضخم المالي الذي يحدث نتيجة لتأثير الطلبات الخارجية على الاقتصاد الوطني ولتنويع المواد النادرة . مع مراعاة المناطق من الناحية الجغرافية ، بطريقة تساعد على إغماش العالم اقتصادياً ، وللمراقبة شحنات المواد التي تصدر الى شرق أوروبا ، وخاصة ما يكون منها ذا قيمة بالنسبة

لزيادة القوة العسكرية .

وقال مع ذلك أن الولايات المتحدة تدرك أن بعض الدول الأجنبية في حاجة ماسة الى المواد النادرة وإنها ستصدر كل ما تستطيع أن تستغني عنه منها بدون أن تتأثر الحالة الاقتصادية في الولايات المتحدة تأثيراً سيئاً بذلك . وما يدل على ذلك الحقيقة الواقعة وهي أن الولايات المتحدة التي كانت تورد ما قيمته حوالي ١٥٪ فقط من القيمة الكلية للمبضائع التي كانت تستوردها الدول الأخرى قبل الحرب تورد الآن ما يزيد قيمته على ٣٥٪ من تلك القيمة .

## برنامج وزارة الزراعة الأمريكية

### لمكافحة الحشرات الضارة بالحبوب

بالسوس في الحبوب ، وتعتمد الوزارة كثيراً على هذه الوسيلة في برنامجها لمكافحة الحشرات فقد اكتشف علماء وزارة الزراعة أن وضع عيّنة من الحبوب عدّة دقائق في صبغة تحتوي على اكسيد الفوكسين ثم غسلها بالماء فيما بعد يبين مدى الاصابة بالسوس ، والحبوب المصابة تظهر عليها بقع حمراء صغيرة تدل على أن السوس قد باض في نواة الحبة . أما الحبوب الحالية من السوس فلا تظهر عليها بقع حمراء .

ولم يستطع الخبراء في الماضي معرفة ما إذا كانت الحبة مصابة أو غير مصابة إلا بعد شقّ النواة أو فحصها بالميكروسكوب .

تقوم الآن وزارة الزراعة الأمريكية بتنفيذ برنامج واسع النطاق في جميع أنحاء الولايات المتحدة لصيانة الحبوب اللازمة للاستهلاك العالمي ، ومن أهم الخطوات التي تتخذ في هذا الشأن القضاء على الحشرات التي كثيراً ما سببت خسائر فادحة في محاصيل الحبوب . وتعتمد تلك الحملة للقضاء على الحشرات على وسيلتين أولاهما البحث العلمي وثانيتهما إرشاد الزّراع عن خير الوسائل لتخزين الحبوب .

وقد وفق علماء الحشرات في وزارة الزراعة الأمريكية الى اكتشاف طريقة تمكن الإنسان من أول مرة معرفة مدى الاصابة



ونضع أنثى الدوس ببعضها في النقوب الدقيقة التي تنقبها تلك الحشرة في قشرة الحبة لتدخل منها الى قلبها . وبعد ذلك تسد الحشرة تلك النقوب بمادة هلامية متى جفت انسدت الثقب تماماً وبدأت الحبة كأنها سليمة من الداخل . وعندما توضع الحبة المصابة في الصبغة المشار إليها آنفاً يتلون ذلك الجزء المسدود بالمادة الهلامية باللون الاحمر .

وقد أخذ أصحاب المطاحن في الولايات المتحدة يستخدمون تلك الوسيلة الجديدة لأنه لم يكن في استطاعتهم من قبل أن يميزوا الحبوب المصابة بالدوس إلا بعد طحنها . وكان الدقيق الذي يكتشف فيه دوس يستعمل لا طعام الماشية .

أما الآن وبعد اكتشاف الوسيلة الجديدة فإن أصحاب المطاحن لا يطحنون

لاستهلاك الآدميين إلا الحبوب التي تثبت لهم التجربة أنها خالية من الدوس .

وقد أكدت هذه الوسيلة أهمية صيانة الحبوب المخزونة في المزارع من الحشرات .

فقد ثبت أن الحشرات تستهلك من حبوب

الزراعات المخزونة ما لا يقل عن ٥ ٪ . ولهذا قام علماء وزارة الزراعة الأمريكية بتجارب واسعة النطاق لارشاد الزراعات عن خير

الوسائل لتخزين الحبوب ، وأبلغتهم تفاصيلها وتشمل هذه الارشادات أحسن الطرق لبناء

الصوامع ونوع المواد القاتلة للحشرات ومقدارها وكيفية استعمالها لرش الجدران وأرض هذه الصوامع الخشبية .

وتأمل وزارة الزراعة عن طريق بحوثها وما تقدمه الزراعات من ارشادات ان توفر

مقداراً أكبر من الحبوب اللازمة لحاجات العالم .

## تأثير الإشعاع الذري على الحيوان والنبات

### بعد تجربة القنبلة الذرية

تعد جماعة من العلماء الأمريكيين برئاسة الدكتور لورين دونالدسون ، مدير معمل مصائد الاسماك بجامعة واشنطن ، تقريراً عن تأثير الانفجارات الذرية على حياة الحيوان والنبات في منطقتي جزيرتي بيكيني واينويروك المرجانيتين الواقعتين في وسط المحيط الهادئ . وكانت لجنة الطاقة الذرية الأمريكية قد أوفدت أولئك العلماء الى هناك

بمساعدة وزارة البحرية الأمريكية . وم من المدنيين . وعند ما ينتهي العلماء من ذراستهم لما شاهدوه ويقررون نتائج بحوثهم ستذاع المعلومات التي لا يكون في اذاعتها خطر .

وكان الدكتور دونالدسون قد سافر من قبل الى جزيرة بيكيني على رأس بعثة علمية في صيف سنة ١٩٤٧ .

## توليد وقود من الشمس لتدفئة المنازل وإدارة المصانع

أصاب العلماء تقدماً كبيراً في معرفة كيف يحول النبات الهواء والماء والمواد الكيميائية في التربة إلى غذاء له، وعلى هدى هذا التقدم بدأ العلماء يفكرون في توليد طاقة شمسية ونحوها إلى وقود لتدفئة المنازل وإدارة المصانع.

ومفتاح المشكلة هو الكلوروفيل (المادة الخضراء في النبات) والمعروف أن الكلوروفيل هو المادة الوحيدة في الطبيعة ذات خاصية فريدة لتخزين الطاقة الشمسية في شكل موارد ذات فائدة. ويقول العلماء أنه متى تم الوقوف على مر طاقة الكلوروفيل

فستتوفر للإنسانية موارد لا تنفذ وتعود عليها بأحسن الفوائد.

ويقول أحد العلماء إن في الأماكن توليد وقود يشبه الفحم والزيوت بطريقة صناعية. وأشار إلى أن البحوث الخاصة بتوليد الطاقة من الشمس مباشرة قد قطعت شوطاً بعيداً في طريق التقدم. ثم قال إن المواد النباتية في باطن الأرض تتحول إلى زيت وخم في عدة قرون طويلة بطريقة طبيعية، فإذا مجتحت هذه البحوث فقد يتمكن العلماء من تقصير تلك المدة الطويلة.

## اصلاح خطأ

بعض أخطاء وردت في كتاب « عالم القدرة » الذي ألحق بمنتطف شهري يوليو وأوغسطس

الصواب في صفحة ٦	وسطر ١٦	الكتاب (caulomb)
« ١١	٢٤	بضيا في أفلاك
« ١٤	٩	مع كهربين
« ١٦	١٩	غير ثابتة
« ٢٨	٢٣	إن الذرة بالارج تساوي المادة للجرام
« ٢٨	٢٣	Mcg
« ٤٠	٦	الذي وزنه ٢٣٨ يصبح وزنه ٢٣٩ ورفه ٩٣
« ٨٨		الكلمة الأخيرة بلوتونيوم

## فهرس الجزء الرابع

من المجلد الثالث عشر بعد المئة

- ٢٤٥ الرومانية وتطورها عند البدائيين وفي العصر القديم : اسماعيل مظهر
- ٢٥٢ الارشاد الاجتماعي وعلى أي أساس يجب أن يقوم : جمال الدين حمدي
- ٢٥٨ جيزيل ابنة الامبراطور شارلمان : ماري هندرسون : ترجمة الآنة نعمت حسن
- ٢٦٩ طليطلة : محمد وجب البيبي ( مصورة )
- ٢٧٧ ذكرى يوهان ليندهارد : لهيجر كراج السويدي : ترجمة أبي سلى
- ٢٨٠ صيد الاسفنج في خليج المكسيك : أمين عبده
- ٢٨٥ وصف العاصفة عند امرئ القيس وعند فرجيل : الاب فريد جبر العمازي
- ٢٩٢ المجتمع والسياسة في الادب المصري الحديث : هيوارد ديون : ترجمة وديع فلسطين
- 
- ٣٠٩ باب مملكة المرأة \* وفاء امرأة . من شهرات النساء : ايلين سالسبوري . باندي ترا
- أنشودة البراهمة الوطنية . الطفل في مراحل نموه . قواعد ذهبية لمن يريد أن يحفظ صحته .
- أقوال في المرأة : السيدة انصاف عصمت
- ٣١٧ باب المراسلة والمناظرة \* تطبيق على مقالين : رشيد السمذ
- ٣٢٠ مكتبة المقتطف \* معجم الاحلام : تقولا الحداد . قصة القدرة
- ٣٢٣ الاخبار الدلية \* معهد الشؤون المالية . صناعة نماذج الطائرات . اكتشاف علاج للحمى
- الراجعة . زيادة مطردة في انتاج المانيا من الصلب والفحم . زيادة الانتاج في الولايات
- المتحدة . لجنة استشارية اميركية لاستغلال المواد النادرة . برنامج وزارة الزراعة الاميركية
- لمكافحة الحشرات الضارة بالحبوب . تأثير الاشعاع القوي على الحيوان والنبات بد تجربة
- القبلة القوية . توليد وقود من الشمس لتدفئة المنازل وادارة المصانع

### لحق المقتطف

١ - ٣٦ العجل الابيض : عن فولتير : ترجمة جلال مظهر